Tafsir Bahrul ‘Ulum
Abul Laith Samarqandi
vol 3
website : http://www.al-eman.com/

تفسير بحر العلوم
ابوالليث
السمرقندي
الجزء الثالث (3)
سورة الروم (30)
الي سورة الناس (114)

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20*/i367&p1**

ملخص عن كتاب: تفسير السمرقندي، المسمى «بحر العلوم» ***

هذا كتاب من أوائل كتب التفسير بالمأثور، جمع فيه مصنفه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية، إلا أنه غلب الجانب النقلي على الجانب العقلي؛ ومن ثم عُد ضمن كتب التفسير بالمأثور، ويتخلص منهج المصنف فيه في أنه يسوق الروايات عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولا يعقب ذلك بالكلام على الأسانيد، ويروي أحيانا عن الضعفاء كالكلبي والسدي وغيرهما، ويتعرض للقراءات على قلة، ويحتكم في ذلك للغة أحيانا، ويقوم بشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية، وقد أورد في تفسيره بعض القصص الإسرائيلية، وقد اختلف في تسمية الكتاب بـ «بحر العلوم» حيث لم يذكر من ترجم لأبي الليث اسم «بحر العلوم» ضمن كتبه، وإنما يقولون: له «تفسير القرآن».

التصنيف الفرعي للكتاب: التفاسير

سورة الروم

تفسير الآيات رقم [1- 6]

{الم (1) غُلِبَتِ الـرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْـدِ غَلَبِهِمْ سَـيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْـعِ سِـنِينَ لِلَّهِ الْأَمْـرُ مِنْ قَبْـلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْـرِ اللَّهِ يَنْصُـرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْـدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6)}

قـول اللـه سـبحانه وتعـالى: {الم * غُلِبَتِ الـروم} يعـني قهـرت الـروم {فِى أَدْنَى الارض} ممـا يلي فـارس يعـني أرض الأردن وفلسطين {وَهُمْ} يعني أهل الروم {مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} أهلَ فارس، وذلـك أن النـبيَّ صـلى اللـه عليـه وسـلم كتب إلى قيصـر، ملـك الـروم، يـدعوه إلى الإسـلام، فقـرأ كتابـه، وقبّلـه ووضـعه على عينيـه، وختمـه بخاتمه، ثم أوثقـه على صـدره، ثم كتب جـواب كتابـه: إنـا نشهد أنك نـبي ولكنـا لا نسـتطيع أن نـترك الـدين القـديم الذي اصطفى الله لعيسى، فعجب النبي صـلى اللـه عليـه وسلم وقـال: «قَـدْ ثَبَّتَ اللـه مُلْكَهُمْ إلَى يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ إلَى أدْنَى الأَرْضِ مِنْهَا بِفَتْحِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى المُسْلِمِينَ»

وكتب إلى كسرى ملك فارس فمزَّق كتابه، ورجع الرسول بعدما أراد قتله، فأخبر النبي صلى الله عليه وسـلم بـذلك، فقال صلى اللـه عليـه وسـلم: «قَـد مَـزَّقَ اللـه مُلْكهم فلا مُلـكَ لَهُمْ أبَـداً. إذا مـاتَ كِسْـرَى فلا كِسْـرَى بَعْـدَهُ» فلمّـا ظهرت فارس على الـروم اغتمَّ المسـلمون لـذلك، فـنزل

قولـه تعـالى: {الم الم غُلِبَتِ الـروم فِى أَدْنَى الارض وَهُم مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}.

وقال في رواية الكلـبي: إن مشـركي قـريش شـتموا حين غلب المشركون أهل الكتاب، فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لمَ تشتمون؟ فوالله ليظهرنَّ الروم عليهم. فقـال أبيٌّ بن خلف: والله لا يكون ذلك أبداً فتبايعـا أبـو بكـر وأبيّ بن خلـف لتظهـرن الـروم على أهـل فـارس إلى ثلاث سـنين على تسع ذود. فرجع أبو بكـر إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم، وأخبره بالأمر، فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: «انْطلِقْ فَزِدْهُ فِي الخَطَرِ، وَمُدَّهُ فِي الأَجَلِ» فرجعَ أبو بكر إلى أبيّ بن خلف، فقال: أنا أبايعـك إلى سـبع سـنين على عشرة ذَود، فبايعه فلما خشي أبيّ بن خلف أن يخـرج أبـو بكر من مكة إلى المدينة مهاجراً أتاه فلزمه، فكفل له عبد الرحمن بن أبي بكر. فلما أراد أبي بن خلف أن يخـرج إلى أحدُ أتاه محمد بن أبي بكر، فلزمه، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحدُ فظهرت الرُّوم على فارس عـام الحديبيـة، وذلـك عنـــد رأس ســبع ســنين، فــذلك قولـــه: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْــرَحُ المؤمنون * بِنَصْرِ الله}.

وروى أســباط، عن الســدي، عن أصــحابه، قــال: اقتتلت فارس والروم، فغلبتهم فارس، ففخر أبو سفيان بن حرب على المسلمين، وقال: الـذين ليس لهم كتـاب غلبـوا على الذين لهم كتـاب، فشـقَّ ذلـك على المسـلمين، فلقي أبـو بكر رضي الله عنـه أبـا سـفيان، فقـامره على ثلاثـة أبكـار على أنَّ الـروم سـتغلب فـارس إلى ثلاث سـنين، ثم أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال له:

«انْطَلِـقْ فَـزِدْ فِي الجَعْـلِ، وَزِدْ في السِّـنِينَ» فزايـده إلى سـبع سـنين على سـبعة أبكـار. فـالتقى الـروم وفـارس، فغلبتهم الروم، وظهر عليهم هرقـل، فجـاءه جبريـل عليـه السلام بهزيمة فارس، وظهور الـرّوم عليهم، ووافـق ذلـك

يــوم بــدر وظهــور النــبيّ صــلى اللــه عليــه وســلم على المشركين، ففـرح المؤمنـون بظهـورهم على المشـركين، وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك.
ويقال إن أهل الروم كـانوا أهـل كتـاب، وكـان المسـلمون يرجــون إســلامهم، وأهــل فــارس كــانوا مجوســاً، فكــان المســلمون لا يرجــون إســلامهم، وكــانوا يحزنــون لغلبــة فــارس عليهم فــنزل {الم غُلِبَتِ الــروم فِى أَدْنَى الارض} أي أقــرب الأرض إلى أرض فــارس {وَهُم مّن بَعْــدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} روي عن الفراء أنه قال: يعني من بعـد غلبتهم، ولكن عند الإضافة سـقطت الهـاء، كمـا قـال: {وَجَعَلْنَـاهُمْ أَئِمَّةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا وَأَوْحَيْنَـآ إِلَيْهِمْ فِعْـلَ الخـيرات وَإِقَـامَ الصلاة وَإِيتَآءَ الزكواة وَكَانُواْ لَنَا عابدين} [الأنبياء: 73] ولم يقل: وإقامة الصلاة.
وقال الزجاج: هذا غلط، وإنا يجوز ذلك في المعتلّ خاصـة. والغلب والغلبــة كلاهمــا مصــدر. و{سَــيَغْلِبُونَ فِى بِضْــعِ سِنِينَ} يعني إلى خمس سنين، ويقال: إلى سبع سنين.
روي عن أبي عبيدة أنه قال: البضـع من واحـد إلى أربعـة. وقـال القتـبي: البضـع مـا فـوق الثلاثـة إلى دون العشـرة. وقال مجاهد: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، ويقـال {مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ} وهذا اللفظ يكون للغالبين وللمغلوبين كقولهم من بعد قتلهم.
ثم قال عز وجل: {لِلَّهِ الامر مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ} يعني للــه الأمــر حين غلبت الــروم فــارس {وَمِن بَعْــدِ} يعــني حين غلبت الروم فارس.
ولفظ القبل والبعد إذا كان في آخر الكلام يكون رفعاً على معنى الإضافة للغايــة، ولــو كــان إضــافة إلى شــيء يكــون خفضاً، كقولك: من بعدهم ومن قبلهم.
ثم قــال: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْــرَحُ المؤمنــون} لمــا يرجــون من إسلامهم، ويقال: يفـرح أبـو بكـر رضـي اللـه عنـه خاصـة،

ويقال: يفرح المؤمنون بتصديق وعد الله تعالى. وروي عن الشعبي أنه قال: كان ذلك عام الحديبية، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تـأخر، فبـايعوه مبايعـة الرضـوان، ووعـد لهم غنائم خيـبر، وظهـرت الـروم على فـارس، وكـان تصـديقاً لهذه الآية {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المؤمنون} وإنَّما جازت مخاطرة أبي بكر رضي اللـه عنـه لأن المخـاطرة كـانت مباحـة في ذلك الوقت، ثم حـرمت بقولـه: {ياأيهـا الـذين آمَنُـواْ إِنَّمَـا الخمـــر والميســـر والإنصـــاب والازلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَـــلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ} [المائـدة: 90] الآيـة، ثم قال {بِنَصْرِ اللـه} يعـني بفتح اللـه {يَنصُـرُ مَن يَشَـاء} يعني نصر اللـه محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه {وَهُوَ العزيز الرحيم} بالمؤمنين حين نصرهم.

قولـه عـز وجـل: {وَعَـدَ اللـه} نصـب الوعـد لأنـه مصـدر، ومعناه وعد الله وعداً يعني انتصروا وعد الله.

ثم قال: {لاَ يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ} حيث وعد لهم غلبـة الـروم {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني الكفـار لا يعلمـون أن الله عزَّ وجلَّ لا يخلف وعده، ويقال: لا يعلمون الآخرة.

تفسير الآيات رقم [7- 11]

{يَعْلَمُـونَ ظَـاهِرًا مِنَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِـرَةِ هُمْ غَـــافِلُونَ (7) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِـــهِمْ مَـــا خَلَـــقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَـمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُـرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَـانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَـرَ مِمَّا عَمَرُوهَـا وَجَـاءَتْهُمْ رُسُـلُهُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ فَمَـا كَـانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَـهُمْ يَظْلِمُـونَ (9) ثُمَّ كَـانَ عَاقِبَـةَ الَّذِينَ أَسَـاءُوا السُّوأَى أَنْ كَـذَّبُوا بِآيَـاتِ اللَّهِ وَكَـانُوا بِهَـا يَسْـتَهْزِئُونَ (10) اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (11)}

قوله عزَّ وجلَّ: {يَعْلَمُونَ ظَـاهِراً مّنَ الحيـاة الـدنيا} يعـني يعلمـون حـرفتهم، وأمـر معايشـهم، ومـتى يـدرك زرعهم. ويقال في أمر التجارة كانوا أكيس الناس. وقـال الحسـن: كان الرجل منهم يأخذ درهماً ويقول وزنـه كـذا ولا يخطئ. {وَهُمْ عَنِ الاخرة هُمْ غافلون} أي لا يؤمنـون بهـا. ويقـال: عن أمر الآخرة، وما وعـدوا فيهـا من الهـول والعـذاب هم غافلون.

ثم وعظهم فقال عز وجـل: {أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنفُسِـهِمْ} فيعتـــبروا في خلـــق الســـموات والأرض. وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: تفكر ساعة خـير من قيـام ليلة.

ثم قال: {مَّا خَلَقَ اللـه السـموات والارض وَمَـا بَيْنَهُمَـا إِلاَّ بـالحق} يعـني للحـق {وَأَجَـلٌ مُّسَـمًّى} يعـني السـموات والأرض لهن أجـل ووقت معلـوم {وَإِنَّ كَثِـيراً مّنَ النـاس بِلِقَاء رَبّهِمْ لكافرون} يعني جاحدون للبعث.

ثم خـوفهم، فقـال عـز وجـل: {أَوَ لَمْ يَسِـيرُواْ فِى الارض فَيَنظُرُواْ كَيْـفَ كَـانَ عاقبـة الـذين مِن قَبْلِهِمْ} يعـني الأمم الخالية كانت عاقبتهم الهلاك، ثم أخبر عنهم فقال: {كَـانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الارض} قـال مقاتـل: يعـني ملكـوا الأرض. وقال الكلبي: يعني حرثوهـا. ويقـال: أثـاروا الأرض إذا قلبوها للزراعة. {وَعَمَرُوهَا} يعني عمروا الأرض {أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} يعني أهل مكة. ويقال: عاشوا فيها أكثر مما عاش أهل مكة {وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني بـالحجج الواضحات فكذبوهم، فأهلكهم اللـه عـزَّ وجـلَّ {فَمَـا كَـانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ} أي ليعذبهم بغير ذنب {ولكن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} بالمعاصي.

قوله عز وجل: {ثُمَّ كَانَ عاقبة الذين أَسَـاءواْ} يعـني آخـر أمر الذين أشـركوا {السـوأى} يعـني العـذاب، فيجـوز أن تكون ثم على معنى التأخير، ويجوز أن يكون معناه: ثم مع

هذا كان عاقبة الذين. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو {وَلِلَّهِ عاقبة} بالضّمّ، وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم جعله اسم كان، وجعل {السوء} خبر كان، ومن قرأ بالنصب جعل العاقبة خبر كان والسوء اسم كان، ومعنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد، يعني ثم كان عاقبة الكافرين النار لتكذيبهم بآيات الله عزَّ وجلَّ. والسوء هاهنا جهنم، كما أن الحسنى الجنة.

ثم قال: {ثُمَّ كَانَ عاقبة الذين} يعني: عاقبة جهنم، لأنهم كذبوا بآيات الله ما جاءت بها الرسل {وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} يعني: بآيات الله {الله يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني يحييهم بعد الموت {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة. قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: {يَرْجِعُونَ} بالياء على معنى الإخبار عنهم، وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

تفسير الآيات رقم [12- 16]

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (12) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (13) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (14) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (15) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآَخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (16)}

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة} يعني: واذكر يوم تقوم الساعة {يُبْلِسُ المجرمون} يعني: ييأس المشركون من كل خير. ويقال: أيسوا من إقامة الحجة. ويقال: {يُبْلِسُ المجرمون} يعني: يندمون. قال الزجاج: المبلس الساكت. المنقطع الحجة، الآيس من أن يهتدي إليها {وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء} يعني: من الملائكة، ومن الأصنام {وَكَانُواْ بِشُرَكَائِهِمْ كافرين} يعني: تبرأت الملائكة عليهم السلام منهم، وتبرأت الأصنام عنهم.

ثم قال عز وجل: {وَيَـوْمَ تَقُـومُ الساعة يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُـونَ} يعني: بعد الحساب يتفرقون. فريق في الجنة، وفريـق في النار.

ثم أخبر عن مرجع كل فريـق فقـال: {فَأَمَّا الـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعـني: الـذين صـدقوا باللـه ورسـوله، وأدّوا الفـرائض والسـنن {فَهُمْ فِى رَوْضَـةٍ يُحْبَـرُونَ} قـال مقاتل: يعـني: بسـتان يكرمـون وينعمـون. وقـال السـدي: {يُحْبَــرُونَ} أي: يفرحــون ويكرمــون. وقــال مجاهــد: {يُحْبَرُونَ} يعني: ينعمون. وقال القتبي: {يُحْبَرُونَ} يعني: يسرون وينعمون. والحبرة: السـرور. ومنـه يقـال مـع كـل حـبرة عـبرة. وقـال الزجـاج: {يُحْبَـرُونَ} يعـني: يحسـنون إليهم. يقـال للعـالم: حـبر، وللمـداد حـبر، لأنـه يحسـن بـه الكتابــة. ويقــال: {يُحْبَــرُونَ} أي: يســمعون أصــوات المغنيات.

قوله عز وجل: {وَأَمَّا الـذين كفروابئاياتنـا} يعـني: بمحمـد صلى اللـه عليـه وسـلم والقـرآن {وَلِقَـاء الاخـرة} يعـني: البعث بعد الموت {فَأُوْلَئِكَ فِى العذاب مُحْضَرُونَ} يعــني: مقرنين. ويقال: يجتمعون هم وآلهتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 26]

{فَسُـبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُـونَ وَحِينَ تُصْـبِحُونَ (17) وَلَـهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (18) يُخْــرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْــرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا وَكَـذَلِكَ تُخْرَجُـونَ (19) وَمِنْ آَيَاتِـهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُـرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَـرٌ تَنْتَشِــرُونَ (20) وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آَيَاتِــهِ خَلْــقُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِـنَتِكُمْ وَأَلْـوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآَيَـاتٍ لِلْعَـالِمِينَ (22) وَمِنْ آَيَاتِـهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ وَابْتِغَـاؤُكُمْ مِنْ فَضْـلِهِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ

لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آَيَاتِهِ يُـرِيكُمُ الْبَـرْقَ خَوْفًـا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24) وَمِنْ آَيَاتِـهِ أَنْ تَقُـومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِـأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَـاكُمْ دَعْـوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (25) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَـهُ قَانِتُونَ (26)}

قوله عز وجل: {فَسُـبْحَانَ اللـه} يعـني: صـلوا للـه {حِينَ تُمْسُونَ} يعني: صلاة المغرب والعشاء {وَحِينَ تُصْـبِحُونَ} يعـني: صـلاة الفجـر وعشـياً. يعـني: صـلاة العصـر وحين تظهرون. على معـنى التقـديم والتـأخير أي: صـلاة الظهـر {وَلَـــهُ الحمـــد فِى الســـموات والارض وَعَشِـــيّاً وَحِينَ تُظْهِـرُونَ} يعـني: يحمـده أهـل السـموات، وأهـل الأرض. ويقال: له الألوهية في السموات والأرض، كقوله عز وجل: {وَهُوَ الذى فِى السـمآء إلـه وَفِى الارض إلـه وَهُـوَ الحكيم العليم} [الزخرف: 84] يقال: {وَلَهُ الحمد} يعـني: الحمـد على أهل السموات وأهل الأرض، لأنهم في نعمته، فالحمد واجب علينا.

{يُخْـرِجُ الحى مِنَ الميت} يعــني: الدجاجــة من البيضــة، والإنســان من النطفــة، والمــؤمن من الكــافر. {وَيُخْــرِجُ الميت مِنَ الحى} يعني: البيضة من الدجاجة، والكـافر من المؤمن. {يُخْرِجُ الحى مِنَ الميت} يعني: ينبت النبـات من الأرض بعد يبسها، وقحطهـا بـالمطر. {وَكَـذَلِكَ تُخْرَجُـونَ} يعني: يحـييكم بـالمطر الـذي يمطـر من البحـر المسـجور كالمني فتحيون به. وقال مقاتل: يرسل الله عز وجل يــوم القيامــة مــاء الحيــوان من الســماء الســابعة من البحــر المســجور على الأرض، بين النفخــتين، فينتشــر عظــام المــوتى فـذلك قولـه: {وَكَـذَلِكَ تُخْرَجُـونَ}: قـرأ حمـزة والكسائي: {تُخْرَجُـونَ} بفتح التـاء. والبـاقون برفـع التـاء. يعني: تخرجون من قبوركم يوم القيامة.

قولـه عـز وجـل: {وَمِنْ ءاياتـه} قـال مقاتـل: يعـني ومن علامات الـرب، أنـه واحـد وإن لم يـروه، وعرفـوا توحيـده بصنعه، {أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ} يعني: خلق آدم من تــراب وأنتم ولده {ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ} ذريته من بعده {بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ} يعني: تبسطون. كقوله: {وَهُوَ الـذى يُنَـزِّلُ الغيث مِن بَعْـدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَـهُ وَهُـوَ الـولى الحميـد} [الشـورى: 28] يعــني: ويبســط. ويقــال: {وَمِنْ ءاياتــه} يعــني: من العلامات التي تدل على أن الله عز وجل واحد لا مثل لــه، ظهور القدرة التي يعجز عنها المخلوقــون {أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُــرَابٍ} يعــني: آدم عليــه الســلام {ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَــرٌ} منتشرون على وجه الأرض.

ثم قــال عــز وجــل: {وَمِنْ ءاياتــه} يعــني: من علامــات وحدانيته {أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ} يعـني: من جنسـكم {أزواجا} لأنه لو كان من غير جنسه، لكان لا يستأنس بها. ويقال: {مِّنْ أَنفُسِكُمْ} يعـني: خلقهـا من آدم. ويقـال: من بعضـكم بعضـاً {لِّتَسْـكُنُواْ إِلَيْهَـا} يعـني: لتسـتقر قلـوبكم عندها. لأن الرجل إذا طاف البلدان، لا يسـتقر قلبـه، فـإذا رجع إلى أهله، اطمأن واسـتقر. ويقـال: {لِّتَسْـكُنُواْ إِلَيْهَـا} يعني: لتوافقوها {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} يعني: الحب بين الزوج والمرأة، ولم يكن بينهما قرابة. ويحب كل واحد منهمـا صـاحبه، ويقـال: وجعـل منكم مـودة للصـغير على الكبير، ورحمة للكبير على الصغير.

ويقال: {وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَـةً} يعـني: الولـدان {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} يعني: فيما ذكر لعلامات لوحدانيته {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أني خالق.

قوله عز وجـل: {وَمِنْ ءاياتـه خَلْـقُ * السـموات والارض} وأنتم تعلمون ذلك، لأنهم مقرون أن الله عز وجل خالقهم، وهــو خــالق الأشــياء {واختلاف أَلْسِــنَتِكُمْ} أي: عــربي،

وعجمي، ونبطي، {وألوانكم} أي: أحمـر، وأبيض، وأسـود، وأسمر.
{إِنَّ فِى ذَلِكَ لاَيَاتٍ} يعني: لعلامـات في خلـق السـموات والأرض، واختلاف الألسن، والألوان لعلامات. {للعـالمين} فيعتبرون. قرأ عاصم في روية حفص: {للعـالمين} بكسـر اللام. يعـني: جميـع العلمـاء، يعـني: إن في ذلـك علامـة للعقلاء. وقـرأ البـاقون: بنصـب اللام يعـني: علامـة لجميـع خلق الإنس والجن.
قولـه عـز وجـل: {وَمِنْ ءاياتـه مَنَـامُكُم بِاليـل والنهـار} منامكم نومكم، فهو مصدر. يقال: نام نوماً، ومنامـاً بالليـل والنهـار، على معـنى التقـديم يعـني: منـامكم بالليـل {وابتغاؤكم مّن فَضْلِهِ} بالنهار يعني: طلبكم الرزق بالنهار والمعيشـة {إِنَّ فِى ذَلِـكَ لاَيَـاتٍ} يعـني: لعلامـات على وحدانيتي {لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} المواعظ ويعتبرون.
قولـه عـز وجـل: {وَمِنْ ءاياتـه يُـرِيكُمُ الـبرق خَوْفـاً} من الصواعق إذا كنتم بأرض قفر، {وَطَمَعًـا} للمطـر. {خَوْفًـا وَطَمَعًا} منصوبان على المفعول له المعنى يريكم للخوف والطمع، خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم.
{وَيُنَـزّلُ مِنَ السـماء مَـاء} يعـني: المطـر {وَمِنْ ءاياتـه يُرِيكُمُ} أي: بالنبات {بَعْدَ مَوْتِهَـا إِنَّ فِى ذَلِـكَ لايـات} أي: لعلامات {لّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} عن الله عز وجل فيوحدونه.
قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته أَن تَقُومَ السماء} يعني: فوق رؤوسكم بغير عمد لا يناله شيء، وتقوم الأرض على الماء تحت أقـدامكم {والارض بِـأَمْرِهِ} أي: بقدرتـه {ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْـوَةً مّنَ الارض} يعـني: إسـرافيل عليـه السـلام يدعوكم على صخرة بيت المقـدس في الصـور دعـوة من الأرض {إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} وقال بعضهم: في الآية تقـديم. ومعناه: ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض يعني: من قبـوركم فـإذا أنتم تخرجـون: قـرأ حمـزة والكسـائي: {تُخْرَجُـونَ}

بنصب التاء وضم الراء. وقرأ الباقون: بضم التاء ونصب الراء.

ثم قال عز وجل: {وَلَهُ مَن فِى السموات والارض} من الخلق {كُلٌّ لَّهُ قانتون} يعني: مقرّين بالعبودية. يعلمون أن الله عز وجل ربهم. ويقال: {قانتون} أي: خاضعون له، لا يقدرون أن يغيروا أنفسهم عما خلقهم. ويقال: معناه في كل شيء دليل ربوبيّته. وهذا أيضاً من آياته. ولكنه لم يذكر لأنه قد سبق ذكره مرات، فكأنه يقول ومن آياته أن له من في السموات والأرض كل له قانتون.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 29]

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (28) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29)}

ثم قال عز وجل: {وَهُوَ الذى يَبْدَأُ الخلق ثُمَّ يُعِيدُهُ} أي: خلق آدم، فبدأ خلقهم ولم يكونوا شيئاً {ثُمَّ يُعِيدُهُ} يعني: يبعثهم في الآخرة أحياء {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} يعني: في المثل عندكم، لأن إبداء الشيء أشدّ من إعادته. ويقال: إن ابتداءه كان نطفة، ثم جعله علقة، ثم جعله مضغة، ثم لحماً، ثم عظاماً. وفي الآخرة حال واحد وذلك هو أهون عليه من هذا. وقال القتبي عن أبي عبيدة: {وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} يعني: هيّن عليه كما يقال الله أكبر أي: الكبير. ويقال: الإعادة أهون عليه من البداية، والبداية عليه هين.

ثم قال: {وَلَهُ المثل الاعلى فِى السموات والارض} يعني: الصفات العلى بأنه واحد لا شريك له {وَهُوَ العزيز} في ملكه {الحكيم} في أمره.

ثم قـال عـز وجـل: {ضَـرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً} نـزلت في كفـار قريش، كانوا يعبدون الآلهة، ويقولون في إحـرامهم: لبيـك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.
قال الله تعالى: {ضَـرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً} أي: وصـف لكم شـبهاً {مِّنْ أَنفُسِـكُمْ هَـلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمـانكم} يعـني: من العبد {مِّن شُـرَكَاء فِيمَـا رزقنـاكم} من الأمـوال {فَـأَنتُمْ} وعبيـدكم {فِيـهِ سَـوَآء} في الـرزق فيمـا أعطينـاكم من الأموال والملك.
ثم قال: {تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} قال مقاتل: يعني: أتخافون عبيدكم أن يرثوكم بعـد المـوت، كمـا تخـافون أن يرثكم الأحرار. فقالوا: لا. فقال: أترضون لله الشـركة في ملكـه وتكرهـون لأنفسـكم. قـال الكلـبي: {هَـلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمانكم مِّن شُـرَكَاء فِيمَـا رزقنـاكم} من أمـوالكم، من عبيدكم وإمائكم، {فَأَنتُمْ} وهم {فِيهِ سَـوَاء تَخَـافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} يقول: كمـا يخـاف الرجـل ابنـه وعمـه وأقاربه. قالوا: لا. قال: فأنتم لا ترضـون هـذا لأنفسـكم أن يكونـوا فيمـا تملكـون يشـاركونكم في أمـوالكم. فكيـف ترضون لله ما لا ترضون به لأنفسكم.
وقال السدي: {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً} هذا مثل ضـربه اللـه عـز وجل في الميراث للآلهة. يقول: هـل لكم مماليـك شـركاء في المـيراث الـذي ترثونـه من آبـائكم، وأنتم تخـافون أن يدخل معكم مملوككم في ذلك الميراث، كما تدخلون أنتم فيه. فكما لا يكون للملوك أن يدخل في مواريثكم، فكذلك لا يكون لهذا الوثن الذي تعبدونه من دون اللـه عـز وجـل، أن يدخل في ملكي. وإنما خلقي وعبيدي.
قال أبو الليث رحمـه اللـه عـز وجـل: وفي الآيـة دليـل أن العبد لا ملك له، لأنه أخبر أن لا مشاركة للعبيد فيما رزقنـا الله عز وجل من الأموال.

ثم قال عز وجل: {كذلك نُفَصّلُ الآيات} يعني: نبيّن العلامات {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} الأمثال فيوحدونه.
ثم قال عز وجل: {بَلِ اتبع الذين ظَلَمُواْ أَهْوَاءهُمْ} يعني: اتبع الذين كفروا أهواءهم بعبادة الأوثان {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير حجة {فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ الله} يعني: فمن يهدي إلى توحيد الله، من أضله الله وخذله وطرده. ويقال: فمن يرشد إلى الحق من خذله الله عز وجل {وَمَا لَهُم مّن ناصرين} يعني: مانعين من عذاب الله.

تفسير الآيات رقم [30- 35]

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (32) وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (33) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (34) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (35)}
قوله عز وجل: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدّينِ حَنِيفاً} أي: أخلص دينك الإسلام للدين حنيفاً. يعني: للتوحيد مخلصاً. ويقال: يذكر الوجه ويراد به هو، فكأنه يقول: فأقم الدين مخلصاً. ويقال: معناه فأقبل بوجهك إلى الدين، وأقم عليه حنيفاً، أي: مخلصاً، مائلاً إليه. ويقال: أخلص دينك وعملك لله تعالى، وكن مخلصاً.
ثم قال: {فِطْرَةَ الله} يعني: اتبع دين الله. ويقال: اتبع ملة الله. ويقال: الفطرة الخلقة يعني: خلقة الله {التى فَطَرَ الناس عَلَيْهَا} أي: خلق البشر عليها كما قال النبي

صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، وَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتِجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» وروي عن أبي هريرة أنه قال: اقرؤوا إن شئتم {فِطْرَةَ الله الذى فَطَرَكُمْ الناس عَلَيْهَا} يعني: خلق الناس عليها. وفي الخبر أنه قال: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ» لأنه شهد يوم الميثاق.

ثم قال: {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله} يعني: لا تغيير لدين الله. ويقال: لا تبديل لخلق الله عندما خلق الله الخلق، لم يكن لأحد أن يغير خلقته.

ثم قال: {ذلك الدين القيم} يعني: التوحيد هو الدين المستقيم {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: كفار مكة لا يعلمون بتوحيد الله.

قوله عز وجل: {مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} انصرف إلى قوله {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} يعني: فأقبل بوجهك منيباً إليه. ويجوز أن يخاطب الرئيس بلفظ الجماعة، لأن له أتباعاً. وإنما يراد به هو وأتباعه كما قال: {أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فاتقوا الله ياأولى الألباب الذين ءامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ الله إِلَيْكُمْ ذِكْراً} [الطلاق: 10] {مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} يعني: راجعين إليه من الكفر إلى التوحيد. {واتقوه وَأَقِيمُواْ الصلاة} يعني: وأتموا الصلوات الخمس {وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ المشركين} على دينهم {مِنَ الذين فَرَّقُواْ دِينَهُمْ} يعني: تركوا دين الإسلام الذي أمروا به. {وَكَانُواْ شِيَعاً} فجعلوه أدياناً يعني: تركوا دينهم وصاروا فرقاً اليهود والنصارى والمجوس، قرأ حمزة والكسائي: {فارقوا} بالألف. وقرأ الباقون {الذين فَرَّقُواْ} بغير ألف. فمن قرأ: فارقوا يعني: تركوا دينهم. ومن قرأ {فَرَّقُواْ} دينهم يعني: افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، والنصارى اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون ثلاثة وسبعين فرقة {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ

فَرِحُـونَ} يعـني: كـل أهـل دين بمـا عنـدهم من الـدين راضون.
قوله عز وجل: {وَإِذَا مَسَّ الناس ضُـرٌّ} يعـني: إذا أصـاب الكفار شدة {دَعَوْاْ رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} يعني: منقلـبين إليـه بالدعاء عند الشـدة والقحـط {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْـهُ رَحْمَـةً} يعني: إذا أصابهم من اللـه نعمـة، وهي السـعة في الـرزق والخصب {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْـرِكُونَ} يعـني: تركـوا توحيد ربهم في الرخاء، وقد وحّدوه في الضراء.
قوله عز وجل: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءاتيناهم} قال مقاتـل: تقـول أذاقهم رحمة لئلا يكفروا بالذي أعطاهم من الخير. ويقال: كانت النعمة سبيلاً للكفر فكأنه أعطـاهم لـذلك، كمـا قـال {فالتقطه ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَـوْنَ وهامان وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خاطئين} [القصص: 8] وقرئ في الشاذ يشركون ليكفروا، بجزم اللام فيكون أمراً على وجه الوعيد والتهديد.
ثم قال: {فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُـونَ} يعـني: فتمتعـوا قليلاً إلى آجالكم فسوف تعلمون ما يفعل بكم يوم القيامة.
ثم قال عز وجل: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سـلطانا} يعـني: كتابـاً من السـماء {فَهُـوَ يَتَكَلَّمُ} يعـني: ينطـق {بِمَـا كَـانُواْ بِـهِ يُشْرِكُونَ} يعـني: بمـا كـانوا يقولـون من الشـرك. اللفـظ لفظ الاسـتفهام والمـراد بـه النفي يعـني: لم يـنزل عليهم حجـة بـذلك. وقـال القتـبي: فهـو يتكلم فهـو من المجـاز ومعناه: أنزلنا عليهم برهاناً يستدلون بـه، فهـو يـدلهم على الشرك. ويقال: أم أنزلنا عليهم عذراً بذلك.

تفسير الآيات رقم [36- 40]

{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِـبْهُمْ سَـيِّئَةٌ بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُـونَ (36) أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيَقْـدِرُ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآَيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُونَ (37) فَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (38) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (39) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (40)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذَآ أَذَقْنَا الناس رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا} يعني: المطر والسعة {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيّئَةٌ} يعني: الجوع والشدة {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعني: جزاء لذنوبهم {إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} يعني: آيسين من الرزق. قرأ أبو عمرو الكسائي: {يَقْنَطُونَ} بكسر النون. وقرأ الباقون بالنصب. وهما لغتان ومعناهما واحد.

ثم وعظهم ليعتبروا ويطمئنوا بالرزق فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْاْ أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَاء} يعني: يوسع، وكان يرى صلاح العبد في ذلك. {وَيَقْدِرُ} يعني: يضيق العيش. ويكون صلاحه في ذلك من البسط والتقتير {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في البسط والتقتير {لايات لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} يعني يصدقون.

قوله عز وجل: {فَئَاتِ ذَا القربى حَقَّهُ} يعني: فأعط ذا القربى حقه، وحق القرابة هو الصلة {والمساكين} يعني: أعط السائل حقه، وحقه أن يتصدق عليه بشيء {وابن السبيل} يعني: الضيف النازل، وحقه أن تحسن إليه {ذلك خَيْرٌ} يعني: الذي وصف من صلة القرابة، والمسكين، وابن السبيل، ذلك خير {لّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ الله} يعني: أي يريدون بذلك رضاء الله، خير من الإمساك عندهم. {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني: الناجون. ويقال: الباقون في النعمة. ويسمى السحور فلاحاً لأنه يبقي للصائم قوة {وَمَا ءاتَيْتُمْ مّن رِباً} يعني: ما أعطيتم من عطية {لّيَرْبُوَاْ فِى أَمْوَالِ الناس} يعني: ليزدادوا في أموال. ومعناه: ما

أعطيتم من عطية لتلتمسوا بها الزيادة {فَلاَ يَرْبُواْ *** عَندَ الله} أي: فلا تضاعف تلك العطية عند الله عـز وجـل، مـا أعطيتم عند الله ولا يأثم فيه. وروى معمـر عن قتـادة عن ابن عباس قال: هي هبة يريد أن يثاب أفضل منهـا. فـذلك الذي لا يربو عند الله، ولا يؤجر فيه صـاحبه، ولا إثم عليـه. {وَمَا ءاتَيْتُمْ مّن رِباً} قال: هي الصدقة {تُرِيدُونَ وَجْهَ اللـه فَأُوْلَئِكَ هُمُ المضـعفون} وروى ابن أبي نجيح عن مجاهـد مثله. وقال عكرمـة: الربـا ربـوان: ربـا حلال، وربـا حـرام. فأما الحلال فهو هبة الرجـل يريـد أن يثـاب مـا هـو أفضـل منهـا. وأمـا الحـرام فزيـادة خاليـة عن العـوض في عقـد المعاوضة. وهو نوعـان: ربـا الفضـل، وربـا النسـاء. عـرف ذلك في كتب الفقه. قرأ ابن كثير {وَمَـا ءاتَيْتُمْ} بغـير مـد يعني: مـا جئتم. وقـرأ البـاقون: بالمـد يعـني: مـا أعطيتم. واتفقوا في الثـاني أنـه بالمـد. وقـرأ نـافع {لـتربو} بالتـاء والضـم، والبـاقون باليـاء والنصـب. فمن قـرأ بالنصـب. فمعناه: لتسـتزيدوا أنتم زيـادة في المـال. يعـني: لتكـثروا أموالكم بما أعطيتم. ومن قرأ: {ليربو} بالياء معناه: ليربو المعطي فيكثر حتى يرد ما هو أكثر منه.

ثم بيّن ما يربو فيه فقال: {وَمَا ءاتَيْتُمْ مّن زكواة} يعني: ما أعطيتم من صدقة تريدون وجه الله يعني: رضا الله. ففيه الإضعاف. فأولئك هم المضعفون للواحد عشـرة فصـاعداً. ويقـال: {المضـعفون} أي: الواجـدين من الضـعف. كمـا يقال: أكذبته إذا وجدته كاذباً.

ثم أخبر عن صنعه ليعرف توحيده فقـال عـز وجـل: {اللـه الــذى خَلَقَكُمْ} ولم تكونــوا شــيئاً {ثُمَّ رَزَقَكُمْ} يعــني: أطعمكم مـا عشـتم في الـدنيا {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عنـد انقضـاء آجــالكم {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} للبعث بعــد المــوت، لينبّئكم بمــا عملتم في الدنيا ويجازيكم {هَـلْ مِن شُـرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَـلُ مِن ذَلِكُمْ مّن شَىْء} يعني: يفعل كفعله.

ثم نزّه نفسه فقال: {سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} وقــد ذكرناه. ويقال: الله الذي خلقكم وطلب منكم العبــادة، ثم رزقكم وطلب الطمأنينـــــــــــــــة، ثم يميتكم وطلب منكم الاســـتعداد للمـــوت، ثم يحـــييكم وطلب منكم الحجـــة والبرهان.

تفسير الآيات رقم [41- 45]

{ظَهَـرَ الْفَسَـادُ فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْـرِ بِمَـا كَسَـبَتْ أَيْـدِي النَّاس لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْـلُ كَـانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (42) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلـدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَـهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّـدَّعُونَ (43) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْـرُهُ وَمَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِأَنْفُسِـهِمْ يَمْهَـدُونَ (44) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (45)}

{ظَهَـرَ الفسـاد فِى الـبر والبحـر} يعـني: قحـط المطـر، ونقص الثمار للناس والدواب. يعني: نقص النبات في الــبر للـدواب والوحـوش؛ وفي البحـر يعـني: القـرى والأرضـين ينقصان الثمار والزرع. سـمى القـرى والمـدائن بحـراً لمـا يجري فيها من الأنهار. ويقال: البحر نفسه لِأنـه إذا لم يكن مطر، فإنه لا يخرج منه اللؤلؤ {بِمَا كَسَبَتْ أَيْـدِى النـاس} أي: بما عملوا من المعاصي. ويقال: من أذنب ذنباً فجميـع الخلــق من الإنس والجن، والــدواب والوحــوش، والطــير والذر، خصماؤه يوم القيامة، لأنه يمنـع المطـر بالمعصـية، فيضرّ بأهل البر والبحر.

وروي عن ثقيف الزاهـد أنـه قـال: من أكـل الحـرام، فقـد خان جميع الناس، حيث لا يستجاب دعاؤه. ويقـال: {ظَهَـرَ الفساد فِى البر والبحر} يعني: ظهرت المعاصـي في الـبر والبحر {بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النـاس} يعـني: بكسـب النـاس. فأول فسـاد الـبر كـان من قابيـل حيث قتـل أخـاه هابيـل،

وأولِ فساد البحر كان من جلندا حيث كان يأخذ كل سفينة غصباً. وقال عطية العوفي: ظهور الفساد قحـوط المطـر. قيل له: هذا فسـاد الـبر فمـا فسـاد البحـر؟ قـال: إذا قـلّ المطر قلّ الغـوص. وقـال قتـادة {ظَهَـرَ الفسـاد فِى الـبر والبحر} يعني: امتلأت الضلالة والظلم في الأرض.
وروي عن أبي العاليـة أنـه قـال الـبر: الأعضـاء والبحـر: القلوب يعني: ظهر الفسـاد في النـاس في الأعضـاء وفي القلوب.
ثم قال: {لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذى عَمِلُواْ} يعني: يعذبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا، ويّدخر البعض في الآخرة. والـذوق إنمـا هـو كنايـة عن التعـذيب. فكأنـه يقـول: يعـذبهم بـالجوع والقحط في الدنيا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي: لكي يرجعـوا عن الكفر. قرأ ابن كثير: {لّنُذِيقَهُمْ} بالنون أي: لنـذيقهم نحن. وقرأ الباقون: بالياء يعني: ليذيقهم الله عز وجل.
ثم خوّفهم فقال عز وجـل: {قُـلْ سِـيرُواْ فِى الارض} أي: سافروا فيها {فانظروا كَيْفَ كَـانَ عاقبـة الـذين مِن قَبْـلُ} يعني: كيف كـان آخـر أمـر من كـان قبلهم {كَـانَ أَكْثَـرُهُمْ مُّشْرِكِينَ} فيعتبروا بذلك. والنظر على وجهين. يقال: نظر إليه إذا نظر بعينه، ونظر فيه إذا تفكر بقلبه. وهاهنـا قـال: {فـانظروا} ولم يقـل فيـه، ولا إليـه. فهـو على الأمـرين جميعاً.
ثم قـال عـز وجـل: {فَـأَقِمْ وَجْهَـكَ لِلـدّينَ القيم} يعـني: أخلص دينك الإسلام القيم. يعني: المستقيم. ويقال: أقبـل بوجهك إليه. ويقال: اثبت عليه. {مِن قَبْلِ أَن يَـأْتِىَ يَـوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ الله} يعني: يوم القيامـة لا يقـدر أحـد أن يـرد ذلك اليـوم من اللـه. ويقـال: يعـني: ذلـك اليـوم من اللـه. ويقال: لا خلـف لـذلك الوعـد من اللـه {يَوْمَئِذٍ يَصَّـدَّعُونَ} يعـني: يتصـدعون. فـأدغم التـاء في الصـاد وشـدد. يعـني: يتفرقون فريق في الجنة، وفريق في السعير.

ثم قال عـز وجـل: {مَن كَفَـرَ فَعَلَيْـهِ كُفْـرُهُ} يعـني: جـزاء كفره وعقوبته {وَمَنْ عَمِـلَ صـالحا} يعـني: وحّـده وعمـل بالطاعة بعد التوحيد {فَلاِنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} قال مقاتل: أي يقدمون. وقال مجاهد. يعني: لأنفسهم يفرشون في القبر. ويقال: في الجنة. ويقال: فلأنفسهم يعملون ويستعدون.

قوله عز وجل: {إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً} ينصـرف إلى قولـه يصدعون. يعني: يتفرقون لكي يجزي الذين آمنوا {وَعَمِلُواْ الصالحات مِن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه. ويقـال: من ثوابـه. ويقـال: بفضـله {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الكـافرين} بتوحيـد اللـه عـز وجل. ويقال: لا يرضى دين الكافرين.

تفسير الآيات رقم [46- 51]

{وَمِنْ آَيَاتِـهِ أَنْ يُرْسِـلَ الرِّيَـاحَ مُبَشِّـرَاتٍ وَلِيُـذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْـرِيَ الْفُلْـكُ بِـأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِنْ فَضْـلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (46) وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِـكَ رُسُـلًا إِلَى قَـوْمِهِمْ فَجَـاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَـاتِ فَانْتَقَمْنَـا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُـوا وَكَـانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُـؤْمِنِينَ (47) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِـلُ الرِّيَـاحَ فَتُثِـيرُ سَـحَابًا فَيَبْسُـطُهُ فِي السَّـمَاءِ كَيْـفَ يَشَـاءُ وَيَجْعَلُـهُ كِسَـفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِـهِ مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانْظُرْ إِلَى آَثَـارِ رَحْمَـةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِـكَ لَمُحْيِي الْمَـوْتَى وَهُـوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51)}

ثم قال عز وجل: {وَمِنْ ءاياتـه أَن يُرْسِـلَ الريـاح} يعـني: ومن علامـات وحدانيتـه أن يعرفـوا توحيـده بصـنعه، أن يرسل الرياح {مبشـرات} بـالمطر. ويقـال: يستبشـر بهـا الناس. ويقال: فإذا كان الاستبشار بـه ينسـب الفعـل إليـه {وَلِيُذِيقَكُمْ مّن رَّحْمَتِـهِ} يعـني: ليصـيبكم من نعمتـه وهـو المطر {وَلِتَجْرِىَ الفلك بِأَمْرِهِ} يعـني: السـفن تجـري في

البحر بالرياح بأمره {وَلِتَبْتَغُـواْ مِن فَضْـلِهِ} يعـني: لتطلبـوا في البحر من رزقه كل هـذا بالريـاح {وَلَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ} رب هذه النعم فتوحدوه.

* {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ} يـا محمـد {رُسُـلاً إلى قَـوْمِهِمْ موسى بالبينات} بالأمر والنهي، فكذبوهم كما كذب قومك {فانتقمنا مِنَ الذين أَجْرَمُـواْ} بالعـذاب يعـني: من الـذين كفــروا {وَكَـانَ حَقّـاً عَلَيْنَـا} يعــني: واجبـاً علينـا {نَصْـرُ المؤمنين} بالنجاة مع رسولهم. وإنما هو وجوب الكـرم، لا وجوب اللزوم.

ثم أخبر عن صنعه ليعتـبروا، فقـال اللـه عـز وجـل: {اللـه الذى يُرْسِلُ الريـاح فَتُثِيرُ سَحَاباً} يعـني: تدفعـه وتهيجـه. يقـال: ثـار الغبـار إذا ارتفـع {فَيَبْسُـطُهُ فِى السـماء كَيْـفَ يَشَاء} يعني: كيف يشـاء اللـه عـز وجـل. إن شـاء بسـطه مسيرة يوم أو أكثر {وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً} يعني: قطعـاً {فَتَـرَى الودق يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ} يعني: المطر يخرج من خلاله، من وسط السحاب {فَإِذَا أَصَابَ بِهِ} يعني: بالمطر {مَن يَشَاء مِنْ عِبَـادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِـرُونَ} يعــني: يفرحــون بــنزول المطــر عليهم قــرأ ابن عــامر {كِسَــفًا} بــالجزم. وقــرأ الباقون: بالنصب.

ثم قال عز وجل: {وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَـزَّلَ عَلَيْهِمْ مّن قَبْلِــهِ لَمُبْلِسِــينَ} أي: من قبــل نــزول المطــر عليهم. {لَمُبْلِسِـينَ} يعـني: آيسـين من المطـر. وقـال الأخفش: تكرير قبل للتأكيد. وقـال قطـرب: الأول للتنزيـل، والثـاني للمطر.

ثم قال: {فانظر إلى ءاثار رَحْمَةِ الله} يعني: ألوان النبات من أثر المطر منه الأخضر، والأحمر، والأصفر. قـرأ حمـزة والكسـائي وعاصـم في روايـة حفص وابن عـامر {فـانظر إلى ءاثـار رَحْمَـةِ} بلفـظ الجماعـة. قـرأ البـاقون بلفـظ الوحدان، لأن الوحدان يغني عن الجمع.

ثم قال: {كَيْفَ يُحْيِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} حين لم يكن فيها نبات {إِنَّ ذلك} يعني: هذا الذي فعل {فانظر إلى} في الآخرة {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ *** وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً} يعني: الزرع متغيّراً بعد خضرته {لَّظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} يعني: لصاروا، وأصله العمل بالنهار. ويستعمل في موضع صار كقوله أصبح وأمسى يوضع موضع صار {مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} أي: من بعد اصفراره يكفرون النعم. يقول: لو فعلت ذلك لفعلوا هكذا. ويقال: قوله: {فَرَأَوْهُ} إشارة إلى النبات، لأن الريح مؤنثة. وإنما أراد ما ينبت بالمطر. ويقال: معناه أنهم يستبشرون إذا رأوا الغيث، ويكفرون إذا انقطع عنهم النبات.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [52- 60]

{فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (53) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (54) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (56) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (57) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآَيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (58) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (59) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (60)}

{فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الموتى} فشّبه الكفار بالموتى. فكما لا يسمع الموتى النداء، فكذلك لا يجيب، ولا يسمع الكفار

الدعاء، إذا دعوا إلى الإيمان {وَلاَ تُسْمِعُ الصم الـدعاء إِذَا وَلَّوْاْ مُـدْبِرِينَ} يعـني: أن الأصـم إذا كـان مقبلاً لا يسـمع، فكيـف إذاً ولى مـدبراً؟ فكـذلك الكـافر لا يسـمع إذا كـان يتصامم عند القراءة، والقراءة ذكرناها في سورة النمل.
ثم قال عـزّ وجـل: {وَمَـا أَنتَ بِهَـادِى العمى} إلى الإيمـان {عَن ضلالتهم} يعني: لا تقدر أن توفقه وهو لا يـرغب عن طاعتي في طلب الحق {إِن تُسْمِعُ} يعني: ما تسمع {وَمَا أَنتَ بِهَادِى العمى} يعني: بالقرآن {فَهُم مُّسْلِمُونَ} يعني: مخلصون.
ثم أخبرهم عن خلق أنفسهم ليعتبروا ويتفكروا فيـه فقـال عز وجل: {اللهِ الذى خَلَقَكُمْ مّن ضَعْفٍ} يعني: من نطفة. ويقـال: صـغيراً لا يعقـل {ثُمَّ جَعَـلَ مِن بَعْـدِ ضَـعْفٍ قُـوَّةٍ} يعني: شدة بتمـام خلقـه {ثُمَّ جَعَـلَ مِن بَعْـدِ قُـوَّةٍ ضَـعْفاً} يعني: بعد الشباب الهرم {وَشَيْبَةً} أي: شمطاً. قرأ عاصم في رواية حفص وحمزة: من ضـعف بنصـب الضـاد. وقـرأ الباقون: من ضعف بالضم. وهما لغتان ومعناهما واحد.
{يَخْلُقُ مَا يَشَاء} أي: يحول الخلق كما يشـاء من الصـورة {وَهُوَ العليم القدير} {العليم} بتحويل الخلـق، {القـدير} يعني: القادر على ذلك.
قوله عز وجل: {وَيَوْمَ تَقُـومُ السـاعة يُقْسِـمُ المجرمـون} يعني: يحلف المشركون {مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ} في الدنيا.
يقول الله عز وجل: كذلك كانوا يكـذبون بـالبعث كمـا أنهم كذبوا حيث قالوا {مَا لَبِثُواْ} يعـني في القبـور غـير سـاعة ويقــال: {كَـذَلِكَ كَـانُواْ يُؤْفَكُـونَ} لأنهم يقولــون مــرة: {>يتخافتون بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً} [طه: 103] ومـرة يقولون: {>قَالَ كذلك قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُـكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً} [الكهف: 119] ومرة يقولون: {مَا لَبِثْنَا غَيْرَ سَاعَةٍ} فيقول الله تعالى: هكذا كانوا في الدنيا.

ثم قـال عـز وجـل: {وَقَـالَ الـذين أُوتُـواْ العلم والإيمـان} يعني: أكرموا بالعلم والإيمان {لَقَـدْ لَبِثْتُمْ فِى كتـاب اللـه} أي: في علم الله. ويقال: فيما كتب الله عـز وجـل. وقـال مقاتل: في الآية تقديم. يعني: {وَقَالَ الـذين أُوتُـواْ العلم} في كتاب الله {والإيمان} وهو ملك الموت {لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كتـاب اللـه إلى يَـوْمِ البعث}. ويقـال: الـذين أوتـوا العلم بالكتاب وأوتوا {الايمان} وهم العلماء.

ثم قال: {فهذا يَوْمُ البعث ولكنكم كُنتمْ لاَ تَعْلَمُونَ} يعـني: لا تصـدقون بهـذا اليـوم في الـدنيا. ثم قـال عـز وجـل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ ينفَعُ الذين ظَلَمُواْ} يعني: أشركوا {مَعْـذِرَتُهُمْ} قرأ ابن كثير وأبو عمر: {وَلاَ تَنفَـعُ} بالتـاء بلفـظ التـأنيث، لأن لفظ المعذرة مؤنثة.

وقرأ الباقون: بالياء، فينصرف إلى المعنى يعـني: عـذرهم {وَلاَ هُمْ يُسْـتَعْتَبُونَ} يقـال: عتب يعتب إذا غضـب عليـه، وأعتب يعتب إذا رجـع عن ذنبـه، واسـتعتب إذا طلب منـه الرجوع. يعني: أنه لا يطلب منهم الرجـوع في ذلـك اليـوم ليرجعوا.

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ} يعني: وصفنا وبيّنّـا {وَلَقَدْ صَـرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هـذا القـرءان} أي: شـبه {وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِئَايَةٍ} كمـا سـألوا {لَّيَقُـولَنَّ الـذين كَفَـرُواْ} يعـني: المشـركون من أهـل مكـة {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُـونَ} يعـني: يقولون ما أنت إلا كـاذب، وليس هـذا من اللـه عـز وجـل، كما كـذبوا بانشـقاق القمـر. يقـال: أبطـل الرجـل إذا جـاء بالباطـل. وأكـذب إذا جـاء بالكـذب. فقـال: {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ} يعني: كاذبون.

ثم قال: {كَـذَلِكَ يَطْبَـعُ اللـه} يعـني: يختم اللـه عـز وجـل {على قُلُوبِ الذين لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون بـالقرآن وبمحمد صلى الله عليـه وسـلم {فاصـبر} يـا محمـد {إِنَّ وَعْدَ اللـه حَـقٌّ} فيمـا وعـد لكم من النصـر على عـدوكم،

وإظهار دين الإسـلام حـق. ويقـال: {فاصـبر إِنَّ وَعْـدَ اللـه حَـقٌّ} يعـني: صـدق في العـذاب {وَلاَ يَسْـتَخِفَّنَّكَ} يعـني: يستنزلنك عن البعث {الذين لاَ يُوقِنُـونَ} أي: لا يصـدقون. ويقــال: {لا يَسْـتَخِفَّنَّكَ} يعــني: لا يحملنــك تكـذيبهم على الخفــة. يعــني: كن حليمــاً، صــبوراً، وقــوراً. ويقــال: {لا يَسْتَخِفَّنَّكَ} فتدعو عليهم بتعجيل العذاب، فيهلـك الـذين لا يوقنون بالعذاب، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمـد وآله وصحبه وسلم.

سورة لقمان

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{الم (1) تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (3) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)}

قول الله تبارك وتعالى: {الم تِلْكَ ءايات الكتاب الحكيم} يعني: هذه آيات القرآن المحكم من الباطل. ويقال: أحكم حلاله وحرامه. ويقال: محكم لا يرد عليه التناقض {هُدًى} يعني: بياناً من الضلالة. ويقال: هادياً {وَرَحْمَةً} من العذاب {لّلْمُحْسِنِينَ} الذين يحسنون العمل وهم المؤمنون. لأن كل مؤمن محسن. قرأ حمزة: {هُدًى وَرَحْمَةً} بالضم، والباقون بالنصب. فمن قرأ: بالضم، فعلى الإضمار. ومعناه: هو هدى ورحمة على معنى تلك هدى ورحمة. ومن نصب فهو على الحال المعنى تلك آيات في حال الهداية والرحمة.

ثم نعت المحسنين فقال تعالى: {الذين يُقِيمُونَ الصلاة} يعني: يقرون بها ويتمونها. قوله {وَيُؤْتُونَ الزكواة} يعني: يقرون بها ويؤدونها {وَهُم بالاخرة} يعني: بالبعث الذي فيه جزاء أعمالهم {هُمْ يُوقِنُونَ} بأنها كائنة {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة {على هُدًى مّن رَّبّهِمْ} يعني: بيان من ربهم. بيّن لهم طريقهم ووفّقهم لذلك {وأولئك هُمُ المفلحون} يعني: الفائزون بالخير.

تفسير الآيات رقم [6- 11]

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ

فِي أُذُنَيْـهِ وَقْـرًا فَبَشِّـرْهُ بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ (7) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (8) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْـدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَـا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِـيَ أَنْ تَمِيـدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَـا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّـمَاءِ مَـاءً فَأَنْبَتْنَـا فِيهَـا مِنْ كُـلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (10) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (11)}

{وَمِنَ الناس مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث} يعـني: من النـاس ناس يشترون أباطيل الحديث، وهو النضر بن الحارث كان يخـرج إلى أرض فـارس تـاجراً، ويشـتري من هنالـك من أحاديثهم، ويحمله إلى مكة ويقول لهم: إن محمداً يحدثكم بالأحاديث طرفاً منها، وأنا أحـدثكم بالحـديث تامـاً {لِيُضِـلَّ عَن سَـبِيلِ} يعـني: يصـرف النـاس عن دين {اللـه} عـز وجل. ويقال: يشتري جواري مغنيات. قال أبو الليث رحمه الله: حدثني الثقة بإسناده عن أبي أمامة رضـي اللـه عنـه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: «لاَ يَحِـلُّ بَيْـعُ المُغَنِّيَـاتِ وَلا شِـرَاؤُهُنَّ وَلا التِّجَـارَةُ فِيهِنَّ وَأَكْـلُ أَثْمَـانِهِنَّ حَرَامٌ». وفيه أنزل الله عز وجـل هـذه الآيـة {وَمِنَ النـاس مَن يَشْـتَرِى لَهْـوَ الحـديث} وروى مجاهـد عن ابن عبـاس رضي اللـه عنـه في قولـه {وَمِنَ النـاس مَن يَشْـتَرِى لَهْـوَ الحديث} قال: شراء المغنية. ويقال: {لَهْوَ الحديث} هاهنا الشرك. يعني: يختار الشرك على الإيمان ليضل عن سبيل الله عز وجل. يعني: ليصرف الناس بـذلك عن سـبيل اللـه {بِغَيْـرِ عِلْمٍ} يعـني: بغـير حجـة {وَيَتَّخِـذَهَا هُـزُواً} يعـني: سبيل الله عز وجل، لأن السبيل مؤنث كقوله تعالى: {قُلْ هذه سـبيلى أَدْعُـو إِلَى اللـه على بَصِـيرَةٍ أَنَـاْ وَمَنِ اتبعـنى وَسُـبْحَانَ اللـه وَمَـآ أَنَـاْ مِنَ المشـركين} [يوسـف: 108] ويقال: {وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً} يعني: آيات القرآن الـتي ذكـر في أول السورة استهزاء بها، حيث جعلها بمنزلة حديث رستم

واسفنديار. وقـرأ ابن كثـير وأبـو عمـرو: {لِيُضِـلَّ} بنصـب الياء. وقـرأ البـاقون: بالضـم. فمن قـرأ بالنصـب فمعنـاه: ليضل بذلك عن سبيل الله. يعني: بترك دين الإسلام. ومن قرأ بالضم يعني: بصرف الناس عن دين الإسلام، ويصرف نفسـه أيضـاً. وقـرأ حمـزة والكسـائي وعاصـم في روايـة حفص: {وَيَتَّخِذَهَا} بنصـب الـذال. وقـرأ البـاقون: بالضـم. فمن نصبها ردّهـا على قولـه: {لِيُضِـلَّ} يعـني: لكي يضـل ولكي {أَنْذِرُواْ هُـزُواً} ومن قـرأ: بالضـم ردّهـا على قولـه: {وَمِنَ الناس مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الحديث} {وَيَتَّخِـذَهَا} وقـال {أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مٌّهينٌ} يهانون به.

قوله عز وجـل: {وَإِذَا تتلى عَلَيْـهِ ءاياتنـا} يعـني: إذا قـرئ عليه القرآن {ولى مُسْتَكْبِراً} يعني: أعـرض مسـتكبراً عن الإيمان والقرآن {كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} يعـني: كـأن لم يسـمع ما في القرآن من الدلائل والعجائب {كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً} أي: ثقلاً فلا يسمع القرآن يعني: يتصامم {فَبَشّـرْهُ بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ} فلما ذكـر عقوبـة الكـافر ذكـر على أثـر ذلـك ثـواب المؤمنين فقال:

{إِنَّ الـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات لَهُمْ جنـات النعيم} في الآخرة {خالدين} يعني: دائمين {فِيهَا وَعْدَ الله حَقّـاً} أوجبـه اللـه عـز وجـل لأهـل هـذه الصـفة {وَهُـوَ العزيـز الحكيم} حكم بالعذاب للكافرين، والنعيم للمؤمنين.

ثم بيّن علامة وحدانيته فقال: {خُلِقَ السموات بِغَيْـرِ عَمَـدٍ تَرَوْنَهَا} أي: خلقها بغير عمد ترونها بأعينكم. ويقال: معناه {بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَـا} أنتم يعـني: لهـا عمـد ولكن لا ترونهـا. والعمد جماعة العماد.

ثم قـال: {وألقى فِى الارض رَوَاسِـىَ} يعـني: الجبـال الثوابت {أَن تَمِيدَ بِكُمْ} يعني: لكيلا تزول بكم الأرض.

ثم قال: {وَبَثَّ فِيهَا} يعني: وخلق فيها في الأرض. ويقال: وبسط فيها {مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السماء مَاء فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} وقد ذكرناه.
ثم قال: {هذا خَلْقُ الله} يقول: هذا الذي خلقت أنا {فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الذين مِن دُونِهِ} يعني: الذين تدعونه إلها من دونه يعني: الأصنام. ويقال: هذا خلق الله. يعني: مخلوق الله. ويقال: هذا صنع الله.
ثم قال: {بَلِ الظالمون فِى ضلال مُّبِينٍ} أي: الكافرون في خطأ بيّن، لا يعتبرون ولا يتفكرون فيما خلق الله عز وجل فيعبدونه ويقال في ضلال مبين يعني: في خسران بيّن.

تفسير الآيات رقم [12- 20]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً

وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُـدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)}

{وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة} وقال مجاهد: يعني: أعطينا لقمان العقل والفقه والإصابة في غير نبوة. ويقال أيضاً: الحكمة والعقل والإصابة في القول. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما زَهِدَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا إلاَّ أَثْبَتَ الله تَعَالَى الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَ الدُّنْيَا وَعُيُوبَ نَفْسِهِ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ قَدْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا فَاقْتَرِبُوا إِلَيْهِ فَاسْتَمِعُوا مِنْهُ، فإنه يُلَقَّى الحِكْمَةَ». وقال السدي: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا لُقْمَانَ الحكمة} يعني: النبوة. وعن عكرمة قال: كان لقمان نبياً. وعن وهب بن منبه قال: كان لقمان رجلاً حكيماً، ولم يكن نبياً.

وروي عن ابن عباس قال: كان لقمان عبداً حبشياً. ويقال: إن أول ما ظهرت حكمته أن مولاه قال له يوماً: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها. ثم قال: أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب. ثم مكث ما شاء الله. ثم قال له: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها. فقال: أخرج لنا أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب. فسأله عن ذلك فقال لقمان: إنه ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

وذكر عن وهب بن منبه أن لقمان خُيِّرَ بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة. قال: فبينما كان يعظ الناس يوماً وهم مجتمعون عليه، إذ مرّ به عظيم من عظماء بني إسرائيل. فقال: ما هذه الجماعة؟ فقيل له: جماعة اجتمعت على لقمان الحكيم. فأقبل إليه. فقال له: ألست عبد بني فلان؟ فقال: نعم. فقال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وتركي ما لا يعنيني. فانصرف عنه متعجباً وتركه.

ثم قال تعـالى: {أَنِ اشـكر للَّهِ} يعـني: حكمـاً من أحكـام الله {أنِ اشـكر للَّهِ} ويقـال: معنـاه {وَلَقَـدْ ءاتَيْنَـا لُقْمَـانَ الحكمـة} وقلنـا لـه: اشـكر للـه بمـا أعطـاك من الحكمـة {وَمَن يَشْـكُرْ فَإِنَّمَـا يَشْـكُرُ لِنَفْسِـهِ} يعـني: ثـواب الشـكر لنفسـه {وَمَن كَفَـرَ} أي: جحـد فلا يوحّـد ربـه {فَـإِنَّ اللـه غَنِىٌّ} عن خلقـه وعن شـكرهم {حَمِيـدٌ} في فعالـه {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ} قال مقاتل: كـان اسـم ابنـه أنعم {وَهُـوَ يَعِظُهُ} ويقال: معنـاه قـال لابنـه واعظـاً {يَعِظُـهُ يـابنى لاَ تُشْرِكْ بالله إِنَّ الشرك لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} يعني: ذنب عظيم لا يغفر أبداً، وكان ابنه وامرأته كافرين، فمـا زال بهمـا حـتى أسلما. وقال مقاتل: زعموا أنه كان ابن خالة أيوب. وذكــر القاسم بن عباد بإسناده عن عبد الله بن دينار: أن لقمــان قـدم من سـفر، فلقيـه غلامـه، قـال: مـا فعـل أبي؟ قـال: مات. فقال: ملكت أمري. قال: وما فعلت أمي؟ قال: قــد ماتت.

قـال: ذهب همي. قـال: فمـا فعلت أخـتي؟ قـال: مـاتت فقال: سترت عورتي. قال: فما فعلت امـرأتي؟ قـال: قـد ماتت. فقال: جـدد فراشـي. قـال: فمـا فعـل أخي؟ قـال: مات. قال: إنقطع ظهري.

وفي رواية أُخرى قال: ما فعـل أخي؟ قـال: مـات. فقـال: انكسر جناحي. ثم قال: فما فعل ابني؟ قال: مات. فقـال: انصدع قلبي. وقال وهب بن منبه كان لقمان عبـداً حبشـياً لرجــل من بــني إســرائيل في زمن داود عليــه الســلام، فاشـتراه، فأعتقـه وكـان حبشـياً أسـود، غليـظ الشـفتين والمنخرين، غليظ العضدين والساقين، وكـان رجلاً صـالحاً أبيض القلب، وليس يصـطفي اللـه عـز وجـل عبـاده على الحسن والجمال، وإنما يصطفيهم على ما يعلم من غـائب أمرهم.

قرأ عامر في رواية حفص وابن كثير في إحدى الروايــتين: {أَوْ بَنِى} بالنصب. وقرأ الباقون: بالكسر وقد ذكرناه.
ثم قال عز وجل: {وَوَصَّيْنَا الإنسان} فكأنه يقـول: آمـركم بما أمر به لقمان لابنه بأن لا تشركوا بالله شـيئاً، وآمـركم بأن تحسنوا إلى الوالدين فذلك قوله عـز وجـل: {وَوَصَّـيْنَا الإنسان} يعني: أمرناه بالإحسان {بوالديه}.
ثم ذكر حق الأم وما لقيت من أمر الولد من الشدة فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ} يعني: ضعفاً على ضعف، لأن الحمل في الابتداء أيسر عليها. فكلما ازداد الحمل يزيــدها ضعفاً على ضعف {وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ} يعني: فطامه بعد سنتين من وقت الولادة {أَنِ اشكر لِى ولوالــديك} يعـني: وصّيناه وأمرناه بأن اشكر لي بما هديتك للإسـلام، واشـكر لوالديك بما فعله إليك {إِلَىَّ المصير} فأجازيك بعملك.
ثم قـال عــز وجــل: {وَإِن جاهـداك} يعـني: وإن قـاتلاك. يعـني: أن حرمـة الوالـدين وإن كـانت عظيمـة، فلا يجـوز للولـد أن يطيعهمـا في المعصـية. فقـال: {وَإِن جاهـداك} يعني: وإن قاتلاك. ويقال: وإن أراداك {على أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} يعني: ما ليس لك به حجة بــأن معي شريكاً {فَلاَ تُطِعْهُمَا} في الشـرك {وصـاحبهما فِى الـدنيا مَعْرُوفاً} يعـني: عاشـرهما في الـدنيا معروفـاً بالإحسـان، وإنما سمي الإحسان معروفاً لأنه يعرفه كل واحد.
قـال وروي عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «حُسْنَ المُصَاحَبَةِ أَنْ يُطْعِمَهُمَا إذا جَاعَا، وَأَنْ يَكْسُوَهُمَا إذا عَرِيَا». ثم قال: {واتبع سَـبِيلَ مَنْ أَنَـابَ إِلَىَّ} يعـني: اتبـع دين من أقبل إلي بالطاعة.
ثم استأنف فقال: {ثُمَّ إِلَيَّ مَـرْجِعُكُمْ} في الآخـرة. وقـال بعضهم: إنما أتمّ الكلام عند قوله: {واتبع سَـبِيلَ مَنْ أَنَـابَ إِلَىَّ} يعني: دين من أقبل على الطاعة.

ثم استأنف الكلام فقال: {ثُمَّ إِلَيَّ مَـرْجِعُكُمْ} تكـراراً على وجه التأكيد {فَأُنَبِئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ} يعـني: فأجـازيكم بها.
ثم رجـع إلى حـديث لقمـان فقـال: {وَمَـا يُشْـعِرُكُمْ أَنَّهَـا} يعني: الخطيئة {إِن تَكُ} قال مقاتل: وذلك أن ابن لقمـان قال لأبيه: يا أبتاه إن عملت بالخطيئة حيث لا يـراني أحـد، فكيف يعلمها الله سبحانه وتعالى.
فرد عليه لقمان وقال: {تَعْمَلُونَ يابنى إِنَّهَا إِن تَكُ} يعـني: الخطيئة {إِن تَـكُ} {مِثْقَـالَ حَبَّةٍ مّنْ خَـرْدَلٍ} يعـني: وزن خردلة {فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ} أي: الصـخرة الـتي هي أسـفل الأرضين. وقال بعضهم: أراد بها كل صخرة، لأنه قال بلفظ النكرة. يعني: ما في جوف الصخرة الصماء. وقال مقاتل: هي الصخرة التي في أسفل الأرض، وهي خضراء مجوفة.
ثم قال: {أَوْ فِى السـموات أَوْ فِى الارض يَـأْتِ بِهَـا اللـه} يعني: يجازي بها الله. أي: يعطيه ثوابها. ويقال: {يَـأْتِ بِهَـا الله} عند الميزان، فيجازيه بها. ويقال: هـذا مثـل لأعمـال العباد {يَأْتِ بِهَا الله} يعني: يعطيه ثوابها عز وجل كقولـه: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ خَيْـراً يَـرَهُ} [الزلزلـة: 7] يعـني: يرى ثوابه. قرأ نافع {مِثْقَـالَ} بضـم اللام. وقـرأ البـاقون: بالنصـب. فمن قـرأه بالضـم جعلـه اسـم يكن. ومن قـرأ بالنصب جعله خبراً. والاسـم فيـه مضـمر ومعنـاه: إن تكن صغيرة قدر مثقال حبة. وإنما قال: إن تكن بلفـظ التـأنيث لأن المثقال أضيف إلى الحبة. فكان المعنى للحبة. وقيـل: أراد به الخطيئة. ومن قرأ: بالضم جعله اسم تكن.
ثم قال: {إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِـيرٌ} يعـني: لطيـف باسـتخراج تلك الحبة، خبير بمكانهـا. وقـال أهـل اللغـة: اللطيـف في اللغة يعبر به عن أشـياء. يقـال للشـيء الرقيـق وللشـيء الحسن: لطيف. وللشيء الصغير؛ لطيف. ويقال للمشفق: لطيف.

ثم قال عز وجل: {لِسُنَّتِنَا تَحْـوِيلاً أَقِمِ الصـلاة} يعـني: أتمّ الصلاة {وَأْمُرْ بالمعروف} يعـني: التوحيـد. ويقـال: أظهـر العدل {وانه عَنِ المنكر} وهو كل ما لا يعرف في شريعة، ولا سنة، ولا معروف في العقل {واصبر على مَـا أَصَـابَكَ} يعني: إذا أمرت بـالمعروف أو نهيت عن المنكـر، فأصـابك من ذلك ذلّ أو هـوان أو شـدة، فاصـبر على ذلـك ف {إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الامور} يعني: من حـق الأمـور. ويقـال: من واجب الأمور. وصارت هـذه الآيـة بيانـاً لهـذه الأمـة، وإذنـاً لهم، أن من أمــر بــالمعروف ونهى عن المنكــر ينبغي أن يصبر على ما يصيبه في ذلك، إذا كـان أمـره ونهيـه لوجـه الله تعالى، لأنه قد أصاب ذلك في ذات الله عز وجل.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} قرأ ابن كثير وابن عـامر وعاصـم: {وَلاَ تُصَـعِّرْ} بالتشـديد بغـير ألـف. وقـرأ البــاقون: ولا تصــاعر بــالألف والتخفيــف. وهمــا لغتــان ومعناهمـا واحـد. يقـال: صـعر خـده وصـاعره ومعناهمـا: الإعـراض على جهـة الكـبر. يعـني: لا تعـرض بوجهـك عن الناس متكبراً. وقـال مقاتـل: لا تعـرض وجهـك عن فقـراء المسلمين، وهكذا قال الكلبي.

وقال العتبي: أصله الميل. ويقال: رجل أصـعر إذا كـان بـه داء، فيميــل رأســه وعنقــه من ذلــك إلى أحــد الجــانبين. ويقال: معناه لا تكلم أحداً وأنت معرض عنه، فإن ذلك من الجفاء والإذاء.

ثم قـال: {وَلاَ تَمْشِ فِى الارض مَرَحًـا} يعـني: لا تمشــي بالخيلاء، والمرح والبطر والأشر كله واحـد، وهـو أن يعظم نفسه في النعم {إِنَّ اللهِ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} يعني: مختالاً في مشيته، فخوراً في نعم الله عز وجل.

{واقصد فِى مَشْيِكَ} يعني: تواضع لله تعالى في المشي، ولا تختــل في مشــيتك. ويقــال: أســرع في مشــيتك، لأن الإبطــاء في المشــي يكــون من الخيلاء. {واغضــض مِن

صَـــوْتِكَ} يعـــني: اخفض. ومن صـــلة في الكلام اخفض كلامك، ولا تكن سفيهاً.
ثم ضرب للصوت الوضيع مثلاً فقال: {إِنَّ أَنكَرَ الاصـوات} يعـني: أقبح الأصـوات {لَصَـوْتُ الحمـير} لشـدة أصـواتها. وإنمـا ذكـر صـوت الحمـير، لأن صـوت الحمـار كـان هـو المعروف عند العرب وسائر النـاس بـالقبح، وإن كـان قـد يكون ما سواه أقبح منـه في بعض الحيـوان. وإنمـا ضـرب الله المثل بما هو المعروف عند الناس.
قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ} يعني: قل يـا محمد لأهل مكـة: {أَلَمْ تَـرَوْاْ أَنَّ اللـه} ذلـل لكم {مَـا فِي السموات وَمَا فِي الارض} كل ذلك من الله تعالى. يعـني: ومن قدرة الله ورحمته وحده لا شريك له {وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَــهُ ظـاهرة وَبَاطِنَـةً} فالظـاهرة الـتي يراهـا النـاس، والباطنة ما غاب عن الناس. ويقال: النعم الظاهرة شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأما الباطنـة فالمعروفـة بـالقلب. وقـال مقاتل: الظاهرة: تسوية الخلق والـرزق. والباطنـة: تسـتر عن العيون.
عن ابن عباس قال: سألت النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم عن قوله: {وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَـهُ ظـاهرة وَبَاطِنَـةً} فقـال: «الظَّاهِرَةُ الإسْلامُ، وَالبَاطِنَةُ مَا سَـتَرَ سَـوْأَتَكَ». قـرأ نـافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: {نِعَمَهُ} بنصب العين وميم، وضـم الهـاء. وقـرأ البـاقون: {نِعَمَـهُ} بجـزم العين ونصب الهاء والميم. فمن قرأ {نِعَمَهُ} بـالجزم فهي نعمـة واحدة وهي ما أعطاه الله من توحيده. ومن قرأ: {نِعَمَـهُ} فهو على معنى جميع ما أنعم الله عز وجل عليهم.
ثم قال: {وَمِنَ الناس مَن يجادل فِى الله} يعـني: يخاصـم في دين الله عز وجل {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغـير حجـة وهـو النضر بن الحارث {وَلاَ هُدًى} أي: بغير بيـان من اللـه عـز وجل {وَلاَ كتاب مُّنِيرٍ} أي: مضيئاً فيه حجة.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 25]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (21) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (22) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (24) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (25)}

قوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} يعني: لكفار مكة {اتبعوا مَا أَنزَلَ الله} على نبيه من القرآن، فآمنوا به، وأحلّوا حلاله، وحرموا حرامه {قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءابَاءنَا} يقول الله عز وجل؛ {أَوْ لَّوْ كَانَ الشيطان} يعني: أو ليس الشيطان {يَدْعُوهُمْ إلى عَذَابِ السعير} يعني: يدعوهم إلى تقليد آبائهم بغير حجة، فيصيروا إلى عذاب السعير.

قوله عز وجل: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله} أي: يخلص دينه. ويقال: يخلص عمله لله {وَهُوَ مُحْسِنٌ} يعني: موحد. ويقال: ذكر الوجه، وأراد به هو. يعني: ومن أخلص نفسه لله عز وجل بالتوحيد، وبأعمال نفسه، وهو محسن في عمله. قرأ عبد الرحمن السّلمي: {وَمَن يُسْلِمْ} بنصب السين، وتشديد اللام من سلم يسلم. وقراءة العامة {وَمَن يُسْلِمْ} بجزم السين وتخفيف اللام من سلم يسلم {فَقَدِ استمسك بالعروة الوثقى} يعني: قد أخذ بالثقة {وإلى الله عاقبة الامور} يعني: إليه مرجع وعواقب الأمور. ويقال: العباد إليه فيجازيهم بأعمالهم.

قوله عز وجل: {وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ} وذلك أنهم لما كذبوا بالقرآن وقالوا: إنه يقول من تلقاء نفسه، شقّ

ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنزل {وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ} بالقرآن {إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ} يعني: إلينا مصيرهم {فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ} يعني: يجازيهم بجحودهم {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} بما في قلبك من الحزن مما قالوا وقال الكلبي: {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} من خير أو شر.

ثم قال عز وجل: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً} يعني: يسيراً في الدنيا، فكل ما هو فانٍ فهو قليل {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ} يعني: نلجئهم {إلى عَذَابٍ غَلِيظٍ} يعني: شديد لا يفتر عنهم.

قوله عز وجل: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يعني: الكفار {مِنْ خلاق السموات والارض لَيَقُولُنَّ الله قُلِ الحمد لِلَّهِ} على إقراركم {بَلْ أَكْثَرُهُمْ} يعني: الكفار {لاَّ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون.

تفسير الآيات رقم [26- 32]

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (26) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (27) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (28) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (29) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (30) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (31) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32)}

ثم قـال عـز وجـل: {للَّهِ مَـا فِى السـموات والارض} من الخلق {إِنَّ الله هُوَ الغنى} عن عبادة خلقه {الحميد} في فعاله. ويقال: حميد أي: محمود. يعني: يحمد ويشكر.

قوله عز وجـل: {وَلَـوْ أَنَّمَـا فِى الارض مِن شَـجَرَةٍ أَقْلاَمٌ} الآيـة. قـال قتـادة: ذلـك أن المشـركين قـالوا: هـذا كلام يوشك أن ينفد وينقطع. فنزل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنّ مَّا فِى الارض} الآيـة. قـال ابن عبـاس في روايـة أبي صـالح: إن اليهود أعداء الله. سألوا رسول الله صلى الله عليه وسـلم عن الروح فنزل {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَـآ أُوتِيتُم مِّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً}[الإسـراء: 85] قـالوا: كيف تقول هذا وأنت تزعم أن من أُوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً. فكيف يجتمع علم قليل وخير كثير؟ فنزل {وَلَوْ أَنَّ مَّا فِى الارض مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ} يقـول: لـو أن الشـجر تبرى وتجعل أقلاماً {والبحر يَمُدُّهُ مِن بَعْـدِهِ سَـبْعَةُ أَبْحُـرٍ} تكون كلها مداداً، يكتب بها علم الله عـز وجـل، لانكسـرت الأقلام، ولنفـد المـداد، ولم ينفـد علم اللــه تعـالى. فمـا أعطاكم الله من العلم قليل فيما عنده من العلم. قرأ أبــو عمرو: {والبحر يَمُدُّهُ} بنصب الراء. وقرأ الباقون: بالضم. فمن قرأ بالنصب نصبه. لأنّ معناه: ولـو أن مـا في الأرض وأن البحـر يمـده. ومن قـرأ بالضـم: فهـو على الاسـتئناف {والبحر يَمُدُّهُ} يعني: أمد إلى كل بحر مثله ما نفـدت {مَّا نَفِدَتْ كلمات الله} يعني: علمـه وعجائبـه. ويقـال: معـاني كلمات الله. لأن لكـل آيـة ولكـل كلمـة من المعـاني مـا لا يدرك ولا يحصى.

ويقال: {مَّا نَفِدَتْ كلمات الله} لأن كلمات الله لا تدرك ما تكلم به في الأزل سبحانه وتعالى.

ثم قال: {أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} عزيز بالنعمة على الكـافر، حكيم حكم أنه ليس لعلمه غاية، وأن العلم للخلق غاية.

ثم قال عز وجل: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحدة} قال مقاتل: نزلت في أبي بن خلف وابني أسد منبه ونبيه كلاهما ابني أسد قالوا: إن الله عز وجل خلقنا أطواراً، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم يقول: إنه بعث في ساعة واحدة، فقال الله عز وجل: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ واحدة} أيها الناس جميعاً. يقال: هاهنا مضمر. فكأنه يقول: إلا كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة. ويقال: معناه قدرته على بعث الخلق أجمعين، وعلى خلق الخلق أجمعين، كقدرته على خلق نفس واحدة. ويقال: {كَنَفْسٍ واحدة} أي: إلا كخلق آدم عليه السلام.
ثم قال: {إِنَّ الله سَمِيعٌ} لمقالتهم {بَصِيرٌ} بهم.
قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُولِجُ اليل فِى النهار} يعني: انتقاص كل واحد منها بصاحبه. ويقال: يدخل الليل في النهار، والنهار في الليل {وَيُولِجُ النهار فِي اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر} يعني: ذللهما لبني آدم {كُلٌّ يَجْرِى لاِجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: يجريان في السماء إلى يوم القيامة، وهو الأجل المسمى. ويقال: يجري كل واحد منهما إلى أجله في الغروب، حتى ينتهى إلى وقت نهايته {وَأَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.
روي عن أبي عمرو في إحدى الروايتين أنه قرأ {يَعْمَلُونَ} بالياء بلفظ المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة.
ثم قال عز وجل: {ذلك} يعني: هذا الذي ذكر من صنع الله عز وجل بالنهار والليل والشمس والقمر {بِأَنَّ الله هُوَ الحق} يعني: ليعلموا أن الله هو الحق {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الباطل} يعني: من الآلهة لا يقدرون على شيء من ذلك يعني: لا تنفعهم عبادتها. قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص: وإنما {يَدَّعُونَ} بالياء

على معنى الخبر عنهم. وقـرأ البـاقون: بالتـاء على معـنى المخاطبة لهم.
ثم عظّم نفسه فقال تعالى: {وَأَنَّ الله هُـوَ العلى الكبـير} يعني: ليعلموا أن اللـه هـو الرفيـع الكبـير. يعـني: العظيم، وهو الذي يعظم ويحمد.
ثم بيّن قدرته فقال عز وجـل: {أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الفلـك} يعـني: السفن {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفلك تَجْرِى} أي: برحمة اللـه لمنفعـة الخلق {لِيُرِيَكُمْ مِّنْ ءاياته} يعـني: من علامـات وحدانيتـه. ويقال: من عجائبه. {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعـني: إن الـذي تـرون في البحر {لآيَاتٍ} يعـني: لعبـارات {لِّكُـلّ صَـبَّارٍ شَـكُورٍ} على أمر الله عز وجل عند البلاء. ويقـال: الـذي يصـبر في الأحوال كلها، شكوراً لله عز وجل في نعمه. ويقال: {لِّكُلّ صَـبَّارٍ شَـكُورٍ} يعـني: لكـل مـؤمن موحـد. وإنمـا وصـفه بأفضل خصلتين في المؤمن، لأن أفضـل خصـال المـؤمن: الصبر والشكر. والصبار هو للمبالغة في الصـبر. والشـكور على ميزان فعول هو للمبالغة في الشكر.
وروي عن قتادة أنه قـال: إن أحب العبـاد إلى اللـه من إذا أعطي شـكر، وإذا ابتلي صـبر. فـأعلم اللـه عـز وجـل أن المتفكر المعتـبر في خلـق السـموات والأرض هـو الصـبار والشكور.
قوله عز وجل: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كالظلـل} يعـني: أتـاهم موج، كما يقال: من غشي سدد السـلطان يجلس ويقـوم. ويقــال: علاهم. ويقــال: غطــاهم مــوج كالظلــل يعــني: كالسحاب. ويقال: كالجبال، وهو جمع ظلـة. يعـني: يـأتيهم الموج بعضه فوق بعض وله سواد لكثرته.
{دَعَوُاْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: أخلصوا لـه بالـدعوة {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الـــبر} يعـــني: إلى القـــرار {فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِـدٌ} يعـني: فمنهم من يـؤمن، ومنهم من يكفـر ولا يؤمن.

ثم ذكر المشرك الذي ينقض العهد فقال تعالى: {وَمَا يَجْحَدُ بئاياتنا} يعني: لا يترك العهد {إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} يعني: غدار بالعهد. كفور لله عز وجل في نعمه. وقال القتبي: الختر أقبح الغدر. {كَفُورٌ} على ميزان فعول. وإنما يذكر هذا اللفظ إذا صار عادة له كما يقال: ظلوم. وقد ذكر الكافر بأقبح خصلتين فيه، كما ذكر المؤمن بأحسن خصلتين فيه وهو قوله: {صَبَّارٍ شَكُورٍ}.

تفسير الآيات رقم [33- 34]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (33) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)}

قوله عز وجل: {يَأَيُّهَا الناس اتقوا رَبَّكُمُ} يعني: وحّدوه وأطيعوه {واخشوا} يعني: واخشوا عذاب يوم {يَوْماً لاَّ يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ} يعني: هو جاز عن والده شيئاً، ولا ينفع والد عن ولده. ويقال: لا يقضي والد عن ولده ما عليه {وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً} يعني: لا يقدر الولد أن ينفع والده شيئاً، وهذا في الكفار خاصة. وأما المؤمن فإنه ينفع كما قال في آية أخرى: {والذين ءَامَنُواْ واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمان أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتنَاهم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَئ كُلُّ امرئ بِمَا كَسَبَ رَهَينٌ} [الطور: 21] ثم قال: {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: البعث بعد الموت كائن ولا خلف فيه {فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحياة الدنيا} يعني: لا يغرّنكم ما في الدنيا من زينتها وزهوتها، فتركنوا إليها، وتطمئنوا بها، وتتركوا الآخرة والعمل لها {وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بالله الغرور} يعني: لا يغرنكم الشيطان عن طاعة الله عز وجل. ويقال:

كل مضل هو شيطان. وقال أهل اللغة: {الغـرور} بنصـب الغين هو الشيطان. وبالضم أباطيل الدنيا.
قوله عز وجل: {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} قـال مقاتـل: نزلت في رجل يقال له: الوليد بن عمرو من أهـل الباديـة، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ أرضـنا أجـدبت، فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى، فماذا تلد؟ وقــد علمت بأيِّ أرض ولدت، فبأيِّ أرض أموت؟ وقد علمت مــا عملت اليوم، فماذا أنا عامل غداً؟ ومـتى السـاعة؟ فـنزل {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} يعني: علم القيامـة لا يعلمـه غيره {وَيُنَزِّلُ الغيث} يعني: وهـو الـذي يـنزل الغيث مـتى شاء {وَيَعْلَمُ مَا فِى الارحام} من ذكـر وأنـثى {وَمَـا تَـدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَـدْرِى نَفْسٌ بِـأَىّ أَرْضٍ تَمُـوتُ} في سهل أو جبل. وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: «مَفَـاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَـا إلاَّ الله فَقَرَأ: {إِنَّ الله عِندَهُ عِلْمُ الساعة} الآيـة». وقـال ابن مسعود كـل شـيء أوتي نـبيكم إلا مفـاتيح الغيب الخمس. {إِنَّ الله عِنـدَهُ عِلْمُ السـاعة} إلى آخـر السـورة. وقـالت عائشة رضي الله عنهـا: من حـدثكم بأنـه يعلم مـا في غـد فقد كذب. ثم قرأت: {وَمَـا تَـدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِـبُ غَـداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىّ أَرْضٍ تَمُوتُ} يعني: بأي مكان تموت، وبأي قدم تؤخذ، وبأي نفس ينقضي أجله.
وروى شـهر بن حوشـب قـال: دخـل ملـك المـوت على سـليمان بن داود عليـه السـلام فقـال رجـل من جلسـائه لسليمان: من هذا؟ فقال ملـك المـوت. فقـال: لقـد رأيتـه ينظر إليّ كأنه يريدني. فأريد أن تحملني على الـريح حـتى تلقيـني بالهنـد. ففعـل. ثم أتى ملـك المـوت إلى سـليمان فسـأله عن نظـره ذلـك. فقـال: إني كنت أعجب أني كنت أمـرت أقبض روحـه في أرض الهنـد في آخـر النهـار وهـو عندك.

ثم قال تعالى: {إِنَّ الله عَلَيمٌ خَبِيرٌ} يعـني: بهـذه الأشـياء التي ذكرها.

(سورة الم سجده)

سورة السجدة

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{الم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5)}

قوله تعالى: {الم تَنزِيلُ الكتاب} يعني: المنزل من الله عز وجل القرآن على معنى التقديم. يعني: أن هذا الكتاب تنزيل من الله عز وجل والكتاب وهو التنزيل. ويقال: معناه نزل به جبريل عليه السلام بهذا التنزيل {الكتاب} يعني: القرآن {لاَ رَيْبَ فِيهِ} يعني: لا شك فيه أنه {مِن رَّبّ العالمين}.

فلما نزله جبريل جحده قريش، وقالوا: إنما يقوله من تلقاء نفسه. فنزل {أَمْ يَقُولُونَ افتراه} يعني: أيقولون اختلقه من ذات نفسه. وقال أهل اللغة: فرى يفري إذا قطعه للإصلاح. وأفرى يفري: إذا قطعه للاستهلاك.

فأكذبهم الله عز وجل قال: {بَلْ هُوَ الحق مِن رَّبّكَ} يعني: القرآن. ولو لم يكن من الله عز وجل، لم يكن حقاً وكان باطلاً، ويقال: {بَلْ هُوَ الحق مِن رَّبّكَ} يعني: نزل من عند ربك {لِتُنذِرَ قَوْماً} يعني: كفار قريش {مَّا أتاهم مّن نَّذِيرٍ مّن قَبْلِكَ} يعني: لم يأتهم في عصرك. ولكن

أتاهم من قبـل، لأن الأنبيـاء المتقـدمين عليهم السـلام مـا كانوا إلى جميع الناس. ويقـال: معنـاه: لم يشـاهدوا نـذيراً قبلك. وإنما الإنذار قد كـان سـبق لأنـه قـال: {مَّنِ اهتـدى فَإِنَّمَا يَهْتَدى لِنَفْسِـهِ وَمَن ضَـلَّ فَإِنَّمَـا يَضِـلُّ عَلَيْهَـا وَلاَ تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخـرى وَمَـا كُنَّا مُعَـذِّبِينَ حـتى نَبْعَثَ رَسُـولاً} [الإسراء: 15] وقد سـبق الرسـل. ويقـال: {مَّا أتـاهم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ} يعني: من قومهم من قريش.

ثم قـال: {لَّعَلَّهُمْ يَهْتَـدُونَ} يعـني: يهتـدون من الضـلالة. وأصل الإنذار هو الإسلام. يقال: أنذر العدو إذا أعلمه.

ثم دلّ على نفسه بصفة فقال عز وجل: {الله الـذى خَلَـقَ السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من السحاب والرياح وغيره {فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} ولو شاء خلقها في سـاعة واحـدة لفعـل. ولكنه خلقها في ستة أيام، ليدل على التأني. ويقال: خلقها في ستة أيام لتكون الأيـام أصـلاً عنـد النـاس {ثُمَّ اسـتوى عَلَى العـرش} فيهـا تقـديم يعـني: خلـق العـرش قبـل السموات. ويقـال: علا فـوق العـرش من غـير أن يوصـف بالاستقرار على العرش. ويقال: اسـتوى أمـره على بريتـه فوق عرشـه، كمـا اسـتوى أمـره وسـلطانه وعظمتـه دون عرشـه وسـمائه {مَـا لَكُمْ مِّن دُونِـهِ مِن وَلِيٍّ} يعـني: من قريب ينفعكم في الآخرة {وَلاَ شَـفِيعٍ} من الملائكـة {أَفَلاَ تَتَـذَكَّرُونَ} يعـني: أفلا تتعظـون فيمـا ذكـره من صـفته فتوحّدونه.

ثم قال عز وجل: {يُدَبّرُ الامر} يقول: يقضي القضاء {مِنَ السماء إِلَى الارض} يعني: يبعث الملائكة من السماء إلى الأرض {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} يعني: يصـعد إليـه. قـال أبـو الليث رحمه الله: حدثنا عمـرو بن محمـد بإسـناده عن الأعمش، عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط.

قال: يدبر أمر الـدنيا أربعـة جبرائيـل وميكائيـل وإسـرافيل وعزرائيـل. أمـا جبرائيـل فموكـل بالريـاح والجنـود، وأمـا

ميكائيل فموكل بالنبات والقطر، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمور عليهم، فذلك قوله عز وجل: {يُدَبّرُ الامر مِنَ السماء إِلَى الارض ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ}.
{فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ} يعني: في يوم واحد من أيام الدنيا كان مقدار ذلك اليوم {أَلْفَ سَنَةٍ مّمَّا تَعُدُّونَ} أنتم. وقال القتبي: معناه يقضي في السماء، وينزله مع الملائكة إلى الأرض، فتوقعه الملائكة عليهم السلام في الأرض.
{ثُمَّ يَعْرُجُ * إِلَى السماء} فيكون نزولها ورجوعها في يوم واحد مقدار المسير، على قدر سيرنا {أَلْفَ سَنَةٍ} لأنّ بعد ما بين السماء والأرض خمسمائة عام. فيكون نزوله وصعوده ألف عام في يوم واحد. وروى جويبر عن الضحاك {فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ} قال: يصعد الملك إلى السماء مسيرة خمسمائة عام، ويهبط مسيرة خمسمائة عام في كل يوم من أيامكم وهو مسيرة ألف سنة.

تفسير الآيات رقم [6- 10]

{ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)}
ثم قال عز وجل: {ذلَك عَالِمُ الغيب} يعني: ذلك الذي يفعل هذا هو عالم الغيب {والشهادة} يعني: ما غاب من العباد، وما شاهدوه. ويقال: عالم بما كان، وبما يكون. ويقال: عالم السر والعلانية. ويقال: عالم بأمر الآخرة وأمر الدنيا {العزيز} في ملكه {الرحيم} بخلقه.

قوله عز وجل: {الـذى أَحْسَـنَ كُـلَّ شَـئ خَلَقَـهُ} قـرأ ابن كثير وأبـو عمـرو وابن عـامر: {خَلَقَـهُ} بجـزم اللام. وقـرأ الباقون: بالنصب فمن قرأ بـالجزم فمعنـاه: الـذي أحسـن كل شيء.

وروي عن عكرمـة عن ابن عبـاس أنـه قـال: الإنسـان في خلقه حسن، والخـنزير في خلقـه حسـن، وكـل شـيء في خلقه حسن. ومن قرأ بالنصب فعلى فعل الماضـي يعـني: خلق كـل شـيء على إرادتـه، وخلـق الإنسـان في أحسـن تقويم. ويقال: الذي علم خلق كل شيء خلقه. يعـني: علم كيف خلق. ويقال: هل تحسن شـيئاً. يعـني: تعلم. ومعنـاه: الذي علم خلق كل شيء خلقه. ويقال: الحسن عبـارة عن الزينة. يعني: الذي زين كل شيء خلقه وأتقنـه كمـا قـال: {وَتَرَى الجبال تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السحاب صُـنْعَ الله الذى أَتْقَنَ كُـلَّ شَـئ إِنَّهُ خَبِـيرٌ بِمَـا تَفْعَلُـونَ} [النمـل: 88].

ثم قال: {وَبَدَأَ خَلْـقَ الإنسـان مِن طِينٍ} يعـني: خلـق آدم عليه السلام من طين من أديم الأرض {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ} أي: خلق ذريته من سلالة من النطفة الـتي تنسـل من الإنسـان. وقـال أهـل اللغـة: كـل شـيء على مـيزان فعالة، فهو ما فضّل من شيء. يقال: نشارة ونخالة.

ثم رجع إلى آدم عليـه السـلام فقـال عـز وجـل: {مّن مَّاء مَّهِينٍ * ثُمَّ سَـوَّاهُ} يعـني: سـوى خلقـه {وَنَفَخَ فِيـهِ مِن رُّوحِهِ}.

ثم رجع إلى ذريته فقـال: {وَجَعَـلَ لَكُمُ السـمع والابصـار} ويقال: هذا كله في صفة الذرية يعني: ثم {جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مّن مَّاء مَّهِينٍ} يعني: من نطفة ضعيفة {ثُمَّ سَوَّاهُ} يعـني: جمـع خلقـه في رحم أمـه {وَنَفَخَ فِيـهِ مِن رُّوحِـهِ} يعني: جعل فيه الروح بأمره، {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والابصار والافئدة}.

ثم قال: {قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} يعـني: لا تشـكرون رب هـذه النعم على حسن خلقكم، فتوحّدوه. فلا تستعملوا سـمعكم وأفئـدتكم إلا في طـاعتي. ويقـال: مـا هاهنـا صـلة. فكأنـه يقول: تشكرونه قليلاً. ويقال: ما بمعنى: الذي. فكأنه قال: فقليـل الـذي تشـكرون. وقـد يكـون الكلام بعضـه بلفـظ المغايبة.

ثم قال: {وَجَعَلَ لَكُمُ السمع} بلفظ المخاطب، فكما قال: هاهنا {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ} {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} بلفظ المغايبة. ثم قال: {وَجَعَلَ لَكُمُ} بلفظ المخاطبة.

ثم قال عز وجـل: {وَقَالُواْ أَءذَا ضَلَلْنَا فِى الارض} يعـني: هلكنا وصـرنا تراباً {إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعـني: أنبعث بعد الموت. وأصـله ضـلّ المـاء في اللبن إذا غـاب وهلـك. وروي عن الحسـن البصـري رحمـه اللـه أنـه قـرأ {أءذا ضللنا} بالصاد، وتفسيره النتن. يقال: صـل اللحم إذا أنتن. وقراءة العامة بالضاد المعجمة أي: هلكنا. وقرأ ابن عـامر: {وَقَالُواْ إِءذَا ضَلَلْنَا} إذ بغـير اسـتفهام {إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} على وجـه الاسـتفهام. قـال: لأنهم كـانوا يقـرون بالموت ويشاهدونه. وإنما أنكروا البعث. ويكون الاستفهام في البعث دون الموت.

ثم قال عـز وجـل: {بَلْ هُم بِلَقَاء رَبّهِمْ كـافرون} يعـني: بالبعث جاحدون فلا يؤمنون به.

[بم قوله عز وجل:

▲ تفسير الآيات رقم [11- 14]

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَـذُوقُوا بِمَـا

نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (14)}
{قُـلْ يتوفـاكم} يعـني: يقبض أرواحكم {مَّلَـكُ المـوت} واسـمه عزرائيـل. وروي في الخـبر أن لـه وجوهـاً أربعـة. فوجـه من نـار يقبض بـه أرواح الكفـار، ووجـه من ظلمـة يقبض بـه أرواح المنـافقين، ووجـه من رحمـة يقبض بـه أرواح المؤمـنين، ووجـه من نـور يقبض بـه أرواح الأنبيـاء والصـديقين عليهم السـلام والـدنيا بين يديـه كـالكف، ولـه أعوان من ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب. فإذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمـة، وإذا قبض روح الكـافر دفعها إلى ملائكة العذاب.
وروى جابر بن زيد أن ملك الموت كان يقبض الأرواح بغير وجه، فأقبل الناس يسبونه ويلعنونه. فشـكى إلى ربـه عـز وجل. فوضع الله عز وجل الأمراض والأوجاع. فقالوا: مات فلان بكذا وكذا.
ثم قال تعـالى: {الـذى وُكّـلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبّكُمْ تُرْجَعُـونَ} بعد الموت أحياءً فيجازيكم بأعمالكم.
ثم قـال عـز وجـل: {وَلَـوْ تـرى إِذِ المجرمـون} يعـني: المشـركون {الكـافرين كُفْـرُهُمْ عِنـدَ رَبّهِمْ} اسـتحياء من ربهم بأعمالهم يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَـرْنَا} الهـدى {وَسَـمِعْنَا} الإيمــان. ويقــال {أبصــارنا} يــوم القيامــة بالمعاينــة، {وَسَمِعْنَا} يعني: أيقنوا حين لم ينفعهم يقينهم {فارجعنا} إلى الدنيا {نَعْمَلْ صالحا إِنَّا مُوقِنُونَ} يعني: أيقنّا بالقيامة. ويقال: {إِنَّا مُوقِنُونَ} يعني: قد آمنـا ولكن لا ينفعهم. وقـد حـذف الجـواب لأن في الكلام دليلاً ومعنـاه: ولـو تـرى يـا محمد ذلك، لرأيت ما تعتبر به غاية الاعتبار.
يقول الله تعالى: {وَلَوْ شِـئْنَا لاَتَيْنَـا} يعـني: لأعطينـا {كُـلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ولكن حَقَّ القـول مِنّى} يعـني: وجب العـذاب مـني. ويقـال: ولكن سـبق القـول بالعـذاب وهـو قولـه:

{لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجنــــة والنــــاس أَجْمَعِينَ} من كفـــار الإنس، ومن كفـــار الجن أجمعين. فيقـــول لهم الخزنـــة: {فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ} يعني: ذوقوا العذاب بما تركتم {لِقَاء يَوْمِكُمْ هذا} يعني: تركتم العمل بحضور يومكم هـذا. قـال القتـبي: النسـيان ضـد الحفـظ، والنسـيان الـترك. فقولـه: {فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هـذا} أي: تـركتم الإيمـان بلقاء هذا اليوم {إِنَّا نسيناكم} يعني: تركناكم في العـذاب. ويقال: نجازيكم بنسيانكم كما قال الله عز وجل: {أَمْ لَكُمْ كتاب فِيهِ تَدْرُسُونَ} [التوبة: 67] {وَذُوقُواْ عَـذَابَ الخلـد} الذي لا ينقطع أبداً {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من الكفر.

تفسير الآيات رقم [15- 20]

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآَيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَـبَّحُوا بِحَمْـدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْـتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَـافَى جُنُـوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُـونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَـا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَنْ كَـانَ مُؤْمِنًـا كَمَنْ كَـانَ فَاسِـقًا لَا يَسْـتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَـأْوَى نُـزُلًا بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُـوا مِنْهَـا أُعِيـدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَـذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِـهِ تُكَـذِّبُونَ (20)}

ثم قال الله عز وجل: {إِنَّمَا يُـؤْمِنُ بئاياتنـا} يعـني: يصـدق بآياتنا. يعني: بالعذاب {الذين إِذَا ذُكّرُواْ بِهَا} يعني: وعظـوا بهـا. يعـني: بآيـات اللـه عـز وجـل {خَـرُّواْ سُـجَّداً} على وجوههم {وَسَـبَّحُواْ بِحَمْـدِ رَبّهِمْ} يقـول: وذكـروا اللـه عـز وجـل بـأمره {وَهُمْ لاَ يَسْـتَكْبِرُونَ} عن السـجود كفعـل الكفـار. ويقـال: {الـذين إِذَا ذُكّـرُواْ} يعـني: دعـوا إلى الصلوات الخمس. أتوها فصلوها، ولا يستكبرون عنها.

قوله عز وجل: {تتجافى جُنُوبُهُمْ} قال مقاتـل: نـزلت في الأنصـار. كـانت منـازلهم بعيـدة من المسـجد. فـإذا صـلوا المغـرب كرهـوا أن ينصـرفوا، مخافـة أن تفـوتهم صـلاة العشـاء في الجماعـة. فكـانوا يصـلون مـا بين المغـرب والعشـاء. ويقـال: الـذي يصـلي العشـاء والفجـر بجماعـة. وقال أنس بن مالك: الذي يصلي ما بين المغرب والعشـاء وهو صلاة الليل كما جاء في الخبر. قال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «رَكْعَـةٌ فِي اللَّيْـلِ خَيْـرٌ مِنْ أَلْـفِ رَكْعَـةٍ فِي النَّهَارِ» قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا الخليـل بن أحمـد. قال: حدثنا السراج. قال: حدثنا إسحاق بن إبـراهيم. قـال: حدثنا أبو معاوية عن إبراهيم بن عبـد الـرحمن بن إسـحاق عن شـهر بن حوشـب عن أسـماء بنت يزيـد العبسـية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يُحْشَـرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فيسِـمعهمُ الـدَّاعِي وَيَنْفُـذُهُمْ البَصَرُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ سَـيَعْلَمُ أَهْـلُ الجَمْـعِ اليَـوْمَ مَنْ أوْلَى بِالكَرَمِ. فَأيْنَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ حَـالٍ؟ فَيَقُومُونَ وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابِ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَـادٍ: أيْنَ الَّذِينَ لا تُلْهِيهمْ تِجَـارَةٌ وَلاً بَيْـعٌ عَنْ ذِكْـرِ اللــه؟ فَيَقُومُـونَ، وَهُمْ قَلِيـلٌ فَيَـدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْـرِ حِسَـابٍ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أيْنَ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَـاجِعِ؟ وَهُمْ قَلِيلٌ فَيَدْخَلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَـابٍ. ثُمَّ يُـؤْمَرُ بِسَـائِرِ النَّاسِ فَيُحَاسَبُونَ». فذلك قـوله عز وجـل: {تتجـافى جُنُـوبُهُمْ عَنِ المضـاجع} يعـني: يصـلون بالليـل ويقومـون عن فرشـهم {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً} خوفاً من عذابه، وطمعـاً في رحمتـه {وَمِمَّا رزقنـاهم يُنفِقُـونَ} يعـني: يتصـدقون من أموالهم. يعني: صدقة التطوع، لأنـه قرنـه بصـلاة التطـوع. ويقال: يعـني: الزكـاة المفروضـة. والأول أراد بـه العشـاء والفجر.

ثم بيَّن ثـوابهم فقـال عـز وجـل: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم} يعـني: مـا أعـدّ لهم {مّن قُـرَّةِ أَعْيُنٍ} يعـني: من الثـواب في الجنـة. ويقـال: من طيبـة النفس. وروى أبـو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «يَقُـولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَـرَ عَلَى قَلْبِ بَشَـرٍ». قـال أبـو هريـرة اِقـرؤوا إن شـئتم {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مّن قُـرَّةِ أَعْيُنٍ}.

قال مقاتل: قيل لابن عبـاس، مـا الـذي أخفي لهم؟ قـال: في جنـة عـدن مـا لم يكن في جنـاتهم. قـرأ حمـزة {مَّا أُخْفِىَ} بسـكون اليـاء. وقـرأ البـاقون: بنصـبها. فمن قـرأ بالسكون فهو على معـنى الخـبر عن نفسـه. فكأنـه قـال: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم} ومن قـــرأ بالنصـــب فهـــو على فعل ما لم يسم فاعله على معنى أفعـل. وقـرئ في الشاذ {وَمَا أُخْفِىَ} يعني: {وَمَـا أُخْفِىَ اللـه عَزِيـزٌ عَرَّفَهَـا لَهُمْ} ثم قـال: {جَـزَاء بِمَـا كَـانُواْ يَعْمَلُـونَ} يعـني: جـزاء لأعمالهم.

قولـه عـز وجـل: {أَفَمَن كَـانَ مُؤْمِنـاً كَمَن كَـانَ فَاسِـقاً لاَّ يَسْتَوُونَ} يعني: لا يستوون عند الله عز وجل في الفضل. نزلت الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليـد بن عقبة بن أبي معيط. وذلك أنه جرى بينهمـا كلام. فقـال الوليد لعلي: بأي شيء تفاخرني؟ أنا والله أحد منك سناناً، وأبسـط منـك لسـاناً، وأملأ منـك في الكتيبـة عينـاً. يعـني: أكون أملأ مكانـاً في العسـكر. فقـال لـه علي رضـي اللـه عنه: اسكت فإنـك فاسـق فـنزل {أَفَمَن كَـانَ مُؤْمِنـاً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ}. وقال الزجاج: نزلت في عقبة بن أبي معيط. قال: ويجـوز في اللغـة لا يسـتويان. ولم يقـرأ. والقـراءة {لاَّ يَسْـتَوُونَ} ومعناهمـا: لا يسـتوي المؤمنـون والكافرون.

ثم بيّن مصير كلا الفريقين فقال تعالى: {أَمَّا الـذين ءامَنُوا} أي: أقروا بالله ورسوله والقرآن {وَعَمِلُوا الصالحات} يعني: الطاعات {فَلَهُمْ جنات المأوى نُزُلاً} يعني: يأوي إليها المؤمنون. ويقال: يأوي إليها أرواح الشهداء، وهو أصح في اللغة.

ثم قال: {نُزُلاً} يعني: رزقاً. والنزل في اللغة هو الرزق. ويقال: {نُزُلاً} يعني: منزلاً {بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بأعمالهم.

ثم بيّن مصير الفاسقين فقال: {وَأَمَّا الذين فَسَقُواْ} يعني: عصوا ولم يتوبوا {فَمَأْوَاهُمُ النار} فسقوا يعني: نافقوا وهو الوليد بن عتبة ومن كان مثل حاله {فَمَأْوَاهُمُ النار} يعني: مصيرهم إلى النار ومرجعهم إليها {كُلَّمَا أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا} يعني: من النار {أُعِيدُواْ فِيهَا} ويقال: إن جهنم إذا جاشت، ألقتهم في أعلى الباب. فطمعوا في الخروج منها، فتلقاهم الخزنة بمقامع فتضربهم، فتهوي بهم إلى قعرها {وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النار الذي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} وقال في آية أخرى: {فاليوم لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلاَ ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النار التى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} [سبأ: 42] بلفظ التأنيث. لأنه أراد به النار وهي مؤنثة. وهاهنا قال {الذي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} بلفظ التذكير لأنه أراد به العذاب وهو مذكر.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 24]

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآَيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22) وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآَيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)}

ثم قال عـز وجـل: {وَلَنُـذِيقَنَّهُمْ مّنَ العـذاب الادنى} وهـو المصـيبات والقتـل والجـوع {دُونَ العـذاب الاكـبر} وهـو عذاب النار. يعني: إن لم يتوبوا. ويقال: {العـذاب الادنى} هو السحر للفاسقين، والعذاب الأكـبر النـار إن لم يتوبـوا. ويقـال: {العـذاب الادنى} عـذاب القـبر. وقـال إبـراهيم: يعني: سنين جدب أصابتهم. وقال أبو العالية: مصيبات في الدنيا {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني: يتوبون.

قوله عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكّرَ بئايات رَبّـهِ} يعـني: وعـظ بآيـات ربـه القـرآن {ثُمَّ أَعْـرَضَ عَنْهَـا} يعـني: عن الإيمان بها فلم يـؤمن بهـا {إِنَّا مِنَ المجـرمين مُنتَقِمُـونَ} بالعذاب يعني: منتصرون.

ثم قال عـز وجـل: {وَلَقَـدْ ءاتَيْنَـا موسـى الكتـاب} يعـني: أعطينا موسى التوراة {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مّن لّقَائِهِ} قـال مقاتل: يعني: فلا تكن في شك من لقـاء موسـى التـوراة. فإن اللـه عـز وجـل ألقى عليـه الكتـاب. وقـال في روايـة الكلـبي: {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَـةٍ} من لقـاء موسـى عليـه السلام، فلقيه ليلة أسري به في بيت المقدس يعني: لقي النبي صلى الله عليه وسلم موسى هناك. ويقال: لقيه في السماء. وذكر الخبر المعروف أنه فرض على النـبي صـلى الله عليه وسـلم خمسـون صـلاة. فقـال لـه موسـى عليـه السلام: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيـف لأمتـك. فلم يـزل يرجع حتى حـطّ اللـه عـز وجـل إلى الخمس ويقـال: {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَـةٍ مّن لّقَائِهِ} يعـني: من لقـاء اللـه عـز وجـل وهـو البعث بعـد المـوت. ويقـال: {فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَـةٍ مّن لّقَائِهِ} يعني: لا تشكن أنك تلقى موسى يوم القيامة.

ثم قال عز وجل: {وجعلنـاه هُـدًى لّبَنِى إسـراءيل} يعـني: جعلنـا التـوراة بيانـاً لهم، وهـدى من الضـلالة. ويقـال: {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى} يعني: جعلنا موسى هاديـاً لبـني إسـرائيل يـدعوهم {وَجَعَلْنَـا مِنْهُمْ أَئِمَّةً} يعـني: وجعلنـا من بـني

إسرائيل قادة في الخير {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} يعني: يدعون الناس إلى أمر الله عز وجل {لَمَّا صَبَرُواْ} أي: حين صبروا ويقال: هو حكاية المجازاة، يعني لما صبروا جعلنا منهم أئمة ومن قرأ بالتخفيف {لِمَّا صَبَرُواْ} أي بكسر اللام والتخفيف. وقرأ الباقون بالنصب والتشديد. فمن قرأ بالتشديد {لَمَّا صَبَرُواْ} بما صبروا، وتشهد لها قراءة ابن مسعود، كان يقرأ {بِمَا صَبَرُواْ}. ويقال: معناه كما صبروا عن الدنيا، وصبروا على دينهم، ولم يرجعوا عنه. ويقال: معناه وجعلناهم أئمة بصبرهم {وَكَانُواْ بئاياتنا يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بالعلامات التي أعطي موسى.

تفسير الآيات رقم [25- 30]

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (30)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ} يعني: يقضي بينهم {يَوْمَ القيامة فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من الدين.

ثم خوّف كفار مكة فقال عز وجل: {أَوَ لَمْ *** يَهْدِ لَهُمْ} يعني: أو لم يبيِّن لهم الله تعالى. وقرئ في الشاذ {أَوَ لَمْ *** عَرَّفَهَا لَهُمْ} بالنون. وقرأ العامة بالياء.

{كَمْ أَهْلَكْنَا} يعني: أو لم نبين لهم الهلاك {مِن قَبْلِهِمْ مّنَ القرون} يعني: قوم لوط وصالح وهود {يَمْشُونَ فِى مساكنهم} يعني: يمرون في منازلهم {إِنَّ فِى ذَلِكَ

لاَيَاتٍ} يعني: في إهلاكهم لآيات لعـبرات {أَفَلاَ يَسْـمَعُونَ} أي: أفلا يسمعون المواعظ فيعتبرون بها.
ثم قـال عـز وجـل: {أَوَ لَمْ *** يَـرَوْاْ أَنَّا نَسُـوقُ المـاء إِلَى الارض الجـرز} يعـني: اليابسـة الملسـاء الـتي ليس فيهـا نبات. يقال: أرض جرز أي: أرض جدب لا نبات فيها. يقال: جرزت الجراد إذا أكلت، وتركت الأرض جرزاً {فَنُخْـرِجُ بِـهِ زَرْعاً} يعني: نخرج بالماء النبات {تَأْكُلُ مِنْهُ أنعامهم} أي: من الكلأ والعشب والتبن {وَأَنفُسِهِمْ} من الحبوب والثمار {أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} هذه العجائب فيوحِّدوا ربهم.
قوله عز وجل: {وَيَقُولُونَ متى هذا الفتح} قال مقاتل: أي مـتى هـذا القضـاء وهـو البعث؟ وقـال قتـادة: {الفتح} القضـاء. وقـال مجاهـد: {الفتح} يـوم القيامـة {إِن كُنتُمْ صادقين} تكـذيباً منهم يعنـون بـه النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم.
ثم قال عز وجل: {قُلْ} يا محمد {يَوْمَ الفتح} يعني: يـوم القيامـة {لاَ يَنفَـعُ الـذين كَفَـرُواْ إيمـانهم} قـال في روايـة الكلبي: إن أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كـانوا يتذاكرون فيما بينهم وهم بمكة قبـل فتح مكـة لهم. وكـان نـاس من بـني خزيمـة كـانوا إذا سـمعوا ذلـك منهم، يستهزئون بهم ويقولون لهم: متى فتحكم هـذا الـذي كنتم تزعمون؟ ويقولون: فنزل يعني: بـني خزيمـة. {مـتى هـذا الفتح} يا أصحاب محمد إن كنتم صادقين.
{قُلْ} يا محمد {يَوْمَ الفتح} أي: فتح مكة {لاَ يَنفَعُ الـذين كَفَرُواْ إيمانهم} من القتل {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} حتى يقتلـوا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسـلم لمـا فتح مكـة، بعث خالد بن الوليد إلى بني خزيمة، وقد كانت بينه وبينهم إحنة في الجاهلية. يعني: الحقد. فقالوا: قد أسلمنا. فقـال لهم: انزلوا. فنزلوا فوضع فيهم السلاح فقتل منهم، وأسر. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسـلم فقـال: «اللَّهُمَّ إنِّي أَبْـرَأُ

إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالَدُ بْنُ الوَلِيــدِ»؟ فبعث إليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالدية من غنـائمِ خيـبرٍ، فـذلك قولـه تعالى: {قُلْ يَوْمَ الفتح لاَ يَنفَعُ الـذين كَفَـرُواْ إيمـانهم} من القتل {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} يعني: يؤجلون.

ثم قال عز وجـل: {فَـأَعْرِضْ عَنْهُمْ} يـا محمـد {وانتظـر} لهم فتح مكة ويقال: العـذاب. {إِنَّهُمْ مُّنتَظِـرُونَ} بهلاكـك. وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أن النبي صـلى اللـه عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل، وتبـارك الـذي بيده الملك. وروى أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليــه وسلم أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الم السَّـجْدَة، وَتَبَـارَكَ الَّذِي بِيَـدِهِ المُلْكُ فَكَأَنَّمَـا أَحْيَى لَيْلَـةَ القَـدْرِ» واللـه أعلم وصـلى اللـه على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة الأحزاب

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{يَا أَيُّهَـا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِـعِ الْكَـافِرِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَـانَ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِـيرًا (2) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (3)}

قولـه تبـارك وتعـالى: {ياأيهـا النـبى اتـق اللـه وَلاَ تُطِـعِ الكـافرين} قـال مقاتـل: وذلـك أن أبـا سـفيان بن حـرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي، قدموا المدينـة بعـد أحـد، وبعـد الهدنـة. فمـروا على عبـد اللـه بن أبي المنافق. فقـام معهم عبـد اللـه بن أبي سـرح وطعمـة بن أبيرق. فجاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وسـلم. فقـالوا لـه: اتـرك ذكـر آلهتنـا. وقـل: إن لهـا شـفاعة في الآخـرة ومنفعة لمن عبدها، وندعك وربك. فشقّ ذلـك على النـبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنـه ائـذن لي في قتلهم. فقـال: «قَـدْ أَعْطَيْتُهُمُ الأَمَـانَ». فلم يـأذن لـه بالقتل وأمره بأن يخـرجهم من المدينـة. فقـال لهم عمـر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه. فنزل {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى اتـق اللـه} وقـال مقاتـل في روايـة الكلـبي: قـدموا على رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم بالمدينـة، فـنزلوا على عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير، وجد بن قيس، فتكلموا فيما بينهم. فلما اجتمعوا في أمر فيمـا بينهم، أتـوا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يدعونـه إلى أمـرهم، وعرضـوا عليه أشياءً فكرهها منهم. فهمّ بهم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم والمسـلمون أن يقتلـوهم فـنزل {مُّنتَظِـرُونَ ياأيها النبى اتق اللـه} ولا تنقض العهـد الـذي بينـك وبينهم

إلى المـــدةَ. {وَلاَ تُطِـــعِ الكـــافرين} من أهـــل مكـــة {والمنافقين} من أهل المدينة فيما دعوك إليه. ويقال: إن المسلمين أرادوا أن ينقضوا العهد فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لهم. فنزل {مُّنتَظِرُونَ ياأيها النبى اتق الله} في نقض العهد. وإنما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وأراده هو وأصحابه. ألا ترى أنه قال في سياق الآية: {إِنَّ اللـهِ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} ثم قال: {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً} بما اجتمعوا عليه {حَكِيماً} حيث نهاك عن نقض العهد وحكم بالوفاء.

قوله عز وجل: {واتبع مَا يوحى إِلَيْكَ مِن رَبّكَ} يعني: ما في القرآن {إِنَّ اللـهِ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} من وفاء العهد ونقضه {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله} يعني: ثق بالله، وفوض أمرك إلى الله تعالى {وكفى باللـه وَكِيلاً} يعني: حافظاً وناصراً. قرأ أبو عمرو: {بِمَا يَعْمَلُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون بالتاء على معنى المخاطبة يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 5]

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (5)}

قوله عز وجل: {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ} قال مقاتل: نزلت في جميل بن معمر، ويكنى أبا معمر. وكان حافظاً بما يسمع، وأهدى الناس للطريق. يعني: طريق البلدان وكان مبغضاً للنبي صلى الله عليه وسلم. وكان يقول: إن لي قلبين. أحدهما أعقل من قلب محمد

فنزل: {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ} وكان الناس يظنون أنه صادق في ذلك، حتى كان يوم بدر فانهزم، وهو آخذ بإحدى نعليه في أصبعه، والأخرى في رجله حتى أدركه أبو سفيان بن حرب. وكان لا يعلم بذلك، حتى أخبر أن إحدى نعليه في أصبعه، والأخرى في رجله. فعرفوا أنه ليس له قلبان. ويقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهى في صلاته، فقال المنافقون: لو أن له قلبين أحدهما في صلاته، والآخر مع أصحابه، فنزل {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ}.

وروى معمر عن قتادة قال: كان رجل لا يسمع شيئاً إلا وعاه. فقال الناس: ما يعي هذا إلا أن له قلبين. وكان يسمى ذا القلبين فنزلت هذه الآية. وروى معمر عن الزهري قال: بلغنا أن ذلك في شأن زيد بن حارثة. ضرب الله مثلاً يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك، كما لا يكون لرجل آخر من قلبين.

وذكر عن الشافعي أنه احتج على محمد بن الحسن قال: {مَّا جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مّن قَلْبَيْنِ} يعني: ما جعل الله لرجل من أبوين في الإسلام. يعني: لا يجوز أن يثبت نسب صبي واحد من أبوين. ولكن هذا التفسير لم يذعن به أحد من المتقدمين. فلو أراد به على وجه القياس لا يصح. لأنه ليس بينهما جامع يجمع بينهما. وذكر عن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما أن جارية كانت بين رجلين، جاءت بولد فادعياه. فقالا: إنه ابنهما يرثهما ويرثانه.

ثم قال عز وجل: {وَمَا جَعَلَ أزواجكم اللائى تظاهرون مِنْهُنَّ أمهاتكم} قرأ عاصم {تظاهرون} بضم التاء وكسر الهاء والألف. وقرأ ابن عامر: {تظاهرون} بنصب التاء والهاء وتشديد الظاء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: {تُظْهِرُونَ} بنصب التاء والهاء بغير ألف والتشديد. وقرأ حمزة والكسائي {تظاهرون} بنصب التاء والتخفيف مع

الألف. وهذه كلها لغات. يقال: ظاهر من امرأته، وتظـاهر، وتظهر بمعنى واحد. وهـو أن يقـول لهـا: أنت علي كظهـر أمي. فمن قرأ: {تُظْهِرُونَ} بالتشـديد، فالأصـل تظهـرون، فـأدغم إحـدى التـاءين في الظـاء وشـددت. من قـرأ {تظاهرون} فالأصل يتظاهرون فـأدغمت إحـدى التـاءين. ومن قـرأ بـالتخفيف حـذف إحـدى التـاءين، ولم يشـدد للتخفيـف كقولـه: {تُسْـأَلُونَ} والأصـل تتسـاءلون، والآيـة نزلت في شأن أوس بن الصـامت حين ظـاهر من امرأتـه وذكر حكم الظهار في سورة المجادلة.

ثم قال تعالى: {وَمَا جَعَـلَ أَدْعِيَـاءكُمْ أَبْنَـاءكُمْ} نـزلت في شأن زيد بن حارثة حين تبنّاه النبي صلى الله عليـه وسـلم قال: فكما لا يجوز أن يكون لرجل واحد قلبـان، فكـذلك لا يجوز أن تكون امرأته أمه، ولا ابن غيره يكون ابنه.

ثم قال: {ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بأفواهكم} يعني: قولكم الذي قلتم زيد بن محمد صلى الله عليه وسلم أنتم قلتموه بألسـنتكم {والله يَقُولُ الحق} يعني: يبيّن الحق، ويـأمركم بـه كي لا تنسبوا إليه غير النسبة {وَهُوَ يَهْـدِى السـبيل} يعـني: يـدلّ على طريق الحق. يقال: يدلّ على الصـواب بـأن تـدعوهم إلى آبائهم. وروى أبو بكر بن عياش عن الكلبي قال: كـان زيد بن حارثة مملوكاً لخديجة بنت خويلـد، فوهبتـه خديجـة من رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم فأعتقـه، وتبنـاه، فكـانوا يقولـون زيـد بن محمـد فـنزل قولـه: {ادعـوهم لاِبَائِهِمْ} يعـني: انسـبوهم لآبـائهم. فقـالوا: زيـد بن حارثـة {هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللـهِ} يعـني: أعـدل عنـد اللـه عـز وجـل {ادعوهم لاِبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ} يعني: إن لم تعلموا لهم آبـاء تنسبونهم إليهم {فَإِخوَانُكُمْ فِى الدين} أي: قولوا ابن عبد الله وابن عبـد الـرحمن {ومـواليكم} يعـني: قولـوا مـولى فلان. وكان أبو حذيفة أعتق عبداً يقـال لـه: سـالم وتبنـاه،

فكانوا يسمونه سالم بن أبي حذيفة. فلما نزلت هذه الآيــة سموه سالماً مولى أبي حذيفة.
ثم قال: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَـأْتُمْ بِـهِ} يعـني: أن تنسبوهم إلى غير آبائهم قبل النهي. ويقال: ما جــرى على لسانهم بعد النهي، لأن ألسنتهم قد تعودت بــذلك {ولكن الجناح فيما {مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُـوبُكُمْ} يعـني: قصـدت قلـوبكم بعد النهي.
وروي عن عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمـرو عن عبـد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: «تَجَـاوَزَ اللــه عَنْ أمَّتِي الخَطَـأَ وَالنِّسْـيَانَ وَمَـا اسْـتُكْرِهُوا عَلَيْـهِ». وروي عن سـعد بن أبي وقـاص أنـه حلـف بـاللات والعزى ناسياً. فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن ينفث عن يســاره ثلاثــاً، وأن يســتعيذ باللــه من الشــيطان الرجيم.
ثم قال: {وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} يعني: غفوراً لمن أخطأ ثم رجع {رَّحِيماً} بهم.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 8]

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِـالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِــهِمْ وَأَزْوَاجُــهُ أُمَّهَــاتُهُمْ وَأُولُــو الْأَرْحَــامِ بَعْضُــهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَــابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُـوا إِلَى أَوْلِيَـائِكُمْ مَعْرُوفًـا كَانَ ذَلِـكَ فِي الْكِتَـابِ مَسْـطُورًا (6) وَإِذْ أَخَـذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْـكَ وَمِنْ نُـوحٍ وَإِبْـرَاهِيمَ وَمُوسَـى وَعِيسَـى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (7) لِيَسْـأَلَ الصَّـادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (8)}
قولـه عـز وجـل: {النـبى أولى بـالمؤمنين مِنْ أَنْفُسِـهِمْ} يعني: ما يرى لهم رأياً فذلك أولى وأحسن لهم من رأيهم. ويقال: معناه النبي أرحم بالمؤمنين من أنفسهم {وأزواجه أمهاتهم} يعني: كأمهاتهم في الحرمـة. وذكـر عن أبي أنـه كان يقرأ {النـبى أولى بـالمؤمنين مِنْ أَنْفُسِـهِمْ} وهـو أب

لهم {وأزواجـه أمهـاتهم} {وَأُوْلُـو الارحـام بَعْضُـهُمْ أولى بِبَعْضٍ} قال في رواية الكلبي: إن رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم آخى بين النـاس. فكـان يـؤاخي بين الـرجلين. فإذا مات أحدهما ورثه البـاقي منهمـا دون عصـبته وأهلـه. فمكثوا في ذلك ما شاء الله حتى نزلت هذه الآية: {وَأُوْلُـو الارحـــام بَعْضُـــهُمْ أولى بِبَعْضٍ}. {فِى كتـــاب اللـــه مِنَ المؤمـــنين والمهـــاجرين} الـــذين آخى بينهم فصـــارت المـواريث بالقرابـات، وروي عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «أَنَـا وَلِيٌّ كُـلِّ مُسْـلِمٍ فَمَنْ تَـرَكَ مـالاً فَلِوَرَثَتِهِ، وَمَنْ تَـرَكَ دَيْنـاً فَـإِلَى اللـه وَإِلَى رَسُـولِهِ». فـأمر بصرف الميراث إلى العصبة.

ثم قال تعالى: {إِلاَّ أَن تَفْعَلُواْ إلى أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفاً} يعني: إلا أن يوصي له بثلث ماله. وقال مقاتل: كـان المهـاجرون والأنصار يرثون بعضهم من بعض بالقرابة، ولا يرث من لم يهاجر إلا أن يوصي للذي لم يهاجر. ثم نسـخ بمـا في آخـر سورة الأنفال.

ثم قال: {كَانَ ذلك فِى الكتاب مَسْطُورًا} يعني: هكذا كان مكتوباً في التوراة. ويقـال: في اللـوح المحفـوظ. ويقـال: في القرآن.

قولـه عـز وجـل: {وَإِذْ أَخَـذْنَا مِنَ النبـيين مِيثَـاقَهُمْ} وهـو الوحي الذي أوحى إليهم أن يدعوا الخلـق إلى عبـادة اللـه عز وجل، وأن يصدق بعضهم بعضاً. ويقـال: الميثـاق الـذي أخذ عليهم من ظهورهم. ويقال: كل نبي أمر بأن يأمر من بعده بأن يخبروا ببعث النبي صلى اللـه عليـه وسـلم حـتى ينتهي إليه.

ثم قال: {وَمِنْـكَ وَمِن نُّوحٍ} في هـذا تفضـيل رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، لأنـه قـد ذكـر جملـة الأنبيـاء عليهم السلام ثم خصّـه بالـذكر قبلهم، وكـان آخـرهم خروجـاً. ثم ذكر نوحاً لأنه كان أولهم. ثم ذكر إبراهيم وموسى وعيسى

ابن مريم صلوات الله عليهم لأن كل واحد منهم كان على أثر بعض.
فقال: {وإبـراهيم وموسـى وَعِيسَـى ابن مَـرْيَمَ} ثم قـال: {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ ميثاقا غَلِيظاً} يعني: عهـداً وثيقـاً أن يعبـدوا الله تعالى، ويدعوا الخلق إلى عبـادة اللـه عـز وجـل، وأن يبشروا كل واحد منهم بمن بعده.
ثم قال عز وجل: {لِّيَسْأَلَ الصادقين عَن صِـدْقِهِمْ} يعـني: أخـذ عليهم الميثـاق لكي يسـأل الصـادقين عن صـدقهم. يعني: يسأل المرسلين عن تبليغ الرسالة. ويسأل الـوفيّين عن وفائهم.
وروي في الخبر: أنه يسأل القلم يوم القيامة. فيقـول لـه: ما فعلت بأمانتي؟ فيقـول: يـا رب سـلمتها إلى اللـوح. ثم جعل القلم يرتعد مخافة أن لا يصدقه اللوح. فيسأل اللـوح بأن القلم قـد أدى الأمانـة، وأنـه قـد سـلم إلى إسـرافيل. فيقـول لإسـرافيل: مـا فعلت بأمـانتي الـتي سـلمها إليـك اللوح؟ فيقول: سلمتها إلى جبريـل. فيقـول لجبريـل عليـه السلام: مـا فعلت بأمـانتي. فيقـول: سـلمتها إلى أنبيائـك. فيسأل الأنبياء عليهم السـلام فيقولـون: قـد سـلمناها إلى خلقــك، فــذلك قولــه تعــالى: {لِّيَسْــأَلَ الصــادقين عَن صِدْقِهِمْ} {وَأَعَدَّ للكافرين عَذَاباً أَلِيماً} يعني: الذين كـذبوا الرسل قوله عز وجل:

تفسير الآية رقم [9]

{يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا اذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَـاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَـا وَكَـانَ اللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9)}
{يَأَيُّهَـا الـذين ءامَنُـواْ اذكـروا نِعْمَـةَ اللـه عَلَيْكُمْ} يعـني: احفظـوا منـة اللـه عليكم بالنصـرة. {إِذْ جَـاءتْكُمْ جُنُـودٌ}

يعني: الأحزاب. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، صالح بني قريظة وبني النضير على أن لا يكونوا عليه، ولا معه. فنقضت بنو النضير عهودهم، وأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم منها، وذكر قصتهم في سورة الحشر.

ثم إنّ بني قريظة جددوا العهد مع النبي صلى الله عليه وسلم. ثم إن حيي بن أخطب ركب، وخرج إلى مكة. فقال لأبي سفيان بن حرب: إن قومي مع بني قريظة وهم سبعمائة وخمسون مقاتلاً. فحثّه على الخروج إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم خرج من مكة إلى غطفان وحثهم على ذلك. ثم خرج إلى كنانة وحثهم على ذلك. فخرج أبو سفيان مع جماعة من أهل مكة. وخرج غطفان وبنو كنانة حتى نزلوا قريباً من المدينة مع مقدار خمسة عشر ألف رجل. ويقال: ثمانية عشر ألف رجل. ثم جاء حيي بن أخطب إلى بني قريظة. فجاء إلى باب كعب بن الأشرف وهو رئيس بني قريظة. فاستأذن عليه. فقال لجاريته: انظري من هذا؟ فعرفته الجارية فقالت: هذا حيي بن أخطب. فقال: لا تأذني له عليّ. فإنه مسؤوم إنه قد سأم قومه. يريد أن يسأمنا زيادة. فقالت له الجارية: ليس هاهنا فقال حيي بن أخطب بلى هو ثم ولكن عنده قدر جيش لا يحب أن يشركه فيها أحد. فقال كعب: أحفظني أخزاه الله. يعني: أغضبني ائذني له في الدخول. فدخل عليه. فقال له: يجيئُك مليكك، قد جئتك بعارض برد جئتك بقريش بأجمعها، وكنانة بأجمعها، وغطفان بأجمعها. لا يذهب هذا الفوز حتى يقتل محمد. فانقض الحلف بينك وبين محمد. فقال له كعب بن الأشرف: إن العارض ليسبب بنفحاته شيئاً. ثم يرجع وأنا في بحر لجي، لا أقدر على أن أريم داري ومالي. والله ما رأينا جاراً قط خيراً من محمد ما خفر لنا بذمة، ولا هتك لنا

ستراً ولا آذانا، وإنما أخشى أن لا يقتل محمد، وترجـع أنت وأقتل أنا. فقال لكم ما في التوراة إن لم يقتل محمداً في هذا الغـور، لأدخلنّ معكم حصـنكم، فيصـيبني مـا أصـابكم. فنقض الحلـف، وشـقّ الصـحيفة، فقـدم بنعيم بن مسـعود المدينـة، وكـان تـاجراً يقـدم من مكـة. فقـال: يـا محمـد شـعرت أن بـني قريظـة نقضـوا الحلـف الـذي كـان بينـك وبينهم. فقال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لَعَلَّنَا نَحْنُ أَمَرْنَاهُمْ بذلك». فقـال عمـر: إن كنت أمـرتهم بـذلك، وإن كنت تـأمرهم بـذلك، فقتـالهم علينـا هيّن. فقـال: «مَـا أَنـا بِكَذَّابٍ، ولكن الحَرْبَ خُدْعَةٌ».

ونعيم لم يسلم ذلك اليـوم. فبعث النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم سعد بن معاذ، وأسـيد بن حضـير، وسـعد بن عبـادة إلى كعب بن الأشـرف، يناشـدوه اللـه الحلـف الـذي كـان بينهم. وأن يرجعوا إلى ما كانوا عليه من قبـل. فـأبى كعب بن الأشـرف، وجـرى بينهم كلام. وسـبّ سـعد بن معـاذ. فقال أسيد بن حضير: أتسب سيدك معاذاً يا عدو الله؟ مـا هو لك بكفؤ. فقـال سـعد بن معـاذ: اللهم لا تميتـني حـتى أشفي نفسي منهم. فرجعـوا إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم فحدثوه الحديث.

فـانطلق نعيم بن مسـعود إلى أبي سـفيان. فقـال: يـا أبـا سفيان والله ما كذب محمد قط كذبـة. أخـبرني بأنـه أمـر بنقض الحلــف بينــه وبين بــني قريظــة. فقــال ســلمان الفارسي: إنا كنا يا رسـول اللـه بـأرض فـارس إذا تخوفنـا الجنود، خندقنا على أنفسـنا. فهـل لـك أن تخنـدق خنـدقاً؟ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهـل المدينـة، وخندق وأخـذ المعـول بيـده، فضـرب لكي يقتـدي النـاس. فضرب ضربةً فأبرق برقة، حتى ظهر ضوء بضربته.

ثم ضرب ضربة أخرى فأبرق برقة، ثم ضرب الثالثة فقـال سلمان: لقد رأيت أمراً عجيباً. لقـد رأيت ذلـك. قـال: نعم.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ رَأَيْتُ بِالأُولَى قُصُورَ الشَّامِ، وَبِالثَّانِيَةِ قُصُورَ كِسْرَى؛ وَبِالثَّالِثَةِ قُصُورَ اليَمَنِ. فهذه فُتُوحٌ يَفْتَحُ الله عَلَيْكُمْ». فقال ناس من المنافقين: يعدنا أن تفتح الشام، وأرض فارس، واليمن. وما يستطيع أحد منا أن يذهب إلى الخلاء. ما يعدنا إلا غروراً.

فمكث الجنود حول المدينة بضعة عشرة ليلة، فأرسل عيينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك إن أعطيتنا تمر المدينة هذه السنة، نرجع عنك بغطفان وكنانة، ونخلي بينك وبين قومك فتقاتلهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا». فقال: فنصف ذلك التمر. قال: «نعم». وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وهو سيد الأوس، وسعد بن عبادة وهو سيد الخزرج. فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة، والحارث بن عوف لرسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب لنا كتاباً. فدعى بصحيفة ليكتب بينهم. فقال سعد بن معاذ وسعد بن عبادة: يا رسول الله أوحي إليك في هذا شيء. فقال: «لا ولكنني رَأَيْتُ العَرَبَ رَمَتْكُمْ مِنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ أَرُدُّ هؤلاء وَأُقَاتِلُ هؤلاء» فقالا: ما رجون بهذا منها في الجاهلية قط أن يأخذوا منا تمرة واحدة إلا بشراء وقرًى. فحين زادنا الله بك، وأمدنا بك، وأكرمنا بك، نعطيهم الدنية. لا نعطيهم شيئاً إلا بالسيف. فشق النبي صلى الله عليه وسلم الصحيفة قال:

«اذْهَبُوا فَلا نُعْطِيكُمْ شَيْئاً إلاَّ بِالسَّيْفِ». فلما كان يوم الجمعة أرسل أبو سفيان إلى حييّ بن أخطب أن استعدَّ غداً إلى القتال فقد طال المقام هاهنا وقل لقومك يعدوا. فلما جاء بني قريظة الرسول، فقالوا: غداً يوم السبت لا

نقاتل فيه. فقال أبـو سـفيان: نحن نـؤخر القتـال إلى يـوم الأحد. هاتوا لنا رهوناً أبناءكم نثلج إليهم أي: نطمئن بذلك. فجاء رسـول أبي سـفيان إلى بـني قريظـة، وقـد أمسـوا، فقالوا: هذه الليلة لا يدخل علينا أحد، ولا يخـرج من عنـدنا أحد. فوقع في نفس أبي سفيان من قولٍ نعيم بن مسعود أنه خوان حق، وأن نقض العهد كان مكراً منهم.

فلمـا كـانت الليلـة ورسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصحابه عند الخندق فصلى رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ثلث الليل ثم قال: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ مَا يَفْعَلُ القَــوْمُ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ». فما تحـرك منهم أحـد. ثم صـلى الثلث الثاني فقال: «من رجل ينظر ما يفعل القوم» فمـا تحـرك منهم أحد ثم صلى ساعة، ثم هتف مرة أخرى، فما تحـرك منهم إنسان. فقال: «يَا حُذَيْفَةُ» فجاء حذيفة. فقال: «أَمَــا سَمِعْتَ كَلامِي مُنْذُ اللَّيْلَة». قال: بلى. ولكن بي من الجوع والقر يعني: الـبرد لم أقـدر على أن أجيبـك. قـال: «اذْهَبْ فَـانْظُرْ مـا فَعَـلَ القَـوْمُ، وَلاَ تَـرْمِي بِسَـهْمٍ، وَلاَ بِحَجَـرٍ، وَلاَ تَطْعَنْ بِرمْحٍ، وَلاَ تَضْرِبْ بِسَيْفٍ». فقال: ياً رسول الله إني لا أخشى أن يقتلوني، إني لميت. ولكن أخشـى أن يمثلـوا بي. فقال: «لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ». فلما قال هذا، قال حذيفة: آمنت وعـرفت أنـه لا بـأس علي. فلمـا ولى حذيفـة، قـال النبي صلى الله عليه وسـلم: «احْفَظْـهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ وَمِنْ خَلْفِـهِ وَعَنْ يَمِينِـهِ وَعَنْ شِـمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِـهِ وَمِنْ تَحْتِـهِ». فدخل حذيفة رضي الله عنه في عسـكر قـريش، فـإذا هم يصطلون يعني: مجتمعين على نار لهم. فجلس حذيفة في حلقة منهم. فقال: أتدرون ما يريد الناس غداً؟ قالوا: مـاذا يريدون؟ قال: يقولون: يعني: أهـل العسـاكر أين قـريش؟ أين سـادات النـاس وقـادتهم؟ فتجـيئون فيطرحـونكم في نحور العدو. فتقتلوا أو تفروا. فما زال ذلك الحديث يفشــو في العسكر.

ثم دخل عسكر بني كنانة. فقال: أتدرون ماذا يريـد النـاس غداً؟ قالوا: ماذا يريدون؟ قالوا: يقولون أين بنو كنانة؟ أين ذروة العرب؟ أين رمـاة الخنـدق؟ فتجيبـون. فيطرحـونكم في نحور العدو؟ فتقتلوا أو تفروا.
ثم دخل عسكر غطفان، فقال: أتـدرون مـاذا يريـد النـاس غداً؟ قولوا ماذا يريدون؟ قـال: يقولـون أين غطفـان؟ أين بنو فزارة بن حلاس الخيول؟ فتجيبون.
فيطرحونكم في نحور العدو. فتقتلوا أو تفروا.
قال: فبعث الله تعالى عليهم ريحاً شـديدة، فلم تـترك لهم خباء إلا قلعتـه، ولا إنـاء إلا أكفأتـه. وقلعت أوتـاد خيـولهم، وجالت الخيول بعضها في بعض. فقالوا فيما بينهم: لقد بدا محمد بالسـر. فالنجـاة النجـاة. فـركب أبـو سـفيان جملـه معقولاً، فما حلّ عقاله إلا بعد أن انبعث. قال حذيفـة: ولـو شئت أن أضـربه بسـيفي أو أطعنـه بـرمحي لفعلت. ولكن نهاني رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم. فـترحلوا كلهم وذهبوا.
فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه عن العساكر وما فعل اللـه عـز وجـل بهـا. فـنزل {الجحيم يَأَيُّهَـا الـذين ءامَنُـواْ اذكـروا نِعْمَـةَ اللـه عَلَيْكُمْ} في الـدفع عنكم {إِذْ جَـاءتْكُمْ جُنُـودٌ} من المشـركين {فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحـاً} شـديدة {وَجُنُـوداً لَّمْ تَرَوْهَـا} من الملائكـة. وذلـك كـبرت حوالي العسـكر حـتى انهزمـوا حين هبت بهم الـريح، وهي ريح الصبا. وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليـه وسلم أنه قال: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَـادٌ بِالـدَّبُورِ» ثم قـال تعـالى: {وَكَـانَ اللـه بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيراً} في أمـر الخندق.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 17]

{إِذْ جَــاءُوكُمْ مِنْ فَــوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْــفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَـارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُـوبُ الْحَنَـاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَـا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ مَـا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُـولُهُ إِلَّا غُـرُورًا (12) وَإِذْ قَـالَتْ طَائِفَـةٌ مِنْهُمْ يَـا أَهْـلَ يَثْـرِبَ لَا مُقَـامَ لَكُمْ فَـارْجِعُوا وَيَسْـتَأْذِنُ فَرِيـقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِـرَارًا (13) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِـيرًا (14) وَلَقَـدْ كَـانُوا عَاهَـدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْـدُ اللَّهِ مَسْـئُولًا (15) قُـلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِــرَارُ إِنْ فَــرَرْتُمْ مِنَ الْمَــوْتِ أَوِ الْقَتْــلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُـونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) قُـلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِـمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُـوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَـةً وَلَا يَجِـدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (17)}

قولـه عـز وجـل: {إِذْ جـاؤوكم مّن فَـوْقِكُمْ} يعـني: أتـاكم المشــركون من فــوق الــوادي. يعــني: طلحــة بن خويلــد الأسدي {وَمِنْ أَسْـفَلَ مِنكُمْ} من قبـل المغـرب وهـو أبـو الأعــور الســلمي. ويقــال: {مّن فَــوْقِكُمْ} أي: من قبــل المشـرق، مالـك بن عـوف، وعيينـة بن حصـن الفـزاري، ويهود بني قريظة. {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ} أبو سـفيان. فلمـا رأى ذلـك قـالوا: {وَإِذْ زَاغَتِ الابصـار} يعـني: شخصـت الأبصـار فوقـاً يعـني: أبصـار المنـافقين، لأنهم أشـد خوفـاً كأنهم خشب مسندة {وَبَلَغَتِ القلوب الحناجر} خوفاً، هذا على وجه المثـل. ويقـال: اضـطراب القلب يبلـغ الحنـاجر. ويقال: إذا خاف الإنسان، تنتفخ الرئـة، وإذا انتفخت الرئـة، يبلغ القلب الحنجرة. ويقال للجبان: منتفخ الرئة.

{وَتَظُنُّونَ بالله الظنونا} يعني: الإياس من النصرة. يعـني: ظننتم أن لن ينصر الله عز وجل محمـداً صـلى اللـه عليـه وسلم، قرأ ابن كثير والكسائي وعاصـم في روايـة حفص:

الظنـون بـالألف عنـد الوقـف، ويطرحونهـا عنـد الوصـل. وكذلك في قولـه {يَـوْمَ تُقَلَّبُ وُجُـوهُهُمْ فِى النـار يَقُولُـونَ ياليتنآ أَطَعْنَا اللـه وَأَطَعْنَـا الرسـولا} [الأحـزاب: 66] وقـرأ نـافع وابن عـامر وعاصـم في روايـة أبي بكـر: بـالألف في حال الوصل والوقف. وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحـالتين جميعـاً. فمن قـرأ بـالألف في الحـالين، فلاتبـاع الخــط. لأن في مصــحف الإمــام وفي ســائر المصــاحف بالألف. ومن قرأ بغير ألف فلأن الألـف غـير أصـلية، وإنمـا يسـتعمل هـذه الألـف الشـعراء في القـوافي. وقـال أبـو عبيدة: أحب إلي في هذه الحروف أن يتعمد الوقف عليهـا بالألف، ليكون متبعاً للمصحف، واللغة.

ثم قال عـز وجـل: {هُنَالِـكَ ابتلى المؤمنـون} يعـني: عنـد ذلك اختبر المؤمنون. يعني: أمروا بالقتال والحضور. وكان في ذلك اختباراً لهم {وَزُلْزِلُواْ زِلْـزَالاً شَـدِيداً} أي: حركـوا تحريكاً شديداً واجتهدوا اجتهاداً شديداً.

{وَإِذْ يَقُولُ المنافقون والذين فِى قُلُـوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَـدَنَا الله وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً} وهم لم يقولوا رسول اللـه، وإنمـا قالوا باسمه. ولكن الله عز وجل ذكره بهذا اللفظ.

قوله عز وجل: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مّنْهُمْ} يعني: جماعة من المنـافقين {مّنْهُمْ ياأهـل. يَثْـرِبَ} يعـني: يـا أهـل المدينـة وكان اسم المدينة يثرب، فسماها رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم المدينة {لاَ مُقَامَ لَكُمْ} قـرأ عاصـم في روايـة حفص: بضـم الميم. وقـرأ البـاقون: بالنصـب. فمن يقـرأ بالضـم فمعنـاه لا إقامـة لكم. ومن قـرأ بالنصـب، فهـو بالمكان أي: لا مكان لكم تقومون فيه، والجمع المقامـات. وكان أبو عبيدة يقرأ بالنصب، لأنه يحتمل المقام والمكــان جميعـاً. يعـني: أن المنـافقين قـالوا: خوفـاً ورعبـاً منهم: لا مقام لكم عند القتال.

{فارجعوا} يعني: فانصرفوا إلى المدينة {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيـقٌ مّنْهُمُ النبى} وهم بنو حارثة وبنو سـلمة، وذلـك أن بيـوتهم كانت من ناحية المدينة {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَـا عَـوْرَةٌ} يعـني: ضائعة، نخشى عليها السراق.
ويقال: معناه أن بيوتنا ممـا يلي العـدو، وإنـا لا نـأمن على أهالينا. وقـال القتـبي: أصـل العـورة مـا ذهب عنـه السـتر والحفظ. وكان الرجال ستراً وحفظاً للـبيوت. فقـالوا: {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} يعني: خالية والعرب تقول: اعور منزلـك أي: إذا سقط جداره.
يقول اللـه تعـالى: {وَمَـا هِىَ بِعَـوْرَةٍ} لأن اللـه عـز وجـل يحفظها، يعني: وما هي بخالية {إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً} أي: ما يريدون إلا فراراً من القتال.
ثم قال: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مّنْ أَقْطَارِهَا} يعني: لـو دخـل العسـكر من نـواحي المدينـة {ثُمَّ سُـئِلُواْ الفتنـة} يعـني: دعـوهم إلى الشـرك {لآتَوْهَـا} قـرأ ابن كثـير ونـافع وابن عامر: {لأتَوْهَا} بالهمزة بغـير مـد. وقـرأ البـاقون: بـالهمز والمد. فمن قرأ بالمد {لآتَوْهَا} يعني: لأعطوهـا. ومن قـرأ بغير مـد معنـاه صـاروا إليهـا وجاؤوهـا وكلاهمـا يرجـع إلى معنى واحد يعني: لو دعوا إلى الشرك لأجابوا سريعاً.
{وَمَا تَلَبَّثُـواْ بِهَـا إِلاَّ يَسِـيراً} أي: ومـا تحسـبوا بالشـرك إلا قليلاً. يعني: يجيبوا سريعاً. ويقال: لو فعلوا ذلـك لم يلبثـوا بالمدينة إلا قليلاً.
ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ كَانُواْ عاهدوا الله مِن قَبْلُ} يعني: من قبـل قتـال الخنـدق حين كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بمكـة، خـرج سـبعون رجلاً من المدينـة إلى مكـة. فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبـة إلى السبعين، فبـايعهم وبـايعوه. فقـالوا للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: اشـترط لربـك ولنفسـك مـا شـئت. فقـال: «أشْتَرِطُ لِرَبِّي أَنْ تَعْبُـدُوهُ ولا تُشْـرِكُوا بـهِ شَـيْئاً وأشْـتَرِطُ

لِنَفْسِـي أَنْ تَمْنَعُـونِي مِمَّا مَنَعْتُمْ بـه أَنْفُسَـكُمْ وَأَوْلادَكُمْ». فقالوا: قد فعلنا ذلك. فما لنا؟ قال عليه السلام: «لكم النصرة في الدنيا، والجنة في الآخرة». قالوا: قد فعلنا ذلك، فذلك قوله: {وَلَقَدْ كَانُواْ عاهدوا اللـه مِن قَبْـلُ} {لاَ يُوَلُّونَ الادبـار} منهـزمين {وَكَـانَ عَهْـدُ اللـه * مَسْـؤُولاً} يعني: يسأل في الآخرة من ينقض العهد.

قوله عـز وجـل: {قُـل لَّن يَنفَعَكُمُ الفـرار إِن فَـرَرْتُمْ مّنَ الموتِ أَوِ القتل وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} أي: لا تؤجلون إلا يسيراً، لأن الدنيا كلها قليلة. ثم قال عز وجل: {قُلْ مَن ذَا الـذى يَعْصِـمُكُمْ مّنَ اللـه} يعـني: يمنعكم من قضـاء اللـه وعذابـه {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُـوءاً} يعـني: القتـل {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} أي: عافيـة. ويقـال: {سُـوءا} يعـني: الهزيمـة {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} يعني: خيراً. وهو النصر. يعـني: من يقـدر على دفع السوء عنكم وجـر الخـير إليكم {وَلاَ يَجِـدُونَ لَهُمْ مّن دُونِ الله وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً} يعني: قريباً ومانعاً.

تفسير الآيات رقم [18- 22]

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَـأْتُونَ الْبَـأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِـحَّةً عَلَيْكُمْ فَـإِذَا جَـاءَ الْخَـوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُـرُونَ إِلَيْكَ تَـدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَـى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَـلَقُوكُمْ بِأَلْسِـنَةٍ حِـدَادٍ أَشِـحَّةً عَلَى الْخَيْـرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُـوا فَأَحْبَـطَ اللَّهُ أَعْمَـالَهُمْ وَكَـانَ ذَلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِـيرًا (19) يَحْسَـبُونَ الْأَحْـزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْـرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَـانَ يَرْجُـو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْـزَابَ قَـالُوا هَـذَا مَـا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22)}

قوله عز وجل: {قَدْ يَعْلَمُ الله المعوقين مِنكُمْ} يعني: يرى المثبطين منكم، المانعين من القتال منكم وهم المنافقون {وَالقائلين لإخـوانهم} يعـني: لأوليـائهم وأصـدقائهم {هَلُمَّ إِلَيْنَـا} يعـني: ارجعـوا إلينـا إلى المدينـة، وهـذا بلغـة أهـل المدينة، يقولـون للواحـد وللاثـنين والجماعـة: هلم وسـائر العرب تقول للجماعة: هلموا.

ثم قال: {وَلاَ يَـأْتُونَ البـأسَ إِلاَّ قَلِيلاً} وذلـك أن المنـافقين كانوا يقولون: إن لنـا شـغلاً، فـيرجعون إلى المدينـة، فـإذا لقيهم أحد بالمدينـة من المؤمـنين يقولـون: دخلنـا لشـغل ونريد أن نرجع. وإذا لقوا أحداً من المنـافقين يقولـون: أي شـيء تصـنعون هنـاك؟ ارجعـوا إلينـا {وَلاَ يَـأْتُونَ البـأس} يعني: ولا يحضرون القتال إلا قليلاً، رياءً وسمعةً. ولـو كـان ذلك للـه لكـان كثـيراً وهـذا كقولـه: {وَلاَ يَـذْكُرُونَ اللـه إِلاَّ قَلِيلاً}.

ثم قال عز وجل: {أَشِـحَّةً عَلَيْكُمْ} يعـني: أشـفقة عليكم، حباً لكم حتى يعوقكم يا معشر المسـلمين. ويقـال: يعـني: بخلاء في النفقة عليكمْ ويقال: فيه تقديم. فكأنه يقول: ولا يأتون البأس شـفقة عليكم أي: لم يحضـروا شـفقة عليكم {إلاَّ قَلِيلاً} يعني: لا قليلاً ولا كثيراً.

{فَإِذَا جَاء الخوف} يعني: خـوف القتـال {رَأَيْتَهُمْ يَنظُـرُونَ إِلَيْكَ} من الخوف {تَـدورُ أَعْيُنُهُمْ كالـذى يغشـى عَلَيْـهِ مِنَ الموت} يعني: تدور أعينهم كـدوران الـذي هـو في غشيـان الموت، ونزعاته جبناً وخوفاً {فَإِذَا ذَهَبَ الخـوف} وجـاءت قسمة الغنيمة {سَلَقُوكُم} يعـني: رمـوكم. ويقـال: طعنـوا فيكم {بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} يعني: سلاط باسطة بالشر {أَشِـحَّةً عَلَى الخير} يعني: حرصاً على الغنيمـة. ويقـال: بخلاً على الغنيمــة {أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُــواْ} يعــني: لم يصــدقوا حــقّ التصديق {فَأَحْبَطَ الله أعمالهم} يعـني: أبطـل اللـه ثـواب

أعمـالهم. {وَكَـانَ ذلـك عَلَى اللـه يَسِـيراً} يعـني: إبطـال أعمالهم. ويقال: عذابهم في الآخرة علي الله هيّن.
ثم قال عز وجل: {يَحْسَـبُونَ الاحـزاب لَمْ يَـذْهَبُواْ} يعـني: يظنـون أن الجنـود لم يـذهبوا من الخـوف والـرعب {وَإِن يَأْتِ الاحـزاب} مـرة أخـرى. ويقـال: حكايـة عن الماضـي {يَـوَدُّواْ لَـوْ أَنَّهُمْ بَـادُونَ فِى الاعـراب} يعـني: تمنـوا أنهم خارجون في البادية مـع الأعـراب {يَسْـأَلُونَ عَنْ أَنبَـائِكُمْ} يعني: عن أخبـاركم وأحـاديثكم {وَلَـوْ كَـانُواْ فِيكُمْ} يعـني: معكم في القتال {مَّا قَاتَلُواْ إِلاَّ قَلِيلاً} رياءً وسمعةً من غير حسبة. وقرئ في الشاذ {يُسَّئَلُونَ} بتشديد السين وأصـله يتســاءلون أي: يســأل بعضــهم بعضــاً. وقــراءة العامــة {يُسْـئَلُونَ} لأنهم يسـألون القـادمين. ولا يسـأل بعضـهم بعضاً.
قولـه عـز وجـل: {لَّقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِى رَسُـولِ اللـه أُسْـوَةٌ حَسَنَةٌ} قرأ عاصم {أُسْـوَةٌ} بضـم الألـف. وقـرأ البـاقون: بالكسر. وهما لغتان ومعناهما واحد. يعـني: لقـد كـان لكم اقتداءً بالنبي صلي الله عليه وسلم وقـدوة حسـنة، وسـنة صالحة، لأنه كان أسبقهم في الحرب.
وكسرت رباعيته يوم أحـد. وَوَاسَـاكُمْ بنفسـه في مـواطن الحرب.
{لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله} يعني: يخاف الله عز وجل {واليـوم الاخـر وَذَكَـرَ اللـه كَثِـيراً} باللسـان {وَلَمَّا رَأَى المؤمنـون الاحزاب} يعني: الجنود يوم الخندق والقتال {قَالُواْ هذا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ} في سورة البقرة وهو قوله عز وجل: {وَمِنَ الناس مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابتغآء مَرْضَـاتِ اللـه واللـه رَءُوفٌ بالعبـاد} [البقـرة: 214] الآيـة. ويقـال: إنـه قـد أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه نـازل ذلـك الأمـر. فلما رأوه {قَالُواْ هذا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ} {وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًـا وَتَسْـلِيماً} يعـني: لم يـزدهم

الجهد والبلاء إلا تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم وَجُرْأَةً {وَتَسْلِيماً} يعني: تواضعاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم نعت المؤمنين.

تفسير الآيات رقم [23- 27]

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (27)}

فقال عز وجل: {مّنَ المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عاهدوا الله عَلَيْهِ} يعني: وفوا بالعهد الذي عاهدوا ليلة العقبة {فَمِنْهُمْ مَّن قضى نَحْبَهُ} يعني: أجله فمات. أو قتل على الوفاء. يعني: وفاء بالعهد. وقال القتبي: النحب في اللغة النذر. وذلك أنهم نذروا، إذا لقوا العدو أن يقاتلوا فقتل في القتال، فسمي قتله قضاء نحبه، واستعير النحب مكان الموت. وقال مجاهد: النحب العهد.

وروى عيسى بن طلحة قال: جاء أعرابي فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين قضوا نحبهم فأعرض عنه. وطلع طلحة بن عبيد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ». ثم قال عزّ وجلّ: {وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ} يعني: ينتظر أجله {وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً} يعني: ما غيّروا بالعهد الذي عهدوا تغييراً.

ثم قال عز وجل: {لّيَجْزِىَ الله الصادقين بِصِدْقِهِمْ} يعني: الوافين بوفائهم {وَيُعَذّبَ المنافقين} يعني: إذا ماتوا على

النفاق {إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} يعني: يقبل توبتهم إن تابوا {إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} لمن تاب منهم رحيماً بهم قوله عز وجل: {وَرَدَّ الله الذين كَفَرُواْ} يعني: صدهم وهم الكفار الذين جاؤوا يوم الخندق {بِغَيْظِهِمْ} يعني: صرفهم عن المدينة مع غيظ منهم {لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً} يعني: لم يصيبوا ما أرادوا من الظفر والغنيمة {وَكَفَى الله المؤمنين القتال} يعني: دفع الله عنهم مؤنة القتال حيث بعث عليهم ريحاً وجنوداً.

{وَكَانَ الله قَوِيّاً عَزِيزاً} فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق دخل المدينة، ودخل على فاطمة رضي الله عنها، وأراد أن يغسل رأسه. فجاءه جبريل عليه السلام: وقال: لا تغسل رأسك، ولكن اذهب إلى بني قريظة. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقال: إن جبريل عليه السلام قال له حين وضع سلاحه: وضعت سلاحك؟ قال: «نعم» قال: ما وضعت الملائكة عليهم السلام سلاحها بعد، وقد أمرك الله عز وجل أن تنهض نحو بني قريظة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فقال: «عَـزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ لا تُصَلُّوا العَصْرَ إلاّ بِبَنِي قُرَيْظَة». فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه وخرج المسلمون معه، واللواء في يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فمر على بني عدي وبني النجار وقد أخذوا السلاح. فقال: «مَنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَلْبَسُوا السِّلاحَ». فقالوا: دحية الكلبي. وكان جبريل عليه السلام يتمثل في صورته.

فلما جاء بني قريظة، وجد بعض الصحابة قد صلوا العصر قبل أن يأتوا بني قريظة مخافة أن تفوتهم عن وقتها، وأبى بعضهم فقالوا: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي حتى نأتي بني قريظة. فلم ينتهوا إلى بني قريظة حتى غابت الشمس، ولم يصلوا العصر. قال: فلم يؤنب أحداً من الفريقين، أي: رضي بما فعل الفريقان

جميعاً. وفيه دليل لقول بعض الناس: إن لكل مجتهد نصيب.
فجاء علي رضي الله عنه باللواء حتى غرزه عند الحصن. فسبت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ورجع إليه علي رضي الله عنه، فقال: تأخر يا رسول الله ونحن نكفيك فيهم. قال: «سَبُّونِي وَلَوْ كَانُوا دُونِي لَمْ يَسُبُّونِي». فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا إِخْوَةَ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيرِ انزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللهِ وحُكْمِ رَسُولِهِ». فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً. ورجع حيي بن أخطب من الروحاء، وقد ذكر يمينه التي حلف بها لكعب بن الأشرف، ودخل معهم في حصنهم، ونزل بنو سعد بن شعبة أسد وثعلبة، فأسلموا. وأبى من بقي.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة بن عبد المنذر: «اذْهَبْ فَقُلْ لِحُلَفَائِكَ وَمَوَالِيكَ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلامَ». فجاءهم أبو لبابة. فقال: انزلوا على حكم الله ورسوله. فقالوا: يا أبا لبابة نصرناك يوم بعاث، ويوم الحدائق والمواطن كلها التي كانت بين الأوس والخزرج، ونحن مواليك وحلفاؤك، فانصح لنا ماذا ترى؟ فأشار إليهم ووضع يده على حلقه يعني: الذبح. فقالوا: لا تفعل يعني: لا ننزل. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «خنت الله ورسوله». فقال: نعم.
فانطلق فربط نفسه بخشبة من خشب المسجد حتى تاب الله عليه، والتمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجده. فقالوا: إنه قد ربط نفسه بخشبة من خشبة المسجد. فقال: «لَوْ جَاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ فأمَّا إذ رَبَطَ نَفْسَهُ فَدَعُوهُ حَتَّى يَتُوبَ الله عَلَيْهِ». ثم أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فحلّه، فقال كعب بن أسد لأصحابه من بني قريظة: أما تعلمون أنه قد جاءنا ابن فلان اليهودي

من الشام؟ فقال لنـا: جئتكم لنـبي ينتهي إلى هـذه الأرض من قريش، وأنه يبعث بالذبح والقتل والسب، فلا يهـولنكم ذلك، وكونوا أولياءه وأنصاره. فقالوا: لا نكون تبعـاً لغيرنـا، نحن أهل الكتاب والنبـوة، لا نتبـع قومـاً أمـيين مـا درسـوا كتاباً قط، فلا نفعل.

فقال كعب بن أسد: أطيعوني في إحدى ثلاث: قـالوا: ومـا هي؟ فقـال: إنكم لتعرفـون أنـه رسـول اللـه. فـاتبعوه، وانصروه، وكونوا أنصـاره وأوليـاءه. فقـالوا: لا نكـون تبعـاً لغيرنا.

فقال: إما إذا أبيتم، فإن هذه ليلـة السـبت، هم يـأمنونكم، انزلوا إليهم فبيتوهم حتى تقتلوهم. فقالوا لا نكسر سـبتنا. فقد كسر قوم من بـني إسـرائيل سـبتهم، فمسـخهم اللـه تعالى قردة وخنازير. قال: فـإن أبيتم هـذا. فـإذا كـان يـوم الأحد فاقتلوا أبناءكم ونساءكم. ثم انزلـوا إليهم بأسـيافكم فقـاتلوهم حـتى تموتـوا كرامـاً. فقـالوا: لا نفعـل. فلبثـوا خمسة عشر ليلة محاصرين. فقال رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم: «عَلَى حُكْمِ مَنْ تَنْزِلُـونَ؟» قـالوا: نـنزل على حكم سعد بن معاذ. فأرسل رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إلى سـعد بن معـاذ، وكـان جريحـاً قـد رمتـه بـني قريظة، فأصاب أكحله، فدعا الله تعـالى أن لا يميتـه حـتى يشفي صدره من بني قريظة. فأتي به على حمـار، فتبعـه قوم كان ميلهم إلى بني قريظة، وكانوا يقولون لـه: يـا أبـا عمرو أحسن في حلفائك ومواليك، إن رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم يحب البقية وقد نصروك يوم بعاث، ويـوم حـدائق، فلم يكلمهم حـتى نظـر إلى بيـوت بـني قريظـة. فقـال سـعد: قـد آن لي أن لا أخـاف في اللـه لومـة لائم. فعرفـوا أنـه سـوف يقتلهم. فرجعـوا عنـه. فلمـا دنـا من رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال النـبي صـلى اللـه عليه وسـلم: لمن حولـه: «قُومُـوا إِلَى سَـيِّدِكُمْ فَـأَنْزِلُوهُ».

فقـام إليـه الأنصـار، فـأنزلوه. فقـال: «احْكُمْ فِيهِمْ يَـا أبـا عَمْرٍو». فقال سعد لليهود: أترضـون بحكمي؟ قـالوا: نعم. فقال: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه؟ قالوا: نعم. فـالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهـاب أن يخاطب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، فقـال: وَعَلَيَّ مِنْ هَاهُنَـا مثـل ذلـك، وإنـه ليغض بصـره عن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وســلم: «نَعَمْ نَعَمْ وَعَلَيْنَا». فقال لبني قريظة: انزلـوا فلمـا نزلـوا. قال: احكم فيهم يا رسول الله أن تقتل مقاتليهم، وتســبي ذراريهم، وتقسـم أمـوالهم. فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: «لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ مَنْ فَوْقَ سَبْعَةِ أَرْقِعَـةٍ». فـأتى حيي بن أخطب مأسوراً في حلة. فجاءه رجل من الأنصار، فـنزع رداءه، فبقي في إزاره، فجعـل يمـزق إزاره لكي لا يلبسه أحد وهو يقول: لا بأس بأمر الله. فلما جاء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: «ألَمْ يُمَكِنِّي اللـه مِنْكَ يَا عَدُوَّ اللـه» فقـال: بلى ومـا ألـوم نفسـي فيـك قـد التمست العز في مظانه، وقلقلت في كـل مقلقـل، فـأبى الله إلا أن يمكّنك مني. فأمر بضرب عنقه.

ثم جاؤوا بعزاز بن سموأل فقال: «أَلَمْ يُمْكِنِّي اللـه مِنْـكَ» فقال: بلى يا أبا القاسم، فضرب عنقه.

ثم قـال لسـعد: " عَلَيْـكَ بِمَنْ بَقِيَ ". وقـال: " لاَ تَجْمَعُـوا عَلَيْهِمْ حَرَّيْنِ حَرَّ الهَاجِرَةِ، وَحَرَّ السَّيْف ". فحسـبهم كـذلك في دار الحارث، وفي بعض الروايات ببيت خراب».

ثم أخــرجهم رسـلاً فقتلهم على الــولاء والــترتيب. فقــال بعضـهم لبعض: مـا تـراهم يصـنعون بنـا؟ فقـال واحـد: ألا تعقلون أنهم يقتلون؟ ألا ترون أن الداعي لا يسكت؟ ومن ذهب لا يرجع؟ فقتلوا كلهم ولم يسلم أحد منهم.

كـان فيهم رجـل يقـال لـه: زبـير بن باطـا. فكلم ثـابت بن قيس بن شماس رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم في

أمره فقال: إن الزبير بن باطا لـه عنـدي يـد، وقـد أعـانني يوم بعاث فهبهُ لي يا رسول الله حتى أعتقـه. فقـال عليـه السلام: " هُوَ لَكَ ". فجاء إليه. فقال: يـا أبـا عبـد الـرحمن أتعرفني؟ قال: نعم. وهل ينكر الرجل أخاه، أنت ثــابت بن قيس. قال: أتذكر يداً لك عندي يوم بعاث؟. قـال: نعم. إن الكريم يجزي باليد، فاجز بها. فقال: قد وهبك النبي صــلى الله عليه وسلم لي، وقد أعتقتك. قال: شـيخ كبـير لا أهـل له كيف يعيش. فجاء ثابت إلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم، فكلّمه في أهله، فقـال: " لَـكَ أَهْلُـهُ ". فجـاء إليـه. فقال: قـد وهب لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أهلك فهي لك. فقـال: شـيخ كبـير أعمى وامـرأة ضـعيفة، وأطفال صغار لا مال لهم كيف يعيشون؟ فقـام ثـابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله ماله. فقال: " لَكَ مَالُهُ ". فجاء إليه. فقال: قـد وهب لي رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم مالك لي فهو لك. فقال: فما فعلت بكعب بن أسد الذي وجهه كأنه مرآة صينية تـتراءى فيهـا عـذارى الحي؟ قال: قتل. قال: فما فعل بعـزاز بن سـموأل مقـدم اليهود إذا حملوا وحاميهم إذا انصـرفوا؟ قـال: قتـل. قـال: فما فعل بسـيد الحاضـر والبـادي حـيي بن أخطب يحملهم في الحـرب ويطعمهم في المحـل؟ قـال: قتـل. قـال فمـا فعل بفلان وفلان؟ قال: قتل. قال: فقال يا ابن الأخ لا خير في الحياة بعد أولئك ألا أصبر فيه قدر فراغ دلو مـاء حـتى ألقى الأحبة. قال أبو بكر: ويلك يا ابن باطـا، واللـه مـا هـو إفراغ دلو ماء، ولكنه عذاب اللـه أبـداً. يـا ابن الأخ قـدمني إلى مصارع قومي، فاضرب ضربة أجهـز بهـا، وأرفـع يـدك عن العصام، وألصق بالرأس. فإن أحسن الجسد أن يكون فيه شيء من العنق. فقال ثابت: ما كنت لأقتلك. قال: مـا أبـالي من قتلـني. فتقـدم رجـل من أصـحاب رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم فضرب عنقه.

وغنم الله عز وجل رسوله أموال بني قريظة، وذراريها، فقسمها بين المسلمين.
فنزل قوله تعالى: {وَأَنـزَلَ الـذين ظاهروهم} يعني: عاونوهم {مّنْ أَهْلِ الكتاب} وهم بنو قريظة {مِن صَيَاصِيهِمْ} يعني: من قصورهم، وحصونهم، وأصل الصياصي في اللغة: قرون الثور لأنه يتحصن به. فقيل: للحصون صياصي لأنها تمنع.
ثم قال: {وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرعب} حين انهزم الأحزاب {فَرِيقاً تَقْتُلُونَ} يعني: رجالهم {وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً} تسبون طائفة وهم النساء والصبيان. قال مقاتل: قتل أربعمائة وخمسون رجلاً، وسبي من النساء والصبيان ستمائة وخمسون. وقال في رواية الكلبي: كانوا سبعمائة فقسمها بين المهاجرين.
ثم قال عز وجل: {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ} يعني: مزارعهم {وديارهم} يعني: منازلهم {وأموالهم} يعني: العروض والحيوان {وَأَرْضاً لَّمْ} يعني: لم تملكوها ولم تقدروا عليها. يعني: ورثكم تلك الأرض أيضاً وهي أرض خيبر. وروي عن الحسن وغيره في قوله {أَرْضًا لَمْ} قال: كل ما فتح على المسلمين إلى يوم القيامة {تَطَئُوهَا وَكَانَ الله على كُلّ شَئ قَدِيراً} يعني: على فتح مكة وغيرها من القرى.

تفسير الآيات رقم [28- 33]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)}

قوله عز وجل {قَدِيراً ياأيها النبى قُل لازواجك} وذلك أنه رأى منهن الميل إلى الدنيا، وطلبن منه فضل النفقة {ياأيها النبى قُل لازواجك إن كُنتُنَّ} يعني: وزهرتها {فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ} متعة الطلاق {وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً} يعني: أطلقكن طلاق السنة من غير إضرار.

قوله عز وجل: {وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ} يعني: تطلبن رضي الله ورضى رسوله {والدار الإخرة} يعني: الجنة {فَإِنَّ الله أَعَدَّ للمحسنات مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً} يعني: ثواباً جزيلاً في الجنة. فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً. فلما نزلت هذه الآية، جمع نساءه. فبدأ بعائشة فقال: «يا عَائِشَةُ إنِّي أُرِيدُ أنْ أَعْرِضَ عَلَيْكِ أمْراً أُحِبُّ أَنْ لا تَعْجَلي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة.

ثم خيّر نساءه فاخترنه سائر النساء.

ثم قال عز وجل: {عَظِيماً يانساء النبى مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحشة مُّبَيِّنَةٍ} يعني الزنى {يُضَاعَفْ لَهَا العذاب ضِعْفَيْنِ} يعني: تعاقب مثلي ما يعاقب غيرها. ويقال: الجلد والرجم، وهذا قول الكلبي. ويقال: {مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحشة مُّبَيِّنَةٍ} يعني: بمعصية، يضاعف لها العذاب ضعفين. لأن كرامتهن كانت أكثر. فجعل العقوبة عليهن

أشد. وهذا كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: يغفر للجاهل سبعون ما لا يغفر للعالم واحد.

ثم قال: {وَكَانَ ذلك عَلَى الله يَسِيراً} يعني: هيّناً. قرأ ابن كثير وعاصم في إحدى الروايتين {مُّبَيِّنَةٍ} بنصب الياء. وقرأ الباقون: بالكسر. وقرأ ابن كثير وابن عامر: {نُضَعِّفْ} بالنون وتشديد العين، لها العذابَ بنصب الباء، ومعناه: لها العذاب. وقرأ أبو عمرو: {والله يضاعف} بالياء والتشديد وضم الباء في العذاب على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: {يضاعف} وهما لغتان. والعرب تقول: تضعف الشيء وضاعفه.

ثم قال: {وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للَّهِ وَرَسُولِهِ} أي: تطع منكن الله ورسوله {وَتَعْمَلْ صالحا} يعني: تعمل بالطاعات فيما بينها وبين ربّها {نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} يعني: ثوابها ضعفين {وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً} يعني: ثواباً حسناً في الجنة. قرأ حمزة والكسائي: {وَيَعْمَلْ صالحا} بالياء. وقرأ الباقون بالتاء. فمن قرأ بالياء فللفظ مَنْ لأن لفظها لفظ واحد مذكر. كما اتفقوا في قوله: {وَمَن يَقْنُتْ}. ومن قرأ بالياء ذهب إلى المعنى، وصار منكن فاصلاً بين الفعلين. وقرأ حمزة والكسائي {يؤتها} بالياء يعني: يؤتها الله. وقرأ الباقون بالنون على معنى الإضافة إلى نفسه.

ثم قال عز وجل: {كَرِيماً يانساء النبى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مّنَ النساء} يعني: لستنّ كسائر النساء.

فقال: لستن كأحد. ولم يقل: كواحد. لأن لفظ الأحد يصلح للواحد والجماعة، وأما لفظ الواحد لا يصلح إلا للواحد.

ثم قال عز وجل: {إِنِ اتقيتن} يعني: إن اتقيتن المعصية وأطعتن الله ورسوله {فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقول} يعني: لا تلنَّ بالقول. ويقال: {لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مّنَ النساء إِنِ اتقيتن} فأنتن أحق الناس بالتقوى وتم الكلام.

ثم قـال: {فَلاَ تَخْضَـعْنَ بـالقول} يعـني: لا تـرفقن بـالقول وهــو اللين من الكلام. ومعلــوم أن الرجــل إذا أتى بــاب إنسـان والرجـل غـائب، فلا يجـوز للمـرأة أن تلين القـول معه.

ثم قـال: {فَيَطْمَـعَ الـذى فِى قَلْبِـهِ مَـرَضٌ} يعـني: فجـور. وقال عكرمة هو شهوة الزنى. ويقال: الميل إلى المعصـية {وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفـاً} يعـني: صـحيحاً جميلاً. ويقـال: قـولاً حسناً يعني: ليناً. ويقال: لا يقلن باللين فيفتن، ولا بالخشن فتؤذين {وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً} بين ذلك.

قـال عـز وجـل: {وَقَـرْنَ فِى بُيُـوتِكُنَّ} قـرأ نـافع وعاصـم {وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ} بالنصب. والباقون: بالكسر. فمن قرأ بالكسر فمعناه: اسكن في بيوتكنَّ بالوقـار. وهـو من وقـر يقر وقاراً. ويقال: هو من التقرير. ويقال: قـر يقـر وأصـلهُ قررن. ولكن المضاعف يراد بـه التخفيـف. فحـذف إحـدى الراءين للتخفيف. فلما طرحـوا إحـدى الـراءين، اسـتثقلوا الألــف ولم تكن أصــلية، وإنمــا دخلت للوصــل. فحــذفت الألــف. ومن قــرأ {وَقَــرْنَ} بنصــب القــاف لا يكــون إلا للتقرير.

ثم قال: {وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الاولى} يعني: لا تتزين كـتزين الجاهليـة الأولى. والتـبرج إظهـار الزينـة. ويقـال: التــبرج: الخــروج من المــنزل. و{الجاهليــة الاولى} قــال الكلبي: يعني: الأزمنة التي ولد فيها إبراهيم عليه الســلام. فكـانت المـرأة من أهـل ذلـك الزمـان تتخـذ الـدروع من اللؤلـؤ، ثم تمشـي وسـط الطريـق. وكـان ذلـك في زمن النمرود الجبار.

وروي عن الحكم بن عيينة قـال {الجاهليـة الاولى} كـانت بين نـوح وآدم عليهمـا السـلام. وكـانت نسـاؤهم أقبح مـا يكون من النسـاء، ورجـالهم حسـان. وكـانت المـرأة تريـد الرجــل على نفســها. وروى عكرمــة عن ابن عبــاس أن

{الجاهليـة الاولى} كـانت بين نـوح وإدريس، وكـانت ألـف سنة. وقال مقاتل: الجاهلية الأولى كانت قبل خروج النـبي صلى الله عليه وسلم. وإنما سمى جاهلية الأولى لأنه كـان قبله.

ثم قـال: {وَقَـرْنَ فِى} يعـني: أتممن الصـلوات الخمس {وَقَـرْنَ فِى} يعـني: إن كـان لكن مـال {وَأَطِعْنَ اللـه وَرَسُـولَهُ} فيمـا ينهـاكن وفيمـا يـأمركن {إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللـه لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرجس} يعني: الإثم. وأصـله في اللغـة كـل خبيث من المأكول وغـيره. {أَهْـلَ الـبيت} يعـني: يـا أهـل البيت وإنما كان نصباً للنداء. ويقال: إنما صار نصباً للمدح. ويقال: صار نصباً على جهة التفسـير، فكأنـه يقـول: أعـني أهل البيت. وقال: {عَنْكُمْ} بلفظ التذكير، ولم يقل: عنكن لأن لفظ أهل البيت يصلح أن يذكر ويؤنث.

قوله {وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيراً} يعني: من الإثم والذنوب.

تفسير الآيات رقم [34- 36]

{وَاذْكُرْنَ مَـا يُتْلَى فِي بُيُـوتِكُنَّ مِنْ آَيَـاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَـةِ إِنَّ اللَّهَ كَـانَ لَطِيفًـا خَبِـيرًا (34) إِنَّ الْمُسْـلِمِينَ وَالْمُسْـلِمَاتِ وَالْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ وَالْقَـانِتِينَ وَالْقَانِتَـاتِ وَالصَّـادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَـــدِّقِينَ وَالْمُتَصَـــدِّقَاتِ وَالصَّـــائِمِينَ وَالصَّـــائِمَاتِ وَالْحَـافِظِينَ فُـرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَـاتِ وَالـذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِـيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَـدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِـرَةً وَأَجْـرًا عَظِيمًـا (35) وَمَـا كَـانَ لِمُـؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضَـى اللَّهُ وَرَسُـولُهُ أَمْـرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَـدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (36)}

قولـه عـز وجـل: {واذكـرن مَـا يتلى فِى بُيُـوتِكُنَّ} يعـني: احفظن مـا يقـرأ عليكن {مِنْ آيـات اللـه} يعـني: القـرآن {والحكمـة} يعـني: أمـره ونهيـه في القـرآن. فـوعظهن ليتفكرون.

ثم قال: {إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً} لطيف علمه، فيعلم حــالهن إن خضعن بالقول. ويقال: لطيفاً أمر نبيه بـأن يلطـف بهن {خَبِيراً} يعني: عالماً بأعمالهن.

قوله عز وجل: {إِنَّ المسلمين والمسلمات} وذلــك أن أم سلمة رضي الله عنها سألت رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم: ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شــيء من كتابه، فأخشى أن لا يكون فيهن خير، ولا لله عز وجـل فيهن حاجة؟ فنزل {إِنَّ المسـلمين والمسـلمات} ويقـال: إن النسـاء اجتمعن وبعثن أنيسـة رسـولاً إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم. فقـالت: إن اللـه تبـارك وتعـالى خـالق الرجال والنساء، وقد أرسلك إلى الرجال والنساء، فما بال النساء ليس لهن ذكر في الكتاب فنزلت هذه الآيـة. وقـال قتادة: لما ذكر الله عز وجل أزواج النبي يعني: دخل نِسَـاءٌ مسلماتٌ عليهن، فقلن: ذكرتن ولم نذكر. ولو كـان طفينـا خير ذكرنا. فنزلت هذه الآية {إِنَّ المسلمين والمسلمات} يعـني: المسـلمين من الرجـال، والمسـلمات من النسـاء. {والمؤمـنين} يعـني: المصـدقين الموحـدين من الرجـال {والمؤمنـات} يعـني: المصـدقات الموحـدات من النسـاء {والقانتين} يعـني: المطيعين، وأصـل القنـوت القيـام. ثم يكون للمعاني، ويكون للطاقة. كقوله {والقانتين} ويكــون للإقــرار بالعبوديـة كقولـه: {وَدَّ كَثِـيرٌ مِّنْ أَهْـلِ الكتـاب لَـوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إيمانكم كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحـق فـاعفوا واصـفحوا حـتى يَـأْتِىَ اللـه بِأَمْرِهِ إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَـدِيرٌ} [البقـرة: 109] {وَلَـهُ مَن فِى السماوات والارض كُلٌّ لَّهُ قانتون} [البقــرة: 116 والــروم: 26] {والقانتــات} أي: المطيعــات من النســاء {والصـادقين} يعـني: الصـادقين في إيمـانهم من الرجـال {والصادقات} من النساء {والصـابرين والصـابرات} على أمـــر اللـــه تعـــالى من الرجـــال والنســـاء {والخاشــعين

والخاشعات} يعني: المتواضعين من الرجال والنساء {والمتصدقين والمتصدقات} يعني: المنفقين أموالهم في طاعة الله من الرجال والنساء {والصائمين والصائمات} قال مقاتل: من صام رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات.

ثم قال: {والحافظين فُرُوجَهُمْ والحافظات} يعني: من الفواحش من الرجال والنساء {والذكرين الله كَثِيراً والذكرات} يعني: باللسان من الرجال والنساء. فذكر أعمالهم.

ثم ذكر ثوابهم فقال: {أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً} في الدنيا لذنوبهم {وَأَجْراً عَظِيماً} في الآخرة وهو الجنة.

قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ} الآية. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزينب بنت جحش الأسدية وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب:

«إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُزَوِّجَكِ مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ». فقالت: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي. وأنا أرفع قريش لأنني من قريش وابنة عمتك. فنزل {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ} يعني: ما جاز لمؤمن يعني: زيد بن حارثة، {وَلاَ مُؤْمِنَةٍ} يعني: زينب بنت جحش {إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً} يعني: حكم حكماً في تزويجهما {أَن يَكُونَ لَهُمُ الخيرة مِنْ أَمْرِهِمْ} يعني: اختيار من أمرهم بخلاف ما أمر الله ورسوله. قرأ حمزة والكسائي وعاصم: أن يكون بالياء بالتذكير. وقرأ الباقون: بالتاء بلفظ التأنيث. فمن قرأ بالتاء: فلأن لفظ الخيرة مؤنث. ومن قرأ بالياء: فإنه ينصرف إلى المعنى، ومعناهما الاختيار لتقديم الفعل {وَمَن يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضلالا مُّبِيناً} فلما سمعت زينب بنت جحش نزول هذه الآية قالت: أطعتك يا رسول الله.

تفسير الآيات رقم [37- 39]

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنعَمَ الله عَلَيْهِ} يعني: زيد بن حارثة قد أنعم الله عز وجل عليه بالإسلام {وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} بالعتق {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} قال قتادة: جاء زيد بن حارثة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن زينب اشتد عليّ لسانها، وإني أريد أن أطلقها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اتَّقِ الله {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ}». وكان يحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلقها. وخشي مقالة الناس أن أمره بطلاقها فنزلت هذه الآية.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى زيد بن حارثة يطلبه في حاجة له. فإذا زينب بنت جحش قائمة في درع وخمار. فلما رآها أعجبته ووقعت في نفسه. فقال: «سُبْحَانَ الله مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي». فلما سمعت زينب جلست. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما جاء زيد ذكرت ذلك له. فعرف أنها أعجبته ووقعت في نفسه، وأعجب بها رسول الله. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله: إنَّ زينب امرأة فيها كبر، تعصي أمري، ولا تبرُّ قسمي، فلا حاجة لي

فيها. فقال له: «اتَّقِ الله يَا زَيْـدُ فِي أَهْلِـكَ وَأمْسِـكْ عَلَيْـكَ زَوْجَكَ». وكان يحب أن يطلقها. فطلّقها زيـد ونـزلت هـذه الآيـة {أَمْسِـكْ عَلَيْـكَ زَوْجَـكَ واتـق اللـه}. {وَتُخْفِى فِى نِفْسِكَ} يعني: تسر في نفسك ليت أنـه طلقهـا {مَـا اللـه مُبْدِيهِ} يعني: مظهره عليك حتى ينزل به قرآناً {وَتَخْشَــى النـاس} يعـني: تسـتحي من النـاس. ويقـال: {وَتَخْشَـى} مقالـة النـاس {واللـه أَحَـقُّ أن تخشـاه} في أمرهـا. قـال الحسن: ما أنزل الله عز وجل على النبي صلى اللـه عليـه وسـلم آيـة أشـد منهـا، ولـو كـان كاتمـاً شـيئاً من الـوحي لكتمها.

ثم قــال: {فَلَمَّا قضــى زَيْـدٌ مّنْهَـا وَطَـراً} يعـني: حاجــة {زوجناكها} فلما انقضت عدتها تزوجهـا النـبي صـلى اللـه عليه وسلم. قال الحسن: فكـانت زينب تفتخـر على أزواج النبي صلى اللـه عليـه وسـلم فتقـول: أمـا أنتن فـزوّجكن آبــاؤكن. وأمــا أنــا فزوجــني رب العــرش تعــني: قولــه: {زوجناكها} {لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَى المؤمنين حَرَجٌ} يعني: لكيلا يكون على الرجل حرج بأن يتزوج امرأة ابنـه الـذي يتبنّـاه {فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَـراً} يعـني: حاجـة {وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً} تزوُّج النبي صلى الله عليه وسلم إياها كائن لا بد واللام للزيادة، وكي مثله فلو كان أحدهما، لكـان يكفي ولكن يجـوز أن يجمـع بين حـرفين زائـدين إذا كانا جنسين.

وإنمـا لا يجـوز إذا كانـا من جنس واحـد كمـا قـال {فَـاطِرُ السـماوات والارض جَعَـلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِـكُمْ أزواجـا وَمِنَ الانعام أزواجا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـئ وَهُـوَ السـميع البصير} [الشورى: 11] ولا يصلح أن يقـال: مثـل مثـل أو كي كي فإذا كانا جنسين جاز. فقالت اليهـود والمنـافقون: يـا محمـد تنهى عن تـزوج امـرأة الابن ثم تتزوجهـا. فـنزل قوله عز وجل: {مَّا كَانَ عَلَى النبى مِنْ حَرَجٍ} يقول: ليس

على النبي إثم {فِيمَا فَرَضَ الله لَهُ} يعني: في الذي رخص الله عز وجل من تزوج زينب {سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ} يعني: هكذا سنة الله في الذين مضوا يعني: في كثرة تزوج النساء كما فعل الأنبياء عليهم السلام {وَكَانَ أَمْرُ الله قَدَراً مَّقْدُوراً} يعني: قضاء كائناً.

قوله عز وجل: {الذين يُبَلّغُونَ رسالات الله} قال مقاتل: يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وحده. ويقال: ينصرف إلى قوله: {سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ} {الذين يُبَلّغُونَ رسالات الله}. {وَيَخْشَوْنَهُ} في كتمان ما أظهر الله عليهم {وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً} في البلاغ {إِلاَّ الله وكفى بالله حَسِيباً} يعني: شهيداً بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلّغ الرسالة عن الله عز وجل ويقال: شهيداً يعني: حفيظاً.

تفسير الآيات رقم [40- 48]

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (43) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (44) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (47) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (48)}

قوله عز وجل: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مّن رّجَالِكُمْ} يعني: بالتبني. وليس بأب لزيد بن حارثة {ولكن رَّسُولَ الله} يعني: ولكنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال: لم يكن أب الرجال لأن بنيه ماتوا صغاراً، ولو كان الرجال بنيه لكانوا أنبياء، ولا نبي بعده.

فذلك قوله: {وَخَاتَمَ النبيين} قـرأ بعضـهم ولكن {رَسُـولِ اللـه} بضـم اللام، ومعنـاه: ولكن هـو رسـول اللـه وكـان {وَيَقْتُلُـونَ النبـيين} وقـرأ عاصـم في إحـدى الروايـتين {وَخَاتَمَ النبيين} بنصب التاء. وقرأ الباقون: بالكسـر. فمن قرأ بالكسر يعني: آخر النبيين. ومن قرأ بالنصب فهو على معنى إضافة الفعل إليه. يعني: أنه ختمهم وهو خاتم. قـال أبو عبيد: وبالكسر نقرأ لأنه رويت الآثار عنه أنه قـال «أنَـا خَاتَمُ النَّبِيِّين» فلم يسمع أحد من فقهائنا يروون إلا بكسـر التاء.

{وَكَانَ الله بِكُلّ شَـئ عَلِيمـاً} بمن يصـلح للنبـوة، وبمن لا يصلح. فإن قيل: كيف يظن برسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم أنه يظهر من نفسـه، خلاف مـا في قلبـه. قيـل لـه: يجوز مثل هذا لأن في قولـه {أَمْسِـكْ عَلَيْـكَ زَوْجَـكَ واتـق اللـه} أمـر بـالمعروف وفيـه ردّ النفس عمـا تهـوى. وهـذا عمل الأنبياء والصالحين عليهم السلام. وقال بعضهم: للآية وجه آخر وهو أن الله تعالى قد أخبر النبي صلى الله عليـه وسلم أنها تكون زوجته. فلما زوّجها من زيـد بن حارثـة لم يكن بينهما ألفة. وكان النبي صلى الله عليـه وسـلم ينهـاه عن الطلاق، ويخفي في نفسه ما أخبره الله تعالى. وقال: بأنها تكون زوجته. فلما طلقها زيـد بن حارثـة، كـان يمتنـع من تزوجها، خشية مقالة الناس، يتزوج امرأة ابنه المتبـنى به. فأمره الله عز وجل بـأن يتزوجهـا، ليكـون ذلـك سـبب الإباحة لنكاح امرأة الابن المتبنى لأمتـه ونـزل {وَإِذْ تَقُـولُ للذى أَنعَمَ اللـه عَلَيْـهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِـكْ عَلَيْـكَ زَوْجَـكَ واتق الله وَتُخْفِى فِى نِفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النـاس والله أَحَقٌّ أن تخشاه فَلَمَّا قضى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَـراً زوجناكهـا لِكَىْ لاَ يَكُونَ عَلَى المؤمـنين حَـرَجٌ فى أَزْوَاجِ أَدْعِيَـآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُـولاً} [الأحـزاب: 37] الآية.

ثم قال تعالى: {عَلِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ اذكروا الله ذِكْـراً كَثِيراً} يعني: اذكروا الله باللسان. وروي عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «إنَّ هِـذِه القُلُـوبَ لَتَصْـدَأُ كَمَـا يَصْدَأُ الحَدِيـدُ». قيـل: يـا رسـول اللـه فمـا جلاؤهـا؟ قـال: «تِلاوَةُ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَكَثْرَةُ ذِكْرِهِ». وذكر أن أعرابياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن شرائع الإسلام قد كثرت، فأنبئني منها بأمر أتشبث به.

فقال: «لاَ يَـزَالُ لِسَـانُكَ رَطْبَـاً مِنْ ذِكْـرِ اللـه عَـزَّ وَجَـلَّ». ويقــال: ليس شــيء من العبــادات أفضــل من ذكــر اللــه تعالى، لأنه قدر لكل عبادة مقداراً، ولم يقدر للـذكر، وأمـر بالكثرة فقال: {اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً} يعني: اذكروه في الأحوال كلها. لأن الإنسان لا يخلو من أربعة أحوال. إما أن يكون في الطاعة، أو في المعصـية، أو في النعمــة، أو في الشدة. فإذا كان في الطاعة ينبغي أن يذكر الله عز وجــل بالإخلاص، ويسأله القبول والتوفيق. وإذا كان في المعصية ينبغي أن يذكر الله عز وجـل بالامتنـاع عنهـا، ويسـأل منـه التوبة منها والمغفرة. وإذا كان في النعمة يذكره بالشــكر؛ وإذا كان في الشدة يذكره بالصبر.

ثم قــال تعــالى: {وَسَــبّحُوهُ بُكْـرَةً وَأَصِـيلاً} يعـني: غـدواً وعشياً. يعني: صـلوا للـه بالغـداة والعشـي. يعـني: الفجـر والعصر. ويقال: بالغداة. يعني: صلوا أول النهار وهي صلاة الفجر {وَأَصِيلاً} يعني: صلوا آخر النهار، وأول النهار. وهي صلاة الظهر والعصر، والمغرب، والعشاء.

ثم قال عـز وجـل: {هُـوَ الـذى يُصَـلّى عَلَيْكُمْ} يقـول: هـو الذي يـرحمكم ويغفـر لكم {وَمَلَئِكَتُـهُ} أي: يـأمر الملائكـة عليهم السـلام بالاسـتغفار لكم {لِيُخْـرِجَكُمْ مّنَ الظلمـات إِلَى النور} يعني: أخرجكم من الكفر إلَى الإيمـان ووفّقكم لذلك. اللفظ لفظ المستأنف، والمراد بـه الماضـي يعـني: أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نـور الإيمـان، ونّـور قلـوبكم

بالمعرفة. ويقال: معناه ليثبتكم على الإيمــان ويمنعكم عن الكفــر. ويقــال: {لِيُخْــرِجَكُمْ مِّنَ الظلمــات} يعــني: من المعاصي إلى نور التوبـة، والطهـارة من الـذنوب. ويقـال: من ظلمات القبر إلى نـور المحشـر. ويقـال: من ظلمـات الصراط إلى نور الجنة. ويقال: من ظلمات الشــبهات إلى نور البرهان والحجة.

ثم قـال: {وَكَـانَ بـالمؤمنين رَحِيمــاً} يعـني: بالمصـدقين الموحدين {رَّحِيماً} يرحم عليهم.

ثم قال عز وجل: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سلام} قال مقاتــل: يعـني: يلقـون الـرب في الآخـرة بسـلام. وقـال الكلـبي: تجيبهم الملائكة عليهم السلام على أبواب الجنـة بالسـلام. فإذا دخلوها، حيَّا بعضهم بالسلام. وتحية الـرب إيـاهم حين يرسل إليهم بالسـلام. ويقـال: يعـني: يسـلم بعضـهم على بعض. ويقال: يسلمون على الله تعالى.

{وَأَعَـدَّ لَهُمْ أَجْـراً كَرِيمــاً} يعـني: جـزاءً حسـناً في الجنـة. ويقال: مساكن في الجنة حسنة.

قوله عز وجل: {كَرِيماً ياأيهـا النـبى إِنَّا أرسـلناك شَـاهِداً} يعـني: شـهيداً على أمتـك بـالبلاغ {وَمُبَشِّـراً} بالجنـة لمن أطاع اللـه في الآخـرة وفي الـدنيا بالنصـرة {وَنَـذِيرًا} من النار يعني: مخوفاً لمن عصى الله عـز وجـل {وَدَاعِيـاً إِلَى اللــه} يعـني: أرسـلناك داعيـاً إلى توحيـد اللـه ومعرفتـه {بِإِذْنِهِ} يعـني: بـأمره {وَسِـرَاجاً مُّنِـيراً} يعـني: أرسـلناك بسراج منير، لأنه يضيء الطريق.

فهذه كلها صارت نصباً لنزع الخافض.

ثم قال عز وجل: {وَبَشِّرِ المؤمنين} يعني: بشّر يـا محمـد المصدقين بالتوحيـد {بِـأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللـه فَضْـلاً كَبِـيراً} في الجنة. وذلك أنه لما نـزل قولـه عـز وجـل: {وَعَـدَكُمُ اللـه مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هـذه وَكَـفَّ أَيْـدِىَ النـاس عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْـدِيَكُمْ صـراطا مُّسْـتَقِيماً}

[الفتح: 20] فقال المؤمنون: هذا لك. فما لنا؟ فنزل قوله تعالى: {بَشِّرِ المنافقين بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: 138] في الجنة فلما سمع المنافقون ذلك قالوا فما لنا فنزل و{بَشِّرِ المنافقين بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [النساء: 138]. ثم رجع إلى ما ذكر في أول السورة فقال تعالى: {وَلاَ تُطِعِ الكافرين} من أهل مكة {والمنافقين} من أهل المدينة {وَدَعْ أَذَاهُمْ} أي: تجاوز عن المنافقين، ولا تقتلهم. ويقال: ودع أذاهم يعني: اصبر على أذاهم. وإن خوفك شيء منهم فتوكل على الله يعني: فوض أمْرك إلى الله. وروى الأعمش عن سفيان بن سلمة عن ابن مسعود. وقال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة. فقال رجل من الأنصار: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فأخبر بذلك، فاحمر وجهه، فقال: «رَحِمَ الله أخِي مُوَسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَقَدْ أوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هذا فَصَبَر». ثم قال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الله وكفى بالله وَكِيلاً} يعني: حافظاً نصيراً.

▲ تفسير الآيات رقم [49- 50]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (49) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آَتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (50)}

وقوله عز وجل: {وَكِيلاً ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ المؤمنات ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ} قرأ حمزة والكسائي {تماسوهن} وقرأ الباقون {لَمْ تَمَسُّوهُنَّ} مثل الاختلاف الذي ذكرنا في سورة البقرة {فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ} يعني: ليس للأزواج عليهن عدة {تَعْتَدُّونَهَا} وإنما خصّ المؤمنات، لأن نكاح المؤمنات كان مباحاً في ذلك الوقت. فلما أحلّ الله تعالى نكاح الكتابيات، صار حكم الكتابية وحكم المؤمنة في هذا سواء إذا طلقها قبل أن يخلو بها لا عدة عليها بالإجماع. وإن طلقها بعد ما خلا بها، ولم يدخل بها فقد روي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: لا عدة عليها. وقال عمر وعلي ومعاذ وزيد بن ثابت وجماعة منهم رضي الله عنهم أن عليها العدة، وهو أحوط الوجهين، أنه إذا خلا بها ولم تكن المرأة حائضاً، ولم يكن أحدهما مريضاً، ولا محرماً ولا صائماً صوم فرضٍ، يجب على الزوج المهر كاملاً، وعليها العدة احتياطاً.

وأما إذا كانت المرأة حائضاً أو مريضة أو محرمة أو صائمة عن فرض أو الرجل مريض أو صائم عن فرض أو محرم فطلقها بعد الخلوة قبل الدخول، فعليه نصف المهر، وعليها العدة احتياطاً.

ثم قال: {فَمَتِّعُوهُنَّ} يعني: متعة الطلاق ثلاثة أثواب وهي مستحبة غير واجبة {وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً} يعني: خلوا سبيلهن تخلية حسنة وهو أن يعطيها حقها.

قوله عز وجل: {جَمِيلاً ياأيها النبى إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أزواجك} يعني: نساءك {ياأيها النبى إِنَّا} يعني: أعطيت مهورهن، لأن غيره كان له أكثر من أربع نسوة أمره أن يترك ما زاد على الأربع، وقد أحلّ للنبي صلى الله عليه وسلم إمساك التسع ولم يأمره بالفرقة. {وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} يعني: أحللنا لك من الإماء مثل مارية القبطية {مِمَّا أَفَاء الله

عَلَيْكَ} من الغنيمة يعني: أعطاك الله كقوله تعالى: {مَّآ أَفَآءَ الله على رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القرى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كَى لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الاغنيآء مِنكُمْ وَمَآ ءاتاكم الرسول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنْهُ فانتهوا واتقوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ العقاب} [الحشر: 7].
ثم قال: {وَبَنَاتِ عَمّكَ} يعني: أحللنا لك نكاح بنات عمك {وَبَنَاتِ عماتك وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خالاتك اللاتى هاجرن مَعَكَ} يعني: هاجرن معه من مكة إلى المدينة أو قبله أو بعده.
ثم قال: {وامرأة مُّؤْمِنَةً} يعني: أحللنا لك امرأة مؤمنة {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىّ} صلى الله عليه وسلم وقرأ الحسن {إِن وَهَبَتْ} بنصب الألف ومعناه إذا وهبت ويكون ذلك الفعل خاصة لامرأة واحدة.
وقراءة العامة إن بالكسر فيكون معناه لكل امرأة إن فعلت ذلك في المستقبل. قال مقاتل: وذلك أن أم شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم بغير مهر كذا قال الكلبي. وروى معمر عن الزهري في قوله: {إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىّ} قال: بلغنا أن ميمونة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ووهبت سودة يومها لعائشة رضي الله عنها وروى وكيع عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن كعب القرظي وعمرو بن الحكم، وعبد الله بن عبيدة قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشر امرأة. ستة من قريش. خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية. وثلاثاً من بني عامر، وامرأتين من بني هلال ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم. وزينب أم

المساكين، وامرأة من بني بكر وهي الـتي اختـارت الـدنيا. وامرأة من بني الحزن من كندة وهي التي استعاذت منه.
وقال يحيى بن أبي كثير تزوج أربعة عشر. خديجة وسـودة وعائشة. تزوج هـؤلاء الثلاث بمكـة. وتـزوج بالمدينـة زينب بنت خزيمـة، وأم سـلمة، وجويريـة من بـني المصـطلق. وميمونـة بنت الحـارث، وصـفية بنت حـيي بن أخطب، وزينب بنت جحش وكانت امرأة زيد بن حارثة، وعالية بنت ظبيان، وحفصة، وأم حبيبة، والكندية، وامرأة من كلب.
وروى الزهـري عن عـروة قـال: لمـا دخلت الكنديـة على النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أعوذ بالله منك. فقـال: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك».
ثم قال عز وجل: {إِنْ أَرَادَ النبى أَن يَسْتَنكِحَهَا} يعـني: أن يتزوجهـا بغـير صـداق {خَالِصَـةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمـنين} يعني: خالصاً للنبي صلى اللـه عليـه وسـلم بغـير مهـر، ولا يحل لغيره. وقال الزهري: الهبـة كـانت للنـبي صـلى اللـه عليه وسلم خاصة، ولا تحل لأحد أن تهب له امـرأة نفسـها بغير صداق.
وروي عن سعيد بن المسيب أنه قـال: لم تحـل الموهوبـة لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم. واختلـف النـاس في جواز النكاح. قال أهل المدينة باطل. وقـال أهـل العـراق: النكاح جائز، ولها مهر مثلها. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أجاز ذلك. وروى هشـام بن عـروة، عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن خولـة بنت حكيم وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، وكانت من المهاجرات الأول. وقال القتبي: العرب تخبر عن غـائب، ثم ترجـع إلى الشـاهد فتخاطبـه، كمـا قـال هاهنـا: {إِن وَهَبَتْ نَفْسَـهَا لِلنَّبِىّ} بلفـظ الغـائب ثم قـال: {خَالِصَـةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمنين}.

ثم قال: {قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ} يعني: ما أوجبنا عليهم {فِي أزواجهم} يعني: في أن لا يتزوجوا إلا بالمهر. ويقال: إلا أربعاً {وَمَا مَلَكَتْ أيمانهم} ويقال: يعني إلا ما لا وقت فيهن {لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} في الهبة بغير مهر. وفي الآية ومعناه: أنا أحللنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم لكي لا يكون عليك حرج.

ثم قال: {وَكَانَ الله غَفُوراً} يعني: غفوراً فيما تزوج قبل النهي {رَّحِيماً} في تحليل ذلك.

تفسير الآيات رقم [51- 55]

{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (51) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (52) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53) إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (54) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (55)}

قوله عز وجل: {تُرْجِى مَن تَشَاء مِنْهُنَّ} قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: {ترجئ}

بالهمزة. وقرأ الباقون: بغير الهمز. كلاهما في اللغة واحد، وأصــله من التــأخير. يقــول: تــؤخر من تشــاء منهن ولا تتزوجهــا {مِنْهُنَّ وَتُــؤْوِى إِلَيْــكَ مَن تَشَــاء} يعــني: تضــم فتتزوجها لخيره في تزويج القرابة. ويقال: تطلق من تشاء منهن، وتمسك من تشاء.
وقال قتادة: جعله في حل أن يدع من يشـاء منهن، ويضـم إليه من يشاء. يعني: إن شاء جعـل لهن قسـماً، وإن شـاء لم يجعل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقسـم.
وقال الحسن: كان النبي صلى الله عليـه وسـلم إذا خطب امرأة فليس لأحد أن يخطبها حتى يتزوجها أو يــدعها، وفي ذلك نزل: {تُرْجِى مَن تَشَاء مِنْهُنَّ}.
ثم قال: {وَمَنِ ابتغيت مِمَّنْ عَـزَلْتَ} يعـني: أشـرت ممن تركت {فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ} يعني: لا إثم عليك {ذَلِكَ أدنى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ} أي: ذلك أجـدى وأجـدر إذا علمن أنـك تفعـل بأمر الله أن تطمئن قلـوبهن {وَلاَ يَحْـزَنَّ} مخافـة الطلاق {وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ} من النفقة، إذا علمن أنه من الله عز وجـل. وقـرئ في الشـاذ: {كُلُّهُنَّ} بالنصـب صـار نصباً لوقـوع الفعـل عليـه وهـو الإعطـاء. وتقـرأه العامـة: {كُلُّهُنَّ والله} بالضم. ومعناه: يرضين كلهن بما أعطيتهن.
ثم قال: {والله يَعْلَمُ مَـا فِى قلُـوبِكُمْ} من الحب والبغض {وَكَانَ الله عَلِيماً} بما في قلوبكم {حَلِيماً} بالتجاوز.
قوله عز وجل: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النساء مِن بَعْدُ} قـال مجاهـد: أي لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات {مِن بَعْدِ}، يعني: من بعد المسلمات، {وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ}. يقـول: لا تبديل اليهوديات، ولا النصرانيات على المؤمنات. يقـول: لا تكــون أم المؤمــنين يهوديــة ولا نصــرانية إلا مــا ملكت يمينــك من اليهوديــات والنصــرانيات يتســرى بهن. قــال الحسن وابن سـيرين: خيّـر رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم، نساءه بين الـدنيا والآخـرة، فـاخترن اللـه ورسـوله

والدار الآخرة، فشكر الله لهن على ذلـك، فحبسـه عليهن. فقال: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النساء مِن بَعْدُ} {وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ} يعني: لا يحل لك أن تطلـق واحـدة منهن، وتـتزوج غيرها. قرأ أبو عمرو: {لاَ تُحِلُّواْ} بالتاء بلفظ التأنيث. وقرأ البـاقون: باليـاء، بمعـنى لا يحـل لـك من النسـاء شـيء. ويقـال: معنـاه لا تحـل لجميـع النسـاء. فمن قـرأ: بالتـاء بالتأنيث يعني: جماعة النساء.

ثم قال: {وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} يعني: أسـماء بنت عميس أراد أن يتزوجهـا، فنهـاه اللـه تعـالى عـز وجـل عن ذلـك، فتركها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنـه بـإذن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم {إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} من السريات {وَكَانَ الله على كُلّ شَىْء رَّقِيباً} من أمر التزويج {رَقِيبـاً} يعني: حفيظاً.

وروى عمرو بن دينـار، عن عطـاء عن عائشـة رضـي اللـه عنها قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حلّ له النساء بعد قوله: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النساء}.

قوله عز وجل: {رَّقِيباً يأَيُّهَا الـذين ءامَنُـواْ لاَ تَـدْخُلُواْ بُيُـوتَ النبى} وذلك أن أناساً من المسلمين كانوا يتحينـون غـذاء النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، ويـدخلون عليـه بغـير إذن، ويجلسـون وينتظـرون الغـداء، وإذا أكلـوا جلسـوا طـويلاً، ويتحـدثون طـويلاً، فـأمرهم اللـه عـز وجـل بحفـظ الأدب فقـال: {لاَ تَـدْخُلُواْ بُيُـوتَ النـبى} {إِلاَّ أَن يُـؤْذَنَ لَكُمْ إلى طَعَامٍ} يعني: إلا أن يدعوكم ويأذن لكم في الدخول {غَيْرَ ناظرين إنـاه} يعـني: من غـير أن تنتظـروا وقتـه. ويقـال: أصله إدراك الطعـام يعـني: غـير نـاظرين إدراكـه. ويقـال: {إناه} يعني: نضج الطعام.

ثم قال: {وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فادخلوا} يعـني: إذا دعـاكم إلى الطعام فادخلوا بيته {فَإِذَا طَعِمْتُمْ} الطعـام {فانتشـروا} يعـني: تفرقـوا {وَلاَ مُسْتَأْنِسِـينَ لِحَـدِيثٍ} أي: لا تـدخلوا

مستأنسين للحديث {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النبى فَيَسْتَحْيِى مِنكُمْ} أن يقول لكم تفرقوا {والله لاَ يَسْتَحْيِ مِنَ الحق} يعني: من بيان الحق أن يأمركم بالخروج بعد الطعام.

قال الفقيه أبو الليث: في الآية حفظ الأدب والتعليم أن الرجل إذا كان ضيفاً لا ينبغي أن يجعل نفسه ثقيلاً، ولكنه إذا أكل ينبغي أن يخرج.

ثم قال: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ متاعا} يعني: إذا سألتم من نسائه متاعاً {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ} ولا تدخلوا عليهن، واسألوا من خلف الستر. ويقال: خارج الباب {ذلكم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} من الريبة.

ثم قال: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ الله} قال: وذلك أن طلحة بن عبيد الله قال: لئن مات محمد لأتزوجن بعائشة فنزل: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تؤْذُواْ رَسُولَ الله} {وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً} يعني: ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد وفاته أبداً {إِنَّ ذلكم كَانَ عِندَ الله عَظِيماً} في العقوبة.

ويقال: إنما نهى عن ذلك لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة. وروي عن حذيفة أنه قال لامرأته: إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها. ولذلك حرم الله تعالى على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجن بعده. وروي أن أم الدرداء قالت لأبي الدرداء عند موته إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا فأنكحاك. وإني أخطبك إلى نفسي في الآخرة فقال لها فلا تنكحي بعدي، فخطبها معاوية بن أبي سفيان فأخبرته بالذي كان، وأبت أن تتزوجه.

وروي في خبر آخر بخلاف هذا أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المرأة منا كان لها زوجان لأيهما تكون في الآخرة؟ فقال: «إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمَا خُلُقاً مَعَهَا».

ثم قــال: «يــا أمَّ حَبِيبَــةَ إنَّ حُسْــنَ الخُلُــقِ ذَهَبَ بالــدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

ثم قال عـز وجـل: {إِن تُبْـدُواْ شَـيْئاً أَوْ تُخْفُـوهُ} يعـني: إن تظهروا من أمر التزويج شيئاً أو تسـروه وتضـمروه {فَـإِنَّ الله كَانَ بِكُـلّ شَـئ عَلِيمـاً} من السـر والعلانيـة. يعلم مـا أعلنتم وما أخفيتم، يجازيكم به.

ثم خصّ الــدخول على نســاء ذوات محــرم بغــير حجــاب فرخّص في ذلك وهو قوله عز وجـل: {لاَّ جُنَـاحَ عَلَيْهِنَّ فِى ءابَــائِهِنَّ} يعــني: من الــدخول عليهن {وَلاَ أَبْنَــائِهِنَّ وَلاَ إخوانهن وَلاَ أَبْنَاء إخوانهن وَلاَ أَبْنَـاء أخـواتهن وَلاَ نِسَـائِهِنَّ} يعني: نساء أهل دينهن {وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} من الخدم {واتقين الله} يعني: اخشين الله، وأطعن الله، فلا يــراهن غير هــؤلاء {إِنَّ اللــه كَـانَ على كُـلّ شَـئ شَـهِيداً} يعـني: عالماً بأعمالهم.

تفسير الآيات رقم [56- 59]

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَـهُ يُصَـلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُوا تَسْـلِيمًا (56) إِنَّ الَّذِينَ يُـؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الـدُّنْيَا وَالْآَخِـرَةِ وَأَعَـدَّ لَهُمْ عَـذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُـؤْذُونَ الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ بِغَيْـرِ مَـا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًـا مُبِينًـا (58) يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ قُـلْ لِأَزْوَاجِـكَ وَبَنَاتِـكَ وَنِسَـاءِ الْمُـؤْمِنِينَ يُـدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُـؤْذَيْنَ وَكَـانَ اللَّهُ غَفُـورًا رَحِيمًا (59)}

قوله عـز وجـل: {إِنَّ اللـه وملائكتـه يُصَـلُّونَ عَلَى النـبى} والصلاة من الله الرحمـة والمغفـرة، ومن الملائكـة عليهم السلام الاستغفار. يعـني: أن اللـه عـز وجـل يغفـر للنـبي، ويأمر ملائكته بالاستغفار والصلاة عليه.

ثم أمر المسلمين بالصلاة عليه فقال: {النبى ياأيها الـذين ءامَنُواْ صَـلُّواْ عَلَيْـهِ} روي عن عبـد الـرحمن بن أبي ليلى،

عن كعب بن عجـرة أنـه قـال: قلنـا يـا رسـول اللـه كيـف نصلي عليك؟ فقال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» إلى آخِـرِهِ. وروى أبـو هريـرة عن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صَـلُّوا عَلَيَّ، فـإِنَّ الصَّـلاةَ عَلَيَّ زَكَـاةٌ لَكُمْ وَاسْـأَلُوا اللـه لِيَ الوَسِـيلَةَ». قـالوا: ومـا الوسيلة يـا رسـول اللـه؟ قـال: «أعْلَى دَرَجَـةٍ فِي الجَنَّةِ لا يَنَالُهَا إلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَأَرْجُو أَنْ أَكُـونَ أَنَـا هُـوَ». وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَـلَّى اللـه عَلَيْـهِ عَشْـرَ صَـلَوَاتٍ، وَحَــطَّ عَنْــهُ عَشْــرَ خَطِيئَاتٍ». ويقــال: ليس شــيء من العبـادات أفضـل من الصـلاة على النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم، لأن سائر العبادات أمر الله تعالى بهـا عبـاده. وأمـا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقـد صـلى عليـه أولاً هو بنفسه، وأمر الملائكة بذلك، ثم أمر العباد بذلك.

ثم قال: {وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} يعـني: اخضـعوا لـه خضـوعاً. ويقال: ائتمروا بما يأمركم الله تعـالى. ويقـال: لمـا نـزلت هذه الآية، قال المسلمون: هـذا لـك فمـا لنـا فـنزل: {هُـوَ الذى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وملائكتـه لِيُخْـرِجَكُمْ مِّنَ الظلمـات إِلَى النور وَكَانَ بالمؤمنين رَحِيماً} [الأحزاب: 43].

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الذين يُؤْذُونَ الله وَرَسُـولَهُ} يعـني: اليهـود والنصـارى حيث قـالوا: {وَقَـالَتِ اليهـود يَـدُ اللـه مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَـالُواْ بَـلْ يَـدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْـفَ يَشَـآءُ وَلَيَزِيـدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنـزِلَ إِلَيْـكَ مِن رَّبِّكَ طغيانا وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العداوة والبغضآء إلى يَـوْمِ القيامة كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللـه وَيَسْعَوْنَ فِى الارض فَسَـاداً واللـه لاَ يُحِبُّ المفسـدين} [المائـدة: 64] ونحو ذلك من الكلمات، ويقال: أذاهم الله وهو قولهم: لله ولد ونحو ذلـك. وإيـذاءهم رسـوله أنهم زعمـوا أنـه سـاحر ومجنون {لَعَنَهُمُ اللـه فِى الـدنيا} يعـني: عـذبهم اللـه في

الدنيا بالقتل والسبي {والاخرة} بالنار. ويقـال: هم الـذين يجعلون التصاوير. ويقولون: تخلق كما يخلـق اللـه تعـالى {وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً} يهانون فيه.
ثم قال عز وجـل: {والـذين يُـؤْذُونَ المؤمـنين والمؤمنـات بِغَيْرِ مَا اكتسبوا} يعني: بغير جـرم {فَقَـدِ احتملـوا بهتانـا} يعني: قالوا كذباً {وَإِثْماً مُّبِيناً} يعني: ذنباً بيّناً.
قال مقاتل: قال السدي: نزلت هذه الآية في أمـر عائشـة وصفوان. ويقال: في جميـع من يـؤذي مسـلماً بغـير حـق. وقال عثمان لأبي بن كعب: إني قرأت هذه الآية: {والـذين يُـؤْذُونَ المؤمنـات} فـوقعت مـني كـل موقـع، واللـه إني لأضربهم وأعاقبهم. فقـال لـه أبي: إنـك لسـت منهم، إنـك مؤدب معلم.
قوله عز وجل: {مُّبِينـاً يأَيُّهَـا النـبى قُـل لازواجـك وبناتـك} وذلك أن المهاجرين نزلوا في ديار الأنصار، فضاقت الـدور عليهم. وكن النسـاء يخـرجن بالليـل إلى التخلي يقضـين حـوائجهن. كـان الزنـاة يرصـدون في الطريـق، وكـانوا يطلبون الولائد، ولم يعرفوا المرأة الحرة من الأمة بالليل. فـأمر الحرائـر بأخـذ الجلبـاب. وقـال الحسـن: كن النسـاء والإماء بالمدينة. يقـال لهن: كـذا وكـذا يخـرجن، فيتعـرض لهن السفهاء فيـؤذونهن، فكـانت الحـرة تخـرج فيحسـبون أنها أمة ويؤذونها، فأمر الله تعالى المؤمنات {ءانِ * يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن}. وقـــال القتـــبي: يلبســـن الأرديـــة. ويقال: يعني يرخين الجلابيب على وجوههن. وقال مجاهد: {يُـدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن} يعـني: متجلبـبين ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة.
قوله: {وَنِسَـاء المؤمـنين يُـدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جلابيبهن ذلـكِ أدنى أَن يُعْرَفْنَ} يعني: أحرى {فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيمـاً} إذا تـابوا ورجعـوا، ثم وعـد المنـافقين وخـوّفهم لينزجروا عن الحرائر أو الإماء.

تفسير الآيات رقم [60- 68]

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (60) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (61) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62) يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (65) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (66) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)}

فقال عز وجل: {لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون} عن نفاقهم {والذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} يعني: الميل إلى الزنى إن لم يتوبوا عن ذلك {والمرجفون فِى المدينة} يعني: الذين يخبرون بالأراجيف. وكانوا يخبرون المؤمنين بما يكرهون من عدوهم. والأراجيف: هي أول الاختيار. وأصل الرجف هو الحركة. فإذا وقع خبر الكذب فإنه يقع الحركة بالناس فسمي إرجافاً. ويقال: الأراجيف تلقح الفتنة. يعني: إن لم ينتهوا عن النفاق وعن الفجور وعن القول بالأراجيف.

{لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} يعني: لنسلطنك عليهم، ويقال: لنحملنك على قتلهم. وروى سفيان عن منصور بن زرين قال: {لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون والذين فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ والمرجفون فِى المدينة} هذا كله شيء واحد. يعني: أنه نعتهم بأعمالهم الخبيثة.

{ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً} يعني: لا يساكنوك في المدينة إلا قليلاً حتى أهلكهم. ويقال: إلا جواراً قليلاً.

ويقال: إلا قليلاً منهم. وقال قتادة: إن أناساً من المنـافقين أرادوا أن يُظْهِرُوا نفاقهم فنزلت هذه الآية.
ثم قال عز وجل: {مَّلْعُـونِينَ أَيْنَمَـا ثُقِفُـواْ} يعـني: يجعلهم ملعونين أينما وجدوا. فأوجب اللـه تعـالى لهم اللعنـة على كل حال أينما وجدوا وأدركوا {أُخِـذُواْ وَقُتِّلُـواْ تَقْتِيلاً} فلمـا سمعوا بالقتل، انتهوا عن ذلك.
قوله عز وجل: {سُنَّةَ الله فِى الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلُ} يعني: سنة الله في الزناة القتل. ويقال: هذا سنة الله في الـذين مضوا من قبل. يعني: الـذين أضـمروا النفـاق بـأن يسـلط الله عليهم الأنبياء بالقتل {سُنَّةَ الله} {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً} يعني: مبدلاً ومغيراً.
قوله عز وجل: {يَسْـئَلُكَ النـاس عَنِ السـاعة} يعـني: عن قيام الساعة وذلك أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليـه وسـلم فسـأله: متى السـاعة؟ فقـال عليـه السـلام: «مَـا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». فنزل {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَـا عِندَ الله} يعني: علم قيام الساعة عند اللـه {وَمَـا يُـدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة تَكُونُ قَرِيباً} يعني: سريعاً. وعن عبد اللــه بن عمرو بن العـاص أنـه قـال: من أشـراط السـاعة أن يفتح القول، ويحزن الفعل، وأن ترفع الأشرار، وتوضـع الأخيـار. ومعنى يفتح الأقوال: أن يقـول أفعـل غـداً فـإذا جـاء غـداً، خالف قوله وقت الفعل. وأصل الفتح الابتداء، وهو أن يعـد لأخيه عدة حسنة ثم يخالفه. وقال عطاء بن أبي رباح: من اقتراب الساعة مطر ولا نبات، وعلو أصـوات الفسـاق في المسـاجد، وظهـور أولاد الـزِّنى، ومـوت الفجـأة، وانبعـاث الرويبضة يعني: السفلة من الناس. وقوله: {لَعَلَّ السـاعة تَكُونُ قَرِيباً} ولم يقل قريبة، لأنها جعلت ظرفـاً وبـدلاً ولم تجعل نعتاً وصفة.
ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله لَعَنَ الكـافرين} يعـني: خـذلهم وطردهم من رحمته {وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً} يعني: جهنم.

ويقال: لعن الكافرين في الدنيا بالقتل، وفي الآخرة أعد لهم سعيراً {خالدين فِيهَا أَبَداً لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً} يعني: قريباً ينفعهم {وَلاَ نَصِيراً} أي: مانعاً يمنعهم من العذاب، والسعير في اللغة هو النار الموقدة.

ثم قال عز وجل: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النار} يعني: تحول. يقول: هذا العذاب في {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النار} يعني: تحول عن الحسن إلى القبح من حال البياض إلى حال السواد وزرقة الأعين. ويقال: {تَقَلَّبُ} يعني: تجدد كقوله: {وَمَن يَتَوَلَّ الله وَرَسُولَهُ والذين ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغالبون} [النساء: 56] فيندمون على فعلهم ويوبخون أنفسهم {يَقُولُونَ ياليتنا ياليتنا أَطَعْنَا الله} فيما أمرنا ونهانا في دار الدنيا {وَأَطَعْنَا الرسولا} فيما دعانا إلى الحق {وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا} يعني: قادتنا وأشرافنا وعظماءنا {فَأَضَلُّونَا السبيلا} يعني: صرفونا عن طريق الإسلام. ويقال: أضللت الطريق وأضللته عن الطريق بمعنى واحد. قرأ ابن عامر: ساداتنا. وقرأ الباقون: سادتنا جمع سيد وساداتنا جمع الجمع.

ثم قال عز وجل: {رَبَّنَا ءاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العذاب} يعني: زدهم واحمل عليهم. يعني: عذبهم وارفع عنا بعض العذاب، واحمل عليهم فإنهم هم الذين أضلونا {والعنهم لَعْناً كَبِيراً} قرأ عاصم وابن عامر في إحدى الروايتين {كَبِيراً} بالباء من الكبر والعظم يعني: عذبهم عذاباً عظيماً. وقرأ الباقون: {كَثِيراً} من الكثرة، يعني: عذبهم عذاباً كثيراً دائماً.

▲ تفسير الآيات رقم [69- 73]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (69) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَنْ يُطِـعِ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًـا (71) إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمَانَـةَ عَلَى السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَـافِقِينَ وَالْمُنَافِقَـاتِ وَالْمُشْـرِكِينَ وَالْمُشْـرِكَاتِ وَيَتُـوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)}

قوله عز وجل: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كالـذين ءاذَوْاْ موسى} عليه السلام يعني: لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام قـال الفقيه أبو الليث رحمـه اللـه: أخـبرني الثقـة، بإسـناده عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى اللـه عليـه وسلم أنه قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُـرَاةً، يَنْظُـرُ بَعْضُهُمْ إلى سَوْأَةِ بَعْضٍ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: والله مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إلاّ أَنَّهُ آدَرُ. فَذَهَبَ مُوسَى مَـرَّةً يَغْتَسِـلُ. فَوَضَـعَ ثَوْبَـهُ عَلَى حَجَرٍ. فَفَرَّ الحَجَرُ بِثَوْبِهِ. فَخَرَجَ مُوسَى بِـأَثَرِهِ يَقُـولُ: حَجَـرْ ثَـوْبِي، حَجَـرْ ثَـوْبِي حَتَّى نَظَـرَتْ بَنُـو إِسْـرَائِيلَ إلى سَـوْأَةِ مُوسَى. فَقَالُوا: وَالله ما بِمُوسَـى مِنْ بَـأْسٍ. فَقَـامَ الحَجَـرُ وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْباً». فقال أبـو هريـرة: سـتة أو سبعاً. والله إن بالحجر لندباً سبعة بضرب موسى، وذلك قوله: {فَبرَّأَهُ الله مِمَّا قَالُواْ} ويقـال: إن موسـى وهـارون وابني هارون خرجوا فتوفي هارون في تلك الخرجة، فلمـا رجع موسى إلى قومـه قـالت السـفهاء من بـني إسـرائيل لموسى: أنت قتلت هارون. فخرج موسى مـع جماعـة من بني إسرائيل. فأحيا الله تعالى هارون عليه السـلام فـأخبر أنه لم يقتلـه أحـد، وأنـه مـات بأجلـه فـذلك قولـه تعـالى: {فَبرَّأَهُ الله مِمَّا قَـالُواْ} {وَكَـانَ عِنـدَ اللـه وَجِيهـاً} يعـني: مكيناً وكان له جاه عنده منزلة وكرامة.

ثم قال عز وجل: {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا اللـهِ} يعني: أطيعـوا اللـه واخشـوا اللـه {وَقُولُـواْ قَـوْلاً سَـدِيداً} يعني: عدلاً صواباً فيما بينكم وهو قولهم ابن فلان فأمرهم أن ينسـبوهم إلى آبـائهم. ويقـال: {قُولُـوا قَـوْلاً سَـدِيداً} يعـني: لا إلـه إلا اللـه. ويقـال: قـولاً مخلصـاً {يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالكم} يعني: يقبل أعمالكم {وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُـولَهُ} في السـر والعلانيـة {فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزاً عَظِيماً} يعني: نجى بالخير وأصاب نصيباً وافراً.

قوله عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الامانة عَلَى السـموات والارض والجبال} قال مجاهد: لما خلـق اللـه عـز وجـل آدم عليـه السلام عرض عليه الأمانة فحملها، فما كان بين أن حملها، وبين أن أخـرج من الجنـة، إلا كمـا بين الظهـر والعصـر. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قـال: {إِنَّا عَرَضْـنَا الامانة} يعني: الفرائض على السموات والأرض والجبـال. فقال لهن: يأخذن بما فيها. فقلنا: وما فيه يا رب؟ قال: إن أحسـنتن جـوزيتن. وإن أسـأتن عـوقبتن. فقلن: يـا رب إن تعرضها علينا فلا نريد، وإن أمرتنا بها فنحن نجتهد.

وعرضـت على الإنسـان يعـني: آدم عليـه السـلام فقبلهـا وحملها. وقال بعضهم: هذا على وجـه المثـل إن لم تظهـر الخيانـــة في الأمانـــة إلا من الإنســـان. فلم تظهـــر من السـموات والأرض والجبـال كمـا قـال: {لَـوْ أَنزَلْنَـا هـذا القرءان على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خاشعا مُّتَصَـدِّعاً مِّنْ خَشْـيَةِ اللـه وَتِلْـكَ الامثـال نَضْـرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشـر: 21] فكأنــه يقــول: لــو عرضــنا الأمانــة على الســموات والأرض والجبـال لأبين حملهـا {وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الإنسـان} يعـني: آدم وذريتـه {إِنَّهُ كَـانَ ظَلُومـاً جَهُـولاً} بالقبول. وروي عن الحسن أنه قال: عرض على السموات عرض تخيير لا عرض إيجاب. فلذلك لم تعص بترك قبولهـا ويقـال: {عَرَضْـنَا الامانــة عَلَى الســموات} يعــني: على

ملائكـة السـموات والأرض والجبـال. كمـا قـال: {واسـئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعير التى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لصادقون} [يوسف: 82] يعني: أهل القريـة. وقـال السـدي: لمـا أراد أن يحج، عـرض الأمانـة يعـني: أمـر ولـده شِـيث وقابيـل وهابيل فعـرض على قابيـل الكخداذبيـة والائتمـار، والقيـام في شـغل الـدنيا، والعيش حـتى يرجـع هـو من الحج إلى وطنه. فقبله ثم خانه، فقتـل أخـاه. وإنمـا كـان عـرض آدم بأمر الله تعالى فلذلك قال: {عَرَضْنَا}. وقـال بعضـهم: إن الله عز وجل لما اسـتخلف آدم على ذريتـه، وسـلّطه على جميع مـا في الأرض من الأنعـام والوحـوش والطـير، عهـد إليه عهداً أمره فيه، ونهاه فقبله. ولم يزل عاملاً به إلى أن حضرته الوفاة. فسأل ربـه أن يعلمـه من يسـتخلف بعـده، ويقلده الأمانة. أن يعرض على السموات والأرض بالشرط الـذي أخـذ عليـه من الثـواب إن أطـاع، ومن العقـاب إن عصى {فَأَبَيْنَ} أن يقبلنها شفقاً من عذاب الله. فأمره أن يعـرض على الأرض والجبـال فكلاهمـا أبيـا، ثم أمـره أن يعرض على ولده فقبـل بالشـرط إنـه كـان ظلومـاً جهـولاً لعاقبة ما تقلده يعني: المتقبل الذي تقبله منه.

وروى عبـد الـرزاق عن معمـر عن زيـد بن أسـلم قـال: {الامانة} ثلاث في الصلاة والصيام والجنابة.

ثم قال عز وجـل: {لِّيُعَـذِّبَ اللـه المنـافقين والمنافقـات} يعــني: عرضــنا الأمانــة على الإنســان لكي يعــذب اللــه المنـافقين والمنافقـات {والمشـركين والمشـركات} بمـا خانوا الأمانة {وَيَتُوبَ الله عَلَى المؤمنين والمؤمنات} بمـا أوفوا الأمانة {وَكَـانَ اللـه غَفُـوراً رَّحِيمـاً} وكـان صـلة في الكلام يعــني واللــه غفــور لــذنوب المؤمــنين، رحيم بهم.

وروى سفيان عن عاصم، عن زر بن حبيش قال: قـال أبي بن كعب: كانت سورة الأحـزاب لتقـارب سـورة البقـرة أو أطول منها، وكان فيها آية الرجم. قلت: يا أبـا المنـذر ومـا

آية الـرجم؟ فقـال: إذا زنى الشـيخ والشـيخة فارجموهمـا البتة نكالاً من الله العزيز الحكيم، والله أعلم، وصلى اللــه على سيدنا محمد النبي الأمي وآله وسلم.

سورة سبأ

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (1) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)}

قول الله تعالى: {الحمد للَّهِ الذى لَهُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق {وَلَهُ الحمد فِى الاخرة} يعني: يحمده أهل الجنة. ويقال: يحمدونه في ستة مواضع. أحدهما حين نودي {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} [يس: 59] فإذا تميز المؤمنون من الكافرين يقولون: {فَإِذَا استويت أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الفلك فَقُلِ الحمد للَّهِ الذى نَجَّانَا مِنَ القوم الظالمين} [المؤمنون: 28] كما قال نوح عليه السلام حين أنجاه الله عز وجل من قومه. والثاني حين جازوا الصراط قالوا: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: 34]. والثالث لما دنوا إلى باب الجنة، واغتسلوا بماء الحيوان، ونظروا إلى الجنة، وقالوا: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الإنهار وَقَالُواْ الحمد لِلَّهِ الذى هَدَانَا لهذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لولا أَنْ هَدَانَا اللهِ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بالحق ونودوا أَن تِلْكُمُ الجنة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: 43]. والرابع لما دخلوا الجنة استقبلتهم الملائكة عليهم السلام بالتحية فقالوا: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الارض نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين} [الزمر: 74] الآية. والخامس حين استقروا في منازلهم وقالوا: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الذى أَحَلَّنَا دَارَ

المقامة مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر: 34، 35]. والسادس كلما فرغوا من الطعام قالوا: {بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم} [الفاتحة: 1]. وقال بعضهم: إنها الذي استوجب الحمد في الآخرة كما استوجب الحمد في الدنيا.

ثم قال: {وَهُوَ الحكيم} حين حكم بالبعث {الخبير} يعني: العليم بهم.

ثم قال عز وجل: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِى الارض} يعني: ما يدخل في الأرض من المطر والأموات والكنوز {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من النبات والكنوز والأموات {وَمَا يَنزِلُ مِنَ السماء} من مطر أو وحي أو رزق أو مصيبة {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} يعني: يصعد إلى السماء من الملائكة وأعمال بني آدم {وَهُوَ الرحيم} بخلقه {الغفور} بستر الذنوب وتأخير العذاب عنهم.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 5]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (5)}

قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا الساعة قُلْ بلى وَرَبّى} قسم أقسم به يعني: بلى والله.

قوله: {لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الغيب} قرأ ابن عامر ونافع {عالم} بالضم، جعله رفعاً بالابتداء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: {عالم الغيب} بكسر الميم وهو صفة لله تعالى. وهو قوله: {الحمد لِلَّهِ} ويقال: ردّه إلى حرف القسم وهو قوله تعالى: {قُلْ بلى وَرَبّى * عالم}. وقرأ حمزة والكسائي {عِلْمَ الغيب} وهو على المبالغة في وصف

الله عز وجل بالعلم. ويقال: من قرأ {عالم الغيب} بالضم فهو على المدح ومعناه: هو {عالم الغيب}. ويقال: هو على الابتداء وخبره {لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ} قرأ الكسائي: {لاَ يَعْزُبُ} بكسر الواو. وقرأ الباقون: بالضم، ومعناهما واحد أي: لا يغيب عنه {مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعني: وزن ذرة صغيرة. والذرة النملة الصغيرة الحمراء. ويقال: التي ترى في شعاع الشمس {فِي السموات وَلاَ فِى الارض وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِى كتاب مُّبِينٍ} يعني: قد بيّن الله عز وجل في اللوح المحفوظ {لِيَجْزِىَ} يعني: لكي يثيب {الذين كَفَرُواْ} بأعمالهم في الدنيا {وَعَمِلُواْ الصالحات أُوْلَئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} أي: ثواب حسن في الجنة.

قوله عز وجل: {والذين سَعَوْاْ فِى ءاياتنا} يعني: عملوا في القرآن {معاجزين} يعني: متسابقين ليسبق كل واحد منهم بالتكذيب قرأ أبو عمرو وابن كثير {معاجزين} أي: مثبطين يثبطون الناس عن الإيمان بالقرآن و{أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مّن رّجْزٍ أَلِيمٌ} قرأ ابن كثير وعاصم في رواية حفص {أَلِيمٌ} بضم الميم وكذلك في الجاثية جعلاه من نعت العذاب يعني: عذاب أليم من رجز على معنى التقديم. يعني: عذاب شديد. وقرأ الباقون: بالكسر فيكون صفة للرجز يعني: عذاب من العذاب الأليم.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 9]

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (6) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7) أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (9)}
ثم قال عز وجل: {وَيَرَى الذين أُوتُواْ العلم} يعني: أي يعلم الذين أوتوا العلم. وهذا روي في قراءة ابن مسعود: يعني به مؤمني أهل الكتاب يعني: إنهم يعلمون أن {الذى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبّكَ} يعني: القرآن {هُوَ الحق وَيَهْدِى} يعني: يدعو ويدل {إلى صِرَاطِ العزيز الحميد} يعني: إلى طريق الرب العزيز بالنقمة لمن لم يجب الرسل الحميد في فعاله.
قوله عز وجل: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ} يعني: كفار أهل مكة {هَلْ نَدُلُّكُمْ على رَجُلٍ} يعني: قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل {يُنَبّئُكُمْ} يعني: يخبركم {إِذَا مُزّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} يعني: يخبركم أنكم إذا متم وتفرقتم في الأرض، وأكلتكم الأرض كل ممزق، يعني: وكنتم تراباً {إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ} يعني: بعد هذا كله صرتم خلقاً جديداً.
قوله عز وجل: {افترى عَلَى الله كَذِبًا} يعني: قالوا: إن الذي يقول إنكم لفي خلق جديد اختلق على الله كذباً {أَم بِهِ جِنَّةٌ} يعني: به جنون.
يقول الله: {بَلِ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} هم كذبوا حين كذبوا بالبعث {فِى العذاب والضلال البعيد} يعني: هم في العذاب في الآخرة. والخطأ الطويل في الدنيا عن الحق.
ثم خوفهم ليعتبروا فقال عز وجل: {أَفَلَمْ يَرَوْاْ إلى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مّنَ السماء والارض} لأن الإنسان حيثما نظر، رأى السماء والأرض. قال قتادة: إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض {إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الارض} يعني: تغور بهم وتبتلعهم الأرض {أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مّنَ السماء} يعني: جانباً من السماء. قرأ حمزة والكسائي: {إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ} أو يسقط الثلاثة كلها بالياء. وقرأ الباقون: كلها

بـالنون. فمن قـرأ باليـاء: فمعنـاه إن يشـأ اللـه. ومن قـرأ بالنون فهو على معنى الإضافة إلى نفسه.

ثم قال عز وجل: {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً} يعـني: لعـبرة {لّكُـلّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ} يعني: مقبل إلى طاعة الله عز وجـل. ويقـال: مخلص القلب بالتوحيد. ويقـال: مشـتاق إلى ربـه. ويقـال: {أَفَلَمْ يَرَوْاْ إلى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني: أفلم يعلموا أن اللـه خـالقهم، وخـالق السـموات والأرض، وهـو قـادر على أن يخسف بهم إن لم يوحدوا {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَـةً} أي: لعلامـة لوحدانيتي.

تفسير الآيات رقم [10- 11]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْـرَ وَأَلَنَّا لَـهُ الْحَدِيـدَ (10) أَنِ اعْمَـلْ سَـابِغَاتٍ وَقَـدِّرْ فِي السَّـرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاوُدُ مِنَّا فَضْلاً} يعني: أعطيناه النبوة والملك {فَضْلاً ياجبال أَوّبِى مَعَهُ} يعني: سبحي مـع داود. وأصله في اللغة من الرجـوع. وإنمـا سـمي التسـبيح إياباً لأن المسبح مرة بعد مرة وقال القتبي: أصله التـأويب من السير، وهو أن يسير النهار كله، كأنـه أراد أوبي النهـار كله بالتسبيح إلى الليل.

ثم قال: {والطير} وقـرئ في الشـاذ: {والطـير} بالضـم. وقراءة العامة بالنصب. فمن قرأ بالضم: فهو على وجهين. أحـدهما أن يكـون نسـقاً على أوبي، والمعـنى يـا جبـال ارجعي بالتسـبيح معـه أنت والطـير. ويجـوز أن يكـون مرفوعاً على النداء والمعنى أيها الجبال وأيها الطـير. ومن قرأ بالنصب فلثلاث معـانٍ أحـدها لـنزع الخـافض ومعنـاه: أوبي معـه، ومـع الطـير. والثـاني أنـه عطـف على قولـه: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا دَاوُدُ مِنَّا فَضْلاً} وآتيناه الطير يعـني: وسـخرنا له الطير. والثالث أن النداء إذا كان على أثره اسم، فكـان الأول بغير الألـف واللام، والثـاني بـالألف واللام، فإنـه في

الثاني بالخيار إن شاء نصبه، وإن شاء رفعه والنصب أكـثر كما قال الشاعر
ألاَ يَا زَيْدُ والضَّحَّاكَ سِيْرَا *** فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمرَ الطَّرِيقِ
ورفع زيداً لأنه نداء مفرد، ونصب الضـحاك بإدخـال الألـف واللام.
ثم قال عز وجل: {وَأَلَنَّا لَهُ الحديد} يعني: جعلنا له الحديد مثل العجين {أَنِ اعمـل سـابغات} يعـني: قلنـا لـه اعمـل الدروع الواسعة. وكان قبل ذلك صفائح الحديد مضروبة.
ثم قـال: {وَقَـدّرْ فِى السـرد} قـال السـدي: {السـرد} المسامير التي في خلق الدرع. وقال مجاهـد: {وَقَـدّرْ فِى السـرد} أي: لا تـدق المسـامير، فتقلقـل في الحلقـة، ولا تغلظها فتعصمها، واجعله قدراً بين ذلـك. وقـال في روايـة الكلبي هكذا. وقال بعضهم: هذا لا يصـح لأن الـدروع الـتي عملها داود عليه السلام وكانت بغير مسـامير، لأنهـا كـانت معجزة له. ولو كـان محتاجـاً إلى المسـمار لمـا كـان بينـه وبين غـيره فـرق. وقـد يوجـد من بقايـا تلـك الـدروع بغير مسامير، ولكن معنى قوله: {وَقَدّرْ فِى السـرد} أي: قـدر في نسـخها وطولهـا وعرضـها وضـيقها وسـعتها. ويقـال: {قُدِرَ} في تأليفـه والسـرد في اللغـة تقدمـة الشـيء إلى الشيء. يأتي منسقاً بعضه إلى أثر بعض، متتابعـاً. ويقـال: يسـرد في الكلام إذا ذكـره بالتـأليف. ومنـه قيـل لصـانع الدروع: سـراد وزراد، تبـدل من السـين الـزاي. وروي عن عائشة أنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لم يكن يسـرد الحـديث كسـردكم أي: لم يتـابع في الحـديث كتتابعكم.
ثم قال: {واعملوا صالحا} يعني: أدوا فرائضي وقد خاطبه بلفظ الجماعة كما قال: {ياأيها الرسل كُلُـواْ مِنَ الطيبـات واعملوا صـالحا إِنّى بِمَـا تَعْمَلُـونَ عَلِيمٌ} [المؤمنـون: 51]

وأراد به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. ويقال: إنه أراد به داود وقومه {إِنّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} يعني: عالم

تفسير الآيات رقم [12- 14]

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (12) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)}

قوله عز وجل: {ولسليمان الريح} قرأ عاصم في رواية أبي بكر {الريح} بالضم وقرأ الباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه: {وَسَخَّرْنَا لسليمان الريح} كما اتفقوا في سورة الأنبياء {ولسليمان الريح} تكون رفعاً على معنى الخبر.

ثم قال: {الريح غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} تسير به الريح عند الغداة مسيرة شهر فتحمله مع جنوده من بيت المقدس إلى اصطخر. {وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} يعني: تسير به عند آخر النهار مسيرة شهر من اصطخر إلى بيت المقدس، واصطخر عند بلاد فارس. {وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القطر} يعني: أجرينا له عين الصفر المذاب. يقال: تسيل له في كل شهر ثلاثة أيام يعمل بها ما أحب. وروى سفيان عن الأعمش قال: سيلت له كما سيل الماء ويقال جرى له عين النحاس في اليمن. وقال شهر بن حوشب: جرى له عين النحاس من صنعاء {وَمِنَ الجن مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: وسخرنا لسليمان {مّن الجن مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ} {بِإِذْنِ رَبّهِ} يعني: بأمر ربه {وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا} يعني: من يعصِ سليمان فيما أمره {نُذِقْهُ مِنْ

عَذَابِ السعير} قال بعضهم: كان معه ملك، ومعـه سـوط من عذاب السـعير. فـإذا خـالف سـليمان أحـد الشـياطين ضربه بذلك السوط. وقال مقاتل: يعني بـه عـذاب الوقـود في الآخرة.

قوله عز وجل: {يَعْمَلُـونَ لَـهُ مَـا يَشَـاء} يعـني: مـا يشـاء سليمان {مِن محاريب} يعني: المساجد. ويقـال: الغـرف. {وتماثيل} يعني: على صور الرجال من الصـفر والنحـاس لأجل الهيبـة في الحـرب وغـيره. ويقـال: ويجعلـون صـوراً للأنبياء ليستزيد الناس رغبة في الإسلام.

ثم قـال: {وَجِفَـانٍ كـالجواب} يعـني: قصـاعاً كالحيـاض الكبيرة. ويجلس على القصعة الواحدة ألـف رجـل أو أقـل أو أكثر. الجابية في اللغة: الحوض الكبير وجماعته جـواب. قرأ ابن كثير: كالجوابي بالياء في الوقف والوصـل جميعـاً. وقرأ أبـو عمـرو: وباليـاء في الوصـل والبـاقون: بغـير يـاء. فمن قرأ بالياء فلأنـه الأصـل ومن حـذف فلاكتفائـه بكسـر الياء.

قوله: {كالجواب وَقُدُورٍ رسيات} يعني: ثابتات في الأرض لا تزول من مكانها، وكـان يتخـذ القـدور من الجبـال. قـال مقاتل: كان ملكه ما بين مصر وبابل. وقال بعضهم: جميـع الأرض.

ثم قال: {اعملوا ءالَ دَاوُدُ شاكرا} يعـني: يـا آل داود لمـا أعطيتكم من الفضـل. ويقـال: معنـاه اعملـوا عملاً تـؤدوا بذلك شكر نعمتي {وَقَلِيلٌ مّنْ عِبَادِىَ الشـكور} والشـكور هو المبالغة في الشـكر. وهـو من كـان عادتـه الشـكر في الأحـوال كلهـا. ومثـل هـذا في النـاس قليـل. وهـذا معـنى قوله: {وَقَلِيلٌ مّنْ عِبَادِىَ الشـكور} وروي عن أبي العاليـة أنه قال هو شكر الشـكر يعـني: إذا شـكر النعمـة يعلم أن ذلك الشكر بتوفيق الله عز وجل.

ويشكر لذلك الشكر، وهذا في الناس قليل.

ثم قال عز وجل: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المـوت} يعـني: على سليمان عليه الصلاة والسلام فكان سليمان يبـني في بيت المقدس، فرأى أن ذلك لا يتم إلا بالجن. فـأمرهم بالعمـل وقال لأهله: لا تخبروهم بمـوتي. فكـان قائمـاً في الصـلاة، متكئاً على عصـاه، وكـان سـليمان عليـه الصـلاة والسـلام يطول الصلاة. فكان الجن إذا حضروا، رأوه قائمـاً فرجعـوا ويقولون: إنه قائم يصلي فيقبلون على أعمالهم.

وروى إبـراهيم بن الحكم عن أبيـه عن عكرمـة قـال: كـان سـليمان عليـه السـلام إذا مـرّ بشـجرة يعـني: بشـيء من نبات الأرض قال لها: ما شأنك؟ فتخبره الشجرة أنهـا كـذا وكذا، ولمنفعة كذا وكذا، فيدفعها إلى الناس حـتى ينتفعـوا بها. فمر بشجرة فقال لها: ما اسمك يـا شـجرة؟ فقـالت: أنا خرنوبة. فقال: ما شأنك؟ قـالت: أنـا لخـراب المسـجد. فتعصى سليمان منها عصـا، فكـانت الجن يقولـون للإنس: إنا نعلم الغيب. وإن سليمان سأل الله عز وجــل أن يخفي موته. فلما قضى الله عـز وجـل على سـليمان المـوت لم تـدر الجن ولا الإنس ولا أحـد كيـف مـات، ولم يطلـع أحـد على موته. والجن تعمـل بأشـد مـا كـانوا عليـه، حـتى خـرّ سـليمان عليـه السـلام فنظـروا كيـف مـات فلم يـدروا، فنظروا إلى العصا فرأوا العصـا قـد أكلت يعـني: قـد أكـل منها، وفي العصا أرضة. فنظروا إلى أين أكلت الأرضة من العصا. فجعلوه علماً، ثم ردوا الأرضة فيهـا فـأكلت شـهراً، ثم نظروا كم أكلت في ذلك الشهر، ثم قاسـوها بمـا أكلت من قبل. فكان لموته اثنا عشر شـهراً. فتـبيّن للجن أن لـو كانوا يعلمون الغيب مـا لبثـوا في العـذاب المهين. فقـالت الجن: إن لها علينا حقاً. يعني: الأرضـة فهم يبلغونهـا المـاء فلا يزال لها طينة رطبـة فـذلك قولـه: {فَلَمَّا قَضَـيْنَا عَلَيْـهِ الموت} {مَا دَلَّهُمْ على مَوْتِـهِ} يعـني: مـا دلّ على مـوت سليمان {إِلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ} يعني: الأرضة {تَأْكُـلُ مِنسَـأَتَهُ}

يعني: عصاه. قرأ نافع وأبو عمرو {مِنسَأَتَهُ} بلا همز. وقرأ الباقون بالهمز. فمن قرأ بالهمز فهو من نسأ ينسأ إذا زجر الدابة، ثم تسمى عصاه منسأة لأنه يزجر بها الدَّابَة. ومن قرأ بغير همز فقد حذف الهمزة للتخفيف وكلاهما جائز
{فَلَمَّا خَرَّ} يعني: سقط عليه السلام {تَبَيَّنَتِ الجن} علم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب. ويقال: {تَبَيَّنَتِ الجن} يعني: ظهر لهم: أنهم لو علموا الغيب يعني: {أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الغيب مَا لَبِثُواْ فِى العذاب المهين} فتفرقوا عن ذلك. قرأ حمزة: {مِّنْ عِبَادِىَ الشكور} بسكون الياء. وقرأ الباقون: بالنصب وهما لغتان وكلاهما جائز.

تفسير الآيات رقم [15- 17]

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آَيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (16) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (17)}
قوله عز وجل: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ} قرئ بالنصب والكسر. وقد ذكرناه من قبل. فمن قرأ بالكسر والتنوين جعله اسم أب القبيلة ومن قرأ بالنصب جعله أرضاً والأول أشبه. لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن سبأ. فقال: «هُوَ اسمُ رَجُلٍ». ويقال: هو سبأ بن يشخب بن يغرب بن قحطان. وروي عن ابن عباس أنه قال: هي من قرى اليمن بعث عز وجل ثلاثة عشر نبياً عليهم السلام إلى ثلاث عشر قرية باليمن اتبع بعضهم بعضاً، حتى اجتمعت الرسل في آل سبأ. وقرية أخرى، فأتوهم فذكروهم نعم الله عز وجل وخوفوهم عقابه. وروى

أسـباط عن السـدي قـال: كـانت أرضـهم أرضـاً خصـيبة، وكانت المرأة تخرج على رأسها مكتلاً فلا ترجـع حـتى تملأ مكتلها من أنواع الفاكهة من غير أن تمد يدها، وكان المـاء يـأتيهم من مسـيرة عشـرة أيـام حـتى يحبس بين جبلين، وكـانوا قـد ردمـوا ردمـاً بين جبلين فحبسـوا المـاء، وكـان يأتيهم من السيول فيسقون بساتينهم وأشـجارهم. ويقـال: كان لهم وادي. وكان للوادي ثلاث درفات. فإذا كـثر المـاء فتحوا الدرفة العليا، وإذا انتقص فتحـوا الدرفـة الوسـطى، وإذا قلّ الماء فتحـوا الدرفـة السـفلى. فأخصـبوا، وكـثرت أموالهم، واتخذوا من الجنان مـا شـاؤوا. فلمـا أحبـوا ذلـك وكذبوا رسلهم، بعث الله عز وجل عليهم جرذاً، فنقب ذلك الردم بجنب بستان رجل منهم يقال لـه عمـران بن عـامر وهو أب الأنصار والأزد وغسان وخزاعة ويسمون المنســأة العرم، فدخل البستان فإذا هو ينقب العرم وقد سال فأمر به فسد ثم نظر إلى الجرزة تنقل أولادها من أصـل الجبـل إلى أعلاه. وكان كاهناً فقال: ما تنقل هذه الجـرزة أولادهـا من أصل الجبل إلى أعلاه إلا وقد حضر هلاك هـذه البلـدة. فـدعى ابن أخ لـه فقـال: إذا رأيتـني جلسـت في جماعـة قومي فائتني. فقل: أي عم أعطني ميراثي من أبي. فإني سأقول: وهل ترك أبوك شـيئاً؟ فـأردد علي وكـذبني. فـإذا كذبتني فإني سألطمك فـالطمني. فقـال: أي عم مـا كنت لأفعل هذا بك؟ قال: بلى. فلما رأى لعمـه في ذلـك هـوًى. قال: أفعل ما تأمرني، ففعل. فقال عمران بن عـامر: للـه علي كـذا وكـذا أن أسـكن هـذه البلاد من يشـتري مـا لي. فلما عرفوا منه الجـد قـال هـذا: أعطيـك كـذا. فنظـر إلى أجودهم صفقة. فقـال: عجـل إليَّ مـالي فقـد حلفت أن لا أبيت بها، فعجل إليه ماله، وارتحل من يومه حـتى شـخص عنهم، فاتسـع ذلـك الخـرق حـتى انهـدم وغـرق بلادهم، وتفرقوا في البلدان. فذلك قوله: {لَقَـدْ كَـانَ لِسَـبَإٍ} {فِى

مَسْكَنِهِمْ} قرأ الكسائي: {فِى مَسْكَنِهِمْ} بكسر الكاف والنون.
وقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص: {مَسْكَنِهِمْ} بنصب الكاف وكسر النون. وقرأ الباقون: {مساكنهم} بالألف. والمسكن بنصب الكاف وكسره واحد وهما لغتان مثل مطلع ومطلع. والمساكين جمع مسكين.
وقد قيل: المسكن جمع المساكين لقد كان في منازلهم وقرياتهم {ءايَةً} أي: علامة ظاهرة لوحدانيتي {جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ} يعني: بستانان عن يمين الوادي، وعن شماله. وإنما أراد بالبستان البساتين. ويقال: بساتين عن يمين الطريق، وبساتين عن شماله. فأرسل الله تعالى إليهم الرسل فذكروهم النعم فقيل لهم {كُلُواْ مِن رّزْقِ رَبّكُمْ} يعني: من فضل ربكم {واشكروا لَهُ} فيما رزقكم {بَلْدَةٌ طَيّبَةٌ} يعني: هذه بلدة طيبة لينة بلا سبخة {وَرَبٌّ غَفُورٌ} لمن تاب من الشرك {فَأَعْرِضُواْ} عن الإيمان. وقالوا: من ذا الذي يأخذ منا النعم {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العرم} والعرم هو اسم لذلك الوادي. ويقال: اسم للمنشأة. ويقال: هو اسم للفأرة التي قرضت النهر حتى سال عليهم الماء. وجرى في بساتينهم وفي بيوتهم فخربها، وندت أنعامهم، وأخذ كل واحد منهم بيد ولده وامرأته، فصعدوا بهم الجبل فذلك قوله تعالى {وبدلناهم بجناتهم جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ} يعني: أبدلهم الله تعالى مكان الفاكهة ذواتي أكلٍ خمطً أي الأراك {وَأَثْلٍ} يعني: الطرفاء {وَشَىْء مّن سِدْرٍ قَلِيلٍ} والسدر كانوا يستظلون في ظله، ويأكلون من ثمره. قرأ أبو عمرو: {أُكُلَ} بكسر اللام بغير تنوين. وقرأ الباقون: بالتنوين فمن قرأ بالتنوين أراد {ذَوَاتَىْ} ثمر يؤكل ثم قال: {خَمْطٍ} بدلاً من أكل. والمعنى: ذواتي خمط وأكله ثمرة. ومن قرأ: بغير تنوين أضاف الأكل إلى الخمط. والخمط هو الأراك في اللغة

المعروفة. وقال بعضهم: كل نبت أخذ طعماً من مرارة، حتى لا يمكن أكله فهو خمط.
ثم قال: {ذلك جزيناهم} يعني: ذلك الذي أصابهم عقوبة لهم عاقبناهم {بِمَا كَفَرُواْ} أي: بكفرهم {وَهَلْ * نُجْزِى إِلاَّ الكفور} يعني: وهل يعاقب بمثل هذه العقوبة إلا الكفور بنعمة الله تعالى. ويقال: {الكفور} الكافر. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص: {وَهَلْ} بالنون وكسر الزاي {نُجْزِى إِلاَّ الكفور} بالنصب. وقرأ الباقون {يجازي} بالياء وفتح الزاي {نُجْزِى إِلاَّ الكفور} بالضم. فمن قرأ بالنون فهو على معنى الإضافة إلى نفسه. والكفور ينصب لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ {يجازى} بالياء فهو على فعل ما لم يسم فاعله. يعني: هل يعاقب بمثل هذه العقوبة إلا الكفور بنعمة الله تعالى. ويقال: هل يجازي الله. ومعنى الآية: أن المؤمن من يكفر عنه السيئات بالحسنات، وأما الكافر فإنه يحبط عمله كله، فيجازى بكل سوء يعمله كما قال تعالى: {الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله أَضَلَّ أعمالهم} [محمد: 1] أي: أبطل أعمالهم وأحبطها، فلم ينفعهم منها شيء وهذا معنى قوله: {وَهَلْ * نُجْزِى إِلاَّ الكفور}.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 21]

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آَمِنِينَ (18) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (19) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (20) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآَخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (21)}

ثم قال عز وجل: {وَجَعَلْنَـا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القـرى الـتى بَارَكْنَـا فِيهَا} قال في روايـة الكلـبي: إنهم قـالوا للرسـل: إنـا قـد عرفنا نعمة الله علينا، فوالله لئن يرد الله فيئتنا وجماعتنا، والذي كنا عليه، لنعبدنه عبـادة لم يعبـدها إيـاه قـوم قـط. فـدعت لهم الرسـل ربهم فـرد اللـه لهم مـا كـانوا عليـه. وأتاهم نعمة وجعل لهم من أرضهم إلى أرض الشام قـرى متصلة بعضها إلى بعض، فذلك قولـه: {وَجَعَلْنَـا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القرى الـتى بَارَكْنَـا فِيهَـا} {قُـرًى ظـاهرة} ثم عـادوا إلى الكفـر فأتـاهم الرسـل فـذكروهم نعمـة اللـه فكـذبوهم فمزقهم الله كل ممزق. وقال غـيره: {وَجَعَلْنَـا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القرى التى بَارَكْنَا فِيهَا} هذا حكاية عما كانوا فيه من قبـل أن يرسل عليهم سيل العرم قـرى ظـاهرة يعـني: متصـلة على الطريق من حيث يرى بعضها من بعض {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السير} للمبيت والمعيل من قرية إلى قرية {سِيرُواْ فِيهَا} يعني: ليسيروا فيها. اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الشـرط والجزاء. فلم يشكروا ربهم، فسألوا ربهم أن تكون القـرى والمنازل بعضها أبعد من بعض.

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا باعـد بَيْنَ أَسْـفَارِنَا} وقـد كانوا في قراهم آمنين منعّمين فذلك قوله: {وَجَعَلْنَـا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ} يعني: أنهم كانوا يسيرون من قرية إلى قرية بالليل والنهار، آمنين من الجوع، والعطش، واللصوص، والسـباع. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {بَعْدَ} بغـير ألـف وتشـديد العين. وقرأ الباقون {باعد} بالألف وهما لغتـان بَعّـدَ باعـد. وقـرأ يعقوب الخضرمي وكان من أهل البصرة {رَبَّنَا} بضم الباء {باعد} بنصب العين وهو على معنى الخبر.

وروى الكلبي عن أبي صالح أنه قرأ هكذا معناه {رَبَّنَا باعد بَيْنَ أسْفَارِنَا} فلذلك لا ينصب.

ثم قـال: {وَظَلَمُـواْ أَنفُسَـهُمْ} بالشـرك وتكـذيب الأنبيـاء {فجعلنـاهم أَحَـادِيثَ} يعـني: أهلكهم اللـه تعـالى فصـاروا

أحاديث للناس يتحدثون في أمـرهم وشـأنهم لم يبـق أحـد منهم في تلــك القــرى {ومزقنــاهم كُــلَّ مُمَــزَّقٍ} أي: فرقناهم في كل وجـه، فـألقى اللـه الأزد بعمـان، والأوس والخزرج بالمدينـة، وهمـا أخـوان وأهـل المدينـة كـانوا من أولادهما إحدى القبيلتين الخزرج والأخـرى الأوس، فسـموا باسـم أبيهم. وخزاعـة بمكـة كـانوا بنـو خزاعـة، منهم لخم وجذام بالشام. ويقال كلب وغسان {إِنَّ فِى ذَلِـكَ لآيَـاتٍ} أي: في هلاكهم وتفـريقهم لعـبرات {لِّكُـلِّ صَـبَّارٍ شَـكُورٍ} يعـني: للمؤمـنين الـذين صـبروا على طاعـة اللـه تعـالى، وشكروا نعمته.

قوله عـز وجـل: {وَلَقَـدْ صَـدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} يعـني: على أهل سبأ. ويقال: هذا ابتداء. يعني: جميع الكفار وذلك أن إبليس قـد قـال: {قَـالَ فَبِعِزَّتِـكَ لأغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين}

[ص: 82، 83] فكان ذلك ظناً منه فصدق ظنـه {فـاتبعوه إلاَّ فَرِيقاً} يعني: طائفة {مِنَ المؤمـنين} وهم الـذين قـال اللـه تعـالى: {إِنَّ عِبَـادِى لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سـلطان إِلاَّ مَنِ اتبعك مِنَ الغـاوين} [الحجـر: 42] وقـال سـعيد بن جبـير: كان ظنه أنه قال: أنا ناري وآدم طيني والنار تأكـل الطين. وكـذا روي عن ابن عبـاس رضـي اللـه عنـه قـرأ ابن كثـير ونـافع وأبـو عمـرو وابن عـامر: {وَلَقَـدْ صَـدَّقَ} بـالتخفيف يعني: صدق في ظنه. وقرأ البـاقون: {صَـدَقَ} بالتشـديد. يعني: صار ظنه صدقاً.

قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لَـهُ عَلَيْهِمْ مّن سـلطان} يعـني: لم يكن له عليهم ملك فيقهرهم. ويقال: يعني ما سـلطناه عليهم إلا لنختــبرهم من الــذي يطيعنــا. وقــال الحســن البصري رحمه الله: واللـه مـا ضـربهم بعصـا، ولا أكـرههم على شــيء، ومــا كــان إلا غــروراً وأمــاني دعــاهم إليهــا فأجابوه. وقال قتـادة: واللـه مـا كـان ظنـه إلا ظنـاً، فـنزل

الناس عند ظنه. وقال معمر: قال لي مقاتل: إن إبليس لما أنزل آدم عليه السلام ظن أن في ذريته من سيكون أضعف منه. فصدق عليهم ظنه. فإن قيل في آية أخرى: {إِنَّمَا سلطانه على الذين يَتَوَلَّوْنَهُ والذين هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} [النحل: 100] وهاهنا يقول: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سلطان} قيل له: أراد بالسلطان هناك الحجة يعني: إنما حجته على الذين يتولونه. وهاهنا أراد به الملك والقهر يعني: لم يكن له عليهم ملك يقهرهم به. ويقال: معنى الآيتين واحد. لأن هناك قال: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا. وهاهنا قال: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مّن سلطان} يعني: حجة على فريق من المؤمنين إلا بالتزيين والوسوسة منه.

{إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بالاخرة مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكّ} يعني: نميز من يصدق بالبعث ممن هو في شك. يعني: من قيام الساعة. وقال القتبي: علم الله نوعان: أحدهما علم ما يكون من إيمان المؤمنين. وكفر الكافرين من قبل أن يكون. وهذا علم لا يجب به حجة، ولا عقوبة، والآخر علم الأمور الظاهرة. فيحق به القول، ويقع بوقوعها الجزاء. يعني: ما سلطانه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهراً موجوداً، وكفر الكافرين ظاهراً موجوداً. وكذلك قوله: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جاهدوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصابرين} [آل عمران: 142] الآية.

ثم قال عز وجل: {وَرَبُّكَ عَلَى كُلّ شَئ حَفُيظٌ} يعني: عالماً بالشك واليقين. ويقال: عالم بقولهم. ويقال: عالم بما يكون منهم قبل كونه. ويقال: حفيظ يحفظ أعمالهم ليجازيهم.

▲ تفسير الآيات رقم [22- 23]

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ

شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُـزِّعَ عَنْ قُلُـوبِهِمْ قَـالُوا مَـاذَا قَـالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (23)}
ثم قال عز وجل: {قُـلِ ادعـوا الـذين زَعَمْتُم} يعـني: قـل لكفـار مكـة {أَدْعُـو الـذين زَعَمْتُمْ} {مِن دُونِ اللـه} أنهم آلهـة فيكشـفوا عنكم الضـر الـذي نـزل بكم من الجـوع. يعني: الأصنام. ويقال: الملائكة عليهم السلام. {لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يعـني: نملـة صـغيرة {فِي السـموات وَلاَ فِى الارض} يعـني: إذا كـان حـالهم هـذا، فمن أين جعلـوا لهم الشركة في العبادة.
ثم قـال: {وَمَـا لَهُمْ فِيهِمَـا مِن شِـرْكٍ} يعـني: في خلـق السـموات والأرض من عـون. ويقـال: مـا لهم فيهـا من نصيب {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مّن ظَهِيرٍ} يعني: معين من الملائكـة الذين يعبدونهم.
ثم ذكر أن الملائكة لا يملكون شيئاً من الشفاعة فقال عز وجل: {وَلاَ تَنفَعُ الشفاعة عِندَهُ} يعني: لا تنفع لأحد لا نبيـاً ولا ملكـاً {إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَـهُ} أن يشـفع لأحـد من أهـل التوحيـد. قـرأ نـافع وابن كثـير وابن عـامر في إحـدى الروايتين، {إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} بالنصـب. يعـني: حـتى يـأذن الله عز وجـل لـه. قـرأ البـاقون. بالضـم على فعـل مـا لم يسم فاعله. ومعناه: مثل الأول.
ثم أخبر عن خوف الملائكة أنهم إذا سـمعوا الـوحي خـرّوا سجداً من مخافة الله عـز وجـل، وكيـف يعبـدون من هـذه حاله وكذلك قوله: {حتى إِذَا فُـزّعَ عَن قُلُـوبِهِمْ} وذلـك أن أهل السموات لم يكونوا سمعوا صوت الوحي بين عيسـى ومحمد عليهما السلام، فسمعوا صـوتاً كوقـع الحديـد على الصفا فخروا سجداً مخافـة القيامـة وذلـك صـوت الـوحي. ويقال: صـوت نـزول جبريـل عليـه السـلام فخـروا سـجداً مخافة القيامة فهبط جبريـل عليـه السـلام على أهـل كـل

سماء فذلك قوله: {حتى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ}. وذكر عن بعض أهل اللغة أنه قال: إذا كانت حتى موصولة بإذا تكون بمعنى لما، تقع موقع الابتداء كقوله عز وجل: {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السماء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ} / [الحجر: 14] كقوله: {حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنبياء: 96] {وَلاَ تَنفَعُ الشفاعة عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حتى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ الحق وَهُوَ العلى الكبير} [سبأ: 23] يعني: لما فزع عن قلوبهم. ومعناه: انجلاء الفزع عن قلوبهم، فقاموا عن السجود، وسأل بعضهم بعضاً {قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} يعني: ماذا قال جبريل عليه السلام عن ربكم {قَالُواْ الحق} يعني: الوحي.

قال: حدّثنا الفقيه أبو الليث رحمه الله. قال: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا الدبيلي. قال: حدّثنا أبو عبد الله. قال: حدّثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إذَا قَضَى الله فِي السَّمَاءِ أمْراً ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خَضَعَاناً لِقَوْلِهِ، وَسُمِعَ لذلك صَوْتٌ كَأَنَّهَا سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ {قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} {قَالُواْ الحق} الَّذِي قَالَ: فَسِيحِي الشَّيَاطِينُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ. فَإِذَا سَمِعَ الأَعْلَى مِنْهُمُ الْكَلِمَةَ، رَمَى بِهَا إلَى الذي تَحْتَهُ وَرُبَّما أدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أنْ يَنْبِذَهَا وَرُبَّمَا نَبَذَهَا قَبْلَ أنْ تُدْرِكَهُ، فَيَنْبِذَهَا، بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ حَتَّى تَنْتَهيَ إلَى الأرْضِ، فَتُلْقَى عَلَى لِسَانِ الْكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كِذْبَةٍ، فَيُصَدِّقُ فَيَقُولُ، أَلَيْسَ قَدْ أخْبَرَ بِكَذَا وَكَذَا، وَكَانَ حَقّاً وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ» قرأ ابن عامر {حتى إِذَا فُزِّعَ} بنصب الفاء والزاي يعني: كشف الله الفزع. وقرأ الباقون: بضم الفاء على معنى ما لم يسم فاعله. وقرأ الحسن {حتى إِذَا فُزِّعَ} بالواو والغين يعني:

فرغ الفزع عن قلوبهم. وقـراءة العامـة بـالزاي أي خفـف عنهـا الفـزع. وقـال مجاهـد: معنـاه حـتى إذا كشـف عنهـا الغطاء يوم القيامة ثم قال {وَهُوَ العلى الكبير} يعني: هــو أعلى وأعظم وأجلّ من أن يوصف له شريك.

تفسير الآيات رقم [24- 30]

{قُلْ مَنْ يَـرْزُقُكُمْ مِنَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُـلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُـدًى أَوْ فِي ضَـلَالٍ مُبِينٍ (24) قُـلْ لَا تُسْـأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (25) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَـا بِـالْحَقِّ وَهُـوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (26) قُـلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِـهِ شُـرَكَاءَ كَلَّا بَـلْ هُـوَ اللَّهُ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ (27) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (28) وَيَقُولُـونَ مَتَى هَذَا الْوَعْـدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (29) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَـاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (30)}

قوله عز وجل: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مّنَ الســموات والارض} يعني: المطر والنبات فإن أجابوك وإلا {قُـلِ اللـه} يعـني: الله يرزقكم من السموات والأرض {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ} يعــني: قل لهم أحدنا {لعلى هُدًى} والأخرى على الضلال. يعــني: إنا على الهدى وأنتم على الضلالة وهذا كرجل يقول لآخـر: أحدنا كاذب وهو يعلم أنه أراد به صاحبه. ويقـال: في الآيـة تقديم يعني: وإنا على الهدى وإياكم {أَوْ فِى ضلال مُّبِينٍ}. ثم قال عز وجل: {قُـل لاَّ تُسْـئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَـا} يعـني: لا تسألون عن جرم أعمالنا {وَلاَ نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُـونَ} يعـني: لا نسأل عن جرم أعمالكم. ويقال: لا تأخـذون بجرمنـا، ولا نؤخذ بجرمكم.

قوله عز وجل: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَـا} يعـني: يـوم القيامـة نحن وأنتم {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَـا بـالحق} يعـني: بالعـدل {وَهُـوَ الفتاح العليم} القابض العليم بما يقضي {قُلْ أَرُونِىَ الذين أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُـرَكَاء} أروني آلهتكم الـذين تعبـدون من دون

اللـه، وتزعمـون أنهـا لـه شـركاء. أي: مـاذا خلقـوا في السموات والأرض من الخلق {كَلاَّ} يعني: ما خلقـوا شـيئاً {بَـلْ هُـوَ اللـه} خـالق كـل شـيء {العزيـز} في ملكـه {الحكيم} في أمره.

قوله عز وجل: {وَمَا أرسـلناك إِلاَّ كَافَّةً لّلنَّاسِ} أي: عامـة للناس {بَشِيراً}. وروى خالـد الحـذاء عن قلابـة عن النـبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أُعْطِيْتُ خَمْساً لَمْ يعْطَهُنَّ أَحَـدٌ قَبْلِي. بُعِثْتُ إلَى كُـلِّ أَحْمَـرَ وَأَسْـوَدَ فَلَيْسَ أَحَـدٌ مِنْ أحْمَـرَ وَأَسْـوَدَ يَـدْخُلُ فِي أُمَّتِي إلاَّ كَـانَ مِنْهُمْ وَنُصِـرْتُ بِـالرُّعْبِ أَمَـامِي مَسِـيرَةَ شَـهْرٍ. وَجُعِلْتُ فَاتِحـاً وَخَاتِمـاً. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، أيْنَمَـا أدْرَكَتْنَـا الصَّـلاةَ صَلَّيْنَا، وَإِنْ لَمْ نَجِدْ مَاءً تَيَمَّمْنَا وَأَطْعِمْنَا غَنَائِمَنَا وَلَمْ يطْعَمْهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلَنَا كَانَتْ قُرْبَانُهُمْ تَأْكُلُهُ النَّارُ». ثم قال: {بَشِيراً وَنَذِيراً} يعني: بشيراً بالجنة لمن أطاعه، ونذيراً بالنار لمن عصاه {ولكن أَكْثَرَ النـاس لاَ يَعْلَمُـونَ} يعـني: لا يصـدقون بالجنة ولا بالنار {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعـد} يعـني: البعث {إِن كُنتُمْ صادقين} يعني: إن كنت صادقاً. ويقال: إن كنت رسول الله.

قوله عز وجـل: {قُـل لَّكُم مّيعَـادُ يَـوْمٍ} يعـني: ميقاتـاً في العذاب. ويقال: ميعاداً في البعث والعذاب {لاَّ تَسْـتَئَخِرُونَ عَنْـهُ} يعـني: عن الميعـاد والعـذاب {سَـاعَةٍ} يعـني: قـدر ساعة {وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ} قبل الأجل. ويقال: معناه أنا قـادر اليوم على عـذابهم، ولكن أؤخـرهم في الوعـد الـذي كتب لهم في اللوح المحفوظ.

تفسير الآيات رقم [31- 35]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَنْ نُـؤْمِنَ بِهَـذَا الْقُـرْآَنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْـهِ وَلَـوْ تَـرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُـونَ عِنْـدَ رَبِّهِمْ يَرْجِـعُ بَعْضُـهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَـوْلَ يَقُـولُ الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا لِلَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْـتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْـدَ إِذْ جَـاءَكُمْ بَـلْ كُنْتُمْ مُجْـرِمِينَ (32) وَقَـالَ الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَـارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَـا أَنْ نَكْفُـرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَـرُّوا النَّدَامَـةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَـذَابَ وَجَعَلْنَـا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَـاقِ الَّذِينَ كَفَـرُوا هَـلْ يُجْـزَوْنَ إِلَّا مَـا كَـانُوا يَعْمَلُـونَ (33) وَمَـا أَرْسَـلْنَا فِي قَرْيَـةٍ مِنْ نَـذِيرٍ إِلَّا قَـالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (34) وَقَـالُوا نَحْنُ أَكْثَـرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (35)}

قوله تعالى: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بهذا القرءان وَلاَ بالـذى بَيْنَ يَدَيْـهِ} من التـوراة والإنجيـل. يعـني: لا نصـدق بذلك كله فحكى الله قولهم ثم ذكـر عقـوبتهم في الآخـرة فقال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظالمون} يعـني: لـو رأيت يـا محمـد الظـالمين يـوم القيامـة {مَوْقُوفُـونَ عِنـدَ رَبّهِمْ} يعـني: محبوسـين في الآخـرة {يَرْجِـعُ بَعْضُـهُمْ إلى بَعْضٍ القـول} يعني: يرد بعضهم بعضاً الجواب.

ثم أخبر عن قولهم فقال: {يَقُولُ الـذين استضـعفوا} وهم السفلة والأتباع {لِلَّذِينَ استكبروا} يعني: القادة والرؤساء {لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} يعني: لولا دعوتكم وتعريفكم إيانا لكنا مصدقين.

قولـه عـز وجـل: {قَـالَ الـذين اسـتكبروا} يعـني: القـادة {لِلَّذِينَ استضـعفوا} وهم الأتبـاع {أَنَحْنُ صـددناكم عَنِ الهدى} يعني: أنحن منعناكم عن الإيمان {بَعْدَ إِذْ جَـاءكُمْ} به الرسول {بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينَ} يعني: مشركين.

قولـه عـز وجـل: {وَقَـالَ الـذين استضـعفوا} يعـني: ردت الضعفاء عليهم الجواب. وقالوا: {لِلَّذِينَ استكبروا بَلْ مَكْـرُ اليل والنهار} يعني: قولكم لنـا بالليـل والنهـار، واحتيـالكم بالدعوة إلى الشرك. {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُـرَ باللـه} يعـني: نجحد بوحدانية الله {وَنَجْعَـلَ لَـهُ أَنـدَاداً} يعـني: نقـول لـه

شركاء {وَأَسَرُّواْ الندامة} يعني: أخفوا الحسرة. ويقال: أظهروا الندامة والحسرة {لَمَّا رَأَوُاْ العذاب وَجَعَلْنَا الاغلال} يعني: نجعل الأغلال يوم القيامة {فِى أَعْنَاقِ الذين كَفَرُواْ} من الرؤساء والسفلة {هَلْ يُجْزَوْنَ} يعني: هل يثابون في الآخرة {إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} في الدنيا.
قوله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مّن نَّذِيرٍ} يعني: من رسول {إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا} يعني: جبابرتها ورؤساؤها للرسل {إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافرون} يعني: جاحدون بالتوحيد. والمترف المتنعم، وإنما أراد به المتكبرين {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أموالا وأولادا} في الدنيا {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} في الآخرة. ومعناه: أن الكفار المتقدمين استخفوا بالفقراء، وآذوا الرسل. كما يفعل بك قومك، وافتخروا بما أعطاهم الله عز وجل من الأموال كما افتخر قومك. وأمره بأن يأمرهم بأن لا يفتخروا بالمال. فإن الله تعالى يعطي المال لمن يشاء.

تفسير الآيات رقم [36- 42]

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (36) وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (37) وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (38) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (42)}

وهـو قولـه عـز وجـل: {قُـلْ إِنَّ رَبّى يَبْسُـطُ الـرزق لِمَن يَشَاء} أي: يوسع المال لمن يشاء وهو مكر منه واستدراج {وَيَقْدِرُ} يعـني: يقـتر على من يشـاء، وهـو نظـر لـه لكي يعطى في الآخرة من الجنة بما قتر عليه في الدنيا {ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُـونَ} أن التقتـير والبسـط من اللـه عـز وجل. ويقال: لا يصدقون أن الذين اختاروا الآخرة خـير من الـذين اختـاروا الـدنيا ثم أخـبر اللـه تعـالى أن أمـوالهم لا تنفعهم يـوم القيامـة فقـال عـز وجـل: {وَمَـا أمـوالكم وَلاَ أولادكم بالتى تُقَرّبُكُمْ عِندَنَا زلفى} يعـني: قربـة. ومعنـاه: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا ولو كـان على سبيل الجمع لقـال بالـذين يقربـونكم، لأن الحكم للآدمـيين إذا اجتمع معهم غيرهم.

ثم قـال: {وَمَـا أمـوالكم وَلاَ} يعـني: إلا من صـدق اللـه ورسـوله {وَعَمِـلَ صـالحا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَـزَاء الضـعف بِمَـا عَمِلُـواْ} يعـني: للواحـد عشـرة إلى سـبعمائة وإلى مـا لا يحصـى. وقـال القتـبي: أراد بالضـعف التضـعيف أي: لهم جزاء وزيـادة. قـال: ويحتمـل {جَـزَاء الضـعف} أي: جـزاء الأضعاف كقوله: {قَالَ ادخلوا فى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الجن والإنس فِى النـار كُلَّمَـا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَـا حـتى إِذَا اداركـوا فِيهَـا جَمِيعًـا قَـالَتْ أُخْـرَاهُمْ لاولاهم رَبَّنَـا هؤلاء أَضَلُّونَا فَأاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النار قَالَ لِكُـلٍّ ضِـعْفٌ ولكن لاَّ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 38] أي: مضافاً.

وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه قـال: إن الغـني إذا كان تقياً، يضاعف الله له الأجر مرتين، ثم قرأ هـذه الآيـة. {وَمَا أموالكم وَلاَ أولادكم} إلى قولـه: {فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَـزَاء الضعف} يعني: أجره مِثْلَيْ مـا يكـون لغـيره. ويقـال: هـذا لجميع من عمل صالحاً {وَهُمْ فِى الغرفـات ءامِنُـونَ} قـرأ حمـزة: {وَهُمْ فِى * الغرفـة}. وقـرأ البـاقون: {وَهُمْ فِى الغرفات} والغرفـة في اللغـة كـل بنـاء يكـون علـواً فـوق

سـفل، وجمعـه غـرف وغرفـات. ومعنـاه: وهم في الجنـة آمنون من الموت، والهرم، والأمراض، والعـدو وغـير ذلـك من الآفات.

ثم قال عز وجل: {والذِينِ يَسْعَوْنَ فِى ءاياتنا * معاجزين} والقراءة قد ذكرناها {أُوْلَئِكَ فِى العذابِ مُحْضَرُونَ} يعني: في النار معذبون {قُـلْ إِنَّ رَبّى يَبْسُـطُ الِـرزق لِمَن يَشَـاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} وقد ذكرنـاه {وَمَـا أَنفَقْتُمْ مّن شَـئ} يعني: ما تصدقتم من صدقة {فَهُوَ يُخْلِفُهُ} يعني: فإن الله يعطي خلفـه في الـدنيا وثوابـه في الآخـرة {وَهُـوَ خَيْـرُ الرزقين} يعني: أقوى المعطين.

وروى أبو الدرداء عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «مَـا طَلَعَتْ شَـمْسٌ وَلا غَـرَبَتْ شَـمْسٌ إلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَيْهَا مَلَكَان يُنَادِيَانِ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ مَالَهُ خَلَفاً وَعَجِّلْ لِمُمْسِكٍ مَالَهُ تَلَفاً».

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً} يعني: الملائكـة عليهم السلام ومن عبدهم. قرأ بعضهم من أهـل البصـرة: {يَحْشُرُهُمْ} بالياء يعني: يحشرهم الله عز وجـل. وقـراءة العامة بالنون على معـنى الحكايـة عن نفسـه، {ثُمَّ يَقُـولُ للملائكـة أَهَـؤُلاَء إِيَّاكُمْ كَـانُواْ يَعْبُـدُونَ} يعـني: أنتم أمـرتم عبادي أن يعبدوكم، وهذا سؤال توبيخ كقوله لعيسى عليـه السـلام: {وَإِذْ قَـالَ اللـه ياعيسـى ابن مَـرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخذونى وَأُمِّىَ إلهين مِن دُونِ الله قَالَ سبحانك مَـا يَكُـونُ لى أَنْ أَقُـولَ مَـا لَيْسَ لِى بِحَـقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَـدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِـكَ إِنَّكَ أَنتَ علام الغيـوب} [المائـدة: 116] الآيـة {قَـالُواْ سـبحانك} فـنزهت الملائكـة ربهـا عن الشـرك وقـالوا: {سـبحانك} يعني: تنزيهاً لـك {أَنتَ وَلِيُّنَـا مِن دُونِهِمْ} ونحن بَـرَآءٌ منهم من أن نأمرهم أن يعبدونا {بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الجن} يعـني:

أطـاعوا الشـياطين في عبـادتهم {أَكْثَـرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُـونَ}
يعني: مصدقين الشياطين مطيعين لها.
يقول الله تعـالى: {فـاليوم لاَ يَمْلِـكُ بَعْضُـكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعـاً}
يعـني: شـفاعة {وَلاَ ضَـرّا} يعـني: ولا دفـع الضـر عنهم
{وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ} يعني: كفروا في الدنيا. يقـال: لهم
في الآخرة {ذُوقُواْ عَذَابَ النار التى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} إنها
غير كائنة ثم أخبر عن أفعالهم في الدنيا.

تفسير الآيات رقم [43- 49]

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ
يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آَبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَـرًى
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِـحْرٌ مُبِينٌ
(43) وَمَـا آَتَيْنَـاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُـونَهَا وَمَـا أَرْسَـلْنَا إِلَيْهِمْ
قَبْلَـكَ مِنْ نَـذِيرٍ (44) وَكَـذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَـا بَلَغُـوا
مِعْشَارَ مَا آَتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (45) قُلْ
إِنَّمَـا أَعِظُكُمْ بِوَاحِـدَةٍ أَنْ تَقُومُـوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُـرَادَى ثُمَّ
تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَـدَيْ
عَذَابٍ شَدِيدٍ (46) قُـلْ مَـا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْـرٍ فَهُـوَ لَكُمْ إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (47) قُـلْ إِنَّ
رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48) قُـلْ جَـاءَ الْحَـقُّ وَمَـا
يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (49)}
قوله عز وجل: {وَإِذَا تتلى} يعـني: يقـرأ وتعـرض {عَلَيْهِمْ
ءاياتنا بينات} بالأمر والنهي والحلال والحـرام {قَـالُواْ} مـا
نعـرف هـذا {مَـا هـذا إِلاَّ رَجُـلٌ يُرِيـدُ أَن يَصُـدَّكُمْ} يعـني:
يصـرفكم {عَمَّا كَـانَ يَعْبُـدُ ءابَـاؤُكُمْ} من عبـادة الأصـنام
{وَقَالُواْ مَا هذا إِلاَّ إِفْكٌ مُّفْتَرًى} يعني: كذباً مختلقاً {وَقَـالَ
الذين كَفَرُواْ لِلْحَقّ} يعني: للقرآن {لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هـذا إِلاَّ
سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: كذب بيّن.
ثم قال عز وجل: {وَمَا ءاتيناهم} يعني: ما أعطيناهم {مّنْ
كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} يعني: من كتب يقرؤونها وفيها حجـة لهم

بأن مـع اللـه شـريكاً {وَمَـا أَرْسَـلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَـكَ مّن نَّذِيرٍ} يعني: من رسـول في زمـانهم {وَكَـذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِمْ} يعـني: من قبـل قومـك رسـلهم كمـا كـذبك قومـك {وَمَـا بَلَغُواْ} أي: ما بلغ قومك {مِعْشَارَ مَا ءاتينـاهم} يعـني: مـا بلغ أهل مكة عشر الذي أعطينا الأمم الخالية من الأمــوال والقـوة، فـأهلكتهم بالعـذاب حين كـذبوا رسـلي {فَكَـذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} يعني: كيف كان إنكاري وتغيــيري عليهم وإيش خطــر هــؤلاء بجنب أولئــك فاحــذروا مثــل عذابهم {قُلْ إِنَّمَـا أَعِظُكُمْ بِواحـدة} يعـني: بكلمـة واحـدة ويقـال: بخصـلة واحـدة {أَن تَقُومُـواْ لِلَّهِ} بـالحق {مثـنى وفرادى ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَـا بصـاحبكم مّن جِنَّةٍ} يعـني: أمـركم بالإنصاف أن تتأملوا حـق التأمـل، وتتفكـروا في أنفسـكم، هــل لهــذا الرجــل الــذي يــدعوكم إلى خــالقكم وخــالق السموات والأرض هل رأيتم به جنوناً.

ثم قال: {مَا بصاحبكم مّن جِنَّةٍ} يعـني: من جنـون. وقـال القتبي: تأويله أن المشركين لما قالوا: إنه ساحر ومجنــون وكذاب فقال الله تعالى لنبيه صلى اللـه عليـه وسـلم قـل لهم اعتبروا أمري بواحـدة أن تنصـحوا لأنفسـكم ولا يميـل بكم هـوى فتقومـوا للـه في دار يخلـو فيهـا الرجـل منكم بصاحبه. فيقول له: هلمّ فلنتصادق. هل رأينـا بهـذا الرجـل جنة أم جربنا عليه كذباً.

ثم ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه فيتفكر، وينظـر. فـإن ذلك يدل على أنه نذير. قال: وكـل من تحيّـر في أمـر قـد اشتبه عليه واستبهم، أخرجه من الحيرة أن يسأل وينــاظر فيه ثم يتفكر ويعتبر.

ثم قال: {إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ} أي: ما هــو إلا مخــوف لكم {بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} أي: بين يدي القيامة.

ثم قال عـز وجـل: {قُـلْ مَـا سَـأَلْتُكُم مّن أَجْـرٍ فَهُـوَ لَكُمْ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر كفـار مكـة أن لا

يؤذوا أقربائه فكفوا عن ذلك فنزل {ذَلِكَ الذِى يُبَشِّـرُ اللـه عِبَادَهُ الذين ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات قُل لاَّ أَسْـأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْراً إِلاَّ المودة فِى القربى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ}

[الشـورى: 23] فكفـوا عن ذلـك. ثم سـمعوا بـذكر آلهتهم فقالوا: لا تنظرون إليه ينهانا عن إيذاء أقربائه. وسألناه أن لا يؤذينا في آلهتنا فلا يمتنع فنزل {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} إن شئتم آذوهم، وإنْ شئتم امتنعتم. {إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الله} فهو الحافظ والناصـر {وَهُـوَ على كُـلّ شَـئ شَهِيدٍ} بأني نذير وما بي جنون.

ثم قال عز وجل: {قُلْ إِنَّ رَبّى يَقْذِفُ بالحق} يعني: يـبين الحـق من الباطـل. ويقـال: يـأمر بـالحق. ويقـال: يتكلم بالحق. يعني: بالوحي {علام الغيوب} يعني: هو عـالم كـل غيب.

قوله عز وجل: {قُلْ جَاء الحق} يعني: ظهر الإسلام {وَمَا يُبْدِئ الباطل} يعني: لا يقدر الشيطان أن يخلق أحداً {وَمَا يُعِيدُ} يعـني: لا يقـدر أن يحييـه بعـد المـوت، والله تعـالى يفعـل ذلـك. ويقـال: {الباطـل} أيضـاً الصـنم. وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم دخـل مكـة وحـول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يـده، ويقول «{جَاء الحق} وَزَهَقَ البَاطِـلُ. قُـلْ: {جَـاء الحـق} وَمَا يُبْدِي البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ».

تفسير الآيات رقم [50- 54]

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَـدَيْتُ فَبِمَـا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (50) وَلَـوْ تَـرَى إِذْ فَزِعُـوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (51) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (52) وَقَدْ كَفَـرُوا بِـهِ مِنْ قَبْـلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (53) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا

يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (54)}
قوله عز وجل: {قُلْ} يا محمد {إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ على نَفْسِى} يعني: وزور الضلال على نفسي {وَإِنِ اهتديت} إلى الحق والهدى {فَبِمَا يُوحِى إِلَىَّ رَبّى} يعني: اهتديت بما يوحي إليّ من القرآن {إِنَّهُ سَمِيعٌ} للدعاء {قَرِيبٌ} بالإجابة ممن دعاه. وقيل للنابغة حين أسلم: أصبوت؟ يعني: آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم. قال: بلى. هو غلبني بثلاث آيات من كتاب الله عز وجل. فأردت أن أقول ثلاثة أبيات من الشعر على قافيتها. فلما سمعت هذه الآيات فعييت فيها ولم أطق، فعلمت أنه ليس من كلام البشر وهي هذه {قُلْ إِنَّ رَبّى يَقْذِفُ بالحق علام الغيوب} {قُلْ جَاء الحق وَمَا يُبْدِئ الباطل وَمَا يُعِيدُ} {قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ على نَفْسِى وَإِنِ اهتديت فِيمَا يُوحِى إِلَىَّ رَبّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ}.
قوله عز وجل: {وَلَوْ ترى إِذْ فَزِعُواْ} يعني: خافوا من العذاب {فَلاَ فَوْتَ} يعني: فلا نجاة لهم منها {وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}. روي عن الكلبي أنه قال: نزلت الآية في قوم يقال لهم: السفيانية يخرجون في آخر الزمان، عددهم ثلاثون ألف رجل إلى أن يبلغوا أرض الحجاز. فافترقوا فرقتين. فتقدمت فرقة إلى موضع يقال له: بيداء، صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة، فخسف بهم الأرض كلهم إلا واحداً منهم ينجو. فيحول وجهه إلى خلفه. فيرجع إلى الفرقة الأخرى، فيخبرهم بما أصابهم يعني: ولو ترى يا محمد فزعهم حين صاح بهم جبريل عليه السلام {فَلاَ فَوْتَ} أي: لا يفوت منهم فايت {وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} يعني: خسف بهم البيداء بقرب مكة. ويقال: يعني: يوم القيامة. {وَلَوْ تَرَى} {كَانَ مُحَمَّدٌ} {إِذْ فَزِعُواْ} حين نزل بهم العذاب يوم القيامة {فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن

مَّكَانٍ قَرِيبٍ} كما قال: {يَوْمَ يَكُونُ الناس كالفراش المبثوث} [النازعات: 36]. وقال الحسن: {وَلَوْ ترى إِذْ فَزِعُواْ} من قبورهم يوم القيامة وقال الضحاك: يعني: يوم بدر.

ثم قال عز وجل: {وَقَالُواْ ءامَنَّا بِهِ} يعني: العذاب حين رأوه، يقول الله تعالى {وأنى لَهُمُ التناوش} يعني: من أين لهم التوبة. ويقال: من أين لهم الرجفة. قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم في إحدى الروايتين التناؤش بالهمز. وقرأ الباقون بغير همز. فمن قرأ بالهمز فهو من {التناوش} وهو الحركة في إبطاء. والمعنى من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه. ومن قرأ بغير همز فهو من التناول. ويقال: تناول إذا مدّ يده إلى شيء ليصل إليه، وتناوش يده إذا مدّ يده إلى شيء لا يصل إليه.

ثم قال: {مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} يعني: من الآخرة إلى الدنيا. وروي عن ابن عباس أنه قال: {مِن مَّكَانِ بَعِيدٍ} قال: سألوا الرد حين لا رد.

ثم قال عز وجل: {وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ} يعني: كفروا بالله من قبل الموت. ويقال به، يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقال: بالقرآن {وَيَقْذِفُونَ بالغيب} يعني: يتكلمون بالظن في الدنيا {مِن مَّكَانِ بَعِيدٍ} أنه لا جنة ولا نار ولا بعث.

ثم قال: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} يعني: من الرجفة إلى الدنيا ويقال: من التسوية. كيف ينالون التسوية في هذا الوقت وقد كفروا به من قبل {كَمَا فُعِلَ بأشياعهم مّن قَبْلُ} يعني: الأقدمون أهل دينهم، الأولون من قبل الأشياع جمع الجمع. يقال: شيعة وشيع وأشياع.

ثم قال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكّ مُّرِيبِ} يعني: هم في شكّ مما نزل بهم مريب. يعني: إنهم لا يعرفون شكهم. وقال القتبي في قوله: فلا فوت يعني: لا مهرب ولا ملجأ وهذا

مثل قوله: {وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُـوهُمْ يُخْسِـرُونَ} [ص: 3]
أي: نادوا حين لا مهرب والله أعلم.

35

▲ سورة فاطر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)}

قوله تبارك وتعالى: {الحمد للَّهِ فَاطِرِ السموات والارض} يعني: خالق السموات والأرض. يقال: فطر الشيء إذا بدأه. قال ابن عباس رضي الله عنه: ما كنت أعرف فاطر حتى اختصما لي أعرابيان في بئر. فقال أحدهما: أنا فطرتها يعني: بدأتها.

ثم قال: {جَاعِلِ الملائكة رُسُلاً} يعني: مرسل الملائكة بالرسالة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والكرام الكاتبين عليهم السلام {أُوْلِى أَجْنِحَةٍ} يعني: ذوي أجنحة، ولفظ أولي يستعمل في الجماعة، ولا يستعمل في الواحد وواحدها ذو.

ثم قال: {مثنى وثلاث وَرُبَاعَ} يعني: من الملائكة من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة. ومنهم كذا. ويقال: {ثلاث} معدول من ثلاثة. يعني: ثلاثة ثلاثة. {وَرُبَاعَ} معدول من أربعة يعني: أربعة أربعة.

ثم قال: {يَزِيدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء. وروي عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته. فقال له جبريل: إنك لا تطيق ذلك. فقال: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَفْعَلَ». فخرج رسول الله صلى الله عليه

وسـلم إلى المصـلى في ليلـة مقمـرة، فأتـاه جبريـل في صورته فغشي على رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم حين رآه. ثم أفـاق وجبريـل عليـه السـلام يسـنده، واضـع إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه. فقـال رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: «سُـبْحَانَ اللـه مَـا كُنْتُ أرَى شَـيْئاً مِنَ الخَلْـقِ هَكَـذا» فقـال جبريـل: فكيـف لـو رأيت إسرافيل؟ إن له اثني عشر جناحـاً، منهـا جنـاح بالمشـرق وجناح بالمغرب، وأن العـرش لعلى كاهلـه، وإنـه ليتضـائل بالأحـايين لعظمـة اللـه، حـتى يعـود مثـل الوضـع يعـني: عصفوراً. حـتى لا يحمـل عرشـه إلا عظمتـه. فـذلك قولـه تعـالى: {يَزِيـدُ فِى الخلـق مَـا يَشَـاء} يعـني: في خلـق الملائكة. ويقال: {يَزِيدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: الشـعر الحسن، والصوت الحسن، والخد الحسـن. ويقـال: {يَزِيـدُ فِى الخلق مَا يَشَاء} يعني: في الجمال والكمال والدمامة. ثم قـال: {إِنَّ اللـه على كُـلِّ شَـئ قَـدِيرٌ} من الزيـادة والنقصان وغيره.

ثم قال عز وجل: {مَّا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَـةٍ} يعـني: ما يرسل الله للناس من رزق كقوله: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابتغـآء رَحْمَـةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَـا فَقُـل لَّهُمْ قَـوْلاً مَّيْسُـورًا} [الإسراء: 28] ويقال: الغيث. ويقال: {مِن رَّحْمَـةٍ} يعـني: من كل خـير {فَلاَ مُمْسِـكَ لَهَـا} يعـني: لا يقـدر أحـد على حبسـها {وَمَـا يُمْسِـكْ} يعـني: مـا يحبس من رزق {فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ} يعـني: فلا معطي أحـد بعـد اللـه عـز وجـل. قـال في أول الكلام: {فَلاَ مُمْسِـكَ لَهَـا} بلفـظ التأنيث، لأنه انصرف إلى اللفظ وهو الرحمة.

ثم قال: {فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ} بلفظ التذكير، لأنـه ينصـرف إلى المعنى وهو المطر والرزق، ولو كان كلاهما بلفظ التـذكير أو كلاهما بلفظ التأنيث لجاز في اللغة. فـذكر الأول بلفـظ التأنيث لأن الرحمة كانت أقرب إليه، وفي الثاني كان أبعد

وقد ذكر بلفظ التذكير مجاز حذف ما ثم قال: {وَهُوَ العزيز} فيما أمسك {الحكيم} فيما أرسل.

تفسير الآيات رقم [3- 8]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (3) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (4) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (6) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (7) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8)}

قوله عز وجل: {يأَيُّهَا الناس اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} يعني: احفظوا نعمة الله. ثم ذكر النعمة فقال: {هَلْ مِنْ خالق غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مّنَ السماء والارض} يعني: النبات والمطر. قرأ حمزة والكسائي {غَيْرُ الله} بكسر الراء. وقرأ الباقون بالضم مثل ما في سورة الأعراف. والاستثناء إذا كان بحرف إلا. فإن الإعراب يكون على ما بعده. وإذا كان الاستثناء بحرف غير، فإن الإعراب يقع على نفس الغير. فمن قرأ بالكسر، صار كسراً على البدل. ومن قرأ بالرفع فمعناه: هل خالق غير الله، لأن من موكدة. ولفظ الآية لفظ الاستفهام. والمراد به النفس يعني: أنتم تعلمون أنه لا يخلق أحد سواه، ولا يرزقكم أحد سواه.

ثم وحّد نفسه فقال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يفعل بكم ذلك {فأنى تُؤْفَكُـونَ} يعـني: من أين تكـذبون، وأنتم تعلمـون أنـه لا يخلق أحد سواه.
ثم قـال عـز وجـل: {وَإِن يُكَـذِّبُوكَ فَقَـدْ كُـذِّبَتْ رُسُـلٌ مِّن قَبْلِكَ} كما كذبك قومك، وهذا تعزية يعزي بِها نبيـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ليصـبر على أذاهم {وَإِلَى اللـه تُرْجَـعُ الامور} يعني: إليه ترجع عواقب الأمور بالبعث.
ثم قال عز وجل: {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} يعني: يا أهل مكـة {إِنَّ وَعْدَ الله حَـقٌّ} يعـني: البعث بعـد المـوت حـق كـائن {فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحياة الدنيا} يعني: حياتكم في الدنيا، والدنيا في الأصل هي القربى. سميت بهذا لأن حياتهم هذه أقرب إليهم. ويقــال: هي فعلى من الأدون يعــني: حيــاة الأدون {وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بالله الغرور} يعني: الباطـل وهـو الشـيطان.
قال: حدّثنا أبو الليث رحمه اللـه. قـال: حـدّثني أبي. قـال: حدّثنا أبو الحسن الفراء الفقيـه السـمرقندي. قـال: حـدّثنا أبو بكر الجرجاني الإمام بسمرقند ذكر بإسـناده عن العلاء بن زيادة. قال: رأيت الدنيا في النوم امرأة قبيحة عمشاء، ضـعيفة، عليهـا من كـل زينـة فقلت: من أنت. أعـوذ باللـه منك؟ فقالت: أنا الدُّنيا. فإن يسرك أن يعيـذك اللـه مـني، فأبغض الدراهم يعـني: لا تمسـكها عن النفقـة في موضـع الحق.
ثم قال عـز وجـل: {إِنَّ الشـيطان لَكُمْ عَـدُوٌّ} يعـني: حين يـأمركم بـالكفر، ومن عداوتـه مـع أبيكم تـرك طاعـة اللـه {فاتخـذوه عَـدُوّاً} يعـني: فعـادوه بطاعـة اللـه. ومعنـاه: أطيعـوا اللـه عـز وجـل لأنـك إذا أطعت اللـه فقـد عـاديت الشـيطان {إِنَّمَـا يَـدْعُو حِزْبَـهُ} يعـني: شـيعته إلى الكفـر {لِيَكُونُواْ مِنْ أصحاب السـعير} يعـني: من أهـل النـار. ثم بيّن مصير من أطـاع الشـيطان، ومصـير من عصـاه فقـال {الـذين كَفَـرُواْ} يعـني: جحـدوا بوحدانيـة اللـه عـز وجـل:

{لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخـرة {والـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصالحات} يعني: صدقوا بوحدانية الله، وعملوا الطاعات، واتخذوا الشيطان عدواً {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} في الـدنيا لـذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} يعني: ثواباً حسناً في الجنة.
قوله عز وجل: {أَفَمَن زُيّنَ لَـهُ سُـوء عَمَلِـهِ} يعـني: قـبيح عملـه كمن لم يـزين لـه ذلـك {أَفَمَن زُيّنَ} يعـني: فظنـه حقاً. والجواب فيه مضمر فمن زيّن له سوء عمله كمن لم يزين له ذلك. وقال الزجاج: {أَفَمَن زُيّنَ لَـهُ سُـوء عَمَلِـهِ} يعني: أبا جهل وأصحابه، وأضله الله كمن لم يزين له ذلـك وهداه الله تعالى.
ثم قال: {فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَاء} عن دينه {وَيَهْـدِى مَن يَشَـاء} لدينـه {فَلاَ تَـذْهَبْ نَفْسُـكَ عَلَيْهِمْ حسـرات} قـال القتـبي: هـذا من الإضـمار. يعـني: ذهبت نفسـك حسـرة عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسـرات بـتركهم الإيمـان. وقـرئ في الشـاذ: {فَلاَ تَـذْهَبْ} بضـم التـاء وكسـر الهـاء {نَّفْسَكَ} بنصب السين. من أذهب يـذهب يعـني: لا تقتـل نفسك وقـراءة العامـة {فَلاَ تَـذْهَبْ نَفْسُـكَ} بنصـب التـاء والهاء وضم السين أي: لا تحزن نفسك {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَـا يَصْنَعُونَ} من الخير والشر.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَـاحَ فَتُثِيرُ سَـحَابًا فَسُـقْنَاهُ إِلَى بَلَـدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِـهِ الْأَرْضَ بَعْـدَ مَوْتِهَـا كَـذَلِكَ النُّشُـورُ (9) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْـعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْـرُ أُولَئِكَ هُـوَ يَبُـورُ (10) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُـرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَـةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًـا وَمَـا تَحْمِـلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُـرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11)}

ثم قال عز وجل: {والله الذى أَرْسَلَ الرياح فَتُثِيرُ سحابا} أي: ترفعه وتهيجه {فَسُقْنَاهُ} يعني: نسوقه {إلى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: بعد يبسها {كَذَلِكَ النشور} يعني: هكذا تحيون بعد الموت يوم القيامة وروي عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن ابن الزبعرى، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: تقوم الساعة على شرار الناس. ثم يقوم ملك بالصور. فينفخ فيه، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ما شاء الله، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله، فيرسل الله الوباء من السماء من تحت العرش، كمني الرجال فتنبت لحومهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الندا. ثم قرأ: {فَأَحْيَيْنَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النشور} ثم ينفخ في الصور.

قوله عز وجل: {مَن كَانَ يُرِيدُ العزة فَلِلَّهِ العزة جَمِيعاً} يعني: من طلب العزة بعبادة الأوثان، فليتعزز بطاعة الله عز وجل. فإن العزة لله جميعاً. يقول: من يتعزز بإذن الله. ويقال: معناه من كان يريد أن يعلم لمن تكون العزة، فليعلم بأن العزة لله جميعاً. ويقال: من كان يطلب لنفسه العزة، فإن العزة لله جميعاً.

ثم قال: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب} قال مقاتل: يصعد إلى السماء كلمة التوحيد {والعمل الصالح يَرْفَعُهُ} يقول: التوحيد يرفع العمل الصالح إلى الله تعالى في السماء، فيها تقديم. وقال الحسن البصري: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب إلى الله عز وجل. فإذا كان الكلام الطيب عملاً غير صالح، يرد القول إلى العمل لأنه أحق من القول. وقال قتادة {والعمل الصالح يَرْفَعُهُ} قال: الله يرفعه. ويقال: العمل الصالح يرفعه لصاحبه. ويقال: {يَرْفَعُهُ} يعني: يعظمه. ويقال: العمل الصالح يرفعه أي: يقبل الأعمال بالإخلاص. معناه: العمل الخالص الذي يقبله.

ثم قال: {والذين يَمْكُرُونَ السيئات} أي: يعملون بالشرك، ويقال: يعملون بالرياء لا يقبل منهم {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخرة {وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ} يعني: شرك أولئك، وفسقهم، وصنيعهم، يهلك صاحبه في الآخرة. يقال: بارت السلعة إذا كسدت لأنها إذا كسدت فقد تعرضت للهلاك.

ثم قال عز وجل: {والله خَلَقَكُمْ مّن تُرَابٍ} يعني: آدم عليه السلام وهو أصل الخلق {ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} يعني: خلقكم من نطفة {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أزواجا} يعني: أصنافاً ذكراً وأنثى. ويقال: أصنافاً، أحمر وأبيض أسود. يعني: فاذكروني ووحدوني {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أنثى} ومن صلة في الكلام {وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ} يعني: بمشيئته {وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ} فيطول عمره {وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كتاب} يعني: إلا وكل ذلك في كتاب الله. أي: قد بيَّن في اللوح المحفوظ. وروي عن ابن عمر أنه قرأ {مِنْ عُمُرِهِ} بجزم الميم وهما لغتان مثل نكر ونكر {إِنَّ ذلك عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: حفظه على الله هيِّن بغير كتابة.

تفسير الآيات رقم [12- 14]

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (13) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (14)}

ثم قال عز وجل: {وَمَا يَسْتَوِى البحران} العذب والمالح {هذا عَذْبٌ فُرَاتٌ} يعني: طيّب هيّن شربه. ويقال: سلس

في حلقه، حلو في شرابه {سَـائِغٌ} يعـني: شـهياً. ويقـال: يسوغه الشراب {وهـذا مِلْحٌ أُجَـاجٌ} يعـني: الشـديد الـذي شيب بضرب إلى المرارة {وَمِن كُلّ تَأْكُلُونَ لَحْمـاً طَرِيّـاً} يعني: السـمك {وَتَسْـتَخْرِجُونَ} من المـالح {حِلْيَـةٍ} وهي اللؤلؤ {تَلْبَسُونَهَا} يعني: تستعملونها، وتلبسـون نسـاءكم. وهـذا المثـل لأصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـع الكفار يعني: وما يستوي الذين صدقوا والذين كـذبوا. ومن كل يظهر شيء من الصلاح يعني: يلد الكافر المسلم مثـل مـا أولـد الوليـد بن المغـيرة خالـد بن الوليـد، وأبـو جهـل عكرمة بن أبي جهل.

قولـه: {وَتَـرَى الفلـك} يعـني: السـفن {مَـوَاخِرَ} يعـني: تذهب وتجيء {فِيهِ} يعني: في البحر {لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} يعني: من رزقه {وَلَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ} يعـني: لكي تشـكروا رب هذه النعمة. يقال في اللغة مخر يمخر إذا شقّ المـاء. يعـني: أن السـفينة تشـق المـاء في حـال جريهـا. يقـال: مخرت السفينة إذا جرت وشقت الماء في جريها.

ثم قال عز وجل: {يُولِجُ اليل فِى النهـار وَيُـولِجُ النهـار فِى اليل} وقد ذكرناه {وَسَخَّرَ الشمس والقمـر} يعـني: ذلّـل الشمس والقمـر لبـني آدم. {كُـلٌّ يَجْـرِى لاِجَـلٍ مُّسَـمًّى} يعني: إلى أقصى منازلها في الغروب، لأنها تغرب كل ليلة في موضع. وهو قوله عـز وجـل: {إلاَّ على أزواجهم أَوْ مَـا مَلَكَتْ أيمانهم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج: 30] ويقـال: {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: يجريان دائمـاً إلى يـوم القيامـة {ذَلِكُمُ اللَّه رَبُّكُمْ} يعني: هذا الـذي فعـل لكم هـذا الفعـل هو ربكم وخالقكم {لَهُ الملك} فـاعرفوا توحيـده، وادعـوه ولا تدعوا غيره {والذين تَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يعـني: من دون الله الأوثان وما يعبـدونهم من دون اللـه {مَـا يَمْلِكُـونَ مِن قِطْمِيرٍ} يعني: لا يقدرون أن يعطوكم ولا ينفعوكم بمقـدار

القطمير. والقطمير قشر النواة الأبيض الذي يكون بين النوى والتمر. وقال مجاهد: القطمير لفاف النوى.
ثم قال: {إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا استجابوا لَكُمْ} يعني: ولو كانوا بحال يسمعون أيضاً فلا يجيبونكم، ولا يكشفون عنكم شيئاً {وَيَوْمَ القيامة يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} يعني: يتبرؤون من عبادتكم. ويقولون: ما كنتم إيانا تعبدون.
يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {وَلاَ يُنَبّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} يعني: لا يخبرك من عمل الآخرة مثل الرب تبارك وتعالى. ويقال: لا يخبرك أحد مثل الرب بأن هذا الذي ذكر عن الأصنام أنهم يتبرؤون عن عبادتهم.

تفسير الآيات رقم [15- 26]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (16) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (17) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (18) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (19) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (20) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (23) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (24) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (25) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (26)}
ثم قال عز وجل: {ياأيها الناس أَنتُمُ الفقراء إِلَى الله} يعني: أنتم محتاجون إلى ما عنده. ويقال: {أَنتُمُ الفقراء إِلَى الله} في رزقه ومغفرته {والله هُوَ الغنى الحميد}

{الغنى} عن عبادتكم {الحميد} في فعله وسلطانه. وهذا كما قال في آية أخرى: {هَآ أَنتُمْ هؤلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُـواْ فِى سَـبِيلِ اللـه فَمِنكُم مَّن يَبْخَـلُ وَمَن يَبْخَـلْ فَإِنَّمَـا يَبْخَـلُ عَن نَّفْسِهِ والله الغنى وَأَنتُمُ الفقرآء وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْـتَبْدِلْ قَوْمـاً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يكونوا أمثـالكم} [محمـد: 38] لأن كـل واحـد يحتاج إليه. لأن أحداً لا يقـدر أن يصـلح أمـره إلا بـالأعوان، والأمير ما لم يكن له خدم وأعـوان، لا يقـدر على الإمـارة. وكذلك التاجر يحتاج إلى المكـارين، واللـه عـز وجـل غـني عن الأعوانِ وغيره.

ثم قــال عــز وجــل: {إِن يَشَــأْ يُـذْهِبْكُمْ} يعــني: يهلككم ويميتكم {وَيَـأْتِ بِخَلْـقٍ جَدِيـدٍ} أفضـل منكم وأطـوع للـه {وَمَا ذلك عَلَى الله بِعَزِيزٍ} يعـني: شـديد {وَلاَ تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخـرى} يعـني: لا تحمـل نفس خطيئـة نفس أخـرى. ويقـال: لا تحمـل بـالطوع ولكن يحمـل عليهـا إذا كـان لـه خصماً.

ثم قال: {وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِهَا} يعـني: الـذي أثقلتـه الذنوب والأوزار، إن لو دعا أحداً، ليحمل عنه بعض أوزاره، لا يحمـل من وزره شـيئاً. وإن كـان ذا قرابـة لا يحمـل من وزره. وروى إبراهيم بن الحكم عن أبيه، عن عكرمة قـال: إن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني إني كنت لك والداً فيثني عليه خيراً. فيقول: يا بـني قـد احتجت إلى مثقــال ذرة. وفي روايــة أخــرى: إلى مثقــال حبــة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول له ولده: ما أيسـر ما طلبت ولكن لا أطيق. إني أخاف مثل الذي تخوفت. ثم يتعلق بزوجتـه فيقـول لهـا: إني كنت لـك زوجـاً في الـدنيا فيثني عليها خـيراً ويقـول: إني طلبت إليـك حسـنة واحـدة لعلي أنجو بها مما ترين. فتقول: ما أيسر مـا طلبت، ولكن لا أطيق. إني أخاف مثل الذي تخوفت فـذلك قولـه: {وَإِن

تَـدْعُ مُثْقَلَـةٌ إلى حِمْلِهَـا لاَ يُحْمَـلْ مِنْـهُ شَـئ وَلَـوْ كَـانَ ذَا قربى}.
ثم قال: {إِنَّمَا تُنـذِرُ الـذين يَخْشَـوْنَ رَبَّهُمْ بـالغيب} يعـني: إنما تخـوف بـالقرآن الـذين يخـافون ربهم بـالغيب. يعـني: آمنوا بالله وهم في غيب منه {والـذين يُمَسّـكُونَ} يعـني: يقيمون الصلاة. وكان النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يُنـذر المؤمنين والكافرين. ولكن الذين يخشون ربهم هم الــذين يقبلون الإنذار فكأنه أنذرهم خاصة.
ثم قال: {وَمَن تزكى} يعني: توحـد. ويقـال: تطهـر نفسـه من الشرك. ويقال: من صـلح فإنمـا صـلاحه لنفسـه يثـاب عليه في الآخرة.
ويقال: من يعطي الزكاة فإنما ثوابه لنفسه. {فَإِنَّمَا يتزكى لِنَفْسِهِ وَإِلَى الله المصير} فيجازيهم بعملهم.
قولـه عـز وجـل: {وَمَـا يَسْـتَوِى الاعمى} يعـني: الكـافر الأعمى عن الهــدى {والبصــير} يعــني: المــؤمن {وَلاَ الظلمات وَلاَ النور} يعني: الكفر والإيمـان {وَلاَ الظـل وَلاَ الحرور} يعـني: الجنـة والنـار {وَلاَ الحـرور} هـو اسـتقرار الحر {وَمَا يَسْتَوِى الاحياء وَلاَ الاموات} قال القتـبي: مثـل الأعمى والبصير كالكافر والمسلم، والظلمات والنور مثــل الكفر والإيمان، والظـل والحـرور مثـل الجنـة والنـار، ومـا يستوي الأحياء ولا الأموات مثل العقلاء والجهال.
ثم قال: {إِنَّ الله يُسْمِعُ مَن يَشَاء} يعني: يفقـه من يشـاء {وَمَا أنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى القبور} يعني: لا تقـدر أن تفقـه الأموات وهم الكفار {إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَـذِيرٌ} يعـني: مـا أنت إلا رسول {إِنَّا أرسلناك بِالحق} يعني: بالقرآن. ويقال: لبيــان الحق {بَشِـيراً وَنَـذِيراً} وقـد ذكرنـاه {وَإِن مّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ} يعني: وما من أمـة فيمـا مضـى إلا فيهم نـذير. يعني: إلا جاءهم رسول.

ثم قال: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ} يا محمد {فَقَدْ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني: بالأمر والنهي {وبالزبر} يعني: بالكتب، وبأخبار من كان قبلهم {وبالكتاب المنير} يعني: المضيء. الكتاب هو نعت لما سبق ذكره من البينات والزبر {ثُمَّ أَخَذْتُ الذين كَفَرُواْ} يعني: الذين كذبوهم فعاقبتهم {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} يعني: كيف كان إنكاري وتغييري عليهم ثم ذكر خلقه ليعتبروا به ويوحدوه:

تفسير الآيات رقم [27- 30]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30)}

فقال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السماء مَاء} يعني: المطر {فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا} من الثمار الأحمر، والأصفر، والحلو، والحامض {وَمِنَ الجبال جُدَدٌ بِيضٌ} يعني: خلق من الجبال جدداً يعني: جماعة الجدة. والجدة هي الطريق التي في الجبل. والجدد هي الطرائق. فترى الطريق من البعد منها أبيض، وبعضها حمر. وقال القتبي: الجدد الخطوط والطرق تكون في الجبال، فبعضها بيض وبعضها حمر، وبعضها غرابيب سود، وهو جمع غربيب وهو الشديد السواد. ويقال: أسود غربيب {وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ ألوانها وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ الناس والدواب} يعني: خلق من الناس والدواب {والانعام مُخْتَلِفٌ ألوانه كَذَلِكَ} أي: كاختلاف الثمرات.

ثم استأنف فقال: {إِنَّمَا يَخْشَـى اللـه مِنْ عِبَـادِهِ العلمـاء} وقال بعضهم: إنما يتم الكلام عند قوله: {مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ}. ثم اسـتأنف فقـال: {كَـذَلِكَ إِنَّمَـا يَخْشَـى اللـه مِنْ عِبَـادِهِ العلماء} يعني: هكذا يخشى الله من عباده العلماء. يعني: إن العلماء يعلمون خلق الله تعـالى ويتفكـرون في خلقـه، ويعملون ثوابه وعقابه فيخشونه، ويعلمون بالطاعة طمعـاً لثوابه، ويمتنعون عن المعاصي خشية عقابه. وقال مقاتل: أشد الناس خشية أعلمهم بالله تعالى. فيهـا تقـديم. وروى سـفيان عن بعض المشـيخة، عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أنه سئل: يا رسول الله أينا أعلم؟ فقال: " أَخْشَاكُمْ لله تَعَالَى إِنَّمَا يَخْشَى اللـه مِنْ عِبَـادِهِ العُلَمَـاءُ " قـالوا: يـا رسول الله فأيُّ الأصحاب أفضل؟ قال: " الـذي إذا ذَكَـرْتَ أَعَانَـكَ، وإذا نَسِـيتَ ذَكَّرَكَ». قـالوا: فـأي الأصـحاب شـر؟ قال: «الَّذِي إِذَا ذَكَرْتَ لَمْ يُعِنْكَ، وإذا أَنْسِيتَ لَمْ يُـذَكِّرْكَ ". قالوا: فأيُّ الناس شر؟ قال: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلعُلَمَاءِ. وَالعَالِمُ إذا فَسَدَ فَسدَ النَّاسُ ". ثم قـال تعـالى: {أَنَّ اللـه عَزِيـزٌ} في ملكه {غَفُورٌ} لمن تاب.

قولـه عـز وجـل: {إِنَّ الـذين يَتْلُـونَ كتـاب اللـه} يعـني: يقرؤون القرآن. ويقال: معنـاه يتبعـون كتـاب اللـه تعـالى. يقال: تلا يتلو إذا تبعـه كقولـه تعـالى: {والقمـر إِذَا تلاهـا} [الشمس: 2] {والذين يُمَسّكُونَ} يعـني: أتمـوا الصـلوات في مواقيتها {وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} يعـني: تصـدقوا ممـا أعطينـاهم من الأمـوال {سِرّاً وَعَلاَنِيَـةً يَرْجُـونَ تجـارة لَّن تَبُـورَ} يعـني: لن تهلـك ولن تخسـر. ومعنـاه: {يَرْجُـونَ تجارة} رابحة وهي الجنة مكان الحياة الدنيا.

ثم قال عز وجل: {لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُـورَهُمْ} يعـني: يـوفر ثـواب أعمـالهم {وَيَزِيـدَهُم مّن فَضْـلِهِ} يعـني: من رزقـه من الجزاء، والثواب في الجنة. ويقال: {مِن فَضْلِهِ} يعني: من تفضله {إِنَّهُ غَفُورٌ} لذنوبهم {شَكُورٍ} لأعمـالهم اليسـيرة.

والشكر على ثلاثة أوجه. الشكر ممن يكون دونه الطاعة لأمره وترك مخالفته. والشكر ممن هو شكله يكون الجزاء والمكافأة. والشكر ممن فوقه يكون رضى منه باليسير.

تفسير الآيات رقم [31- 32]

{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32)}

ثم قال عز وجل: {والذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكتاب} يعني: أرسلنا إليك جبريل عليه السلام بالقرآن {هُوَ الحق} لا شك فيه، {مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني: موافقاً لما قبله من الكتب {إِنَّ الله بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} يعني: عالم بهم وبأعمالهم.

قوله عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب} ويقال: أعطينا القرآن {الذين اصطفينا مِنْ عِبَادِنَا} يعني: اخترنا من هذه الأمة. و{ثُمَّ} بمعنى العطف. يعني: وأورثنا الكتاب. ويقال {ثُمَّ} بمعنى التأخير. يعني: بعد كتب الأولين {أَوْرَثْنَا الكتاب} {فَمِنْهُمْ ظالم لّنَفْسِهِ} يعني: من الناس ظالم لنفسه {وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخيرات}.

روي عن ابن عباس في إحدى الروايتين أنه قال: الظالم الكافر، والمقتصد المنافق، والسابق المؤمن. وروي عنه رواية أخرى أنه قال: هؤلاء كلهم من المؤمنين. فالسابق الذي أسلم قبل الهجرة. والمقتصد الذي أسلم بعد الهجرة، قبل فتح مكة. والظالم الذي أسلم بعد فتح مكة. وطريق ثالث ما روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «السَّابِقُ الَّذِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَالمُقْتَصِدُ الَّذِي يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَالظَّالِمُ الذي يُحَاسَبُ فِي طُولِ المَحْشَرِ». وطريق رابع ما روي

عن عمـر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه أنـه قـال: سـابقنا سابق، ومقتصدنا ناجي، وظالمنا مغفور لـه. وطريـق آخـر ما روى أسد بن رفاعـة عن عثمـان بن عفـان رضـي اللـه عنه أنه قال: سابقنا أهل الجهاد، ومقتصـدنا أهـل حضـرنا، يعـني: أهـل الأمصـار وهم أهـل الجماعـات والجمعـات، وظالمنا أهل بـدونا. وطريـق سـادس مـا روي عن عائشـة رضي الله عنها أنها سألت عن هذه الآيـة فقـالت: السـابق النبي صلى الله عليه وسـلم ومن مضـى معـه، والمقتصـد مثـل أبي بكـر ومن مضـى معـه، والظـالم فمثلي ومثلكم. وطريق سابع ما روي عن مجاهد قال: الظالم هم أصحاب المشـأمة، والمقتصـد أصـحاب الميمنـة، والسـابق هم السـابقون بـالخيرات، فكأنـه اسـتخرجه من قولـه: {فأصـحاب الميمنـة مَـآ أصـحاب الميمنـة} [الواقعـة: 8] {والسابقون السابقون} [الواقعة: 10] وطريـق ثـامن مـا روي عن الحسن البصري رحمه الله أنه قـال: الظـالم هم المنافقون، والمقتصد هم التابعون بإحسـان، والسـابق هم أصحاب النبي صلى اللـه عليـه وسـلم. وطريـق تاسـع مـا روي عن الحسن أيضاً أنه قال: السابق الـذي تـرك الـدنيا، والمقتصد الذي أخذ من الحلال، والظالم الذي لا يبالي من أين أخذ.

وقيل: طريق عاشـر: السـابق الـذي رجحت حسـناته على سـيئاته، والمقتصـد الـذي اسـتوت حسـناته مـع سـيئاته، والظالم الذي رجحت سيئاته على حسناته. وقيـل: طريـق حـادي عشـر، السـابق الـذي سـره خَيْـرٌ من علانيتـه، والمقتصد الذي سِرُّهُ وعلانيته سواء، والظالم الذي علانيته خير من سره.

وطريق ثاني عشر: السابق الذي تهيأ للصـلاة قبـل دخـول وقتهـا، والمقتصـد الـذي تهيـأ للصـلاة بعـد دخـول وقتهـا، والظالم الذي ينتظر الإقامة. وطريق ثالث عشر: السـابق

الذي يتوكل على الله يجعل جميع جهده في طاعة الله عز وجل، والمقتصد الذي يطلب قوته ولا يطلب الزيادة، والظالم الذي يطلب فوق القوت والكفاف.

وقيل: طريق رابع عشر: السابق الذي شغله معاده عن معاشه، والمقتصد الذي يشتغل بهما جميعاً، والظالم الذي شغله معاشه عن معاده.

وقيل: طريق خامس عشر: السابق الذي ينجو نفسه وينجو غيره بشفاعته، والمقتصد الذي يدخل الجنة برحمة الله وفضله، والظالم الذي يدخل الجنة بشفاعة الشافعين.

وطريق سادس عشر: السابق الذي يعطى كتابه بيمينه، والمقتصد الذي يعطى كتابه بشماله، والظالم الذي يعطى كتابه وراء ظهره.

وطريق سابع عشر قيل: السابق الذي ركن إلى المولى، والمقتصد الذي ركن إلى العقبى، والظالم الذي ركن إلى الدنيا. وطريق ثامن عشر: ما روي عن يحيى بن معاذ الرازي قال: الظالم الذي يضيع العمر في الشهوة، والمعصية، والمقتصد الذي يحارب فيهما، والسابق الذي يجتهد في الزلات. ثم قال: لأن محاربة الصديقين في الزلات، ومحاربة الزاهدين في الشهوات، ومحاربة التائبين في الموبقات.

وطريق تاسع عشر قال: الظالم يطلب الدنيا تمتعاً، والمقتصد الذي يطلب الدنيا تلذذاً، والسابق الذي ترك الدنيا تزهداً. وطريق العشرين قال: الظالم الذي يطلب ما لم يؤمر بطلبه، وهو الرزق، والمقتصد الذي يطلب ما أمر به ولم يؤمر بطلبه، والسابق الذي طلبه مرضاة الله ومحبته.

وطريق حادي عشرين قيل: الظالم أصحاب الكبائر، والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق المجتنب عن

الصغائر والكبائر. وطريق ثاني عشرين قيل: السابق الخارج إلى الغزو والرباطات قبل الناس، والمقتصد الخارج إليها مع الناس الذي يعلم ويعلم الناس ويعمل به، والمقتصد الذي يعلم ويعلم ولا يعمل به، والظالم الذي لا يعلم ولا يرغب إلى التعليم. وطريق رابع وعشرين، السابق الذي هو مشغول في عيب نفسه ولا يطلب عيب غيره، والمقتصد الذي يطلب عيب غيره، والظالم الذي هو مشغول في عيب غيره ولا يصلح عيب نفسه. وطريق خامس وعشرين ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب الذين اصطفينا} إلى قوله: {الفضل الكبير} قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَـؤُلاءِ كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ. أَمَّا السَّابِقُ بِالخَيْرَاتِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا المُقْتَصِدُ فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيْرَاً ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وَأَمَّا الظَالِمُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ يُحَاسَبُ حِسَاباً شَدِيداً وَيُحْبَسُ حَبْسَاً طَوِيلاً ثُمَّ يَدْخُلُ الجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلُوا الجَنَّةَ قَالُوا: الحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ».

وقد قيل غير هذا: إلا أنه يطول الكلام فيه. وفيما ذكرنا كفاية لمن عمل به. وأكثر الروايات أن الأصناف الثلاثة كلهم في الجنة مؤمنون، وأول الآية وآخرها دليل على ذلك. فأما أول الآية فقوله عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب الذين اصطفينا} من عبادنا يعني: أعطينا الكتاب. فأخبر أنه أعطى الكتاب لهؤلاء الثلاثة.

وقال في آخر الآية {جنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِى اللّه المتقين} [النحل: 31 وغيرها] فأشار إلى الأصناف الثلاثة بالآية الأولى، حيث قال: {وَأَوْرَثَنَا *** الكتاب}، والأخرى حيث قال: {يَدْخُلُونَهَا} ولم يقل: يدخلانها. وفي الآية الأخرى

دليل أن الأصناف الثلاثة هم يدخلون الجنة. وقال بعضهم: تأول قول ابن عباس الذي قاله في رواية أبي صالح: أن الظالم كافر يعني: كفر النعمة. ومعناه: فمنهم من كفر بهذه النعمة، ولم يشكر الله عز وجل عليها. ومنهم مقتصد يعني: يشكر ويكفر. ومنهم سابق يعني: يشكر ولا يكفر.
وروي عن كعب الأحبار أنه قيل له: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان أبي مكنني جميع التوراة إلا ورقات منعني أن أنظر فيها. فخرج أبي يوماً لحاجة. فنظرت فيها فوجدت فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، وأنه يجعلهم يوم القيامة ثلاثة أثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب. وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، ويدخلون الجنة بغير حساب، وثلث تشفع لهم الملائكة والنبيون فأسلمت. وقلت: لعلّي أكون من الصنف الأول، وإن لم أكن من الصنف الأول لعلّي أن أكون من الصنف الثاني أو من الصنف الثالث. فلما قرأت القرآن وجدتها في القرآن وهو قوله عز وجل: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب} إلى قوله: {جنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} الآية. فإن قيل: ايش الحكمة في ذكره الظالم ابتداءً وتأخيره ذكر السابق قيل له: الحكمة فيه والله أعلم لكيلا يعجب السابق بنفسه، ولا ييأس الظالم من رحمة الله عز وجل. ثم قال تعالى: {بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير} يعني: الذي أورثهم من الكتاب واختارهم هو الفضل الكبير من الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 35]

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (33) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ

الْمُقَامَـةِ مِنْ فَضْـلِهِ لَا يَمَسُّـنَا فِيهَـا نَصَـبٌ وَلَا يَمَسُّـنَا فِيهَـا لُغُوبٌ (35)}

ثم قال عز وجل: {جنات عَدْنٍ} يعني: لهم جنات عدن أي دار الإقامة يقال عدن يعدن إذا أقـام قـرأ أبـو عمـرو وابن كثـير في إحـدى الروايـتين {يَـدْخُلُونَهَا} بضـم اليـاء، وفتح الخاء على معنى فعـل مـا لم يسـم فاعلـه. وقـرأ البـاقون {يَـدْخُلُونَهَا} على معـنى أن الفعـل لهم {يُحَلَّوْنَ فِيهَـا مِنْ أَسَـاوِرَ} يعـني: يلبسـون الحلي من أسـاور {مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُـؤاً} قـرأ نـافع وعاصـم {وَلُؤْلُـؤاً} بالنصـب ومعنـاه: يحلـون أسـاور ولؤلـؤاً. وقـرأ البـاقون بالكسـر يعـني: من ذهب ومن لؤلؤ.

ثم قال: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيـرٌ} يعـني: لباسـهم في الجنـة من حرير الجنة لا كحرير الدنيا.

قوله عز وجل: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ الذى أَذْهَبَ عَنَّا الحزن} يعـني: حـزن المـوت وحـزن خـوف الخاتمـة. ويقـال: همّ العيش. ويقال: همّ المرور على الصراط {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ} يغفر الـذنوب {شَـكُورٌ} يقبـل اليسـير من العمـل ويعطي الجزيـل عـز وجـل {الـذى أَحَلَّنَـا دَارَ المقامـة مِن فَضْـلِهِ} يعني: الحمد لله الذي أنزلنا دار الخلود والمقامة. والمقـام بمعنى واحد يعني: الإقامة والـدوام من فضـله وكرمـه {لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ} يعني: لا يصيبنا تعب وعناء {وَلاَ يَمَسُّـنَا فِيهَا لُغُوبٌ} يعني: لا يصيبنا فيها من أعباء كمـا يصـيبنا في الدنيا.

ثم بيّن حال المشركين في النار:

تفسير الآيات رقم [36- 40]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَـى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُـوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُـلَّ كَفُـورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَـا رَبَّنَـا أَخْرِجْنَـا نَعْمَـلْ صَـالِحًا غَيْـرَ الَّذِي كُنَّا

نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (39) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (40)}

فقال عز وجل: {وِالذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا بوحدانية الله عز وجل {لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يقضى عَلَيْهِمْ} الموت. ويقال: لا يرسل عليهم ولا ينزل الموت {فَيَمُوتُواْ} حتى يستريحوا {وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مّنْ عَذَابِهَا} يعني: من عذاب جهنم {كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ} يعني: هكذا نعاقب كل كافر بالله تعالى. قرأ أبو عمرو {يَجْزِى} بالياء والضم ونصب الزاي {كُلَّ كَفُورٍ} بضم اللام على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون {نُجْزِى} بالنون والنصب {كُلَّ} بنصب اللام ومعنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد. يعني: كذلك يجزي الله تعالى.

ثم أخبر عن حالهم فيها فقال عز وجل: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا} أي: يستغيثون. يقال: صرخ يصرخ إذا أغاث واستغاث وهو من الأضداد. ويستعمل للإغاثة والاستغاثة، لأن كل واحد منهما يصلح وهو افتعال من الصراخ. يعني: يدعون في النار ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحا غَيْرَ الذى كُنَّا نَعْمَلُ} يعني: نعمل غير الشرك وغير المعصية. يقول الله تعالى: {أَوَلَمْ نُعَمّرْكُمْ} يعني: أولم نعطكم من العمر والمهلة في الدنيا {مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ} يعني: يتعظ فيه من أراد أن يتعظ.

وروى مجاهـد عن ابن عبـاس في قولـه {أَوَلَمْ نُعَمّـرْكُمْ} قال: العمر ستون سنة {وَجَـاءكُمُ النـذير} يعـني: الشـيب والهـرم. وروي أن إبـراهيم الخليـل أول من رأى الشـيب، فقال: يا رب ما هذا؟ فقال: هذا وقار في الدنيا، ونـور في الآخرة. فقال: يا رب زدني وقاراً. ويقال: {أَوَلَمْ نُعَمّـرْكُمْ} يعني: أولم نعطكم، ونطول أعماركم و{مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ} من تذكر أي: مقدار ما يتعظ فيه من يتعظ.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـال: «لَقَدَ أَعْذَرَ الله إلَى عَبْدٍ أَحْيَـاهُ حَتَّى بَلَـغَ سِـتِّينَ سَـنَةً أَزَالَ عُذْرَهُ» {وَجَاءكُمُ النذير} أي: الرسول {فَذُوقُواْ} العـذاب في النار {فَمَا للظالمين مِن نَّصِيرٍ} يعني: مـا للمشـركين من مانع من عذاب الله عز وجل.

ثم قـال عـز وجـل: {إِنَّ اللـه عـالم غَيْبِ * السـموات والارض} يعـني: غيب مـا يكـون في السـموات والأرض. يعني: أنهم لو ردوا لعـادوا لمـا نهـوا عنـه {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِـذَاتِ الصدور} يعني: عليم بما في قلوبهم. ويقال: عالم بما في قلوب العباد من الخير والشر.

ثم قال عز وجـل: {هُـوَ الـذى جَعَلَكُمْ خلائـف فِى الارض} يعني: قل لهم يا محمـد اللـه تعـالى جعلكم سـكان الأرض من بعـد الأمم الخاليـة {فَمَن كَفَـرَ} بتوحيـد اللـه {فَعَلَيْـهِ كُفْـرُهُ} يعـني: عاقبـة كفـره وعقوبـة كفـره {وَلاَ يَزِيـدُ الكافرين كُفْرُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً} وهو الغضـب الشـديد الذي يستوجب العقوبة.

يعني: لا يزدادون في طول أعمارهم إلا غضب اللـه تعـالى عليهم. وقـال الزجـاج: المقت أشـد الغضـب {وَلاَ يَزِيـدُ الكـافرين كُفْـرُهُمْ إِلاَّ خَسَـاراً} يعـني: غبنـاً في الآخـرة وخسراناً.

ثم قال عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الذين تَـدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: تعبدون من دون الله {أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ

مِنَ الارض} يعـني: أخـبروني أي شـيء خلقـوا ممـا في السموات أو مما في الأرض من الخلق. وقال القتـبي: من بمعنى في يعني: أروني ماذا خلقـوا في الأرض. يعـني: أي شيء خلقوا في الأرض كما خلـق اللـه عـز وجـل {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى * السموات} يعني: عون على خلـق السـموات والأرض. ويقـال: نصـيب في السـموات. اللفـظ لفـظ الاسـتفهام والشـك، والمـراد بـه النفي. يعـني: ليس لهم شرك في السموات.

ثم قال: {قُلْ أَرَءيْتُمْ شُـرَكَاءكُمُ} يعـني: أعطينـاهم كتابـاً. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به النفي. يعني: كمـا ليس لهم كتـاب فيـه حجـة على كفـرهم {فَهُمْ على بَيّنَـةٍ مّنْـهُ} يعني: ليسوا على بيان ممـا يقولـون. قـرأ ابن كثـير، وأبـو عمرو، وحمزة، وعاصم، في رواية حفص {على بَيّنَةٍ} بغير ألف. وقرأ البـاقون: {بينـات} بلفـظ الجماعـة، ومعناهمـا واحد، لأن الواحد ينبئ عن الجماعة.

ثم قال: {بَلْ إِن يَعِدُ الظالمون بَعْضُـهُم بَعْضـاً} يعـني: مـا يعد الظالمون بعضهم بعضـاً. يعـني: الشـياطين للكـافرين من الشفاعة لمعبودهم {إِلاَّ غُرُوراً} يعني: باطلاً.

تفسير الآيات رقم [41- 45]

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَـكَهُمَا مِنْ أَحَـدٍ مِنْ بَعْـدِهِ إِنَّهُ كَـانَ حَلِيمًـا غَفُـورًا (41) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْـدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُـورًا (42) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْـرُ السَّـيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَحْـوِيلًا (43) أَوَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَـانُوا أَشَـدَّ مِنْهُمْ قُـوَّةً وَمَـا كَـانَ اللَّهُ لِيُعْجِـزَهُ مِنْ شَـيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَـانَ عَلِيمًـا قَـدِيرًا (44) وَلَـوْ

يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الله يُمْسِكُ السموات} يعني: يحفظ السموات {والارض أن تَزُولاَ} يعني: لئلا تزولا عن مكانها {وَلَئِن زَالَتَا} يعني: يوم القيامة {إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مّن بَعْدِهِ} يعني: لا يقدر أحد أن يمسكهما. ويقال: {وَلَئِن زَالَتَا} يعني: إن زالتا في الحال، وهما لا يزولان {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا} عن قول الكُفَّار، حيث قالوا: لله ولد، فكادت السموات والأرض أن تزولا فأمسكهما بحلمه فلم يزولا {غَفُوراً} يعني: متجاوزاً عنهم إن تابوا. ويقال: {غَفُوراً} حيث لم يعجل عليهم بالعقوبة، وأمسك السموات والأرض أن تزولا.

وقوله عز وجل {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} يعني: كفار مكة كانوا يعيرون اليهود والنصارى بتكذيبهم أنبياءهم، وقالوا: لو أرسل الله عز وجل إلينا رسولاً، لكنا أهدى من إحدى الأمم، وكانوا يحلفون على ذلك فذلك قوله: {وَأَقْسَمُواْ بالله جَهْدَ أيمانهم} فكل من حلف بالله، فهو جهد اليمين {لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ} يعني: رسول {لَّيَكُونُنَّ أهدى مِنْ إِحْدَى الامم} يعني: أصوب ديناً من اليهود والنصارى {فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ} وهو محمد صلى الله عليه وسلم {مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً} يعني: ما زادهم الرسول إلا تباعداً عن الهدى.

قوله عز وجل: {استكبارا فِى الارض} يعني: تكبراً في الأرض، {استكبارا} مفعول المعنى زادهم الرسول تكبراً هذا كقوله {وَنُنَزِّلُ مِنَ القرءان مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظالمين إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء: 82] وكأن القرآن سبب لخسرانهم فأضاف إليهم.

ثم قال: {وَمَكْرَ السيئ} يقول: قـول الشـرك واجتمـاعهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم. قرأ حمـزة {وَمَكْـرَ السيئ} بجزم الياء. وقرأ الباقون بالكسر لتبين الحـروف، وجزم حمزة لكثرة الحركات.

ثم قال: {وَلاَ يَحِيقُ المكر السيئ إِلاَّ بِأَهْلِهِ} يعني: لا يـدور وينزل المكر السيئ إلا بأهلـه. يعـني عقوبـة المكـر ترجـع إليهم {فَهَـلْ يَنظُـرُونَ} يعـني: مـا ينتظـرون {إِلاَّ سُـنَّةَ الأوَّلِينَ} يعني: عقوبة الأمم الخالية أن يـنزل بهم مثـل مـا نزل بالأولين {فَلَن تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللـه تَبْـدِيلاً} يعـني: لصـنعة اللـه تعـالى. ويقـال: لملـة اللـه. ويقـال: لسـنة اللـه في العذاب {تَبْدِيلاً} يعـني: لا يقـدر أحـد أن يبدلـه {وَلَن تَجِـدَ لِسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً} يعني: تغييراً. يعني: لا يقدر أحد أن يغير فعل الله تعالى.

ثم وعظهم ليعتـبروا فقـال عـز وجـل: {أَوَلَمْ يَسـيرُواْ فِى الارض} يعـــني: أو لم يســـافروا في الأرض {فَيَنظُـــرُواْ} يعني: فيعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة الـذين} يعـني: آخـر أمـر الـذين كـانوا {مِن قَبْلِهِمْ وَكَـانُواْ أَشَـدَّ مِنْهُمْ قُـوَّةً} يعـني: منعة {وَمَـا كَـانَ اللـه لِيُعْجِـزَهُ مِن شَـئ} يعـني: ليسـبقه، ويفوته من شيء.

ويقال: لا يقدر أحـد أن يهـرب من عذابـه {فِي السـموات *** وَلاَ فِى الارض إِنَّهُ كَـانَ عَلِيمـاً} بخلقـه بأنـه لا يفـوت منهم أحد {قَدِيراً} يعني: قادراً عليهم بالعقوبة.

قوله عز وجل: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله الناس بِمَا كَسَـبُواْ} يعـني: لو عاقبهم {مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا} يعني: على ظهر الأرض {مِن دَابَّةٍ} يعني: لهلكت الدواب من قحـط المطـر. قـال قتـادة: {مَـا تَـرَكَ على ظَهْرِهَـا} من دابـة إلا أهلكهم كمـا أهلك من كان في زمـان نـوح عليـه السـلام ويقـال: {مِن دَابَّةٍ} يعني: من الجن والإنس فيعاقبهم بذنوبهم، فيهلكهم. وقال مجاهد: {مَـا تَـرَكَ على ظَهْرِهَـا مِن دَابَّةٍ} يعـني من

هوام الأرض من العقارب، ومن الخنافس. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كاد الجعل أن يعذب في حجره بذنب بني آدم. ثم قرأ {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهِ الناس} الآية. والعرب تكني عن الشيء إذا كان مفهوماً كما كنى ها هنا عن الأرض كقوله: {مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا} وَإِن لم يسبق ذكر الأرض.

ثم قال: {ولكن يُؤَخِرُهُمْ إلى أَجَلٍ مسمى} يعني: إلى الميعاد الذي وعدهم الله تعالى. ويقال: إلى الوقت الذي وقت لهم في اللوح المحفوظ {فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ} يعني: إلى انقضاء حياتهم. ويقال: هو البعث.

قال تعالى: {فَإِنَّ الله كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً} يعني: عالماً بهم وبأعمالهم. روى الزهري عن سعيد بن المسيب قال: لما طعن عمر رضي الله عنه، قال كعب: لو دعى الله عمر لأخر في أجله. فقال الناس: سبحان الله أليس قد قال الله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: 34] فقال كعب: وقد قال: {والله خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أزواجا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أنثى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كتاب إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ} [فاطر: 11] قال الزهري: فنرى أن ذلك ما لم يحضر الأجل فإذا حضر لم يؤخر، وليس أحد إلا وعمره مكتوب في اللوح المحفوظ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة يس

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{يس (1) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (3) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (4) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5)}

قوله تبارك وتعالى: {يس} قرأ حمزة بين الكسـر والفتح. وقرأ الكسـائي بالإمالـة. وقـرأ البـاقون: بـالفتح. وقـرأ ابن عامر، والكسـائي: {يس والقـرءان} مـدغم بـالنون. وقـرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وحمزة: بإظهار النون. وكل ذلك جائز في اللغة. وقرئ في الشاذ {يَاسِينَ} بنصـب النـون، ومعناه: اتل ياسين. لأن يس اسم سـورة. وقـراءة العامـة بالتسكين، لأنهـا حـروف هجـاء، فلا تحتمـل الإعـراب مثـل قوله تعالى: {الم} وروي عن ابن عباس في تفسير قوله: {يس} يعني: يا إنسان بلغة طيئ. وهكذا قـال مقاتـل عن قتادة، والضحاك. وروي عن محمـد ابن الحنفيـة أنـه قـال: {يس} يعـني: يـا محمـد. وروى معمـر عن قتـادة قـال: {يس} اسم من أسماء القـرآن. ويقـال: افتتـاح السـورة. وقــال مجاهــد: هــذه فــواتح الســور يفتتح بهــا كلام رب العالمين. وقال شهر بن حوشب. قال كعب: {يس} قسم أقسـم اللـه تعـالى بـه قبـل أن يخلـق السـموات والأرض بـألفي عـام، فقـال: {يس والقـرءان الحكيم} ويـا محمـد {إِنَّكَ لَمِنَ المرســلين} وقـــال ابن عبـــاس في قولـــه: {والقــرءان الحكيم} أي: أحكم حلالـه، وحرامـه، وأمـره، ونهيـه. ويقـال: حكيم يعـني: محكم من التنـاقض والعيب. ويقــال: {الحكيم} أي: الحــاكم كــالعليم. يعــني: العــالم. يعـني: القـرآن حـاكم على جميـع الكتب الـتي أنزلهـا اللـه تعالى من قبل {إِنَّكَ لَمِنَ المرسلين} فهذا جواب القسم، ومعناه: يا إنسان {والقرءان الحكيم إِنَّكَ لَمِنَ المرسـلين} يعني: رسولاً كسائر المرسلين جواباً لقولهم: لست مرسلاً {على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: إنـك على صـراط مسـتقيم ويقـال: هـذا نعت للرسـل يعـني: {إِنَّكَ لَمِنَ المرسـلين} الـــذين كـــانوا على صـــراط مســـتقيم، أي: على طريـــق الإسلام.

ثم قال عز وجل: {تَنزِيلَ العزيـز الـرحيم} قـرأ ابن كثـير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم في إحـدى الروايـتين {تَنزِيـلَ} بضم اللام ومعناه: هذا القرآن تنزيـل أو هـو تنزيـل العزيـز الـرحيم، وقـرأ البـاقون {تَنزِيـلَ} بالنصـب، ومعنـاه: نزّلـه تنزيلاً فصار نصباً بالمصدر.

تفسير الآيات رقم [6- 10]

{لِتُنْذِرَ قَوْمًـا مَـا أُنْـذِرَ آَبَـاؤُهُمْ فَهُمْ غَـافِلُونَ (6) لَقَـدْ حَـقَّ الْقَـوْلُ عَلَى أَكْثَـرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَـا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَـا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَـدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَـدًّا فَأَغْشَـيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِـرُونَ (9) وَسَـوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْـذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْـذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10)}

ثم قوله تعالى: {لِّتُنذِرَ} يعني: لتخوف بـالقرآن {قَوْمـاً مَّا أُنـذِرَ ءابَـاؤُهُمْ} يعـني: كمـا أنـذر آبـاؤهم الأولـون {فَهُمْ غافلون} عن ذلك يعني: عما أنذر آباؤهم.

ثم قـال عـز وجـل: {لَقَـدْ حَـقَّ القـول} أي: وجب القـول بالعذاب {على أَكْثَـرِهِمْ} أي: على الكفـار. ويقـال: {لَقَـدْ حَقَّ القول} وهو قوله: {قَالَ اخرج مِنْهَـا مَـذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَـكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعـراف: 18 وغيرها] ويقال: {القول} كناية عن العـذاب أي: وجب عليهم العـذاب {فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُـونَ} يعـني: لا يصـدقون بالقرآن {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا} قال مقاتـل: نـزلت في بني مخزوم، وذلك أن أبـا جهـل حلـف لئن رأى النـبي صلى الله عليه وسلم ليدفعنـه بحجـر، فأتـاه وهـو يصـلي، فرفع الحجر ليدمغه، فيبست يده إلى عنقه، والتزق الحجر بيده، ورجع إلى أصحابه، فخلصوا الحجـر من يـده. ورجـل آخـر من بـني المغـيرة، أتـاه ليقتلـه، فطمس اللـه على بصره، فلم يرَ النبي صلى الله عليه وسـلم، وسـمع قولـه، فرجـع إلى أصـحابه، فلم يـرهم حـتى نـادوه، فـذلك قولـه

تعـــالى: {إِنَّا جَعَلْنَـــا فِى أعنـــاقهم أغلالا *** فَهِىَ **إِلَى الاذقـان فَهُم مُّقْمَحُـونَ وَجَعَلْنَـا مِن بَيْنِ أَيْـدِيهِمْ سَـدّاً ومِنْ خَلْفِهِمْ سَـدّاً} وذكـر في روايـة الكلـبي نحـو هـذا، وقـال بعضــهم: {إِنَّا جَعَلْنَـا فِى أعنــاقهم أغلالا} أي: نجعـل في أعناقهم أغلالاً يـوم القيامـة. ويقـال: معنـاه {إِنَّا جَعَلْنَـا فِى أعناقهم أغلالا} أي: جعلنـا أيـديهم ممسـكة عن الخـيرات، مجازاة لكفرهم. {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً} أي: حــائلاً لا يهتدون إلى الإسلام، ولا يبصرون الهدى، وقـال بعضـهم: {إِنَّا جَعَلْنَا فِى أعناقهم أغلالا} يعني: أيديهم. ولم يذكر في الآيـة اليـد، وفيهـا دليـل، لأن الغـل لا يكـون إلا باليـد إلى العنق. فلمـا ذكـر العنـق فكأنمـا ذكـر اليـد. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، أنهمـا قـرآ: إنـا جعلنـا في {أيمـانهم *** أغلالا}. وقرأ بعضهم {فَي أَيْدِيهِمْ}. وكـل ذلـك يرجـع إلى معنى واحد. لأنه لا يجوز أن يكون الغـل بأحـدهما دون الآخر كقوله: {والله جَعَلَ لَكُمْ مِّمَّا خَلَـقَ ظلالا وَجَعَـلَ لَكُمْ مِّنَ الجبال أكنانا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحر وسـرابيل تَقِيكُم بَأْسَـكُمْ كَـذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَـهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـلِمُونَ} [النحل: 81] ولم يذكر البرد لأن في الكلام دليلاً عليه.
ثم قـال: {فَهِىَ * إِلَى الاذقـان فَهُم مُّقْمَحُـونَ} أي: رددنـا أيـديهم إلى أعنـاقهم {إِلَى الاذقـان} أي: الحنـك الأيسـر {فَهُم مُّقْمَحُـونَ} أي: رافعـو الـرأس إلى السـماء، غاضّـو الطرف لا يبصر موضع قدميـه. وقـال قتـادة: أي مغلـولين من كل خير.
ثم قال عز وجل: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً} أي: ظلمة {ومِنْ خَلْفِهِمْ سَـدّاً} أي: ظلمــة {فأغشـيناهم} بالظلمــة {فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ * وَسَوَآء عَلَيْهِمْ} الآية.
يعني: خوفتهم، اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد بـه التـوبيخ {وَسَوَآء عَلَيْهِمْ أءنذَرْتَهُمْ} يعني: خـوفتهم {أَمْ لَمْ تُنـذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني: أم لم تخـوفهم لا يصـدقون. إنمـا نـزلت

الآية في شأن الذين ماتوا على كفرهم، أو قتلوا على كفرهم. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص {سَدّا} بنصب السين في كلاهما. وقرأ الباقون: بالضم. وقال أبو عبيدة: قراءتنا بالضم لأنهما من فعل الله تعالى، وليس من فعل بني آدم. وقال القتبي: المقمح الذي يرفع رأسه، ويغض بصره. يقال: بعير قامح إذا روي من الماء فقمحت عيناه. وقال: والسد الجبل {فأغشيناهم} يعني: أعمينا أبصارهم عن الهدى.

تفسير الآيات رقم [11- 12]

{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (11) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتبع الذكر} يعني تخوف بالقرآن من اتبع الذكر، يعني من قبل الموعظة وسمع القرآن {وَخشِىَ الرحمن بالغيب} يعني: أطاعه في الغيب {فَبَشّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ} في الدنيا {وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} في الآخرة.

ثم قال عز وجل: {إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ الموتى} يعني: نبعثهم في الآخرة {وَنَكْتُبُ مَاَ قَدَّمُواْ} يعني: نحفظ ما أسلفوا، وما عملوا من أعمالهم. ويقال: {وَنَكْتُبُ مَاَ قَدَّمُواْ} يعني: تكتب أعمالهم الكرام الكاتبون، وما عملوا من خير أو شر {وَءاثَارَهُمْ} يعني: ما استنوا من سنة خير أو شر عملوه، واقتدى بهم من بعدهم، فلهم مثل أجورهم، أو عليهم مثل أوزارهم من غير أن ينقص منه شيئاً، وهذا كقوله عز وجل: {بَلِ الإنسان على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: 14] وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ» إلى آخره وقال مجاهد: {وَءاثَارَهُمْ} يعني: خطاهم. وروى مسروق أنه قال: مَا خَطَا عَبْدٌ خُطْوَةً إلاَّ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ. وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال: إن بني سلمة ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم بعد

منازلهم من المسجد. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارُكُمْ فَإِنَّمَا تُكْتَبُ آثَارُكُمْ». ثم قال: {وَكُلَّ شئ أحصيناه} أي: حفظناه وبيَّناه {فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ} يعني: في اللوح المحفوظ.

تفسير الآيات رقم [13- 14]

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14)}

قوله عز وجل: {واضرب لَهُمْ مَّثَلاً} أي: وصف لهم شبهاً {أصحاب القرية} أهل القرية وهي أنطاكية {إِذْ جَاءهَا المرسلون} يعني: رسل عيسى عليه السلام {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنين} قال مقاتل: هما تومان وطالوس {فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} يعني: قويناهما بثالث وهو شمعون وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {فَعَزَّزْنَا} بالتخفيف، ومعناهما: غلبنا. نقول: عزه يعزه إذا غلبه، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ هَذَآ أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِى نَعْجَةٌ واحدة فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الخطاب} [ص: 23] يعني: غلبني في القول. وقرأ الباقون: {فَعَزَّزْنَا} بالتشديد، ومعناه: قوينا، وشددنا الرسالة برسول ثالث، وذلك أن عيسى ابن مريم عليهما السلام رسول إلى أنطاكية. وإنما كان إرساله بإذن الله عز وجل. فأضاف إليه حيث قال: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنين} ثم بعث بعد ذلك شمعون. وروي في بعض الروايات أن عيسى عليه السلام أوصى إلى الحواريين أن يتفرقوا في البلدان. ثم رفع عيسى إلى السماء، وكان مجيء الرسل بعدما رفع عيسى. وفي بعض الروايات: أنه أرسل الرسل، ثم رفع، وكان للرسل من المعجزة ما للأنبياء عليهم السلام بدعاء عيسى عليه السلام فلما جاء الرسولان الأولان، ودخلا أنطاكية، وجعلا يناديان فيها بالإيمان بالرحمن، يعني: يدعوان إلى الإيمان بالله عز

وجـل، ويزجـران أهلهـا عن عبـادة الأصـنام والشـيطان، فأخذوهما شرط الملك، وأتَوْا بهمـا إلى الملـك، فلمـا دخلا على الملك، قالا: إن الأوثان التي تعبـدون ليسـت بشـيء، وإن إلهـاكم اللـه الـذي في السـماء، وأن من مـات منكم صـار إلى النـار. فغضـب الملـك، وجلـدهما، وسـجنهما، ثم حضر شـمعون ودخـل أنطاكيـة، وجـاء إلى السـجن فقـال للسجان: ائذن لي حتى أدخل السجن، فإني أريد أن أدفـع إلى كل واحد كسرة خبز، فـأذن لـه. فـدخل وجعـل يعطي لكل واحد كسرة خبز، حتى انتهى إلى صاحبيه، فقال لهما: إني أريد أن آتي الملك، وأطلب فكاككما، حـتى أخلصـكما، فإنكمـا لم تأتيـا الأمـر من قبـل وجهـه. ألم تعلمـا أنكمـا لا تطاعان إلا بالرفق واللطف، وأن مثلكما مثل امرأة لم تلد زمانـاً من دهرهـا ثم ولـدت غلامـاً، فأسـرعت بشـأنه، فأطعمته الخـبز قبـل أوانـه، فغص بلقمـة فمـات. فكـذلك دعوتكما هذا الملك قبل أوان الـدعاء، فأصـابكما البلاء، ثم انطلق شمعون، وتركهما، فقعد عند بيت الأصنام، حتى إذا دخلوا بيت الأصنام، دخل في صلاتهم، فقام بين يـدي تلـك الأصنام يصلي، ويتضرع، ويسجد لله تعالى، ولا يشكون أنه على ملتهم، وأنـه إنمـا يـدعو آلهتهم، ففعـل ذلـك أيامـاً، فـذكروا ذلـك للملـك، فـدعاه، وكلمـه، وقـال لـه: من أين أنت؟ فقال: أنا رجل من بني إسرائيل، وقد انقرض أهلي، وكنت بقيتهم، وجئت إلى أصـحابك آنس بهم، وأسـكن إليكم، فسـأله الملـك عن أشـياء، فوجـده حسـن التـدبير، والـرأي فلبث فيهم مـا شـاء اللـه، فلمـا رأى أمـره قـد استقام، قال: يـا أيهـا الملـك إنِّي قـد بلغـني أنـك سـجنت رجلين منذ زمان يدعوانك إلى إله غير إلهاك، فهل لـك أن تدعوهما، فأسمع كلاهما وأخاصمهما عنـك؟ فقـال الملـك: نعم.

فدعاهما، وأقيما بين يديه، فقال لهما شمعون، أخبراني عن إلهاكما؟ فقالا: إنه يبرئ الأكمه والأبرص، فدعي برجل ولد أعمى فدعوا الله تعالى، فأبصر الأعمى. قال شمعون: فأنا أفعل مثل ذلك. فأتي بآخر، فدعا شمعون رضي الله عنه فبرئ، فقال لهما شمعون، لا فضل لكما عليّ بهذا. ثم أتي برجل أبرص، فدعوا، فبرئ، وفعل شمعون بآخر مثل ذلك. فقال لهما شمعون: فهل عندكما شيء غير هذا؟ فقالا: نعم إن ربنا يحيي الموتى. فقال شمعون: أنا لا أقدر على ذلك. ثم قال للملك: هل لك أن تأتي بالصنم فلعله يحيي الموتى، فيكون لك الفضل عليهما ولإلاهك؟ فقال الملك: إنك تعلم أنه لا يسمع، ولا يبصر، فكيف يحيي الموتى؟ ثم قال له شمعون سلهما هل يستطيعان أن يفعلا مثل ما قالا؟ فقال الملك: إن عندنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وكان لأبيه ضيعة قد خرج إليها وأهله ينتظرون قدومه، واستأذنوا في دفنه، فأمرهم أن يؤخروه حتى يحضر أبوه، فَأمَرَهم بإحضار ذلك الميت، فلم يزالا يدعوان الله تعالى، وشمعون يعينهما بالدعاء في نفسه، حتى أحياه الله تعالى. فقال شمعون: أنا أشهد أنهما صادقان وأن إلههما حق، فاجتمع أهل المصر، وقالوا: إن كلمتهم كانت واحدة، فرجموهم بالحجارة، وجاء أب الغلام، فأسلم، وقتل أب الغلام أيضاً، وهو حبيب بن إسرائيل النجار. ثم إن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام فصاح صيحة فماتوا كلهم، فذلك قوله تعالى: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثنين فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ} يعني: هؤلاء الثلاثة {إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ} وأروهم العلامة.

تفسير الآيات رقم [15- 19]

{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا

تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَـذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَـالُوا طَـائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَـلْ أَنْتُمْ قَـوْمٌ مُسْرِفُونَ (19)}

قوله عز وجل: {قَالُواْ مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مّثْلُنَـا} يعـني: آدمي مثلنـا {وَمَـا أَنَـزلَ الـرحمن مِن شَـئ} يعـني: لم يرسـل الرسـل من الآدمـيين {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْـذِبُونَ} بـأنكم رسـل الله تعالى. يعني: أرسلكم عيسى بأمر الله تعالى، فأنكروا ذلك {قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ} يعني: أن الرسل قالوا: {رَبُّنَـا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} يعـني: أرسـلنا عيسـى عليـه السـلام بأمر الله تعالى {وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ البلاغ المبين قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} يعني: قال أهل أنطاكية: إنا تشاءمنا بكم، وهذا الذي يصـيبنا من شـؤمكم، وهـو قحـط المطـر {لَئِن لَّمْ تَنتَهُـواْ لَنَـرْجُمَنَّكُمْ} يعـني: لنقتلنّكم {وَلَيَمَسَّـنَّكُمْ مّنَّا عَـذَابٌ أَلِيمٌ قَـالُواْ طـائركم مَّعَكُمْ} يعـني: شـؤمكم معكم، وبأعمـالكم الخبيثة. ويقال: إن الذي يصيبكم، كان مكتوباً في أعناقكم، {أَءِن ذُكّرْتُم} يعني: إن وعظتم بالله. قرأ نافع وأبو عمـرو {أَيْنَ} بهمـزة واحـدة ممـدودة. وقـرأ البـاقون: بهمـزتين. وقـرأ زر بن حـبيش: {ءانِ ذُكّـرْتُم} بهمـزة واحـدة مـع التخفيف والفتح. يعـني: لأنكم وعظتم؟ فلم تتعظـوا. ومن قـرأ بالاسـتفهام فمعنـاه: إن وعظتم تطـيرتم. قـالوا: هـذا جوابـاً لقـولهم: {إِنَّا تَطَيَّرْنَـا بِكُمْ} ويقـال: معنـاه {أَءِن ذُكِّرْتُم}. يعني: حين وعظتم بالله تشاءمتم بنا.

ثم قال: {بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} يعني: مشركون.

تفسير الآيات رقم [20- 32]

{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَـا قَـوْمِ اتَّبِعُـوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَـدُونَ (21) وَمَـا لِيَ لَا أَعْبُـدُ الَّذِي فَطَـرَنِي وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِـهِ آَلِهَـةً إِنْ يُـرِدْنِ الـرَّحْمَنُ بِضُـرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (

24) إِنِّي آَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (28) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (30) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (31) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (32)}

قوله تعالى: {وَجَاء مِنْ أَقْصَى المدينة} يعني: من وسط المدينة، وهو حبيب بن إسرائيل النجار {رَجُلٌ يسعى} يعني: يسعى في مشيه. وقال بعضهم: هو الذي عاش ابنه بعد الموت، بدعاء الرسل، فجاء وأسلم. وقال بعضهم: كان ابنه مريضاً، فبرئ بدعوة الرسل، فصدق بهم، فلما بلغه أن القوم أرادوا قتل الرسل، جاء ليمنع الناس عن قتلهم. وقال قتادة: كان في غار يدعو ربه فلما بلغه مجيء الرسل أتاهم {قَالَ يَا قَوْمٌ اتبعوا المرسلين} يعني: دين المرسلين ثم قال للرسل هل تسألون على هذا أجراً؟ فقالوا: لا. فقال: للقوم {اتبعوا مَن لاَّ يَسْئَلُكُمْ أَجْراً} يعني: على الإيمان {وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} يدعوكم إلى التوحيد. فقال له قومه: تبرأت عن ديننا، واتبعت دين غيرنا. فقال: {وَمَا لِىَ لاَ أَعْبُدُ الذى فَطَرَنِى} يعني: خلقني. قرأ حمزة وابن عامر في إحدى الروايتين: {وَمَا لِىَ} بسكون الياء. وقرأ الباقون: بالفتح. وهما لغتان وكلاهما جائز.

ثم قال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يعني: تصيرون إليه بعد الموت، وهذا كقوله: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بِمَآ ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القيامة وَللَّهِ مِيرَاثُ السماوات والارض والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [آل عمران: 180] فقالوا له: ارجع إلى

ديننا. فقال حبيب: {أَءتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءالِهَةً} يعني: أعبد من دونه أصناماً {إِن يُرِدْنِ الرحمن بِضُـرّ} يعـني: ببلاء وشـدة إذا فعلت ذلك {لاَّ تُغْنِ عَنّى شفاعتهم شَيْئاً} يعني: لا تقدر الآلهة أن يشفعوا لي {وَلاَ يُنقِذُونَ} يعني: لا يدفعون عـني الضــرر {إِنّى إِذاً لَّفِى ضــلال مُّبِينٍ} يعــني: إني إذا فعلت ذلــك لفي خســران بيّن {إِنّى ءامَنتُ بِـرَبّكُمْ فاســمعون} يعني: فاشهدوني، وأعينوني بقول لا إله إلا الله. وقـال ابن عباس: ألقي في البئر وهو الرس كما قـال {وَجَـآءَتْ كُـلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَـآئِقٌ وَشَـهِيدٌ} [ق: 12] وقـال قتـادة: قتلـوه بالحجارة. وهـو يقـول: رب اهـد قـومي فـإنهم لا يعلمـون. وقال مقاتل: أخذوه ووطؤوه، تحت أقدامهم، حتى خرجت أمعـاؤه، ثم ألقي في البـئر، وقتلـوا الرسـل الثلاثـة. فلمـا ذهب بروح حبيب النجار إلى الجنة ف {قِيـلَ} لـه {ادخـل الجنة قَالَ ياليت ياليت قَوْمِى يَعْلَمُـونَ بِمَـا غَفَـرَ لِى رَبّى} وذلـك حين دخلهـا، وعـاين مـا فيهـا من النعيم، تمـنى أن يسلم قومه فقال: {قَالَ ياليت قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبّى} بالذي غفر لي ربي. ويقال: بمغفرتي. ويقـال: بمـاذا غفر لي ربي؟ فلو علموا، لآمنوا بالرسل.

ثم قـــال: {وَجَعَلَنِى مِنَ المكـــرمين} أي: الموحـــدين في الجنة. نصح لهم في حياته، وبعد وفاته.

يقول الله تعالى: {وَمَا أَنزَلْنَا على قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنـدٍ مّنَ السماء} يعني: من بعد حـبيب النجـار {مِن جُنـدٍ} من السماء، يعني: الملائكة {وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ} يعـني: لم نبعث إليهم أحداً {إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً واحدة} يعني: ما كـانت إلا صـيحة جبريـل عليـه السـلام {فَـإِذَا هُمْ خامـدون} يعـني: ميتون لا يتحركون {خامدون ياحسرة عَلَى العبـاد} يعـني: يا ندامة على العباد في الآخرة.

يعني: يقولون: يا حسرتنا على ما فعلنا بالأنبياء عليهم السلام {مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ} في الدنيا {إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

ثم خوّف المشركين بمثل عذاب الأمم الخالية ليعتبروا فقال: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا} يعني: ألم يعلموا؟ ويقال: ألم يخبروا كم أهلكنا {قَبْلَهُمْ مِّنَ القرون} يعني: كم عاقبنا من القرون الماضية {أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ} إلى الدنيا {وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} قرأ عاصم، وحمزة، وابن عامر، بتشديد الميم. وقرأ الباقون: بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد فمعناه: وما كل إلا جميع. ومن قرأ بالتخفيف فما زائدة ومؤكدة. والمعنى وإن كل لجميع لدينا محضرون. يعني: يوم القيامة محضرون عندنا، ثم وعظهم كي يعتبروا من صنعه، فيعرفوا توحيده.

تفسير الآيات رقم [33- 35]

{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)}

قوله تعالى {وَآيَةٌ لَهُمُ} يعني علامة وحدانيته {الأرض الميتة أَحْيَيْنَاهَا} يعني الأرض اليابسة أحييانها بالمطر لتنبت {وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً} يعني الحبوب كلها {فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا} يعني وخلقنا في الأرض {جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} يعني البساتين والكروم {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العيون} يعني أجرينا في الأرض الأنهار تخرج ن العيون {لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ} يعني من الثمرات {وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِم} يعني لم تعمل أيديهم، ويقال: والذي عملت أيديهم مما يزرعون {أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} رب هذه النعم فيوحدوه، وقرأ حمزة والكسائي {ثَمَرِهِ} بالضم. وقرأ الباقون: بالنصب. والثَّمر بالنصب، جماعة الثمرة.

والثمرات جمع الجمع وهو الثمر، مثل كتاب وكتب. والثُّمر بالضم جمع الثمار. قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر: {وَمَا عَمِلَتْ} بغير هاء. وقرأ الباقون: بالهاء. ومعناهما واحد.
ثم قال: {أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، يعني: اشكروا رب هذه النعم ووحدوه.

▲ تفسير الآيات رقم [36- 40]

{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)}

ثم قال عز وجل: {سبحان الذى خَلَقَ الازواج كُلَّهَا} يعني: تنزيهاً لله عز وجل الذي خلق الأصناف كلها {مِمَّا تُنبِتُ الارض} يعني: ألواناً من النبات والثمار. ففي كل شيء خلق الله تعالى دليلاً على وحدانيته تعالى وربوبيته {وَمِنْ أَنفُسِهِمْ} يعني: خلق من جنسهم أصناف الذكر والأنثى، وألواناً مختلفة {وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: وخلق من الخلق ما لا يعلمون، وهذا كقوله: {والخيل والبغال والحمير لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [النحل: 8].
ثم ذكر لهم دلالة أخرى ليعتبروا بها، فقال عز وجل: {وَءايَةٌ لَّهُمُ اليل} يعني: علامة وحدانيته الليل {نَسْلَخُ مِنْهُ النهار} يعني: نخرج ونميز منه النهار {فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} يعني: داخلون في الظلمة. ويقال: يبقون في الظلمة. ويقال: إن الله خلق الدنيا مظلمة.
ثم قال: {والشمس} سراجاً، فإذا طلعت الشمس، صارت الدنيا مضيئة. وإذا غربت الشمس، بقيت الظلمة.

كما كانت، وهو قولـه تعـالى: {نَسْـلَخُ مِنْـهُ النهـار} يعـني: ننزع الضوء منـه {فَـإِذَا هُم مُّظْلِمُـونَ} يعـني: يبقـون في الظلمـة. ويقـال: نسـلخ الليـل. يعـني: نخـرج منـه النهـار إخراجاً لا يبقى منه شيء من ضوء النهار، كما نسلخ الليـل من النَّهَار، فكـذلك نسـلخ النهـار من الليـل. فكأنـه يقـول: الليل نسلخ منه النهار، والنهار نسـلخ منـه الليـل، فـاكتفى بذكر أحدهما، لأن في الكلام دليلاً. وقد ذكر في آية أخــرى قـال: {خَلَـقَ السـماوات والارض بـالحق يُكَـوِّرُ اليـل عَلَى النهار وَيُكَوِّرُ النهار عَلَى اليل وَسَخَّرَ الشـمس والقمـر كُـلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلا هُوَ العزيز الغفار} [الزمر: 5].

ثم قال عز وجـل: {والشـمس تَجْـرِى لِمُسْـتَقَرّ لَّهَـا} قـال مقاتل: يعني: لوقت لها. وقال الكلـبي: تسـير في منازلهـا حتى تنتهي إلى مستقرها، ولا تتجاوزها. ثم ترجــع إلى أول منازلها. وقـال القتـبي: {والشـمس تَجْـرِى لِمُسْـتَقَرّ لَّهَـا} يعـني: إلى مسـتقر لهـا. ومسـتقرها أقصـى منازلهـا في الغروب. وذلك لأنها لا تزال تتقدم في كل ليلة، حتى تنتهي إلى أبعــد مغاربهــا، ثم ترجــع فــذلك مســتقرها، لأنهــا لا تجاوزها. وطريق آخر مـا روي عن أبي ذر الغفـاري رضـي الله عنه قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسـلم عند غروب الشمس، فقـال: «يـا أَبَـا ذَرَ أَتَـدْرِي أَيْنَ تَغْـرُبُ الشَّمْسُ» قلت: الله ورسـوله أعلم. قـال: «فإِنَّهَـا تَغْـرِبُ، وَتَذْهَبُ حَتَّى تَسْـجُدَ تَحْتَ العَـرْشِ، وَتَسْـتَأْذِن فَيُـؤْذَنُ لَهَـا، وَيُوشِكُ أنْ تَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، حَتَّى تَسْتَشْــفِعَ، وَتَطْلُبَ، فَإذا طَـالَ عَلَيْهَـا، قيـلَ لَهَـا: اطلعي مَكَانَـكِ، فـذلك قولـه: {والشـمس تَجْـرِى لِمُسْـتَقَرّ لَّهَـا} قـال: مُسْـتَقَرُّها تَحْتَ العَـرْشِ». ثم قـال: {ذلـك تَقْـدِيرُ العزيـز العليم} العزيـز بالنقمة، العليم بما قدّره من أمرها، وخلقها.

وروى عمــرو بن دينــار عن ابن عبــاس أنــه كــان يقــرأ: {والشمس تَجْرِي لمُّسْتَقِرٌّ لَهَا} يعني: لا تقف، ولا تستقر، ولكنها جارية أبداً.
ثم قال عز وجل: {والقمر قدرناه مَنَـازِلَ} قـرأ ابن كثـير، ونافع، وأبو عمرو {والقمر} بالضم وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قــرأ بالضــم، فلــه وجهــان. أحــدهما أن يكــون على الابتـداء، والآخـر معنـاه: {وَءايَـةٌ لَّهُمُ} القمـر عطـف على قوله: {وَءايَةٌ لَّهُمُ اليل} ومن قرأ بالنصب، فمعناه: وقدرنا القمر. وقال مقاتـل في قولـه: {والقمـر قـدرناه مَنَـازِلَ} يعني: قدرناه منازل في السماء، يبـدو رقيقـاً، ثم يسـتوي، ثم ينقص في آخر الشهر. وقال الكلبي: {قـدرناه مَنَـازِلَ} أي: قدرناه منازل بالليل، ينزل كل ليلة في منزل، ويصـعد في مـنزل، حـتى ينتهي إلى مسـتقره الـذي لا يجـاوزه، ثم يعود إلى أدنى منازله. ويقال: إن القمــر يــدور في منازلــه في شهر واحد، مثل ما تدور الشمس في منازلها في سنة واحدة، قال مقاتل وذلك أن القمر عرضه ثمانون فرســخاً مستديرة، والشمس هكـذا. وكـان ضـوؤهما واحـداً، فأخـذ تسعة وتسعون جزءاً من القمر، فألحقت بالشمس. وروي عن ابن عباس أنه قال: القمر أربعـون فرسـخاً في أربعين فرسخاً، والشمس ستون فرسخاً في ستين فرسخاً. وقال بعضهم: القمر والشمس عرض كل واحد منهما مثل الدنيا كلها.
ثم قال تعالى: {حتى عَادَ كالعرجون القديم} يعـني: صـار كالعذق اليابس، المنقرس، الذي حال عليه الحول. ويقال: للقمر ثمانية وعشرون منزلاً، فـإذا صـار في آخـر منازلـه، دقّ حـتى يعـود كالعـذق اليـابس. والعرجـون إذا يبس، دق واستقوس، فشبه القمر بـه. يعـني: صـار في عين النـاظر كالعرجون، وإن كان هو في الحقيقة عظيم بنفسه، إلا أنــه في عين الناظر يراه دقيقاً.

ثم قال عز وجل: {لاَ الشمس يَنبَغِى لَهَا أَن تدْرِكَ القمـر} يعني: أن تطلع في سلطان القمـر. وقـال عكرمـة: لكـل واحـد منهما سـلطان للشـمس سـلطان بالنهـار، وللقمـر سلطان بالليـل. فلا ينبغي للشـمس أن تطلـع بالليـل {وَلاَ اليل سَابِقُ النهار} يعني: لا يدرك سواد الليل ضوء النهـار، فيغلبه على ضوئه {وَكُـلٌّ فِى فَلَـكٍ يَسْـبَحُونَ} يعـني: في دوران يجــرون، ويــدورون، ويقــال: {يَسْــبَحُونَ} يعــني: يسيرون فيه بالانبساط، وكل من انبسـط في شـيء، فقـد سـبح فيـه، وقـال بعضـهم: السـماء كـالموج المكفـوف، والشمس والقمر، والكواكب الدوارة يسبحون فيهـا وقـال بعضهم: الأفلاك كثـيرة، مختلفـة في السـير، تقطـع القمـر في ثمانية وعشرين يوماً، والشمس تقطع في سنة. وقـال بعضهم: الفلك واحد، وجريهن مختلـف، والفلـك في اللغـة كل ما يدور.

تفسير الآيات رقم [41- 44]

{وَآَيَـةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْـكِ الْمَشْـحُونِ (41) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (42) وَإِنْ نَشَأْ نُغْـرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَـذُونَ (43) إِلَّا رَحْمَـةً مِنَّا وَمَتَاعًـا إِلَى حِينٍ (44)}

ثم قال عز وجل: {وَءايَـةٌ لَّهُمُ} يعـني: علامـة لكفـار مكـة على معرفة وحدانية الله تعالى، {أَنَّا حَمَلْنَا ذُرّيَّتَهُمْ} يعني: آباءهم، واسم الذرية يقع على الآبـاء والنسـوة، والصـبيان، وأصله الخلق، كقوله عز وجـل: {وَلَقَـدْ ذَرَأْنَـا لِجَهَنَّمَ كَثِـيرًا مِّنَ الجن والإنس لَهُمْ قُلُـوبٌ لاَّ يَفْقَهُـونَ بِهَـا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أولئك كالأنعام بَـلْ هُمْ أَضَـلُّ أولئـك هُمُ الغـافلون} [الأعـراف: 179] يعـني: خلقنا. ويقال: {ذُرّيَّتُهُم} خاصة.

ثم قال: {فِى الفلـك المشـحون} يعـني: في سـفينة نـوح عليه السلام الموقرة المملـوءة. يعـني: حملنـا ذريتهم في

أصلاب آبائهم قرأ نافع وابن عامر: {ذُرِّياتِهِمْ} بلفظ الجماعة. وقرأ الباقون: {واتبعتهم ذُرِّيَّتُهُم} وأراد به الجنس.
ثم قال عز وجل: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} يعني: من مثل سفينة نوح عليه السلام ما يركبون في البحر. وقال قتادة: يعني: الإبل يركب عليها في السير، كما تركب السفن في البحر. وقال السدي: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ}. فقال: هذه السفن الصغار. يعني: الزوارق. وقال عبد الله بن سلام: هي الإبل.
قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أخبرني الثقة بإسناده عن أبي صالح. قال: قال لي ابن عباس: ما تقول في قوله: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مّن مّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} قلت: هي السفن. قال: خذ مني بآذان إنما هي الإبل. فلقيني بعد ذلك. فقال: إني ما رأيتك إلا وقد غلبتني فيها، هي كما قلت ألا ترى أنه يقول: {وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ} يعني: إن نشأ نغرقهم في الماء {فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ} يعني: لا مغيث لهم {وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ} يعني: لا يمنعون، فلا ينجون من الغرق.
قوله عز وجل: {إِلاَّ رَحْمَةً مّنَّا} يعني: إلا نعمة منا، حين لم نغرقهم. ويقال: معناه لكن رحمة منا بحيث لم نغرقهم {ومتاعا إلى حِينٍ} يعني: بلاغاً إلى آجالهم.

تفسير الآيات رقم [45- 52]

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (45) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ مِنْ آَيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (46) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (47) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ

الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)}
ثم قال عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} يعني: {مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} من أمر الآخرة فاعملوا لها {وَمَا خَلْفَكُمْ} من أمر الدنيا فلا تغتروا بها. وقال مقاتل: {اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} لكيلا يصيبكم مثل عذاب الأمم الخالية {وَمَا خَلْفَكُمْ} يعني: {واتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ} أي: من عذاب الآخرة. والأول قول الكلبي.
ثم قال: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعني: لكي ترحموا فلا تعذبوا {وَمَا تَأْتِيهِم مّنْ ءايَةٍ مّنْ ءايات رَبّهِمْ} مثل انشقاق القمر {إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ} يعني: مكذبين. وهذا جواب لقوله عز وجل: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتقوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} الآية.
ثم أخبر عن حال زنادقة الكفار فقال عز وجل {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رِزَقَكُمُ الله} يعني: تصدقوا من المال الذي أعطاكم الله عز وجل: {قَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء الله أَطْعَمَهُ} على وجه الاستهزاء منهم {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلال مُّبِينٍ} يعني: في خطأ بيّن. قال بعضهم: هذا قول الكفار الذين أمرهم بالنفقة. وقال بعضهم: هذا قول الله تعالى. يعني: قل لهم يا محمد: {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلال مُّبِينٍ} وروي عن ابن عباس مثل هذا. ثم قال عز وجل: {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد إِن كُنتُمْ صادقين} يعني: متى هذا الوعد الذي تعدونا به يوم القيامة {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنا نبعث بعد الموت، فيقول الله تعالى: {مَا يَنظُرُونَ} بالعذاب {إِلاَّ صَيْحَةً واحدة} يعني: لا حظر لإهلاكهم، فليس إلا صيحة واحدة {تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ} قرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَخِصّمُونَ} بكسر الياء والخاء. وقرأ نافع {يَخِصّمُونَ} بنصب الياء، وسكون الخاء. وقرأ الكسائي

وعاصم في رواية حفص وابن عامر في إحـدى الروايـتين: بنصـب اليـاء، وكسـر الخـاء. وقـرأ ابن كثـير، وأبـو عمـرو بنصب اليـاء والخـاء. وقـراءة حمـزة {يَخِصّـمُونَ} بنصـب الياء، وجزم الخاء بغير تشديد. ومعنـاه: تأخـذهم وبعضـهم يخصم بعضاً. ومن قرأ بالتشـديد. فالأصـل فيـه يختصـمون فأدغمت التاء في الصاد، وشددت. ومن قرأ: بنصب الخـاء طـرح فتحـة التـاء على الخـاء. ومن قـرأ بكسـر الخـاء، فلسكونها، وسكون الصاد. وروي عن عبـد اللـه بن عمـرو بن العـاص: لينفخن في الصـور، والنـاس في طـرقهم، وأسواقهم، حتى أن الثوب ليكون بين الرجلين يتسـاومان، فما يرسله واحد منهما، حتى ينفخ في الصور، فيصعق بـه، وهي التي قال الله تعالى: {مَا يَنظُـرُونَ إِلاَّ صَـيْحَةً واحـدة تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصّمُونَ} قال الفقيه أبو الليث رحمه اللـه: وأخبرني الثقـة بإسـناده عن الأعـرج، عن أبي هريـرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«تَقُومُ السَّاعَةُ والرَّجُلانِ يَتَبَايَعَـانِ الثَّوْب، فَلا يَطْوِيَانِـهِ، وَلا يَتَبايَعَانِهِ. وَتَقُومُ السَّـاعَةُ، وَالرَّجُـلُ يَحْلُبُ النَّاقَـةَ، فَلا يَصِـلُ الإنَـاءُ إلَى فِيـه. وَتَقُـومُ السَّـاعَةُ وَهُـوَ يَلُـوطُ الْحَـوْضَ، فَلا يَسْـقِيَ فِيـهِ». ثم قـال تعـالى: {فَلاَ يَسْـتَطِيعُونَ تَوْصِـيَةً} يعني: يموتون من ساعتهم بغير وصية، فلا يسـتطيعون أن يوصوا إلى أهلهم بشيء {وَلاَ إلى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُـونَ} يعـني: ولا إلى منازلهم يرجعـون من الأسـواق فـأخبر اللـه تعـالى بما يلقون في النفخة الأولى ثم أخبر بما يلقون في النفخة الثانية. يعني: إذا بعثوا من قبورهم بعد الموت فذلك قوله: {وَنُفِخَ فِي الصور فَإِذَا هُم مّنَ الاجداث} من القبـور {إلى رَبّهِمْ يَنسِلُونَ} يعني: يخرجـون من قبـورهم أحيـاء. وكـان بين النفخـتين أربعين عامـاً في روايـة ابن عبـاس. وقيـل: أكـثر من ذلـك. ورفـع العـذاب عن الكفـار بين النفخـتين. فكأنهم رقدوا. فلما بعثوا {قَالُواْ يأَبَانَا ياويلنـا مَن بَعَثَنَـا مِن

مَّرْقَدِنَا} يعـني: من أيقظنـا من منامنـا. قـال: فيقـول لهم الحفظة من الملائكة {هَذَا مَا وَعَـدَ الـرحمن} على ألسـنة الرسل {وَصَدَقَ المرسلون} بـأن البعث حـق. ويقـال: إن المؤمنين هم الذين يقولون: {هَذَا مَا وَعَدَ الرحمن وَصَـدَقَ المرسلون} بأن البعث كائن.

تفسير الآيات رقم [53- 58]

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (53) فَـالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَـيْئًا وَلَا تُجْـزَوْنَ إِلَّا مَـا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَـاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَـدَّعُونَ (57) سَـلَامٌ قَـوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58)}

ثم قـال عـز وجـل: {إِن كَـانَتْ إِلاَّ صَـيْحَةً واحـدة فَـإِذَا هُمْ جَمِيـعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَـرُونَ} قـال الكلـبي: يعـني: في الآخـرة. وقال مقاتل: في بيت المقدس لحسابهم.

ثم قال: {فاليوم لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً} يعني يوم القيامـة لا تنقص نفس مؤمنـة، ولا كـافرة، من أعمـالهم شـيئاً {وَلاَ تُجْزَوْنَ} يعني: ولا تثابون {إِلاَّ مَـا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ} من خـير أو شر.

ثم قـال: {إِنَّ أصـحاب الجنـة اليـوم فِى شُـغُلٍ فـاكهون} يعني: يوم القيامة في شـغل ممـا هم فيـه. أي: عن الـذي هم فيه فاكهون. يعني: ناعمين. قرأ ابن كثير، ونـافع، وأبـو عمـرو {فِى شُـغْلٍ} بجـزم الغين. وقـرأ البـاقون: بالضـم. وهما لغتان. يقال: شـغْل وشـغُل مثـل عُـذْر وعـذُر وعمْـر وعمُـر. قـرأ أبـو جعفـر المـدني: {فـاكهون} بغـير ألـف، وقـراءة العامـة {فـاكهون} بـالألف. فمن قـرأ بغـير ألـف يعني: يتفكهون. قال أبو عبيد: يقال: للرجل إذا كان يتفكـه بالطعام، أو بالشراب، أو بالفاكهة، أو بـأعراض النـاس، إن فلاناً يتفكه. ومنه يقال للمزاحـة فكاهـة. ومن قـرأ بـالألف

يعني: ذوي فاكهة. وقال الفراء: فاكهة وفكهة لغتـان، كمـا يقال حـذر وحـاذر. وروي في التفسـير {فـاكهون} يعـني: نـاعمون. وفكهـون معجبـون. وقـال الكلـبي ومقاتـل في قوله: {إِنَّ أصحاب الجنة} الآية يعني: شـغلوا بـالنعيم في افتضـاض الأبكـار العـذارى عن أهـل النـار، فلا يـذكرونهم يعني: معجبين بما هم فيه من النعم والكرامة. قال الفقيـه أبو الليث رحمه الله: حدّثنا محمد بن الفضـل بإسـناده عن عكرمة في قوله: {فِي شُغُلٍ فاكهون} قال في افتضــاض الأبكار. وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْـلِ، وَالشُّرْبِ، وَالجمَاعِ» فقال رجل من أهل الكتاب: إن الـذي يأكل ويشرب تكـون لـه الحاجـة. فقـال الرسـول: «يَفِيضُ مِنْ جَسَدِ أَحَدِهِمْ عَرَقٌ مِثْلُ المِسْـكِ الأَذْفَـرِ فَيَضْـمُرُ بـذلك بَطْنُـهُ». ثم قـال تعـالى: {هُمْ وأزواجهم فِى ظلال} قـرأ حمزة والكسائي {فِي ظُلَـلٍ} وقـرأ البـاقون {فِى ظلال} فمن قرأ {فِي ظُلَلٍ} فهو جمع الظلة. يقال: ظلـة وظلـل مثل حلة وحلل. ومن قـرأ بكسـر الظـاء فهـو جمـع الظـل يعــني: هم في ظلال العــرش والشــجر ويقــال معــنى القراءتين يرجع إلى شيء واحد. يعني: إن أهل الجنة {هُمْ وأزواجهم} الحـــور العين في القصـــور {عَلَى الارائـــك مُتَّكِئُونَ} يعني: على السرر عليهـا الحجـال. وروى مجاهـد عن ابن عبـاس قـال: الأرائـك سـرر في الحجـال. وقـال الكلبي: لا تكون أريكة إلا إذا اجتمعتا، فـإذا تفرقـا فليسـت بأريكة {مُتَّكِئُونَ} أي: ناعمون. وإنما سمي هذا لأن الناعم يكون متكئاً.

ثم قال: {لَهُمْ فِيهَا فاكهة} يعني: لهم في الجنة من أنــواع الفاكهة {وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ} يعني: مـا يتمنـون ممـا يشـتهوا من الخير، {سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبّ رَّحِيمٍ} يعني: يرسل إليهم ربهم بالتحيـة والسـلام. والعـرب تقـول: ادّعي مـا شـئت،

{يَدَّعُونَ} يتمنون. فقوله عز وجل: {سَلاَمٌ قَوْلاً} يعني: يقال لهم سلام كأنهم يتلقونه بالسلام {مّن رَّبّ رَّحِيمٍ} ويقال: {وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ سلام} يعني: لهم ما يشاؤون خالصاً.
ثم قال: {قَوْلاً مّن رَّبّ رَّحِيمٍ}.

تفسير الآيات رقم [59- 66]

{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (63) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (64) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66)}

يقول الله تعالى {وامتازوا اليوم} وذلك أنه إذا كان يوم نادى مناد: {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} يعني: اعتزلوا أيها الكفار من المؤمنين، فإنهم قد تأذوا منكم في الدنيا، فاعتزلوهم حتى ينجوا منكم. ويقال: إن المنادي ينادي {أَيُّهَا المجرمون} امتازوا، فإن المؤمنين قد فازوا. وأيها المنافقون امتازوا، فإن المخلصين قد فازوا. ويا أيها الفاسقون امتازوا فإن الصالحين قد فازوا ويا أيها العاصون امتازوا، فإن المطيعين قد فازوا. ثم يقول للكفار والمنافقين بعدما امتازوا: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ} يعني: ألم أتقدم إليكم. ويقال: ألم أبيّن لكم في القرآن. ويقال: ألم أوضح لكم {تَتَّقُونَ وَإِذْ أَخَذَ} بالكتاب والرسل. وقال القتبي: العهد يكون لمعان، يكون للأمانة كقوله: {إِلاَّ الذين عاهدتم مِّنَ المشركين ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يظاهروا عَلَيْكُمْ أَحَداً فأتموا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إلى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللـه يُحِبُّ المتقين} [التوبة: 4] ويكون لليقين، ويكون

للميثاق، ويكون للزمان. كما يقال: كان ذلك في عهد فلان أي: في زمانه. ويكون العهد للوصية، كقوله: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يبَنِى أَن لاَّ تَعْبُدُواْ الشيطان} يعني: أن لا تطيعوا الشيطان. قال ابن عباس: من أطاع شيئاً فقد عبده {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} يعني: بيّن العداوة {وَأَنِ اعبدونى هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} يعني: أطيعوني، ووحدوني. يعني: هذا التوحيد طريق مستقيم. ويقال: دين الإسلام هو طريق مستقيم لا عوج فيه، وهو طريق الجنة.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً} يعني: خلقاً كثيراً. وقرأ نافع وعاصم {جِبِلاًّ} بكسر الجيم، والباء، والتشديد. وقرأ أبو عمرو، وابن عامر: {جِبِلاًّ} بضم الجيم، وجزم الباء. والباقون: بضم الجيم والباء. ومعنى ذلك كله واحد. وقال أهل اللغة: الجبل، والجبلة كله بمعنى واحد يعني: الناس الكثير {أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ} ما فعل بمن كان قبلكم، فتعتبروا فلم تطيعوه، فلما دنوا من النار قال لهم خزنتها {هذه جَهَنَّمُ التى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} في الدنيا فلم تصدقوا بها {اصلوها اليوم بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} يعني: اصلوها اليوم بما كفرتم في الدنيا عقوبة لكم في الدنيا {اليوم نَخْتِمُ على أفواههم} وذلك حين قالوا: {والله رَبّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} {وَتُكَلّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: يعملون من الشرك والمعاصي.

ثم قال: {وَلَوْ نَشَاء لَطَمَسْنَا على أَعْيُنِهِمْ} قال مقاتل يعني: لو نشاء لحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى {فاستبقوا الصراط} يعني: ولو طمست الكفر، لاستبقوا الصراط، أي: لجازوا الطريق {فأنى يُبْصِرُونَ} يعني: فمن أين يبصرون الهدى بعدما جعلت قلوبهم قاسية، وجعلت على أعمالهم غطاء، وَأَكِنَّةً على قلوبهم. قال الكلبي: {وَلَوْ نَشَاء} لفقأنا أعين الضلالة، فأبصروا الهدى، واستبقوا الطريق فَأَنَّى يُبْصِرُونَ الطريق. ويقال: فأنى

يبصرون. الهدى وقال بعضهم: ولو نشاء لأعمينا أبصارهم في أسواقهم، ومجالسهم، كما فعلنا بقوم لوط عليه السلام حين كذبوه وراودوه عن ضيفه {فاستبقوا الصراط} يعني: فابتدروا الطريق هرباً إلى منازلهم، ولو فعلنا ذلك بهم.

تفسير الآيات رقم [67- 70]

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (69) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (70)}

ثم قال عز وجل: {وَلَوْ نَشَاء لمسخناهم على مكانتهم} يعني: إن شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيها أرواح {فَمَا استطاعوا مُضِيّاً وَلاَ يَرْجِعُونَ} ولا يتقدمون، ولا يتأخرون. وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير {فَمَا استطاعوا مُضِيّاً} يعني: فما قدروا ذهاباً، ولا يرجعون.

قوله عز وجل: {وَمَن نّعَمّرْهُ} يعني: من أطلنا عمره في الدنيا {نُنَكّسْهُ فِى الخلق} يعني: نرده إلى أرذل العمر، فلا يعقل فيه كعقله الأول. قرأ حمزة وعاصم في رواية أبي بكر {نُنَكّسْهُ} بضم النون الأولى، ونصب الثانية، وكسر الكاف مع التشديد. وقرأ الباقون: {نُنَكّسْهُ} بنصب النون الأولى، وجزم الثانية، وضم الكاف، والتخفيف، ومعناهما واحد. يقال: نكسَه ونكسَّه وأنكسه بمعنى واحد. ومعناه: من أطلنا عمره، نكسنا خلقه. فصار بدل القوة ضعفاً. وبدل الشباب هرماً. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر مكاناتهم وقرأ الباقون {مكانتهم} والمكانة والمكان واحد. مثل المنزل والمنزلة والمكانات جمع المكانة.

ثم قـال: {أَفَلاَ يَعْقِلُـونَ} يعـني: أفلا تفهمـون أن اللـه هـو الذي يفعل ذلـك، فتوحـدوه، وليس لمعبـودهم قـدرة على ذلك. قـرأ نـافع، وابن عـامر، وأبـو عمـرو: {أَفَلاَ تَعْقِلُـونَ} بالتـاء، على معـنى المخاطبـة. وقـرأ البـاقون باليـاء على معـنى الخـبر. وقـرأ عاصـم، وأبـو عمـرو، وحمـزة: {وَأَنِ اعبدونى} بالياء. وقرأ الباقون: بغير يـاء. لأن الكسـر يـدل عليه.

ثم قال عز وجل: {وَمَا علمناه الشعر} جوابـاً لقـولهم إنـه شاعر يعني: أرسلنا إليه القـرآن، ولم نرسـل إليـه الشـعر {وَمَا يَنبَغِى لَهُ} يعني: لم يكن أهلاً لذلك. وقال: ما يسـهل له، وما يحضره الشعر {وَمَا علمناه الشعر وَمَا يَنبَغِى لَـهُ} يعني: ما هو إلا عظـة {الـرَ تِلْـكَ} يعـني: يـبين الحـق من الضلالة. وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة أنه قـال: سألت عائشة رضي الله عنها هل كـان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يتمثـل بشـيء من الشـعر؟ قـالت كـان أبغض الحديث إليه الشعر، ولم يتمثل بشـيء من الشـعر، إلا ببيت أخي بني قيس بن طرفة

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْت جَاهِلا *** وَيَأْتِيكَ بِالأخْبَـارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ، مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ». فقال أبو بكر: ليس هكذا يا رسـول اللـــه. فقـــال: «لَسْـــتُ بِشَـــاعِرٍ وَلا يَنْبَغِي لِي أنْ أَتَكَلَّمَ بِالشِّعْر». فإن قيل: روي عنه أنه كـان يتكلم بالشـعر لأنـه ذكر أنه قال

أنَا النَّبِيُّ لا كَذِب *** أنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ

وذكر أنه عثر يوماً فدميت أصبعه فقال

هَلْ أنْتِ إلاَّ إصْبَعٌ دَمِيت *** وِفِي كِتَابِ الله مَا لَقِيت

وذكر أنه قال يوم الخندق

بِسْمِ الإله وَبِهِ هُدِينَار *** وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شقِينَا

قيل له: هـذه كلمـات تكلم بهـا فصـارت موافقـة للشـعر، وليست بشعر.
ثم قال عز وجـل: {لِّيُنـذِرَ مَن كَـانَ حَيّـاً} يعـني: من كـان مؤمناً، لأن المـؤمن هـو الـذي يقبـل الإنـذار. ويقـال: {مَن كَانَ حَيّاً} يعني: عـاقلاً راغبـاً في الطاعـة. قـرأ نـافع وابن عامر: {لِّتُنذِرَ} بالتاء على معنى المخاطبة. يقول: لتنذر يـا محمد. وقرأ الباقون: بالياء على معنى الخـبر عنـه. يعـني: لتنذر يا محمد. ويقال: يعني: لتنذر بالقرآن من كان مهتدياً في علم الله تعـالى الأزلي {وَيَحِـقَّ القـول} يعـني: وجب العذاب {عَلَى الكافرين} يعني: قولـه: {قَـالَ اخـرج مِنْهَـا مَـــــذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَــــكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: 18] ثم وعظهم ليعتبروا.

تفسير الآيات رقم [71- 76]

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْـدِينَا أَنْعَامًـا فَهُمْ لَهَـا مَالِكُونَ (71) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُـوبُهُمْ وَمِنْهَـا يَـأْكُلُونَ (72) وَلَهُمْ فِيهَـا مَنَـافِعُ وَمَشَـارِبُ أَفَلَا يَشْـكُرُونَ (73) وَاتَّخَـــذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَـــةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَـــرُونَ (74) لَا يَسْـتَطِيعُونَ نَصْـرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْـدٌ مُحْضَـرُونَ (75) فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (76)}
فقال عـز وجـل: {أَوَ لَمْ يَـرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَـا لَهُم} يعـني: أولم ينظروا فيعتبروا فيما أنعم الله عز وجل عليهم.
قولـه: {مِمَّا عَمِلَتْ أَيْـدِينَا أنعامـا} يعـني: أنـا خلقنـا لهم بقوتنا، وبقدرتنا، وبأمرنـا، {أنعامـا} يعـني: الإبـل، والبقـر، والغنم، {فَهُمْ لَهَـا مـالكون} يعـني: الأنعـام. وقـال قتـادة: يعني: ما في بطونها {وذللناها لَهُمْ} يعني: سـخرناها لهم، فيحملون عليهـا، ويسـوقونها حيث شـاؤوا، فلا تمتنـع منهم {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} في انتفاعهم وحوائجهم {وَمِنْهَا يَـأْكُلُونَ} من الإبل، والبقر، والغنم، {وَلَهُمْ فِيهَا} يعـني: في الأنعـام {منـافع} في الركـوب، والحمـل، والصـوف، والـوبر،

{ومشـارب} يعـني: ألبانهـا {أَفَلاَ يَشْـكُرُونَ} رب هـذه النعمة، فيوحدونه. يعني: اشكروا، ووحـدوا، {واتخـذوا مِن دُونِ اللهِ ءالِهَةً} يعني: تركوا عبادة رب هذه النعم، وعبدوا الآلهة {لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} يعني: لعل هذه الآلهة تمنعهم من العذاب في ظنهم.

يقول الله عز وجل: {لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ} يعني: منعهم من العـذاب {وَهُمْ لَهُمْ جُنـدٌ مٌّحْضَـرُونَ} يعـني: الكفـار للأصنام جند يتعصبون لها، ويحضـرونها في الـدنيا للآلهـة. ويقال: {وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مٌّحْضَرُونَ} يعـني: لآلهتهم كالعبيـد، والخدم. قيام بين أيديهم. وقال الحسـن: {وَهُمْ لَهُمْ جُنـدٌ} في الدنيا {مُحْضَرُونَ} في النار.

ثم قال عز وجل: {فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ} يعني: لا يحزنـك يـا محمد تكذيبهم إيـاك {إِنَّا نَعْلَمُ مَـا يُسِـرُّونَ} من التكـذيب {وَمَا يُعْلِنُونَ} يعني: ما يظهرون لك من العداوة.

تفسير الآيات رقم [77- 83]

{أَوَلَمْ يَـرَ الْإِنْسَـانُ أَنَّا خَلَقْنَـاهُ مِنْ نُطْفَـةٍ فَـإِذَا هُـوَ خَصِـيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَـرَبَ لَنَـا مَثَلًا وَنَسِـيَ خَلْقَـهُ قَـالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَهُـوَ بِكُـلِّ خَلْـقٍ عَلِيمٌ (79) الَّذِي جَعَـلَ لَكُمْ مِنَ الشَّـجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (80) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَـادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُـقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُـوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (81) إِنَّمَـا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئًا أَنْ يَقُـولَ لَـهُ كُنْ فَيَكُونُ (82) فَسُـبْحَانَ الَّذِي بِيَـدِهِ مَلَكُـوتُ كُـلِّ شَـيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (83)}

قوله عز وجل: {أَوَلَمْ يَـرَ الإنسـان أَنَّا خلقنـاه مِن نُّطْفَـةٍ} روى سـفيان، عن الكلـبي، عن مجاهـد قـال: أتى أبيّ بن خلـف الجمحي إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بعظم بالي، قد أتى عليه حين، فقام ففته بيده، ثم قال: يا محمد أتعدنا أنا إذا متنا وكنا مثل هـذا بعثنـا؟ فـأنزل اللـه تعـالى:

{أَوَلَمْ يَرَ الإنسان} الآية. وروي عن ابن عباس رضي اللـه عنه أنه قال: لما ذكر رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم القرون الماضية أنهم يبعثـون بعـد المـوت، وأنكم يـا أهـل مكة معهم، فأخذ أبيّ بن خلف الجمحي عظماً بالياً، فجعل يفته بيده، ويذروه في الرياح، ويقول: عجباً يا أهل مكة إن محمداً يزعم أنا إذا متنا، وكنا عظاماً بالية مثل هذا العظم، وكنا تراباً، أنا نعاد خلقـاً جديـداً، وفينـا الـروح، وذلـك مـا لا يكون أبداً، فنزل {أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خلقنـاه مِن نُّطْفَـةٍ} يعني: أولم يعلم هذا الكافر أنا خلقناه أول مرة من نطفـة {فَإِذَا هُوَ خَصِـيمٌ مُّبِينٌ} جـدل بالباطـل. ويقـال {خَصِـيمٌ} بيَّن الخصومة فيما يخاصـم {مُّبِينٌ} أي: بيّن {وَضَـرَبَ لَنَـا مَثَلاً} يعني: وصف لنا شبهاً في أمر العظام. ويقال: وصف لنا بالعجز {وَنَسِىَ خَلْقَهُ} يعني: وترك ابتـداءه حين خلقـه من نطفة. ويقال: ترك النظـر في خلـق نفسـه فلم يعتـبر و{قَـــالَ مَن يُحىِ العظـــام وَهِىَ رَمِيمٌ} يعـــني: باليـــة. والرميم: العظم البالي. يقال: رمّ العظم إذا بلي.

قال الله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الذى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} يعني: قل يا محمد يحيي العظام الذي خلقها أول مرة يعني: في أول مرة ولم يكن شيئاً.

ثم قال عز وجل: {وَهُوَ بِكُـلّ خَلْـقٍ عَلِيمٌ} يعـني: {عَلِيمٌ} بخلقهم، وببعثهم.

ثم أخبر عن صنعه ليعتبروا في البعث فقال: {الـذى جَعَـلَ لَكُمُ} يعني: قل يا محمد العظام يحييها {الذى جَعَلَ لَكُمُ} {مّنَ الشـجر الاخضـر نَاراً فَـإِذَا أَنتُم مّنْـه تُوقِـدُونَ} قـال الكلبي: كل شجرة يقدح منها النار إلا شجرة العناب، فمن ذلـك القصـارون يـدقون عليـه {فَـإِذَا أَنتُم مّنْـه تُوقِـدُونَ} يعني: تقدحون. يعني: فهو الذي يقدر على أن يبعثكم.

ثم قال عز وجل: {أَوَلَيْسَ الذى خَلَقَ السـموات والارض} وهي أعْظَمُ خلقـــاً {بقـــادر على أن يَخْلُـــقَ مِثْلَهُم} في

الآخـرة. والكلام يخـرج على لفـظ الاسـتفهام. ويـراد بـه التقرير.

ثم قال: {بلى} هو قـادر على ذلـك {وَهُـوَ الخلاق العليم} يعني: الباعث {العليم} ببعثهم.

قوله عز وجل: {إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً} من أمـر البعث وغيره {أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} خلقاً.

قرأ ابن عامر والكسائي: {فَيَكُونُ} بالنصب، وقـد ذكرنـاه في سورة البقرة {فسبحان الذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلّ شَـئ} يعني: خلق كل شيء من البعث وغيره. ويقال: خزائن كل شيء. ويقال: له القدرة على كل شيء {وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ} بعد الموت، فيجازيكم بأعمـالكم. قـال: حـدَّثنا الفقيـه أبـو الليث رحمه الله. قال: حدّثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، بإسناده عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم «إِنَّ لِكُـلِّ شَـيْءٍ قَلْبـاً، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس، فَمَنْ قَرَأَ يس يُرِيدُ بِهَا وَجْـهَ اللـه تَعَـالَى غُفِـرَ لَهُ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأجْرِ كَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآن اثْنَتَيْ عَشَرَةَ مَـرَّةً. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ قُـرِئَتْ عِنْـدَهُ سُـورَةُ يس حِينَ يَنْـزِلُ بِـهِ مَلِـكُ الْمَوْتِ يَنْزِلُ إِلَيْهِ بِكُـلِّ حَـرْفٍ مِنْهَـا عَشَـرَةُ أَمْلاَكٍ يَقُومُـونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفاً، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَشْـهَدُونَ قَبْضَهُ، وَيَشْهَدُونَ غَسْلَهُ، وَيُشَيِّعُونَ جِنَازَتَهُ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْـهِ، وَيَشْهَدُونَ دَفْنَهُ. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ مَرِيضٍ قُرِئ عِنْدَهُ سُورَةُ يس وَهُوَ فِي سَكَرَاتِ المَوْتِ، لا يَقْبِضُ مَلَكُ المَوْتِ رُوحَـهُ حَتَّى يَجِيءَ رَضْـوَانُ خَـازِنُ الْجَنَّةِ بِشُـرْبَةٍ مِنْ شَـرَابِ الْجَنَّةِ فَيَشْرَبُهَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ، فَيَقْبِضُ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ عَلَيْهِ السَّـلامُ وَهُـوَ رَيَّانُ، وَيَـدْخَلُ قَبْـرَهُ وَهُـوَ رَيَّان، وَيَمْكُثُ فِي قَبْرِهِ وَهُوَ رَيَّان، وَيُخْرَجُ مِنَ الْقَبْرِ وَهُوَ رَيَّانُ، وَيُحَاسَبُ وَهُوَ رَيَّان، وَلا يَحْتَـاجُ إِلَى حَـوْضٍ مِنْ حِيَّاضِ الأنْبِيَـاءِ عَلَيْهِمْ السَّلامُ حَتَّى يُدْخُلَ الْجَنَّةَ وَهُوَ رَيَّان» وَالله سبحانه وتعـالى

أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأوَّاب وعلى آله وسلم.

سورة الصافات

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (4) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (5)}

قوله تبارك وتعالى: {والصافات صَفًّا} قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {والصافات صَفًّا} قال: أقسم الله تعالى بصفوف الملائكة الذين في السموات، كصفوف المؤمنين في الصلاة. ويقال: يعني: صفوف الغزاة في الحرب، كقوله عز وجل:

{إِنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون فِى سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بنيان مَّرْصُوصٌ} [الصف: 4] ويقال: بصفوف الأمم يوم القيامة لقوله عز وجل: {وَعُرِضُواْ على رَبِّكَ صَفَا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا} [الكهف: 48] ويقال: صف الطيور بين السماء والأرض صافات بأجنحتها لقوله: {وَلَمَنِ انتصر بَعْدَ ظُلْمِهِ فأولئك مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ} [النور: 41] ويقال: صفوف الجماعات في المساجد. وفي الآية بيان فضل الصفوف، حيث أقسم الله بهن.

ثم قال عز وجل: {فالزجرات زَجْراً} يعني: الملائكة الذين يزجرون السحاب، ويؤلفونه، ويسوقونه إلى البلد الذي لا مطر بها. ويقال: {فالزجرات} يعني: فالدافعات وهم الملائكة الذين يدفعون الشر عن بني آدم، موكلون بذلك. ويقال: {الزاجرات} يعني: ما زجر الله تعالى في القرآن بقوله: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130] {وَءاتُواْ

اليتـامى أمـوالهم وَلاَ تَتَبَـدَّلُواْ الخـبيثَ بـالطِيب وَلاَ تـأكلوا أمـوالهم إلى أمـوالكم إِنَّهُ كَـانَ حُوبـاً كَبِـيراً} [النسـاء: 2] ويقال: هي التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وما كـان من عند اللـه من كتب. ويقـال: {صَـفًّا فـالزجرات زَجْـراً} يعني: هم الأنبياء، والرسل، والعلماء، يزجـرون النـاس عن المعاصي، والمنـاهي، والمنـاكر {فالتاليـات ذِكْـراً} يعـني: الملائكة وهو جبريل يتلو القـرآن على الأنبيـاء. ويقـال: هم المؤمنون الذين يقرؤون القرآن. ويقال: {فالتاليات ذِكْراً} قـال: هم الصـبيان يتلـون في الكتـاب من الغـدوة إلى العشـية. كـان اللـه تعـالى يحـول العـذاب عن الخلـق، مـا دامت تصعد هذه الأربعة إلى السماء. أولها أذان المؤذنين، والثاني تكبير المجاهدين، والثـالث تلبيـة الملـبين، والرابـع صوت الصبيان في الكتـاب. وروى مسـروق عن عبـد اللـه بن مسعود رضي اللـه عنـه أنـه قـال: {والصـافات صَـفًّا} قــال: الملائكــة {فــالزجرات زَجْــراً} قــال: الملائكــة {فالتاليات ذِكْراً} قال: الملائكـة وهكـذا قـال مجاهـد: قـد أقسم الله بهذه الأشياء {إِنَّ إلهكم لَوَاحِدٌ} ويقـال: أقسـم بنفســه فكأنــه يقــول: وخــالق هــذه الأشــياء {إِنَّ إلهكم لَوَاحِـدٌ} يعـني: ربكم، وخـالقكم، ورازقكم، لواحـد. {رَب السـموات} يعـني: الـذي خلـق السـموات {والارض وَمَـا بَيْنَهُمَـآ} من خلـق {وَرَبُّ المشـارق} يعـني: مشـرق كـل يوم. وقال في آية أخرى: {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَـرُ الاولين} [الرحمن: 17] أي: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف. وقال في هذه السورة {رَبّ المشارق} أي: مشرق كل يوم.

تفسير الآيات رقم [6- 18]

{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًـا مِنْ كُـلِّ شَيْطَانٍ مَـارِدٍ (7) لَا يَسَّـمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْـذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُـورًا وَلَهُمْ عَـذَابٌ وَاصِـبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِـهَابٌ ثَـاقِبٌ (10) فَاسْـتَفْتِهِمْ أَهُمْ

أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (11) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (12) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (13) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (14) وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (15) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (16) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (17) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (18)}

ثم قال {إِنَّا زَيَّنَّا السماء الدنيا} يعني: الأدنى. وإنما سميت الدنيا لأنها أقرب إلى الأرض {بِزِينَةٍ الكواكب} أي: بضوء الكواكب. قرأ حمزة وعاصم في رواية حفص {بِزِينَةٍ} بالتنوين {الكواكب} بالكسر بغير تنوين، بكسر الباء. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر {بِزِينَةٍ} بالتنوين {الكواكب} بالنصب، والباقون {بِزِينَةِ} بالكسر بغير تنوين {الكواكب} بكسر الباء. فمن قرأ {بِزِينَةٍ الكواكب} بالكسر جعل الكواكب بدلاً من الزينة. والمعنى: إنّا زينا السماء الدنيا بالكواكب. ومن قرأ بالنصب، أقام الزينة مقام التزيين. فكأنه قال: إنّا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب، فيكون الكواكب على معنى التفسير. ومن قرأ بغير تنوين، فهو على إضافة الزينة إلى الكواكب. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الكواكب معلقة بالسماء، كالقناديل. ويقال: إنها مركبة عليها، كما تكون في الصناديق والأبواب.

ثم قال: {وَحِفْظاً مّن كُلّ شيطان مَّارِدٍ} يعني: حفظ الله تعالى السماء بالكواكب من كل شيطان متمرد. يعني: شديد يقال: مرد يمرد إذا اشتد.

ثم قال: {لاَ يَسْمَعُونَ} قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية حفص: {لاَ يَسْمَعُونَ} بنصب السين والتشديد. والباقون: {يَسْمَعُونَ} بنصب الياء، وجزم السين، مع التخفيف. فمن قرأ: بجزم السين فهو بمعنى يسمعون. ومن قرأ بالتشديد فأصله يتسمعون، فأدغمت التاء في السين، وشددت. يعني: لكيلا يستمعون {إلى الملإ

الاعلى} يعني: إلى الكتبة {وَيُقْذِفُونَ} يعني: يرمون {مِن كُلّ جَانِبٍ دُحُوراً} يعني: طرداً من كل ناحية من السماء، وكانوا من قبل يستمعون إلى كلام الملائكة عليهم السلام قال: حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم. قال: حدّثنا عبد الرزاق. قال: أخبرنا معمر عن الزهري، عن علي بن الحسن، عن ابن عباس. قال: بَيْنَمَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ في نَفَرٍ من أصحابه، إذ رمي بنجم فاستنار فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَا كُنْتُمْ تَقَولُونَ لِمِثْلِ هذا فِي الجَاهِلِيَّةِ» قالوا: يموت عظيم، أو يولد عظيم فقال عليه السلام: «إِنَّهُ لا يُرْمَى لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلا لِحيَاتِهِ ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا قَضَى أمْراً يُسَبِّحُهُ حَمْلَةُ الْعَرْشِ، وَأَهْل السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. يَقُولُ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيَخْبِرُونَهُمْ فَيَسْتَخْبِرَ أَهْلَ كُلِّ سَمَاءٍ أَهْلَ السَّمَاءِ الأُخْرَى، حَتَّى يَنْتَهِي الخَبَرُ إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَتَخطَفُ الجِنُّ، وَيَرْمُونَ فِيمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ، فَهُوَ حَقٌّ. ولكنهم يَزِيدُونَ فِيهِ وَيَكْذِبُونَ» قال معمر: قلت للزهري: أو كان يرمى به في الجاهلية. قال: نعم. قال: قالت الجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم

{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مقاعد لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الان يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً} [الجن: 9] قال: غلظ وشدد أمرها، حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: {دُحُوراً} يعني طرداً بالشهب فيعيدونهم {وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ} يعني: دائم. يعني: الشياطين لمن استمع، ولمن لم يستمع في الآخرة. وقال مقاتل: في الآية تقديم {إِلاَّ مَنْ خَطِفَ} من الشياطين {الخطفة} يختطف يعني: يستمع إلى الملأ الأعلى من كلام الملائكة عليهم السلام {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} والشهاب في اللغة كل أبيض ذي نور، والثاقب المضيء، {فاستفتهم} يعني: سل أهل مكة. وهذا سؤال تقدير لا سؤال استفهام.

وقـال تعـالى: {أَهُمْ أَشَـدُّ خَلْقـاً} بـالبعث {أَم مَّنْ خَلَقْنَـا} يعـني: مـا خلقنـا من السـموات، ومـا ذكـر من المشـارق والمغارب. ويقال: {أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً} بـالبعث. يعـني: بعثهم أشد {أَم مَّنْ خَلَقْنَا} يعني: أم خلقهم في الابتداء.

ثم ذكر خلقهم في الابتـداء فقـال: {إِنَّا خلقنـاهم مّن طِينٍ لاَّزِبٍ} يعـني: خلقنـا آدم وهم من نسـله من طين حمئـة. ويقال: {لاَّزِبٍ} أي: لاصـق. ويقـال: {لاَّزِبٍ} يعـني: لازم. إِلاَّ أن الباء تبـدل من الميم، لقـرب مخرجهمـا، كمـا يقـال سمد رأسه، وسبد إذا استأصله، واللازب واللاصق واحد.

ثم قال: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْـخُرُونَ} قـرأ حمـزة والكسـائي: {عَجِبْتَ} بضـم التـاء. وقـرأ البـاقون: بالنصـب. فمن قـرأ بالنصب، فالمعنى بـل عجبت يـا محمـد من نـزول الـوحي عليك، والكافرون يسخرون، مكـذبين لـك. ومن قـرأ {بَـلْ عَجِبْتَ} بالضم، فهو إخبار عن الله تعالى. وقـد أنكـر قـوم هذه القراءة، وقـالوا: إن اللـه تعـالى لا يعجب من شـيء، لأنه علم الأشياء قبل كونها، وإنما يتعجب من سمع أو رأى شيئاً لم يسمعه، ولم يره، ولكن الجواب أن يقـال: العجب من الله عز وجل بخلاف العجب من الآدميين. ويكون على وجه التعجب، ويكون على وجه الإنكـار والاسـتعظام لـذلك القول. كما قال في آية أخـرى {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَـوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أولئك الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النـار هُمْ فِيهَـا خالدون} [الرعد: 5] وروى الأعمش عن سفيان بن سلمة أن شريحاً كان يقرأ {بَـلْ عَجِبْتَ} بالنصـب. ويقـول: إنمـا يعجب من لا يعلم. وقال الأعمش: فـذكرت ذلـك لإبـراهيم النخعي، فقـال إبـراهيم النخعي: إن شـريحاً كـان معجبـاً برأيه، وعبد الله بن مسعود كان أعلم منـه، وكـان يقرؤهـا {بَلْ عَجِبْتَ} بالضم. وروي عن ابن عبـاس أنـه كـان يقـرأ هكذا بالضم، وهو اختيار أبي عبيدة.

ثم قال: {وَيَسْخُرُونَ} يعني: يسخرون حين سـمعوا {وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ} يعـني: إذا وعظـوا بـالقرآن، لا يتعظـون {وَإِذَا رَأَوْاْ ءايَـةً} يعــني: علامــة مثــل انشــقاق القمــر {يَسْتَسْخِرُونَ} يعني: يستهزئون، ويسـخرون. وقـال أهـل اللغة سخر واستسـخر بمعـنى واحـد، مثـل قـرأ واسـتقرأ {وَقَالُواْ إِن هذا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: يبين قوله عز وجل: {أَءذَا مِتْنَا} يعني: يقولون إذا متنا {وَكُنَّا تُرَاباً وعظامـا أَءنَّا لَمَبْعُوثُونَ} يعني: لمحيون بعد الموت {أَوَ ءابَاؤُنَـا الاولـون قُلْ} يا محمد {نَعَمْ وَأَنتُمْ داخرون} يعني: صاغرون.

تفسير الآيات رقم [19- 40]

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (19) وَقَـالُوا يَـا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (20) هَـذَا يَـوْمُ الْفَصْـلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِـهِ تُكَذِّبُونَ (21) احْشُـرُوا الَّذِينَ ظَلَمُـوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَـا كَـانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) مَـا لَكُمْ لَا تَنَاصَـرُونَ (25) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (26) وَأَقْبَـلَ بَعْضُـهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (27) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَـا عَنِ الْيَمِينِ (28) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (29) وَمَا كَـانَ لَنَـا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (30) فَحَـقَّ عَلَيْنَـا قَـوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (31) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (32) فَـإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَــذَابِ مُشْــتَرِكُونَ (33) إِنَّا كَــذَلِكَ نَفْعَــلُ بِـالْمُجْرِمِينَ (34) إِنَّهُمْ كَـانُوا إِذَا قِيـلَ لَهُمْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُـونٍ (36) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَـدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (37) إِنَّكُمْ لَـذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (38) وَمَا تُجْـزَوْنَ إِلَّا مَـا كُنْتُمْ تَعْمَلُـونَ (39) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40)}

ثم قال عز وجل: {فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ واحدة} يعـني: صـيحة ونفخـة واحـدة، ولا يحتـاج إلى الأخـرى {فَـإِذَا هُم} يعـني:

الخلائق {يُنظَرُونَ} يعني: يخرجون من قبورهم، وينظرون إلى السماء كيف غيرت؟ والأرض كيف بدلت؟ فلما عـاينوا البعث، ذكروا قول الرسل: إن البعث حق. {وَقَالُواْ ياويلنـا هذا يَوْمُ الدين} يعني: يوم الحساب. ويقـال: يـوم الجـزاء. فردت عليهم الحفظة. ويقولون: {هذا يَـوْمُ الفصـل الـذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} أنه لا يكون.

ثم ينادي المنادي: {احشروا الذين ظَلَمُواْ} يعـني: سـوقوا الـذين كفـروا {وأزواجهم} يعـني: وأشـباههم. ويقـال: وقرنـاءهم، وضـرباءهم. ويقـال: وأشـياعهم، وأعـوانهم. ويقال: وأمثالهم {وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللـه} يعـني: من الشياطين الذين أضلوهم. ويقال: كل معبود، وكـل من يطـاع في المعصـية {فاهـدوهم} يعـني: ادعـوهم جميعـاً. ويقـال: اذهبـوا بهم، وسـوقوهم جميعـاً {إلى صـراط الجحيم} يعني: إلى طريق الجحيم، والجحيم مـا عظم من النـار. ويقـال: إلى وسـط الجحيم. فلمـا انطلـق بهم إلى جهنم أرسل الله عـز وجـل ملكـاً يقـول: {وَقِفُـوهُمْ} أي: احبسوهم {أَنَّهُمْ} عن ترك قول لا إله إلاَّ الله. ويقال: في الآية تقديم. يعني: يقال لهم قفـوا قبـل ذلـك. فحبسـوا، أو سئلوا.

ثم يساق بهم إلى الجحيم فيقال لهم: {مَّسْئُولُونَ مَـا لَكُمْ لاَ تناصـرون} يعـني: لم ينصـر بعضـكم بعضـاً، ولا يـدفع بعضكم عن بعض كما كنتم تفعلون في الدنيا.

قوله عز وجل: {بَلْ هُمُ اليوم مُسْتَسْلِمُونَ} أي: خاضعون ذليلون {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ} يعني: يسأل ويخاصم بعضهم بعضاً القادة والسفلة، والعابـد، والمعبـود، ومتابعي الشيطان للشيطان. ويقال: {يَتَسَـاءلُونَ} يعـني: يتلاومـون {قَـالُواْ} يعـني: السـفلة للرؤسـاء {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين} يعني: من قبل الحق أي: الدين فـزينتم لنا ضلالتنا. وروي عن الفراء أنه قال: {اليمين} في اللغـة

القوة والقدرة. ومعناه {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا} بـأقوى الحيـل، وكنتم تزينون علينا أعمالنا. وقال الضحاك: تقـول السـفلة للقادة: إنكم قادرون وظـاهرون علينـا. ونحن ضـعفاء أذلاء في أيديكم. روى ابن أبي نجيح عن مجاهـد قـال: {تَأْتُونَنَـا عَنِ اليمين} عن الحق. يعني: الكفار يقولـون: للشـيطان. وقال القتـبي: إنمـا يقـول هـذا: المشـركون لقرنـائهم من الشـــياطين {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَـــا عَنِ اليمين} يعـــني: عن أيماننـا لأن إبليس قـال: {ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْـدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمـــانهم وَعَن شَـــمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِـــدُ أَكْثَـــرَهُمْ شـاكرين} [الأعـراف: 17] وقـال المفسـرون: من أتـاه الشيطان من قبل اليمين، أتاه من قبل الدين، وليس عليه الحق. ومن أتاه من قبل الشمال، أتاه من قبل الشـهوات، ومن أتاه من بين يديـه، أتـاه من قبـل التكـذيب بالقيامـة، ومن أتـاه من خلفـه خوفـه الفقـر على نفسـه، وعلى من يخلف بعده، فلم يصل رحماً، ولم يؤد زكاة.

وقال المشركون لقرنائهم: {إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين} في الدنيا من جهـة الـدين يعـني: أضـللتمونا {قَـالُواْ} لهم قرناؤهم {بَلْ لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} أي: لم تكونوا على حق، فتشـبه عليكم، ونـزيلكم عنـه إلى الباطـل {وَمَـا كَـانَ لَنَـا عَلَيْكُمْ مّن سلطان} يعني: من قدرة فنقهركم. ويقال: من ملك فنجبركم عليه {بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طاغين} يعني: كافرين عاصـين {فَحَـقَّ عَلَيْنَـا} يعـني: وجب علينـا جميعـاً {قَـوْلُ رَبّنَا} وهو السخط. ويقال: {قَوْلُ رَبّنَـا} يـوم قـال لإبليس {لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَـكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص: 85] {إِنَّا لَذَائِقُونَ} يعني: العذاب جميعاً في النار.

قوله عز وجل: {فأغوينـاكم} يعـني: أضـللناكم عن الهـدى {إِنَّا كُنَّا غاوين} يعني: ضالين. يقول الله تعالى: {فَـإِنَّهُمْ} يعني: الكفار والشياطين {يَوْمَئِذٍ فِى العـذاب مُشْـتَرِكُونَ} يعـني: شـركاء في النـار، وفي العـذاب يـوم القيامـة {إِنَّا

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمجرمين} يعني: هكذا نفعل بمن أشرك، فنجمع بينهم وبين الذين أضلّوهم في النار.
ثم أخبر عنهم فقال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ} يعني: في الدنيا {إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إله إلاَّ الله} يعني: قولوا لا إله إلا الله {يَسْتَكْبِرُونَ} عنها، ولا يقولونها {وَيَقُولُون اعتراك بَعْضُ ءالِهَتِنَا} يعني: أنترك عبادة آلهتنا {لِشَاعِرٍ} يعني: لقول شاعر {مَّجْنُونٍ} أي: مغلوب على عقله. يقول الله تعالى: {بَلْ جَاء بالحق} يعني: بالقرآن. ويقال: بأمر التوحيد. ويقال: جاء ببيان الحق {وَصَدَّقَ المرسلين} الذين قبله. قال مقاتل: يعني: صدق محمد صلى الله عليه وسلم بالمرسلين الذين قبله. وقال الكلبي: وبتصديق المرسلين الذين قبله. ومعناهما واحد. ويقال: معناه جاء محمد عليه السلام بموافقة المرسلين عليهم السلام {إِنَّكُمْ} يعني: العابد والمعبود {يَرَوُاْ العذاب الاليم} يعني: لتصيبوا العذاب الوجيع الدائم {وَمَا تُجْزَوْنَ} في الآخرة {إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: إلا بما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والشرك.
ثم استثنى المؤمنين فقال عز وجل: {إِلاَّ عِبَادَ الله المخلصين} يعني: الموحدين ويقال: {إِلا} بمعنى لكن {عِبَادَ الله المخلصين}.

تفسير الآيات رقم [41- 56]

{أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (43) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (44) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (47) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (48) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (49) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (50) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (

54) فَـاطَّلَعَ فَـرَآهُ فِي سَـوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَـالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56)}
ثم قـال {أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُـومٌ} يعـني: طعـام معلـوم معروف حين يشتهونه على قدر غدوة وعشية.
ثم بيّن الرزق فقال: {فواكه} يعني: ألوان الفاكهـة {وَهُم مُّكْرَمُـونَ} بـالثواب. ويقـال: منعمـون {فِي جنـات النعيم على سُرُرٍ متقابلين} في الزيـارة {يُطَـافُ عَلَيْهِمْ} يعـني: يطوف عليهم خدمهم {بِكَأْسٍ مّن مَّعِينٍ} خمراً جاريـاً من معين. يعـني: الطـاهر الجـاري {بَيْضَـآءَ}. يعـني: بخمـرة توجب اللذة {بَيْضَاء لَذَّةٍ} يعني: شهوة {لِلشَّارِبِينَ لاَ فِيهَـا غَوْلٌ} يعني: ليس فيها إثم. ويقال: لا غائلة لهـا، ولا يوجـع منها الرأس. وروى شريك عن سالم قال: {لاَ فِيهَا غَـوْلٌ} أي: لا مكروه فيها، ولا أذى. وقال القتبي: {لاَ فِيهَـا غَـوْلٌ} أي: لا تغتـال عقـولهم، فتـذهب بهـا. يقـال: الخمـر غـول للحلم، والحرب غول للنفوس، والغول البعد {وَلاَ هُمْ عَنْهَـا يُنزَفُونَ} قرأ حمزة والكسـائي {يُـنزَفُونَ} بكسـر الـزاي. وقرأ الباقون: بالنصب فمن قرأ بالنصب فمعناه: لا يـذهب عقولهم شربها. ويقال للسكران: نزيـف ومـنزوف إذا زال عقلـه. ومن قـرأ بالكسـر، فلـه معنيـان: أحـدهما لا ينفـد شرابهم أبداً، والثاني أنهم لا يسكرون.
ثم قال عز وجل: {وَعِندَهُمْ قاصرات الطرف عِينٌ} يعني: غاضات الأعين عن غـير أزواجهن. يعـني: قصـرن طـرفهن على أزواجهن، وقنعن بهم، ولا يبغين بهم بدلاً.
ثم قال: {عِينٌ} أي: حسان الأعين شدة البياض في شـدة السـواد. يقـال لواحـدة العين: عينـاء. يعـني: كبـيرة العين. ويقال: الحسن العيناء التي سواد عينها أكثر من بياضها.
ثم قال: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ} يعـني: إنهن أحسـن بياضـاً من بيض النعم، والعرب تشبه النساء ببيض النعـام. يقـال: لا يكون لـون البيـاض في شـيء أحسـن من بيض النعـام.

وقال قتادة: البيض التي لم تلوثه الأيدي. ويقال: البيض أراد به القشر الداخل من البيض المكنون قد خبأ، وكنَّ من البرد والحر {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ} يعني: يسأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا.

قوله عز وجل: {قَالَ قَائِلٌ مّنْهُمْ} يعني: من أهل الجنة {إِنّى كَانَ لِى قَرِينٌ} وهو الذي بيّن الله تعالى أمرهما في سورة الكهف {واضرب لهُمْ مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أعناب وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا} [الكهف: 32] فكانا أخوين وشريكين، وأنفق أحدهما ماله في أمر الآخرة، واتخذ الآخر لنفسه ضياعاً، وخدماً، واحتاج المؤمن إلى شيء، فجاء إلى أخيه الكافر يسأله، فقال له الكافر ما صنعت بمالك، فأخبره أن قدمه إلى الآخرة، فقال له الكافر: {يِقُولُ أَءنَّكَ لَمِنَ المصدقين} يعني: إنك ممن يصدق بالبعث. وطلب منه أن يدخل في دينه، ولم يقض حاجته، فذلك قوله: {أَءنَّكَ لَمِنَ المصدقين} يعني: بالبعث بعد الموت.

قوله عز وجل: {أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وعظاما أَءنَّا لَمَدِينُونَ} يعني: لمحاسبون. فيقول المؤمن لأصحابه في الجنة: {قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ} حتى ننظر إلى حاله، وإلى منزله، فيقول أصحابه: اطلع أنت، فإنك أعرف به منا {فَاطَّلِعَ} يعني: فنظر في النار {فاطلع فَرَءاهُ فِى سَوَاء} يعني: رأى أخاه في وسط الجحيم، أسود الوجه، مزرق العين، فيقول المؤمن عند ذلك قوله: {قَالَ تالله إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ} يعني: والله لقد هممت لتغويني، ولتضلني. ويقال: {لَتُرْدِينِ} أي: لتهلكني يقال: أرديت فلان أي: أهلكته. والردى: الموت والهلاك. وقال القتبي في قوله: {أَنَاْ * لَمَدِينُونَ} أي: مجازون بأعمالنا. يقال: دنته بما عمل أي جازيته.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 70]

{وَلَـوْلَا نِعْمَـةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَـرِينَ (57) أَفَمَـا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (58) إِلَّا مَوْتَتَنَـا الْأُولَى وَمَـا نَحْنُ بِمُعَـذَّبِينَ (59) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (60) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَـلِ الْعَـامِلُونَ (61) أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (62) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (63) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْـرُجُ فِي أَصْـلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَـا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّـيَاطِينِ (65) فَـإِنَّهُمْ لَآكِلُـونَ مِنْهَـا فَمَـالِئُونَ مِنْهَـا الْبُطُـونَ (66) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَـا لَشَـوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (67) ثُمَّ إِنَّ مَـرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (68) إِنَّهُمْ أَلْفَـوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (69) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (70)}

ثم قال عز وجل: {وَلَوْلاَ نِعْمَـةُ رَبِّى} يعـني: لـولا مـا أنعم الله عليَّ بالإسلام {لَكُنتُ مِنَ المحضرين} معك في النـار ثم أقبـل المـؤمن على أصحابه في الجنـة فقـال: يـا أهـل الجنـة {أَفَمَـا نَحْنُ بِمَيّتِينَ إِلاَّ مَوْتَتَنَـا الاولى} اللفـظ لفـظ الاستفهام، والمراد بـه النفي. يعـني: لا نمـوت أبـداً سـوى موتتنا الأولى. وذلك حين يذبح الموت، فيأمنوا من المــوت {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} يعني: لم نكن من المعذبين مثل أهل النار.

قال الله عـز وجـل: {إِنَّ هـذا لَهُـوَ الفـوز العظيم} يعـني: النجاة الوافرة، فازوا بالجنة، ونجوا من النار {لِمِثْـلِ هـذا} يعــني: لمثــل هــذا الثــواب، والنعم، والخلــود، {فَلْيَعْمَــلِ العــاملون} أي فليبــادر المبــادرون. ويقــال: فليجتهــد المجتهدون. ويقـال: فليحتمـل المحتملـون الأذى، لأنـه قـد حفّت الجنة بالمكاره {أذلك خَيْرٌ نُّزُلاً} يعني: الذي وصفت في الجنة خير ثواباً. ويقال رزقاً. ويقال: منزلاً {أَمْ شَـجَرَةُ الزقـوم} للكـافرين {إِنَّا جعلناهـا فِتْنَـةً للظـالمين} يعـني: ذكر الشجرة بلاء للمشـركين. قـال قتـادة: زادتهم تكـذيباً، فقالوا: يخبركم محمد أن في النـار شـجرة، والنـار تحـرق الشجر. وقال مجاهد: {إِنَّا جعلناها فِتْنَـةً} قـول أبي جهـل: إنما الزقوم التمر، والزبد. فقال لجاريته: زقمينـا فزقمتـه.

وذكر أن ابن الزبعري قال: الزقوم بلسان البربر، وإفريقيا التمر والزبد. فأخبر الله تعالى عن الزقوم أنه لا يشبه النخل، ولا طلعها كطلع النخل، فقال: {أذلك خَيْرٌ نُّزُلاً} يعني: نعيم الجنة، وما فيها من اللذات {خَيْرٌ نُّزُلاً} أي: طعاماً {أَمْ شَجَرَةُ الزقوم} لأهل النار.

قوله عز وجل: {إِنَّا جعلناها فِتْنَةً للظالمين} ثم وصف الشجرة فقال: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الجحيم} يعني: في وسط الجحيم {طَلْعِهَا} يعني: ثمرتها {كَأَنَّهُ رؤوس الشياطين} يعني: رؤوس الحيات، قبيح في النظر. ويقال: هو نبت لا يكون شيء من النبات أقبح منه، وهو يشبه الحسك، فيبقى في الحلق. ويقال: هي رؤوس الشياطين بعينها، وذلك أن العرب إذا وصفت الشيء بالقبح، تقول: كأنه شيطان. ثم وصف أكلهم فقال: {فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا} يعني: من ثمرها {فَمَالِئُونَ مِنْهَا البطون} وهو جماعة المالئ. يعني: يملؤون منها البطون. قال: حدّثنا أبو الليث رحمه الله قال: حدّثنا الفقيه أبو جعفر. قال: حدّثنا محمد بن عقيل. قال: حدّثنا عباس الدوري. قال: حدّثنا وهب بن جرير، عن شعبة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا الله وَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. فَلَوْ أنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي الأرْضِ، لأمَرَّتْ عَلَى أهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ مِنْهُ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ». قوله عز وجل: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ} يعني: خلطاً من حميم من ماء حار في جهنم {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الجحيم} يعني: مصيرهم إلى النار.

ثم بيّن المعنى الذي به يستوجبون العقوبة فقال تعالى: {إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ} يعني: وجدوا {ضَالّينَ فَهُمْ} عن الهدى {فَهُمْ على ءاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} يعني: يسعون في مثل

أعمال آبائهم، والإهراع في اللغـة المشـي بين المشـيتين. وقال مجاهد: كهيئة الهرولة.

تفسير الآيات رقم [71- 98]

{وَلَقَـدْ ضَـلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَـرُ الْأَوَّلِينَ (71) وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (72) فَانْظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُنْـذَرِينَ (73) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (74) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُـونَ (75) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَـاقِينَ (77) وَتَرَكْنَـا عَلَيْـهِ فِي الْآخِـرِينَ (78) سَـلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِـنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَـا الْمُـؤْمِنِينَ (81) ثُمَّ أَغْرَقْنَـا الْآخَـرِينَ (82) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (83) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيم (84) إِذْ قَالَ لِأَبِيـهِ وَقَوْمِـهِ مَـاذَا تَعْبُـدُونَ (85) أَئِفْكًـا آلِهَـةً دُونَ اللَّهِ تُرِيـدُونَ (86) فَمَـا ظَنُّكُمْ بِـرَبِّ الْعَـالَمِينَ (87) فَنَظَـرَ نَظْـرَةً فِي النُّجُـومِ (88) فَقَـالَ إِنِّي سَـقِيمٌ (89) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (90) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (91) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (92) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِـالْيَمِينِ (93) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (94) قَـالَ أَتَعْبُـدُونَ مَـا تَنْحِتُـونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُـونَ (96) قَـالُوا ابْنُـوا لَـهُ بُنْيَانًـا فَـأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (97) فَـأَرَادُوا بِـهِ كَيْـدًا فَجَعَلْنَـاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)}

ثم قال عز وجل: {وَلَقَدْ ضَـلَّ قَبْلَهُمْ} يعـني: أضـلّ إبليس قبلهم {أَكْثَرُ الاولين} يعـني: من الأمم الخاليـة. ولم يـذكر إبليس لأن في الكلام دليلاً عليه، فـاكتفى بالإشـارة. ومثـل هذا كثير في القرآن.

ثم قـال عـز وجـل: {وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا فِيهِمْ مُّنـذِرِينَ} يعـني: رسلاً ينذرونهم كما أرسلناك إلى قومك، فكذبوهم بالعذاب كما كذبك قومك، فعـذبهم اللـه تعـالى في الـدنيا {فـانظر كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المنذرين} يعـني: آخـر أمـر من أنـذر فلم

يــؤمن {إِلاَّ عِبَــادَ اللــه المخلصــين} يعــني: الموحــدين، المطيعين، فإنهم لم يعذبوا.
قوله عز وجل: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ} يعني: دعا نوح ربـه على قومه، وهو قوله: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فانتصر} [القمر: 10] {فَلَنِعْمَ المجيبون} يعـني: نعم المجيب أنـا {ونجينـاه وَأَهْلَهُ مِنَ الكرب العظيم} يعني: من الهول الشـديد، وهـو الغرق.
قوله: {وَجَعَلْنَا ذُرّيَّتَهُ هُمُ الباقين} لأن الذي حمل معـه من الناس ثمانون رجلاً وامرأة غرقوا كلهم، ولم يبـق إلا ولـده سام وحام ويافث قال الفقيه أبو الليث رحمه اللـه: حـدّثنا أبو جعفـر. قـال: حـدّثنا أبـو القاسـم الصـفار بإسـناده عن سمرة بن جندب. قال: إن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «سَـام أَبُـو العَـرَبِ، وحـام أبـو الحبش، ويـافث أبـو الروم». ثم قال تعالى: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخرين} يعـني: أبقينا عليه ذكـراً حسـناً في البـاقين من الأمم، وهـذا قـول القتبي: وقال مقاتل: يعني: أثنينا على نوح بعـد موتـه ثنـاء حسناً.
ثم قال عز وجل: {سلام على نُـوحٍ فِى العـالمين} يعـني: السـعادة والبركـة على نـوح من بين العـالمين {إِنَّا كَـذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: هكذا نجزي كل من أحســن {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَــا المؤمــنين} يعــني: المصــدقين بالتوحيــد {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الاخرين} يعني: قومه الكافرين.
قوله عز وجـل: {وَإِنَّ مِن شِـيعَتِهِ لإِبـراهيم} قـال مقاتـل: يعني: إبـراهيم من شـيعة نـوح عليـه السـلام وعلى ملتـه. وقال الكلبي يعني: من شيعة محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم، وعلى دينه، ومنهاجه. وذكر عن الفـراء أنـه قـال: هذا جائز. وإن كان إبراهيم قبله كمـا قـال: {وَءَايَـةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الفلـك المشـحون} [يس: 41]. يعـني: آباءهم ذريته الذين هو منهم.

قوله عز وجل: {إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ} يعـني: إبـراهيم دعا ربه بقلب سليم. أي: خالص ويقال: {إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} أي: مخلص سليم من الشرك {إِذْ قَالَ لاِبِيهِ وَقَوْمِهِ مَـاذَا تَعْبُـدُونَ} يعـني: إيش الـذي تعبـدون. ويقـال: معنـاه لماذا تعبدون هذه الأوثان؟.

قوله عز وجل: {الله ءالِهَةً} يعني: أكـذباً آلهـة {دُونَ اللـه تُرِيدُونَ} عبادتها {فَمَـا ظَنُّكُم بِـرَبّ العـالمين} إذا عبـدتم غــيره، فمــا ظنّكم بــه إذ لقيتمــوه؟ {فَنَظَــرَ نَظْــرَةً فِى النجوم} قال مقاتل: يعني: في الكواكب.

ويقال: {فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النجوم} أي: في أمر النجوم.

ثم تفكـر بـالعين وبـالقلب وذلـك أنـه رأى كوكبـاً قـد طلـع {فَقَالَ إِنّى سَـقِيمٌ} أي: سأسـقم. ويقـال: مطعونـاً. وهـو قول سـعيد بن جبـير، والضـحاك. وقـال القتـبي: نظـر في الحساب لأنه لو نظر إلى الكواكب لقـال: نظـر نظـرة إلى النجوم. وإنما يقال: نظر فيه إذا نظر في الحساب. {فَقَالَ إِنّى سَــقِيمٌ} أي: ســأمرض غــداً، وكــانوا يتطــيرون من المريض. فلما سمعوا ذلك منه هربوا، فذلك قولـه تعـالى: {فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ} قـال الفقيـه أبـو الليث رحمـه اللـه حدّثنا الخليل بن أحمـد. قـال: حـدّثنا خزيمـة. قـال: حـدّثنا عيسـى بن إبـراهيم. قـال: حـدّثنا ابن وهب عن جريـر بن حازم، عن أيوب السجستاني، عن محمـد بن سـيرين، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَمْ يَكْـذِبْ إبْـرَاهِيمَ قَـطُّ إلاَّ ثَلاثَ كَـذِبات، ثِنْتَـانِ فِي ذَاتِ اللـه قوله: {إِنّى سَقِيمٌ} وَقَوْلُهُ: {قالوا أَرْجِهْ وَأَخَـاهُ وابعث فِى المدآئن حاشرين} [الأنبياء: 63] وَوَاحِدَةٌ فِي شَأنِ سَــارَّةَ، ذلك أَنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النِّسَاءِ فَقَالَ لَهَا: إنَّ هذا الجَبَّارَ إنْ عَلِمَ أَنَّكِ امْرَأَةٌ، يَغْلِبنِي عَلَيْـكِ. فَإنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيـهِ أَنَّكِ أُخْتِي فِي الإسْـلام، فـإنِّي لا أَعْلَمُ فِي الأرْضِ مُسْلِماً غَيْرِي وَغَيْرَكِ. فَلَّمَـا دَخَـلَ الأَرْضَ، رَآهَـا

بَعْضُ أهْلِ الجَبَّارِ، فأتَاهُ. فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ دَخَلَ الْيَوْمَ أرْضَكَ امْرَأةٌ لا يَنْبَغِي أنْ تَكُونَ إلاَّ لَكَ؟ فَأَرْسَلَ إلَيْهَا. فَأُتِي بِهَا. فَقَامَ إبْرَاهِيمُ إلَى الصَّلاةِ، فَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أنْ بَسَطَ يَدَهُ إلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً. فَقَالَ لَهَا ادْعِي الله أنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلا أضُرُّكِ. فَفَعَلَتْ. فَعَادَ، فَقُبِضَتْ يَدُهُ أشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأُولَى. فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ. فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أشَدَّ مِنَ القَبْضَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللـه أنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلَكِ عَلَيَّ ألاَّ أضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَأُطْلِقَتْ يَدُهُ. فَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إنَّكَ أتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بإنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أرْضِي، وَأعْطَاهَا هَاجَرَ، فَأقْبَلَتْ تَمْشِي حَتَّى جَاءَتْ إلَى إبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا رَآهَا إبْرَاهِيمُ انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاةِ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ يَعْنِي مَا الخَبَرُ؟ فَقَالَتْ: خَيْراً كُفِيتُ الفَاجِرَ، وأخْدَمَنِي خَادِماً». فقال أبو هريرة: فتلك أمُّكم يا بني ماء السماء. يعني: نسل العرب منها. لأنه روي في الخبر أنها وهبت هاجر لإبراهيم، فولد منها إسماعيل. ويقال: {فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ} يعني: أعرضوا عنه ذاهبين إلى عيدهم.

قوله عز وجل: {فَرَاغَ إلى ءالِهَتِهِمْ} يعني: مال إلى أصنامهم. ويقال: دخل بيوت الأصنام، فرأى بين أيديهم طعاماً {فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} فلم يجيبوه، فقال: {مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُون فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً باليمين} يعني: أقبل يضربهم بيمينه.

ويقال: يضربهم باليمين التي حلف، وهو قوله: {قَالَ أَفَرَءَيْتُمْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ} [الأنبياء: 57] ويقال: {باليمين}. يعني: يضربهم بالقوة. واليمين كناية عنها، لأن القوة في اليمين {فَأَقْبَلُواْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ} يعني: يسرعون {قَالَ} إبراهيم {أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ} بأيديكم من الأصنام. قرأ حمزة: يُزِفون بضم الياء. وقرأ الباقون: بالنصب. فمن قرأ بالنصب فأصله من زفيف النعام، وهو

ابتداء عـدوه. ومن قـرأ بالضـم أي: يصـيروا إلى الزفيـف، ويـدخلون في الزفيـف، وكلا القـراءتين يرجـع إلى معـنى واحد، وهو الإسراع في المشي.
ثم قال عز وجل: {والله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} يعـني: ومـا تنحتون به بأيديكم من الأصنام. ومعناه: تتركون عبـادة من خلقكم، وخلق ما تعملون، وتعبدون غيره {قَـالُواْ ابنـوا لَـهُ بنيانا} يعني: أتوناً {فَـأَلْقُوهُ فِى الجحيم} يعـني: في النـار العظيمـة {فَـأَرَادُواْ بِـهِ كَيْـداً} يعـني: أرادوا حرقـه وقتلـه {فجعلنـاهم الاسـفلين} يعـني: الآخـرين. ويقـال: الأذلين. وعلاهم إبراهيم فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى أهلكهم اللـه عـز وجل.

تفسير الآيات رقم [99- 113]

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (99) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّـالِحِينَ (100) فَبَشَّـرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَـغَ مَعَهُ السَّـعْيَ قَـالَ يَـا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَـامِ أَنِّي أَذْبَحُـكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَـا أَبَتِ افْعَـلْ مَـا تُـؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّـابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْـلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَـدْ صَـدَّقْتَ الرُّؤْيَـا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِـنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُـؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّـرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْـحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)}
{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي} يعني: إني مهـاجر إلى طاعـة ربي. ويقال: من أرض ربي. إلى أرض ربي. وقـال مقاتـل: يعني: من بابل إلى بيت المقدس. ويقال: من أرض حـران إلى بيت المقـــدس، ويقـــال: من أرض حــــران إلى بيت المقدس، {سَيَهْدِينِ} يعني: يحفظـني ويقـال: إني مهـاجر

إلى ربي يعــني: مقبــل إلى طاعــة ربي {سَــيَهْدِينِ} أي سيرشدني ربي. ويقال: سيعينني.
قوله عز وجل: {رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصالحين} يعني: يا رب أعطني ولداً صالحاً من المسلمين {فبشـرناه بغلام حَلِيمٍ} يعني: حليم في صغره، عليم في كبره.
قوله عز وجل: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعى} إلى الحج، ويقـال: إلى الجبل {قَالَ} إبراهيم عليه السلام لابنـه {قَـالَ يـابنى إِنّى أرى فِى المنـام} قـال مقاتـل: هـو إسـحاق. وقـال الكلبي: هو إسماعيل. وروى معمـر عن الزهـري قـال في قوله: {فبشرناه بغلام حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَـغَ مَعَـهُ السـعى} قـال ابن عباس: هو إسماعيل. وكان ذلك بمنًى. وقال كعب: هو إسحاق. وكـان ذلـك بـبيت المقـدس. وقـال مجاهـد، وابن عمر، ومحمد بن كعب القرظي؛ هـو إسـماعيل. وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو إسـحاق. وهكـذا روي عن ابن عباس، وهكذا قال وعكرمة، وقتادة، وأبو هريرة، وعبد الله بن سلام رضي اللـه عنهم وهكـذا قـال أهـل الكتـابين كلهم، والذي قال: هو إسماعيل احتج بالكتاب والخـبر، أمـا الكتاب فهو أنه لما ذكـر قصـة الـذبح قـال على أثـر ذلـك: {وبشرناه بإسحاق نَبِيّاً} وأما الخـبر فمـا روي عن رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال «أنَـا ابْنُ الـذَّبِيحَيْن» يعــني: أبــاه عبــد اللــه بن عبــد المطلب، وإسـماعيل بن إبراهيم. وأما الذي يقـول: هـو إسـحاق يحتج بمـا روي في الخبر، أنه ذكر نسبة يوسف، فقـال: كـان يوسـف أشـرف نسـباً. يوسـف صـديق اللـه بن يعقـوب إسـرائيل اللـه بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله قد اختلفوا فيه هذا الاختلاف، والله أعلم بالصواب، والظـاهر عنـد العامـة هـو إسحاق. فذلك قوله: {قَالَ يـابنى إِنّى أرى فِى المنـام أَنّى أَذْبَحُكَ} فظاهر اللفظ أنه رأى في المنام أنه يذبحه، ولكن معناه: {إِنّى أرى فِى المنام} أني قد أمرت بذبحك بــدليل

ما قال في سياق الآية: {قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ} وروي في الخبر: «أَنَّهُ رَأَى فِي المَنَامِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تَذْبَحَ وَلَدَكَ فَاسْتَيْقَظَ خَائِفاً، وَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. ثُمَّ رَأَى فِي المَنَامِ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ مِثْلَ ذلك، فَاسْتَيْقَظَ وَضَمَّ ابْنَهُ إِلى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ، فَانقادَ لأَمْرِ الله تَعَالَى، وَقَالَ لامْرَأَتِهِ سَارَّة إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ إلى طَاعَةِ رَبِّي، فَابْعَثِي ابْنِي مَعِي، فَجَهَّزَتْهُ، وَبَعَثَتْهُ مَعَهُ»

قال كعب الأحبار: قال الشيطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبداً. فلما خرج إبراهيم بابنه ليذبحه، فذهب الشيطان، ودخل على سارة. فقال: أين ذهب إبراهيم بابنك؟ فقالت: غدا به لبعض حاجته. قال: إنه لم يغد به لحاجته، ولكنه إنما ذهب به ليذبحه، فقالت: ولم يذبحه؟ قال: يزعم أن ربه أمره بذلك. فقالت: قد أحسن أن يطيع ربه، فخرج في أثرهما، فقال للغلام: أين يذهب بك أبوك؟ قال لبعض حاجته. قال: فإنه لا يذهب بك لحاجته، ولكنه إنما يذهب بك ليذبحك. فقال: ولم يذبحني؟ قال: يزعم أن ربه أمره بذلك. قال: فوالله لئن كان الله أمره بذلك، ليفعلن. فتركه ولحق بإبراهيم، فقال: أين غدوت بابنك؟ قال: لحاجة. قال: فإنك لم تغد به لحاجة، وإنما غدوت به لتذبحه. قال ولم أذبحه؟ قال: تزعم أن الله تعالى أمرك بذلك. قال: فوالله لئن كان الله أمرني بذلك لأفعلن. فتركه، وأيس من أن يطاع.

قوله عز وجل: {فانظر مَاذَا ترى قَالَ ياأبت قَالَ ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله مِنَ الصابرين * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وناديناه أن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين إِنَّ هذا لَهُوَ البلاء المبين * وفديناه بِذِبْحٍ عَظِيمٍ} فأوحى الله تعالى إلى إسحاق أن ادعو، فإن لك دعوة مستجابة. فقال إسحاق: اللّهم إني

أدعوك أن تستجيب لي في أيما عبد من الأولين والآخـرين لقيك لا يشرك بك شيئاً أن تدخله الجنة. وقال مجاهـد: إن إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يذبح ابنـه بالسـكين، قـال ابنه: يا أبت خذ بناصيتي، واجلس بين كتفي، حتى لا أوذيك إذا أصابني حدّ السكين، ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي، عســى أن ترحمــني، واجعــل وجهي إلى الأرض، ففعــل إبراهيم. فلما أمرّ السـكينة على حلقـه، انقلبت. فقـال: يـا أبت ما لك؟ قال: قـد انقلبت السـكين. قـال: فـاطعن بهـا طعناً. قال: فطعن، فـانثنت. قـال: فعـرف اللـه عـز وجـل الصدق منه، ففداه بذبح عظيم، وقال: هـو إسـحاق. وروى أسباط عن السدي قال: كـان من شـأن إسـحاق حين أراد أبوه أن يذبحه. أنه ركب مع أبيه في حاجة، فأعجبه شبابه، وحسن هيئته، وكـان إبـراهيم حين بشـر بإسـحاق قبـل أن يولد له، قال: هو إذاً لله ذبيح. فقيـل لإبـراهيم في منامـه: قد نذرت لله نذراً فاوفيه، فلمـا أصـبح قـال: {قَـالَ يـابنى إنّى أرى فِى المنام أنّى أَذْبَحُكَ} يقول: قـد أمـرت بـذبحك {قَالَ ياأبت افعل مَـا تُـؤمَرُ} قـال: فـانطلق معي، وأخـبر أمـك أنـك تنطلـق إلى أخوالـك، وأخـذ إبـراهيم معـه حبلاً، ومدية، يعني: السكين.

فقال له: يا أبتـاه حـدها فإنـه أهـون للمـوت. فـانطلق بـه، حـتى أتى بـه جبلاً من جبـال الشـام. فأضـجعه في أصـرة، وربط يديه ورجليه، فقال له إسحاق: يا أبتاه شـدّ ربـاطي، لكي لا أضــطرب، فيصــيب الــدم ثيابــك، فــتراه ســارة، فتحزن، فبكى إبراهيم بكاء شديداً. وأخذ الشفرة، فوضعها على حلقه، وضرب الله تعالى على حلقه صـفيحة نحـاس، فجعل يحز، فلا تصنع شيئاً. فلمـا رأى إبـراهيم ذلـك، قلّبـه على وجهه، فضرب الله تعالى على قفاه صـفيحة نحـاس، وبكيـا حـتى ابتلت الأرض من دموعهمـا. فجعـل يحـز، فلا تقطـع شـيئاً فنـودي: {أن يـاإبراهيم قَـدْ صَـدَّقْتَ الرؤيـا}

ودونـك هـذا الكبش فهـو فـداه. فـالتفت فـإذا هـو بكبش أبيض، أملح، ينحط من الجبـل، وقـد كـان رعي في الجنـة أربعين خريفاً، فخلّى عن ابنه، وأخذ الكبش فذبحـه. وقـال وهب بن منبه: لما قال لإسحاق: {السعى قَـالَ يـابنى إِنّى أرى فِى المنام أَنّى أَذْبَحُـكَ فـانظر مَـاذَا تـرى قَـالَ يـاأبت افعل مَا تُؤمَرُ} ثم قال: يا أبت إني أوصـيك بثلاثـة أشـياء. قال: وكان إسحاق في ذلك اليوم ابن سبع سنين. أحدهما: أن تربط يـدي لكيلا أضـطرب فأؤذيـك، والثـاني أن تجعـل وجهي إلى الأرض لكيلا تنظـــــر إلى وجهي فترحمـــــني، والثالث أن تذهب بقميصي إلى أمي ليكون القميص عندها تذكرة مني. فذلك قوله: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السعى قَالَ يـابنى إِنّى أرى فِى المنـام أَنّى أَذْبَحُـكَ فـانظر مَـاذَا تـرى} قـرأ حمزة والكسائي {مَاذَا ترى} بضم التاء. يعني: مـاذا تـرى من صـبرك. ويقـال: معنـاه مـاذا تشـير. وقـرأ البـاقون: بالنصـب، وهـو من الـرأي. يعـني: مـاذا تـرى من صـبرك. ويقال: معناه ماذا تشير فيما أمر الله بـه. ويقـال: هـو من المشورة والرأي قال أبو عبيد: بالنصب تقـرأ لأن هـذا في موضع المشورة والرأي، والآخـر يسـتعمل في رؤيـة العين {قَالَ يَاءادَمُ * ياأبت افعل مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَـاء اللـه مِنَ الصابرين} على الذبح.

قوله عز وجل: {فَلَمَّا أَسْلَمَا} يعـني: اتفقـا على أمـر اللـه تعالى. قال قتادة: أسلم هذا نفسه لله تعالى. وأسـلم هـذا ابنه لله تعالى. وروي عن ابن مسعود رضي اللـه عنـه أنـه قـرأ: {فَلَمَّا أسـلاما وتلـه للجـبين} يعـني: رضـيا {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} يعني: صرعه على جبينـه. أي: على وجهـه. وقـال القتـبي {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} يعـني: جعـل إحـدى جبينيـه على الأرض، وهما جبينان، والجبهة بينهما {وناديناه أن ياإبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرؤيا} وقال القتبي: الواو زيادة. ومعناه: فلما أسلما وتله للجبين ناديناه وهذا كما قال امرئ القيس

فَلَمَّا أجَزْنَــا سَــاحَة الحَيِّ وانْتَحَى *** بِنَــا بَطْنُ خَبْت ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ

يعني: انتحى، والواو زيادة. وقال بعضهم: في الآية مضمر. ومعنــاه {فَلَمَّا أَسْــلَمَا} ســلما {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} وذكــر عن الخليل بن أحمد أنه سئل عن هـذه الآيـة: فقـال: ليس لنـا في كتاب الله عز وجل متكلم.

فقيل له: فما مثله في العربية. فقال: قول امــرئ القيس: فلما أجزنـا، سـاحة الحي أجزنـا وانتحى بنـا. كـذلك قولـه: {أَسْلَمَا} سلما {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}. {وناديناه أن ياإبراهيم قَـدْ صَدَّقْتَ الرؤيا} يعني: أوفيت الوعـد، وائتمـرت مـا أمـرت لقول الله تعالى: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} كمـا فعلت يا إبراهيم.

قوله: {إِنَّ هذا لَهُوَ البلاء المبين} يعني: الاختبار الــبيّن. ثم قال: {وفديناه بِـذِبْحٍ عَظِيمٍ} يعـني: بكبش عظيم. والـذبح بكسر الذال اسم لمـا يـذبح، وبالنصـب مصـدر. وروي عن ابن عباس أنه قال: حدثني من رأى قرني الكبش، معلقين في الكعبة، وهو الكبش الذي ذبحه إبـراهيم عن إسـماعيل عليهما السلام.

ثم قال: {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخـرين} قـال: الثنـاء الحسـن {سـلام على إبـراهيم} يعـني: سـلام اللـه على إبـراهيم. ويقـال: هـذا موصـول بـالأول. يعـني: {وَتَرَكْنَـا عَلَيْـهِ فِى الاخرين * سلام على إبراهيم} يعـني: أثنينـا عليـه السـلام في الآخرين.

قوله: {كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا المؤمنين} يعني: المصدقين، المخلصين.

ثم قال عز وجل: {وبشرناه بإسحاق نَبِيّـاً مّنَ الصـالحين} يعني: بشرناه بنبوة إسحاق بعدما أمر بذبح إسحاق. وقـال ابن عباس: بشر بإسحاق بعدما أمر بذبح إسماعيل. وكـان إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة.

ثم قال عز وجل: {وباركنا عَلَيْهِ وعلى إسحاق} أي: على إبراهيم وعلى إسحاق، وبركته النماء، والزيادة في الأموال، والأولاد، فكان من صلبه ذرية لا تحصى {وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ} مثل موسى، وهارون، وداود، وسليمان، وعيسى عليهم السلام ومؤمنو أهل الكتاب {وظالم لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} يعني: الذين كفروا بآيات الله عز وجل. وروي عن ابن عباس أنه قال: قد رعي الكبش في الجنة أربعين خريفاً. وقال بعضهم: هي الشاة التي تقرب بها هابيل ابن آدم عليهما السلام فتقبل منه قربانه، ورفع إلى السماء حياً، ثم جعل بدلاً عن ذبح إسماعيل أو إسحاق. ويقال: هي الشاة التي خلقها الله تعالى لأجله. وقال بعضهم: إنها وعلة من البر، يعني: بقرة وحش من البر جبلية.

تفسير الآيات رقم [114- 148]

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (114) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (115) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (116) وَآَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (117) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (118) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآَخِرِينَ (119) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (127) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (128) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ (129) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (133) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (134) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (135) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآَخَرِينَ (136) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (137)

وَبِاللَّيْـلِ أَفَلَا تَعْقِلُـونَ (138) وَإِنَّ يُـونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَـلِينَ (139) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْـحُونِ (140) فَسَـاهَمَ فَكَـانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (141) فَالْتَقَمَـهُ الْحُـوتُ وَهُـوَ مُلِيمٌ (142) فَلَـوْلَا أَنَّهُ كَـانَ مِنَ الْمُسَـبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِـهِ إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ (144) فَنَبَـذْنَاهُ بِـالْعَرَاءِ وَهُـوَ سَـقِيمٌ (145) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْـهِ شَـجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (146) وَأَرْسَـلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (147) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (148)}
قوله عز وجل: {وَلَقَـدْ مَنَنَّا على موسـى وهـارون} يعـني: أنعمنـا عليهمـا بـالنبوة {ونجيناهمـا وَقَوْمَهُمَـا مِنَ الكـرب العظيم} يعني: من الغـرق {ونصـرناهم} يعـني: موسـى، وقومــه، {فَكَــانُواْ هُمُ الغــالبون} بالحجــة على فرعــون {وءاتيناهما} يعني: موسى وهارون {الكتـاب المسـتبين} يعني: المبين الذي قد بيّن فيه الحلال والحرام {وهديناهما الصــراط المسـتقيم} يعـني: ثبتناهمــا على دين الإسـلام {وَتَرَكْنَـا عَلَيْهِمَـا فِى الاخـرين} يعـني: الثنـاء الحسـن في الباقين {سلام على موسى وهارون} يعني: السلامة منــا، والمغفرة عليهما {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} أي: نكافئ المحســنين {إِنَّهُمَــا مِنْ عِبَادِنَــا المؤمــنين} يعــني: من المرسلين.
قوله عز وجل: {وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المرسـلين} يعـني: نـبي من أنبياء بني إسـرائيل عليهم السـلام وقـال بعضـهم: إنـه إدريس. وروي عن ابن مسعود أنه كان يقـرأ {وَأَنْ إِدْرِيسَ لَمِنَ المرسلين سلام على إِدْرِيسَ}. وقال بعضهم: إليـاس هو الخضر عليه السلام. وقال بعضهم: إلياس غير الخضـر. وإليــاس صــاحب الــبراري. والخضــر صــاحب الجزائــر، ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات ويقال: هو من سـبط يوشع بن نون، بعثه الله تعـالى إلى أهـل بعلبـك، فكـذبوه، فأهلكهم الله تعالى بالقحط. وقال الله عـز وجـل لإليـاس: سلني أعطك. قال: ترفعني إليك. فرفعه الله تعـالى إليـه،

وجعله أرضياً، سماوياً، إنسـياً، ملكيـاً، يطـير مـع الملائكـة، فذلك قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ} اللفـظ لفـظ الإسـتفهام، والمـراد بـه الأمـر. يعـني: اتقـوا اللـه تعـالى {أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ} ربّـاً. روى عكرمـة عن ابن عبـاس قال: البعل الصنم. وقال مجاهد: {أَتَـدْعُونَ بَعْلاً وَتَـذَرُونَ} رباً. وروى جبير عن الضحاك قال: مرّ رجل وهو يقول: من يعرف بعـل البقـرة. فقـال رجـل أنـا بعلهـا. فقـال لـه ابن عباس إنك زوج البقـرة. فقـال الرجـل: يـا ابن عبـاس أمـا سمعت قول الله تعالى يقول: {أَتَـدْعُونَ بَعْلاً} يعـني: ربـاً وأنا ربها ويقال: البعل كان اسم ذلـك الصـنم خاصـة الـذي كـان لهم. ويقـال: كـان صـنماً من ذهب، فقـال لهم: {أَتَـدْعُونَ بَعْلاً} أي الصـنم {وَتَـذَرُونَ أَحْسَـنَ الخـالقين} الذي خلقكم يعني: تتركون عبـادة اللـه {اللـه رَبُّكُمُ} قـرأ حمزة. والكسائي، وعاصم، في رواية حفص {اللـه رَبُّكُمُ} {وَرَبُّ ءابَائِكُمُ} كلها بالنصب. وقرأ البـاقون كلهـا بالضـم. فمن قـرأ: بالنصـب. يـرده إلى قولـه: {وَتَـذَرُونَ أَحْسَـنَ الخـالقين اللـه رَبَّكُمْ وَرَبَّ} على صـفة أحسـن الخـالقين. ومن قرأ بالضم، فهو على معـنى الاسـتئناف. فكأنـه قـال: هو الله ربكم ورب آبائكم الأولين.

ثم قال عز وجل: {فَكَذَّبُوهُ} يعني: كـذبوا إليـاس {فَـإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} يعني: هم وآلهتهم لمحضرون النـار {إِلاَّ عِبَـادَ الله المخلصين} فإنهم لا يحضرون النار {وَتَرَكْنَا عَلَيْـهِ فِى الاخرين} يعـني: الثنـاء الحسـن {سـلام على إِلْ يَاسِـينَ} قـرأ نـافع، وابن عـامر، {سـلام على إِلْ يَاسِـينَ} وقـرأ الباقون: {إِلْيَاسِين}.

ومن قرأ {على إِلْ يَاسِينَ} يعني: محمداً صلى اللـه عليـه وسلم ويقال: آل محمد. فياسين اسم والال مضـاف إليـه، وآل الرجل أتباعـه. وقيـل: أهلـه. ومن قـرأ الياسـين، فلـه طريقان أحدهما أنه جمـع اليـاس. ومعنـاه: اليـاس، وأمتـه

من المؤمــنين. كمــا يقــال: رأيت المهالبــة. يعــني: بــني المهلب. والثـاني أن يكـون لقبـان اليـاس والياسـين مثـل ميكال وميكائيل.

ثم قــال: {إِنَّا كَــذَلِكَ نَجْــزِى المحســنين إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَـا المؤمنين} وقد ذكرناه. قولـه عـز وجـل: {وَإِنَّ لُوطـاً لَّمِنَ المرسلين}.

قوله: {إِذْ نجيناه وَأَهْلَهُ أَجْمَعِين إِلاَّ عَجُوزاً فِى الغـابرين ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخرين} وقد ذكرناه.

ثم قال عز وجل: {وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} يعـني: إنكم يا أهل مكة لتمرون على قرياتهم، إذا سافرتم بالليـل والنهار، فذلك قوله: {وباليل أَفَلاَ تَعْقِلُـونَ وَإِنَّ يُـونُسَ لَمِنَ المرسلين} يعني: من جملة المرسلين {إِذْ أَبَقَ} يعني: إذ فرّ. ويقال: إذ هرب. ويقال: خرج {إِلَى الفلك المشحون} يعني: المُوقد من الناس، والدواب. ويقـال: المجهـز الـذي قد فرغ من جهازه {فساهم} يعني: اقـترعوا وقـد ذكـرت قصته في سـورة الأنبيـاء {فَكَـانَ مِنَ المدحضـين} يعـني: من المقــروعين والمــدحض في اللغــة هــو المغلــوب في الحجة، وأصله من دحض الرجل إذ ذلّ من مكانه.

قوله: {فالتقمه الحوت} يعني: ابتلعه الحوت {وَهُوَ مُلِيمٌ} قال أهل اللغة: المليم الذي استوجب اللوم، سواء لأمــره، أو لا. والملــوم الــذي يلام، ســواء اســتوجب اللــوم أو لا. ويقال: وهو ملوم يعـني: يلـوم نفسـه {فَلَـوْلاَ أَنَّهُ كَـانَ مِنَ المسـبحين} قــال مقاتــل والكلــبي: لــولا أنــه كــان من المصلين قبل ذلك. ويقال: {لَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المســبحين} في بطن الحـوت {لَلَبِثَ} أي: لمكث {فِى بَطْنِـهِ} ولكـان بطنه قبره {إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} يعني: إلى يوم القيامة.

قوله عز وجل: {فنبذناه بالعراء} يعني: نبذه الحــوت على ساحل البحـر. ويقـال: بالفضـاء على ظـاهر الأرض. وقـال أهل اللغة: العراء هو المكان الخـاليّ من البنـاء، والشـجر،

والنبـات. فكأنـه من عـرى الشـيء {وَهُـوَ سَـقِيمٌ} يعـني: مريض. وذكر في الخبر أنه لم يبـقَ لـه لحم، ولا ظفـر، ولا شعر، فألقاه على الأرض كهيئة الطفل لا قوة له، وقد كان مكث في بطن الحوت أربعين يوماً.

ثم قـال: {وَأَنبَتْنَـا عَلَيْـهِ شَـجَرَةً مّن يَقْطِينٍ} قـال مقاتـل: يعني: من قرع. وهكـذا قـال قتـادة، ومجاهـد. وقـال أهـل اللغـة: كـل شـيء ينبت بسـطاً، فهـو يقطين، هكـذا قـال الكلـبي. وذكـر في الخـبر أن وعلـة كـانت تختلـف إليـه، ويشرب من لبنها، فكان تحت ظـل اليقطين، ويشـرب من لبن الوعلة، يعني: بقـرة الـوحش حـتى تقـوى، ثم يبسـت تلـك الشـجرة، فـاغتم لـذلك، وحـزن حزنـاً شـديداً، وبكى فـأوحى اللــه تعــالى إليــه إنــك قــد اغتتمت بيبس هــذه الشجرة، فكيف لم تغتم بهلاك مائة ألف أو يزيدون؟ فذلك قولـه: {وأرسـلناه إلى مِاْئَةِ أَلْـفٍ أَوْ يَزِيـدُونَ} يعـني: كمـا أرسلناه قبل ذلك إلى قومه، وهم مائة ألف.

يعني: أهل نينوى {أَوْ يَزِيدُونَ}. يعني: بل يزيدون. ويقـال: يعني: ويزيدون وكانوا مائة وعشرين ألفاً {فَئَامِنُواْ} يعني: لمـا جـاءهم العـذاب، أقـروا وصـدقوا، فصـرف اللـه عنهم العذاب، فذلك قوله: {فمتعناهم إلى حِينٍ} يعني: أبقيناهم إلى منتهى آجالهم. فخرج يونس عليه السلام، فمر بجـانب مدينة نينوى، فرأى هناك غلامـاً يـرعى، فقـال: من أنت يـا غلام؟ فقـال: من قـوم يـونس. فقـال: فـإذا رجعت إليهم فـأخبرهم بأنــك قــد رأيت يــونس. فقــال الغلام: إنــه من يحدث، ولم تكن له بينة قتلوه. فقال له يونس: تشـهد لـك هـذه البقعـة، وهـذه الشـجرة. فـدخل، وقـال للملـك: إني رأيت يونس عليـه السـلام يقرئـك السـلام، فلم يصـدقوه، حتى خرجوا. فشهدت له الشجرة، والبقعة. قال عبـد اللـه بن مسعود رضي الله عنه: فأخذ الملك بيـد الغلام، وقـال: أنت أحق بالملك مني. فأقام الغلام أميرهم أربعين سنة.

▲ تفسير الآيات رقم [149- 157]

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (149) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (150) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (153) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (154) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (155) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (156) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (157)}

ثم قال عز وجل: {فاستفتهم} يعني: سل أهل مكة {أَلِرَبّكَ البنات} قال مقاتل: وذلك أن جنساً من الملائكة، يقال لهم: الجن منهم إبليس. قال بعض الكفار: إن الله عز وجل اتخذتهم بناتاً لنفسه، فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فمن أمهم؟ فقالوا: سروات الجن. فذلك قوله: {أَلِرَبّكَ البنات وَلَهُمُ البنون} يعني: يختارون له البنات، ولأنفسهم البنين.

ثم قال: {أَمْ خَلَقْنَا الملائكة إناثا وَهُمْ شاهدون} يعني: كانوا شاهدين حاضرين حين خلقهم بناتاً {أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ} يعني: من كذبهم {لَيَقُولُونَ وَلَدَ الله وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبون} في قلوبهم.

ثم قال عز وجل: {أَصْطَفَى البنات على البنين} وذكر عن نافع أنه قرأ بإسقاط الألف في الوصل وهو قوله: {لكاذبون اصطفى} وبكسرها في الابتداء. وجعلها ألف وصل، ولم يجعلها ألف قطع، ولا ألف استفهام. ومعناها: أن الله عز وجل حكى عن كفار قريش أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، وأنهم من إفكهم ليقولون: ولد الله، وإنهم لكاذبون في قولهم: اصطفى البنات على البنين. وقرأ الباقون: {لكاذبون اصطفى} بإثبات الألف على معنى الاستفهام. فلفظه لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر.

ثم قال عز وجل: {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} يعني: كيف تقضون بالحق {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} أنه لا يختار البنات على البنين {أَمْ لَكُمْ سلطان مُّبِينٌ} يعني: ألكم حجة. ويقال: ألكم عذر بيّن في كتاب الله، أنزل الله إليكم بأن الملائكة بناته {فَأْتُواْ بكتابكم} يعني: أي بعذركم وحجتكم {إِن كُنتُمْ صادقين} في مقالتكم.

تفسير الآيات رقم [158- 170]

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (158) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (159) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (160) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (161) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (162) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (163) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (164) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (166) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (167) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (168) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (169) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (170)}

ثم قال عز وجل: {وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَباً} يعني: وصفوا بين الرب، وبين الملائكة نسباً حين زعموا أنهم بناته. ويقال: جعلوا بينه وبين إبليس قرابة. وروى جبير عن الضحاك قال: قالت قريش: إن إبليس أخو الرحمن. وقال عكرمة: {وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجنة نَسَباً} قالوا: الملائكة بنات الله، وجعلوهم من الجن. وهكذا قال القتبي.

ثم قال: {وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجنة} قال مقاتل والكلبي: يعني: علمت الملائكة الذين قالوا إنهم البنات {إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} أن من قال: إنهم بناته لمحضرون في النار. ويقال: لو علمت الملائكة أنهم لو قالوا بذلك، أدخلوا النار ثم قال عز وجل:

{سبحان الله عَمَّا يَصِفُونَ} يعني: تنزيهاً لله عما يصف الكفار. ثم استثنى على معنى التقديم والتأخير، يعني:

فقال إنهم لمحضـرون {إِلاَّ عِبَـادَ اللـه المخلصـين} يعـني: الموحدين. فإنهم لا يقولون ذلك.
ثم قال عز وجل: {فَإِنَّكُمْ} يا أهل مكة {وَمَا تَعْبُدُونَ * مَـا أَنتُمْ عَلَيْـهِ بِفَـاتنين} يعـني: مـا أنتم عليـه بمضـلين أحـداً بآلهتكم {إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الجحيم} يعني: إلا من قـدر اللـه لـه أن يصـلى الجحيم. ويقـال: إلا من كـان في علم اللـه تعـالى أنـه يصـلى الجحيم. ويقـال: إلا من قـدرت عليـه الضلالة، وعلمت ذلك منه، وأنتم لا تقـدرون على الإضـلال والهدى {وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ} يعني: قل يـا جبريـل لمحمد صلى الله عليه وسلم. وما منـا معشـر الملائكـة إلا له مقام معلوم. يعني: مصلى معروفاً في السـماء، يصـلي فيه ويعبـد اللـه تعـالى فيـه {وَإِنَّا لَنَحْنُ الصـافون} يعـني: صفوف الملائكـة في السـموات. وروي عن مسـروق، عن ابن مسعود قال: إن في السموات لسماء ما فيهـا موضـع شبر إلا وعليه جبهة ملـك سـاجد. وروي: أو قـدماه. وروي عن مجاهـد عن أبي ذر عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم أنه قال: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُـقَّ لَهـا أنْ تَئِطَّ مَـا فِيهَـا مَوْضِعُ شِبْرٍ إلاَّ وَفِيهِ جَبْهَةُ مَلَك سَاجِد». ويقال: إن جبريـل عليه السلام جاء إلى النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـال لـه: لمزمـل: 20) {وَمَـا مِنَّا إِلاَّ لَـهُ مَقَـامٌ مَّعْلُـومٌ} في السموات، يعبد الله عز وجل فيه {وَإِنَّا لَنَحْنُ المسـبحون} يعـني: المصـلين {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُـومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ اليل وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الذين مَعَكَ والله يُقَدِّرُ اليـل والنهار عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القرءان عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مرضى وَءَاخَـرُونَ يَضْـرِبُونَ فِى الارض يَبْتَغُونَ مِن فَضْـلِ اللـه وَءَاخَـرُونَ يقـاتلون فِى سَبِيلِ اللهِ فاقرءوا مَـا تَيَسَّـرَ مِنْـهُ وَأَقِيمُـواْ الصـلاة وَءَاتُـواْ الزكواة وَأَقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَـناً وَمَـا تُقَـدِّمُواْ لأَنفُسِـكُمْ

مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْـراً واسـتغفروا الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}
[المزمل: 20] {وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا} يعـني: إن أهل مكـة كـانوا يقولـون: لـو أتانـا بكتـاب مثـل اليهـود والنصارى، لكنا نؤمن، فذلك قوله عز وجل: {لَوْ أَنَّ عِنـدَنَا ذِكْراً مّنَ الاولين} يعني: لو جاءنا رسـول {لَكُنَّا عِبَـادَ اللـه المخلصين} يعني: الموحدين. فلما جـاءهم محمـد رسـول الله صلى الله عليه وسلم كفروا به. ويقال: يعني: بالقرآن {فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} يعني: يعرفـون في الآخـرة، وهذا وعيد لهم. ويقال في الدنيا.

تفسير الآيات رقم [171- 182]

{وَلَقَدْ سَـبَقَتْ كَلِمَتُنَـا لِعِبَادِنَـا الْمُرْسَـلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَـالِبُونَ (173) فَتَـوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِـرُونَ (175) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (176) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْـذَرِينَ (177) وَتَـوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (178) وَأَبْصِـرْ فَسَـوْفَ يُبْصِـرُونَ (179) سُـبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِـزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)}

قوله عز وجل: {وَلَقَـدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَـا} يعـني: قـد مضت كلمتنا بالنصرة لعبادنا {المرسـلين} يعـني: الأنبيـاء عليهم السلام وهو قوله عـز وجـل: {كَتَبَ اللـه لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ ورسلى إِنَّ اللـه قَـوِىٌّ عَزِيـزٌ} [المجادلـة: 21] {إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصـورون} في الـدنيا على أعـدائهم {وَإِنَّ جُنـدَنَا لَهُمُ الغالبون} يعني: المؤمنون أهـل ديننـا. ويقـال: رسـلنا لهم الغـالبون في الـدنيا بالغلبـة، والحجـة في الآخـرة {فَتَـوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: فأعرض عنهم إلى نزول العذاب، وكان ذلـك قبل أن يؤمر بالقتـال {حـتى حِينٍ} قـال الكلـبي: إلى فتح مكـة. ويقـال: إلى أن تـؤمر بالقتـال {وأبصـارهم} يعـني:

أعلمهم ذلك {فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ} يعـني: يـرون مـاذا يفعـل بهم إذا نـزل بهم العـذاب {أَفَبِعَـذَابِنَا يَسْـتَعْجِلُونَ} يعـني: أفبعذاب مثلي {يَسْتَعْجِلُونَ} {فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ} يعـني: بقربهم وحضـرتهم {فَسَـاء صَـبَاحُ المنـذرين} يعـني: بئس الصـباح صـباح من أنـذر بالعـذاب. وروي عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه لمـا نـزل بقـرب خيـبر قـال: «هَلَكَت خَيْبَـرُ إنَّا إذَا نَزَلْنَـا بِسَـاحَةِ قَـوْمٍ فَسَـاءَ صَـبَاحُ المُنْذَرِينَ» يعني: من أنذرتهم فلم يؤمنوا.

قوله عـز وجـل: {وَتَـوَلَّ عَنْهُمْ حـتى حِينٍ وَأَبْصِـرْ فَسَـوْفَ يُبْصِرُونَ} وتكرار الكلام للتأكيد، والمبالغة في الحجة.

ثم نزّه نفسه عما قالت الكفار، فقال عز وجـل: {سـبحان رَبِّـكَ} يـا محمـد {رَبّ العـزة} والقـدرة {عَمَّا يَصِـفُونَ} يعني: عما يقولون وقرئ في الشاذ {رَبّ العـزة} ويكـون نصـباً على المـدح، وفي الشـاذ قـرئ (رَبُّ العِـزَّة) بـالرفع على معنى هـو رب العـزة. وقـراءة العامـة: بالكسـر على معنى النعت.

ثم قــال عــز وجــل: {وســلام على المرســلين} بتبليــغ الرسالة. ففي الآية دليـل وتنبيـه للمؤمـنين بالتسـليم على جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام. ثم قال: {والحمد للّهِ رَبّ العالمين} على هلاك الكافرين الذين لم يوحدوا ربهم. ويقـال: حمـد الـرب نفسـه ليكـون دليلاً لعبـاده، ليحمـدوه سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين.

سورة ص

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (1) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (2) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (3)}

قوله تعالى: {ص والقرءان} قرأ الحسن: صاد بالكسر. وجعلها من المصادات. يقول عارض القرآن: أي عارض عملك بالقرآن. ويقال: بقلبك. وروى معمر، عن قتادة، في قوله {ص} قال: هو كما تقول تلق كذا أي: هيئ نفسك لقدوم فلان. يعني: طهر نفسك بمآداب القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم: «القُرْآنُ مَأْدُبَةُ الله تَعَالَى فَتَطَّعمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ» وكان عيسى ابن مريم يعمر، يقرأ صَادَ بالنصب، وكذلك يقرأ قاف، ونون بالنصب. ومعناه: اقرأ صاد، وقراءة العامة بسكون الدال، لأنها حروف هجاء، فلا يدخلها الإعراب، وتقديرها الوقف عليها. وقيل: في تفسير قول الله تعالى: {ص} يعني: الله هو الصادق. ويقال: هو قسم. {والقرءان} عطف عليه قسم بعد قسم. ومعناه أقسمت بصاد، وبالقرآن. وقال علي بن أبي طالب: الصاد اسم بحر في السماء. وقال ابن مسعود في قوله: {ص والقرءان} يعني: صادقوا القرآن حتى تعرفوا الحق من الباطل. وقال الضحاك: معناه صدق الله.

ثم قال {ص والقرءان ذِى} يعني: والقرآن ذي الشرف. ويقال: فيه ذكر من كان قبله، وجواب القسم عند قوله: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النار} [ص: 64] والجواب قد يكون مؤخراً عن الكلام كما قال: {والفجر وَلَيالٍ عَشْرٍ} [الفجر: 1، 2] وجوابه قوله: {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد} [الفجر: 14] وقوله: {والسمآء ذَاتِ البروج} [البروج: 1]

وجوابه قوله: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: 12] وقال بعضهم: جـواب القسـم هاهنـا {كَمْ أَهْلَكْنَـا} ومعنـاه: لكم أهلكنا، فلما طال الكلام حذف اللام.

ثم قـال: {بَـلِ الـذين كَفَـرُواْ فِى عِـزَّةٍ} أي: في حميـة. كقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتق الله أَخَذَتْهُ العـزة بـالإثم فَحَسْـبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المهــاد} [البقــرة: 206] يعــني: الحميــة. ويقال: {فِى عِزَّةٍ} يعني: في تكبر {وَشِـقَاقٍ} يعـني: في خلاف من الــدين بعيــد. ويقــال: في عــداوة، ومباعــدة، وتكذيب. وقال القتبي: بـل في اللغـة على وجهين أحـدهما لتــدارك كلام غلطت فيــه. تقــول: رأيت زيــداً بــل عمــراً. والثــاني أن يكــون لــترك شــيء، وأخــذ غــيره من الكلام كقوله: {بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}.

ثم خــوّفهم فقــال عــز وجــل: {كَمْ أَهْلَكْنَــا مِن قَبْلِهِم مّن قَرْنٍ} يعني: من أمـة {فَنَـادَوْاْ} يعـني: فنـادوا في الـدنيا، واسـتغاثوا {وَّلاَتَ حِينَ مَنَـاصٍ} يعـني: وليس تحين فـرار. قــال الكلــبي: فكــانوا إذا قــاتلوا، قــال بعضــهم لبعض: {مَنَاصٍ} يعني: يقول احمل حملة واحدة، فينجـو من نجـا، ويهلك من هلك. فلما أتاهم العذاب قـالوا: {مَنَـاصٍ} مثـل ما كانوا يقولون. فقال اللـه تعـالى: ليس تحين فـرار وهي لغة اليمن. وقال القتبي: النـوص التـأخر. والبـوص التقـدم في كلام العرب. وروى معمر عن قتادة في قوله: {فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ} قال: نادوا على غير حين النـداء. وقـال عكرمــة: نــادواً وليس تحين انفلات. وقــال أبــو عبيــدة: اختلفـوا في الوقـف. فقـال بعضـهم: يوقـف عنـد قولـه: {وَّلاَتَ} ثم يبتدأ ب {حِينَ مَنَـاصٍ} لأنـا لا نجـد في شـيء من كلام العـرب ولات. أمـا المعـروف لا ولأنَّ تفسـير ابن عباس يشهد لها، وذلك أنـه قـال: ليس تحين فـرار. وليس هي أخت لا ولا بمعناهـا. قـال أبـو عبيـد ومـع هـذا تعمـدت النظر في الذي يقـال لـه: مصـحف الإمـام. وهـو مصـحف

عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجـدت التـاء متصـلة مـع حين.

▲ تفسيرِ الآيات رقم [4- 10]

{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَـاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَـيْءٌ عُجَـابٌ (5) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْـبِرُوا عَلَى آَلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَـا سَـمِعْنَا بِهَـذَا فِي الْمِلَّةِ الْآَخِـرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (7) أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الـذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَـا بَـلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (8) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَـةِ رَبِّكَ الْعَزِيـزِ الْوَهَّابِ (9) أَمْ لَهُمْ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (10)}

ثم قال عز وجل: {وَعَجِبُواْ أَن جَاءهُم مٌّنـذِرٌ مّنْهُمْ} يعـني: مخوف منهم، ورسول منهم يعني: من العرب وهـو محمـد صلى الله عليه وسلم {وَقَالَ الكافرون هذا ساحر كَذَّابٌ} يكـذب على اللـه تعـالى أنـه رسـوله {أَجَعَـلَ الالهـة إلهـا واحدا} يعني: كيف يتسع لحاجتنا إله واحد {إِنَّ هـذا لَشَـئ عُجَـابٌ} يعـني: لأمـر عجيب. والعـرب تحـول فعيلاً إلى فعال. وهاهنا أصله شـيء عجيب. كمـا قـال في سـورة ق {أَلاَّ تعبـدوا إِلاَّ اللـه إِنَّنِى لَكُمْ مِّنْـهُ نَـذِيرٌ وَبَشِـيرٌ} [ق: 2] {وانطلق الملا مِنْهُمْ} قال الفقيـه أبـو الليث رحمـه اللـه: أخبرنا الثقة بإسـناده عن سـعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس قال: لما مـرض أبـو طـالب، دخـل عليـه نفـر من قـريش، فقـالوا: يـا أبـا طـالب إن ابن أخيـك يشـتم آلهتنـا، ويقـول ويقـول، ويفعـل ويفعـل، فأرسـل إليـه، فانهـه عن ذلـك، فأرسل إليه أبو طالب، وكان إلى جنب أبي طـالب موضـع رجل، فخشي أبو جهل إن جاء النبي صلى الله عليه وسلم يجلس إلى جنب عمه، أن يكون أرق لـه عليـه. فـوثب أبـو جهل، فجلس في ذلك المجلس، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لم يجد مجلساً إلا عند الباب. فلما دخـل، قـال

له أبو طالب: يـا ابن أخي إن قومـك يشـكونك، ويزعمـون أنك تشتم آلهتهم، وتقول وتقول، وتفعل وتفعل. فقال: «يَا عَمُّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مِنْهُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، تُدِينُ لَهُمْ بِهَا العَـرَبُ، وَتُؤَدِي إِليهِم بِهَا العَرَبُ والعَجَمُ الجِزْيَـةَ» فقـالوا: ومـا هي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ إله إلاَّ الله» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم، ويقولون: {أَجَعَلَ الالهة إلها واحـدا إِنَّ هذا لَشَئ عُجَابٌ وانطلق الملا مِنْهُمْ} يعـني: الأشـراف من قريش {أَنِ امشوا} يعني: امكثوا {واصـبروا} يعـني: اثبتوا {على ءالِهَتِكُمْ} يعـني: على عبـادة آلهتكم {إِنَّ هـذا لَشَئ يُرَادُ} يعني: لأمر يراد كونه بأهل الأرض. ويقـال: إن هذا لشيء يراد. يعني: لا يكون ولا يتم له {مَّا سَمِعْنَا بهـذا فِى الملة الاخرة} يعني: في اليهود والنصارى {إِنْ هذا إِلاَّ اختلاق} يعني: يختلقه من قبل نفسـه. ويقـال: في قولـه: {إِنَّ هذا لَشَئ يُرَادُ} يعني: أراد أن يكون.

ثم قال عز وجل: {عَلَيْهِ الذكر مِن بَيْنِنَا بْـل} يعـني: أخصّ بالنبوة من بيننا. يقول الله عز وجل: {بْل هُمْ فَى شَكٍّ مِّن ذِكْـرِى} يعـني: في ريب من القـرآن والتوحيـد {بَـل لَّمَّا يَـذُوقُواْ عَـذَابِ} أي: لم يـذوقوا عـذابي كقولـه: {قَـالَتِ الاعـراب ءَامَنَّا قُـل لَّمْ تُؤْمِنُـواْ ولكن قولـوا أَسْـلَمْنَا وَلَمَّا يَـدْخُلِ الايمـان فِى قُلُـوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُـواْ اللـه وَرَسُـولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِّنْ أعمالكم شَيْئاً إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

[الحجـــرات: 14] أي: لم يـــدخل فهـــذا تهديـــد لهم، أي: سيذوقوا عذابي.

ثم قال: {أَمْ عِنـدَهُمْ خَـزَائِنُ رَحْمَـةِ رَبّـِكَ} يعـني: مفـاتيح رحمـة ربـك. يعـني: مفـاتيح النبـوة بأيـديهم، ليس ذلـك بأيديهم، وإنمـا ذلـك فضـل اللـه يؤتيـه من يشـاء {العزيـز الوهاب} يعني: بيـد اللـه {العزيـز} في ملكـه {الوهـاب} لمن يشاء. بل الله يختار من يشاء للوحي، فيوحي الله عز وجل وهي الرسـالة لمن يشـاء {وَمَـا بَيَنَهُمَـا فَلْيَرْتَقُـواْ فِى

الاسـباب} يعـني: إن لم يرضـوا بمـا فعـل اللـه تعـالى، فليتكلفـوا الصـعود إلى السـماء. وقـال القتـبي: أسـباب السـماء أي: أبـواب السـماء، كمـا قـال القائـل. ولـو نـال أسباب السماء بسـلم. قـال: ويكـون أيضـاً {فَلْيَرْتَقُـواْ فِى الاسباب} يعني: في الجبـال إلى السـماء كمـا سـألوك أن ترقى إلى السماء، فتأتيهم بآية، وهـذا كلـه تهديـد، وتـوبيخ بالعجز.

تفسير الآيات رقم [11- 20]

{جُنْدٌ مَـا هُنَالِـكَ مَهْـزُومٌ مِنَ الْأَحْـزَابِ (11) كَـذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (12) وَثَمُودُ وَقَـوْمُ لُـوطٍ وَأَصْـحَابُ الْأَيْكَـةِ أُولَئِكَ الْأَحْـزَابُ (13) إِنْ كُـلٌّ إِلَّا كَـذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (14) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (15) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْـلَ يَـوْمِ الْحِسَابِ (16) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْـدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْـدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17) إِنَّا سَـخَّرْنَا الْجِبَـالَ مَعَـهُ يُسَـبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُـورَةً كُـلٌّ لَـهُ أَوَّابٌ (19) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (20)}

ثم قال عز وجل: {جُندٌ مَّا هُنَالِكَ} يعـني: جنـد عنـد ذلـك، وما زائدة. يعني: حين أرادوا قتـل النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم {مَهْزُومٌ} يعني: مغلوب {مّن الاحزاب} يعـني: من الكفار. وقـال مقاتـل: فـأخبر اللـه تعـالى بهـزيمتهم ببـدر. وقال الكلبي: يعني عند ذلك إن أرادوه {مَهْزُومٌ} مغلوب. ثم قال عز وجل: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ} يعني: من قبل أهل مكة {قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وفِرْعَوْنُ ذُو الاوتاد} يعني: ذو ملك ثـابت، شديد دائم ويقـال: ذو بنـاء محكم. ويقـال: يعـني: في عـز ثابت. والعرب تقول: فلان في عـز ثـابت الأوتـاد. يريـدون دائم شـديد، وأصـل هـذا أن بيـوت العـرب تثبت بأوتـاد. ويقال: هي أوتاد كانت لفرعون يعذب بها، وكان إذا غضـب على أحد شدّه بأربعة أوتاد.

ثم قـال: {وَثَمُـودُ وَقَـوْمُ لُـوطٍ وأصـحابِ لئَيْكَـةِ} يعـني: الغيضة وهم قوم شعيب عليـه السـلام {أُوْلَئِكَ الاحـزاب} يعني: الكفار، سموا أحزاباً لأنهم تحزبوا على أنبيائهم. أي: تجمعوا، وأخبر في الابتداء أن مشركي قـريش، حـزب من هؤلاء الأحزاب {إِن كُلٌّ} يعني: ما كـل {إِلاَّ كَـذَّبَ الرسـل فَحَقَّ عِقَابِ} يعني: وجب عذابي عليهم.
قوله عز وجل: {وَمَا يَنظُرُ هَؤُلآء} يعني: قومك {إِلاَّ صَيْحَةً واحدة} يعـني: النفخـة الأولى {مَّا لَهَـا مِن فَـوَاقٍ} يعـني: من نظـرة، ومن رجعـة. قـرأ حمـزة والكسـائي {فَـوَاقٍ} بضم الفاء. وقرأ الباقون: بالنصب. ومعناهما واحد. يسمى ما بين حلبتي الناقة {فَـوَاقٍ} لأن اللبن يعـود إلى الضـرع. وكذلك إفاقة المريض يعني: يرجع إلى الصحة. فقـال: {مَّا لَهَـا مِن فَـوَاقٍ} يعـني: من رجـوع. وقـال أبـو عبيـدة: من فتحها أراد ما لها من راحة ولا إفاقة يـذهب بهـا إلى إفاقـة المريض، ومن ضمها جعلها من فواق الناقـة، وهـو مـا بين الحلبتين، يعني: ما لها من انتظـار. وقـال القتـبي: الفُـواق والفَواق واحد، وهو ما بين الحلبتين.
ثم قـال تعـالى: {وَقَـالُواْ رَبَّنَـا عَجّـل لَّنَـا قِطَّنَـا} قـال ابن عباس وذلك أن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال لقريش: «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالله أُعْطِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ» فقالوا: {رَبَّنَا عَجّل لَّنَا قِطَّنَـا} يعـني: صـحيفتنا، وكتابنـا في الـدنيا {قَبْلَ يَوْمِ الحساب} والقِط في اللغة الصحيفة المكتوبـة. ويقال: لما نزل قوله: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِـهِ فَيَقُـولُ هَآؤُمُ اقرؤا كتابيه} [الحاقة: 19] فقالوا {رَبَّنَـا عَجّـل لَّنَـا} هذا الكتاب {قَبْلَ يَوْمِ الحساب} استهزاء.
ثم عزّى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل: {اصبر على مَا يَقُولُونَ} من التكذيب {واذكر عَبْدَنَا دَاودُ ذَا الايد} يعني: ذا القوة على العبادة {إِنَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مقبـل على طاعة الله عز وجل.

وقال مقاتل: {أَوَّابٌ} يعني: مطيع.
قوله عز وجل: {إِنَّا سَخَّرْنَا الجبال مَعَهُ} يعني: ذلّلنا الجبال {يُسَبّحْنَ} مع داود عليه السلام {بالعشى والإشراق} يعني: في آخر النهار، وأوله. وروى طاوس أن ابن عباس قال لأصحابه: هل تجدون صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا: لا. قال: بلى. قوله: {يُسَبّحْنَ بالعشى والإشراق} كانت صلاة الضحى يصليها داود عليه السلام.
ثم قال عز وجل: {والطير مَحْشُورَةً} يعني: مجموعة {كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مطيع. وقال عمرو بن شرحبيل: الأواب بلغة الحبشة المسيح. وقال الكلبي: المقبل على طاعة الله تعالى.
قوله عز وجل: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ} يعني: قوّينا حراسه. قال مقاتل والكلبي: كان يحرسه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل. ويقال: قوينا ملكه، وأثبتناه، وحفظناه عليه. وروي في الخبر أن غلاماً استعدى على رجل، وادعى عليه. بقراً فأنكر المدعى عليه، وقد كان لطمه لطمة حين ادعى عليه، فسأل داود من الغلام البينة، فلم يقمها، فرأى داود في منامه أن الله عز وجل يأمره أن يقتل المدعى عليه، ويسلم البقر إلى الغلام. فقال داود: هو منام ثم أتاه الوحي بذلك، فأخبر بذلك بنو إسرائيل، فجزعت بنو إسرائيل وقالوا: رجل لطم غلاماً لطمة فقتله بذلك. فقال داود عليه السلام: هذا أمر الله تعالى به، فسكتوا. ثم أحضر الرجل فأخبره أن الله تعالى أمره بقتله. فقال الرجل: صدقت يا نبي الله: إني قتلت أباه غيلة، وأخذت البقر، فقتله داود، فعظمت هيبته، وشدد ملكه. فلما رأى الناس ذلك جلّ أمره في أعينهم، وقالوا: إنه يقضي بوحي الله تعالى، ثم إن الله تعالى أرخى سلسلة من السماء، وأمره بأن يقضي بها بين الناس، فمن كان على الحق يأخذ السلسلة، ومن كان ظالماً لا يقدر على أخذ

السلسلة. وقد كـان غصب رجـل من رجـل لؤلـؤاً، فجعـل اللؤلؤ في جـوف عصاً لـه، ثم خاصـمه المـدعي إلى داود عليه السلام فقال المدعي: إن هذا أخذ مـني لؤلـؤاً، وإني لصــادق في مقــالتي. فجــاء، وأخــذ السلســلة، ثم قــال المدعى عليه: خذ مني العصا، فأخذ عصاه، وقال: إني قــد دفعت إليه اللؤلـؤ، وإني لصـادق في مقـالتي، فجـاء وأخـذ السلســلة. فتحــير داود عليــه الســلام في ذلــك، فــرفعت السلسلة، وأمره بأن يقضي بالبينات والأيمان، فذلك قولـه عز وجل: {وَشَـدَدْنَا مُلْكَـهُ} يعـني: الفهم، والعلم. ويقـال: يعني النبوة {وَفَصْـلَ الخطـاب} يعـني: القضـاء بالبينـات، والأيمان. وقال قتادة، والحسن؛ {وَفَصْلَ الخطاب} يعـني: البينة على الطالب، واليمين على المطلوب.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 26]

{وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُـوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَـفْ خَصْـمَانِ بَغَى بَعْضُـنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَـذَا أَخِي لَـهُ تِسْـعٌ وَتِسْـعُونَ نَعْجَـةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23) قَـالَ لَقَـدْ ظَلَمَــكَ بِسُــؤَالِ نَعْجَتِـكَ إِلَى نِعَاجِــهِ وَإِنَّ كَثِـيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُـهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيـلٌ مَـا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَـا فَتَنَّاهُ فَاسْـتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَـهُ ذَلِـكَ وَإِنَّ لَـهُ عِنْـدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَـآبٍ (25) يَـا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَـاكَ خَلِيفَـةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِـلُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)}

ثم قال عز وجل: {وَهَـلْ أَتَـاكَ نَبَـؤُا الخصـم} يعـني: خـبر الخصم. ويقال: خبر الخصوم أي: وهل أتاك يـا محمـد، مـا

أتاك، حين أتاك، ويقال: وقد أتاك {إِذْ تَسَـوَّرُواْ المحـراب} والتسور أن يصعد في مكان مرتفع، وإنما سمي المحـراب سوراً، لارتفاعه من الأرض. ويقال {تَسَوَّرُواْ} يعني: دخلوا عليه من فوق الجـدار. وقـال الحسـن البصـري: وذلـك أن داود عليه السلام جـزأ الـدهر أربعـة أيـام. فيومـاً لنسـائه، ويوماً لقضـائه، ويومـاً يخلـو فيـه لعبـادة ربـه، ويومـاً لبـني إسرائيل ليسألونه فقال يوماً لبني إسرائيل: أيكم يسـتطيع أن يتفرغ لعبادة ربه يومـاً لا يصـيب الشـيطان منـه شـيئاً؟ فقالوا: يا نبي الله، والله لا نستطيع. فحدث داود نفسه أنه يستطيع ذلك. فدخل محرابه، وأغلق بابه، فقام يصـلي في المحراب، فجاء طائر في أحسن صورة مزين كأحسـن مـا يكون، فوقـع قريبـاً منـه، فنظـر إليـه، فأعجبـه، فوقـع في نفسه منه، فدنا منه ليأخذه، فوقع قريباً منـه وأطمعـه، أن سيأخذه، ففعل ذلك ثلاث مرات، حتى إذا كان في الرابعة، ضرب يده عليه فأخطأه، ووقع على سور المحراب. قـال: وخلف المحراب حوض تغتسـل فيـه النسـاء، فضـرب يـده عليه، وهو على سور المحـراب، فأخطـأه وهـرب الطـائر، فأشـرف داود، فـإذا بـامرأة تغتسـل، فلمـا رأتـه نقضـت شعرها، فغطى جسدها، فوقع في نفسـه منهـا مـا يشـغله عن صـلاته، فـنزل من محرابـه، ولبسـت المـرأة ثيابهـا، وخرجت إلى بيتهـا، فخـرج حـتى عـرف بيتهـا، وسـألها من أنت؟ فأخبرته: فقال: هل لـك زوج؟ قـالت: نعم. قـال أين هو؟ فقالت: في بعث كذا وكـذا، وجنـد كـذا وكـذا. فرجـع، وكتب إلى عامله إذا جـاءك كتـابي هـذا، فاجعـل فلانـاً في أول الخيل. فقـدم في فـوارس، فقاتـل، فقتـل. ثم انتظـر حـتى انقضـت عـدتها، فخطبهـا، وتزوجهـا. فبينمـا هـو في المحراب، إذ تسور عليه ملكان، وكان الباب مغلقاً، ففــزع منهمـا، فقـالا: لا تخـف {خَصْـمَانِ بغى بَعْضُـنَا على بَعْضٍ فاحكم بَيْنَنَا بـالحق} يعـني: اقض بيننـا بالعـدل. ثم خاصـم

أحـدهما الآخـر، فقـال: {إِنَّ هَـذَا أَخِى لَـهُ تِسْـعٌ وَتِسْـعُونَ نَعْجَةً} إلى آخره. فعلم داود عليه السلام أنه مـراد بـذلك، فخرّ راكعاً وأناب. قال الحسن: سجد أربعين ليلة، لا يرفـع رأسـه إلا للصـلاة المكتوبـة. قـال: ولم يـذق طعامـاً، ولا شراباً، حتى أوحى الله عز وجل إليه أن ارفع رأسك فـإني قـد غفـرت لـك. وهكـذا ذكـر في روايـة الكلـبي عن ابن عباس، أنه سجد أربعين يوماً حتى سقط جلد وجهه، ونبت العشب من دموعه. فقال: يا رب كيف ترحمـني وأنـا أعلم أنك منتقم مني بخطيئـتي، وذكـر أن جبريـل عليـه السـلام قال له: اذهب إلى أوريا فاستحل منه، فإنك تسـمع صـوته في يوم كذا، فأتاه ذات ليلة، فناداه، فأجابه، فاستحل منه، فقال: أنت في حلّ.

فلما رجع، قال له جبريـل: هـل أخبرتـه بجرمـك. قـال: لا. قال: فإنـك لم تفعـل شـيئاً. قـال: فـارجع، فـأخبره بالـذي صنعت، فرجع داود فأخبره بذلك، فقـال: أنـا خصـمك يـوم القيامة، فرجع مغتماً، وبكى أربعين يوماً فأتاه جبريل عليـه السـلام فقـال: إن اللـه تعـالى يقـول: إني أسـتوهبك من عبدي فيهبك لي، وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء، فسـري عنه ذلـك، وكـان محزونـاً في عمـره، باكيـاً على خطيئتـه. وروي في خـبر آخـر، أن داود سـمع بـني إسـرائيل كـانوا يقولون في دعائهم: يـا إلـه إبـراهيم، وإسـحاق، ويعقـوب، فيسـتجاب لهم. فقـال لهم داود عليـه السـلام اذكـروني فيهم. فقولوا: يا إلـه إبـراهيم، وإسـحاق، ويعقـوب، وداود، فقالوا: الله أمرك بهذا. قال: لا. فقالوا: لا نزيد فيهم ما لم يأمرك الله تعالى بذلك. فسـأل داود ربـه أن يجعلـه فيهم، فـأوحى اللـه تعـالى إليـه، وذكـر لـه مـا لقي إبـراهيم من الشدائد، وما لقي إسحاق ويعقـوب عليهم السـلام فسـأل داود ربه أن يبتليه ببليـة لكي يبلـغ مـنزلتهم، فـابتلي بـذلك حتى بلغ مبلغهم. وقال بعضهم: هذه القصة لا تصح لأنــه لا

يظن بـالنبي مثـل داود أنـه يفعـل مثـل ذلـك، ولكن كـانت خطيئته أنه لما اختصما إليه، فقـال للمـدعي: لقـد ظلمـك بســؤال نعجتــك إلى نعاجــه، فنســبه إلى الظلم بقــول المـدعي. فكـان ذلـك منـه زلـة، فاسـتغفر ربـه عن زلتـه، فذلك قوله: {إِذْ دَخَلُواْ على * دَاوُودُ} وقال بعضهم: كـانوا اثــنين. فــذكر بلفــظ الجماعــة فقــال: {إِذْ دَخَلُــواْ على * دَاوُودُ} وقال بعضهم: كانوا جماعة، ولكنهم كـانوا فـريقين فقـال: {إِذْ دَخَلُـواْ على * دَاوُودُ ****فَفَـزِعَ مِنْهُمْ قَـالُواْ لاَ تَخَـفْ خَصْـمَانِ بغى بَعْضُـنَا على بَعْضٍ} يعـني: اسـتطال، وظلم بعضنا على بعض {فاحكم بَيْنَنَا بالحق} يعـني: اقض بيننــا بالعــدل {وَلاَ تُشْــطِطْ} أي ولا تجــر في الحكم، والقضاء. ويقال: أشـططت إذا جـرت {واهـدنا إلى سَـوَاء الصراط} يعني: أرشدنا إلى أعدل الطريق.

قوله عز وجل: {إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْـعُونَ نَعْجَـةً وَلِى نَعْجَةٌ واحدة فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَـا} يعـني: أعطـني هـذه النعجـة. وهذا قول الكلبي ومقاتل. وقال القتبي {أَكْفِلْنِيهَـا} يعـني: ضمها إليّ، واجعلني كافلها {وَعَزَّنِى فِى الخطاب} يعــني: غلبني في الكلام {قَالَ} داود {لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِـكَ إلى نِعَاجِهِ} أي: مع نعاجه {وَإِنَّ كَثِيراً مّنَ الخلطاء} يعني: من الإخوان والشركاء {لَيَبْغِى بَعْضُـهُمْ على بَعْضٍ} يعـني: ليظلم بعضهم بعضاً {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالحات} فإنهم لا يظلمون {وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} يعني: قليل منهم الــذين لا يظلمون. فلما قضى بينهمـا داود عليـه السـلام أحب أن يعرفهما، فصعد إلى السماء حيـال وجهـه {وَظَنَّ * دَاوُودُ} يعني: علم داود.

ويقــال: ظن بمعــنى أيقن. إلا أنــه ليس بيقين عيانــاً، لأن العيان لا يقال فيه إلا العلم. {أَنَّمَـا فتنـاه} يعـني: ابتلينـاه، واختبرناه. ويقال: إنهما ضـحكا، وذهبـا. فعلم داود أن اللـه عــز وجــل ابتلاه بــذلك. وروي عن أبي عمــرو في بعض

الروايات أنه قرأ {أَنَّمَا فتناه} بالتخفيف، ومعناه ظن أن الملكين اختبراه، وامتحناه في الحكم وقراءة العامة {فتناه} بالتشديد يعني: أن الله عز وجل قد اختبره، وامتحنه بالملكين {فاستغفر رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ} يعني: {وَخَرَّ} وقع راكعاً ساجداً {وَأَنَابَ} يعني: أقبل إلى طاعة الله تعالى بالتوبة. وروى عطاء بن السائب، عن أبي عبد الله البجلي قال: إن داود لم يرفع رأسه إلى السماء، مذ أصاب الخطيئة حتى مات. وذكر في الخبر أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، فتزوج امرأة أوريا على شرط أن يكون ولدها خليفة بعده، فولد له منها سليمان، وكان خليفته بعده.

يقول الله عز وجل: {فَغَفَرْنَا لَهُ ذلك} يعني: ذنبه {وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لزلفى} لقربة {وَحُسْنُ مَئَابٍ} أي: المرجع في الآخرة. وروي أن كاتباً كان يكتب قوله تعالى: {وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ} وكان تحت شجرة، فقرأها، وكتبها، فخرت الشجرة ساجدة لله تعالى، وهي تقول: اللهم اغفر بها ذنباً، وخرت الدواة ساجدة كذلك، وهي تقول اللهم: احطط عني بها وزراً. وكذلك الصحيفة التي في يده، وهي تقول: اللهم أحدث مني بها شكراً. وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله رأيتني الليلة، وأنا نائم، كأني أصلي خلف الشجرة، فقرأت السجدة فسجدتُّ فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود. قال ابن عباس فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم آية سجدة، ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة. وأيضاً سئل ابن عباس عن سجدة {ص} من أين سجدت. قال: أما تقرأ هذه الآية: {وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاودُ وسليمان}، ثم قال: {أولئك

الذين هَدَى الله فَبِهُدَاهُمُ اقتده قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذكرى للعالمين} [الأنعام: 90] فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به، فسجدها داود، فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتداءً به.

ثم قوله عز وجل: {مَئَابٍ ياداوود إِنَّا جعلناك خَلِيفَةً فِى الارض} يعني: أكرمناك بالنبوة، وجعلناك خليفة، والخليفة الذي يقوم مقام الذي قبله، فقام مقام الخلفاء الذين قبله، وكان قبله النبوة في سبط، والملك في سبط آخر، فأعطاهما الله تعالى لداود.

ثم قال: {فاحكم بَيْنَ الناس بالحق} يعني: بالعدل {وَلاَ تَتَّبِعِ الهوى} أي: لا تمل إلى هوى نفسك، فتقضي بغير عدل. ويقال: لا تعمل بالجور في القضاء، {وَلاَ تَتَّبِعِ الهوى} كما اتبعت في بتشايع، وهي امرأة أوريا، {فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ الله} يعني: عن طاعة الله تعالى. ويقال: يعني: الهوى يستزلك {عَن سَبِيلِ الله} {إِنَّ الذين يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الله} يعني: عن دين الله الإسلام {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الحساب} يعني: بما تركوا من العمل ليوم القيامة، فلم يخافوه. ويقال: بما تركوا الإيمان بيوم القيامة.

تفسير الآيات رقم [27- 29]

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (28) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (29)}

قوله عز وجل: {وَمَا خَلَقْنَا السماء والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الخلق {باطلا} يعني: عبثاً لغير شيء، بل خلقناهما لأمر هو كائن {ذلك ظَنُّ الذين كَفَرُواْ} يعني: يظنون أنهما

خلقتا لغير شيء، وأنكروا البعث {فَوَيْـلٌ لِّلَّذِينَ كَفَـرُواْ مِنَ النار} يعني: جحدوا من النـار يعـني: من عـذاب النـار {أَمْ نَجْعَلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} وذلك أن كفار مكة قالوا: إنا نعطى في الآخرة، من الخـير أكـثر ممـا تعطـون فنزل: {أَمْ نَجْعَـلُ الـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات} في الثــواب {كالمفســدين فِى الارض} يعــني: كالمشــركين. وقال في رواية الكلـبي: نـزلت في مبـارزي يـوم بـدر {أَمْ نَجْعَـلُ الـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات} يعـني: عليـاً، وحمــزة، وعبيــدة رضــي اللــه عنهم {كالمفســدين فِى الارض} يعني: عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد. ويقال: نزلت في جميـع المسـلمين، وجميـع الكـافرين. يعـني: لا نجعـل جزاء المؤمنين كجـزاء الكـافرين في الـدنيا والآخـرة، كمـا قال في آية أخرى: {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات أَن نَّجْعَلَهُمْ كالذين ءَامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات سَـوَآءً محيـاهم ومماتهم سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: 21].

ثم قـال عـز وجـل: {أَمْ نَجْعَـلُ المتقين كالفجـار} يعـني: كالكفار في الثواب. اللفـظ لفـظ الاسـتفهام، والمـراد بـه الوعيد.

ثم قال عز وجل: {كتاب أنزلناه إِلَيْكَ مبارك} يعني: أنزلنا جبريل عليه السلام به إليك {مُّبَارَكٌ} يعني: كتـاب مبـارك فيه مغفرة للذنوب لمن آمن به، وصدقه، وعمل بمـا فيـه، {لِّيَدَّبَّرُواْ ءاياته} أي: لكي يتفكـروا في آياتـه. قـرأ عاصـم في إحدى الروايتين: {لِتَدَبَّرُوا} بالتاء مع النصب، وتخفيف الـدال. وهـو بمعـنى: لتتـدبروا. فحـذفت إحـدى التـاءين، وتركت الأخرى خفيفة، وقـراءة العامـة {مبـارك لّيَـدَّبَّرُواْ} بالياء، وتشديد الدال. وهو بمعنى: ليتدبروا. فـأدغمت التـاء في الدال، وشددت.

ثم قوله عز وجل: {وَلِيَتَذَكَّرَ} يعني: وليتعظ بالقرآن {أُوْلُو الالباب} يعني: ذوو العقول من الناس.

▲ تفسير الآيات رقم [30- 34]

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (30) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (31) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (32) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (33) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (34)}

{وَوَهَبْنَا لداود سليمان} يعني: أعطينا لداود سليمان. وروي عن ابن عباس أنه قال: أولادنا من مواهب الله عز وجل.

ثم قرأ: و{لِلَّهِ مُلْكُ السماوات والارض يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إناثا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور} [الشورى: 49] فوهب الله تعالى لداود سليمان {نِعْمَ العبد إِنَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مقبلاً إلى طاعة الله تعالى.

قوله عز وجل: {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالعشى} يعني: في آخر النهار {الصافنات الجياد} يعني: الخيل. قال الكلبي ومقاتل: صفن الفرس إذا رفع إحدى رجليه، فيقوم على طرف حافره. وقال أهل اللغة: الصافن الواقف من الخيل وفي الخبر: «مَنْ أَحَبَّ أنْ يَقُومَ لَهُ الرِّجَالُ صُفُوفاً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» يعني: يديمون له القيام، والجياد الحسان. ويقال: الإسراع في المشي. وقال ابن عباس في رواية الكلبي: إن أهل دمشق من العرب، وأهل نصيبين جمعوا جموعاً، وأقبلوا ليقاتلوا سليمان، فقهرهم سليمان، وأصاب منهم ألف فرس عراب، فعرضت على سليمان الخيل، فجعل ينظر إليها، ويتعجب من حسنها، حتى شغلته عن صلاة العصر، وغربت الشمس، ثم ذكرها بعد ذلك، فغضب، وقال: {رُدُّوهَا عَلَيَّ}، فضرب بسوقها، وأعناقها بالسيف، حتى خرّ منها تسعمائة فرس، وهي التي كانت عرضت عليه، وبقيت مائة فرس لم تعرض

عليه كما كـان في أيـدي النـاس الآن من الجيـاد، فهـو من نسلها أي: من نسل المائة الباقية.
قوله تعالى: {فَقَالَ إِنّى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخـير} يعـني: آثـرت حب المال {عَن ذِكْرِ رَبِى} يعني: عن الصلاة، وهي صـلاة العصـر {حـتى تَـوَارَتْ بالحجـاب} يعـني: حـتى غـابت الشمس، وهـذا إضـمار لمـا لم يسـبق ذكـره. يعـني: ذكـر الشمس لأن في الكلام دليلاً فاكتفى بالإشارة عن العبارة.
قوله. عز وجل {رُدُّوهَـا عَلَىَّ} يعـني: قـال سـليمان: ردوا الخيل عليّ، فردت عليه {فَطَفِقَ مَسْحاً بالسـوق} يعـني: يضرب السوق وهو جماعة الساق {والاعنـاق} وهـو جمـع العنق. وروي عن إبراهيم النخعي قال: كانت عشرين ألف فرس. وقـال السـدي: كـانت خيـل لهـا أجنحـة. وقـال أبـو الليث: يجوز أن يكون مراده في سـرعة السـير، كـأن لهـا أجنحة. وقال بعضهم: كانت الجن والشياطين أخرجتهـا من البحر. وقال عامة المفسـرين في قولـه: {فَطَفِـقَ مَسْـحاً بالسوق والاعناق} يعني: فضرب سوقها، وأعناقهـا. وقـال بعضــهم: لم يعقــر ولكن جعــل على ســوقهن، وعلى أعناقهن، سمة وجعلها في سبيل اللـه. قـال: لأن التوبـة لا تكون بأمر منكر. ولكن الجواب عنه أن يقال له: يجــوز أن يكــون ذلــك مباحــاً في ذلــك الــوقت، وإنمــا أراد بــذلك الاستهانة بمال الدنيا لمكان فريضة الله تعالى.
ثم قال عز وجـل: {وَلَقَـدْ فَتَنَّا سـليمان} ابتلينـاه {وَأَلْقَيْنَـا على كُرْسِيِّهِ جَسَداً} يعني: شيطاناً.
قال ابن عباس في رواية أبي صالح: إن سليمان أمـر بـأن لا يتزوج إلا من بني إسرائيل، فـتزوج امـرأة من غـير بـني إسرائيل، فعاقبه الله تعالى. فأخذ شيطان يقال له: صــخر خاتمه، وجلس على كرسيه أربعين يوماً، وقد ذكرنا قصــته في سورة البقرة {ثُمَّ أَنَابَ} يعني: رجع إلى ملكه، وأقبـل على طاعـة اللـه تعـالى. وقـال الحسـن في قولـه تعـالى:

{وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِيّهِ جَسَداً} قـال: شـيطاناً. وروى سـعيد بن جبير عن ابن عباس أنـه قـال: سـألت كعبـاً عن قولـه: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِـيّهِ جَسَـداً} قـال: شـيطاناً. يعـني: أخـذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه، فقذفه في البحر، فوقـع في بطن سـمكة، وانطلـق سـليمان يطـوف، فتصـدق عليـه بسمكة، فشواها ليأكل، فـإذا فيهـا خاتمـه. وقـال وهب بن منبه: إن سليمان تزوج امرأة من أهل الكتـاب، وكـان لهـا عبد، فطلبت منه أن يجزرها لعبـدها. يعـني: ينحـر الجـزور فأجزرها، فكره ذلك منه ثم ابتلي بالجسد الذي ألقي على كرسـيه. وروى معمـر عن قتـادة في قولـه: {وَأَلْقَيْنَـا على كُرْسِيّهِ جَسَـداً} قـال: كـان الشـيطان جلس على كرسـيه أربعين ليلة، حتى ردّ الله تعالى إليـه ملكـه. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: {وَأَلْقَيْنَا على كُرْسِـيّهِ جَسَـداً} قال: شيطان يقال له صخر. قال لـه سـليمان يومـاً: كيـف تفتنون الناس؟ فقال له: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إيـاه، نبـذه في البحـر، فـذهب ملكـه، وقعـد صـخر على كرسيه، ومنعـه اللـه تعـالى نسـاء سـليمان، فلم يقـربهن، فأنكرته أم سليمان، أهو سليمان أم آصـف؟ فكـان يقـول: أنا سليمان. فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتـاً، فوجـد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، ودخل صخر البحر فاراً. وذكر شهر بن حوشب نحو هذا، وقال: لمـا جلس سـليمان على سـريره، بعث في طلب صـخر، فـأتي بـه، فـأمر بـه، فقورت له صخرة، وأدخلـه فيهـا، ثم أطبـق عليهـا، وألقـاه في البحـر، وقـال: هـذا سـجنك إلى يـوم القيامـة. وقـال بعضهم: هذا التفسير الـذي قالـه هـؤلاء الـذين ذكـروا أنـه شيطان لا يصح، لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلط شيطاناً من الشـياطين على أحكـام المسـلمين، ويجلسـه على كرسـي نـبي من الأنبيـاء عليهم السـلام ولكن تأويـل الآيـة والله أعلم: أن سـليمان كـان لـه ابن، فجـاء ملـك المـوت

يوماً زائراً لسليمان، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومـرض من هيبته، فأمر سليمان عليه السلام الريح بأن تحمل ابنـه فوق السحاب ليزول ذلـك عنـه، فلمـا رفعتـه الـريح فـوق السحاب، ودنا أجله، فقبض ابنه، وألقي على كرسيه فذلك قولـه: {وَأَلْقَيْنَـا على كُرْسِـيِّهِ جَسَـداً} يعـني: ابنـه الميت. قـال: والـدليل على ذلـك أن الجسـد في اللغـة هـو الميت الذي لا يأكل الطعام، والشراب، كالميت ونحوه.

وذكـر أن سـليمان جـزع على ابنـه، إذ لم يكن لـه إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي فأفسده. فقال له سليمان: لم مشـيت في زرعـه؟ فقـال: لأن هـذا الرجـل زرع في طريـق النـاس، ولم أجـد مسـلكاً غـير ذلـك. فقـال سـليمان للآخـر: لم زرعت في طريق الناس، أمـا علمت أن النـاس لا بـد لهم من طريـق يمشـون فيـه؟ فقـال لسـليمان: صـدقت. لم ولـدت على طريق الموت أما علمت أن ممر الخلـق على المـوت؟ ثم غابا عنه. فاستغفر سليمان فذلك قوله: {ثُمَّ أَنَابَ} يعـني: تاب ورجع إلى طاعة الله عز وجل.

▲ تفسير الآيات رقم [35- 40]

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْـدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَـابَ (36) وَالشَّـيَاطِينَ كُـلَّ بَنَّاءٍ وَغَـوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَـذَا عَطَاؤُنَـا فَـامْنُنْ أَوْ أَمْسِـكْ بِغَيْـرِ حِسَـابٍ (39) وَإِنَّ لَـهُ عِنْـدَنَا لَـزُلْفَى وَحُسْـنَ مَآبٍ (40)}

قوله عز وجـل: {قَـالَ رَبّ اغفـر لِى وَهَبْ لِى مُلْكـاً} أي: أعطـني ملكـاً {لاَّ يَنبَغِى لاِحَـدٍ مّن بَعْـدِى} قـال سـعيد بن جبير: أعطني ملكاً لا تسلبه كما سـلبت في المـرة الأولى. ويقال: إنما تمنى ملكاً لا يكون لأحد من بعده، حـتى يكـون

ذلك معجزة له، وعلامة لنبوته. {إِنَّكَ أَنتَ الوهاب} يعـني: المعطي الملك.

قوله عز وجل: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الريح تَجْرِى بِأَمْرِهِ} وكان من قبل ذلك لم تسخر له الريح، والشياطين. فلما دعا بـذلك، سخرت له الريح والشياطين. فقـال: {فَسَـخَّرْنَا لَـهُ الـريح تَجْرِى بِأَمْرِهِ} يعني: بأمر سليمان. ويقال: بأمر الله تعالى {رُخَـاء} يعـني: لينـة مطيعـة {حَيْثُ أَصَـابَ} يعـني: حيث أراد من الأرض، والنـواحي {أَصَـابَ} يعـني: أراد. وقـال الأصمعي: العرب تقول: أصاب الصواب، فأخطـأ الجـواب. يعني: أراد الصواب، فأخطأ الجواب. {والشياطين} يعـني: سخرنا له كل شيء، وسخرنا له الشياطين أيضاً {كُـلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ} يعني: يغوصون في البحر، ويسـتخرجون اللؤلـؤ، وقـال مقاتـل: وهـو أول من اسـتخرج اللؤلـؤ من البحـر {وَءاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ} يعني: مردة الشياطين مـوثقين {فِى الاصفاد} يعني: في الحديد ويقال: {الاصفاد} الأغلال.

ثم قال عز وجل: {هذا عَطَاؤُنَا} يعـني: هـذا عطاؤنـا لـك، وكرامتنـا عليـك {فـامنن} يعـني: اعتـق من شـئت منهم، فخلّ سبيله من الشياطين {أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} يعني: احبس في العمـل، والوثـاق، والسلاسـل من شـئت منهم {بِغَيْـرِ حِسَـابٍ} أي: فلا تبعـة عليـك في الآخـرة فيمن أرسلته، وفيمن حبسته. ويقال: ليس عليك بذلك إثم {وَإِنَّ لَهُ عِنـدَنَا لـزلفى} يعـني: لقـربى {وَحُسْـنُ مَئَابٍ} يعـني: حسن المرجع.

تفسير الآيات رقم [41- 44]

{وَاذْكُـرْ عَبْـدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّـنِيَ الشَّـيْطَانُ بِنُصْـبٍ وَعَـذَابٍ (41) ارْكُضْ بِرِجْلِـكَ هَـذَا مُغْتَسَـلٌ بَـارِدٌ وَشَـرَابٌ (42) وَوَهَبْنَـا لَـهُ أَهْلَـهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَـةً مِنَّا

وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (44)}

قوله عز وجل: {واذكر عَبْدَنَا أَيُّوبَ} يعني: واذكر صبر عبدنا أيوب {إِذْ نادى رَبَّهُ} يعني: دعا ربه {أَنّى مَسَّنِىَ الشيطان} يعني: أصابني الشيطان {بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} وهو المشقة والعناء والأمراض، وعذاب في ماله. يعني: هلاك أهله، وماله وقد ذكرناه في سورة الأنبياء قوله عز وجل: {اركض بِرِجْلِكَ هذا} يعني: قال له جبريل: اضرب الأرض برجلك، فضرب فنبعت عين من تحت قدميه، فاغتسل فيها، فخرج منها صحيحاً، ثم ضرب برجله الأخرى فنبعت عين أخرى ماء عذب بارد، فشرب منها، فذلك قوله {هذا مُغْتَسَلٌ} يعني: الذي اغتسل منها. ثم قال: {بَارِدٌ وَشَرَابٌ} يعني: الذي شرب منها.

قوله عز وجل: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مّنَّا وذكرى لاِوْلِى الالباب وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً} يعني: قبضة من سنبل فيها مائة سنبلة. وقال الكلبي {ضِغْثاً} أي: مجتمعاً. وقال مقاتل: الضغث القبضة الواحدة، فأخذ عيداناً رطبة من الآس، فيه مائة عود. وقال القتبي: الضغث الحزمة من العيدان، والكلأ {فاضرب بّهِ} يعني: اضرب به امرأتك {وَلاَ تَحْنَثْ} في يمينك. وقال الزجاج: قالت امرأته: لو ذبحت عناقاً باسم الشيطان؟ فقال: لا، وَلاَ كَفّاً مِن تُرَاب. وحلف أنه يضربها مائة سوط، وأمر بأن يبرّ في يمينه {إِنَّا وجدناه صَابِراً} على البلاء الذي ابتليناه {نِعْمَ العبد إِنَّهُ أَوَّابٌ} يعني: مقبل على طاعة ربه. وقال وهب بن منبه: أصاب أيوب البلاء سبع سنين، ومكث يوسف في السجن سبع سنين، ويقال: {إِنَّهُ أَوَّابٌ} لما هلك ماله. قال: كان ذلك من عطاء الله، ولما هلك أولاده قال: {الذين إِذَآ أصابتهم مُّصِيبَةٌ قالوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ راجعون} [البقرة: 156] ولما ابتلي بالنفس قال: إني له. ويقال: واذكر أنت

يا محمد صبر عبدنا أيوب، إذ ضاق صدرك من أذى الكفار، وأمر أمتك ليذكروا صبره، ويعتبروا، ويصبروا.

تفسير الآيات رقم [45- 64]

{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (45) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (46) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (47) وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (48) هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (49) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (50) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (51) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (52) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (53) إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (54) هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (55) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (56) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (57) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (58) هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (59) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (60) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (61) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (62) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (63) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (64)}

ثم قال عز وجل: {واذكر عِبَادَنَا إبراهيم} فجعل العبد نعت إبراهيم خاصة، كأنه قال: واذكر عبدنا قرأ ابن كثير {واذكر عَبْدَنَا} بغير ألف وقرأ الباقون: {عِبَادِنَا} بالألف. فمن قرأ عبدنا فمعناه: {واذكر عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ} فجعل العبد نعتاً لإبراهيم خاصة، فكأنه قال: {واذكر عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ} {و} اذكر {لَهُ إسحاق وَيَعْقُوبَ} ومن قرأ {عِبَادِنَا} يعني: ما بعده مع إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، ويَعْقُوبَ {أُوْلِى الايدى والابصار} يعني: أولي القوة في العبادة، والأبصار. يعني: ذوي البصر في أمر الله تعالى.

قوله عز وجل: {إِنَّا أخلصناهم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار} يعني: اختصصناهم بذكر الله تعالى، وبذكر الجنـة، وليس لهم همّ إلا همّ الآخرة. ويقال: معنـاه واذكـر صـبر إبـراهيم، وصـبر إسحاق، وصبر يعقوب، ولم يـذكر صـبر إسـماعيل لأنـه لم يبتلَ بشيء. قرأ نافع {بِخَالِصَـةٍ} بغـير تنـوين على معـنى الإضـافة. وقـرأ البـاقون مـع التنـوين. وروي عن مالـك بن دينار أنـه قـال: نـزع اللـه مـا في قلـوبهم من حب الـدنيا، وذكرهـا، وقـد أخلصـهم بحب الآخـرة، وذكرهـا. ومن قـرأ {بِخَالِصَةٍ} بالتنوين، جعل قولـه: {ذِكْـرَى الـدار} بـدلاً من خالصة. والمعنى: {إِنَّا أخلصناهم} بذكر الدار، والدار هاهنا دار الآخـرة. يعـني: جعلنـاهم لنـا خالصـين، بـأن جعلنـاهم يكثرون ذكر الدار، والرجوع إلى الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المصـطفين الاخيـار} يعني: المختارين للرسالة، الأخيار في الجنة.

ثم قـال: {واذكـر إسـماعيل} قـال مقاتـل: واذكـر صـبر إسـماعيل، وهـو أشـمويل بن هلفانـا. وقـال غـيره: هـو إسماعيل بن إبراهيم. يعني: اذكر لقومك صـبر إسـماعيل، وصدق وعـده {واليسـع وَذَا الكفـل} واليسـع كـان خليفـة إليـاس، وذا الكفـل كفـل مائـة نـبي أطعمهم، وكسـاهم، {وَكُلٌّ مّنَ الاخيار هـذا ذِكْـرُ} يعـني: هـذا الـذي ذكرنـا من الأنبياء عليهم السلام في هذه السورة {ذُكِرَ} يعـني: بيـان لعظمتـه {وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ} من هـذه الأمـة {لَحُسْـنَ مَئَابٍ} يعني: حسن المرجع.

ثم وصف الجنة فقال عز وجل: {جنـات عَـدْنٍ مُّفَتَّحَـةً لَّهُمُ الابواب} يعني: تفتح لهم الأبواب فيدخلونها. يعـني: الجنـة كما قال تعالى في آية أخـرى: {وَسِـيقَ الـذين اتقـوا رَبَّهُمْ إِلَى الجنة زُمَراً حتى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أبوابهـا وَقَـالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سلام عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادخلوها خالدين} [الزمـر: 73] فإذا دخلوها، وجلسـوا على السـرر، وكـانوا {مُتَّكِئِينَ فِيهَـا

يَدْعُونَ فِيهَا بفاكهة كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ} يعني: ألـوان الفاكهـة، والشـراب {وَعِنـدَهُمْ قاصـرات الطـرف} يعـني: غاضـات أعينهن عن غير أزواجهن {أَتْرَابٌ} يعني: ذات أقـران. أي: مسـتويات على سـن واحـد {هـذا مَـا تُوعَـدُونَ لِيَـوْمِ الحساب} يقول: {إِنَّ هَـذَا} يعـني: إنّ هـذا الثـواب الـذي توعدون بأنه يكون لكم في يوم الحساب.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمر، باليـاء على معـنى الإخبـار عنهم. وقـرأ البـاقون: بالتـاء على معـنى المخاطبـة. يقـول اللـه تعالى: {إِنَّ هذا لَرِزْقُنَا} يعني: إن هذا الذي ذكرنا لعطاؤنا للمتقين {مَـا لَـهُ مِن نَّفَـادٍ} يعـني: لا يكـون لـه فنـاء، ولا انقطـاع عنهم، وهـذا كمـا قـال تعـالى: {لاَّ مَقْطُوعَـةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: 33] ثم قال: {هذا} يعني: هذا الـرزق للمتقين فيتم الكلام عند قوله: {هذا}.

ثم ذكر ما أوعد الكفار فقال عز وجل: {هذا وَإِنَّ للطاغين لَشَرَّ} يعني: للكافرين، لبئس المرجع لهم في الآخرة.

ثم بيّن مرجعهم فقال عز وجـل: {جَهَنَّمُ يَصْـلَوْنَهَا} يعـني: يدخلونها {فَبِئْسَ المهاد} يعني: فبئس موضع القرار {هذا فَلْيَـذُوقُوهُ} يعـني: هـذا العـذاب لهم {فَلْيَـذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّـاقٌ} وهـو مـاء حـار قـد انتهى حـرّه. قـرأ حمـزة والكسائي، وحفص {غسَّاق} بتشديد السين وقرأ الباقون: بـالتخفيف. وعن عاصـم روايتـان. روايـة حفص بالتشـديد، ورواية أبي بكر بالتخفيف. فمن قرأ بالتشديد فهـو بمعـنى سـيال، وهـو مـا يسـيل من جلـود أهـل النـار. ومن قـرأ بالتخفيف جعلـه مصـدر غسـق يغسـق غسـاقاً. أي: سـال. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، أنهمـا قـرآ {غسـاق} بالتشديد، وفسـراه بـالزمهرير. وقـال مقاتـل: {الغسـاق} البارد الذي انتهى برده. وقال الكلبي: الحميم هو مـاء حـار قد انتهى حره. وأما غساق فهو الزمهرير يعني: برد يحـرق كمـا تحـرق النـار وقـال بعضـهم: الغسـاق: المنتن بلفـظ

الطحاوية ثم قال عــز وجــل: {وَغَسَّـاقٌ وَءاخَـرُ مِن شَـكْلِهِ أزواج} يعني وعذاب آخر من نحوه يعـني من نحـو الحميم والزمهرير. قرأ أبو عمر، وابن كثـير، في إحـدى الروايـتين {وَءاخَرُ مِن شَكْلِهِ} بضـم الألـف. وقـرأ البـاقون: {وَأُخَّرَ} بالنصـب فمن قـرأ بالضـم فهـو لفـظ الجماعـة، ومعنـاه: وأنواع أخر ومن قرأ: {وَأُخَّرَ} بنصب الألف بلفـظ الواحـد، يعــني: وعــذاب آخــر من شــكله أي: مثــل عذابــه الأول {أزواج} يعــني: ألــوان {هـذا فَـوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ} يعـني: جماعـــة داخلـــة معكم النـــار. يقـــال: اقتحم إذا دخـــل في المهالـك، وأضـلوا الـدخول. تقـول الخزنـة للقـادة: وهـذه جماعــة داخلــة معكم النــار، وهم الأتبــاع {لاَ مَرْحَبــاً بِهِمْ} يعني: لا وسـع اللـه لهم {إِنَّهُمْ صَـالُو النـار} يعـني: داخـل النار معكم فــردت الأتبــاع على القــادة {قَـالُواْ بَـلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَباً بِكُمْ} يعني: لا وسع الله عليكم {أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا} يعــني: أســلفتموه لنــا، وبــدأتم بــالكفر قبلنــا، فاتبعنــاكم {فَبِئْسَ القرار} يعني: بئس موضع القرار في النار.

قوله عز وجل: {قَالُواْ رَبَّنَـا مَن قَـدَّمَ لَنَـا هـذا} الأمـر هـذا الذي كنا فيه {فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِى النار وَقَالُواْ مَـا لَنَـا لاَ نـــرى رِجَـــالاً كُنَّاَ نَعُـــدُّهُمْ مّنَ الاشـــرار} يعـــني: فقـــراء المسلمين.

قوله عز وجل: {أتخذناهم سِخْرِيّاً} قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو، {سِخْرِيّاً أتخذناهم} بالوصل.

وقرأ الباقون: بالقطع فمن قـرأ بـالقطع، فهـو على معـنى الإســتفهام بــدليل قولــه: {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الابصــار} لأن {أَمْ} تدل على الاستفهام. ومن قرأ: بالوصل، فمعناه: أنـا {أتخذناهم سِخْرِيّاً} وجعل {أَمْ} بمعـنى بـل. وقـرأ حمـزة والكسائي ونـافع {سِـخْرِيّاً} بضـم السـين. وقـرأ البـاقون بالكسر. قال القتبي: فمن قرأ بالضم، جعله من السـخرة.

يعني: تستذلهم. ومن قرأ بالكسر فمعناه إنا كنا نسخر منهم.
ثم قال: {أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الابصار} يعني: مالت، وحادت أبصارنا عنهم، فلا نراهم. قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النار} يعني: يتكلم به أهل النار ويتخاصمون فيما بينهم.

تفسير الآيات رقم [65- 69]

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (65) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (66) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (67) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (68) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (69)}
{قُلْ} يا محمد {إِنَّمَا أَنَاْ مُنذِرٌ} يعني: رسول أخوفكم عذاب الله تعالى، وأبيّن لكم، أن الله تعالى واحد {وَمَا مِنْ إله إِلاَّ الله الواحد القهار} يعني: قاهر لخلقه {رَب السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا العزيز} بالنقمة {الغفار} للمؤمنين.
قوله عز وجل: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} يعني: القرآن حديث عظيم، لأنه كلام رب العالمين {أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} يعني: تاركون، فلا تؤمنون به. وقال الزجاج: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} يعني: قل إن النبأ الذي أنبأتكم عن الله عز وجل {نَبَأٌ عَظِيمٌ} فيه دليل نبوتي مما ذكر فيه من قصة آدم عليه السلام، فإن ذلك لا يعرف إلا بوحي، أو بقراءة كتب، ولم يكن قرأ الكتب.
ثم قال: {مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بالملإ الاعلى} يعني: الملائكة عليهم السلام {إِذْ يَخْتَصِمُونَ} يعني: يتكلمون حين قالوا: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدماء

وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إني أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 30] وإنما عرفت ذلك بالوحي.

▲ تفسير الآيات رقم [70- 88]

{إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (86) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (87) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (88)}

{إِن يوحى إِلَىَّ} يعني: ما يوحي إليَّ {إِلاَّ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} إلاّ أنا رسول بيّن.

ثم قال عز وجل: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكة إِنّى خالق بَشَراً مّن طِينٍ} يعني: آدم {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ} يعني: جمعت خلقه {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى} يعني: وجعلت الروح فيه {فَقَعُواْ لَهُ ساجدين} يعني: اسجدوا له {فَسَجَدَ الملائكة كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} يعني: سجدوا كلهم دفعة واحدة {إِلاَّ إِبْلِيسَ} أبى عن السجود {استكبر وَكَانَ مِنَ الكافرين} يعني: وصار من الكافرين {قَالَ يَا إِبْلِيسَ} ما منعك يعني: يا خبيث {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ} يعني: الذي خلقته بيدي قال بعضهم نؤمن بهذه الآية ونقرؤها،

ولا نعـرف تفسـيرها. يعـني: قولـه: {بِيَـدَىَّ} يعـني: الـذي خلقت بيدي. وقال بعضهم: تفسيرها كما قال اللـه تعـالى: {خَلَقْتَهُ بِيَدَىَّ}. ولا نفسر اليد. ونقول: يد لا كالأيدي. وهذا قول أهل السـنة والجماعـة. وقـال بعضـهم: نفسـرها بمـا يليق من صفات الله تعالى. يعـني: خلقـه بقدرتـه، وقوتـه، وإرادته. فإن قيل: قد خلـق اللـه عـز وجـل سـائر الأشـياء بقوته، وقدرته، وإرادته. فمـا الفائـدة في التخصـيص هنـا؟ قيل له: قد ذكر اليـد في خلـق سـائر الأشـياء أيضـا، وهـو قولـه: {أَوَلَمْ يَـرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَـا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْـدِينَآ أنعامـا فَهُمْ لَهَا مالكون} [يس: 71] ويقـال: {لِمَـا خَلَقْتُ بِيَـدَىَّ} أي: بقــوتي. قــوة العلم، وقــوة القــدرة. ويقـال: {خَلَقْتَـهُ بِيَدَىَّ} أي: بماء السماء، وتراب الأرض، كقولـه: {إِنَّ مَثَـلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَـهُ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران: 59] وكما قال عليه السـلام: «خَلَـقَ الله تَعَالَى الخَلْقَ مِنْ مَاءٍ» وروي عن عبد الله بن مسـعود أنه قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف لكـل حـرف منهـا ظهر وبطن. وكذلك الأخبار قد جاء فيها أيضـاً مـا لـه ظهـر وبطن. وروي عن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قال: «لاَ تَقُولُـوا فَلاَنٌ قَبِيح فَـإِن اللـه عـز وجـل خلـق آدم عَلَى صُورَتِهِ». ومن قال: إن لله تعالى صورة كصـورة آدم فهــو كــافر، ولكن المعــنى في الخــبر، مــا روي عن بعض المتقدمين أنه قال: إن الله تبارك وتعالى اختار من الصور صورة، وخلق آدم عليه السـلام بتلـك الصـورة، فمن ذلـك قال: «إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوَرتِهِ» أي: على تلك الصورة التي اختارها الله. روى شبل عن ابن كثير أنه قرأ: {بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ} موصولة الألـف، وقـراءة العامـة بقطـع الألف على الاستفهام، بدليل قوله عز وجل: {أَمْ كُنتَ مِنَ العالين} ومن قرأ موصولة، فهو على معنى الوجوب.

وتكون {أَمْ} بمعنى بل، {أَسْتَكْبَرْتَ} يعني: تعظمت عن السجود {أَمْ كُنتَ مِنَ العالين} يعني: بل كنت من العالين، من المخالفين لأمري. {قَالَ} إبليس: {أَنَاْ خَيْرٌ مّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}.

قوله عز وجل: {قَالَ فاخرج مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إلى يَوْمِ الدين قَالَ رَبّ فَأَنظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المنظرين إلى يَوْمِ الوقت المعلوم} وقد ذكرناه من قبل {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المخلصين قَالَ فالحق والحق أَقُولُ} يقال: معناه قولي الحق. وأقول: الحق. قرأ حمزة وعاصم {فالحق} بالضم القاف. وقرأ الباقون، واتفقوا في الثاني أنه بالنصب. فمن قرأ بالضم فمعناه: أنا الحق، والحق أقول. ويقال: فمعناه: فالحق مني، والحق أقول. ويقال: معناه فقولنا الحق، وأقول الحق {لاَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ومن قرأ بالنصب فهو على معنى الإغراء. يعني: الزموا الحق، واتبعوا الحق.

ثم قال: {والحق أَقُولُ} يعني: وأقول الحق كقوله عز وجل: {والذين ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات سَنُدْخِلُهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَآ أَبَداً وَعْدَ الله حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً} [النساء: 122].

ثم قال عز وجل: {لاَمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} يعني: من ذريتك، وممن تبعك في دينك. {قُلْ} يا محمد {مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} يعني: على الذي أتيتكم به من القرآن من أجر، ولكن أعلمكم بغير أجر {وَمَا أَنَا مِنَ المتكلفين} يعني: ما أتيتكم به من قبل نفسي، وما تكلفته من تلقاء نفسي، {إِنْ هُوَ} يعني: ما هذا القرآن {إِلاَّ ذِكْرٌ للعالمين} يعني: إلا عظة للجن، والإنس، {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينِ} يعني: خبر هذا القرآن

أنه حق بعد حين. يعني: بعد الموت. ويقـال: بعـد الإسـلام. ويقال: بعد ظهور الإسلام، والله أعلم بالصواب.

سورة الزمر

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (3) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (4) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)}

قول الله تبارك وتعالى: {تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله} يعني: القرآن صار رفعاً بالابتداء، وخبره من الله تعالى. أي: نزل الكتاب من عند الله {العزيز} بالنقمة {الحكيم} في أمره. ومعناه: نزل جبريل بهذا القرآن من عند الله {العزيز الحكيم} وقال بعضهم: صار رفعاً لمضمر فيه. ومعناه: هذا الكتاب تنزيل.

قوله تعالى: {إِنَّا أنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب} يعني: أنزلنا إليك جبريل بالكتاب {بالحق} {فاعبد الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين} يعني: استقم على التوحيد، وعلى عبادة الله تعالى مخلصاً، وإنما خاطبه، والمراد به قومه. يعني: وحدوا الله تعالى، ولا تقولوا مع الله شريكاً.

ثم قال: {أَلاَ لِلَّهِ الدين الخالص} يعني: له الولاية، والوحدانية. ويقال: له الدين الخالص، والخالص هو دين

الإسلام. فلا يقبل غيره من الأديـان، لأن غـيره من الأديـان ليس هو بخالص سوى دين الإسلام.
قوله عز وجل: {والـذين اتخـذوا مِن دُونِـهِ أَوْلِيَـاء} يعـني: عبـدوا من دونـه أربابـاً، وأوثانـاً، {مَـا نَعْبُـدُهُمْ} على وجـه الإضمار. قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ} يعـني: يقولـون مـا نعبـدهم. وروي عن عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، أنهمـا كانـا يقرآن {والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} قالوا: {مَا} بالياء، وقـراءة العامـة مَـا نَعْبُـدُهُمْ} على وجـه الإضـمار، لأن في الكلام دليلاً عليـه {نَعْبُـدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَـا إِلَى اللـه زُلْفَى} يعني: ليشفعوا لنا، ويقربونـا عنـد اللـه. ويقـال: {لِيُقَرِّبُونَـا إِلَى الله زُلْفَى} يعني: منزلة.
يقـول اللـه تعـالى: {إِنَّ اللـه يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ} يعـني: يقضـي بينهم يوم القيامة {فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من الدين.
ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى} أي: لا يرشد إلى دينه {مَنْ هُـوَ كـاذب كَفَّارٌ} في قولـه: الملائكـة بنـات اللـه وعيسـى ابن اللـه {كَفَّارٌ} يعـني: كفـروا باللـه بعبـادتهم إياهم. ويقال: معناه لا يوفق لتوحيـده من هـو كـاذب على الله، حتى يترك كذبه، ويرغب في دين اللـه. {لَّوْ أَرَادَ اللـه أن يَتَّخِـذَ وَلَـداً} كمـا قلتم {لاصـطفى} يعـني: لاختـار من الولد {مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء} من خلقه إن فعل ذلك.
ثم قال: {سـبحانه} نـزه نفسـه عن الولـد، وعن الشـرك، {هُوَ الله الواحد القهار} يعني: الذي لا شريك له {القهار} يعني: القاهر لخلقه.
ثم بيّن ما يدل على توحيده، ويعجز عنه المخلوقون. قولـه عز وجل: {خُلِقَ السموات والارض بالحق} يعـني: للحـق، ولم يخلقهما باطلاً لغـير شـيء {يُكَـوّرُ اليـل عَلَى النهـار} قال مجاهد: يعني: يدهور الليل على النهار {وَيُكَـوّرُ النهـار عَلَى اليـل} يعـني: يـدور النهـار على الليـل. وقـال مقاتـل

{يُكَوِّرُ} يعني: يسلط عليه، وهو انتقاص كـل واحـد منهمـا من صاحبه.
وقال الكلبي: {يُكَـوِّرُ} يعـني: يزيـد من النهـار في الليـل، فيكون اللَّيل أطول من النهار، ويزيد من الليل في النهــار، فيكون النهار أطـول من الليـل. هـذا يأخـذ من هـذا، وهـذا يأخذ من هذا. وقال القتبي {يُكَوِّرُ} يعني: يدخل هــذا على هذا. وأصل التكوير اللف، والجمع، ومنه كور العمامة ومنه قوله: {إِذَا الشمس كُوِّرَتْ} [التكـوير: 1] {وَيُكَـوِّرُ النهـار عَلَى اليل} {وَسَخَّرَ الشـمس والقمـر} يعـني: ذلـل ضـوء الشمس، والقمر، للخلق {كُلٌّ يَجْرِى لاِجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: إلى أقصــى منازلــه. ويقــال: إلى يــوم القيامــة. {إِلاَّ هُــوَ العزيز} يعـني: {العزيـز} بالنقمـة لمن لم يتب {الغفـار} لمن تاب. ويقـال: {العزيـز} في ملكـه. {الغفـار} لخلقـه بتأخير العذاب.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 7]

{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَـا وَأَنْـزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُـونِ أُمَّهَـاتِكُمْ خَلْقًـا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ فَـأَنَّى تُصْـرَفُونَ (6) إِنْ تَكْفُـرُوا فَـإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْـكُرُوا يَرْضَـهُ لَكُمْ وَلَا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَـرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَـا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)}
قولـه عـز وجـل: {خَلَقَكُمْ مّن نَّفْسٍ واحـدة} يعـني: من نفس آدم عليـه السـلام {ثُمَّ جَعَـلَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا} حــواء {وَأَنــزَلَ لَكُمْ مّنَ الانعــام ثمانيــة أزواج} يعــني: ثمانيــة أصــناف. وقـد فسـرناه في سـورة الأنعـام {يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أمهاتكم خَلْقاً مّن بَعْدِ خَلْقٍ} يعني: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، حالاً بعد حـال، {فِى ظلمـات ثلاث} أي: ظلمـة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وهو الـذي يكـون

فيه الولد في الرحم، فتخرج بعد ما يخرج الولد، {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: الذي خلق هذه الأشياء هو ربكم، {لَهُ الملك لا إله إِلاَّ هُوَ فأنى تُصْرَفُونَ} يعني: من أين تكذبون على الله، ومن أين تعدلون عنه إلى غيره؟ فاعلموا، أنه خالق هذه الأشياء.

ثم قال: {إِن تَكْفُرُواْ} يعني: إن تجحدوا وحدانيته، {فَإِنَّ اللـه غَنِيٌّ عَنكُمْ} يعني: عن إقراركم، وعبادتكم، {وَلاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر} قال الكلبي: يعني: ليس يرضى من دينه الكفر. ويقال: {لاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر} وهو ما قاله لإبليس: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان. ويقال: {لاَ يرضى لِعِبَادِهِ الكفر} يعني: بشيء من عبادة الكفار {وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ} يعني: إن تؤمنوا بالله، وتوحدوه، يرضه لكم. يعني: يقبله منكم، لأنه دينه، {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى} يعني: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، {ثُمَّ إِلَى رَبّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ} يعني: مصيركم في الآخرة {فَيُنَبّئُكُمْ} يعني: فيخبركم، {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من خير، أو شر، فيجازيكم، {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: عالم بما في ضمائر قلوبهم.

تفسير الآيات رقم [8- 10]

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)}

ثم قال: {وَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ} يعني: إذا أصاب الكافر شدة في جسده، {دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ} يعني: مقبلاً إليه بدعائه {ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مّنْهُ} قال مقاتل يعني: أعطاه، وقال الكلبي: يعني: بدله عافية مكان البلاء {نَسِىَ} ترك الدعاء {مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ} ويتضرع به، {وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً} يعني: يصف لله شريكاً، {لّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ}. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، {لِيُضِلَّ} بنصب الياء، وهو من ضل يضل. يعني: ترك الهدى. وقرأ الباقون: {لِيُضِلَّ} بالضم. يعني: ليضلّ الناس. ويقال: ليضل نفسه بعبادة غير الله، ويصرفهم عن سبيل الله. يعني: عن دين الله {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً} يعني: عش في الدنيا مع كفرك قليلاً {إِنَّكَ مِنْ أصحاب النار} يعني: من أهل النار.

قوله عز وجل: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَاء اليل ساجدا وَقَائِماً} وأصل القنوت هو القيام. ثم سمي المصلي قانتاً، لأنه بالقيام يكون. ومعناه: أمن هو مصل كمن لا يكون مصلياً على وجه الإضمار. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ القَانِتِ القَائِمِ» يعني: المصلي القائم. قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة، {مِن} بالتخفيف. وقرأ الباقون: بالتشديد. فمن قرأ: بالتخفيف، فقد روي عن الفراء أنه قال: معناه يا من هو قانت. كما تقول في الكلام: فلان لا يصوم، ولا يصلي، فيا من يصلي، ويصوم، أبشر. فكأنه قال: يا من هو قانت أبشر. ومن قرأ: بالتشديد. فإنَّه يريد به معنى الذي. ومعناه: الذي هو من أصحاب النار. فهذا أفضل أم الذي هو قانت آناء الليل. يعني: ساعات الليل في الصلاة، ساجداً، وقائماً في الصلاة، {يَحْذَرُ الاخرة} يعني: يخاف عذاب الآخرة، {مِن رَّحْمَةِ رَبّهِ} يعني: مغفرة الله تعالى {قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ} وهم المؤمنون، {والذين لاَ يَعْلَمُونَ} وهم الكفار في الثواب، والطاعة. ويقال: {قُلْ

هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ} يعني: يصدقون بما وعد الله في الآخرة من الثواب، {والذين لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون. ويقال: معناه قل هل يستوي العالم والجاهل. فكما لا يستوي العالم والجاهل، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الالباب} يعني: يعتبر في صنعي، وقدرتي من له عقل، وذهن.

قوله عز وجل: {قُلْ ياعباد الذين كَفَرُواْ} يعني: أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، {اتقوا رَبَّكُمُ} يعني: اخشوا ربكم في صغير الأمور، وكبيرها، واثبتوا على التوحيد.

ثم قال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هذه الدنيا حَسَنَةٌ} يعني: لمن عمل بالطاعة في الدنيا حسنة، له الجنة في الآخرة.

ويقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ} يعني: شهدوا أن لا إله إلا الله في الدنيا حسنة. يعني: لهم الجنة في الآخرة. ويقال: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ} أي: ثبتوا على إيمانهم فلهم الجنة.

قوله: {وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ} قال مقاتل: يعني: الجنة واسعة. وقال الكلبي: {وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ} يعني: المدينة، فتهاجروا فيها. يعني: انتقلوا إليها، واعملوا لآخرتكم، {إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ} يعني: هم الذين يصبرون على الطاعة لله في الدنيا، جزاؤهم، وثوابهم على الله، {بِغَيْرِ حِسَابٍ} يعني: بلا عدد، ولا انقطاع.

وروى سفيان عن عبد الملك بن عمير، عن جندب بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ». قال سفيان لما نزل {مَن جَآءَ بالحسنة فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بالسيئة فَلاَ يجزى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [الأنعام: 160] قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي». فنزل: {مَّثَلُ الذين يُنفِقُونَ أموالهم فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ والله يضاعف لِمَن يَشَآءُ والله واسع عَلِيمٌ} [البقرة: 261] قال: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي»

فنزل {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً والله يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: 245] فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رَبِّ زِدْ أُمَّتِي» فنزل: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصابرون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تفسير الآيات رقم [11- 20]

{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (11) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (12) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (20)}

قوله عز وجل:

{قُلْ إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين} وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله، وملة جدك عبد المطلب، وسادات قومك يعبدون الأصنام؟ فنزل: {قُلْ} يا نبي الله {إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ الله مُخْلِصاً لَّهُ الدين} يعني: التوحيد، {وَأُمِرْتُ لاِنْ أَكُونَ أَوَّلَ المسلمين} من أهل بلدي {قُلْ إِنّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبّى} وعبدت غيره، ينزل علي {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} أي: في يوم القيامة {قُلِ الله أَعْبُدُ}

يعني: أعبد الله {مُخْلِصاً لَّهُ دِينِى} أي: توحيدي. {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ} من الآلهة. وهذا كقوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ} [الكافرون: 6] ويقال: {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ} لفظه لفظ التخبير والأمر، والمراد به التهديد والتخويف، كقوله: {اعملوا مَا شِئْتُم مِن دُونِهِ} وكقوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً} ويقال: قد بيّن الله ثواب المؤمنين، وعقوبة الكافرين. ثم قال: {فاعبدوا مَا شِئْتُمْ مّن دُونِهِ} وذلك قبل أن يؤمر بالقتال، فلما أيسوا منه أن يرجع إلى دينهم، قالوا: خسرت إن خالفت دين آبائك. فقال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ الخاسرين الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القيامة} يعني: أنتم الخاسرون، لا أنا. ويقال: الذين خسروا أنفسهم بفوات الدرجات، ولزوم الشركات، {أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الخسران المبين} يعني: الظاهر حيث خسروا أنفسهم، وأهلهم، وأزواجهم، {لَهُمْ مّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مّنَ النار} يعني: أطباقاً من نار، {وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} يعني: مهاداً من نار، أو معناه: أن فوقهم نار، وتحتهم نار، {ذلك يُخَوّفُ الله بِهِ عِبَادَهُ} أي: ذلك الذي ذكر، يخوف الله به عباده في القرآن، لكي يؤمنوا.

{قَلِيلاً وإياى فاتقون}: أي: فوحدون، وأطيعون، {والذين اجتنبوا الطاغوت} قال مقاتل: يعني: اجتنبوا عبادة الأوثان. وقال الكلبي: {الطاغوت} يعني: الكهنة {أن يَعْبُدُوهَا} يعني: أن يطيعوها، ورجعوا إلى عبادة ربهم {وَأَنَابُواْ إِلَى الله} أي: أقبلوا إلى طاعة الله. ويقال: رجعوا من عبادة الأوثان إلى عبادة الله {لَهُمُ البشرى} يعني: الجنة. ويقال: الملائكة يبشرونهم في الآخرة، {فَبَشّرْ عِبَادِ الذين يَسْتَمِعُونَ القول} يعني: القرآن {فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} يعني: يعملون بحلاله، وينتهون عن حرامه، وقال الكلبي: يعني: يجلس الرجل مع القوم، فيستمع الأحاديث، محاسن ومساوئ، فيتبع أحسنه، فيأخذ

المحاسن، فيحدث بها، ويدع مساوئه. ويقال: يستمعون القرآن ويتبعون أحسن ما فيه، وهو القصاص، والعفو يأخذ العفو لقوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصابرين} [النحل: 126]، [وقال بعضهم: يستمع النداء، فيستجيب، ويسرع إلى الجماعة.

وقال بعضهم: يستمع الناسخ، والمنسوخ، والمحكم من القرآن، فيعمل بالمحكم، ويؤمن بالناسخ والمنسوخ].

ثم قال: {أَوْلَئِكَ الذين هَدَاهُمُ الله} أي: وفقهم الله لمحاسن الأمور. ويقال: {هَدَاهُمُ الله} أي: أكرمهم الله تعالى بدين التوحيد {وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُو الالباب} يعني: ذوي العقول.

قوله عز وجل: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العذاب} يعني: وجب له العذاب. ويقال: أفمن سبق في علم الله تعالى أنه في النار، كمن لا يجب عليه العذاب. {أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى النار} يعني: تستنقذ من هو في علم الله تعالى، أنه يكون في النار بعمله الخبيث. ويقال: من وجبت له النار: وقدرت عليه.

ثم ذكر حال المؤمنين المتقين فقال عز من قائل: {لَكِنِ الذين اتقوا رَبَّهُمْ} يعني: وحدوا ربهم، وأطاعوا ربهم، {لَهُمْ غُرَفٌ مّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ} في الجنة، وهي العلالي. غرف مبنية، مرتفعة بعضها فوق بعض، {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَعْدَ الله} في القرآن، {لاَ يُخْلِفُ اللَه الميعاد}.

تفسير الآيات رقم [21- 26]

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (24) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25) فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (26)}

قوله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أنزَلَ مِنَ السماء مَاء فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الارض} أي: فأدخله في الأرض فجعله ينابيع. يعني: عيوناً في الأرض تنبع. ويقال: {فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الارض} يعني: جارياً في الأرض، وهي تجري فيها. ويقال: جعل فيها أنهاراً وعيوناً {ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ} أحمر، وأصفر، وأخضر، {ثُمَّ يَهِيجُ} أي: يتغير {فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً} أي: يابساً بعد الخضرة. ويقال: {ثُمَّ يَهيجُ} يعني: ييبس. ويقال: {يَهيجُ} أي: يتم، ويشتد من هاج يهيج. أي: تم يتم {فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً} متغيراً عن حاله، {ثُمَّ يَجْعَلُهُ حطاما} قال القتبي: {حطاما} مثل الرفات، والفتات. وقال الزجاج: الحطام ما تفتت، وتكسر من النبت. وقال مقاتل: {حطاما} يعني: هالكاً {إِنَّ فِى ذَلِكَ لذكرى} أي: فيما ذكر لعظة {لاِوْلِى الالباب} يعني: لذوي العقول من الناس {أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ للإسلام} يعني: وسع الله قلبه للإسلام. ويقال: لين الله قلبه لقبول التوحيد، {فَهُوَ على نُورٍ مّن رَّبّهِ} يعني: على هدى من الله تعالى. وجوابه مضمر. يعني أفمن شرح الله صدره للإسلام، واهتدى، كمن طبع على قلبه، وختم على قلبه فلم يهتد. ويقال: {فَهُوَ على نُورٍ مّن رَّبّهِ} يعني: القرآن. لأن فيه بيان الحلال والحرام. فهو على نور من ربه لمن تمسك به. ويقال: على نور يعني: التوحيد، والمعرفة.

وروي في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية: {أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ للإسلام} قالوا: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا دَخَلَ النُّورُ فِي القَلْبِ انْفَسَحَ، وَانْشَرَحَ». قالوا: فهل لذلك علامة؟ قال: «نَعَمْ. التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، وَالإنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ». ثم قال: {فَوَيْلٌ} يعني: الشدة من العذاب {للقاسية قُلُوبُهُمْ} يعني: لمن قست، ويبست قلوبهم، {مِّن ذِكْرِ الله} تعالى. ويقال: القاسية. الخالية من الخير، {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة {فِى ضلال مُّبِينٍ} أي: في خطأ بيّن.

قوله عز وجل: {الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث} يعني: أحكم الحديث، وهو القرآن. وذلك أن المسلمين قالوا لبعض مؤمني أهل الكتاب، نحو عبد الله بن سلام: أخبرنا عن التوراة، فإن فيها علم الأولين والآخرين. فأنزل الله تعالى: {الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث} يعني: أنزل عليكم أحسن الحديث، وهو القرآن. ويقال: {أَحْسَنَ الحديث} يعني: أحسن من سائر الكتب، لأن سائر الكتب صارت منسوخة بالقرآن، {كتابا متشابها} يعني: يشبه بعضه بعضاً، ولا يختلف. ويقال: {متشابها} يعني: موافقاً لسائر الكتب في التوحيد، وفي بعض الشرائع.

وروي عن الحسن البصري أنه قال: {متشابها} يعني: خياراً لا رذالة فيه. ويقال: {متشابها} اشتبه على الناس تأويله.

ثم قال: {مَّثَانِيَ} يعني: أن الأنباء، والقصص، تثنى فيه. ويقال: سمي مثاني، لأن فيه سورة المثاني. يعني: سورة الفاتحة {الحمد للَّهِ رَبّ العالمين}.

ثم قال: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ} يعني: ترتعد مما فيه من الوعيد، {جُلُودُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}. ويقال: {تَقْشَعِرُّ مِنْهُ} يعني: تتحرك مما في القرآن من الوعيد. ويقال: ترتعد منه

الفــرائض. {ثُمَّ تَلِينُ جُلُــودُهُمْ وَقُلُــوبُهُمْ} يعــني: بعــد الاقشعرار {إِلى ذِكْـرِ اللـه} من آيـة الرحمـة، والمغفـرة. يعني: إذا قرأت آيـات الرجـاء، والرحمـة، تطمئن قلـوبهم، وتسكن، {ذلك} يعني: القـرآن {هُـدَى اللـه يَهْـدِي بِـهِ مَن يَشَاء} يعـني: بـالقرآن من يشـاء اللـه أن يهديـه إلى دينـه {وَمَن يُضْلِلِ الله} عن دينـه {فَمَـا لَـهُ مِنْ هَـادٍ} يعـني: لا يقدر أحد أن يهديه، بعد خذلان الله تعالى.

قوله عز وجل: {أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُـوء العـذاب} يعـني: أفمن يـدفع بوجهـه شـدة سـوء العـذاب، وجوابـه مضـمر. يعني: هل يكون حاله كحال من هو في الجنة. يعـني: ليس الضال الذي تصل النار إلى وجهه، كالمهتدي الذي لا تصــل النار إلى وجهه، ليسا سواء. وقال أهل اللغة: أصل الاتقــاء في اللغة، الإوتقـاء، وهـو التسـتر. يعـني: وجهـه إلى النـار كالـذي لا يفعـل ذلـك بـه. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهـد قال: {أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوء العـذاب} يعـني: يجـر على وجهه في النار، وهذا كقوله: {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فِى ءاياتنا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يلقى فِى النار خَيْرٌ أَم مَّن يأتى ءَامِناً يَـوْمَ القيامـة اعملـوا مَـا شِـئْتُمْ إِنَّهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ} [فصلت: 40] ويقال: {أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِـهِ سُـوء العـذاب} معناه: أنه يلقى في النار مغلولاً، لا يتهيأ لـه أن يتقي النـار إلا بوجهه، {يَوْمَ القيامة وَقِيلَ لِلظَّلِمِينَ} يعني: للكـافرين، {ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} من التكذيب.

قوله عز وجـل: {كَـذَّبَ الـذين مِن قَبْلِهِمْ} يعـني من قبـل قومك، رسـلهم، {فأتـاهم العـذاب مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْـعُرُونَ} يعني: لا يعلمـون، ولا يحتسـبون، وهم غـافلون. {فَـأَذَاقَهُمُ اللـه الخـزى} العـذاب {فَـأَذَاقَهُمُ اللـه الخـزى فِى الحيـاةْ الدنيا} يعني: أعظم ممـا عـذبوا بـه في الـدنيا {لَـوْ كَـانُواْ يَعْلَمُونَ} ولكنهم لا يعلمون.

▲ تفسير الآيات رقم [27- 31]

{وَلَقَدْ ضَـرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُـرْآَنِ مِنْ كُـلِّ مَثَـلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27) قُرْآَنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُـرَكَاءُ مُتَشَاكِسُـونَ وَرَجُلًا سَـلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُــونَ (29) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (31)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ ضَـرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هـذا القـرءان مِن كُلِّ مَثَلٍ} يعني: بيّنا في هذا القـرآن من كـل شـيء. وقـد بيّن بعضـــه مفســـراً، وبعضـــه مبهمـــاً مجملاً، {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} أي: لكي يتعظوا {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} يعـني: أنزلنـاه قرآنـاً عربيـاً بلغـة العـرب {غَيْـرَ ذِى عِـوَجٍ} يعـني: ليس بمختلف، ولكنه مستقيم. ويقال: غـير ذي تنـاقض. ويقـال: غير ذي عيب. ويقال: {غَيْـرَ ذِى عِـوَجٍ} أي: غـير مخلـوق. قال أبو الليث رحمه الله: حدثنا محمد بن داود. قال: حدثنا محمد بن أحمد بإسناده. قال: حدثنا أبو حاتم الــداري، عن سـليمان بن داود العتكي، عن يعقـوب بن محمـد بن عبـد الله الأشـعري، عن جعفـر بن أبي المغـيرة، عن سـعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: في قوله تعالى: {قُرْءاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ} قال: غير مخلوق {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُـونَ} أي: لكي يتقوا الشركَ {ضَرَبَ الله مَثَلاً} أي: بيّن شـبهاً {رَّجُلاً فِيـهِ شُرَكَاء متشاكسون} أي: عبداً بين موالي مختلفين يأمره، هـذا بـأمر، وينهـاه هـذا عنـه. ويقـال: {متشاكسـون} أي: مختلفـون، يتنـازعون، {وَرَجُلاً سَـلَماً لّرَجُـلٍ} أي: خالصـاً لرجـل لا شـركة فيـه لأحـد. قـرأ ابن كثـير، وأبـو عمـر، {سَالِماً} بالألف، وكسر اللام. والباقون {قِيلاً سلاما} بغير ألف، ونصب السين. فمن قـرأ: سَـالِماً فهـو اسـم الفاعـل على معنى سلم، فهو سـالم. ومعنـاه: الخـالص. ومن قـرأ {سلاما} فهو مصدر. فكأنـه أراد بـه رجلاً ذا سـلم لرجـل. ومعنى الآية: هل يستوي من عبد آلهـة مختلفـة، كمن عبـد

ربــاً واحــداً. وقــال قتــادة: الرجــل الكــافر، والشــركاء الشياطين، والآلهة، وَرَجُلاً سَلَماً. المؤمن يعمل للـه تعـالى وحـده. وقـال بعضـهم: هـذه المثـل للـراغب، والزاهـد. فالراغب شغلته أمور مختلفة، فلا يتفرغ لعبـادة ربـه. فـإذا كان في العبادة، فقلبه مشغول بها، والزاهد قد يتفـرغ عن جميع أشـغال الـدنيا، فهـو يعبـد ربـه خوفـاً وطمعـاً، {هَـلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً} يعني: عنده في المنزلة يوم القيامة.

{الحمـد للّهِ} قـال مقاتـل: {الحمـد للّهِ} حين خصـهم. ويقـال: {الحمـد للّهِ} على تفضـيل من اختـاره، على من اشتغل بما دونـه. ويقـال: يعـني: قولـوا الحمـد للـه، {بَـلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُـونَ} أَنَّ عبادة رب واحـد، خـير من عبـادة أربـاب شـتى. ويقـال: {لاَّ يَعْلَمُـونَ} أنهمـا لا يسـتويان. ويقـــال: {لاَّ يَعْلَمُـــونَ} توحيـــد ربهم. {إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ} ذلـك أن كفـار قـريش قـالوا: {أَمْ يَقُولُـونَ شَـاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون} [الطور: 30]، يعني: ننتظر مـوت محمد عليه السلام فنزل: {إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ} يعني: أنت سـتُموت، وهم سـيموتون. ويقـال: {إِنَّكَ مَيّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيّتُونَ} يعني: إنك لميت لا محالة، وإنهم لميتون لا محالة، والشيء إذا قرب من الشيء سمي باسمه.

فالخلق كلهم إذا كانوا بقرب من الموت، فكل واحـد منهم يموت لا محالة، فسماهم ميتين.

{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} أي: تتكلمـون بحججكم. الكافر مع المؤمن، والظالم مع المظلـوم. فـإن قيل: قد قال في آية أخرى: {قَـالَ لاَ تَخْتَصِـمُواْ لَـدَىَّ وَقَـدْ قَـدَّمْتُ إِلَيْكُم بالوعيـد} [ق: 28] قيـل لـه: إن في يـوم القيامة ساعات كثيرة، وأحوالها مختلفة، مـرة يختصـمون، ومرة لا يختصمون. كما أنه قال: فهم لا يتسـاءلون، وقـال في آيـة أخـرى: {وَأَقْبَـلَ بَعْضُـهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَـآءَلُونَ} [الصافات: 27] يعـني: في حـال يتسـاءلون، وفي حـال لا

يتساءلون، وهذا كما قال في موضع آخر: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ} [الرحمن: 39] وقال في آية أخرى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر: 92] وكما قال في آية أخرى: لا يتكلمون، وفي آية أخرى أنهم يتكلمون، ونحو هذا كثير في القرآن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لاَ تَزَال الخُصومَة بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتى تَتَخَاصَم الرُّوح والجَسَد، فَيَقُول الجَسَد: إِنَّمَا كُنْتُ بِمَنْزِلَةِ جِذعٍ مُلْقَى، لاَ أَسْتَطِيع شَيْئاً. وَتَقُولُ الرُّوح: إِنَّمَا كُنْتُ رِيحاً، لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ شَيْئاً. فَضُرِبَ لَهُما مَثَلُ الأَعْمَى والمُقْعَد، فَحَمَلَ الأَعْمَى المُقْعَد، فَيَدُلَّهُ المُقْعَد بِبَصَرِهِ، وَيَحْمِله الأَعْمَى بِرِجْلَيه». وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أنس قال: سألت أبا العالية عن قوله: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} ثم قال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} فكيف هذا؟ قال: أما قوله: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} فهو لأهل الشرك، وأما قوله: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} فهو لأهل القبلة، يختصمون في مظالم ما بينهم.

تفسير الآيات رقم [32- 37]

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (32) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (34) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (35) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (37)}

ثم قال تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ علَى اللهِ} أي: فلا أحد أظلم ممن كذب على الله بأن معه شريكاً، {وَكَذَّبَ بالصدق إِذْ جَاءهُ} يعني: بالقرآن، وبالتوحيد. ويقال:

{وَكَذَّبَ بالصدق} يعني: بالصادق وهو النبي صلى الله عليه وسلم {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى للكافرين} يعني: مأوى للذين يكفرون بالقرآن. فاللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التحقيق كقوله: {أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الحاكمين} [التين: 8]. {والذي جَاء بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ} أي: بالقرآن {وَصَدَّقَ بِهِ} أي: أصحابه. ويقال: {وَصَدَّقَ بِهِ} المؤمنون. وقال القتبي: {والذى جَاء بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ} هو في موضع جماعة. ومعناه: والذين جاؤوا بالصدق، وصدقوا به، وهذا موافق لخبر ابن مسعود. وقال قتادة، والشعبي، ومقاتل، والكلبي: {والذى جَاء بالصدق} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {وَصَدَّقَ بِهِ} يعني: المؤمنون. وذكر عن علي بن أبي طالب أنه قال: {والذى جَاء بالصدق} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {وَصَدَّقَ بِهِ} يعني: أبو بكر {أُوْلَئِكَ هُمُ المتقون} الذين اتقوا الشرك، والفواحش. وقرأ بعضهم: وَصَدَقَ بالتخفيف. يعني: النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الناس كما أنزل عليه، ولم يزد في الوحي شيئاً، ولم ينقص من الوحي شيئاً.
{لَهُمْ مَّا يَشَآءونَ عِندَ رَبّهِمْ} يعني: لهم ما يريدون، ويحبون في الجنة، {ذَلِكَ جَزَاء المحسنين} أي: ثواب الموحدين، المطيعين، المخلصين {لِيُكَفّرَ الله عَنْهُمْ} يعني: ليمحو عنهم، ويغفر لهم، {أَسْوَأَ الذى عَمِلُواْ} يعني: أقبح ما عملوا، مخالفاً للتوحيد، {وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ} أي: ثوابهم {بِأَحْسَنِ الذى كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني يجزيهم بالمحاسن، ولا يجزيهم بالمساوئ، لأنه ليس لهم ذنب، ولا خطايا، فلا يجزيهم بمساوئهم.
{أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} قرأ حمزة، والكسائي: عِبَادَهُ بالألف بلفظ الجماعة. يعني: الذين صدقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، والباقون عَبْدَه بغير ألف. يعني: النبي صلى الله عليه وسلم. {وَيُخَوّفُونَكَ بالذين مِن

دُونِهِ} يعني: بالذين يعبدون من دونه، وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال تقع في آلهتنا، فاتقِ كيلا يصيبك منها معرة، أو سوء. فنزل: {أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} الآية. وروى معمر عن قتادة قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها، فمشى إليها بالفأس. فقالت له: قيمتها يا خالد احذر، فإن لها شدة، لا يقوم لها أحد، فمشى إليها خالد، فهشم أنفها بالفأس. ويقال: {أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} يعني: الأنبياء.

ثم قال: {وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} يعني: من يخذله الله عن الهدى، فما له من مرشد، ولا ناصر {وَمَن يَهْدِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّضِلّ} أي: ليس له أحد يخذله {أَلَيْسَ الله بِعَزِيزٍ ذِى انتقام} يعني: عزيزاً في ملكه، ذي انتقام من عدوه.

تفسير الآيات رقم [38- 45]

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (39) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (40) إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (41) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (44) وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ

اشْمَأَزَّتْ قُلُـوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِـالْآَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِـرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)}
قوله تعـالى: {وَلَئِن سَـأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَـقَ السـموات والارض لَيَقُولُنَّ الله} فعل ذلك، {قُلْ أَفَـرَايْتُم مَّا تَـدْعُونَ مِن دُونِ اللــه} يعـني: مـا تعبـدون من دون اللــه من الآلهــة، {إِنْ أَرَادَنِىَ الله بِضُرّ} يعني: إنْ أصابني الله ببلاء، ومـرض في جسدي، وضيق في معيشتي، أو عذاب في الآخـرة، {هَـلْ هُنَّ كاشِفاتِ ضُرّهِ} يعني: هل تقدر الأصنام على دفع ذلك عني، {أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ} أي: بنعمة، وعافية، وخير، {هَلْ هُنَّ ممسكات رَحْمَتِهِ} يعني: هل تقـدر الأصـنام على دفـع تلك الرحمة عني. قرأ أبو عمر: كَاشِفَاتٌ. بالتنوين، ضُــرَّهُ: بالنصب، مُمْسِكَاتٌ: بالتنوين، رَحْمَتَهُ: بالنصــب، والبـاقون: بغير تنوين، وكسر ما بعـده على وجـه الإضـافة. فمن قــرأ بالتنوين: نصب ضره ورحمته، لأنه مفعول به {قُلْ حَسْـبِىَ الله} يعني: يكفيني الله من شر آلهتكم. ويقـال: {حَسْـبِىَ الله} يعني: أثق به {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} أي: فوضت أمـري إلى الله، {عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المتوكلون} أي: يثق به الواثقـون. فأنـا متوكل، وعليه توكلت.
{قُـلْ يـاقوم اعملـوا على مَكَـانَتِكُمْ} أي: في منــازلكم. ويقال: {على مَكَانَتِكُمْ} أي: على قدر طاقتكم، وجهــدكم، {إِنّى عامل} في إهلاككم. لأنهم قـالوا لـه: إن لم تسـكت عن آلهتنا، نعمل في إهلاكـك. فـنزل: {قُـلْ يـاقوم اعملـوا على مَكَــانَتِكُمْ} إهلاكي في مكــانتكم {إِنّى عامــل} في إهلاككم {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} من نجا، ومن هلك. قرأ عاصم في رواية أبي بكـر: مكانـاتكم بلفـظ الجماعـة. والبـاقون: {مَكَانَتِكُمْ} والمكانة، والمكان واحد.
{مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ} أي: من يأتيه عذاب الله، يهلكــه، {وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} أي: دائم لا ينقطع أبداً.

{إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب لِلنَّاسِ بالحق} يعني: أنزلنا عليك جبريل بالقرآن للناس بالحق. يعني: لتدعو الناس إلى الحق، وهو التوحيد {فَمَنُ اهتدى} أي: وحّد، وصدق بالقرآن، وعمل بما فيه فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ أي: ثواب الهدى لنفسه، {وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} يعني: أعرض ولم يؤمن بالقرآن، فقد أوجب العقوبة على نفسه. {وَمَا أنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} يعني: ما أنت يا محمد عليهم بحفيظ. ويقال: بمسلط. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.
{الله يَتَوَفَّى الانفس حِينَ مِوْتِهَا} قال الكلبي: الله يقبض الأنفس عند موتها {والتى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا} فيقبض نفسها إذا نامت أيضاً، {فَيُمْسِكُ التى قضى عَلَيْهَا الموت} فلا يردها، {وَيُرْسِلُ الاخرى} التي لم تبلغ أجلها، {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} أي: يردها إلى أجلها. وقال مقاتل: {الله يَتَوَفَّى الانفس} عند أجلها، والتي قضى عليها الموت، فيمسكها عن الجسد. على وجه التقديم {والتى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا} فتلك الأخرى التي أرسلها إلى الجسد، إلى أجل مسمى.
وقال سعيد بن جبير: الله يقبض أنفس الأحياء، والأموات. فيمسك أنفس الأموات، ويرسل أنفس الأحياء إلى أجل مسمى.
{إِنَّ فِى ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} أي: يعتبرون. قرأ حمزة والكسائي: قُضِيَ عليها بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء، وبضم التاء في الموت، على فعل ما لم يسم فاعله. والباقون: {قضى عَلَيْهَا} بالنصب. يعني: قضى الله عليها الموت، ونصب الموت لأنه مفعول به. {أَمِ اتخذوا مِن دُونِ الله} الميم صلة. معناه: اتخذوا. فاللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ والزجر. فقال: {أَمِ اتخذوا مِن دُونِ الله} {شُفَعَاء} يعني: يعبدون الأصنام، لكي تشفع لهم. {قُلْ أَوَ لَّوْ كَانُواْ ا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ

يَعْقِلُونَ} يعني: يعبدونهم، وإن كانوا لا يعقلون شيئاً. {قُل لِّلَّهِ الشفاعة جَمِيعاً} أي: قل يا محمد: لله الأمر والإذن في الشفاعة، وهذا كقوله: {الله لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحى القيوم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض مَن ذَا الذى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والارض وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلى العظيم} [البقرة: 255] وكما قال: {يتخافتون بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً} [طه: 103].

ثم قال: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض. ويقال: نفاذ الأمر في السموات والأرض. وله نفاذ الأمر في السموات والأرض. {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة {وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ اشمأزت} يعني: إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، اشمأزت. قال مقاتل: يعني انقبضت عن التوحيد. وقال الكلبي: أعرضت، ونفرت. وقال القتبي: العرب تقول: اشمأز قلبي من فلان. أي: نفر منه. {قُلُوبُ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعني: لا يصدقون بيوم القيامة. {وَإِذَا ذُكِرَ الذين مِن دُونِهِ} يعني: الآلهة {إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} بذكرها. وذلك أنه حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم، وذكر آلهتهم استبشروا.

▲ تفسير الآيات رقم [46- 53]

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (46) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (47) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (48) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (49) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (50) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (51) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)}

قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلِ اللهم فَاطِرَ السموات والارض} صار نصباً بالنداء. يعني: يا خالق السموات والأرض، {عالم الغيب والشهادة} يعني: عالماً بما غاب عن العباد، وما لم يغب عنهم. ويقال: عالماً بما مضى، وما لم يمض، وما هو كائن. ويقال: عالم السر والعلانية. {أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ} يعني: أنت تقضي في الآخرة بين عبادك، {فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} من أمر الدين.

{وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ} أي: كفروا {مَّا فِى الارض جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ} أي: مثل ما في الأرض، {لاَفْتَدَوْاْ بِهِ} أي: لفادوا به أنفسهم {مِن سُوء العذاب} أي: من شدة العذاب {يَوْمُ القيامة}. وفي الآية مضمر. أي: لا يقبل منهم ذلك.

{وَبَدَا لَهُمْ مّنَ الله} أي: ظهر لهم حين بعثوا من قبورهم، {مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ} في الدنيا أنه نازل بهم. يعني: يعملون أعمالاً يظنون أن لهم فيها ثواباً، فلم تنفعهم مع شركهم، فظهرت لهم العقوبة مكان الثواب، {وَبَدَا لَهُمْ سَيّئَاتُ مَا كَسَبُواْ} أي: عقوبات ما عملوا، {وَحَاقَ بِهِم} أي: نزل بهم عقوبة، {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: باستهزائهم بالمسلمين. ويقال: باستهزائهم بالرسول، والكتاب، والعذاب.

{فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا} يعني: أصاب الكافر شـدة، وبلاء، وهو أبو جهل. ويقال: جميع الكفار دعانــا أي: أخلص في الـدعاء {ثُمَّ إِذَا خولنـام} أي: بـدلنا، وأعطينـاه مكانهـا عافية، {نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ بَـلْ هِىَ فِتْنَـةٌ} أي: على علم عندي. يعـني: أعطـاني ذلـكَ، لأنـه علم أني أهل لذلك. ويقال: معناه على علم عندي بالدواء.

{بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ} أي: بلية، وعطية، يبتلى بهـا العبـد ليشـكر، أو ليكفـر، {ولكن أَكْثَـرَهُمْ لاَ يَعْلَمُـونَ} أن إعطـائي ذلـك بلية، وفتنة، {قَدْ قَالَهَا الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعـني: قـال تلـك الكلمة: الذين من قبل كفار مكة، مثل قارون، وأشباهه.

{فَمَآ أغنى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِـبُونَ} يعـني: لم ينفعهم مـا كانوا يجمعون من الأموال، {فأصابهم سَيِّئَاتُ مَـا كَسَـبُواْ} أي عقوبات ما عملوا.

قوله: {والـذين ظَلَمُـواْ مِنْ هَـؤُلاَء} يعـني: من أهـل مكـة {سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ} يعني: عقوبـات مـا عملـوا، مثل ما أصاب الذين من قبلهم، {وَمَـا هُمْ بِمُعْجِـزِينَ} أي: غير فائتين من عذاب الله، {أَوَ لَمْ يَعْلَمُـواْ أَنَّ اللـه يَبْسُـطُ الرزق لِمَن يَشَاء} أي: يوسع الرزق لمن يشـاء، {وَيَقْـدِرُ} أي: يقتر على من يشاء، {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعـني: في القبض والبسط {لآيَاتٍ} أي: لعلامات لوحدانيتي {لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} أي: يصدقون بتوحيد الله.

{قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ} يعني: أسـرفوا بالذنوب على أنفسهم. قرأ نافع، وابن كثير، وعاصـم، وابن عامر، {قُلْ ياعبادى} بفتح الياء، والباقون بالإرسال. وهمـا لغتان، ومعناهما واحد، {لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَـةِ اللـه} أي: لا تيأسوا من مغفـرة اللـه، {إِنَّ اللـه يَغْفِـرُ الـذنوب جَمِيعـاً} الكبائر، وغير الكبائر إذا تبتم، {إِنَّهُ هُوَ الغفـور} لمن تـاب، {الرحيم} بعد التوبة لهم. وروى عبـد الـرزاق، عن معمـر، عن قتـادة. قـال: أصـاب قـوم في الشـرك ذنوبـاً عظامـاً،

فكانوا يخافون أن لا يغفر الله لهم، فدعاهم الله تعالى بهذه الآية: {قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ}. وقال مجاهد: {قُلْ ياعبادى الذين أَسْرَفُواْ على أَنفُسِهِمْ} بقتل الأنفس في الجاهلية. وقال في رواية الكلبي: نزلت الآية في شأن وحشي. يعني: أسرفوا على أنفسهم بالقتل، والشرك، والزنى. لا تيأسوا {مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذنوب جَمِيعاً} لمن تاب. وقال ابن مسعود: أرجى آية في كتاب الله هذه الآية. وهكذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص. وروي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: فيها عظة.

▲ تفسير الآيات رقم [54- 61]

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (54) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (55) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (57) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آَيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (60) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61)}

قوله تعالى: {وَأَنِيبُواْ إلى رَبّكُمْ} يعني: ارجعوا له، وأقبلوا إلى طاعة ربكم {وَأَسْلِمُواْ لَهُ} يعني: أخلصوا، وأقروا بالتوحيد، {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العذاب ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} أي: لا تمنعون مما نزل بكم، {واتبعوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مّن رَّبّكُمْ} قال الكلبي: هذا القرآن أحسن ما أنزل إليهم يعني: اتبعوا ما أمرتم به. ويقال: أحلوا، وحرموا حرامه، {مّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العذاب بَغْتَةً} أي: فجأة، {وَأَنتُمْ لاَ

تَشْعُرُونَ} بنزوله، {أَن تَقُـولَ نَفْسٌ} يعـني: لكي لا تقـول نفس. ويقال: معناه اتبعوا ما أنـزل إليكم من ربكم خوفـا، قبل أن تصيروا إلى حال الندامة.
وتقـول نفس: {يَـا حَسْـرَتَى} يعـني: يـا نـدامتا، {نَفْسٌ ياحسرتى على مَا فَـرَّطَتُ فِى جَنبِ اللـه} يعـني: تـركت، وضيعت من طاعة الله. وقال مقاتل: يعني ما ضـيعت من ذكر الله. ويقال: يا ندامتاه على ما فـرطت في أمـر اللـه.
{وَإِن كُنتُ لَمِنَ السـاخرين} يعـني: وقـد كنت من المسـتهزئين بـالقرآن في الـدنيا. ويقـال: وقـد كنت من اللاهين. وقال أبو عبيدة: في جنب الله، وذات الله واحد.
{أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِى} يعني: قبل، أو تقـول: لـو أن اللـه هـداني بالمعرفـة، {لَكُنتُ مِنَ المتقين} أي: من الموحدين. يعني: لو بيّن لي الحـق من الباطـل، لكنت من المؤمنين، {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العذاب} يعني: من قبل أن تقول: {لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً} أي: رجعة إلى الدنيا {فَـأَكُونَ مِنَ المحسنين} يعني: من الموحدين.
يقول الله تعالى: {بلى قَدْ جَاءتْكَ ءاياتى} يعـني: القـرآن، {فَكَـذَّبْتَ بِهَـا واسـتكبرت} أي: تكـبرت، وتجـبرت عن الإيمان بها، {وَكُنتَ مِنَ الكافرين}. قرأ عاصم الجحـدري: {بلى قَـدْ جَاءتْـكَ ءايـاتى} يعـني: القـرآن. {فَكَـذَّبْتَ بِهَـا واستكبرت}، وَكُنْتِ، كلها بالكسر. وهو اختيار ابن مسعود، وصالح، ومن تابعه من قراء سمرقند. وإنمـا قـرأ بالكسـر، لأنه سبق ذكر النفس، والنفس تؤنث. وقراءة العامة كلهـا بالنصـب، لأنـه انصـرف إلى المعـنى. يعـني يقـال للكـافر: {وَيَوْمَ القيامة تَرَى الذين كَـذَبُواْ عَلَى اللـه} يعـني: قـالوا: بأن لله شريكاً، {وُجُوهُهُم مٌّسْـوَدَّةٌ} صـار وجـوههم رفعـاً بالابتداء. ويقال: معناه مسودة وجـوههم {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لّلْمُتَكَبّـرِينَ} أي: مـأوى للّـذين تكـبروا عن الإيمـان، {وَيُنَجّى اللـه الـذين اتقـوا بِمَفَـازَتِهِمْ} يعـني: ينجي اللـه

الـذين اتقـوا الشـرك من جهنم. قـال مقاتـل، والكلـبي: بأعمـالهم الحسـنة لا يصـيبهم العـذاب. وقـال القتـبي: بمنجاتهم. قرأ حمزة، والكسائي: بِمَفَازَاتِهم بالألف، وكذلك عاصم في رواية أبي بكر. والباقون {بِمَفَازَتِهِمْ} بغير ألـفٍ والمفازة الفوز، والسعادة، والفلاح، والمفـازات جمـع. {لاَ يَمَسُّهُمُ السوء} أي: لا يصيبهم العذاب {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُـونَ} في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [62- 70]

{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَـيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ وَكِيـلٌ (62) لَـهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَـرُوا بِآيَـاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِـرُونَ (63) قُـلْ أَفَغَيْـرَ اللَّهِ تَـأْمُرُونِّي أَعْبُـدُ أَيُّهَـا الْجَاهِلُونَ (64) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِـرِينَ (65) بَـلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّـاكِرِينَ (66) وَمَـا قَـدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى عَمَّا يُشْـرِكُونَ (67) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَـعِقَ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْـرَى فَـإِذَا هُمْ قِيَـامٌ يَنْظُـرُونَ (68) وَأَشْـرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُـورِ رَبِّهَـا وَوُضِـعَ الْكِتَـابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّـهَدَاءِ وَقُضِـيَ بَيْنَهُمْ بِـالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُـونَ (69) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَـا عَمِلَتْ وَهُـوَ أَعْلَمُ بِمَـا يَفْعَلُـونَ (70)}

{الله خَـالِقُ كُـلِّ شَـيْءٍ وَهُـوَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ وَكِيـلٌ} أي: حفيـظ. ويقـال: كفيـل بـأرزاقهم، {لَّهُ مَقَالِيـدُ السـموات والارض} يعني: بيـده مفـاتيح السـموات والأرض. ويقـال: خـزائن السـموات والأرض، وهـو المطـر، والنبـات. وقـال القتـبي: المقاليـد: المفـاتيح. يعـني: مفاتيحهـا، وخزائنهـا، وواحدها إقليد. ويقال: إنها فارسية، معربة، إكليد.

{والذين كَفَرُواْ بئايات الله} يعني: بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، {أولئك هُمُ الخاسرون} يعني: اختاروا العقوبة على الثواب، {قُلْ أَفَغَيْرَ الله تَأْمُرُونّى} قرأ ابن عامر: تأمرونني بنونين، وقرأ نافع: {تَأْمُرُونّى} بنون واحدة، والتخفيف. وقرأ الباقون: بنون واحدة، والتشديد، والأصل: تأمرونني بنونين، كما روي عن ابن عامر، إلا أنه أدغم إحدى النونين في الأخرى، وشدد، وتركها نافع على التخفيف.

{أَعْبُدُ أَيُّهَا الجاهلون} يعني: أيها المشركون تأمروني أن أعبد غير الله {وَلَقَدْ أُوْحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ} يعني: الأنبياء بالتوحيد، {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} أي: ثوابك، وإن كنت كريماً عليَّ. فلو أشركت بالله، ليحبطنّ عملك {وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين} في الآخرة. فكيف لو شرك غيرك، فالله تعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشرك بالله، ولكنه أراد تنبيهاً لأمته، أنَّ من أشرك بالله، حبط عمله، وإن كان كريماً على الله.

{بَلِ الله فاعبد} أي: استقم على عبادة الله، وتوحيده. وقال مقاتل: بل الله فاعبد، أي: فوحد الله تعالى. وقال الكلبي: يعني أطع الله تعالى، {وَكُنْ مّنَ الشاكرين} على ما أنعم الله عليك من النبوة، والإسلام، والرسالة. ويقال: هذا الخطاب لجميع المؤمنين. أمرهم بأن يشكروا الله تعالى على ما أنعم عليهم، وأكرمهم بمعرفته، ووفقهم لدينه، {وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ} أي: ما عظموا الله حق عظمته، ولا وصفوه حق صفته، ولا عرفوا الله حق معرفته. وذلك أن اليهود والمشركين، وصفوا الله تعالى بما لا يليق بصفاته، فنزل: {وَمَا قَدَرُواْ الله حَقَّ قَدْرِهِ} وفيه تنبيه للمؤمنين، لكيلا يقولوا مثل مقالتهم، ويعظموا الله حق عظمته، ويصفوه حق صفته، {فَاطِرُ السماوات والارض جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أزواجا وَمِنَ الانعام أزواجا

يَـذْرَؤُكُمْ فِيـهِ لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـئ وَهُـوَ السـميع البصـير} [الشورى: 11].
ثم قـال: {والارض جَمِيعـاً قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ القيامـة} أي: في قدرتـه، وملكـه، وسـلطانه، لا سـلطان لأحـد عليهـا، وهـذا كقوله: {مالك يَـوْمِ الـدين} [الفاتحـة: 4]. وقـال القتـبي: {فِى قَبْضَتُهُ} أي: في ملكه، نحو قولـك للرجـل: هـذا في يـدك، وقبضـتك. أي في ملكـك. {والسـماوات مطويـات بِيَمِينِـهِ} أي: بقدرتـه. ويقـال: في الآيـة تقـديم. معنـاه: {والسماوات مطويات بِيَمِينِهِ} يوم القيامـة. أي: في يـوم القيامة. ويقال: {بِيَمِينِهِ} يعـني: عن يمين العـرش. وقـال القتبي: {بِيَمِينِهِ} أي: بقدرته نحو قوله:
{ياأيها النبى إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَـكَ أزواجـك اللاتى ءَاتَيْتَ أُجُـورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللـه عَلَيْـكَ وَبَنَـاتِ عَمِّكَ وَبَنَـاتِ عماتـك وَبَنَـاتِ خَالِـكَ وَبَنَـاتِ خالاتـك اللاتى هـاجرن مَعَـكَ وامـرأة مُّؤْمِنَـةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَـهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ النـبى أَن يَسْـتَنكِحَهَا خَالِصَـةً لَّكَ مِن دُونِ المؤمـنين قَـدْ عَلِمْنَـا مَـا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فى أزواجهم وَمَا مَلَكَتْ أيمـانهم لِكَيْلاَ يَكُـونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً} [الأحزاب: 50] يعني: مـا كـانت لهم عليـه قـدرة. وليس الملـك لليمين دون الشمال. ويقال: اليمين هاهنـا الحلـف، لأنـه حلـف بعزتـه، وجلاله، ليطوينّ السموات والأرض.
ثم نـزّه نفسـه، فقـال تعـالى: {سُـبْحَانَهُ وتعـالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} أي: تنزيهاً لله تعالى. يعني: ارتفع، وتعظم عمـا يشركون. يعني: عما يصفون لـه من الشـريك، {وَنُفِخَ فِى الصور} روي عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أَنَّه سُـئِلَ عَنِ الصُّورِ فَقَالَ: " هُـوَ الْقَـرْنُ وَإِنَّ عِظَمَ دَائِرَتِـهِ مِثْـلُ مَـا بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ، فَيَنْفُخُ نَفْخَةً، فَيُفْـزِعُ الخَلْـقَ، ثُمَّ يَنْفُخُ نَفْخَةً أُخْـرَى، فَيَمُـوتُ أَهْـلُ السَّـمَوَاتِ والأَرْضِ، فَـإِذَا كَـانَ وَقْتُ النَّفْخَـةِ الثَّالِثَـةِ، تَجَمَّعَتِ الأَرْوَاحُ كُلُّهَـا فيَ الصُّـور، ثُمَّ

يَنْفُخُ النَّفْخةَ الثَّالِثَةَ، فَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ كُلُّها كَالنَّحلِ وَكَالزَّنَابِيرِ، وَتَأْتِي كُلُّ رُوح إِلَى جَسَدِهَا " فذلك قوله تعالى: {فَصَعِقَ مَن فِى السموات وَمَن فِى الارض} يعني: يموت من في السموات، ومن في الأرض، {إِلاَّ مَن شَاء الله} يعني: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت. ويقال: أرواح الشهداء. وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: استثنى الله تعالى الشهداء حول العرش متقلدين بسيوفهم». وقال بعضهم: النفخة نفختان. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يُنْفَخُ فِي الصُّور ثَلاَثُ نَفَخَاتٍ: الأُوْلَى نَفْخَةُ الفَزَعِ؛ والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعق، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ العَالَمِينِ " وهو قوله: {ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أخرى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ} أي: ينظرون ماذا يأمرهم. ويقال: ينظرون إلى السماء كيف غيرت، وينظرون إلى الأرض كيف بدلت، وينظرون إلى الداعي كيف يدعوهم إلى الحساب، وينظرون فيما عملوا في الدنيا، وينظرون إلى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عنهم، واشتغلوا بأنفسهم، وينظرون إلى خصمائهم ماذا يفعلون بهم.

{وَأَشْرَقَتِ الارض} يعني: أضاءت {بِنُورِ رَبّهَا} أي: بعدل ربها. ويقال: وأشرقت وجوه من على الأرض بمعرفة ربها، وأظلم وجوه من على الأرض بنكرة ربها. وقال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر. {وَوُضِعَ الكتاب} يعني: ووضع الحساب. ويقال: ووضع الكتاب في أيدي الخلق، في أيمانهم، وشمائلهم {وَجِئ بالنبيين والشهداء وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بالحق} أي: بين الخلق بالعدل، بين الظالم والمظلوم، وبين الرسل، وقومهم، {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} أي: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً. {وَوُفّيَتْ} أي: وفرت، {كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} أي: جزاء ما عملت من خير، أو شر، {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ}، لأنه قد سبق ذكر قوله: {وَأَشْرَقَتِ الارض بِنُورِ} ثم أخبر أنه لم يدع الشهداء

ليشهدوا بما يعلموا بل هو أعلم بما يفعلون، وإنما يدعو الشهداء لتأكيد الحجة عليهم.

▲ تفسير الآيات رقم [71- 75]

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)}

ثم قال: {وَسِيقَ الذين كَفَرُواْ} أي: يساق الذين كفروا، {إلى جَهَنَّمَ زُمَراً} يعني: أمة أمة، فوجاً فوجاً، وواحدتها زمرة، {حتى إِذَا} يعني: جهنم، {جَاءوهَا فُتِحَتْ أبوابها} وقال أصحاب اللغة: جهنم في أصل اللغة جهنام. وهي بئر لا قعر لها. فحذفت الألف، وشددت النون، فسميت جهنم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: {فُتِحَتْ} بتخفيف التاء. والباقون: بالتشديد. فمن قرأ بالتشديد، فلتكثير الفعل. ومن قرأ بالتخفيف، فعلى فعل الواحد. وكذلك الاختلاف في الذي بعده.

{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا} أي: خزنة جهنم، وواحدها خازن. وقال القتبي: الواو قد تزاد في الكلام، والمراد به حذفه، كقوله: {حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ} [الأنبياء: 96] يعني: اقترب، وكقوله: {وَسِيقَ الذين كفروا إلى جَهَنَّمَ زُمَراً حتى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أبوابها

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءايات رَبِّكُمْ وَيُنـذِرُونَكُمْ لِقَـآءَ يَـوْمِكُمْ هـذا قَـالُواْ بلى ولكن حَقَّتْ كَلِمَـةُ العـذاب عَلَى الكـافرين} [الزمـر: 71] يعـني: قـال لهم. وهذا في كلام العرب ظاهر، كمـا قـال امـرؤ القيس.

فلما أجزنا ساحة الحي، وانتحى. يعني: انتحى بغير واو.

ثم قـال: {أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُـلٌ مّنكُمْ} يعـني: آدميـاً مثلكم تفهمون كلامه {يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءايات رَبّكُمْ} يعني: يقـرؤون عليكم مـا أوحي إليهم، {وَيُنـذِرُونَكُمْ لِقَـاء يَـوْمِكُمْ هـذا} يعـني: أنهم يخوّفـونكم بهـذا اليـوم، فكأنـه يقـول لهم: يـا أشـقياء ألم يـأتكم رسـل منكم؟ فأجـابوه: {قَـالُواْ بلى} فيقرون بذلك في وقت لا ينفعهم الإقرار، ولو كان قولهم: بلى في الدنيا، لكـان ينفعهم. ولكنهم قـالوا: بلى في وقت لا ينفعهم.

{ولكن حَقَّتْ كَلِمَـةُ العـذاب عَلَى الكـافرين} أي: وجبت كلمة العـذاب في علم اللـه السـابق، أنهم من أهـل النـار. ويقـال: وجبت كلمـة العـذاب، وهي قولـه اللـه تعـالى: {وَتَحْسَـبُهُمْ أَيْقَاظًـا وَهُمْ رُقُـودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليمين وَذَاتَ الشمال وَكَلْبُهُمْ باسط ذِرَاعَيْـهِ بالوصـيد لَـوِ اطلعت عَلَيْهِمْ لَـوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِـرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًـا} [الأعـراف: 18 وغيرهـا] {قِيـلَ ادخلـوا أبـواب جَهَنَّمَ خالـدين فِيهَـا} أي: دائمين فيها، {فَبِئْسَ مَثْـوَى المتكـبرين} أي: بئس موضـع القرار لمن تكبر عن الإيمان.

ثم بيّن حـال المؤمـنين المطيعين، فقـال تعـالى: {وَسِـيقَ الذين اتقوا رَبَّهُمْ} يعني: اتقوا الشرك، والفـواحش، {إِلَى الجنـة زُمَـراً} يعـني: فوجـاً فوجـاً، بعضـم قبـل الحسـاب اليسير، وبعضهم بعد الحساب الشديد، على قدر مـراتبهم، {حـتى إِذَا جَاءوهَـا وَفُتِحَتْ أبوابهـا} يعـني: وقـد فتحت أبوابهـا، ويقـال: {وَفُتِحَتْ أبوابهـا} قبـل مجـيئهم تكريمـاً، وتبجيلاً لهم. ويقـال: الـواو زيـادة في الكلام. ويقـال: هـذه

الـواو منسـوقة على قولـه: فتحت. كمـا يقـال في الكلام: دخل زيد، وعمرو، {وَقَـالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَـا سـلام عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فادخلوها خالدين} أي: فزتم، ونجوتم.
ويقال: طـابت لكم الجنـة. وقـال: بعض أهـل العربيـة: في الآية دليل على أن أبواب الجنة ثمانية، لأنه قد ذكر بـالواو. وإنما يذكر بالواو، إذا بلغ الحساب ثمانية، كما قال في آيـة أخـرى: {سَـيَقُولُونَ ثلاثـة رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُـونَ خَمْسَـةٌ سَادِسُـهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمـاً بـالغيب وَيَقُولُـونَ سَـبْعَةٌ وَثَـامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُـل ربى أَعْلَمُ بِعِـدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيـلٌ فَلاَ تُمَـارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِــرَآءً ظـــاهرا وَلاَ تَسْـــتَفْتِ فِيهِمْ مِّنْهُمْ أَحَـــداً} [الكهـف: 22] فـذكر الـواو عنـد الثمانيـة، وكمـا قـال: {التــائبون العابــدون الحامــدون الســائحون الراكعــون الســاجدون الامــرون بــالمعروف والنــاهون عَنِ المنكــر والحافظون لِحُدُودِ اللـه وَبَشِّـرِ المؤمـنين} [التوبـة: 112] فــذكرها كلهــا بغــير واو فلمــا انتهى إلى الثمانيــة قــال: {التــائبون العابــدون الحامــدون الســائحون الراكعــون الســاجدون الامــرون بــالمعروف والنــاهون عَنِ المنكــر والحافظون لِحُدُودِ الله وَبَشِّـرِ المؤمـنين} [التوبـة: 112]، وقـال في آيـة أخـرى: {عسـى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَـهُ أزواجــا خَيْـراً مِّنكُنَّ مسـلمات مؤمنــات قانتــات تائبــات عابدات سـائحات ثيبـات وَأَبْكَـاراً} [التحـريم: 5] ثم قـال: عند الثمانية: {عسى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أزواجا خَيْراً مِّنكُنَّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبـات عابـدات سـائحات ثيبات وَأَبْكَاراً} [التحريم: 5] وعرف أن أبواب جهنم سبعة بالآية. وهي قوله: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُـلِّ بَـابٍ مِّنْهُمْ جُـزْءٌ مَّقْسُومٌ} [الحجر: 44]. وقـال أكـثر أهـل اللغـة: ليس في الآية دليل، لأن الواو قد تكون عند الثمانية، وقد تكون عنـد غيرها، ولكن عرف أن أبوابها ثمانية بالأخبـار، ثم إنهم لمـا دخلوا الجنة حمدوا الله تعالى: {وَقَالُواْ الحمد للَّهِ} يعــني:

الشكر لله، {الذى صَـدَقَنَا وَعْـدَهُ} يعـني: أنجـز لنـا وعـده على لسـان رسـله، {وَأَوْرَثَنَـا الارض} يعـني: أنزلنـا أرض الجنة، {نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَاء} أي: نـنزل في الجنـة، ونستقر فيها، حَيْثُ نَشَاءُ ونشتهي، {فَنِعْمَ أَجْـرُ العـاملين} أي: ثواب الموحدين، المطيعين، {وَتَرَى الملائكة حَـافّينَ} أي: ترى يـا محمـد الملائكـة يـوم القيامـة محـدقين، {مِنْ حَـوْلِ العــرش يُسَـبّحُونَ بِحَمْــدِ رَبّهِمْ} أي: يســبحونه، ويحمدونه.

{وَقُضِـىَ بَيْنَهُمْ بـالحق} أي: بين الخلـق. وهـو تأكيـد لمـا سبق من قوله: {وَأَشْرَقَتِ الارض بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكتاب وَجِئ بــالنبيين والشــهدآء وَقُضِــىَ بَيْنَهُم بــالحق وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [الزمر: 69] {وَقِيـلَ الحمـد لِلَّهِ رَبّ العـالمين} يعـني: لمـا قضـي بينهم بـالحق. أي: بالعـدل، ومـيزوا من الكفار حمدوا الله تعالى. وقالوا: الحمد للـه رب العـالمين الذي قضى بيننا بالحق، ونجانا من القوم الظـالمين. وقـال مقاتل: ابتدأ الدنيا بالحمـد للـه رب العـالمين. وهـو قولـه: {الحمد للَّهِ الذى خَلَق السموات والارض} وختمها بقولــه: {الحمد للَّهِ رَبّ العالمين}.

▲ سورة غافر

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{حم (1) تَنْزِيـلُ الْكِتَـابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيـزِ الْعَلِيمِ (2) غَـافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُـوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3)}

قوله تبارك وتعـالى: {حم} روي عن ابن عبـاس أنـه قـال الحواميم كلها مكيـة. وهكـذا روي عن محمـد بن الحنفيـة. وقـال ابن مسـعود: إِنَّ {حم} دِيْبَـاجُ القُـرْآنِ. وروي عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتَـعَ فِي رِيَـاضِ الجَنَّةِ فَلْيَقْـرَأْ الحَـوَامِيم». وقـال قتـادة: {حم} اسـم من أسـماء اللـه الأعظم. ويقـال: اسـم من أسـماء القرآن. ويقال: قسم أقسم الله بحم. ويقال: معناه قضـى بما هو كائن. ويقال: حم الأمر أي: قدر، وقضى، وتم. وقرأ ابن كثير، وحفص، عن عاصم: {حم} بفتح الحاء. وقرأ أبـو عمرو، ونافع: بين الفتح والكسر، والبـاقون بالكسـر. وكـل ذلك جائز في اللغة.

ثم قال: {تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيـز العليم} يعـني: إنّ هذا القرآن الذي يقـرأه عليكم محمـد، هـو من عنـد اللـه، العَزِيـز في سـلطانه، وملكـه، الْعَلِيمِ بخلقـه، وبأعمـالهم، {غَافِرِ الذنب} لمن يقـول: لا إلـه إلا اللـه، مخلصـاً، يسـتر عليـه ذنوبـه، {وَقَابِـلِ التـوب} لمن تـاب، ورجـع، {شَـدِيدُ العقاب} لمن مات على الشرك، ولم يقـل لا إلـه إلا اللـه، {ذِى الطـول} يعـني: ذي الفضـل على عبـاده، والمن والطول في اللغة: التفضل. يقال: طل علي برحمتـك أي: تفضل. وقال مقاتل: ذي الطَّوْلِ يعني: ذي الغـنى عمن لم يوحده.

ثم وحّد نفسه فقال: {لاَ إلـه إلاَّ هُـوَ إِلَيْـهِ المصـير} يعـني: إليــه مصــير العبــاد، ومــرجعهم في الآخــرة، فيجــازيهم بأعمالهم.

تفسير الآيات رقم [4- 6]

{مَا يُجَادِلُ فِي آَيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْـزَابُ مِنْ بَعْـدِهِمْ وَهَمَّتْ كُـلُّ أُمَّةٍ بِرَسُــولِهِمْ لِيَأْخُــذُوهُ وَجَــادَلُوا بِالْبَاطِــلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَـابِ (5) وَكَـذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (6)}

قوله: {مَا يجادل فِى ءايات اللـه} يعـني: مـا يخاصـم في آيات الله بالتكـذيب، {إِلاَّ الـذين كَفَـرُواْ فَلاَ يَغْـرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى البلاد} يعـــني: ذهـــابهم، ومجـــيئهم في أســـفارهم، وتجــاراتهم فــإنهم ليســوا على شــيء من الــدين. وقــال مقاتل: {تَقَلُّبِهِمْ} يعني: ما هم فيه من السعة في الرزق.

ثم خــوّفهم ليحــذروا فقــال: {كَـذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَــوْمُ نُــوحٍ والاحــزاب مِن بَعْـدِهِمْ} يعـني: الأمم من بعـد قـوم نـوح، {وَهَمَّتْ كُـلُّ أُمَّةٍ بِرَسُــولِهِمْ لِيَأْخُــذُوهُ} يعــني: أرادوا أن يقتلوه، {وجـادلوا بالباطـل} أي: بالشـرك، {لِيُدْحِضُـواْ بِـهِ الحق} يعني: ليبطلوا به دين الحق، وهـو الإسـلام، والـذي جاء بـه الرسـل. {فَأَخَـذْتُهُمُ} أي: عـاقبتهم، {فَكَيْـفَ كَـانَ عِقَابِ} يعـني: كيـف رأيت عـذابي لهم. أليس قـد وجـدوه حقاً.

{وكذلك حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبّكَ} يعـني: سـبقت، ووجبت كَلِمَـةُ رَبِّكَ، {عَلَى الذين كَفَرُواْ} بالعذاب، {أَنَّهُمْ أصحاب النــارِ} يعني: يصيرون إليها. قرأ نافع، وابن عامر: {كلمـات رَبَّكَ} بلفظ الجماعة. والباقون: كلمـة ربـك بلفـظ الواحـد. وهي عبـــارة عن الجنس. والجنس يقـــع على الواحـــد، وعلى الجماعــة، وقــرئ في الشــاذ: إِنَّهم بالكســر على معــنى الابتداء، وقراءة العامة بالنصب على معنى البناء.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 9]

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَـرْشَ وَمَنْ حَوْلَـهُ يُسَـبِّحُونَ بِحَمْـدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَـا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَـدْنٍ الَّتِي وَعَـدْتَهُمْ وَمَنْ صَـــلَحَ مِنْ آبَـــائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيـــزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَـقِ السَّـيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَـدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)}

ثم قـال اللــه تعـالى: {الــذين يَحْمِلُــونَ العــرش} وهم الملائكـة، {وَمَنْ حَوْلَـهُ} من المقـربين، {يُسَـبّحُونَ بِحَمْـدِ رَبّهِمْ} يعني: يسبحون الله تعـالى، ويحمدونـه، {وَيُؤْمِنُـونَ بِـهِ} أي: يصـدقون باللـه، {وَيَسْـتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءامَنُـواْ} يعني: المؤمنين. وفي الآية: دليل فضل المؤمـنين، وبيانـه، أن الملائكة مشتغلون بالدعاء لهم.

ثم وصف دعـاءهم للمؤمـنين وهـو قـولهم: {رَبَّنَـا} يعـني: يقولون: يا ربنا، {وَسِعْتَ كُلَّ شَئ رَّحْمَةً وَعِلْماً} يعني: يــا ربنا رحمتك واسـعة، وعلمـك محيـط بكـل شـيء. ويقـال: معنـاه ملأت كـل شـيء نعمـة، وعلمـاً، علم مـا فيهـا من الخلق. روى قتادة، عن مطـرف بن عبـد اللـه بن الشـخير قال: وجدنا أنصح عباد الله، لعبـاد اللـه، الملائكـة. ووجـدنا أغش عباد الله، لعباد الله، الشياطين. وروى الأعمش، عن إبراهيم قال: كان أصحاب عبـد اللـه بن مسـعود يقولـون: الملائكـــة خـــير للمســـلمين من ابن الكـــواء، الملائكـــة يســـتغفرون لمن في الأرض، وابن الكـــواء يشـــهد عليهم بالكفر، وكان ابن الكواء رجلاً خارجياً.

قوله: {فاغفر لِلَّذِينَ تَـابُواْ} أي: تجـاوز عنهم يعـني الـذين رجعوا عن الشرك، {واتبعوا سَبِيلَكَ} يعني: دينك الإسلام، {وَقِهِمْ عَـــذَابَ الجحيم} يعـــني: ادفـــع عنهم في الآخـــرة عذاب النار {رَبَّنَا} يعني: ويقولـون: رَبَّنَـا {وَأَدْخِلْهُمْ جنـات

عَدْنٍ التى وَعَدْتَّهُمْ} على لسان رسلك، {وَمَنْ صَـلَحَ} أي: من وحّد الله تعالى {مِنْ ءابَائِهِمْ وأزواجهم وذرياتهم} أي: وأدخلهم معهم الجنة أيضاً، {إِنَّكَ أنتَ العزيز} في ملكــك، {الحكيم} في أمرك، {وَقِهِمُ السيئات} يعني: ادفـع عنهم العذاب في الآخرة. {وَمَن تَقِ السيئات يَوْمَئِذٍ} يعــني: من دفعت العـذاب عنـه، فقـد رحمتـه. قـال مقاتـل: السـيئات يعــني: الشــرك في الــدنيا، {فَقَــدْ رَحِمْتَــهُ} في الآخــرة، {وذلك هُوَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة.

تفسير الآيات رقم [10- 12]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَـــرُوا يُنَـــادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَـــرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُـرُونَ (10) قَـالُوا رَبَّنَـا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُـرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْـدَهُ كَفَـرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (12)}

{إِنَّ الذين كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ} قال مقاتل والكلـبي: لمـا عـاين الكفار النار، ودخلوها، مقتوا أنفسـهم أي: لامـوا أنفسـهم، وغضبوا عليها. فتقول لهم خزنـة جهنم: {لَمَقْتُ اللـه أَكْبَـرُ مِن مَّقْتِكُمْ} يعني: غضب الله عليكم، وسـخطه، أَكْبَـرُ مِنْ مَقْتِكُمْ {أنفُسَـكُمْ إِذْ تُـدْعَوْنَ إِلَى الإيمـان فَتَكْفُـرُونَ} أي: تجحدون، وتثبتون على الكفـر، {قَـالُواْ رَبَّنَـا أَمَتَّنَـا اثنـتين} يعني: كنا نطفاً أمواتاً، {وَأَحْيَيْتَنَا اثنتين} يعني: فأحييتنا، ثم أمتنا عند آجالنـا، ثم أحييتنـا اليـوم. وذكـر عن القتـبي نحـو هـذا. وقـال بعضـهم: إحـدى الإمـاتتين يـوم الميثـاق، حين صـيروا إلى صـلب آدم، والأخـرى في الـدنيا عنـد انقضـاء الأجل، وإحدى الإحيـائين في بطن الأمهـات، والأخـرى في القبر.

{فاعترفنا بِـذُنُوبِنَا} يعـني: أقررنـا بشـركنا، وظهـر لنـا أن البعث حــق، {فَهَـلْ إلى خُـرُوجٍ مّن سَـبِيلٍ} يعــني: فهـل سبيل إلى الخـروج من النـار. ويقـال: فهـل من حيلـة إلى

الرجـوع {ذلكم} يعـني: يقـال لهم ذلـك الخلـود {بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} يعني: إذا قيل لكم لا إلـه إلا اللـه جحـدتم، وأقمتم على الكفـر، {وَإِن يُشْـرَكْ بِـهِ تُؤْمِنُـواْ} يعـني: إذا دعيتم إلى الشـرك، وعبـادة الأوثـان، تصـدقوا {فـالحكم للَّهِ العلى الكبـير} يعـني: القضـاء فيكم {للَّهِ العلى الكبـير} أي: الرفيـع فـوق خلقـه، القـاهر لخلقـه، {الكبير} بالقدرة، والمنزلة.

تفسير الآيات رقم [13- 19]

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آَيَاتِـهِ وَيُنَـزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّـمَاءِ رِزْقًـا وَمَـا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (13) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (14) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْـذِرَ يَـوْمَ التَّلَاقِ (15) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْـكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِـدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَـوْمَ تُجْـزَى كُـلُّ نَفْسٍ بِمَـا كَسَـــبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَـــوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَـــرِيعُ الْحِسَـــابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَـدَى الْحَنَـاجِرِ كَـاظِمِينَ مَـا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَـــفِيعٍ يُطَـــاعُ (18) يَعْلَمُ خَائِنَـــةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)}

ثم قـال اللـه تعـالى: {هُـوَ الـذى يُـرِيكُمْ ءاياتـه} يعـني: عجائبه، ودلائله، من خلـق السـموات والأرض، والشـمس، والقمر، والليل، والنهار، وذلك أنه لما ذكر ما يصـيبهم يـوم القيامة، عظم نفسه تعالى.

ثم ذكر لأهل مكة من الدلائل ليؤمنوا به، فقال: {هُوَ الذى يُـرِيكُمْ ءاياتـه} {وَيُنَـزّلُ لَكُم مّنَ السـماء رِزْقـاً} يعـني: المطر. ويقال: الملائكة لتدبير الرزق. {وَمَـا يَتَـذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ} يعني: ما يتعظ بالقرآن، إلا من يقبل إليـه بالطاعـة. ويقال: {وَمَا يَتَذَكَّرُ} في هذا الصنيع، فيوحـد الـرب إلا من يرجع إليه، {فادعوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} يعني: اعبدوه بالإخلاص، {وَلَوْ كَرِهَ الكافرون} يعني: وإن شق ذلك على

المشـركين، الكـافرين. {رَفِيِـعُ الـدرجات} يعـني: رافـع، وخالق السموات. أي: مطبقـاً بعضـها فـوق بعض. ويقـال: هو رافع الدرجات في الدنيا بالمنـازل، وفي الآخـرة الجنـة ذو الدرجات، {ذُو العرش} يعـني: رافـع العـرش. ويقـال: خالق العرش، هـو رب العـرش {يُلْقِى الـروح مِنْ أَمْـرِهِ} يعني: ينزل جبريـل بـالوحي {على مَن يَشَـاء مِنْ عِبَـادِهِ} وهـو النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، {لِيُنـذِرَ يَـوْمَ التلاق} يعني: ليخوف بالقرآن. وقرأ الحسن: {لّتُنـذِرَ} بالتـاء على معنى المخاطبـة. يعـني: لتنـذر يـا محمـد. وقـراءة العامـة بالياء يعني: لينـذر اللـه. ويقـال: {لّيُنـذِرَ} من أنـزل عليـه الـوحي {يَـوْمَ التلاق} قـرأ ابن كثـير: يَـوْمَ التَّلاَقِي باليـاء. وهي إحدى الروايـتين عن نـافع، والبـاقون بغـير يـاء. فمن قرأ بالياء فهو الأصل. ومن قرأ بغير ياء، فلأن الكسر يــدل عليه. وقـال في روايـة الكلـبي: {يَـوْمَ التلاق} يـوم يلتقي أهل السموات، وأهل الأرض. ويقـال: يـوم يلتقي الخصـم، والمخصوم، {يَوْمَ هُم بارزون} أي: ظاهرين، خـارجين من قبورهم، {لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَئ} يعني: من أعمال أهل السموات، وأهل الأرض.

{لّمَنِ الملك اليوم} قال بعضهم: هذا بين النفختين. يقـول الرب تبارك وتعالى: {لّمَنِ الملك اليوم}؟ فلا يجيبـه أحـد، فيقول لنفسه: {للَّهِ الواحد الْقَهَّارِ}. قال بعضهم: إن ذلـك لأهل الجمع يوم القيامة. يقول: {لّمَنِ الملك اليوم} فـأقر الخلائق كلهم، وقالوا: {للَّهِ الواحد الْقَهَّارِ}.

يقول الله تعـالى: {اليـوم تجـزى كُـلُّ نَفْسٍ بِمَـا كَسَـبَتْ} يعني: ما عملت في الدنيا من خير أو شر، {لاَ ظُلْمَ اليــوم إِنَّ اللـه سَـرِيعُ الحسـاب} وقـد ذكرنـاه، {وَأَنـذِرْهُمْ يَـوْمَ الازفة} يعني: خوفهم بيوم القيامة. فسمي الأزفـة لقربـه. ويقـال: أزف شـخوص فلان يعـني: قـرب كمـا قـال أَزِفَتِ الآزفة.

ثم قال: {إِذِ القلوب لَدَى الحناجر} من الخـوف، لا تخـرج، ولا تعـود إلى مكانهـا، {كـاظمين} أي: مغمـومين يـتردد خوفهم في أجـوافهم {مَـا للظـالمين} يعـني: المشـركين {مِنْ حَمِيمٍ} أي قـــريب، {وَلاَ شَـــفِيعٍ يُطَـــاعُ} أي: لـــه الشفاعة فيهم.

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الاعين} هـذا موصـول بقولـه: {لاَ يخفى عَلَى اللـه مِنْهُمْ شَـئ} وهـو {يَعْلَمُ خَائِنَـةَ الاعين}. وقـال أهـل اللغـة: الخائنـة والخيانـة واحـدة، كقولـه: {فَبِمَـا نَقْضِـهِم ميثاقهم لعناهم وَجَعَلْنَا قُلُـوبَهُمْ قَاسِـيَةً يُحَرِّفُـونَ الكلم عَن مواضـعه وَنَسُـواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِـرُواْ بِـهِ وَلاَ تَـزَالُ تَطَّلِـعُ على خَآئِنَـةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فـاعف عَنْهُمْ واصـفح إِنَّ اللــه يُحِبُّ المحسـنين} [المائـدة: 13]. وقـال مجاهـد: {خَائِنَـةَ الاعين} يعـني: نظـر العين إلى مـا نهى اللـه عنـه. وقـال مقاتل: الغمـزة فيمـا لا يحـل لـه، والنظـرة إلى المعصـية. ويقـال: النظـرة بعـد النظـرة. وقـال قتـادة: {يَعْلَمُ خَائِنَـةَ الاعين} يعني: يعلم غمـزه بعينـه، وإغماضـه فيمـا لا يحب الله تعالى، {وَمَا تُخْفِى الصدور}.

تفسير الآية رقم [20]

{وَاللَّهُ يَقْضِي بِـالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَـدْعُونَ مِنْ دُونِـهِ لَا يَقْضُـونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (20)}

{والله يَقْضِى بالحق} أي: يحكم بالحق. ويقـال: يـأمر بمـا يجب بـه الثـواب، وينهى عمـا يجب بـه العقـاب. {والـذين يَدْعُونَ مِن دُونِهِ} يعني: يعبدون من الآلهة. قرأ نافع، وابن عامر: {تَدْعُونَ} بالتـاء على معـنى المخاطبـة. والبـاقون، بالياء على معنى الخبر عنهم.

{لاَ يَقْضُـونَ بِشَـئ} يعـني: ليس لهم قـدرة، ولا يحكمـون بشيء، {إِنَّ الله هُـوَ السـميع البصـير} يعـني: {السـميع} لمقالة الكفار {البصير} بأعمالهم.

تفسير الآيات رقم [21- 22]

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (21) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (22)}

أَوَلَمْ يِسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا} يعني: فيعتبروا، {كَيْفَ كَانَ عاقبة} يعني: آخر أمر، {الذين كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} يعني: منعة. قرأ ابن عامر، ومن تابعه من أهل الشام {أَشَدَّ مِنكُمْ} بالكاف على معنى المخاطبة. والباقون {أَشَدُّ مِنْهُم} بالهاء على معنى الخبر عنهم.

{أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى} يعني: أكثر أعمالاً. ويقال: أشد لها طلباً، وأبعد لها ذهاباً. {فَأَخَذَهُمُ الله بِذُنُوبِهِمْ} أي: عاقبهم الله {وَمَا كَانَ لَهُم مّنَ الله مِن وَاقٍ} أي: من مانع يمنعهم من عذاب الله. {ذلك} أي: ذلك العذاب {بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بالبينات} يعني: بالأمر، والنهي. ويقال: بالدلائل الواضحات، {فَكَفَرُواْ} بهم، وبدلائلهم، {فَأَخَذَهُمُ الله إِنَّهُ قَوِىٌّ شَدِيدُ العقاب} أي: عاقبهم الله بذنوبهم، إنه قادر على أخذهم، شديد العقاب لمن عاقب.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 27]

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (23) إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (24) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (26) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (27)}

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بئاياتنا} التسع، {وسلطان مُّبِينٍ} أي: حجة بيّنة {إلى فِرْعَوْنَ وهامان وَقَشرُونَ فَقَالُواْ ساحر كَذَّابٌ} يعني: لم يصدقوا موسى.
قوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاءهُمْ بالحق مِنْ عِندِنَا} يعني: بالرسالة، {قَالُواْ اقتلوا أَبْنَاء الذين ءامَنُواْ مَعَهُ} يعني: أعيدوا القتل عليهم، {واستحيوا نِسَاءهُمْ} فلا تقتلوهن، {وَمَا كَيْدُ الكافرين إِلاَّ فِى ضلال} أي: في خطأ بيّن.
قوله تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ} لقومه {ذَرُونِى أَقْتُلْ موسى} يعني: خلوا عني، حتى أقتل موسى. {وَلْيَدْعُ رَبَّهُ} يعني: ليدعوا ربه موسى، لكي يمنعه عني. وذلك أن قومه كانوا يقولون: أرجئه وأخاه، ولا تقتله حتى لا يفسدوا عليك الملك. فقال لهم فرعون: {ذَرُونِى أَقْتُلْ موسى} فإني أعلم أن صلاح ملكي في قتله.
{إِنّى أَخَافُ أَن يُبَدّلَ دِينَكُمْ} يعني: عبادتكم إياي، {أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الارض الفساد} يعني: الدعاء إلى غير عبادتي. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبو عمرو {وَإِن يَظْهَرُوا} على معنى العطف. والباقون: {أَوْ أَن يُظْهِرَ} على معنى الشك، وكلاهما جائز. وأو لأحد الشيئين: إما لشك المتكلم أو أحدهما. والواو للجمع، وتقع على الأمرين جميعاً. وقرأ أبو عمرو، ونافع، وعاصم {يُظْهِرُ} بضم الياء، وكسر الهاء، {الفساد} بالنصب. والباقون: {يُظْهِرُ} بنصب الياء، والهاء، {الفساد} بالضم. فمن قرأ: يُظْهِر بالضم. فالفعل لموسى، والفساد نصب لوقوع الفعل عليه. ومن قرأ يَظْهَر، فالفعل للفساد، فيصير الفسادُ رفعاً، لأنه فاعل. فلما سمع موسى ذلك التهديد، استعاذ بالله من شره، فذلك قوله: {وَقَالَ موسى إِنّى عُذْتُ بِرَبّى وَرَبّكُمْ} يعني: أستعيذ بربي، وربكم، {مّن كُلّ مُتَكَبّرٍ} عن الإيمان يعني: {لاَ يُؤْمِنُ} أي: لا يصدق {بِيَوْمِ الحساب}.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 35]

{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (35)}

{وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءالِ فِرْعَوْنَ} وهو حزبيل بن ميخائيل، هو ابن عم قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمه من بني إسرائيل. ويقال: كان ابن فرعون {يَكْتُمُ إيمانه}، وكان قد أسلم سراً من فرعون.

قوله: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبّىَ الله وَقَدْ جَاءكُمْ بالبينات مِن رَّبّكُمْ} يعني: اليد، والعصا. وروى الأوزاعي عن يحيى بن كثير، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو: حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أقبل عقبة بن أبي معيط، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه على

عنقه، وخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبـو بكـر، فأخـذ بمنكبيـه، ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قـال أبـو بكر: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبّىَ الله وَقَدْ جَاءكُمْ بالبينات مِن رَّبّكُمْ} {وَإِن يَكُ كاذبا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ} يعني: فعليـه وبـال كذبه، فلا ينبغي أن تقتلوه بغير حجة، ولا برهان. {وَإِن يَـكُ صادقا} في قوله، وكذبتموه، {يُصِبْكُمْ بَعْضُ الذى يَعِدُكُمْ} من العذاب. يعني: بعض ذلـك العـذاب يصـبكم في الـدنيا. ويقال: بعض الـذي يعـدكم فيـه. أي: جميـع الـذي يعـدكم، كقوله: {وَلَمَّا جَآءَ عيسى بالبينات قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بالحكمـة وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الذى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} [الزخرف: 63] أي: جميع الذي تختلفون فيه، {إِنَّ اللــه لاَ يَهْـدِى} يعـني: لا يرشـد، ولا يوفـق إلى دينـه، {مَنْ هُـوَ مُسْرِفٌ} في قوله: {كَذَّابٌ} يعني: الذي عادته الكذب.
{كَــذَّابٌ يــاقوم لَكُمُ الملــك اليــوم} أي: ملــك مصــر، {ظـــاهرين فِى الارض} أي: غـــالبين على أرض مصـــر، {فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ الله} يعني: من يعصمنا من عذاب اللــه، {إِن جَاءنَــا} يعــني: أرأيتم إن قتلتم موســى، وهــو الصادق، فمن يمنعنا من عذاب اللـه. فلمـا سـمع فرعـون قول المؤمن، {قَالَ فِرْعَوْنُ مَـا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَـا أرى} يعـني: ما أريكم من الهدى، إلا ما أرى لنفسي. ويقال: ما آمــركم إلا ما رأيت لنفسـي أنـه حـق وصـواب، {وَمَـا أَهْـدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرشـاد} يعـني: مـا أدعـوكم إلا إلى طريـق الهـدى وقرئ في الشاذ {الرشاد} بتشديد الشـين. يعـني: سـبيل الرشاد الذي يرشد الناس. ويقال: رشاد اسـم من أسـماء أصنامه.
قوله: {وَقَالَ الذى ءامَنَ} وهـو حزبيـل {ءامَنَ يـاقوم إِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مّثْلَ يَوْمِ الاحزاب} يعـني: أخاف عليكم من تكذيبكم مثل عذاب الأمم الخالية، {مِثْـلَ دَأْبِ قَـوْمِ نُـوحٍ} أي مثل عذاب قوم نوح، {وَعَادٍ وَثَمُودَ والـذين مِن بَعْـدِهِمْ

وَمَا الله يُرِيـدُ ظُلْمـاً لّلْعِبَـادِ} يعـني: لا يعـذبهم بغـير ذنب، {لّلْعِبَادِ وياقوم إِنّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التنـاد} وهـو من نَـدَّ يَند، وهو من تنادى، يتنادى، تنادياً.
وروى أبـو صـالح، عن ابن عبـاس أنـه قـرأ: {يَـوْمَ التنـاد} بتشديد الدال. وقال: تندون كما تند الإبل، وهذا موافق لما بعده، {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} وكقوله: {يَوْمَ يَفِرُّ المــرء مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} [عبس: 34، 35].
وقرأ الحسن يَوْمَ التَّنَادِي بالياء، وهو من النداء. يوم ينـادى كل قوم بأعمالهم. وينادي المنادي من مكان بعيد. وينـادي أهل النار أهل الجنة. وينادي أهل الجنة أهل النـار {ونـادى أصحاب الجنة أصحاب النار أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُـؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَـةُ اللــه عَلَى الظـالمين} [الأعـراف: 44] وقــراءة العامة. التناد بالتخفيف بغير ياء، وأصله الياء، فحذف الياء، لأن الكسرة تدل عليه، وقوله: {يَـوْمَ تُوَلُّونَ مُـدْبِرِينَ} أي: هـاربين. قـال الكلـبي: هـاربين، إذا انطلـق بهم إلى النـار، فعاينوها، هربوا. فيقال لهم: {مَا لَكُمْ مّنَ الله مِنْ عَاصِمٍ} أي: ليس لكم من عذاب الله من مانع. وقال مقاتل: {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُــدْبِرِينَ} أي: ذاهــبين بعــد الحســاب إلى النــار، كقوله: {فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ} أي ذاهبين {مَا لَكُمْ مّنَ الله مِنْ عَاصِمٍ} يعني: من مانع من عذابه.
{وَمَن يُضْلِلِ الله} عن الهدى، {فَمَـا لَـهُ مِنْ هَـادٍ} يعـني: من مرشد، وموفق.
{وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بالبينات} هـذا قـول حزبيـل أيضاً لقوم فرعون قـال: {وَلَقَـدْ جَـاءكُمْ يُوسُـفُ} ويقـال: يعني: به أهل مصر، وهم الذين قبل فرعـون، لأن القـرون الذين كانوا في زمن فرعون، لم يـروا يوسـف، وهـذا كمـا قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَآءَهُ وَهُوَ الحـق مُصَـدِّقًا لِّمَـا

مَعَهُمْ قُــلْ فَلِمَ تَقْتُلُــونَ أَنبِيَــآءَ اللــه مِن قَبْــلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [البقـرة: 91] وإنمـا أراد بـه آبـاءهم {بالبينـات} أي: بتعبير الرؤيا. وروي عن وهب بن منبه: قـال فرعـون: موسى هو الذي كـان في زمن يوسـف، وعـاش إلي وقت موسى. وهذا خلاف قول جميع المفسرين. {فَمَا زِلْتُمْ فِى شَـكٍّ مّمَّا جَـاءكُمْ بِـهِ} من تصـديق الرؤيـا، وبمـا أخـبركم، {حـتى إِذَا هَلَـكَ} يعـني: مـات، {قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللـه مِن بَعْدِهِ رَسُولاً}.

يقـول اللـه تعـالى: {كَـذَلِكَ يُضِـلُّ اللـه مَنْ هُـوَ مُسْـرِفٌ مُّرْتَابٌ} يعني: من هو مشرك، شاك في توحيد الله.

ثم وصفهم فقال: {الـذين يجـادلون فِى ءايـات اللـه بِغَيْـرِ سلطان} أي: بغير حجة {أتاهم كَبُـرَ مَقْتـاً عِنـدَ اللـه} أي: عظم بغضاً لهم من الله، {وَعِندَ الذين ءامَنُواْ} يعني: عنـد المؤمنين {كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله} أي: يختم الله بـالكفر، {على كُلّ قَلْبِ مُتَكَبّرٍ جَبَّارٍ} يعني: متكبر عن عبادة اللـه تعـالى. قرأ أبو عمرو: {قَلْبِ مُتَكَبّرٍ} بالتنوين. جعـل قولـه متكـبر نعتـاً للقلب. ومعنـاه: أن صـاحبه متكـبر. والبـاقون: {قَلْبِ مُتَكَبّرٍ} بغير تنـوين على معـنى الإضـافة، لأن المتكـبر هـو الرجل، وأضاف القلب إليه.

تفسير الآيات رقم [36- 46]

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْـبَابَ (36) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَـوْنَ سُـوءُ عَمَلِـهِ وَصُـدَّ عَنِ السَّـبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (37) وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَـوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَـذِهِ الْحَيَـاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَـا بِغَيْـرِ حِسَـابٍ (40) وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ

(41) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (42) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (43) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (44) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (45) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)}

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ياهامان ابن لِى صَرْحاً} أي: قصراً مشيداً {لَّعَلِّي أَبْلُغُ الاسباب} يعني: أصعد طرق السموات، {فَأَطَّلِعَ} أي: انظر {إلى إله موسى} الذي يزعم أنه أرسله. وقال مقاتل، والقتبي: {أسباب السموات} أبوابها. قرأ عاصم في رواية حفص: {فَأَطَّلِعَ} بنصب العين. والباقون: بالضم. فمن قرأ: بالنصب. جعله جواباً للفعل. ومن قرأ بالضم رده إلى قوله: أبلغ الأسباب، فأطلع. {وَإِنّى لاَظُنُّهُ كاذبا} أي: لأحسب موسى كاذباً في قوله.

قال الله تعالى: {وكذلك زُيّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوء عَمَلِهِ} أي: قبح عمله، {وَصُدَّ عَنِ السبيل} أي: الدين، والتوحيد. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم: {وَصُدَّ} بضم الصاد. والباقون: بالنصب. فمن قرأ: بالضم. فمعناه: إن فرعون صرف عن طريق الهدى. يعني: إن الشيطان زين له سوء عمله، وصرفه عن طريق الهدى. ومن قرأ: بالنصب. فمعناه: صرف فرعون الناس عن الدين.

{وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِى تَبَابٍ} أي: ما صنع فرعون إلا في خسارة يوم القيامة، كقوله: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ} {صلى الله عليه وسلم} [المسد: 1] يعني: إن فرعون اختار متاعاً قليلاً، وترك الجنة الباقية، فكان عمله في الخسارة.

{وَقَالَ الـذى ءامَنَ} وهـو حزبيـل {عَلَيْـهِ قَـوْمٌ} {اتبعـون أَهْـدِكُمْ سَـبِيلَ الرشـاد} يعـني: أطيعـوني حـتى أرشـدكم، وأبيّن لكم دين الصواب.
قوله تعالى: {سَبِيلَ الرشاد ياقوم إِنَّمَا هذه الحياة الــدنيا} أي: قليل، {وَإِنَّ الاخرة هِىَ دَارُ القرار} لا زوال لها. {مَنْ عَمِلَ سَيّئَةً فَلاَ يجزى إِلاَّ مِثْلَهَـا} يعـني: من عمـل الشـرك فلا يجزى إلا النار في الآخرة. {وَمَنْ عَمِلَ صالحا مّن ذَكَـرٍ أَوْ أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} يعـني: من رجـل، أو امـرأة، {فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجنة يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي: بغير مقـدار. وقـال بعض الحكمـاء: إن اللـه تعـالى قـال: {مَنْ عَمِـلَ سَـيّئَةً} ولم يقـل من ذكـر أو أنـثى. وقـال: {وَمَنْ عَمِـلَ صـالحا مّن ذَكَـرٍ أَوْ أنـثى} لأن العمـل الصـالح يَحْسُـن من الرجـل، والمـرأة. والسـيئة من المـرأة، أقبح من الرجـل. فلم يذكر من ذكر أو أنثى. {حِسَابٍ وياقوم مَا لِى أَدْعُوكُمْ إِلَى النجاة} يعني: أن حزبيل قال لقومـه: مـا لي أدعـوكم إلى التوحيد، والطاعة، وذلك سبب النجاة، والمغفـرة، فلم تطيعـوني، {وَتَـدْعُونَنِى إِلَى النـار} يعـني: إلى عمـل أهـل النار.
ثم بيّن عمـل أهـل النـار فقـال: {تَـدْعُونَنِى لاَكْفُـرَ باللـه} يعـني: لأجحـد بوحدانيـة اللـه، {وَأُشْـرِكَ بِـهِ} أي: أشـرك بالله، {مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ} يعـني: مـا ليس لي بـه حجـة بأن مـع اللـه شـريكاً، {وَأَنَـاْ أَدْعُـوكُمْ إِلَى العزيـز الغفـار} يعني: إلى دين العزيز الغفار {العزيز} في ملكه {الغفار} لمن تاب.
{لاَ جَـرَمَ} أي: حقـاً يقـال {لاَ جَـرَمَ} يعـني: لا بـد. {أَنَّمَـا تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِى الدنيا} أي: ليس له قدرة. ويقال: ليس لـه اسـتجابة دعـوة تنفـع في الـدنيا. {وَلاَ فِى الاخرة وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى الله} أي مصيرنا، ومرجعنا إلى اللـه

يوم القيامـة، {وَأَنَّ المسـرفين} يعـني: المشـركين، {هُمْ أصحاب النار} يعني: هم في النار أبداً.

{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ} يعني: ستعرفون إذا نـزل بكم العذاب، وتعلمون أن ما أقول لكم من النصـيحة أنـه حـق. {وَأُفَـوِّضُ أَمْـرِى إِلَى اللـه} يعـني: أمـر نفسـي إلى اللـه، وأدع تـدبيري إليـه، {إِنَّ اللـه بَصِيرٌ بالعبـاد} يعـني: عـالم بأعمـالهم، وبثـوابهم. فـأرادوا قتلـه، فهـرب منهم، فبعث فرعون في طلبه، فلم يقدروا عليه، فذلك قولـه: {فَوقَـاهُ الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ} يعني: دفع الله عنه شر مـا أرادوا، {وَحَـاقَ بِئَالِ فِرْعَـوْنَ} يعـني: نـزل بهم {سُـوء العـذاب} يعني: شدة العذاب، وهو الغرق.

{النـار يُعْرَضُـونَ عَلَيْهَـا} قـال ابن عبـاس: يعـني: تعـرض أرواحهم على النـار، {غُـدُوّاً وَعَشِـيّاً} هكـذا قـال قتـادة، ومجاهد، وقال مقاتل: تعرض روح كل كـافر على منـازلهم من النار كل يوم مرتين. وقال ابن مسعود: «أَرْوَاحُهُم في جوْف طَيْر سُودٍ يَرَوْنَ مَنَازِلهم غُدوة وَعَشِيَّةً». وقال هذيل بن شرحبيل: «أرواح الشهداء في جوف طـير خضـر تـأوي إلى قناديـل معلقـة بـالعرش». وإن أرواح آل فرعـون في جوف طير سود تغـدو، وتـروح، على النـار فـذلك عرضـها. والآية تدل على إثبات عذاب القبر، لأنه ذكر دخـولهم النـار يوم القيامة. وذكر أنه تعرض عليهم النـار قبـل ذلـك غـدواً وعشياً.

ثم قـال: {وَيَـوْمَ تَقُـومُ السـاعة} يعـني: يقـال لهم يـوم القيامة: {النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا}. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمـرو: {أَدْخِلُـواْ} بضـم الألـف، والخـاء. وهكـذا قـرأ عاصم في رواية أبي بكر. والباقون: بنصب الألـف، وكسـر الخاء. فمن قرأ {أَدْخِلُـواْ} بالضـم. فمعنـاه: ادخلـوا يـا آل فرعون {أَشَدَّ العذاب}، فصار الآل نصباً بالنداء. ومن قـرأ {أَدْخِلُــواْ} بالنصــب. معنــاه: يقــال للخزنــة: أدخلــوا آل

فرعون. يعني: قوم فرعون {أَشَدَّ العذاب} يعني: أسفل العذاب. فصار الآل نصباً لوقوع الفعل عليه.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 52]

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (51) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52)}

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ} أي: يتخاصمون في النار الضعفاء، والرؤساء، فَيَقُولُ الضعفاء لِلَّذِينَ استكبروا} يعني: لرؤسائهم {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} في الدنيا {فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا} أي: حاملون عنا، {نَصِيباً مّنَ النار} يعني: بعض الذي علينا من العذاب، باتباعنا إياكم، كما كنا ندفع عنكم المؤونة في دار الدنيا.

{قَالَ الذين استكبروا} يعني: الرؤساء يقولون للضعفاء: {إِنَّا كُلٌّ فِيهَا} يعني: نعذب نحن، وأنتم على قدر حصصكم في الذنوب، فلا يغني واحد واحداً، {إِنَّ الله قَدْ حَكَمَ بَيْنَ العباد} أي: قضى بين العباد، بين التابع والمتبوع. ويقال: {حَكَمَ بَيْنَ العباد} يعني: أنزلنا منازلنا، وأنزلكم منازلكم.

{وَقَالَ الذين فِي النار لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ} إذا اشتد عليهم العذاب {ادعوا رَبَّكُمْ} يعني: سلوا ربكم. {يُخَفّفْ عَنَّا يَوْماً مّنَ العذاب} يعني: يوماً من أيام الدنيا، حتى نستريح، فترد الخزنة عليهم فتقول: {قَالُواْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بالبينات} يعني: ألم تخبركم الرسل أن عذاب جهنم إلى الأبد. ويقال: {أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بالبينات} يعني:

ألم تخـــبركم الرســـل بالـــدلائل، والحجج، والـــبراهين، فكذبتموهم. {قَالُواْ بلى قَـالُواْ فـادعوا} يعـني: تقـول لهم الخزنة، فادعوا ما شئتم، فإنه لا يستجاب لكم. {وَمَا دُعَـاء الكافرين إِلاَّ فِي ضلال} أي: في خطأ بيّن.

{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا} بالغلبة، والحجة، {والذين ءامَنُـواْ} بهم يعني: الذين صدقوهم {وَقَـالَ إِنَّمَـا اتخـذتم} أي: بالحجـة، والغلبة على جميع الخلق. يعـني: على جميـع أهـل الأديـان {وَيَـوْمَ يَقُـومُ الاشـهاد} قـال مقاتـل: يعـني: الحفظـة من الملائكة، يشهدون عند رب العالمين للرسل بالبلاغ، وعلى الكافرين بتكذيبهم. وقال الكلبي: يعني: يوم القيامة يقــوم الرســل عنــد رب العــالمين، {يَــوْمَ لاَ يَنفَــعُ الظــالمين مَعْذِرَتُهُمْ} يعني: لا ينفع الكافرون اعتذارهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو {يَوْمٌ لاَّ تَنفَعُ} بالتاء بلفظ التأنيث، لأن المعذرة مؤنثة. والبـاقون: باليـاء. وانصـرف إلى المعـنى، يعـني: لا ينفـع لهم اعتـذارهم {وَلَهُمُ اللعنـة} أي: السـخطة {وَلَهُمْ سُوء الدار} أي: عذاب جهنم.

تفسير الآيات رقم [53- 65]

{وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْهُـدَى وَأَوْرَثْنَـا بَنِي إِسْـرَائِيلَ الْكِتَـابَ (53) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (54) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْـدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ بِالْعَشِـيِّ وَالْإِبْكَـارِ (55) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللَّهِ بِغَيْـرِ سُـلْطَانٍ أَتَـاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِـيرُ (56) لَخَلْـقُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَـرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57) وَمَا يَسْـتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِــيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَـذَكَّرُونَ (58) إِنَّ السَّـاعَةَ لَآَتِيَـةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (59) وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَـادَتِي سَـيَدْخُلُونَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (61) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (62) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (63) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (64) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (65)}

{وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى الهدى} يعني: التوراة فيها هدى، ونور من الضلالة، {وَأَوْرَثْنَا بَنِى إسراءيل الكتاب} يعني: أعطيناهم على لسان الرسل التوراة، والإنجيل، والزبور {هُدًى} أي: بياناً من الضلالة. ويقال: فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم {وذكرى لاِوْلِى الالباب} يعني: عظة لذوي العقول.

{فاصبر إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: اصبر يا محمد على أذى المشركين. فإن وعد الله حق، وهو ظهور الإسلام على الأديان كلها، وفتح مكة. {واستغفر لِذَنبِكَ}. وهذا قبل نزول قوله: {لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صراطا مُّسْتَقِيماً} [الفتح: 2]. ويقال: {أَسْتَغْفِرُ لِذَنبِكِ} أي: لذنب أمتك {وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ} أي: صل بأمر ربك {بالعشى} أي: صلاة العصر، {والإبكار} يعني: صلاة الغداة. ويقال: سبح الله تعالى، واحمده بلسانك في أول النهار، وآخره.

{إِنَّ الذين يجادلون فِى ءايات الله} قال الكلبي ومقاتل: يعني: اليهود، والنصارى، كانوا يجادلون في الدجال. وذلك أنهم كانوا يقولون: إن صاحبنا يبعث في آخر الزمان، وله سلطان، فيخوض البحر، وتجري معه الأنهار، ويرد علينا الملك. فنزل: {إِنَّ الذين يجادلون فِى ءايات الله} يعني:

في الــدجال. لأن الــدجال آيــة من آيــات اللــه، {بِغَيْــرِ سـلطان} أي: بغـير حجـة {ءاتـاهم} من اللـه. {إِن فِى صُـدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْـرٌ مَّا هُم ببالغيـه} أي: مـا في قلـوبهم إلا عظمة {مَّا هُم ببالغيه} يعـني: مـا هم ببـالغي ذلـك الكـبر الذي في قلوبهم، بأن الدجال منهم. وقال القتــبي: إِنْ في صُـدُورِهِمْ إِلاَّ تكـبراً على محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، وطمعـاً أن يغلبـوه، ومـا هم ببـالغي ذلـك. وقـال الزجـاج: معنـاه ومـا هم ببـالغي إرادتهم، وإرادتهم دفـع آيـات اللـه. وروى أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العاليـة قـال: إن اليهود ذكروا الدجال، وعظموا أمره، فنزل: {إِنَّ الـذين يجادلون فِى ءايات الله} يعني: إن الـدجال من آيـات اللـه {فاسـتعذ باللـه} من فتنـة الـدجال، فإنـه ليس ثم فتنـة أعظم من فتنة الدجال. {إِنَّهُ هُـوَ السـميع} لقـول اليهـود، {البصير} يعني: العليم بـأمر الـدجال. ويقـال: {السـميع} لدعائك، {البصير} برد فتنة الدجال عنك.

{لَخَلْقُ السماوات والارض أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الناس ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} قال الكلبي ومقاتل: {لَخَلْقُ السـموات والارض} أعظم من خلــق الــدجال. ويقــال: {لَخَلْــقُ السـموات والارض} أعظم من خلـق النـاس بعـد مـوتهم. يعـني: أنهم يبعثـون يـوم القيامـة، {ولكن أَكْثَـرَ النـاس لاَ يَعْلَمُونَ} أن الدجال خلق من خلق الله. ويقال: لا يعلمون أن الله يبعثهم، ولا يصدقون.

{وَمَا يَسْـتَوِى الاعمى والبصـير} يعـني: الكـافر، والمـؤمن في الثــواب، {والــذين ءامَنُــواْ وَعَمِلُــواْ الصــالحات وَلاَ المسىء} يعني: لا يسـتوي الصـالح، مـع الطـالح، {قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ} أي: يتعظون، ويعتبرون.

قرأ عاصـم، وحمـزة، والكسـائي: {تَتَـذَكَّرُونَ} بالتـاء على وجه المخاطبة. والبـاقون: باليـاء {يَتَـذَكَّرُونَ} على معـنى الخبر عنهم. وفي كلا القراءتين مَا للصلة، والزينة.

{إِنَّ الساعة لاَتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا} يعني: قيام الساعة آتيــة لا شك فيها عند المؤمـنين، {ولكن أَكْثَـرَ النـاس لاَ يُؤْمِنُـونَ} أي: لا يصدقون الله تعالى.

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادعـونى أَسْـتَجِبْ لَكُمْ} قـال الكلـبي معنـاه: وحدوني، أغفر لكم. وقال مقاتل: معناه: وقال ربكم لأهـل الإيمان، ادعوني أستجب لكم، {إِنَّ الـذين يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى} أي: عن توحيدي، فلا يؤمنون بي، ولا يطيعونــني. {سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخرين} أي: صـاغرين. ويقـال: {وَقَـالَ رَبُّكُمْ ادعونى} يعني: الدعاء بعينه: {أَسْتَجِبْ لَكُمْ} يعـني: أستجب دعاءكم. وقال بعض المتأخرين: معناه ادعـوني بلا غفلة، أستجب لكم بلا مهلة. وقيل أيضاً: ادعوني بلا جفـاء، أستجب لكم بالوفاء. وقيل أيضاً: ادعوني بلا خطأ، أستجب لكم مع العطاء. وروى النعمان بن بشير، عن النـبي صـلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ العِبَـادَةُ، ثُمَّ قـرأ: {وَقَـالَ رَبُّكُمْ ادعـونى أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الـذين يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَـادَتِى سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخـرين}» قـرأ ابن كثـير، وعاصـم، في روايـة أبي بكـر، وإحـدى الروايـتين، عن أبي عمرو: {سَيَدْخُلُونَ} بضم الياء، ونصـب الخـاء على معـنى فعــل مــا لم يســم فاعلــه، وتكــون جهنم مفعــولاً ثانيــاً. والباقون: يدخلون بنصب اليـاء، وضـم الخـاء، على الإخبـار عنهم بالفعل المستقبل، على معنى سوف يدخلون.

{اللــه الــذى جَعَــلَ لَكُمُ اليــل} أي: خلــق لكم الليــل، {لِتَسْــكُنُواْ فِيــهِ} أي: لتســتقروا فيــه، وتســتريحوا فيــه، {والنهـار مُبْصِـراً} أي: مضـيئاً لابتغـاء الـرزق، والمعيشـة. ويقال: {مُبْصِراً} معناه: يبصـر فيـه، {إِنَّ اللـه لَـذُو فَضْـلٍ عَلَى الناس} يعني: على أهل مكـة بتـأخير العـذاب عنهم. ويقال {لَـذُو فَضْـلٍ عَلَى النـاس} أي: على جميـع النـاس، بخلــق الليــل والنهــار، {ولكن أَكْثَـرَ النـاس لاَ يَشْــكُرُونَ} لربهم في النعمة فيوحدونه، ويطيعونه. {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ}

يعني: الذي خلق هذا هو ربكم، {خالق كُلّ شَـئ لاَّ إلـه إِلاَّ هُوَ فأنى تُؤْفَكُونَ} أي: تصرفون، وتحولون. ويقال: {فأنى تُؤْفَكُونَ} أي: من أين تكذبون، {كَـذَلِكَ يُؤْفَـكُ} أي: هكـذا يكـذب. ويقـال: هكـذا يحـول، {الـذين كَـانُواْ بئايـات اللـه يَجْحَدُونَ} ويقال: هكذا يؤفك الذين كانوا من قبلهم.
{الله الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض قَرَاراً} أي بسط لكم الأرض، وجعلها موضع قراركم، {والسماء بِنَاء} أي: خلـق السـماء فـــوقكم مرتفعـــاً، {وَصَـــوَّرَكُمْ} أي: خلقكم {فَأَحْسَـــنَ صُـــوَرَكُمْ} ولم يخلقكم على صـورة الـدَّواب، {فَأَحْسَـنَ صُوَرَكُمْ} أي: أحكم خلقكم، {وَرَزَقَكُم مّنَ الطيبـات} أي: الحلالات. يقال: اللذيذات، {ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ} يعني: الـذي خلق هذه الأشياء هو ربكم، {فتبـارك اللـه رَبُّ العـالمين} أي: فتعالى الله رب العالمين. ويقال: هو من البركة يعني: البركة منه. {هُوَ الحى} يعـني: هـو الحي الـذي لا يمـوت، ويميت الخلائق، {لاَ إله إِلاَّ هُوَ فادعوه مُخْلِصِينَ لَهُ الـدين} يعني: بالتوحيد، {الحمـد للَّهِ رَبّ العـالمين} يعـني: قولـوا الحمد لله رب العالمين الذي صنع لنا هذا.

▲ تفسير الآيات رقم [66- 68]

{قُـلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُـدَ الَّذِينَ تَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِـرَبِّ الْعَـالَمِينَ (66) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَـةٍ ثُمَّ يُخْـرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُـوا أَشُـدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُـوا شُـيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَـوَفَّى مِنْ قَبْـلُ وَلِتَبْلُغُـوا أَجَلًا مُسَـمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَـا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (68)}
{قُـلْ إِنّى نُهِيتُ} يعـني: قـل يـا محمـد لأهـل مكـة: {إِنّى نُهِيتُ} {أَنْ أَعْبُدَ الذين تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: نهاني ربي أن أعبـد الـذين تعبـدون من دون اللـه من الأصـنام،

{لَمَّا جَــاءِنِى البينـــات مِن رَّبّى} يعــني: حين جـــاءني الواضـحات، وهــو القــرآن، {وَأُمِـرْتُ أَنْ أُسْـلِمَ لِـرَبّ العالمين} يعني: أستقيم على التوحيد، {هُـوَ الـذى خَلَقَكُمْ مِّن تُـرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَـةٍ ثُمَّ يُخْـرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُـواْ أَشُدَّكُمْ} وقد ذكرناه من قبل، {ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً} يعني: يعيش الإنسـان إلى أن يصـير شـيخاً، {وَمِنكُمْ مَّن يتـوفى مِن قَبْلُ} {وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاً مُّسَمًّى} يعني: الشباب، والشيخ، يبلغ {أَجَلاً مُّسَمًّى} وقتاً معلوماً. ويقال: في الآيـة تقـديم، ومعناه: {ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُـيُوخاً} أي: لتبلغـوا {أَجَلاً مُّسَـمًّى} يعـني: وقت انقضـاء أجلـه {وَمِنكُمْ مَّن يتـوفى مِن قَبْـلُ} أي: من قبـل أن يبلـغ أشـده. ويقـال: من قبـل أن يصـير شـيخاً، {وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُـونَ} أي: لكي تعقلــوا أمــر ربكم، ولتستدلوا به، وتتفكروا في خلقه.

{هُوَ الذى ا إله} أي: يحيي للبعث، ويميت في الدنيا، على معنى التقديم، ويقال: معناه هو الـذي يحـيي في الأرحـام، ويميت عند انقضاء الآجال، {فَإِذَا قضى أَمْـراً} يعـني: أراد أن يخلق شيئاً، {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

تفسير الآيات رقم [69- 76]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَـاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْـرَفُونَ (69) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَـا أَرْسَـلْنَا بِـهِ رُسُـلَنَا فَسَـوْفَ يَعْلَمُونَ (70) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِـلُ يُسْـحَبُونَ (71) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (72) ثُمَّ قِيـلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْـرِكُونَ (73) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَـالُوا ضَـلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (74) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُـونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْـرِ الْحَـقِّ وَبِمَـا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (75) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (76)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين يجادلون فِى ءايات الله} أي: يجـادلون في القرآن، أنه ليس منه، {أنى يُصْرَفُونَ} يعـني: من أين

يصرفون عن القـرآن، والإيمـان من أين تعـدلون عنـه إلى غيره؟ ويقال: عن الحق، والتوحيد.
ثم وصفهم فقـال: {الـذين كَـذَّبُواْ بالكتـاب} أي: بـالقرآن، {وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُـلَنَا} يعـني: بالتوحيـد. ويقـال: بـالأمر، والنهي، {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} ماذا ينزل بهم في الآخرة.
ثم وصف مـا يـنزل بهم، فقـال عـز وجـل: {إِذِ الاغلال فِى أعنـاقهم} يعـني: تـرد أيمـانهم إلى أعنـاقهم {والسلاسـل يُسْحَبُونَ} يعني: تجعل السلاسل في أعنـاقهم، يُسْـحَبُونَ، ويجــرون، {فِى الحميم} يعـني: في مـاء حـار، قـد انتهى حره. قال مقاتـل {يُسْـحَبُونَ فِى الحميم} يعـني: في حـر النار. وقال الكلبي: يعني: في الماء الحار.
{ثُمَّ فِى النـار يُسْـجَرُونَ} أي: يوقـدون، فصـاروا وقـوداً. وروي عن ابن عباس أنه قرأ: {والسلاسـل} بنصـب اللام، {يُسْحَبُونَ} بنصب الياء، يعـني: أنهم يسـحبون السلاسـل. وقال: هو أشد عليهم. وقراءة العامة {والسلاسـل} بضـم اللام {يُسْـحَبُونَ} بالضـم على معـنى فعـل مـا لم يسـم فاعله. والمعنى: أن الملائكة يسحبونهم في السلاسل.
{ثُمَّ قِيــلَ لَهُمْ} أي: تقــول لهم الخزنــة: {أَيْنَ مَــا كُنتُمْ تُشْــرِكُونَ} أي: تعبــدون، {مِن دُونِ اللــه} من الأوثــان، {قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا} يعـني: اشـتغلوا بأنفسـهم عنـا، {بَـل لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُواْ مِن قَبْــلُ شَــيْئاً} وذلــك أنهم ينــدمون على إقرارهم، وينكرون، ويقولون: {بَل لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُواْ مِن قَبْـلُ شَـيْئاً} في الـدنيا. ويقـال: معنـاه بـل لم نكن نعبـد شـيئاً ينفعنا.
يقول الله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ الله الكافرين} عن الحجة، {ذلكم} أي: ذلكم العــذاب، {بِمَــا كُنتُمْ تَفْرَحُــونَ فِى الارض} أي: تبطرون، وتتكـبرون في الأرض {بِغَيْـرِ الحـق وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ} أي: تعصون، وتستهزئون بالمسلمين،

{ادخلوا أبواب جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى المتكبرين}
أي: فبئس مقام المتكبرين عن الإيمان.

تفسير الآيات رقم [77- 85]

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (80) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (81) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (83) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (85)}

{فاصبر إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعني: اصبر يا محمد على أذى الكفار، {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} أي: كائن، {فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الذى نَعِدُهُمْ} من العذاب يعني: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا، وهو القتل، والهزيمة. {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} من قبل أن نرينك عذابهم في الدنيا، {فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} يعني: يرجعون إلينا في الآخرة، فنجزيهم بأعمالهم.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مّن قَبْلِكَ} يعني: إلى قومهم، {مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ} يعني: سميناهم لك، فأنت تعرفهم، {وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} يعني: لم نسمهم لك ولم

نخبرك بهم يعني: أنهم صـبروا على أذاهم، فاصـبر أنت يـا محمد على أذى قومك كما صبروا.

{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِئَايَةٍ} أي: ما كان لرسول، من القـدرة {وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلاً} أي بـدلائل، وبـراهين، {إِلاَّ بِـإِذْنِ اللـه} يعـني: بـأمره. {فَـإِذَا جَـاء أَمْـرُ اللـه} يعـني: العـذاب، {قُضِـىَ بـالحق} أي: عـذبوا، ولم يظلمـوا حين عذبوا، {وَخَسِرَ هُنَالِـكَ المبطلـون}. أي: خسـر عنـد ذلـك المبطلون. يعـني: المشـركون. ويقـال: يعـني: الظـالمون. ويقال: الخاسرون.

ثم ذكـر صـنعه ليعتـبروا فقـال: {اللـه الـذى جَعَـلَ لَكُمُ الانعام} يعني: خلق لكم البقـر، والغنم، والإبـل، {لِتَرْكَبُـواْ مِنْهَـا} أي بعضـها وهـو الإبـل، {وَمِنْهَـا تَـأْكُلُونَ} أي: من الأنعـام منـافع في ظهورهـا، وشـعورها، وشـرب ألبانهـا، {وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُـدُورِكُمْ} أي مـا في قلـوبكم، من بلد إلى بلد {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الفلك تُحْمَلُونَ} يعني: على الأنعـام، وعلى السـفن، {وَيُـرِيكُمْ ءاياتـه} يعـني: دلائلـه، وعجائبه، {وَيُـرِيكُمْ ءاياتـه فَـأَىَّ ءايـات} بأنهـا ليسـت من اللــه، {أَفَلَمْ يَسِـيرُواْ فِى الارض} يعــني: يســافروا في الأرض، {فَيَنظُرُواْ} أي: فيعتبروا، {كَيْفَ كَانَ عاقبة الـذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: آخر أمر من كان قبلهم، كيف فعلنـا بهم حين كـذبوا رسـلهم، {كَـانُواْ أَكْثَـرَ مِنْهُمْ} يعـني: أكـثر من قومك في العدد، {وَأَشَدَّ قُوَّةً} من قومك، {أَوَلَمْ يَسِـيرُواْ فِى}، يعـني: مصـانعهم أعظم آثـاراً في الأرض، وأطـول أعماراً، وأكثر ملكاً في الأرض، {فَمَآ أغـنى عَنْهُمْ مَّا كَـانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: لم ينفعهم ما عملوا في الدنيا، حين نـزل بهم العذاب.

{فَلَمَّا جَـاءتْهُمْ رُسُـلُهُم بالبينـات} بـالأمر، والنهي، وبخـبر العـذاب، {فَرِحُـواْ بِمَـا عِنـدَهُمْ مّنَ العلم} يعـني: من قلـة علمهم، رضوا بما عندهم من العلم، ولم ينظروا إلى دلائل

الرسل. ويقال: رضوا بما عندهم. فقـالوا: لن نعـذب، ولن نبعث. ويقـال: {فَرِحُـواْ بِمَـا عِنـدَهُمْ مّنَ العلم} أي: علم التجارة، كقوله {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الحياة الـدنيا وَهُمْ عَنِ الاخرة هُمْ غافلون} [الروم: 7].
{وَحَاقَ بِهِم} أي نزل بهم {مَّا كَـانُواْ بِـهِ يَسْـتَهْزِءونَ} أي: يسخرون به، ويقولون: إنه غير نازل بهم.
{فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا} أي: عذابنا في الدنيا، {قَالُواْ ءامَنَّا باللـه وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا} أي: تبرأنـا، {بِمَـا كُنَّا بِـهِ مُشْـرِكِينَ} يعـني: بما كنا به مشركين من الأوثان، {فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إيمانهم} يعـني: تصـديقهم، {لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَـنَا} أي: حين رأوا عـذابنا. قال القتبي: البأس الشدة. والبأس العـذاب كقولـه: {فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا} وكقولـه: {فَلَمَّا أَحَسُّـواْ} بأسـنا، {سُـنَّتُ اللـه التى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ} قال مقاتل: يعـني: كـذلك كـانت سنة الله {فِى عِبَادِهِ}. يعني: العذاب في الأمم الخالية إذا عاينوا العذاب، لم ينفعهم الإيمان. وقال القتبي: هكذا سنة الله أنـه من كفـر عذبـه، {وَخَسِـرَ هُنَالِـكَ الكـافرون} أي: خسر عند ذلك الكافرون بتوحيد الله عز وجل، وصلى اللـه على سيدنا محمد وآله وسلم.

(سورة حم سجده)

او

سورة فصلت

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{حم (1) تَنْزِيـلٌ مِنَ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ (2) كِتَـابٌ فُصِّـلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِـيرًا وَنَـذِيرًا فَـأَعْرَضَ أَكْثَـرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْـمَعُونَ (4) وَقَـالُوا قُلُوبُنَـا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آَذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَـلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (5)}

قوله تبارك وتعالى {حم} اسم السورة. ويقال: حم يعني: قضي ما هو كائن ويقال هو قسـم أقسـم اللـه تعـالى بـه. {تَنزِيـلَ} أي: نـزل بهـذا القـرآن جبريـل، {مّنَ الـرحمن الرحيم} تنزيل صار رفعاً بالابتداء، وخبره، {كتـاب فُصّـلَتْ ءاياته} ويقال: صار رفعاً بإضمار فيه. ومعنـاه: هـذا تنزيـل من الـرحمن الـرحيم، {كِتَـابٌ} يعـني: القـرآن {فُصّـلَتْ ءاياته} يعني: بينت، وفسرت دلائله، وحججـه. ويقـال: بيّن حلاله، وحرامه، {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} صار نصباً على الحال. أي: بينت آياته في حال جمعه، {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أي: يصـدقون، ويقـرون بالرسـل. ويقـال: يعلمـون مـا فيـه، ويفهمونـه. {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} أخـذ من الجمـع، ولـو كـان غـير عـربي لم يعلموه.

قوله تعالى: {بَشِـيراً وَنَـذِيراً} يعـني: {بَشِـيراً} لِلمؤمـنين بالجنـة {وَنَـذِيرًا} للكـافرين بالنـار. {فَـأَعْرَضَ أَكْثَـرُهُمْ} يعني: أعرض أكثر أهل مكة، {فَهُمْ لاَ يَسْـمَعُونَ} يعـني: لا يسمعون سمعاً ينفعهم، لأنهم لا يجيبون، ولا يطيعون.

{وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ} يعني: في غطاء لا نفقه ما تقول، {مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} من التوحيد لا يصل إلى قلوبنا، {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى} يعني: ثقلاً فلا نسمع قولك. يعني: نحن في استماع قولك، كالصم لا نسمع ما تقول، {وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} أي ستر، وغطاء، {فاعمل إِنَّنَا عاملون} يعني: اعمل على أمرك، نعمل على أمرنا. ويقال: اعمل لإلهك الذي أرسلك، إننا عاملون لآلهتنا، وهذا قول مقاتل، والأول قول الكلبي. ويقال: اعمل في هلاكنا، إننا عاملون في هلاكك. روى محمد بن كعب القرظي عمن حدثه: أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش: ألا أقوم إلى هذا الرجل، وأكلمه، وأعرض عليه أموراً، لعله يقبل منا بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا، وذلك حين رأوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يزيدون، ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد. فقام عتبة: حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من المكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وعبت آلهتهم، ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فإن كنت، إنما تريد بما جئت به مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً، وإن كنت تريد شرفاً شرفناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه، أي: خيالاً، لا تستطيع أن تردّه عنك نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا لك فيه أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل، حتى يداوى منه.

فلما فرغ منه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرحمن الرَّحِيم كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه} حتى انتهى إلى قوله: {فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صاعقة مِّثْلَ صاعقة عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت:

13]» فقام عتبة، وجاء إلى أصحابه. فقال بعضهم لبعض: تالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك؟ قال: سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش أطيعوني، وخلوا بيني وبين الرجل، وبين ما هو فيه. فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. فقال: هذا الرأي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم.

تفسير الآيات رقم [6- 12]

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (7) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (8) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12)}

يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد، {إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ} يعني: آدمياً مثلكم، {يوحى إِلَىَّ} ما أبلغكم من الرسالة، {أَنَّمَا إلهكم إله واحد فاستقيموا إِلَيْهِ} يعني: أقروا له بالتوحيد، {واستغفروه} من الشرك، {وَوَيْلٌ لّلْمُشْرِكِينَ} يعني: الشدة من العذاب للمشركين، {الذين لاَ يُؤْتُونَ الزكواة} يعني: لا يعطون الزكاة، ولا يقرون بها، {وَهُمْ بالاخرة هُمْ كافرون} يعني: بالبعث بعد الموت.

ثم وصــف المؤمــنين فقــال: {إِنَّ الــذين ءامَنُــواْ وَعَمِلُــواْ الصالحات} يعني: صدقوا بالله، وأدوا الفرائض، {لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعـني: غـير منقـوص. ويقـال: غـير مقطـوع. عنهم في حال ضعفهم، ومرضهم.

فقال عز وجل: {قُــل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُــرُونَ بالــذى خَلَــقَ الارض فِى يَوْمَيْنِ} اللفـظ لفـظ الاسـتفهام، والمـراد بـه التهديـد والزجر. يعني: أئنكم لتكذبون بالخـالق الـذي خلـق الأرض في يومين، يوم الأحد ويـوم الاثـنين. فبـدأ خلقهـا في يـوم الأحـد، وبسـطها في يـوم الاثـنين، {وَتَجْعَلُـونَ لَـهُ أَنـدَاداً} يعني: تصفون له شركاء من الآلهة، {ذَلِـكَ رَبُّ العـالمين} يعني: الذي خلق الأرض، فهو رب جميـع الخلـق، ولـو أراد الله أن يخلقها في لحظة واحدة لفعل، وكان قادراً. ولكنـه أحب أن يبصـر الخلـق وجـوه الأنـاة، والقـدرة على خلـق السـموات والأرض في أيـام كثـيرة، وفي لحظـة واحـدة سـواء، لأن الخلـق عـاجزون عن مثقـال ذرة منهـا، وكـان ابتداء خلق الأرض في يوم الأحد، وإتمام خلقهـا، وبسـطها في يوم الاثنين.

{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا} يعـني: وخلـق في الأرض الرواسي. يعني: الجبال الثوابت من فوقها، {وبارك فِيهَـا} بالماء، والشجر، {وَقَدَّرَ فِيهَـا أقواتهـا} يعـني: قسـم فيهـا الأرزاق. وقال عكرمة: {قُدِر فِيهَا أقواتها} يعني: قـدر في كل قريـة عملاً لا يصـلح في الأخـرى، مثـل النيسـابوري لا يكون إلا بنيسابور، والهروي لا يكون إلا بهراة. وقال قتادة: {وَقَـدَّرَ فِيهَـا أقواتهـا} قـال: جبالهـا، ودوابهـا، وأنهارهـا، وثمارها. وقال الحسن {وَقَدَّرَ فِيهَا أقواتها} قال: أرزاقهـا. وقال مقاتل: يعني: أرزاقها، ومعايشـها وروى الأعمش عن أبي ظبيان، عن ابن عباس رضي اللـه عنهم قـال: أول مـا خلق الله من شيء، خلق القلم. فقال له اكتب. فقـال: يـا رب وما أكتب؟ فقال: اكتب القـدر. فجـرى بمـا يكـون من

ذلك اليوم إلى يوم القيامة. ثم خلق النـون، ثم رفـع بخـار الماء، ففتـق منـه السـموات، ثم بسـط الأرض على ظهـر النون، فاضطرب النون، فتمادت الأرض، فأوتدت بالجبال.
ثم قال: {فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ} يعني: من أيـام الآخـرة. ويقـال: من أيام الدنيا، {سَوَاء لّلسَّائِلِينَ} يعني: لمن سأل الــرزق ومن لم يسـأل. وقـال مقاتـل: {سَـوَاء لّلسَّـائِلِينَ} يعـني: عدلاً لمن سأل الرزق، كقوله:
{إِذْ دَخَلُواْ على دَاوُودَ فَفَـزِعَ مِنْهُمْ قَـالُواْ لاَ تَخَـفْ خَصْـمَانِ بغى بَعْضُـنَا على بَعْضٍ فـاحكم بَيْنَنَـا بـالحق وَلاَ تُشْـطِطْ واهدنآ إلى سَوَآءِ الصراط} [ص: 22] يعـني: عـدلاً. وقـال ابن عباس: سألت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم عن هذه الآية، فقال: «خَلَقَ الأَرْوَاحَ، قَبْلَ الأَجْسَـادَ بـأَرْبَعِ آلافِ سَنَة»، وهكذا خلـق الأرزاق قبـل الأرواح بـأربع آلاف سـنة {فِى أَرْبَعَـةِ أَيَّامٍ سَـوَاء}. قـرأ الحسـن: {سَـوَآء} بكسـر الألف. وقرأ أبو جعفر المـدني: {سَـوَآء} بالضـم. وقـراءة العامـة: بالنصـب. فمن قـرأ: بالكسـر، جعـل سـواء صـفة للأيــام، والمعــنى في أربعــة أيــام، مســتويات، تامــات للسائلين. ومن قرأ: بالضم، فمعناه في أربعة أيام وقـد تم الكلام.
ثم استأنف فقال: {سَوَاء لّلسَّـائِلِينَ} ومن قـرأ: بالنصـب. يعـني: قـدرها سـواء صـار نصـباً على المصـدر. ومعنـاه: استوت استواءً. {ثُمَّ استوى إِلَى السماء} أي: صعد أمـره إلى السـماء، وهـو قولـه: {كُنَّ} ويقـال: عمـد إلى خلـق السماء {وَهِىَ دُخَـانٌ} يعـني: بخـار المـاء كهيئـة الـدخان. وذلك أنه لمـا خلـق العـرش، لم يكن تحت العـرش شـيء سوى الماء كمـا قـال. وكـان عرشـه على المـاء، ثم ألقى الحرارة على الماء حتى ظهـر منـه البخـار، فـارتفع بخـاره كهيئـة الـدخان، فـارتفع البخـار، وألقى الـريح الزبـد على

الماء، فزيد الماء، فخلق الأرض من الزبد، وخلـق السـماء من الدخان وهو البخار.

ثم قال تعالى: {وَهِيَ دُخَانٌ}، {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ} يعـني: للسـماء، والأرض، {ائتيـا طَوْعـاً أَوْ كَرْهـاً} يعـني: اعطيـا الطاعـة، طوعـاً أو كرهـاً. يعـني: ائتيـا بالمعرفـة لربكمـا، والذكر له طوعاً، أو كرهـاً، {قَالَتَـا أَتَيْنَـا طَـائِعِينَ} فأعطيـا الطاعة بالطوع. ويقـال: كـانت السـماء رتقـاً عن المطـر، والأرض عن النبـات، فقـال لهمـا {ائتيـا} يعـني: أعطيـا، وأخرجا مـا فيكمـا من المطـر، والنبـات منفعـة للخلـق إن شئتما طائعين، وإن شئتما كارهين. {قَالَتَـا أَتَيْنَـا طَـائِعِينَ} يعـني: أخرجنـا مـا فينـا طـائعين غـير كـارهين. وروي عن مجاهد أنه قال: معناه يا سماء أبـرزي شمسـك، وقمـرك، ونجومك، ويا أرض أخرجي نباتك طوعـاً، أو كرهـاً. ويقـال: هـذا على وجـه المثـل، يعـني: أمرهمـا بـإخراج مـا فيهمـا، فأخرجتا طائعتين.

قوله عز وجل {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سموات فِى يَـوْمَيْنِ وأوحى فِى كُلّ سَمَاء أَمْرَهَا} يعني: أمر أهـل كـل سـماء بأمرهـا. قـال السـدي: خلـق في كـل سـماء، خلقـاً من الملائكـة، {وَزَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح} يعـني: بـالنجوم {وَحِفْظـاً} يعني: من الشياطين أن يسترقوا السمع {ذلك} أي: الذي ذكر من صنعه {تَقْدِيرُ العزيز} في ملكه {العليم} بخلقه.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 18]

{فَـإِنْ أَعْرَضُـوا فَقُـلْ أَنْـذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِثْـلَ صَـاعِقَةِ عَـادٍ وَثَمُودَ (13) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَـا لَأَنْـزَلَ مَلَائِكَـةً فَإِنَّا بِمَـا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـافِرُونَ (14) فَأَمَّا عَـادٌ فَاسْـتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُـوَ أَشَـدُّ مِنْهُمْ قُـوَّةً وَكَـانُوا بِآيَاتِنَـا يَجْحَـدُونَ (15) فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًـا صَرْصَـرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَـاتٍ لِنُـذِيقَهُمْ

عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (17) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18)}

{فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ} أي: خوفتكم، {صاعقة} أي: عذاباً، {مّثْلَ صاعقة} أي: مثل عذاب {عَادٍ وَثَمُودَ}. وقال مقاتل: كان عاد وثمود ابني عم، وموسى وقارون ابني عم، وإلياس واليسع، ابني عم، وعيسى ويحيى ابني خالة. ومعنى: الآية إن لم يعتبروا فيما وصف لهم من قدرتي، وعظمتي، في خلق السموات والأرض، وأعرضوا عن الإيمان. فقال: أنذرتكم عذاباً مثل عذاب عاد وثمود، أنه يصيبهم مثل ما أصابهم. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: أخبرني الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا علي بن المنذر. قال: حدّثنا ابن فضيل، عن الأجلح، عن ابن حرملة، عن جابر بن عبد الله: أن أبا جهل، والملأ من قريش، بعثوا عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه، فقال: له أنت يا محمد خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ فلم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا، فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك لواء، وكنت رأساً ما بقيت. وإن كنت تريد الباءة، زوجناك عشرة نسوة تختارهن، من أي حي، من بنات قريش شئت. وإن كنت تريد المال، جمعنا لك من أموالنا، ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك. فلما فرغ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " {بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم حمتَنزِيلٌ مّنَ الرحمن الرحيم}» إلى قوله: «{مّثْلَ صاعقة عَادٍ وَثَمُودَ} ". فأمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم أن يكف. ثم رجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش، واحتبس عنهم. فقال: أبو جهل: والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا وقد صبأ، فأتوه. فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبوت إلى

دين محمد، وأعجبك أمره، فغضب عتبة، وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً. وقال: إني أتيته، وقصصت عليه القصة، فأجابني بقوله: " والله ليس فيه سحر ولا شعر، ولا كهانة " فأمسكت على فيه، وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً صلى الله عليه وسلم إذا قال قولاً، لم يكذب. فخفت أن ينزل بكم العذاب.
ثم قال تعالى: {إِذْ جَاءتْهُمُ الرسل مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} يعني: من قبل عاد وثمود، {وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يعني: من بعد عاد وثمود، {أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ الله} يعني: ألا تطيعوا في التوحيد غير الله. وهذا قول الرسل لقومهم، فأجابهم قومهم: {قَالُواْ لَوْ شَاء رَبُّنَا لاَنزَلَ ملائكة} ولم يرسل إلينا آدمياً، {فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافرون} أي: جاحدون.
وقد قيل في قوله: {مّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يعني: خوفوهم من بين أيديهم من أمر الآخرة، وحذروهم النار، ورغبوهم في الجنة.
{وَمِنْ خَلْفِهِمْ} يعني: زهّدوهم في الدنيا، فلم يقبلوا، وقد قيل: {مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ} يعني: ما خلق قبلهم، كيف أهلكهم الله، ومما خلفهم من أمر الآخرة. {فَأَمَّا عَادٌ فاستكبروا فِى الارض} يعني: تعظموا عن الإيمان عن قول لا إله إلا الله، {بِغَيْرِ الحق وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}.
يقول الله تعالى: {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ الله الذى خَلَقَهُمْ} وقواهم، {هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} يعني: بطشاً، ولم يعتبروا بذلك. {وَكَانُواْ بئاياتنا يَجْحَدُونَ} يعني: جاحدين بما آتاهم هود عليه السلام، إنه لا ينزل بهم.
قوله عز وجل: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً} يعني: ريحاً بارداً، ذا صوت ودوي تحرق، كما تحرق النار. ويقال: {رِيحاً صَرْصَراً} أي: شديدة الصوت، {فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ}. قال مقاتل: يعني: شدائد. وقال الكلبي: يعني: أيام مشؤومات. قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، {فِى أَيَّامٍ

نَّحِسَاتٍ} بجزم الحاء، والباقون: بكسر الحاء، ومعناهما واحد. ويقال: يوم نحس، ويوم نحس، وأيام نحسه، ونحسه، والنحسات جمع الجمع.

{لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخزى} يعني: العذاب الشديد في الدنيا، قبل عذاب الآخرة. وهذا كقوله: {ظَهَرَ الفساد فِى البر والبحر بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى الناس لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الذى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: 41] يعني: ليصيبهم بعض العقوبة في الدنيا. كقوله تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مّنَ العذاب الادنى دُونَ العذاب الاكبر لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني: يتوبون.

ثم قال عز وجل: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ} يعني: أشد مما كان في الدنيا. {وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعهم أحد من عذاب الله، لا في الدنيا، ولا في الآخرة. {وَأَمَّا ثَمُودُ} قرأ الأعمش: {ثَمُودُ} بالتنوين. وقراءة العامة بغير تنوين. {فهديناهم} يعني: بيّنا لهم الحق من الباطل، والكفر من الإيمان. وقال مجاهد: {فهديناهم} أي: دعوناهم. وقال قتادة ومقاتل: بيّنا لهم. وقال القتبي: دعوناهم، ودللناهم، {فاستحبوا العمى عَلَى الهدى} يعني: اختاروا الكفر على الإيمان. ويقال: اختاروا طريق الضلالة، على طريق الهدى، {فَأَخَذَتْهُمْ صاعقة العذاب الهون} والصاعقة هي العذاب الهون. يعني: يهانون فيه. ويقال: الهون الشديد. {بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعني: يعملون من الشرك، والمعاصي.

قوله عز وجل: {وَنَجَّيْنَا الذين ءامَنُواْ وَكَانُواْ يتَّقُونَ} يعني: آمنوا بصالح النبي عليه السلام، وَكَانُوا يَتَّقُونَ عقر الناقة، ويتقون الشرك، والفواحش.

تفسير الآيات رقم [19- 25]

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا

أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (24) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (25)}

ثم قال عز وجل: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللـه} يعني: يساق أعداء الله، وهم الكفار والمنافقون، {إِلَى النار}. قرأ نافع: {وَيَوْمَ نَحْشُرُ} بالنون، أعداء: بالنصب، على معنى الإضافة إلى نفسه. وقرأ الباقون: بالياء والضم. {يُحْشَرُ أَعْدَاء الله} على معنى فعل ما لم يسم فاعله، ويوم صار نصباً لإضمار فيه. يعني: واذكر يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ الله إلَى النَّارِ، {فَهُمْ يُوزَعُونَ} يعني: يحبس أولهم: ليلحق بهم آخرهم. وأصله من وزعته أي: كففته.

{حتى إِذَا مَا} يعني: إذا جاؤوها، ما صلة في الكلام. يعني: جاؤوا النار، وعاينوها. قيل لهم: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الذين كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 22] فقالوا عند ذلك وَالله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ فيختم على أفواههم، وتستنطق جوارحهم، فتنطق بما كتمت الألسن، فذلك قوله: {جَاءوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ} يعني: آذانهم بما سمعت، {وأبصارهم} يعني: أعينهم بما نظرت، ورأت، {وَجُلُودُهُم} يعني: فروجهم، {بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بجميع أعمالهم.

قوله تعالى: {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ} يعني: لجوارحهم. وقال القتبي: الجلود كناية عن الفروج، {لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أنطَقَنَا الله الذى أنطَقَ كُلَّ شَئ} يعني: أنطق الدواب،

وغـــيرهم، {وَهُــوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَــرَّةٍ} يعــني: أنطقكم في الدنيا، {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} في الآخرة.
يقول اللـه تعـالى: {وَمَـا كُنتُمْ تَسْـتَتِرُونَ} يعـني: مـا كنتم تمتنعون. ويقال: ما كنتم تحسبون، وتستيقنون، {أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَـمْعُكُمْ وَلاَ أبصـارِكم وَلاَ جُلُـودُكُمْ ولكن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهِ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ} من الخير، والشر، {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الذى ظَنَنتُم بِرَبّكُمْ أَرْدَاكُمْ} يعني: ذلـك الظن الـذي أهلككم. ويقال: {أَرْدَاكُمْ} يعني: أغـواكم. ويقـال: أهلككم ســـوء الظن. وروى الأعمش عن أبي صـــــالح، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " يَقُولُ الله تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَـذْكُرُنِي ". وقال الحسن: إن المؤمن أحســن الظن بربـه، فأحســن العمــل. وإن المنــافق أســاء الظن بربــه، فأســاء العمــل. {فَأَصْبَحْتُمْ مّنَ الخاسرين} يعني: صرتم من المغبونين.
{فَإِن يَصْبِرُواْ} على النار، {فالنار مَثْـوًى لَّهُمْ} أي: مـأوى لهم. ويقال: هذا جواب، لقولهم: {اصبروا على ءالِهَتِكُمْ}.
يقول الله تعالى: {فَإِن يَصْـبِرُواْ فالنـار مَثْـوًى لَّهُمْ}، {وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ} أي: يسترجعوا من الآخرة، إلى الدنيا، {فَمَا هُم مّنَ المعتــبين} أي: من المرجــوعين إلى الــدنيا. ويقــال: {وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ} يعـني: وإن يطلبـوا العـذر، {فَمَـا هُم مّنَ المعتبين} أي: لا يسمع، ولا يقبل منهم عذر.
قوله عز وجل: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَـاء} قـال القتـبي: يعـني: ألزمناهم قرناء من الشياطين.
وقال أهل اللغة: قيض يعني: سـلط. ويقـال: قيض بمعـنى قدر. {فَزَيَّنُواْ لَهُم} يعـني: زينـوا لهم التكـذيب بالحسـاب، وقال الحسن: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاء} أي: خلينــا بينهم، وبين الشياطين بما استحقوا من الخذلان، فَزَيَّنُوا لَهُمْ، {مَــا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} قال الضحاك. يعني: شككوهم في أمر الآخرة، وَمَا خَلْفَهُمْ يعني: رغبوهم في الدنيا. ويقال: زينــوا

لهم ما بين أيديهم. يعني: ما كان عليه آباؤهم من أمر الجاهلية، وما خلفهم. يعني: تكذيبهم بالبعث، {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ القول} يعني: وجب عليهم العذاب {فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ} يعني: مع أمم قد خلت من قبل أهل مكة، {مّنَ الجن والإنس إِنَّهُمْ كَانُواْ خاسرين} بالعقوبة. ويقال: إِنَّهُمْ كَانوا خاسِرِين مثلهم.

تفسير الآيات رقم [26- 29]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآَنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (27) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (28) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (29)}

قوله تعالى: {وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لهذا القرءان} نزلت الآية في أبي جهل، وأصحابه، فإنه قال: إذا تلى محمد القرآن، فارفعوا أصواتكم، بالأشعار، والكلام في وجوههم، حتى تلبسوا عليهم، فذلك قوله: {والغوا فِيهِ} يعني: الغطوا، واللغط هو الشغب، والجلب، {لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} أي: تغلبوهم فيسكتون. قال الزجاج: قوله: {والغوا فِيهِ} أي: عارضوه بكلام لا يفهم، يكون ذلك الكلام لغواً.

يقول الله تعالى: {فَلَنُذِيقَنَّ الذين كَفَرُواْ عَذَاباً شَدِيداً} يعني: في الدنيا بالقتل، {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ} في الآخرة {أَسْوَأَ الذى كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: أقبح ما كانوا يعملون، ويقال: هذا كله من عذاب الآخرة. يعني: فلنذيقن الذين كفروا في الآخرة عذاباً شديداً، ولنجزينهم من العذاب أَسْوَأَ ما كانوا يعملون. يعني: بأسوإ أعمالهم، وهو الشرك. {ذَلِكَ جَزَاء أَعْدَاء الله النار} يعني: ذلك العذاب الشديد هو جزاء

أعداءِ الله النَّارُ. يعني: ذلك العذاب هو النـار ويقـال: صـار رفعاً بالبدل عن الجزاء.
ثم قـال: {لَهُمْ فِيهَـا دَارُ الخُلْـدِ} يعـني: في النـار موضـع المقام أبداً، {جَزَاء أَعْدَاء الله النـار لَهُمْ} يعـني: بالكتـاب، والرسل.
قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَا أَرِنَـا اللـذين} يعـني: الصنفين اللذين {أضلانا} يعني: استنا ضـلالتنا، {مّنَ الجن والإنس} ويقال: جهلانا حتى نسينا الآخرة.
ثم قال: {نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الاسـفلين} في النـار. ويقـال: من الجن. ويقـال: يعـني: إبليس هـو الـذي أضلنا، ومن الإنس يعني: ابن آدم الذي قتل أخـاه. ويقـال: يعني: رؤساؤهم في الضلالة. كقوله: {وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السبيلا} [الأحزاب: 67] الآيةِ. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في روايـة أبي بكـر: {أَرِنَـا} بجزم الراء. والباقون: بالكسر ومعناهما واحد.

تفسير الآيات رقم [30- 36]

{إِنَّ الَّذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّهُ ثُمَّ اسْـتَقَامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَـةُ أَلَّا تَخَـافُوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِـرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِـرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَـا مَـا تَـدَّعُونَ (31) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (32) وَمَنْ أَحْسَنُ قَـوْلًا مِمَّنْ دَعَـا إِلَى اللَّهِ وَعَمِـلَ صَـالِحًا وَقَـالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْـلِمِينَ (33) وَلَا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلَا السَّـيِّئَةُ ادْفَـعْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ فَـإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَـبَرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيمٍ (35) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّـيْطَانِ نَـزْغٌ فَاسْـتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ (36)}
قوله تعالى: {إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا} يعني: قالوا ربنا الله، فعرفـوه، واسـتقاموا على المعرفـة. وقـال

القتبي: يعني: آمنوا، ثم استقاموا على طاعـة اللـه. وقـال ابن عبـاس في روايـة الكلـبي: {ثُمَّ اسـتقاموا} على مـا افترض الله عليهم. وروي عن أبي بكر الصديق رضي اللـه عنه أنه قرأ هذه الآية، ثم قال: أتدرون ما استقاموا عليـه؟ فقالوا: ما هو يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسـلم؟ قال: «اسْتَقَامُوا، وَلَمْ يُشْـرِكُوا». وقـال عمـر بن الخطـاب رضي الله عنه: {ثُمَّ استقاموا} ولم يروغوا روغان الثعلب على طاعة الله. فقال ابن عبـاس في روايـة القتـبي: {ثُمَّ استقاموا}. وعن أبي العالية أنه قال: {ثُمَّ استقاموا} أي: أخلصـوا لـه الـدين، والعمـل. ويقـال: وحّـدوا اللـه تعـالى، واسـتقاموا على طاعتـه، ولزمـوا سـنة نبيـه. وقـال بعض المتـأخرين: معنـاه: ثم اسـتقاموا أفعـالاً، كمـا اسـتقاموا أقـوالاً. وقـد قيـل أيضـاً: {إِنَّ الـذين قَـالُواْ رَبُّنَـا اللـه ثُمَّ استقاموا} يعني: يقولون اللـه مانعنـا، ومعطينـا، وضـارنا، ونافعنا، {ثُمَّ استقاموا} على ذلك القول، ولا يرون النفــع، ولا يرجون من أحد دون الله تعالى، ولا يخافون أحــداً دون الله، فذكر أعمالهم، ثم ذكر ثوابهم.

فقال: {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملئكة} قـال الكلـبي يعـني: تتـنزل عليهم الملائكة عند قبض أرواحهم، ويبشرونهم، ويقولـون: {أَلاَّ تَخَـافُواْ وَلاَ تَحْزَنُـواْ} يعـني: لا تخـافوا مـا أمـامكم من العذاب. ولا تحزنوا على ما خلفكم من الدنيا. وقال مقاتل: تتـنزل عليهم الملائكـة يعـني: تتـنزل عليهم الحفظـة من السـماء، يـوم القيامـة، فتقـول لـه: أتعرفـني؟ فيقـول: لا. فيقول: أنا الذي كنت أكتب عملك، وبشـره بالجنـة، فـذلك قوله: {وَأَبْشِـرُواْ بالجنـة الـتى كُنتُمْ تُوعَـدُونَ} في الـدنيا. وقــال زيــد بن أســلم البشــرى: في ثلاث مــواطن، عنــد المـوت، وفي القـبر، وفي البعث. وقـال بعض المتـأخرين: هذه البشرى للخائف الحزين، لا للآمن المستبشـر. يعـني: الذي كان خائفاً في الدنيا.

ثم قال عز وجل: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الحياة} يعني: تقـول لهم الحفظـة، نحن كنـا أوليـاءكم في الحيـاة الـدنيا، ونحن أولياؤكم، {وَفِى الاخرة وَلَكُمْ فِيهَـا مَـا تَشْـتَهِى أَنفُسُـكُمْ} يعني: لكم في الجنة ما تحب، وتتمنى قلوبكم، {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} يعني: تسألون.

ثم قال: {نُزُلاً} أي: رزقـاً {مّنْ غَفُـورٍ} للـذنوب العظـام، {رَّحِيمٌ} بـالمؤمنين. حكى الزجـاج عن الأخفش: {نُـزُلاً} منصوباً من وجهين، أحدهما على المصدر، فمعناه: أنزلنـاه نزلاً. ويجوز أن يكون على الحال.

قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمَّن دَعَـا إِلَى اللـه وَعَمِـلَ صـالحا} قـال بعضـهم: الآيـة نـزلت في شـأن المـؤذنين، يدعون الناس إلى الصلاة.

{وَعَمِلَ صالحا} يعني: صلى بين الأذان، والإقامة. ويقـال: الأنبياء يدعون الخلق إلى توحيد الله تعالى {عَمِلَ صالحا} يعـني: الطاعـات. ويقـال: العلمـاء يعلمـون النـاس أمـور دينهم، ويـدعونهم إلى طريـق الآخـرة {وَعَمِـلَ صـالحا} يعـني: عملـوا بـالعلم. ويقـال: نـزلت الآيـة في الآمـرين بـــالمعروف، والنـــاهين عن المنكـــر. يعـــني: يـــأمرون بالمعروف، ويعملون به، ويصبرون على ما أصابهم.

قوله: {وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ المسلمين} يعـني: أكـون على دين الإسلام، لأنه لا تقبل طاعة بغير دين الإسلام.

فقـال عـز وجـل: {وَلاَ تَسْـتَوِى الحسـنة وَلاَ السـيئة} قـال الزجاج: لا زائدة، مؤكدة، والمعنى: {لا تَسْـتَوِى الحسـنة} يعني: لا تسـتوي الطاعـة، والمعصـية. ولا يسـتوي الكفـر، والإيمـان. ويقـال: لا يسـتوي البصـير، والأعمى. ويقـال: لا يستوي الصبر، والجزع، واحتمـال الأذى، والإسـاءة. وذلـك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤذيـه أبـو جهـل لعنـة الله عليه، وكان النبي صلى الله عليـه وسـلم يكـره رؤيتـه بُغْضـاً لـه، فـأمره اللـه تعـالى بـالعفو، والصـفح، فقـال:

{لقادرون ادفع بالتى هِىَ أَحْسَنُ} يعني: ادفع بالكلمة الحسنة، الكلمة القبيحة، {فَإِذَا الذى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} يعني: إذا فعلت ذلك، يصير الذي بينك وبينه عداوة، بمنزلة القرابة في النسب.

قوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذين صَبَرُواْ} يعني: الكلمة الحسنة، ودفع السيئة، ما يعطاها إلا الذين صبروا على طاعة الله، وأداء الفرائض، {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} يعني: ذو نصيب وافر في الآخرة.

ويقال: {ادفع بالتى هِىَ أَحْسَنُ} يعني: بقول لا إله إلا الله السيئة. يعني: الشرك. {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الذين صَبَرُواْ} على كظم الغيظ.

ثم قال: {وَإِمَّا يَنَزَغَنَّكَ} يعني: يصيبك {مِنَ الشيطان نَزْغٌ} يعني: وسوسة على الاحتمال، {فاستعذ بالله} من شره، وامض على احتمالك. وقال مقاتل: {وَإِمَّا يَنَزَغَنَّكَ} يعني: يفتننك مِنَ الشَّيْطَانِ. {نَّزغَ} أي: فتنة. وقال الكلبي: الذنب عند دفع السيئة. ويقال: {يَنَزَغَنَّكَ} يعني: يغوينك {فاستعذ بالله} يعني: تعوذ بالله، {إِنَّهُ هُوَ السميع} للاستعاذة، {العليم} بقول الكفار وعقوبتهم.

▲ تفسير الآيات رقم [37- 39]

{وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (38) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)}

{وَمِنْ ءاياته} يعني: من علامات وحدانيته، {وَمِنْ ءاياته اليل والنهار والشمس والقمر لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ} يعني: خلق الشمس، والقمر، والليل، والنهار، دلالة لوحدانيته،

لتعرفوا وحدانيته فتعبدوه، ولا تعبدوا هذه الأشياء، {واسجدوا لِلَّهِ الذى خَلَقَهُنَّ} يعني: اعبدوا خالق هذه الأشياء، واسجدوا له، وأطيعوه، {إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} يعني: إن أردتم بعبادة الشمس، والقمر، رضا الله تعالى. فإن رضاه أن تعبدوه، ولا تعبدوا غيره.

ويقال: {إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} يعني: إن أردتم بعبادتهما عبادة الله تعالى، فاعبدوا الله، وأطيعوه، ولا تسجدوا لغيره، {فَإِنِ استكبروا} يعني: تكبروا عن السجود لله تعالى، وعن توحيده.

{فالذين عِندَ رَبّكَ} يعني: الملائكة، {يُسَبّحُونَ لَهُ} يعني: يصلون لله تعالى {الذين يُنفِقُونَ} يقال: هو التسبيح بعينه. يعني: يسبحونه، ويذكرونه، {وَهُمْ لاَ يَسْئَمُونَ} يعني: لا يملون من الذكر، والعبادة، والتسبيح.

قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته} أي: من علامات وحدانيته، {أَنَّكَ تَرَى الارض خاشعة} أي: غبراء، يابسة، لا نبت فيها، {فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الماء} يعني: المطر {اهتزت} يعني: تحركت بالنبات، {وَرَبَتْ} أي: علت يعني: انتفخت الأرض إذا أرادت أن تنبت {إِنَّ الذى أحياها} بعد موتها {فانظر إلى} للبعث في الآخرة، {إِنَّهُ على كُلّ شَىْء قَدِيرٌ} أي: من البعث وغيره.

▲ تفسير الآيات رقم [40- 42]

{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (41) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)}

قوله تعالى: {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فِى ءاياتنا} قال مقاتل: يعني: يميلون عن الإيمان بالقرآن. وقال الكلبي: يعني: يميلون في آياتنا بالتكذيب. وقال قتادة: الإلحاد التكذيب.

وقال الزجاج: أي يجعلون الكلام على غير وجهه. ومن هذا سمي اللحد لحداً، لأنه في جانب القبر. قرأ حمزة: {يُلْحِدُونَ} بنصب الحاء، والياء. والباقون: بضم الياء، وكسر الحاء، ومعناهما واحد، لحد وألحد بمعنى واحد.

قوله: {لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} أي: لا يقدرون على أن يهربوا من عذابنا، ولا يستترون منا، {أَفَمَن يلقى فِى النار} يعني: أبا جهل وأصحابه، {إِنَّ الذين يُلْحِدُونَ فِى} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم. ويقال: نزلت في شأن جميع الكفار، وجميع المؤمنين. يعني: من كان مرجعه إلى النار، حاله يكون خيراً أم حال من يدخل الجنة.

ثم قال لكفار مكة: {اعملوا مَا شِئْتُمْ} لفظه لفظ التخيير والإباحة، والمراد به التوبيخ، والتهديد، لأنه بيّن مصير كل عامل.

ثم قال تعالى: {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} من الخير، والشر.

قوله تعالى: بصير أي: عالم {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بالذكر لَمَّا جَاءهُمْ} يعني: جحدوا بالقرآن لما جاءهم، {وَأَنَّهُ} يعني: القرآن، {لكتاب عَزِيزٌ} يعني: كريم عند المؤمنين. ويقال: كريم على الله، أنزله آخر الكتب. وقال مقاتل: كتاب عزيز يعني: منيع عن الباطل. ويقال: عزيز لا يوجد مثله في النظم، وكثرة فوائده.

{لاَّ يَأْتِيهِ الباطل مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ} قال الكلبي ومقاتل: {لاَّ يَأْتِيهِ الباطل} أي: لا يأتيه التكذيب من الكتاب الذي قبله، كل يصدق هذا، ولا يجيء من بعده كتاب يكذبه. وقال قتادة: {لاَّ يَأْتِيهِ الباطل مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ} يعني: لا يستطيع الشيطان أن يبطل منه حقاً، ولا يؤيد فيه باطلاً. قال أبو الليث: حدثنا الخليل بن أحمد. قال: حدثنا الباغندي. قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب قال: قيل للنبي صلى الله

عليه وسلم: إن أمتك ستفترق من بعدك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلَى». فقالوا: ما المخرج منها. فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. من ابتغى العلم في غيره، أضله الله، ومن حكم بغيره، قصمه الله، وهو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، فيه خبر من كان قبلكم، وبيان من بعدكم، والحكم فيما بينكم هو الفصل المبين، وهو الفصل، وليس بالهزل، وهو الذي سمعته الجن، فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً لا يخلق على طول الدهر، ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، ثم قال للحارث خذها إليك يا أعور.

ثم قال: {تَنزِيلٌ مّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} يعني: القرآن تنزيل من الله تعالى، الحكيم في أمره، المحمود في فعاله. وقال بعضهم: قوله: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بالذكر لَمَّا جَاءهُمْ}، لم يذكر جوابه، وجوابه مضمر. وقال بعضهم: جوابه في قوله: {وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} ويقال: جوابه في قوله {وَلَوْ جعلناه قُرْءَاناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصّلَتْ ءاياته ءَاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ والذين لاَ يُؤْمِنُونَ فى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أولئك يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت: 44].

▲ تفسير الآيات رقم [43- 46]

{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (43) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (44) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ

بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْـهُ مُـرِيبٍ (45) مَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46)}

قولـه تعـالى: {مَّا يُقَـالُ لَـكَ إِلاَّ مَـا قَـدْ قِيـلَ لِلرُّسُـلِ مِن قَبْلِكَ} يعني: اصـبر على مقالـة الكفـار، فـإنهم لا يقولـون من التكـذيب لـك، إلا مـا قـد قيـل للرسـل من قبلـك من التكذيب. ويقال: معناه {مَّا يُقَالُ لَكَ} يعني: لا يـؤمر لـك. يعني: في الرسالة إلا ما قد قيـل للرسـل من قبلـك، بـأن يعبدوا الله. فيقال لك: أن تعبد الله أيضاً. ويقال: {مَّا يُقَالُ لَكَ} إلا بـأن تبلـغ الرسـالة، {إِلاَّ مَـا قَـدْ قِيـلَ لِلرُّسُـلِ مِن قَبْلِكَ} بـأن يبلغـوا الرسـالة، {إِنَّ رَبَّكَ لَـذُو مَغْفِـرَةَ} قـال مقاتل: أي ذو تجـاوز في تـأخير العـذاب عنهم إلى أجلهم. وقـــال الكلـــبي: {إِنَّ رَبَّكَ لَـــذُو مَغْفِـــرَةَ} لمن تـــاب من الشـــرك، {وَذُو عِقَـــابٍ أَلِيمٍ} لمن لم يتب، ومـــات على الكفر.

قوله عز وجـل: {وَلَـوْ جعلنـاه قُرْءانـاً أعْجَمِيّـاً} يعـني: لـو أنزلناه بلسان العبرانية، {لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصّلَتْ ءاياته} يعـني: هلا بيّن بالعربيـة. {ءاعْجَمِىٌّ وَعَـرَبِىٌّ} ويقولـون: القـرآن أعجمي، والرسول عربي، فكان ذلك أشـد لتكـذيبهم. قـرأ حمزة، والكسائي، وعاصـم، في روايـة أبي بكـر: بهمـزتين بغير مد. والباقون بهمزة واحدة مع المـد، ومعناهمـا واحـد ويكـون على معـنى الاسـتفهام. وقـرأ الحسـن {أَعْجَمِىٌّ} بهمزة واحدة بغير مد. ويكـون على غـير وجـه الاسـتفهام. وقرأ بعضهم {أَعْجَمِىٌّ} بنصب العين، والجيم. يقال: رجـل عجمي إذا كـــان من العجم، وإن كـــان فصـــيحاً. ورجـــل أعجمي إذا كان لا يفصح، وإن كان من العرب.

ثم قال تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ هُدًى} يعني: القـرآن هدى للمؤمنين من الضلالة، {وَشِفَاء} أي: شـفاء لمـا في الصدور من العمى، {والـذين لاَ يُؤْمِنُـونَ} بـالآخرة، {وَلَـوْ جعلنـاه قُرْءانـاً} يعـني: ثقـل، وصـم، {وَهُـوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}

عَمي بالكسر على معنى النعت، وقـراءة العامـة بالنصـب. يعني: القرآن عليهم حجة، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: يعني: عموا عنه فلا ينظرونـه، ولا يفهمونـه. وروي عن ابن عباس أنـه قـرأ: {وَهُـوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} بالكسـر على معنى النعت، وقراءة العامة بالنصب، على معـنى المصـدر. كمـا أنه قال: {هُدًى وَشِفَاء} على معنى المصدر.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} وهـذا على سـبيل المثل. يقال للرجـل إذا قـلٍ فهمـه: إنـك تنـادي من مكـان بعيد يعني: إنك لا تفهم شيئاً ويقال ينادون من مكان بعيـد. يعني: من السماء. وقال مجاهد: يعني: بعيـداً من قلـوبهم. وقال الضحاك: ينادون يوم القيامة من مكان بعيد، فينـادى الرجل بأشنع أسمائه. يعني: يقال له يا فاسـق، يـا منـافق يا، كذا يا كذا.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا موسـى الكتـاب} يعـني: أعطينـا موسى التوراة، ويقال: الألواح.

قوله: {فاختلف فِيهِ} يعني: صدق بعضهم، وكذب بعضهم، {وَلَـوْلاَ كَلِمَـةٌ سَـبَقَتْ مِن رَّبّـكَ} يعـني: وجبت بتـأخير العذاب، {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} يعـني: لفـرغ من أمـرهم، ولهلـك المكذب. {وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مّنْهُ مُرِيبٍ} يعني: من العـذاب بعد البعث {مُرِيبٍ} لا يعرفون شـكهم. ويقـال: {مُـرِيبٍ} أي: ظاهر الشك. ويقال: {وَلَـوْلاَ كَلِمَـةٌ سَـبَقَتْ مِن رَّبّـكَ} بتـأخير العـذاب عن هـذه الأمـة إلى يـوم القيامـة، لأتـاهم العذاب، إذ كذبوه كما فعل بغيرهم.

قولـه تعـالى: {مَّنْ عَمِـلَ صـالحا فَلِنَفْسِـهِ} يعـني: ثوابـه لنفسه، {وَمَنْ أَسَـاء فَعَلَيْهَـا} يعـني: العـذاب على نفسـه، {وَمَا رَبُّكَ بظلام لّلْعَبِيدِ} يعني: لا يعذب أحداً بغير ذنب.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 50]

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْـرُجُ مِنْ ثَمَـرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَـا وَمَا تَحْمِـلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَـعُ إِلَّا بِعِلْمِـهِ وَيَـوْمَ يُنَـادِيهِمْ أَيْنَ

شُرَكَائِي قَالُوا آَذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (47) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (48) لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (49) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (50)}

قوله تعالى: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ الساعة} يعني: لا يعلم قيام الساعة أحد إلا الله. يعني: يرد الخلق كلهم علم قيام الساعة إلى ربهم. {وَمَا تَخْرُجُ مِن ثمرات مّنْ أَكْمَامِهَا} يعني: من أجوافها. يعني: حين تطلع، وغلاف كل شيء كمه أي: تخرج من موضعها الذي كانت فيه. قرأ نافع، وابن عامر، وعاصم، في إحدى رواية حفص: {مِن ثمرات} بلفظ الجمع. والباقون: {مِن ثَمَرَةٍ} بلفظ الواحد.

ثم قال: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أنثى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ} يعني: إلا وهو يعلمه، ولا يعلم أحد قبل الولادة، قبل صفته، ولا يعلم أحد بعد وضعه، كم أجله. {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ} يعني: يدعوهم، {أَيْنَ شُرَكَائِىَ} يعني: الذين كنتم تدعون من دون الله، {قَالُواْ ءاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ} يعني: أعلمناك، وقلنا لك: {مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ} يعني: يشهد بأن لك شريك تبرؤوا من أن يكون مع الله شريك. وقالوا: ما منا من أحد يشهد لك أنه عبد أحد دونك. وقال القتبي: هذا قول الآلهة التي كانوا يعبدون في الدنيا. ما منا من شهيد لهم كما قالوا. وادعوه في الدنيا فينا. {وَضَلَّ عَنْهُم} يعني: بطل عنهم، {مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ} في الدنيا، {وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مّن مَّحِيصٍ} يعني: علموا، واستيقنوا ما لهم من ملجأ، ولا مفر من النار.

قوله تعالى: {وَ لاَّ يَسْئَمُ} يعني: لا يمل الكافر. قال الضحاك: نزلت في شأن النضر بن الحارث. {مِن دُعَاء الخير} يعني: من سؤال الخير. يعني: العافية في الجسد، والسعة في الرزق.

{وَإِن مَّسَّهُ الشر} يعني: أصابته الشدة، والبلاء، والفقر، {فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} يعني: آيساً من الخير، قانطاً من رحمة الله تعالى. ويقال: لا يمل من دعاء الخير، وإذا نزلت به شدة. يقول: اللهم عافني، وإذا مسه الشر {فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} يعني: آيساً من معبوده.

{وَلَئِنْ أذقناه رَحْمَةً مِّنَّا} يعني: أصبناه عافية منا، وَغِنًى، {مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ} يعني: من بعد شدة أصابته، {لَيَقُولَنَّ هذا لِى} يعني: أنا أهل لهذا، ومستحق له. ويقال: أنا أحق بهذا. ويقال: هذا بعملي، وأنا محقوق به.

{وَمَا أَظُنُّ الساعة قَائِمَةً} يعني: ما أحسب القيامة كائنة، {وَلَئِن رُّجّعْتُ إلى رَبّى} يعني: يوم القيامة، {إِنَّ لِى عِندَهُ للحسنى} يعني: الجنة ولئن كان يوم القيامة، كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلي الجنة.

يقول الله تعالى: {فَلَنُنَبّئَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: لنخبرنهم، {بِمَا عَمِلُواْ} من أعمالهم الخبيثة، {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ} يعني: لنجزينهم، {مّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} يعني: عذاب شديد لا يفتر عنهم.

تفسير الآيات رقم [51- 54]

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (51) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) أَلَا

إِنَّهُمْ فِي مِرْيَـةٍ مِنْ لِقَـاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ مُحِيـطٌ (54)}
قولـه تعـالى: {وَإِذَا أَنْعَمْنَـا عَلَى الإنسـان أَعْـرَضَ وَنَـأَى بِجَانِبِهِ} يعني: أعرض الكافر، فلا يدعو ربه. وقال الكلـبي: أعرض عن الإيمان. {وَنَأَى بِجَانِبِهِ} يعني: تباعد بجانبه عن الدعاء، وعن الإيمـان. {وَإِذَا مَسَّـهُ الشـر} يعـني: أصـابته الشدة {فَذُو دُعَاء عَـرِيضٍ} قـال مقاتـل والكلـبي: يعـني: كثيراً. ويقال: يعني: طويلاً. فإن قيل: قد قـال في موضـع. {وَإِذَا مَسَّهُ الشر فَيَئُوسٌ قَنُـوطٌ} وقـال في موضـع آخـر: {فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ} مرة ذكر أنه يَؤُوس، ومرة أخرى ذكـر أنه يدعو، فكيف هذا؟ قيل له: هـذا في شـأن رجـل، وهـذا في شـأن رجـل آخـر، ويجـوز أن يكـون في شـأن إنسـان واحـد. {وَإِذَا مَسَّـهُ الشـر فَيَئُوسٌ قَنُـوطٌ} عن كـل معبـود دون الله، فيدعو الله دائماً.
فقال عز وجل: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللـه} يعـني: إن كان هذا الكتاب من عند اللـه، {ثُمَّ كَفَـرْتُمْ بِـهِ} يعـني: جحــدتم أنــه ليس من عنــد اللــه، مــاذا تقولــون؟ ومــاذا تجيبون؟ وماذا تحتالون. إذا نزل بكم العذاب يوم القيامة؟
{مَنْ أَضَــلُّ مِمَّنْ هُــوَ فِى شِــقَاقٍ بَعِيــدٍ} أي: في خلاف طويل، بعيد عن الحق.
قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الافاق} يعني: عذابنا في البلاد، مثل هلاك عاد، وثمـود، وقـوم لـوط، وهم يـرون إذا ســافروا، آثــارهم، وديــارهم. {وَفِى أَنفُسِــهِمْ} يبتلــون بأنفسهم من البلايا. ويقال: من قتـل أصـحابهم الكفـار في الحرب، {حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحق} يعـني: إن الـذي قلت هو الحق، فيصدقونك. وقال مجاهد: {سَـنُرِيهمْ ءاياتنـا فِى الافـاق} يعــني: مــا يفتح اللــه عليهم من القــرى، {وَفِى أَنفُسِـهِمْ} قـال: فتح مكـة. وقـال الضـحاك: معنـاه أن أبـا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة، فانشق

القمـر نصـفين. فقـال: أبـو جهـل للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن كـان القمـر قـد انشـق، فهي آيـة. ثم قـال: يـا معشر قريش، إن محمداً قد سحر القمر، فوجهوا رسـلكم إلى الآفاق. هل عاينوا القمر؟ إنْ كان كذلك، فهي آيـة وإلا فذلك سحر، فوجهوا. فإذا أهل الآفاق، يتحدثون بانشـقاقه. فقال أبو جهل عليه اللعنة: هَذَا سِحْرٌ مُسْتَمِر. يعني: ذاهبـاً في الدنيا. فنزل {سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الافاق وَفِى أنفُسِـهِمْ حـــتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحـــق} وقـــال بعض المتـــأخرين. {سَـنُرِيهِمْ ءاياتنـا فِى الافـاق} مـا وضـع في العـالم من الدلائل، وفي أنفسهم ما وضع فيها من الدلائل، الـتي تـدل على وحدانيـة اللـه تعـالى، وأن محمـداً صـلى اللـه عليـه وسلم صادق ينطق بـالوحي فيمـا يقـول. وهـذا كمـا قـال: {وَفِى الارض ءايــــات لِلْمُــــؤْمِنِين وَفِى أنفُسِــــكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}.

قوله تعـالى: {أَوَ لَم يَكْـفِ بِرَبّـكَ} شـاهداً أن القـرآن من الله تعالى، {أَنَّهُ على كُلّ شَئ شَهِيدٌ} أي: عالم بأعمالهم، بالبعث وغيره.

وقال الكلبي: {أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبّكَ} يعـني: أنـه قـد أخـبرهم بـــذلك، وإن لم يســافروا. ويقــال: {أَوَ لَمْ يَكْــفِ بِرَبّــكَ} ومعنى الكفاية هاهنا، أنه قد بيّن لهم ما فيه كفاية، بالدلالة على توحيده، وتثبيت رسله.

ثم قــال: {أَلاَ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَــةٍ مّن لّقَــاء رَبّهِمْ} ألا: كلمــة تنبيه. يعـني: اعلم أنهم في شـك من البعث، {أَلاَ إِنَّهُ بِكُـلّ شَـئ مُّحِيـطُ} يعـني: ألا إن اللـه تعـالى عـالم بأعمـالهم، وعقوبتهم، والإحاطة إدراك الشـيء بكمالـه. يعـني: أحـاط علمــه ســبحانه وتعــالى بكــل شــيء من البعث، وغــيره، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نـبي بعـده وآلـه وسلم.

سورة الشورى

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{حم (1) عسق (2) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4)}

قوله تبارك وتعالى: {حم عسق} روي عن ابن عباس أنه قال: الحاء حكم الله، والميم ملك الله، والعين علو الله، والسين سناء الله، والقاف قدرة الله. فكأنه يقول: فبحكمي، وملكي، وعلوي، وسنائي، وقدرتي، لا أعذب عبداً قال: لا إله إلا الله، مخلصاً، فلقيني بها. ومعنى قول ابن عباس: لا يعذب عبداً يعني: لا يعذبه عذاباً دائماً، خالداً. وروى المسيب عن رجل، عن أبي عبيدة، قال: العين عذاب الله، والسين سنون، والقاف فيها القحط العجب. قال: وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «افْتَحُوا صِبْيَانُكُمْ قَوْلَ لا إله إلاَّ الله، وَلَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إله إلاَّ الله» الحِكْمَةُ فِي ذلك، لأن حال الصبيان حال حسن، لا غل، ولا غش في قلوبهم، وحال الموتى حال الاضطرار. فإذا قلتم ذلك في أول ما يجري عليكم القلم، وآخر يجف القلم فعسى الله أن يتجاوز ما بين ذلك. قال المسيب: وحدثنا محدث قال: قاف قذف؛ وقال الضحاك: في قوله: {حم عسق} قال: قضى عذاب سيكون واقعاً، وأرجو أن يكون قد مضى يوم بدر، والسنون. وقال شهر بن حوشب: {حم عسق} حرب يذل فيه العزيز، ويعز فيه الذليل من قريش، ثم يفضي إلى العرب، ثم إلى العجم، ثم هي متصلة إلى خروج الدجال. وقال عطاء: الحاء حرب، وهو موت ذريع في الناس، وفي الحيوان، حتى يبيدهم، ويفنيهم، والميم تحويل ملك من قوم إلى قوم،

والعين عدو لقريش يركبهم، ثم ترجع الدولة إليهم بحرمة البيت، والسين هو استئصال بالسنين كسني يوسف، والقاف قدر من الله نافذ في ملكوت الأرض، لا يخرجون من قدره، وهو نافذ فيهم. وقال السدي: الحاء حلمه، والميم ملكه، والعين عظمته، والسين سناؤه، والقاف قدرته. وقال قتادة: هو اسم من أسماء الله تعالى. ويقال اسم من أسماء القرآن.

ثم قال تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ} يعني: أوحى الله إليك ب {حم عسق} كما أوحى الله بها إلى الذين كانوا من قبلك. وقال ابن عباس: ليس من نبي وإلا وقد أوحى الله تعالى إليه ب {حم عسق} كما أوحى الله بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قرأ ابن كثير: {يوحى إِلَيْكَ} بالألف، على معنى فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: {يُوحِى} بالكسر. يعني: هكذا يوحي الله إليك. وقرئ في الشاذ (نوحي) بالنون.

ثم قال: {الله العزيز} بالنقمة على من لم يجب الرسل، {الحكيم} حكم بإنزال الوحي عليك. وقال مقاتل: {كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الذين مِن قَبْلِكَ} يعني: في أمر العذاب.

قوله عز وجل: {لَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض} يعني: من خلق، {وَهُوَ العلى} يعني: لرفعي {العظيم} فلا شيء أعظم منه. يعني: عظيم قدرته.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 10]

{تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْض أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (6) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (7) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي

رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (8) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (9) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10)}

قوله تعالى: {تَكَادُ السموات يَتَفَطَّرْنَ} يعني: يتشققن، {مِن فَوْقِهِنَّ} يعني: تكاد أن يتشققن من قدرة الله، وهيبته. يعني: من هيبة الرحمن، وجلاله، وعظمته. قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وعاصم، في رواية حفص: {تَكَادُ السموات} بالتاء، بلفظ التأنيث، {يَتَفَطَّرْنَ} بالتاء بلفظ التأنيث. وقرأ أبو عمرو، وعاصم، في رواية أبي بكر: {تَكَادُ} بالتاء بلفظ التأنيث، {يَنْفَطِرْنَ} بالنون. وقرأ الباقون: بالياء بلفظ التذكير {السماوات يَتَفَطَّرْنَ} بالياء.

ثم قال: {والملائكة يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} يعني: يسبحونه، ويذكرونه، {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض} يعني: للمؤمنين. وروى داود بن قيس قال: دخلت على وهب بن منبه، فَسُئِلَ عن قوله: {الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فاغفر لِلَّذِينَ تَابُواْ واتبعوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجحيم} [غافر: 7] قال: للمؤمنين منهم. وفي رواية أنه قال: نسختها الآية التي في سورة المؤمن حيث قال: {الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فاغفر لِلَّذِينَ تَابُواْ واتبعوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجحيم} [غافر: 7]. وروى معمر عن قتادة قال: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض} قال: للمؤمنين منهم. قال أبو الليث رحمه الله: هذا الذي روي عن قتادة أصح، لأن النسخ في الأخبار لا يجوز، وإنما في الأمر، والنهي.

ثم قال: {أَلاَ إِنَّ الله هُوَ الغفور} لـذنوبهم، {الـرحيم} بهم في الرزق. ويقال: {وَيَسْـتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض} يعـني: يسألون لهم الرزق.
قوله عز وجل: {والـذين اتخـذوا مِن دُونِـهِ أَوْلِيَـاء} يعـني: عبدوا من دون الله {أَوْلِيَاء} يعني: أصـناماً. {اللـه حَفِيـظٌ عَلَيْهِمْ} يعني: يحفظ أعمالهم، ويقال: شهيد عليهم، {وَمَـا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} يعني: بمسلط، لتجبرهم على الإيمـان. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.
قوله عز وجل: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءانـاً عَرَبِيّـاً} يعـني: هكـذا أنزلنـا عليـك جبريـل بـالقرآن، ليقـرأ عليـك القـرآن بلغتهم، ليفهموه. {لّتُنذِرَ أُمَّ القرى} يعني: لتخوف بالقرآن أهل مكة، {وَمَنْ حَوْلَهَا} من البلدان، {وَتُنذِرَ يَوْمَ الجمـع} يعني: لتنذرهم بيوم القيامة. والباء محذوفة منه كما قـال: {لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا} يعني: ببأس شديد. وإنمـا سـمي يـوم الجمع، لأنه يجتمع فيـه أهـل السـماء، وأهـل الأرض كلهم، من الأولين والآخرين. {لاَ رَيْبَ فِيهِ} يعني: يـوم القيامـة لا شك فيـه أنـه كـائن. {فَرِيـقٌ فِى الجنـة} وهم المؤمنـون، {وَفَرِيقٌ فِى السعير} وهم الكافرون.
قوله تعالى: {وَلَـوْ شَـاء اللـه لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحـدة} يعـني: على ملة واحدة، وهو الإسلام. {ولكن يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِى رَحْمَتِهِ} يعني: يكرم بدينه من يشـاء، من كـان أهلاً لـذلك، ويدخله في الآخرة في رحمته.
أي: في جنتــه {والظــالمون مَــا لَهُمْ مّن وَلِىّ وَلاَ نَصِـيرٍ} يعـني: الكـافرين ليس لهم مـانع يمنعهم من العـذاب، ولا ناصر ينصرهم.
قوله تعالى: {أَمِ اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} يعني: عبـدوا من دون اللـه أربابـاً، {فاللـه هُـوَ الـولى} يعـني: هـو أولى أن يعبدوه. ويقال: الله هو الولي. يعني: هـو الـرب، وهـو إلـه السموات، وإله الأرض. ويقال: هو الولي لمصالحهم، ينزل

المطر بعد المطر، {وَهُوَ يُحْيِ الموتى} يعني: يحيهم بعد الموت. ويقال: يحيي قلوبهم بالمعرفة، {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: قادر على ما يشاء.

قوله تعالى: {وَمَا اختلفتم فِيهِ مِن شَئ} يعني: إذا اختلفتم في أمر الدين، {فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ} يعني: علمه عند الله، {ذَلِكُمُ الله رَبّى} يعني: الذي ذكر هو الله ربي، {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} يعني: فوضت أمري إليه سبحانه، {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} يعني: أقبل إلى الله تعالى بالطاعة.

تفسير الآيات رقم [11- 15]

{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (12) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (14) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)}

{فَاطِرَ السموات والارض} يعني: هو خالق السموات والأرض، {جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني: أصنافاً ذكراً، وأنثى، {وَمِنَ الانعام أزواجا} يعني: أصنافاً، ذكراً، وأنثى. وقال القتبي: {جَعَلَ لَكُمْ مّنْ أنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} يعني: من جنسكم إناثاً، {وَمِنَ الانعام أزواجا} يعني: إناثاً،

{يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} يعني: يخلقكم فيـه. أي: من الـرحم. وقـال الكلبي: {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} يعني: يكـثرهم في الـتزويج. وقـال مقاتل: يعيشـكم فيمـا جعـل لكم من الـذكور والإنـاث من الأنعام.

ثم قال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ} في القدرة. وقال أهل اللغـة: هذا الكاف مؤكـدة. أي: ليس مثلـه شـيء. ويقـال: المثـل صلة في الكلام. يعـني: ليس هـو كشـيء، {وَهُـوَ السـميع البصـير} يعــني: هــو الســميع لمقــالتهم، البصــير بهم وبأعمالهم. ومعنى الآية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـئ} لأنـه الخـالق، العالم بكل شيء، والقادر على ما يشـاء، {اللـه لاَ إلـه إِلاَّ هُوَ الحى القيوم لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السـموات وَمَا فِي الارض مَن ذَا الذى يَشْفَعُ عِنـدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِـهِ يَعْلَمُ مَـا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ السـموات والارض وَلاَ يَـؤُودُهُ حِفْظُهُمَـا وَهُوَ العلى العظيم} [البقرة: 255] وهـذه المعـاني بعيـدة من غيره.

ثم قال عز وجـل: {لَّهُ مَقَالِيـد السـموات والارض} يعـني: خزائن السموات والأرض وهو المطر، وخزائن الأرض وهو النبات، {يَبْسُطُ الـرزق لِمَن يَشَـاء} يعـني: يوسـع الـرزق على من كان صلاحه في ذلك، {وَيَقْدِرُ} يعـني: يقـتر على من كــان صــلاحه في ذلــك، {إِنَّهُ بِكُــلّ شَــئ عَلِيمٌ} من البسط، والتقتير.

قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مّنَ الـدين} قـال مقاتـل: أي بيّن لكم الدين، وهو الإسلام. و{مِنْ} هاهنا صلةٍ وقال الكلبي: اختار لكم من الدين. ومعناه: اختـار لكم دينـاً من الأديـان، وأكرمكم به.

ثم قال: {مَا وصى بِهِ نُوحـاً} يعـني: الـدين الـذي أمـر بـه نوحـاً أن يـدعو الخلـق إليـه، وأن يسـتقيم عليـه، {والـذى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} يعني: الذي أوحينا إليك بأن تدعو الناس إليه:

{وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ} يعني: والدين الذي أمرنا به {إِبْرَاهِيمَ وموسى وعيسى} ثم بيّن ما أمرهم به، فقال: {أَنْ أَقِيمُواْ الدين} يعني: أقيموا التوحيد، {وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ} يعني: لا تختلفوا في التوحيد، {كَبُرَ عَلَى المشركين} يعني: على مشركي مكة {مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} وهو التوحيد. وقال أبو العالية: {أَنْ أَقِيمُواْ الدين} قال: الإخلاص لله في عبادته، لا شريك له، ولا تتفرقوا فيه. قال: لا تتعالوا فيه، وكونوا عباد الله إخواناً {كَبُرَ عَلَى المشركين مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} يعني: الإخلاص لله تعالى.

ويقال: {أَنْ أَقِيمُواْ الدين} يعني: ارفقوا في الدين. اتفقوا ولا تتفرقوا فيه. يعني: لا تختلفوا فيه، كما اختلف أهل الكتاب.

ثم قال: {الله يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاء} أي: يختار لدينه من يشاء، من كان أهلاً لذلك، {وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} يعني: يرشد إلى دينه، من يقبل إليه. ويقال: يهدي من كان في علمه السابق أنه يتوب ويرجع. ويقال: {مَن يُنِيبُ} يعني: من يجتهد بقلبه. كما قال: {والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} قوله تعالى: {وَمَا تَفَرَّقُواْ} يعني: مشركي مكة ما تفرقوا في الدين، {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم} في كتابهم. يعني: جاءهم محمد بالبينات. ويقال: {وَمَا تَفَرَّقُواْ} يعني: أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم في كتابهم. يعني: من نعت محمد صلى الله عليه وسلم {بَغْياً بَيْنَهُمْ} يعني: حسداً فيما بينهم، لأنه كان من العرب. وروى معمر عن قتادة أنه تلى: {وَمَا تَفَرَّقُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم} قال: إياكم والفرقة فإنها مهلكة. وروي في الخبر: «إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَة وآفَةُ الدِّينِ الهَوَى». ثم قال: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبّكَ إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: بتأخير العذاب إلى وقت معلوم. {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} يعني: لفرغ منهم بالهلاك. {وَإِنَّ الذين أُورِثُواْ الكتاب} يعني:

أعطـوا التـوراة، والإنجيـل، {مّن بَعْـدِهِمْ} يعـني: من بعـد نوح، وإبراهيم. وقال مقاتل: يعـني: من بعـد الأنبيـاء {لَفِى شَكٍّ مّنْهُ} يعني: من القرآن {مُرِيبٍ} أي: ظاهر الشك.

وقولـه تعـالى: {فَلِـذَلِكَ فـادع} يعـني: فـإلى ذلـك ادعهم يعـني: إلى القـرآن، ويقـال: إلى التوحيـد {واسـتقم كَمَـا أُمِرْتَ} يعني: استقم عليه كمـا أمـر {وَلاَ تَتَّبِـعْ أَهْـوَاءهُمْ} يعـني: لا تعمـل بهـواهم، وذلـك حين دعـوه إلى ملـة آبائـه {وَقُلْ ءامَنتُ} يعني: صدقت {بِمَا أَنـزَلَ اللـه مِن كتـاب} يعني: بجميع ما أنزل اللـه من الكتب عليَّ وعلى من كـان قبلي {وَأُمِـرْتُ لاِعْـدِلَ بَيْنَكُمُ} وهـو الـدعوة إلى التوحيـد، وإلى قول: لا إله إلا الله {الله رَبُّنَـا وَرَبُّكُمْ} يعـني: خالقنـا وخـالقكم {لَنَـا أعمالنـا وَلَكُمْ أعمـالكم} يعـني: لنـا ديننـا، ولكم دينكم {لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} يعـني: لا خصـومة بيننـا وبينكم، يوم القيامة {وَإِلَيْهِ المصـير} يعـني: إليـه المرجـع في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [16- 20]

{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَـا اسْـتُجِيبَ لَـهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَـبٌ وَلَهُمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ (16) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِـالْحَقِّ وَالْمِـيزَانَ وَمَـا يُـدْرِيكَ لَعَـلَّ السَّـاعَةَ قَـرِيبٌ (17) يَسْـتَعْجِلُ بِهَـا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِهَـا وَالَّذِينَ آمَنُـوا مُشْـفِقُونَ مِنْهَـا وَيَعْلَمُـونَ أَنَّهَـا الْحَـقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَـارُونَ فِي السَّـاعَةِ لَفِي ضَـلَالٍ بَعِيـدٍ (18) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيـزُ (19) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِـرَةِ نَـزِدْ لَـهُ فِي حَرْثِـهِ وَمَنْ كَـانَ يُرِيـدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)}

قوله تعالى: {والذين يُحَاجُّونَ فِى الله} يعـني: يخاصـمون في توحيد الله ودين الله {مِن بَعْدِ مَا استجيب لَهُ} يعـني: من بعد ما أجابوا إياه، أي: بعد ما أجاب المؤمنـون بتوحيـد اللـه لنبيـه. وقـال مجاهـد: طمـع رجـال بـأن يعـودوا إلى

الجاهلية فنزل {والذين يُحَاجُّونَ فِى الله} إلى قوله: {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ} وروى معمر عن قتادة قال: والذين يحاجون في الله، يعني: في دينه قال: هم اليهود، والنصارى. قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم. فنزل {والذين يُحَاجُّونَ فِى الله} أي: في دين الله {مِن بَعْدِ مَا استجيب لَهُ} يعني: من بعد ما دخل الناس في الإسلام {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ} يعني: خصومتهم باطلة. ويقال: احتجاجهم زائل، ساقط. يقال دحض أي: زال، ومعناه: ليس لهم حجة. وسمى قولهم حجة على وجه المجاز، يعني: حجتهم كما قال: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءالِهَتَهُمُ} يعني: الآلهة بزعمهم، ولم يكونوا آلِهَة في الحقيقة {عِندَ رَبّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} يعني: كما يكابرون عقولهم {وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} بما كانوا يفعلون.

قوله عز وجل: {الله الذى أنزَلَ الكتاب بالحق والميزان} أي: لبيان الحق، وأنزل الميزان وهو العدل ويقال: وأنزل الميزان في زمان نوح. ويقال: هي الحدود والأحكام والأمر والنهي. قوله: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ} يعني: قيام الساعة قريب. وهذا كقوله: {اقتربت الساعة} وقال تعالى: {لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ} ولم يقل قريبة، لأن تأنيثها ليس بحقيقي، ولأنه انصرف إلى المعنى، يعني: للبعث. قوله تعالى: {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا} يعني: إنَّ المشركين كانوا يقولون: {متى هذا الوعد إِن كُنتُمْ صادقين} ويقولون: {رَبَّنَا عَجّل لَّنَا قِطَّنَا} {والذين ءامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا} يعني: خائفين من قيام الساعة، لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون، محاسبون {وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحق} يعني: يعلمون أن الساعة كائنة. {أَلاَ إِنَّ الذين يُمَارُونَ فَى الساعة} يعني: يشكون ويخاصمون فيها. {لَفِى ضلال بَعِيدٍ} أي: في خطأ طويل، بعيد عن الحق.

قوله عز وجل: {الله لَطِيفٌ بِعِبَـادِهِ} يعـني: عـالم بعبـاده. ويقـال: رحيم بعبـاده، ويقـال اللطيـف الـذي يـرزقهم في الـدنيا، ولا يعـاقبهم في الآخـرة. ويقـال: اللطيـف بعبـاده، بـالبر، والفـاجر لا يهلكهم جوعـاً {يَـرْزُقُ مَن يَشَـاء} بغـير حسـاب. ويقـال يـزرق من يشـاء، مقـدار مـا يشـاء، في الوقت الذي يشاء {وَهُوَ القـوى} على هلاكهم. {العزيـز} يعني: المنيع لا يغلبه أحد.

قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيـدُ حَـرْثَ الاخـرة} يعـني: ثـواب الآخـرة بعملـه. {نَـزِدْ لَـهُ فِى حَرْثِـهِ} يعـني: ينـال كليهمـا {وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدنيا} يعني: ثواب الدنيا بعمله. {نُؤْتِهِ مِنْهَا} يعني: نعطـه منهـا. {وَمَـا لَـهُ فِى الاخـرة مِن نَّصِيبٍ} لأنه عمل لغير الله تعـالى. قـال أبـو الليث رحمـه الله: حدّثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حـدّثنا محمـد بن عقيـل قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل الصايغ قال: حدّثنا الحجـاج قال: حدّثنا شعبة، عن عمر بن سليمان، عن عبد الـرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت، عن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم أنـه قـال: «مَنْ كـانَتْ نِيَّتُـهُ الآخِـرَةَ جَمَـعَ اللـه شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ اللـه عَلَيْـهِ أمْـرَهُ، وَجَعـلَ فَقْـرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْـهِ، وَلَمْ يَأتِـهِ مِنَ الـدُّنْيَا إلاَّ مَـا كَتَبَ اللـه لَـهُ». وقـال القتـبي: الحـرث في اللغـة العمـل. يعـني: من كـان يريـد بحرثه، أي: بعمله {الاخـرة} نضـاعف لـه الحسـنات. ومن أراد بعمله الدنيا أعطيناه ولا نصيب له في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [21- 23]

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَـأْذَنْ بِـهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِـيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَـبُوا وَهُـوَ وَاقِـعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ فِي رَوْضَـاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَـاءُونَ عِنْـدَ رَبِّهِمْ ذَلِـكَ هُـوَ الْفَضْـلُ الْكَبِـيرُ (22)

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23)}

قوله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء} يعني: ألهم آلهة دوني. {شَرَعُواْ لَهُمْ مّنَ الدين} أي: بينوا لهم من الدين {مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله} يعني: ما لم يأمر به. ويقال: معناه ألهم آلهة ابتدعوا لهم من الدين. أي: من الشريعة والطريقة. ويقال: سنوا لهم ما لم يأذن به الله، يعني: ما لم ينزل به الله من الكتاب والدين {وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الفصل} يعني: القضاء الذي سبق، ألا يعذب هذه الأمة، ويؤخر عذابهم إلى الآخرة. {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} يعني: أنزل بهم العذاب في الدنيا {وَإِنَّ الظالمين} يعني: المشركين. {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

قوله تعالى: {تَرَى الظالمين} يعني: ترى الكافرين يوم القيامة. {مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ} يعني: خائفين مما عملوا في الدنيا {وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ} يعني: نازل بهم ما كانوا يحذرون. {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: الذين صدقوا بالتوحيد، وأدّوا الفرائض، والسنن {فِى روضات الجنات} يعني: في بساتين الجنة. {لَهُمْ مَّا يَشَآءونَ عِندَ رَبّهِمْ} من الكرامة. {ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير} يعني: المن العظيم.

قوله تعالى: {ذَلِكَ الذى يُبَشّرُ الله} يعني: ذلك الثواب الذي يبشر الله {عِبَادِهِ} في الدنيا قرأ حمزة، والكسائي، وابن كثير، وأبو عمرو {يُبَشّرُ} بنصب الياء، وجزم الباء، وضم الشين مع التخفيف. والباقون بالتشديد وقد ذكرناه {الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: يبشرهم بتلك الجنة، وبذلك الثواب ثم قال: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} يعني: قل يا محمد لأهل مكة، لا أسألكم عليه أجراً، أي

على ما جئتكم به أجراً {إِلاَّ المودة فِى القربى} قال مقاتل: يعني: إلا أن تصلوا قرابتي، وتكفوا عني الأذى.
ثم نسخ بقوله: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مّن أَجْر لَكُمْ} ويقال: {إِلاَّ المودة فِى القربى} يعني: إلاَّ، ألاَّ تؤذونني بقرابتي منكم.
قال ابن عباس: ليس حي من أحياء العرب إلا وللنبي عليه السلام فيه قرابة.
وقال الحسن: إلا المودة في القربى، يعني: إلا أن تتوددوا إلى الله تعالى، بما يقربكم منه، وهكذا قال مجاهد، وقال سعيد بن جبير: إلا المودة في القربى، يعني: إلا أن تصلوا قرابة ما بيني وبينكم.
ثم قال: {وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً} يعني: يكتسب حسنة، {نَزِدْ فِيهَا حُسْناً} يعني: للواحد عشرة. ويقال: نزد له التوفيق في الدنيا، ونضاعف له الثواب في الآخرة. {إِنَّ الله غَفُورٌ شَكُورٌ} يعني: غفور لمن تاب، شكور يقبل اليسير، ويعطي الجزيل.

تفسير الآيات رقم [24- 30]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (26) وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (27) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (28) وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (29) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)}

قوله تعـالى: {أَمْ يَقُولُـونَ افـترى عَلَى اللـه كَـذِباً} يعـني: تقولـه من ذات نفسـه، ولم يـأمره اللـه تعـالى. قـال اللـه تعـالى: {فَـإِن يَشَـإِ اللـه يَخْتِمْ على قَلْبِـكَ} يعـني: يحفـظ قلبك، حتى لا تدخل في قلبك المشقة والأذى من قــولهم: {وَيَمْحُ اللــه الباطــل} يعــني: يهلــك اللــه تعـالى الشــرك {وَيُحِقُّ الحق} يعني: يظهر دينه الإسلام {بكلماته} يعني: بتحقيقـه، وبنصـرته، وبـالقرآن {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِـذَاتِ الصـدور} يعني: يعلم ما في قلب محمد صلى اللـه عليـه وسـلم من الحزن، ويعلم ما في قلوب الكافرين من التكذيب.

قوله تعالى: {وَهُوَ الذى يَقْبَلُ التوبة عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُـواْ عَنِ السيئات} حتى يتجاوز عما عملوا قبـل التوبـة. وروى عبـد العزيز بن إسماعيل، عن محمد بن مطـرف قـال: «يقـول الله تعالى: وَيْحَ ابْنَ آدَمَ، يُذْنِب الذَّنْبَ ثُمَّ يَسْـتَغْفِر، فَـأَغْفِرَ لَهُ، ثُمَّ يُذْنِبُ ذَنْباً ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ، فأغْفِر لَـهُ، ثُمَّ يُـذْنِبُ ذَنْبـاً ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ، فَأَغْفِرَ لَـهُ لاَ هُـوَ يَتْـرك ذُنُوبَـهُ، وَلاَ هُـوَ يَيْـأس مِن رَّحْمَتِي. أشْهَدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ» {وَيَعْلَمُ مَـا تَفْعَلُـونَ} من خير أو شر.

قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص {تَفْعَلُونَ} بالتاء على معـنى المخاطبـة، والبـاقون باليـاء على معـنى الخبر عنهم {وَيَسْتَجِيبُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات} يعني: يجيب دعاءهم، ويعطيهم أكثر ما سألوا من المغفرة {وَيَزِيـدَهُم مّن فَضْـلِهِ} يعـني: يزيـدهم على أعمـالهم من الثواب. ويقال: يعطيهم الثواب في الجنة، أكثر مما سـألوا {والكافرين لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} يعني: دائماً لا يفتر عنهم.

قوله تعالى: {وَلَوْ بَسَطَ الله الرزق لِعِبَادِهِ} يعني: لو وسع الله تعالى عليهم المال {لَبَغَوْاْ} أي: لطغـوا {فِى الارض} وعصوا {ولكن يُنَزّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء} يعني: يوسع على كـل إنسان، بمقدار صلاحه في ذلك، قال أبو الليث رحمه الله: حدّثنا أبو القاسم، حمزة بن محمد قال: حدّثنا أبو القاسم،

أحمد بن حمزة، قال: حدّثنا نصر بن يحيى، قال: سمعت شقيق بن إبراهيم الزاهد يقول: {وَلَوْ بَسَطَ الله الرزق لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِى الارض} قال: لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب، لتفرغوا وتفاسدوا في الأرض، ولكن شغلهم بالكسب، حتى لا يتفرغوا للفساد.

ثم قال: {إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُ بَصِيرٌ} يعني: بالبر، والفاجر، والمؤمن، والكافر. ويقال: يعني: عالم بصلاح كل واحد منهم. قوله تعالى: {وَهُوَ الذى يُنَزّلُ الغيث} يعني: المطر {مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ} أي: حبس عنهم {وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ} يعني: المطر {وَهُوَ الولى الحميد} يعني: الولي للمطر يرسله مرة بعد مرة {الحميد} يعني: أهل أن يحمد على صنعه.

قوله عز وجل: {وَمِنْ ءاياته} يعني: من علامات وحدانيته {خُلِقَ السموات والارض} يعني: خلقين عظيمين، لا يقدر عليهما بنو آدم، ولا غيرهم {وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ} يعني: ما خلق في السموات والأرض من خلق أو بشر فيهما {وَهُوَ على جَمْعِهِمْ} يعني: على إحيائهم للبعث {إِذَا يَشَاء قَدِيرٌ} يعني: قادر على ذلك. ويقال: {وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ} يعني: في الأرض خاصة كما قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ} [الرحمن: 22] يعني: من أحدهما ثم قال {وَمَا أصابكم مّن مُّصِيبَةٍ} يعني: ما تصابون من مصيبة في أنفسكم، وأموالكم {فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} يعني: يصيبكم بأعمالكم، ومعاصيكم {وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} يعني: ما عفى الله عنه، فهو أكثر.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ألا أخبركم بأرجى آية في كتاب الله، أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالوا بلى. فقرأ عليهم: {وَمَا أصابكم مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} قال: فالمصائب في الدنيا بكسب الأيدي، وما عفى الله تعالى

عنه في الدنيا، ولم يعاقب، فهو أجـود وأمجـد، وأكـرم من أن يعذب فيه يوم القيامة.
وعن الضـحاك قـال: مـا تعلم رجـل القـرآن، ثم نسـيه، إلا يـذنب. ثم قـرأ: {وَمَـا أصـابكم مّن مُّصِـيبَةٍ فَبِمَـا كَسَـبَتْ أَيْدِيكُمْ} وأي مصيبة أعظم من نسـيان القـرآن. قـرأ نـافع وابن عامر «بما كسبت أيديكم» بحـذف الفـاء. ويكـون مـا بمعنى الذي، ومعناه الذي أصابكم وقع بما كسبت أيـديكم.
وقرأ الباقون: {فَبِمَا كَسَبَتْ} بالفاء، وتكـون الفـاء جـواب الشـرط، ومعنـاه: مـا يصـيبكم من مصـيبة، فبمـا كسـبت أيديكم، ثم قال:

تفسير الآيات رقم [31- 35]

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَـا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (31) وَمِنْ آَيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَـالْأَعْلَامِ (32) إِنْ يَشَأْ يُسْـكِنِ الـرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِـدَ عَلَى ظَهْـرِهِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآَيَـاتٍ لِكُـلِّ صَـبَّارٍ شَـكُورٍ (33) أَوْ يُـوبِقْهُنَّ بِمَـا كَسَـبُوا وَيَعْـفُ عَنْ كَثِـيرٍ (34) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَـادِلُونَ فِي آَيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (35)}
{وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِى الارض} يعني: بفائتين من عــذاب الله، حتى يجزيكم به {وَمَا لَكُم مّن دُونِ اللـه} يعـني: من عـذاب اللــه {مِن وَلِىّ} يعــني: من حافـظ {وَلاَ نَصِـيرٍ} يعني: مانع يمنعكم من عذاب الله تعالى.
قوله تعالى: {وَمِنْ ءاياته الجوار} قرأ ابن كثير (الجَوَارِي) بالياء في الوقف، والوصل. وقرأ نافع، وأبو عمر باليـاء في الوصـل، وبغـير اليـاء في الوقـف، والبـاقون بغـير يـاء في الوقف، والوصل. فمن قـرأ باليـاء فهـو الأصـل في اللغـة، وهي جماعـة السـفن تجـرين في المـاء، واحـدتها جاريـة. كقوله: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الماء حملناكم فِى الجارية} [الحاقـة: 11] يعني: السفينة. ومن قرأ بغير يـاء، فلأن الكسـر يـدل عليه {فِى البحر كالاعلام} يعني: تسير في البحر كالجبـال

{إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الريح فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ على ظَهْرِهِ} يعني: يبقين سواكن على ظهر الماء {إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ} يعني: لعلامات لوحدانيتي {لّكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} يعني: الذي يصبر على طاعة الله (شَكُورٍ) لنعم الله.

قوله تعالى: {أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} يعني: إن يشأ يهلك السفن، بما عملوا من الشرك وعبادة الأوثان {وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ} ولا يجازيهم {وَيَعْلَمَ الذين يجادلون فِى ءاياتنا} قرأ ابن عامر ونافع بضم الميم، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالضم، فلأنه عطف على قوله: (ويعف) وموضعه الرفع وأصله: (ويعفو) فاكتفى بضم الفاء، والذين كان معطوفاً عليه، رفع أيضاً. ومن قرأ بالنصب، صار نصباً للصرف، يعني: صرف الكلام عن الإعراب الأول، ومعناه: ولكي {يَعْلَمُ الذين يجادلون فِى ءاياتنا} يعني: في القرآن بالتكذيب {مَا لَهُمْ مّن مَّحِيصٍ} يعني: من مفر من الله.

تفسير الآيات رقم [36- 42]

{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (36) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (37) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (38) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42)}

{فَمَا أُوتِيتُمْ مّن شَئ} يعني: ما أعطيتم من الدنيا {فمتاع الحياة الدنيا} أي: منفعة الحياة الدنيا {وَمَا عِندَ الله خَيْرٌ وأبقى} أي: ما عند الله في الآخرة من الثواب والكرامة، خير وأبقى. يعني: أدوم. ثم بين لمن يكون ذلك الثواب

فقال: {لِلَّذِينَ ءامَنُواْ وعلى رَبّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي: يثقون به تعالى، ويفوضون الأمر إليه.
قوله تعالى: {والذين يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم والفواحش} وهذا نعت المؤمنين أيضاً، الذين يجتنبون كبائر الإثم، والفواحش. قرأ حمزة والكسائي (كَبِير الإِثْمِ) بغير ألف، بلفظ الواحد، لأن الواحد يدل على الجمع، والباقون (كبائر) وهو جمع كبيرة، والكبيرة: ما أوجب الله تعالى الحد عليها في الدنيا، أو العذاب في الآخرة. ثم قال: {وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ} يعني: إذا غضبوا على أحد يتجاوزون، ويكظمون الغيظ.
ثم قال: {والذين استجابوا لِرَبّهِمْ} يعني: أجابوا وأطاعوا ربهم فيما يدعوهم إليه، ويأمرهم به. {والذين يُمَسّكُونَ} يعني: أتموا الصلوات الخمس، في مواقيتها {وَأَمْرُهُمْ شورى بَيْنَهُمْ} يعني: إذا أرادوا حاجة، تشاوروا فيما بينهم. وروي عن الحسن أنه قال: هم الذين إذا حزبهم أمر، استشاروا أولي الرأي منهم {وَمِمَّا رزقناهم يُنفِقُونَ} يعني: يتصدقون في طاعة الله. ثم قال: {والذين إِذَا أَصَابَهُمُ البغى} يعني: الظلم {هُمْ يَنتَصِرُونَ} أي: ينتقمون ويقتصون.
روى سفيان، عن منصور، عن إبراهيم أنه قال: كانوا يكرهون أن يستذلوا، ويحبون العفو إذا قدروا. قوله تعالى: {وَجَزَاء سَيّئَةٍ مِثْلِهَا} يعني: يعاقب مثل عقوبته لغيره {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ} يعني: عفا عن مظلمته، وأصلح بالعفو {فَأَجْرُهُ عَلَى الله} يعني: ثوابه على الله {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظالمين} يعني: لمن يبدأ بالظلم. روي عن زيد بن أسلم، أنه قال: كانوا ثلاث فرق، فرقة بالمدينة، وفرقتان بمكة، إحداهم تصبر على الأذى، والثانية تنتصر، والثالثة تكظم، فنزلت الآية: {والذين استجابوا لِرَبّهِمْ} نزلت في الذين بالمدينة {والذين إِذَا أَصَابَهُمُ البغى هُمْ يَنتَصِرُونَ}

نـزلت في الـذين ينتصـرون وقولـه: {فَمَنْ عَفَـا وَأَصْـلَحَ} نزلت في الذين يصبرون. فأثنى الله تعالى عليهم جميعاً.

قوله عز وجل: {وَلَمَنِ انتصر بَعْدَ ظُلْمِـهِ فَأُوْلَئِكَ مَـا عَلَيْهِمْ مّن سَـبِيلٍ} ثم نـزل في الظـالمين {إِنَّمَـا السـبيل عَلَى الذين يَظْلِمُونَ الناس} وذكر أن أبا بكـر رضـي اللـه عنـه، كان عند النبي صلى الله عليه وسلم ورجل من المنـافقين يسبه، وأبو بكر رضي الله عنه لم يجبه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت يبتسم، فأجابه أبو بكر، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب، فقام إليه أبو بكـر فقـال: يـا رسول الله ما دام يسـبني كنت جالسـاً، فلمـا أجبتـه قمت فقال صلى الله عليه وسلم: إن الملـك كـان يجيبـه عنـك، فلما أجبته ذهب الملك، وجاء الشـيطان وأنـا لا أجلس في مجلس يكون فيه الشيطان.

فنزل {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله}.

وروى محمد بن المنكدر قال: ينادي المنادي يـوم القيامـة، من كان لـه عنـد اللـه حـق، فليقم. قـال: فيقـوم من عفـا وأصلح. قوله عز وجل: {وَلَمَنِ انتصر بَعْـدَ ظُلْمِـهِ} يعـني: انتصـف بعـد ظلمـه، واقتص منـه {فَأُوْلَئِكَ مَـا عَلَيْهِمْ مّن سَبِيلٍ} يعني: من مأثم. وقال قتادة: هذا، فيمـا يكـون بين النـاس من القصـاص، فأمـا لـو ظلمـك، لا يحـل لـك أن تظلمـه، يعـني: فيمـا لا يحتمـل القصـاص. وقـال الحسـن: يعني: إذا قال: لعنك اللـه، أن تقـول لـه: يلعنـك اللـه، وإذا سبك، فلك أن تسبه ما لم يكن فيه حد، أو كلمة لا تصـلح. ثم قال تعالى: {إِنَّمَا السبيل} يعـني: الإثم والحـرج {عَلَى الذين يَظْلِمُونَ الناس} يعني: يبدؤون بالظلم {وَيَبْغُونَ فِى الارض بِغَيْرِ الحق} يعني: ويظلمون في الأرض، ويعملـون المعاصي {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: وجيع.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 46]

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (45) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46)}

قوله عز وجل: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ} يعني: صبر عن مظلمته، فلم يقتص من صاحبه وغفر يعني: تجاوز عنه {إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الامور} يعني: الصبر والتجاوز من أفضل الأمور، وأصوب الأمور. قال بعضهم: هذه الآيات مدنيات. وقال بعضهم: مكيات. قوله تعالى: {وَمَن يُضْلِلِ الله} يعني: يخذله الله عن الهدى ويقال من يخذله ويتركه على ما هو فيه من ظلم الناس {فَمَا لَهُ مِن وَلِىّ مّن بَعْدِهِ} يعني: ليس له قريب يهديه، ويرشده إلى دينه من بعده، يعني: من بعد خذلان الله تعالى إياه.

قوله: {وَتَرَى الظالمين} يعني: المشركين والعاصين {لَمَّا رَأَوُاْ العذاب} في الآخرة {يَقُولُونَ هَلْ إلى مَرَدّ مّن سَبِيلٍ} يعني: هل من رجعة إلى الدنيا من حيلة، فنؤمن بك يتمنون الرجوع إلى الدنيا. قوله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} يعني: يساقون إلى النار {خاشعين مِنَ الذل} أي: خاضعين من الحزن، ويقال ساكتين ذليلين، مقهورين من الحياء {يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىّ} قال الكلبي: يعني: ينظرون بقلوبهم، ولا يرونها بأعينهم، لأنهم يسحبون على وجوههم. وقال مقاتل: يعني: يستخفون بالنظر إليها، يعني: إلى النار قال القتبي: يعني: غضوا أبصارهم من الذل، وقال بعضهم: مرة ينظرون إلى

العرش بأطراف أعينهم ماذا يأمر الله تعالى بهم، ومرة ينظرون إلى النار.
{وَقَالَ الذين ءامَنُواْ} يعني: المؤمنين المظلومين {إِنَّ الخاسرين الذين خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ} يعني: يظلمون غيرهم، حتى تصير حسناتهم للمظلومين، فخسروا أنفسهم {وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القيامة} قال بعضهم: هذه حكاية كلام المؤمنين في الآخرة، بأنهم يقولون ذلك، حين رأوا الظالمين، الذين خسروا أنفسهم. وقال بعضهم: هذه حكاية قولهم في الدنيا، فحكى الله تعالى قولهم، وصدقهم على مقالتهم فقال: {أَلاَ إِنَّ الظالمين فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ} يعني: دائم وقال بعضهم هذا اللفظ، لفظ الخبر عنهم، والمراد به التعليم، أنه ينبغي لهم يقولوا هكذا يعني: يصبروا على ظلمهم.
قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُم مّنْ أَوْلِيَاء} يعني: لا يكون للظالمين يوم القيامة مانع يمنعهم من عذاب الله {يَنصُرُونَهُم مّن دُونِ الله} يعني: يمنعونهم من عذاب الله {وَمَن يُضْلِلِ الله} يعني: يضله الله عن الهدى {فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ} إلى الهدى من حجة. ويقال: ما له من حيلة.

▲ تفسير الآيات رقم [47- 50]

{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (47) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (48) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (49) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (50)}
قوله عز وجل: {استجيبوا لِرَبّكُمْ} يعني: أجيبوا ربكم في الإيمان، وفيما أمركم به {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ

لَهُ} يعـني: لا رجعـة لـه، إذا جـاء لا يقـدر أحـد على دفعـه {مِنَ الله} ويقال: فيه تقديم. يعني: من قبل أن يـأتي من عذاب الله، يوم لا مرد له. يعني: لا مدفع له {مَــا لَكُمْ مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ} يعني: ما لكم من مفر، ولا حرز يحــرزكم من عذابه {وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ} يعني: من مغير، يغـير العــذاب عنكم.

قوله عز وجل: {فَإِنْ أَعْرَضُواْ} عن الإيمان، وعن الإجابــة، بعد مـا دعـوتهم {فَمَـا أرسـلناك عَلَيْهِمْ حَفِيظـاً} تحفظهم على الإيمــان، وتجـبرهم على ذلـك {إِنْ عَلَيْـكَ إِلاَّ البلاغ} يعني: ليس عليك، إلا تبليـغ الرسـالة، وهـذا قبـل أن يـؤمر بالقتال، ثم قال: {وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً} يعـني: أصبنا الإنسان منا رحمة {فَرِحَ بِهَا} أي بطر بالنعمة. قــال بعضـهم: يعـني: أبـا جهـل. وقـال بعضـهم: جميـع النـاس، والإنسان هو لفظ الجنس، وأراد به جميع الكافرين، بـدليل أنـه قـال: {وَإِن تُصِبْهُمْ} ذكـر بلفـظ الجماعـة يعـني: إن تصـبهم {سَـيِّئَةٌ} يعـني: القحــط والشــدة {بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعـني: بمـا عملـوا من المعاصـي {فَـإِنَّ الإنسـان كَفُـورٌ} لنعم اللــه. يعـني: يشـكو ربـه عنـد المصـيبة، ولا يشكره عند النعمة.

قوله تعالى: {للَّهِ مُلْكُ السموات والارض} يعـني: القـدرة على أهـل السـموات والأرض {يَخْلُـقُ مَـا يَشَـاء} على أي صورة شاء {يَهَبُ لِمَن يَشَاء إناثا} يعني: من يشــاء الأولاد الإناث، فلا يجعل معهن ذكوراً {وَيَهَبُ لِمَن يَشَـاء الـذكور} يعني: يعطي من يشاء الأولاد الذكور، ولا يكون معهم إناث {أَوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإناثا} يعني: من يشاء الأولاد الــذكور، والإنـاث {وَيَجْعَـلُ مَن يَشَـاء عَقِيمـاً} فلا يعطيـه شـيئاً من الولد ويقال: {يَهَبُ لِمَن يَشَاء إناثا} كما وهب للوط النبي {وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذكور} كما وهب لإبراهيم عليه السلام {أَوْ يُزَوّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإناثا} كما جعل للنبي صلى الله عليــه

وسلم، وكما وهب ليعقوب عليه السلام {وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيماً} كما جعل ليحيى، وعيسى عليهما السلام {إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} يعني: عالم بما يصلح لكل واحد منهم. قادر على ذلك.

قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ} يعني: لأحد من خلق الله {أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً} يعني: يرسل إليه جبريل، ليقرأ عليه. ويقال: {إِلاَّ وَحْياً} يعني: إلهاماً ويقال: يسمع الصوت فيفهمه وذلك، أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا يكلمك الله، أو ينظر إليك، إن كنت نبياً كما كلم موسى فنزل {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ} يعني: ما جاز لأحد من الآدميين، أن يكلمه الله، إلا وحياً يعني: يسمع الصوت، أو يرى في المنام، ولا يجوز أن يكلمه مواجهة عياناً في الدنيا.

{أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ} فيكلمه، كما كلم موسى {أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً} كما أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم {فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء} يعني: فيرسل بأمره. ويقال: {بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء} من أمره. قرأ نافع وابن عامر {أَوْ يُرْسِلَ} بضم اللام وقرأ الباقون بالنصب، فمن قرأ بالضم، فمعناه أو هو يرسل رسولاً، ومن قرأ بالنصب، فعلى الإضمار أيضاً، ومعناه أو يرسل رسولاً {فَيُوحِيَ} قرأ نافع وابن عامر فيوحي بسكون الياء، ومعناه أو هو يرسل رسولاً فيوحي وقرأ الباقون بالنصب {فَيُوحِيَ} لإضمار أن {إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} يعني: أعلى من أن يكلم أحداً في الدنيا مواجهة، ولا يراه فيها أحد عياناً {حَكِيمٌ} حكم ألا يكلم أحداً في المواجهة، ولا يراه أحد.

قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا} يعني: جبريل بأمرنا. ويقال: أوحينا إليك روحاً، يعني: القرآن. وقال القتبي: الروح روح الأجسام، ويسمى كلام الله تعالى، روحاً لأن فيه حياة من الجهل، وموت الكفر كما

قال: {رَفِيعُ الدرجات ذُو العرش يُلْقِى الروح مِنْ أَمْرِهِ على مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التلاق} [غافر: 15] ثم قال: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مّنْ أَمْرِنَا}. {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان} يعني: ما كنت تدري قبل الوحي، أن تقرأ القرآن، ولا تدري كيف تدعو الخلق إلى الإيمان.

{ولكن جعلناه نُوراً} يعني: أنزلنا جبريل بالقرآن. ضياءً من العمى، وبياناً من الضلالة. فإن قيل سبق ذكر الكتاب والإيمان ثم قال: {ولكن جعلناه نُوراً} ولم يقل جعلناهما؟ قيل له: لأن المعنى هو الكتاب، وهو دليل على الإيمان. ويقال لأن شأنهما واحد كقوله: {وَجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وءاويناهمآ إلى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون: 50] ولم يقل آيتين ويقال: {ولكن جعلناه نُوراً} يعني: الإيمان كناية عنه، ولأنه أقرب.

{نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا} يعني: نوفق من نشاء للهدى، من كان أهلاً لذلك {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: لتدعو الخلق إلى دين الإسلام. قوله عز وجل: {صراط الله} يعني: دين الله {الذى لَهُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من خلق {أَلاَ إِلَى الله تَصِيرُ الامور} أي: ترجع إليه عواقب الأمور، والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

سورة الزخرف

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (4)}
قوله تبارك وتعالى: {حم والكتاب المبين} يعني: أقسم بحم، وبالكتاب الذي أبان طريق الهدى، من طريق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة، ويقال: مُبين أي: بين بلغة تعرفونها. يعني: بين فيه الحلال والحرام {إِنَّا جعلناه} فهذا جواب القسم. يعني: إنا جعلناه، ووصفناه أقسم بالكتاب المبين {إِنَّا جعلناه} يعني: إنا قلناه ووصفناه وبيناه. ويقال: أنزلنا به جبريل {قُرْءاناً عَرَبِيّاً} يعني: بلغة العرب {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: لكي تعقلوا وتفهموا. ما فيه، ولو نزل بغير لغة العرب، لم تفهموا ما فيه.
ثم قال: {وَإِنَّهُ فِى أُمّ الكتاب لَدَيْنَا} يعني: إن كذبتم بالقرآن، فإن نسخته في أصل الكتاب. يعني: اللوح المحفوظ لدينا. يعني: عندنا {لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ} يعني: شريف مرتفع، محكم من الباطل. ويقال: حكيم أحكم، حلاله وحرامه. ويقال: حَكِيمٌ أي حاكم على الكتب كلها. ويقال: حكيم أي ذو حكمة كما قال تعالى: {حِكْمَةٌ بالغة} قرأ حمزة والكسائي «في أم الكتاب» بكسر الألف في جميع القرآن، لأن الياء أخت الكسرة، فاتبع الكسرة الكسرة والباقون «أم» بضم الألف، وهو الأصل في اللغة.

تفسير الآيات رقم [5- 14]

{أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (5) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (7) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (8) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (9) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (10) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (12) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (14)}

قوله عز وجل: {أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذكر صَفْحاً} يعني: أفندع ونترك، أن نرسل إليكم الوحي مبهماً، لا آمركم ولا أنهاكم. وقال القتبي: معناه أن أمسك عنكم، فلا أذكركم إعراضاً. يقال: صفحت عن فلان، إذا أعرضت عنه. وقال مجاهد: معناه تكذبون بالقرآن، ولا تعاقبون فيه. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر {أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ} بنصب الألف. وقرأ الباقون بالكسر. فمن قرأ بالنصب، فمعناه: أفنضرب عنكم ذكر العذاب بأن أسرفتم، يعني: أشركتم وعصيتم. ويقال أفنضرب عنكم ذكر العذاب، لأن أسرفتم وكفرتم ومن قرأ بالكسر، فمعناه إن كنتم قوماً مسرفين. ويقال: هو على معنى الاستقبال، ومعناه إن تكونوا مسرفين، نضرب عنكم الذكر.

ثم قال عز وجل: {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيّ فِى الاولين} يعني: كم بعثنا من نبي في أمر الأمم الأولين، كما أرسلنا إلى قومك {وَمَا يَأْتِيهِم مّنْ نَّبِيّ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: يسخرون منه قوله تعالى: {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً} يعني: من كان أشد منهم قوة {ومضى مَثَلُ الاولين} يعني: سنة الأولين بالهلاك.

قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ} يعني: المشـركين {مِنْ خلاق السـموات والارض لَيَقُـولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيـز العليم} يعـني: يقولـون خلقهن اللـه تعـالى، الـذي هـو العزيـز في ملكـه، العليم بخلقــه، فــزادهم اللــه تعــالى في جــوابهم. فقــال: {الـذى جَعَـلَ لَكُمُ الارض مَهْـداً} قـرأ حمـزة، والكسـائي وعاصم مَهْداً، والباقون مِهاداً بالألف، يعـني: قـراراً للخلـق {وَجَعَـلَ لَكُمْ فِيهَـا سُـبُلاً} يعـني: طرقـاً {لَعَلَّكُمْ تَهْتَـدُونَ} يعني: لكي تعرفوا طرقها من بلـد إلى بلـد، ويقـال: لَعَلَّكُم تَهْتَـدُونَ يعـني: لكي تعرفـوا هـذه النعم، وتأخـذوا طريـق الهدى، ثم ذكرهم النعم فقال عز وجل: {والـذِى نَـزَّلَ مِنَ السـماء مَـاء بِقَـدَرٍ} يعـني: بمقـدار ووزن {فَأَنشَـرْنَا بِـهِ} يعني: أحيينا بالمطر {بَلْدَةً مَّيْتاً} يعني: أرضاً ميتة، لا نبات فيها {كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} أنتم من قبوركم.
قوله تعالى: {والذى خَلَـقَ الازواج كُلَّهَـا} يعـني: الأصـناف كلهـا من النبـات، والحيـوان وغـير ذلـك {وَجَعَـلَ لَكُمْ مّنَ الفلـك والانعـام مَـا تَرْكَبُـونَ} يعـني: جعـل لبـني آدم من السـفن، والإبــل، والــدواب، مــا يركبــون عليهــا ثم قــال: {لِتَسْتَوُواْ على ظُهُورِهِ} يعني: لتركبوا ظهور الأنعــام، ولم يقل ظهورها؟ لأنه انصرف إلى المعنى، وهو جنس الأنعـام {ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبّكُمْ إِذَا استويتم عَلَيْهِ} يعني: إذا ركبتم فتحمدوا الله تعالى {وَتَقُولُـواْ} عنـد ذلـك {سـبحان الـذى سَخَّرَ لَنَا هذا} يعني: ذلل لنـا هـذا {وَمَـا كُنَّا لَـهُ مُقْـرِنِينَ} يعني: مطيعين. وقال أهل اللغة: أنـا مقـر لـك أي: مطيـق لك. ويقال: مقرنين أي: مالكين. ويقال: ضابطين.
ثم قال: {وَإِنَّا إلى رَبّنَا لَمُنقَلِبُونَ} يعني: راجعين إليـه، في الآخرة.
وقد روى عثمان بن الأسود، عن مجاهد أنه قــال: إذا ركب الرجل دابته، ولم يذكر اسـم اللـه تعـالى، ركب الشـيطان من ورائه، ثم صك في قفاه، فإن كان يحسن الغنـاء، قـال

له: تغن، وإن كان لا يحسن الغناء، قال له تمن يعني: تكلم بالباطل.

وعن علي بن ربيعة أنه قال: كنت رديفاً لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلمَّا استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ.

تفسير الآيات رقم [15- 25]

{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (15) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (16) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (17) أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (18) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (20) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (21) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (25)}

قال الله تعالى: {وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءا} يعني: وصفوا لله من خلقه، شريكاً وولداً {إِنَّ الإنسان لَكَفُورٌ مُّبِينٌ} يعني: كَفُورٌ لنعمه {مُّبِينٌ} أي: بين الكفر. ثم قال تعالى: {أَمِ اتخذ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ} وهو رد على بني مليح، حيث قالوا: الملائكة بنات الله. معناه: اختار لكم البنين، ولنفسه البنات، ثم وصف كراهيتهم البنات فقال: {وأصفاكم بالبنين}.

قوله عز وجل: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ للرحمن مَثَلاً} يعني: بما وصفوا لله تعالى من البنات، وكرهوا لأنفسهم ذلك {ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّا وَهُوَ كَظِيمٌ} يعني: تغير لونه، وهو حزين مكروب. يعني: أترضون لله، ما لا ترضون لأنفسكم. قوله عز وجل: {أَوْ مِن يُنَشَّأُ فِى الحلية} يعني: يغذى في الذهب والفضة. ويقال: أفمن زين في الحلي والحلل {وَهُوَ فِى الخصام غَيْرُ مُبِينٍ} يعني: في الكلام غير فصيح. ويقال: هن في الخصومة، غير مبينات في الحجة ويقال: أفمن زين في الحلي، وهو في الخصومة غير مبين، لأن المرأة لا تبلغ بخصومتها، وكلامها ما يبلغ الرجل.

قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية حفص، أو من يُنَشَّأُ بضم الياء، ونصب النون وتشديد الشين ومعناه: أومن يربى في الحلية، لفظه لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ. وقرأ الباقون، أوَمَنْ يَنْشَأُ، بنصب الياء وجزم النون مع التخفيف، يعني: يشب وينبت في الحلي. قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ الملئكة الذين هُمْ عِبَادُ الرحمن إناثا} يعني: وصفوا الملائكة بالأنوثة. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع الَّذِينَ هُمْ عَنْدُ الرَّحْمَنِ {إناثا} يعني: وصفوا الملائكة بالأنوثة. قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع عبيد يعني: الملائكة الذين هم في السماء، والباقون عِبَادُ يعني: جمع عبد.

ثم قال: {أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ} يعني: أحضروا خلق الملائكة حين خلقهم الله تعالى، فعلموا أنهم ذكوراً أو إناثاً؟ هذا استفهام فيه نفي، يعني: لم يشهدوا خلقهم على وجه التوبيخ، والتقريع. ثم قال: {سَتُكْتَبُ شهادتهم} يعني: ستكتب مقالتهم {وَيُسْئَلُونَ} عنه يوم القيامة. وروي عن الحسن: أنه قرأ سَتُكْتَبُ شَهَادَاتُهُم بالألف يعني: أقوالهم. وقرأ عبد الرحمن الأعرج سَنَكْتُبُ بالنون.

قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْ شَاء الرحمن مَا عبـدناهم} يعـني: ما عبدنا الملائكة ويقال: الأصنام {مَّا لَهُم بِـذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} أي: ما لهم بذلك القـول من حجـة {إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُـونَ} يعني: يكذبون بغـير حجـة. وقـال مقاتـل: في الآيـة تقـديم يعني: عباد الرحمن إناثاً، ما لهم بذلك من علم. قولـه عـز وجـل: {أَمْ ءاتينـاهم كتابـا مّن قَبْلِـهِ} يعـني: أنزلنـا عليهم كتاباً، من قبل هذا القرآن {فَهُم بِـهِ مُسْتَمْسِـكُونَ} يعـني: آخذون بـه عـاملون، اللفـظ لفـظ الاسـتفهام، والمـراد بـه النفي.

قولـه عـز وجـل: {بَـلْ قَـالُواْ إِنَّا وَجَـدْنَا ءابَاءنَـا على أُمَّةٍ} يعني: لكنهم قالوا: إنا وجدنا آباءنـا على دين وملـة. وقـال القتبي: أصل الأمة الجماعـة، والصـنف. كقولـه: {وَمَـا مِن دَآبَّةٍ فِى الارض وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْـهِ إِلاَّ أَمَمٌ أمثـالكم مَّا فَرَّطْنَـا فِى الكتـاب مِن شَـئ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَـرُونَ} [الأنعام: 38] ثم يستعار في أشـياء منهـا: الـدين. كقولـه: {بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا ءابَاءنَا} أي: على دين، لأن القوم كانوا يجتمعون على دين واحد، فتقام الأمة مكان الـدين، ولهـذا قيل للمسلمين: أمة محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم، لأنهم على ملة واحـدة، وهي الإسـلام. وروى مجاهـد، وعمـر بن عبد العزيز، أنهما قرآ {أَمَّةٍ} بكسر الألف، أي: على نعمة. ويقال: على هيئة، وقراءة العامة بالضمة، يعـني: على دين وروى أبـو عبيـدة، عن بعض أهـل اللغـة، أن الأمـة والأمـة لغتان.

ثم قال: {بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا} يعني: مستيقنين {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَـلْنَا مِن قَبْلِـكَ فِى قَرْيَـةٍ مّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَـالَ مُتْرَفُوهَـا} يعني: جبابرتها {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِـكَ فِى قَرْيَـةٍ مّن نَّذِيرٍ} يعـني: بسـنتهم مقتـدون. أي: بأعمـالهم. قـال اللـه تعـالى لمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم: {قَـالَ أَوَلَـوْ *** جِئْتُكُمْ بأهدى} يعني: أليس هذا الذي جئتكم به، هو أهـدى

{مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءابَاءكُمْ} يعني: بأصوب وأبين من ذلك. قرأ ابن عامر، وعاصم في رواية حفص {قَـالَ أَوَلَـوْ} على معنى الخبر والباقون (قُلْ) بلفـظ الأمـر. وقـرأ أبـو جعفـر المدني (جِئْنَاكُم) بلفظ الجماعة. {قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِـهِ كافرون} يعني: إن الجبابرة قالوا لرسلهم: إنا بما أرسلتم به جاحدون.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 30]

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُـدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (28) بَـلْ مَتَّعْتُ هَـؤُلَاءِ وَآبَـاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (29) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَـقُّ قَـالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (30)}

قوله عز وجـل: {فانتقمنـا مِنْهُمْ} بالعـذاب {فـانظر كَيْـفَ كَانَ عاقبة المكذبين} يعني: آخر أمرهم. قولـه عـز وجـل: {وَإِذْ قَـالَ إبـراهيم لاِبِيـهِ وَقَوْمِـهِ إِنَّنِى بَـرَاء مّمَّا تَعْبُـدُونَ} يعني: بريء من معبودكم. ذكر عن الفـراء أنـه قـال: بـراء مصــدر صــرف أســماء، وكــل مصــدر صــرف إلى اســم، فالواحد، والجماعة، والذكر، والأنثى فيه سواء.

قوله عز وجل: {إِلاَّ الذى فَطَرَنِى} يعني: إلا الذي خلقـني، فإني لا أتبرأ منه. {فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} ويقال: إلا بمعــنى لكن. يعني: لكن الذي خلقني، فهو سيهدين، يعــني: يثبتــني على دين الإسلام {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً باقية فِى عَقِبِـهِ} يعــني: جعـل تلك الكلمة ثابتة في نسله {وَذُرّيَّتَهُ} وهي كلمة التوحيد لا إلــه إلا اللــه {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُـونَ} عن كفــرهم إلى الإيمــان. وقال قتادة: هو التوحيد والإخلاص، لا يـزال في ذريتـه. من يوحدوا الله تعالى، ويعبدوه وقـال مجاهـد: يعـني: كلمـة لا إلــه إلا اللــه في عقبــه وولــده. ويقــال: {إِنَّنِى بَـرَاء مّمَّا تَعْبُدُونَ} يعني: ذو البراءة كما يقـال: رجـل عـدل ورجـال عدل، أي: ذو عدل.

قولــه تعــالى: {بَــلْ مَتَّعْتُ هَـؤُلاَءِ} يعــني: أجلت هــؤلاء، وأمهلتهم. يعني: قومك {بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاَء وَءابَاءهُمْ} يعني: القــرآن. ويقــال: الــدعوة إلى التوحيــد {وَرَسُــولٌ مُّبِينٌ} يعني: بين أمره بالدلائل. والحجج. ويقال: مبين، يعني: بين لهم الحق من الباطل. قوله تعالى: {وَلَمَّا جَـاءهُمُ الحــق} يعني: القرآن {قَـالُواْ هـذا سِـحْرٌ وَإِنَّا بِـهِ كـافرون} يعـني: جاحدون.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 32]

{وَقَـالُوا لَـوْلَا نُـزِّلَ هَـذَا الْقُـرْآنُ عَلَى رَجُـلٍ مِنَ الْقَـرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31) أَهُمْ يَقْسِـمُونَ رَحْمَـةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَـمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَـتَهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَرَفَعْنَـا بَعْضَـهُمْ فَـوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًـا سُـخْرِيًّا وَرَحْمَـةُ رَبِّكَ خَيْـرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)}

{وَقَالُواْ} يعني: أهـل مكـة {لَـوْلاَ نُـزّلَ هـذا القـرءان على رَجُـلٍ مّنَ القريــتين عَظِيمٍ} يعــني: على رجــل عظيم من رجلي القريـتين، وهـو الوليـد بن المغـيرة، من أهـل مكـة، وأبو مسعود الثقفي بالطائف يعـني: لـو كـان حقـاً، لأنـزل على أحد هذين الرجلين. وروى وكيــع، عن محمــد بن عبــد اللــه بن أفلح الطــائفي، قــال: عن خالــد بن عبــد اللــه بن يزيد، قال: كنت جالساً عند عبد اللـه بن عبـاس بالطـائف، فسـأله رجـل عن هـذه الآيـة وهي قولـه: {مّنَ القريـتين} فقال: القرية التي أنت فيها. يعني: الطائف والقريــة الــتي جئت منها، يعني: مكة. وسئل عن الرجلين فقال: جبار من جبابرة قريش، وهو الوليـد بن المغـيرة بمكـة، وعـروة بن مسعود، جد المختار. يعني: أبا مسعود يقـال اسـمه عمـرو بن عمير.

قوله تعالى: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَـةَ رَبّـكَ} يعـني: أبأيـديهم مفـاتيح الرسـالة والنبـوة، فيضـعوها حيث شـاؤوا، ولكننـا نختـار للرسـالة، من نشـاء من عبادنـا {نَحْنُ قَسَـمْنَا بَيْنَهُمْ

مَّعِيشَتَهُمْ فِى الحياة الدنيا} يعني: نحن قسمنا أرزاقهم فيما بينهم، وهو أدنى من الرسالة، فلم نترك اختيارها إليهم، فكيف نفوض اختيار ما هو أفضل منه، وأعظم، وهي الرسالة إليهم.

ثم قال: {وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ درجات} يعني: فضلنا بعضهم على بعض، بالمال في الدنيا. {لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً} يعني: الاستهزاء ويقال: فضل بعضهم على بعض في العز، والرياسة، ليستخدم بعضهم بعضاً، ويستعبد الأحرار العبيد، ثم أخبر: أن الآخرة أفضل مما أعطوا في الدنيا. فقال: {وَرَحْمَةُ رَبّكَ خَيْرٌ مّمَّا يَجْمَعُونَ} يعني: خير مما يجمع الكفار من المال في الدنيا.

تفسير الآيات رقم [33- 39]

{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (33) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (34) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (35) وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (37) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (38) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (39)}

{وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس أُمَّةً واحدة} يقول لولا أن يرغب الناس في الكفر، إذا رأوا الكفار في سعة المال. وقال الحسن: لولا أن يتتابعوا في الكفر. {لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بالرحمن لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مّن فِضَّةٍ} وهي: سماء البيت {وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} يعني: الدرج عليها يرتقون ويرتفعون. وقال الزجاج: يصلح أن يكون لبيوتهم بدلاً من قوله: {لِمَن يَكْفُرُ} ويكون المعنى لجعلنا لبيوت من يكفر

بـالرحمن، ويصـلح أن يكـون معنـاه: لجعلنـا لمن يكفـر بالرحمن على بيوتهم. قرأ ابن كثـير وأبـو عمـرو «لِبُيُـوتِهِم سَقْفاً» بنصب السـين، وجـزم القـاف، ويكـون عبـارة عن الواحد، فدل على الجمع. والمعنى: لجعلنا لبيت كـل واحـد منهم، سقفاً من فضة. وقـرأ البـاقون سُـقُفاً، بالضـم على معنى الجمع. ويقال: سقف ومسقف مثل رهن ورهن.

قوله تعالى: {وَلِبُيُوتِهِمْ أبوابا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ} يعـني: يجلسون وينامون {وَزُخْرُفاً} وهو الذهب يعني: لجعلنا هذا كلـه من ذهب وفضـة. وروي عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أنه قال: " لَـوْلاَ أنْ يَجْـزَعَ عَبْـدِي المُـؤْمن، لَعَصَّـبْتُ الكَافِرَ بِعِصَابةٍ مِن حَدِيدٍ، وَلَصَبَبْتُ عَلَيه الدُّنْيَا صَـبّاً " وإنمـا أراد بعصابة الحديد، كناية عن صحة البدن، يعني: لا يصـدع رأسه، ثم أخبر أن ذلك كلـه ممـا يفـنى. فقـال: {وَزُخْرُفـاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا متاع الحياة الدنيا والاخرة عِندَ رَبّكَ} ومـا ها هنا زيادة ومعناه: وإن كل ذلك لمتاع. ويقال: ومـا ذلـك إلا متـاع الحيـاة الـدنيا، يفـنى ولا يبقى {والاخـرة} يعـني: الجنة للذين يتقـون الشـرك، والمعاصـي والفـواحش. قـرأ عاصم، وابن عامر في رواية هشـام: {وَإِن كُـلُّ ذَلِـكَ لَمَّا} بتشـــديد الميم، وقـــرأ البـــاقون بـــالتخفيف. فمن قـــرأ بالتخفيف، فما للصلة والتأكيد. ومن قرأ بالتشديد فمعنـاه: ومـا كـل ذلـك إلا متـاع. وقـال مجاهـد كنت لا أعلم مـا الزخرف، حتى سمعت في قراءة عبد الله بيتاً من ذهب.

قوله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن} قـال الكلـبي: يعني: يعرض عن الإيمان والقرآن، يعني: لا يؤمن. ويقـال: من يعمى بصره عن ذكر الـرحمن. وقـال أبـو عبيـدة: من يظلم بصره عن ذكر الرحمن. {نُقَيّضْ لَهُ شَـيْطَاناً} يعـني: نسيب له شيطاناً، مجازاة لإعراضه عن ذكر اللـه. ويقـال: نسلط عليه ويقال نقدر له، ويقال: نجعل له شيطاناً {فَهُوَ لَهُ قَـرِينٌ} يعـني: يكـون لـه صـاحباً في الـدنيا، فـيزين لـه

الضلالة. ويقال: فهو له قرين. يعني: قرينه في سلسلة واحدة، لا يفارقه. يعني: في النار. وروي عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس مثل من أمثال العرب، إلا وأصله في كتاب الله تعالى. قيل له: من أين قول الناس، أعطى أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة.

فقال قوله: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن نُقَيّضْ لَهُ شَيْطَاناً} الآية {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السبيل} يعني: الشياطين يصرفونهم عن الدين {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} يعني: الكفار يظنون أنهم على الحق.

{حتى إِذَا جَاءنَا} قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر (جَاءَنَا) بالمد، بلفظ التثنية، يعني: الكافر وشيطانه الذي هو قرينه. وقرأ الباقون {جَاءنَا} بغير مد، يعني: الكافر يقول لقرينه: {قَالَ يَاءادَمُ ياليت بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المشرقين} يعني: ما بين المشرق والمغرب. ويقال: بين مشرق الشتاء، ومشرق الصيف {فَبِئْسَ القرين} يعني: بئس الصاحب معه في النار. ويقال: هذا قول الله تعالى: {فَبِئْسَ القرين} يعني: بئس الصاحب معه في النار. ويقال هذا قول الكافر يعني: بئس الصاحب كنت أنت في الدنيا، وبئس الصاحب اليوم. فيقول الله تعالى: {وَلَن يَنفَعَكُمُ اليوم} الاعتذار {إِذ ظَّلَمْتُمْ} يعني: كفرتم، وأشركتم في الدنيا {أَنَّكُمْ فِى العذاب مُشْتَرِكُونَ} يعني: أنكم جميعاً في النار، التابع والمتبوع في العذاب، سواء قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم:

تفسير الآيات رقم [40- 45]

{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (40) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (41) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (42) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (

43) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (45)}
{أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصم أَوْ تَهْدِى العمى} إلى الهدى {وَمَن كَانَ فِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: من كان في علم الله في الضلالة. ومعنى الآية: إنك لا تقدر أن تُفهم من كان أصم القلب، ويعمى عن الحق، ومن كان في ضلال مبين، يعني: ظاهر الضلالة، قوله: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ} يعني: نميتك قبل أن نرينك الذي وعدناهم، يعني: قبل أن نريك النقمة {فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ} يعني: ننتقم منهم. بعد موتك. قال قتادة: ذهب النبي صلى الله عليه وسلم، وبقيت النقمة. قال: وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم، «أَرَى مَا يُصِيب أُمَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ، فما رُئِيَ ضَاحِكاً مُسْتَبْشِراً، حَتَّى قُبِضَ». ثم قال: {أَوْ نُرِيَنَّكَ الذى وعدناهم} يعني: في حياتك {فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ} يعني: إنا لقادرون على ذلك قوله تعالى: {فاستمسك بالذى أُوحِىَ إِلَيْكَ} يعني: اعمل بالذي أوحي إليك من القرآن {إِنَّكَ على صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني: على دين الإسلام {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} يعني: القرآن شرف لك ولمن آمن به ويقال: {وَلِقَوْمِكَ} يعني: العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم {وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ} عن هذه النعم، وعن شكر هذا الشرف. يعني: القرآن إذا أديتم شكره، أو لم تؤدوه.
قوله تعالى: {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا} قال مقاتل، والكلبي: يعني: سل مؤمني أهل الكتاب {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن} يعني: هل جاءهم رسول، يدعوهم إلى عبادة غير الله. ويقال: {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا} يعني: سل المرسلين، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة المعراج، وصلى بهم ببيت المقدس. فقيل له: فسلهم فلم يشك، ولم

يسألهم. ويقال: إنما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم، وأراد أمته يعني: سلوا أهل الكتاب كقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الذين يَقْرَءُونَ الكتاب مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الحق مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الممترين} [يونس: 94] الآية.

تفسير الآيات رقم [46- 56]

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (46) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآَيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (47) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (49) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (50) وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54) فَلَمَّا آَسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (55) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآَخِرِينَ (56)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بئاياتنا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلاَيْهِ فَقَالَ إِنّى رَسُولُ رَبّ العالمين} وقد ذكرناه {فَلَمَّا جَاءهُم بئاياتنا} يعني: باليد والعصا {إِذَا هُم مِنْهَا يَضْحَكُونَ} يعني: يعجبون ويسخرون. {وَمَا نُرِيهِم مّنْ ءايَةٍ إِلاَّ هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} يعني: أعظم من التي كانت قبلها، وهي السنين والنقص، من الثمرات والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم فلم يؤمنوا بشيء. {وأخذناهم بالعذاب لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} يعني: عاقبناهم بهذه العقوبات لكي يرجعوا، ويعرفوا ضعف معبودهم {وَقَالُواْ يأَيُّهَا الساحر} وكان الساحر فيهم، عظيم الشأن يعني: قالوا

لموسى: يا أيها العالم {ادع لَنَا رَبَّكَ} أي: سل لنا ربك {بِمَا عَهِدَ عِندَكَ} يعني: بحق ما أمرك به ربك، أن تدعو إليه {إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} يعني: نؤمن بك، ونوحد الله تعالى.

قوله تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العذاب إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ} يعني: ينقضون عهودهم {ونادى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ} يعني: خطب فرعون لقومه {قَالَ يَا قَوْمٌ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ} وهي أربعون فرسخاً، في أربعين فرسخاً {وهذه الانهار تَجْرِى مِن تَحْتِى} يعني: من تحت يدي. ويقال: من حولي، وحول قصوري وجناني {أَفلاَ تُبْصِرُونَ} فضلي على موسى {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مّنْ هذا الذى هُوَ مَهِينٌ} يعني: خير، وأم للصلة من هذا الذي هو مهين، يعني: ضعيف ذليل.

{وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ} يعني: لا يكاد يعبر حجة. ويقال: معناه: ألا تنظرون إلى فصاحتي، وإلى عيِّ كلام موسى {فَلَوْلاَ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مّن ذَهَبٍ} يعني: هلا أعطي أسورة من ذهب. يعني: لو كان حقاً وكان رسولاً كما يقول، لأعطي له المال، فيكون حاله خيراً من هذا، وكان آل فرعون يلبسون الأساور. قرأ عاصم في رواية حفص (أَسْوَرَةٌ) بغير ألف والباقون (أَسَاوِرَةٌ) فمن قرأ أسورة فهو جمع السوار، ومن قرأ أساورة، فهو جمع الجمع. ويقال: أساور جمع سوار.

ثم قال: {أَوْ جَاء مَعَهُ الملئكة مُقْتَرِنِينَ} يعني: لو كان حقاً، لأتته الملائكة متتابعين، فيصدقون على مقالته ويقال {مُقْتَرِنِينَ} أي: متعاونين {فاستخف قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} يعني: فاستذل قومه فأطاعوه. يعني: حملهم على الخفة، فانقادوا له {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: كافرين عاصين، وذلك أن فرعون قال لهم: مَا أُرِيكُم إِلاَّ مَا أرَى، فأطاعوه على تكذيب موسى عليه السلام {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: ناقضي العهد.

قوله تعالى: {فَلَمَّا ءاسَفُونَا} يعني: أغضبونا قال أهل اللغة: الأسف: الغضب. وروى معمر عن سماك بن الفضل. قال: كنا عند عروة بن محمد، وعنده وهب بن منبه، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وأثبتوا على ذلك، فتناول وهب عصا كانت في يد عروة، فضرب بها رأس العامل حتى أدماه، فاستعابها عروة، وكان حليماً وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب وهو يغضب، فقال وهب: وما لي لا أغضب، وقد غضب الذي خلق الأحلام، إن الله تعالى يقول {فَلَمَّا ءاسَفُونَا انتقمنا مِنْهُمْ} يعني: أغضبونا.
ويقال: فلما آسفونا، يعني: وجب عليهم عذابنا {انتقمنا مِنْهُمْ} يعني: أهلكناهم {فأغرقناهم أَجْمَعِينَ} يعني: لم نبق منهم أحداً.
قوله تعالى: {فجعلناهم سَلَفاً} قال مجاهد: يعني: كفار قوم فرعون، سلفاً لكفار مكة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة: جعلناهم سلفاً إلى النار. قرأ حمزة والكسائي (سُلْفاً) بالضم، وقرأ الباقون (سَلفاً) بنصب السين واللام، فمن قرأ بالنصب فمعناه: جعلناهم سلفاً متقدمين، ليتعظ بهم الآخرون. ومن قرأ بالضم، فهو جمع سليف، أي: جمع قد مضى. ويقال: سلفاً واحدها سلفة من الناس، أي: قطعة. قوله: {وَمَثَلاً لّلاْخِرِينَ} يعني: عبرة لمن بعدهم.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 62]

{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (57) وَقَالُوا أَآَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (60) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (62)}

قوله تعـالى: {وَلَمَّا ضُـرِبَ ابن مَـرْيَمَ مَثَلاً} يعـني: وصـف ابن مريم شبهاً {إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} يعـني: يعرضـون عن ذكره. ويقال: لما قالت النصـارى إن عيسـى ابن اللـه إذا قومك منـه يصـدون. قـرأ ابن عـامر، والكسـائي ونـافع (يَصُدُّونَ) بضـم الصـاد. وقـرأ البـاقون (يَصِـدُّونَ) بالكسـر فمن قرأ بالضم فمعناه يعرضون، ومن قرأ بالكسر فمعناه يضجون، ويرفعون أصواتهم تعجبـاً، وذلـك أنهم قـالوا: لمـا جاز أن يكون عيسى ابن الله، جاز أن تكون الملائكة بناته، فعارضوه بذلك، يعني: أهل مكة، ورفعـوا أصـواتهم بـذلك. ويقال: إن عبد الله بن الزبعرى قال للنبي صلى الله عليـه وسـلم: مـا ذكرنـا في سـورة الأنبيـاء، ففـرح المشـركون بذلك، ورفعوا أصواتهم تعجباً من قوله آلهتنا خير.

ثم قـال تعـالى: {وَقَـالُواْ ءأَالِهَتُنَـا خَيْـرٌ أَمْ هُـوَ} يعـني: أم عيسى فإذا جاز أن يكون هو ولداً، جـاز أن تكـون الأصـنام والملائكة كذلك. ويقال: فإذا جـاز أن يكـون هـو في النـار، جاز أن تكون معه الأصنام في النار. قوله: {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ} يعني: ما عارضوك بهذه المعارضة، إلا جدلاً {بَـلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِـمُونَ} يعـني: يجادلونـك شـديد المجادلـة بالباطل.

قوله تعـالى: {إِنْ هُـوَ إِلاَّ عَبْـدٌ أَنْعَمْنَـا عَلَيْـهِ} أي: مـا كـان عيسى إلاَّ عبداً لله، أنعم الله تعالى عليه بـالنبوة، وأكرمـه بهـا {وجعلنـاه مَثَلاً لِّبَنِى إسـراءيل} يعـني: عـبرة لبـني إسرائيل، ليعتبروا به، حين ولد ابن من غير أب.

ثم قـال: {وَلَـوْ نَشَـاء لَجَعَلْنَـا مِنكُمْ مَّلَئِكَـةً فِى الارض يَخْلُفُونَ} يعني: لـو شـاء اللـه، لجعـل مكـانكم في الأرض ملائكـة يخلفـون، فكـانوا خلفـاً منكم. ثم رجـع إلى صـفة عيسى عليـه السـلام فقـال: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّـاعَةِ} يعـني: نزول عيسى، علامة لقيام الساعة. ويقـال: نـزول عيسـى آية للناس. وروى وكيـع، عن سـفيان، عن عاصـم، عن أبي

رزين، عن أبي يحيى، عن ابن عباس في قوله: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} قال: خروج عيسى ابن مريم. وروى معمر، عن قتادة قال: نزول عيسى وروى عبادة، عن حميد، عن أبي هريرة قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّي يُرى عيسى عليه السلام في الأرْض إمَاماً مُقْسِطاً، وَكُنْتُ أرْجُو ألاَّ أمُوتَ حَتَّي آكُل مع عيسى عليه السلام، عَلَى مَائِدَةٍ، فَمَنْ لَقِيهُ مِنْكُمْ، فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلاَمَ» قرأ بعضهم {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} بكسر العين أي: بنزول المسيح يعلم أنه قد قربت الساعة. ومن قرأ: (وَإنَّهُ لَعَلَمٌ) بالنصب، فإنه بمعنى الدليل، والعلامة.

قوله تعالى: {فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا} يعني: لا تشكن في القيامة والبعث {وَاتَّبِعُونِي} يعني: أطيعونني {فاعبدوه هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} عني هذا التوحيد صراط مستقيم {وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ الشيطان} يعني: لا يصرفنكم الشيطان عن طريق الهدى {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} ظاهر العداوة.

▲ تفسير الآيات رقم [63- 76]

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (65) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (66) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (68) الَّذِينَ آَمَنُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (69) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (70) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (73) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (74) لَا يُفَتَّرُ

عَنْهُمْ وَهُمْ فِيـهِ مُبْلِسُـونَ (75) وَمَـا ظَلَمْنَـاهُمْ وَلَكِنْ كَـانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (76)}

{وَلَمَّا جَاء عيسى بالبينات} يعني: بالآيات والعلامات، وهو إحياء الموتى، وإبـراء الأكمـه والأبـرص. ويقـال: بالبينـات، يعني: بالإنجيل {قَالَ قَـدْ جِئْتُكُم بالحكمـة} يعـني: بـالنبوة {وَلابَيّنَ لَكُم بَعْضَ الـذى تَخْتَلِفُـونَ فِيـهِ} قـال: بعضـهم، يعني: كل الذي تختلفون فيـه. وقـال بعضـهم معنـاه: لأبين تحليل بعض الذي تختلفون فيه. كقوله: {وَمُصَدِّقًا لِّمَـا بَيْنَ يَـدَيَّ مِنَ التــوراة وَلأُحِـلَّ لَكُم بَعْضَ الــذي حُــرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِأَيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} [آل عمــران: 50] وكانوا في ذلك التحـريم مختلفين، فمصـدق ومكـذب {فاتقوا الله وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم به من التوحيد.

قولـه تعـالى: {إِنَّ الله هُـوَ رَبّى وَرَبُّكُمْ} يعـني: خـالقي وخالقكم {فاعبدوه} يعني: وحدوه وأطيعوه {هذا صــراط مُّسْـتَقِيمٌ} يعــني: دين الإســلام {فـاختلف الاحــزاب مِن بَيْنِهِمْ} أي: تفرقــوا في أمــر عيســى، وهم النســطورية، والماريعقوبية، والملكانيـة. وقـد ذكرنـاه من قبـل. ويقـال: الأحــزاب تحزبـوا وتفرقـوا في أمـر عيسـى، وهم اليهـود. فقـالوا فيـه قـولاً عظيمـاً، وفي أمـه. فقـالوا: إنـه سـاحر. ويقـال: اختلفـوا في قتلـه {فَوَيْـلٌ لّلَّذِينَ ظَلَمُـواْ} يعـني: أشركوا {مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ} يعني: عذاب يوم شديد.

قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ الساعة} يعني: ما ينظــرون إذا لم يؤمنـوا إلا السـاعة {أَن تَـأْتِيَهُمْ بَغْتَـةً} يعـني: فجـأة {وَهُمْ لاَ يَشْـعُرُونَ} بقيامهـا قولـه تعـالى: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} قال مجاهـد: الأخلاء في معصـية اللـه تعالى في الدنيا، يومئذٍ متعادين في الآخــرة {إِلاَّ المتقين} الموحدين. قال مقاتل: نزلت في أبي بن خلف، وعقبـة بن أبي معيط. وقال الكلبي: كـل خليـل في غـير طاعـة اللـه، فهو عدوٌّ لخليله.

وروى عبيد بن عمير. قال: كان لرجل ثلاثة أخلاء، بعضهم أخص به من بعض، فنزلت به نازلة، فلقي أخص الثلاثة. فقال: يا فلان: إني قد نزل بي كذا وكذا، وإني أحب أن تعينني. فقال له: ما أنا بالذي أعينك، ولا أنفعك، فانطلق إلى الذي يليه. فقال له: أنا معك حتى أبلغ المكان الذي تريده، ثم رجعت وتركتك. فانطلق إلى الثالث فقال له: أنا معك حيثما دخلت. قال: فالأول ماله، والثاني أهله وعشيرته، والثالث عمله. وروى أبو إسحاق عن الحارث، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه سئل عن قوله: {الاخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ المتقين} فقال: خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين فيثني على صاحبه خيراً، ثم يموت الآخر، فيجمع بين أرواحهما فيقول: كل واحد منهما لصاحبه، نعم الأخ ونعم الصاحب، ويموت أحد الكافرين، فيثني على صاحبه شراً، ثم يموت الآخر، فيجمع بين أرواحهما فيقول: كل واحد منهما لصاحبه، بئس الأخ وبئس الصاحب.

قوله تعالى: {المتقين ياعباد لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليوم وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} يعني: يوم القيامة ثم وصفهم فقال: {الذين ءامَنُواْ بئاياتنا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ} يعني: مخلصين بالتوحيد. قوله تعالى: {ادخلوا الجنة أَنتُمْ وأزواجكم تُحْبَرُونَ} يعني: تكرمون وتنعمون. ويقال: ترون والحبرة: السرور. قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بصحاف مّن ذَهَبٍ} قال كعب: يطاف عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب، في كل صحفة لون وطعام، ليس في الأخرى، والصحفة هي القصعة. {وَأَكْوابٍ} وهي: الأباريق التي لا خراطيم لها، يعني: مدورة الرأس. ويقال: التي لا عُرى لها، واحدها كوب.

{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الانفس} يعني: تتمنى كل نفس {وَتَلَذُّ الاعين} من النظر إليها {وَأَنتُمْ فِيهَا خالدون وَتِلْكَ الجنة}

يعني: هذه الجنة {التى أُورِثْتُمُوهَا} يعني: أنزلتموها {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: دخلتموها برحمة الله تعالى، بإيمانكم واقتسمتموها بأعمالكم. {لَكُمْ فِيهَا فاكهة كَثِيرَةٌ} لا تنقطع. لقوله: {لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: 33] {مِّنْهَا تَأْكُلُونَ} أي: من الفواكه متى تشاؤوا.

ثم وصف المشركين فقال: {إِنَّ المجرمين} يعني: المشركين {فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خالدون} أي: دائمون، لا يموتون ولا يخرجون {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ} يعني: لا ينقطع عنهم العذاب طرفة عين {وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} يعني: آيسين من رحمة الله تعالى. قوله تعالى: {وَمَا ظلمناهم} يعني: لم نعذبهم بغير ذنب {ولكن كَانُواْ هُمُ الظالمين} لأنهم كانوا يستكبرون عن الإيمان.

تفسير الآيات رقم [77- 81]

{وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (78) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (79) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (80) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81)}

قوله تعالى: {وَنَادَوْاْ يامالك} وذلك أنه لما يشتد عليهم العذاب، يتمنون الموت، ويقولون لخازن جهنم: يَا مَالِكُ {لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} يعني: ادعُ ربك لقبض أرواحنا، فأجابهم بعد أربعين سنة {قَالَ إِنَّكُمْ ماكثون} وروى عطاء بن السائب، عن رجل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يجيبهم بعد ألف سنة {إِنَّكُمْ ماكثون} ويقال: إنهم ينادون {وَنَادَوْاْ يامالك لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} فأوحى الله تعالى إلى مالك ليجيبهم، فيقول لهم مالك قَالَ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ.

قوله تعالى: {لَقَدْ جئناكم بالحق} يعني: جاءكم جبريل في الدنيا، بالقرآن والتوحيد {ولكن أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقّ كارهون}

يعني: جاحدون. وهو قوله تعالى: {أَمْ أَبْرَمُـواْ أَمْـراً} قـال مقاتل: وذلك حين اجتمعـوا في دار النـدوة، ودخـل إبليس عليهم، وقد ذكرناه في سورة الأنفـال. فـنزل {أَمْ أَبْرَمُـواْ أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} يعني: أجمعوا أمرهم بالشر على النبي صلى الله عليه وسلم {فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} أي: مجمعون أمرنـا على مـا يكرهـون. وقـال الكلـبي: وذلـك أن ثلاثـة نفـر، اجتمعوا وقالوا: إنه يقول: بأن ربي يعلم السـر. أتـرى أنـه يعلم مَا نقول بيننا؟ فنزل {أَمْ أَبْرَمُواْ أَمْراً} يعـني: أقـاموا على المعصـية {فَإِنَّا مُبْرِمُـونَ} أي: معـذبون عليهـا. قـال القتبي: أي: أحكموه، والمبرم: المفتول على طاقين.

قولـه تعـالى: {أَمْ يَحْسَـبُونَ} يعـني: بـل يظنـون. ويقـال: أيظنــون، والميم صــلة {أَنَّا لاَ نَسْـمَعُ سِـرَّهُمْ ونجــواهم} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ، ومعناه إن اللــه تعــالى يعلم ســرهم ونجــواهم. قــال ابن عبــاس: الــذين يتنـاجون خلـف الكعبـة، يعـني: الـذين يقولـون: إن اللـه لا يسمع مقالتنا. قال الله تعالى: {بلى} يعـني: نسـمع ذلـك {وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} مقالتهم.

قوله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ للرحمن وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ العابـدين} يعني: الموحدين من أهل مكة. قال مقاتل: لما نزلت هـذه الآيـة، وقـرئت عليهم فقـال النضـر بن الحـارث: ألا ترونـه صدقني. فقال له الوليد: ما صدقك، ولكنه يقول: مـا كـان للـرحمن ولـد. يعـني: إنَّ إن بمعـنى مـا قـال: {فَأَنَاْ أَوَّلُ العابدين} يعني: الموحدين من أهل مكة. وقال الكلبي: أنا أول الآنفين أن لله ولـداً. وقـال القتـبي: إن كـان هـذا في زعمكم، فأنا أول الموحـدين، لأنكم تزعمـون أن لـه ولـداً، فأنَّا أوَّلِ الآنفين من ذلك، فلم توحدوه ومن وحد الله، فقد عبده، ومن جعل له ولداً، فليس من العابدين كقوله: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُـــدُونِ} [الــذاريات: 56] أي: ليوحدون ثم نزه نفسه فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [82- 89]

{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (85) وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (86) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (87) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (88) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (89)}

{سبحان رَبّ السموات والارض رَبّ العرش عَمَّا يَصِفُونَ} يعني: عما يقولون إن لله ولداً {فَذَرْهُمْ} يعني: كفار مكة، حين كذبوا بالعذاب {يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ} يعني: يخوضوا في أباطيلهم، ويستهزئوا {حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ الذى يُوعَدُونَ} يعني: حتى يعاينوا يومهم الذي يوعدون، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى: {وَهُوَ الذى فِى السماء إله وَفِى الارض إله} يعني: إله كل شيء، ويعلم كل شيء. ويقال: هو إله في السماء يعبد، وفي الأرض إله يعبد. ويقال: يوحد في السماء ويوحد في الأرض {وَهُوَ الحكيم} في أمره {العليم} بخلقه وبمقالتهم، ثم عظم نفسه فقال تعالى: {وَتَبَارَكَ الذى} يعني: تعالى عما وصفوه الَّذي {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات {وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ الساعة} يعني: قيام الساعة {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} قرأ أبو عمرو، ونافع، وعاصم (تُرْجَعُونَ) بالتاء، على معنى المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم.

قوله تعالى: {وَلاَ يَمْلِكُ الذين يَدْعُونَ} يعني: لا يقدر الذين يعبدون {مِن دُونِهِ الشفاعة إِلاَّ مَن شَهِدَ بالحق} يعـني: بلا إله إلا الله مخلصاً {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنه الحـق، حين شـهدوا بها من قبل أنفسهم، وأنهم يشفعون لهـؤلاء قولـه تعـالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ الله} يعني: كفار قريش {فأنى يُؤْفَكُونَ} يعني: أنى يصرفون بعد التصديق.

ثم قال: {وَقِيلِهِ يـارب إِنَّ هَـؤُلاَءِ قَـوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُـونَ} يعـني: قال النبي صلى الله عليه وسـلم {وَقِيلِـهِ} يعـني: وقولـه. قرأ عاصم وحمزة (قِيلِهِ) بكسـر اللام، والبـاقون بالنصـب. وقرئ في الشـاذ (وَقِيلُـهُ) بضـم اللام، فمن قـرأ بالنصـب، فنصبه من وجهين: أحدهما على العطف على قولــه: {أَلَمْ يَعْلَمُــواْ أَنَّ اللــه يَعْلَمُ سِــرَّهُمْ وَنَجْــوَاهُمْ وَأَنَّ اللــه علام الغيـوب} [التوبـة: 78] (وقيلـه) ومعـنى آخـر وعنـده علم السـاعة، وعلم قيلـه يـا رب. يعـني: يعلم الغيب ومن قـرأ بالكسر معناه وعنده علم الساعة، وعلم قيله يا رب. ومن قرأ بالرفع فمعناه: وقيله قـول يـا رب {إِنَّ هَـؤُلاَءِ قَـوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ} يعني: لا يصدقون {فاصفح عَنْهُمْ} يعني: أعـرض عنهم، وهـذا قبـل أن يـؤمر بالقتـال {وَقُـلْ سـلام} يعـني: سداداً من القول {فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} وهذا وعيد منــه. قـرأ نـافع وابن عـامر (تَعْلَمُـونَ) بالتـاء، على معـنى المخاطبـة لهم، والباقون بالياء على معنى الخبر عنهم، والله أعلم.

▲ سورة الدخان

▲ تفسير الآيات رقم [1- 8]

{حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (6) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (7) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (8)}

قوله تبارك وتعالى: {حم والكتاب المبين إِنَّا أنزلناه فِى لَيْلَةٍ مباركة} يعني: الكتاب أنزلناه في ليلة القدر سميت مباركة لما فيها من البركة، والمغفرة للمؤمنين، وذلك أن القرآن، أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ، إلى السماء الدنيا في ليلة القدر إلى السفرة. ثم أنزله جبريل متفرقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال: كان ينزل من اللوح المحفوظ، إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، مقدار ما ينزل به جبريل عليه السلام، متفرقاً إلى السنة الثانية ثم قال: {إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} يعني: مخوفين بالقرآن.

قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} يعني: في ليلة القدر، يقضى كل أمر محكم، ما يكون في تلك السنة إلى السنة الأخرى، وهذا قول عكرمة. وروى منصور، عن مجاهد قال فيها: يقضى أمر السنة إلى السنة، من المصائب والأرزاق وغير ذلك. وهذا موافق للقول الأول. ويقال: في تلك الليلة، يفرق يعني: ينسخ من اللوح المحفوظ، ما يكون إلى العام القابل من الرزق، والأجل، والأمراض، والخصب، والشدة. وروى سعيد بن جبير، عن

ابن عباس، أنه قال: إنك لتلقى الرجل في الأسـواق، وقـد وقع اسمه في الأموات.

ثم قرأ هذه الآية: {فِيهَا يُفْرَقُ كُـلُّ أَمْـرٍ حَكِيمٍ} يعـني: في تلك الليلة، يفرق كل أمر الـدنيا إلى مثلهـا إلى السـنة من قابل {أَمْـراً مِّنْ عِنْـدِنَا} يعـني: قضـاء من عنـدنا. ويقـال: معناه بأمر من عندنا، فنزع حرف الخافض فصار نصباً {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} يعـني: الرسـل إلى الخلـق. ويقـال: يعـني: الملائكة في تلـك الليلـة {رَحْمَـةً مِّن رَّبِّـكَ} يعـني: إنـزال الملائكة، رحمة من الله تعالى. ويقال: الرسالة رحمـة من الله تعالى. ويقال: هذا القرآن رحمة لمن آمن به {إِنَّهُ هُـوَ السميع} لقولهم {العليم} بهم وبأعمالهم.

قوله عز وجل: {رَبِّ السموات والارض} قرأ أهل الكوفـة رب، بكسر الباء، والباقون بالضـم، فمن قـرأ بالكسـر رده إلى قوله: رحمة من ربك رب السموات. ومن قرأ بالضم، رده إلى قولـه: {إِنَّهُ هُـوَ السـميع العليم} رب السـموات. ويقـال: على الاسـتئناف. ومعنـاه: هـو ربكم، وهـو رب السـموات والأرض {وَمَـا بَيْنَهُمَـا إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ} يعـني: مؤمـنين بتوحيـد اللـه {لا إِلـه إِلاَّ هُـوَ يُحْيِ وَيُمِيتُ} وقـد ذكرنـاه {رَبُّكُمْ} أي: خـالقكم ورازقكم {وَرَبُّ ءابَـائِكُمُ الاولين} يعني: هو خالقهم ورازقهم.

تفسير الآيات رقم [9- 16]

{بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (9) فَـارْتَقِبْ يَـوْمَ تَـأْتِي السَّـمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (10) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (11) رَبَّنَـا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (12) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَـدْ جَـاءَهُمْ رَسُـولٌ مُبِينٌ (13) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْـهُ وَقَـالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (14) إِنَّا كَاشِـفُوا الْعَـذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (15) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (16)}

قولـه عـز وجـل: {بَـلْ هُمْ فِى شَـكٍّ يَلْعَبُـونَ} يعـني: يستهزئون. ويقـال: هـذا جـواب قولـه: {إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ}

فكأنه قال: لا يوقنون، بل هم في شك يلعبون يعني: يخوضون في الباطل. قوله تعالى: {فارتقب} يعني: فانتظر يا محمد {يَوْمَ تَأْتِى السماء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} يعني: الجدب والقحط قال القتبي: سمي الجدب والقحط. دخاناً، وفيه قولان: أحدهما أن الجائع كأنه يرى بينه وبين السماء دخاناً من شدة الجوع، والثاني: أنه سمي القحط دخاناً، ليبس الأرض، وانقطاع النبات، وارتفاع الغبار، فشبه بالدخان. وروى الأعمش، عن مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود قال: «خمس مضين، الدخان واللزام يعني: العذاب الأكبر، والروم، والبطشة، والقمر.

وروي عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في المسجد، فسئل عن قوله: {يَوْمَ تَأْتِى السماء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} فقال: إذا كان يوم القيامة، نزل دخان من السماء، فأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، وأخذ المؤمنون منه بمنزلة الزكام. قال مسروق: فدخلت على عبد الله فأخبرته، وكان متكئاً، فاستوى قاعداً. ثم أنشأ فقال: يا أيها الناس: من كان عنده علم فسئل عنه، فليقل به، ومن لم يكن عنده علم، فليقل الله أعلم. إن قريشاً حين كذبوه يعني: صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال: " اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كسِنِّي يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام " فأصابهم سنة، وشدة الجوع، حتى أكلوا الكلاب، والجيف والعظام، حتى كان يرى أحدهم كأن بينه وبين السماء دخاناً.

فذلك قوله: {فارتقب يَوْمَ تَأْتِى السماء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ} يعني: انتظر بهلاكهم يوم تأتي السماء بدخان مبين {يَغْشَى الناس} يعني: أهل مكة {هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: يقولون: هذا الجوع عذاب أليم ثم إن أبا سفيان وعتبة بن

ربيعة والعاص بن وائل وأصحابهم قالوا: يا رسول الله استسق الله لنا، فقد أصابنا شدة.
قوله تعالى: {رَّبَّنَا اكشف عَنَّا العذاب} يعني: الجوع {إِنَّا مْؤْمِنُونَ أنى لَهُمُ الذكرى} يعني: من أين لهم التوبة والعظة والتذكرة {وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ} بلغتهم ومفقه لهم {ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ} يعني: أعرضوا عما جاء به، فلم يصدقوه ومع ذلك {وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ} يعلمه جبر ويسار أسماء الرجلين غلامي الخضر {إِنَّا كَاشِفُواْ العذاب قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} إلى المعصية، فعادوا فانتقم منهم يوم بدر، فذلك قوله: {يَوْمَ نَبْطِشُ البطشة الكبرى} يعني: نعاقب العقوبة العظمى {إِنَّا مُنتَقِمُونَ} منهم بكفرهم ويقال: {يَوْمَ نَبْطِشُ البطشة الكبرى} يعني: يوم القيامة.
ويقال: آية الدخان لم تمض، وستكون في آخر الزمان.
وروى إسرائيل عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه قال: لم تمض آية الدخان يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وينتفخ الكافر حتى يصير كهيئة الجمل.
وروى ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: " أخْبِرْتُ أَنَّ الكَوْكَب ذَا الذَّنب قد طَلَعَ، فَخَشِيتُ أنْ يَكونَ الدُّخَانَ قَد طَرق " ويقال: هذا كله يوم القيامة، إذا خرجوا من قبورهم، تأتي السماء بدخان مبين، محيط بالخلائق فيقول الكافرون: {رَّبَّنَا اكشف عَنَّا العذاب} أي: ردنا إلى الدنيا {إِنَّا مْؤْمِنُونَ} يقول الله تعالى: من أين لهم الرجعة، وقد جاءهم رسول مبين فلم يجيبوه.

▲ تفسير الآيات رقم [17- 29]

{وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (17) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (18) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آَتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (19) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (20) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (21) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (22)

فَأَسْرِ بِعِبَـادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُـونَ (23) وَاتْـرُكِ الْبَحْـرَ رَهْـوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (24) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُـونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَـانُوا فِيهَـا فَـاكِهِينَ (27) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (28) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّـمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (29)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّاَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ} يعـني: ابتلينـا قبل قومك قـوم فرعـون. {وَجَـاءهُمْ رَسُـولٌ كَـرِيمٌ} على ربه، وهو موسى عليه السلام. ويقـال: رسـول كـريم. أي: شريف {أَنْ أَدُّواْ إِلَيَّ عِبَادَ الله} يعـني: أرسـلوا معي بـني إسرائيل، واتبعوني على ديني {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} قـد جئتكم من عند الله تعالى. ويقال: كـريم لأنـه كـان يتجـاوز عنهم، ويقــال أمين فيكم قبــل الــوحي، فكيــف تتهمــوني اليوم. ويقال كـريم حيث يتجـاوز عنهم، حين دعـا موسـى، ورفع عنهم الجـراد، والقمـل، والضـفادع والـدم {إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} فيما بينكم وبين ربكم.

قوله تعالى: {وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى الله} يعني: لا تخالفوا أمر اللــه تعـالى. ويقـال: لا تسـتكبروا عن الإيمـان، ولا تعلـوا بالفساد، لأن فرعون لعنه الله، كـان عاليـاً من المسـرفين {وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى} يعني: آتيكم بحجة بينة اليد والعصــى، وغير ذلك. {وَإِنّى عُذْتُ بِـرَبّى وَرَبّكُمْ} يعـني: أعـوذ باللـه {أَن تَرْجُمُـونِ} يعـني: أن تقتلـون. ومعنـاه: أسـأل اللـه تعالى، أن يحفظني لكي لا تقتلوني. قرأ أبو عمرو وحمـزة والكســائي {عُــذْتُ} بإدغــام الــذال في التــاء، لقــرب مخرجيهما، والباقون بغير إدغام، لتبيين الحرف.

ثم قــال: {وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُــواْ لِى فــاعتزلون} يعــني: إن لم تصدقوني فاتركوني. قوله تعالى: {فَدَعَا رَبَّهُ} يعـني: دعـا موسى ربه، كما ذكر في سورة يونس {وَقَالَ موسى رَبَّنَـآ إِنَّكَ ءاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلاَّهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى الحياة الدنيا رَبَّنَـا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطمس على أمـوالهم واشـدد على

قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حتى يَرَوُاْ العـذاب الاليم} [يـونس: 88]
وقوله: {وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القوم الكافرين} [يونس: 86]
{أَنَّ هَـؤُلَاء قَـوْمٌ مُّجْرِمُـونَ} يعـني: مشـركون فـأبوا أن يطيعوني {فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً} فأوحى الله تعـالى إليـه، أن أدلج ببني إسرائيل {إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ} يعني: إنَّ فرعون يتبـع أثركم، فخرج موسى ببني إسرائيل، وضرب بعصاه البحـر، فصار طريقاً يابساً.
وهذا كقوله: {أَوَلاَ يَعْلَمُـونَ أَنَّ اللـه يَعْلَمُ مَـا يُسِـرُّونَ وَمَـا يُعْلِنُونَ} [طه: 77] فلما جـاوز موسـى مـع بـني إسـرائيل البحر، فأراد موسـى أن يضـرب بعصـاه البحـر، ليعـود إلى الحالة الأولى، فأوحى الله تعالى إليه بقوله {واترك البحـر رَهْـواً} قـال قتـادة: يعـني: طريقـاً يابسـاً واسـعاً. وقـال الضحاك: رَهْواً يعني: سهلاً. وقال مجاهـد: يعـني: منفرجـاً. وقال القتبي: يعني: طريقاً سالكاً. كمـا هـو. ويقـال: رهـواً أي: سككاً جدداً، طريقاً يابساً {إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ} وذلك، أن بــني إســرائيل خشــوا أن يــدركهم فرعــون، فقــالوا لموسى: اجعل البحر كما كان، فإننا نخشى أن يلحق بنا.
قال الله تعالى: {إِنَّهُمْ جُنـدٌ مُّغْرَقُـونَ} يعـني: سـيغرقون، فدخل فرعون وقومه البحر، فأغرقهم اللـه تعـالى، وبقيت قصورهم وبسـاتينهم قولـه تعـالى: {كَمْ تَرَكُـواْ مِن جنـات وَعُيُـونٍ} يعـني: بسـاتين وأنهـاراً جاريـة {وَزُرُوعٍ} يعـني: الحروق {وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} يعني: مساكن ومنازل حسن.
كذلك يعني: هكذا أخرجناهم من النعم {وَنَعْمَةٍ كَـانُواْ فِيهَـا فاكهين} يعني: معجبين. وقال أهـل اللغـة: النِّعمـة بكسـر النــون هي المنــة، واليــد الصــالحة، والنُّعمــة بالضــم هي الميســرة، وبالنصــب هي الســعة في العيش. ثم قــال: {كذلك} يعني: هكذا أخرجناهم من السعة والنعمة {كَذَلِكَ وأورثناها قَوْماً} يعني: جعلناها ميراثاً لبني إسرائيل.

قولـه تعـالى: {فَمَـا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السـماء والارض} قـال بعضهم: هذا على سبيل المثـل، والعـرب إذا أرادت تعظيم ملك، عظيم الشـأن، عظيم العطيـة تقـول: كَسَـفَ القَمَـرُ لِفَقْدِهِ، وبَكَت الرِّيحُ والسَّمَاءُ وَالأَرْضُ، وقد ذكروا ذلـك في أشـعارهم، فـأخبر اللــه تعـالى، أن فرعــون لم يكن ممن يجزع له جازع، ولم يقم لفقده فقد، وقـال بعضـهم: {فَمَـا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السماء والارض} يعـني: أهـل السـماء، وأهـل الأرض. فأقـام السـماء والأرض مقـام أهلهـا. كمـا قـال: {واسئل القرية التى كُنَّا فِيهَا والعـير الـتى أَقْبَلْنَـا فِيهَـا وَإِنَّا لصــادقون} [يوســف: 82] وقــال بعضــهم: يعــني: بكت السـماء بعينهـا، وبكت الأرض. وقـال ابن عبـاس: «لِكُـلِّ مُؤْمِنٍ بَابٌ في السَّمَاءِ، يَصْعَدُ فِيهِ عَمَلُهُ، وَيَنْزِلُ مِنهُ رِزْقُهُ، فَإِذا مَاتَ بَكَى عَلَيْهِ بَابُه فِي السَّمَاءِ، وَبَكَتْ عَلَيْهِ آثَارُهُ فِي الأَرْضِ» وذكــر عن سـعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس، أنــه سئل: أتبكي السماء والأرض على أحد؟ قال نعم، إذا مات المؤمن، بكت عليه معادنه من الأرض، التي كان يذكر الله تعالى فيها ويصلي، وبكى عليه بابـه الـذي كـان يرفـع فيـه عمله، فأخبر الله تعالى: أن قـوم فرعـون، لم تبـك عليهم السماء والأرض {وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ} يعني: مؤجلين.

تفسير الآيات رقم [30- 37]

{وَلَقَـدْ نَجَّيْنَـا بَنِي إِسْـرَائِيلَ مِنَ الْعَـذَابِ الْمُهِينِ (30) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (31) وَلَقَدِ اخْتَرْنَـاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَـا فِيـهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (33) إِنَّ هَـؤُلَاءِ لَيَقُولُـونَ (34) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَـا الْأُولَى وَمَــا نَحْنُ بِمُنْشَــرِينَ (35) فَــأْتُوا بِآبَائِنَــا إِنْ كُنْتُمْ صَــادِقِينَ (36) أَهُمْ خَيْــرٌ أَمْ قَــوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (37)}

{وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إسراءيلَ مِنَ العذاب المهين} يعــني: من العذاب الشديد. ويقـال: المهين يعـني: الهـوان. وهـو قتـل

الأبناء، واستخدام البنات {مِن فِرْعَوْنَ} يعـني: من عـذاب فرعون {إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ المسرفين} يعني: كان عاصياً، عاتياً، مستكبراً، متعظماً وكان من المسـرفين. يعـني: من المشركين {وَلَقَدِ اخترناهم} يعني: اصطفينا بني إسرائيل {على عِلْمٍ} يعـني: على علم من اللـه تعـالى، أنهم أهـل لذلك. ويقـال: {على عِلْمٍ} اللـه فيهم من صـبرهم {عَلَى العـالمين} يعـني: على عـالمي زمـانهم {وءاتينـاهم مِنَ الايات} يعني: أعطيناهم من العلامات {مَا فِيهِ بَلَؤٌاْ مٌّبِينٌ} يعني: ابتلاء بيناً، مثل انفلاق البحر، وأشباه ذلك.
ثم ذكر كفـار مكـة فقـال: {إِنَّ هَـؤُلاَءِ لَيَقُولُـون إِنْ هِىَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الاولى} يعـني: ما هي إلا موتتنـا الأولى {وَمَـا نَحْنُ بِمُنشَـرِينَ} بعـدها {فَـأْتُواْ بِئَابَائِنَـا إِن كُنتُمْ صـادقين} أنـا نبعث بعد الموت، يعني: قالوا ذلك للنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم. قـال اللـه تعـالى: {أَهُمْ خَيْـرٌ أَمْ قَـوْمُ تُبَّعٍ} يعـني: قومك خير أم قوم تبـع، وإنمـا ذكـر قـوم تبـع، لأنهم كـانوا أقرب إلى أهل مكة في الهلاك من غـيرهم. قـال الكلـبي: وكانوا أشراف حمير {والذين مِن قَبْلِهِمْ أهلكناهم} فكيـف لا نهلك قومك إذا كذبوك قال: وكان تبع اسـم ملـك منهم، مثل فرعون. ويقال: إنما سمي تبع، لكثرة أتباعـه، فأسـلم فخالفوه فأهلكهم الله تعالى، وكان اسـمه سـعد بن ملكي كرب.
وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، أن عائشة رضـي اللـه عنهـا قـالت: إن تبـع كـان رجلاً صـالحاً. وكـان كعب الأحبار يقول: ذم اللـه قومـه، ولم يذمـه. وقـال سـعيد بن جبير: إن تبعاً كسا البيت، يعني: الكعبة. وقـال القتـبي: هم ملوك اليمن، كل واحد منهم يسعى تبعاً، لأنه يتبع صـاحبه، وكذلك الظل يسمى: تبعاً لأنه يتبع الشمس، وموضع التبـع في الجاهليـة، موضـع الخليفـة في الإسـلام، وهم ملـوك العرب. ثم قال: {والذين مِن قَبْلِهِمْ} يعـني: من قبـل تبـع

{أهلكناهم} يعني: عذبناهم عند التكذيب {إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ} يعني: مشركين.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 42]

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42)}

قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ} يعني: عابثين لغير شيء {مَا خلقناهما إِلاَّ بالحق} يعني: إلا لأمر هو كائن. ويقال: خلقناهما للعبرة، ومنفعة الخلق ويقال: للأمر والنهي، والترهيب والترغيب {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون، ولا يفقهون.

قوله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الفصل} أي: يوم القضاء بين الخلق، وهو يوم القيامة {ميقاتهم أَجْمَعِينَ} يعني: ميعادهم أجمعين، الأولين والآخرين. ويقال: يوم الفصل، يعني: يوم يفصل بين الأب وابنه، والأخ وأخيه، والزوج والزوجة، والخليل والخليلة، ثم وصف ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ لاَ يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئاً} يعني: لا يدفع ولي عن ولي، ولا قريب عن قريب شيئاً في الشفاعة {وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعون مما نزل بهم من العذاب. يعني: الكافرين. ثم وصف المؤمنين، فإنه يشفع بعضهم لبعض فقال: {إِلاَّ مَن رَّحِمَ الله إِنَّهُ هُوَ العزيز} في نعمته للكافرين {الرحيم} بالمؤمنين.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 50]

{إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (43) طَعَامُ الْأَثِيمِ (44) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (45) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (46) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (47) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ

(48) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (49) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (50)}
قوله تعالى: {إِنَّ شَجَرَةَ الزقوم طَعَامُ الاثيم} يعني: الفاجر وهو الوليد، وأبو جهل، ومن كان مثل حالهما {كالمهل يَغْلِى فِى البطون} يعني: كالصفر المذاب. قرأ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص {كالمهل يَغْلِى}، بالياء بلفظ التذكير. والباقون بلفظ التأنيث، فمن قرأ بلفظ التذكير، رده إلى المهل. ومن قرأ بلفظ التأنيث، رده إلى الشجرة {كَغَلْىِ الحميم} يعني: الماء الحار الذي قد انتهى حره.
ثم قال للزبانية: {خُذُوهُ فاعتلوه إلى سَوَاء الجحيم} يعني: فسوقوه وادفعوه إلى وسط الجحيم. قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر فَاعْتُلُوه بضم التاء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، معناهما واحد، يعني: امضوا به بالعنف والشدة. وقال مقاتل: يعني: ادفعوه على وجهه. وقال القتبي: خذوه بالعنف {ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الحميم} ويقال له: {ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العزيز الكريم} وذلك أن أبا جهل قال: أنا في الدنيا أعز أهل هذا الوادي، وأكرمه فيقال له في الآخرة: {ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العزيز الكريم}، يعني: المتعزز المتكرم، كما قلت في الدنيا.
قوله عز وجل: {إِنَّ هذا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} يعني: تشكون في الدنيا. قرأ الكسائي {ذُقْ إِنَّكَ} بنصب الألف، والباقون بالكسر. فمن قرأ بالنصب فمعناه ذق يا أبا جهل، لأنك قلت: أنك أعز أهل هذا الوادي فقال الله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ} القائل أنا {ذُقْ إِنَّكَ أنتَ العزيز الكريم} [الدخان: 49] ومن قرأ بالكسر، فهو على الاستئناف. ثم وصف حال المؤمنين في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [51- 59]

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (51) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (52) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (53) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (54) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (55) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (56) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (57) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (58) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (59)}

فقال تعالى {إِنَّ المتقين فِى مَقَامٍ أَمِينٍ} يعني: في منازل حسنة، آمنين من العذاب. قرأ نافع، وابن عامر فِي مُقَامٍ، بضم الميم. والباقون بالنصب، فمن قرأ بالنصب يعني: المكان والموضع، ومن قرأ بالضم يعني: الإقامة {فِى جنات وَعُيُونٍ} يعني: في بساتين، وأنهار جارية {يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ} يعني: ما لطف من الديباج {وَإِسْتَبْرَقٍ} يعني: ما ثخن منه {متقابلين} يعني: متواجهين كما قال في آية أخرى {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا على سُرُرٍ متقابلين} [الحجر: 47] ثم قال: {كذلك} يعني: هكذا، كما ذكرت لهم في الجنة.

ثم قال عز وجل: {وزوجناهم بِحُورٍ عِينٍ} يعني: بيض الوجوه حسان الأعين {يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلّ فاكهة ءامِنِينَ} يعني: ما يتمنون من الفواكهة، آمنين من الموت ومن زوال المملكة. ويقال: {ءامِنِينَ} مما يلقى أهل النار {لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الموت} يعني: في الجنة {إِلاَّ الموتة الاولى} يعني: سوى ما قضى عليهم من الموتة الأولى في الدنيا {ووقاهم عَذَابَ الجحيم} يعني: يصرف عنهم عذاب النار قوله تعالى: {فَضْلاً مّن رَّبّكَ} يعني: هذا الثواب، عطاء من ربك للمؤمنين المخلصين {ذلك هُوَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة {فَإِنَّمَا يسرناه بِلَسَانِكَ} يعني: هَوَّنَا قراءة القرآن على لسانك، لكي تقرأه وتخبرهم بذلك {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} يعني: يتعظون بالقرآن {فارتقب}

يعـني: انتظـر بهلاكهم {إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُـونَ} يعـني: منتظـرون بهلاكك. روى يعلى بن عبيد، عن إسـماعيل، عن عبـد اللـه بن عيسى قال: أخبرت أنه: من قـرأ ليلـة الجمعـة سـورة الدخان إيماناً، واحتساباً وتصديقاً، أصبح مغفوراً لـه، واللـه أعلم. وصلى الله وسـلم على سـيدنا محمـد النـبي الأمي، وآله وأزواجه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً دائماً.

45

سورة الجاثية

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (3) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (4) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (5) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6)}

قوله تبارك وتعالى: {حم تَنزِيلُ الكتاب} يعني: هذا الكتاب تنزيل {مِنَ الله العزيز الحكيم} وقد ذكرناه {إِنَّ فِى السموات والارض ايات لّلْمُؤْمِنِينَ} يعني: لعبرات للمؤمنين في خلقهن. ويقال: معناه أن ما في السموات من الشمس، والقمر، والنجوم، وفي الأرض من الجبال، والأشجار، والأنهار وغيرها من العجائب، لعبرات ودلائل، واضحات للمؤمنين. يعني: للمقرين المصدقين ويقال {لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني: لمن أراد أن يؤمن، ويتقي الشرك.

قوله عز وجل: {وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ} يعني: وفيما خلق من الدواب {لّقَوْمٍ يُوقِنُونَ واختلاف} يعني: عبرات ودلائل لمن كان له يقين. قرأ حمزة والكسائي آيَاتٍ بالكسر، والباقون بالضم. وكذلك الاختلاف في الذي بعده، فمن قرأ بالكسر، فإن المعنى: إن في خلقكم آيات لقوم يوقنون، فهو في موضع النصب إلاّ أن هذه التاء تصير خفضاً في موضع النصب وإنما أضمر فيه إنَّ لأَنَّ قوله: {إِنَّ فِى السموات والارض لآيَاتٍ} في موضع النصب، فكذلك في الثاني معناه: إن في خلقكم آيات.

ومن قـرأ بالضـم، فهـو على الاسـتئناف على معـنى، وفي خلقكم آيات.
{واختلاف اليل والنهار} يعني: في اختلاف الليـل والنهـار، في سواد الليل، وبياض النهار يعني: في اختلاف ألوانهمــا، وذهاب الليل ومجيء النهار {وَمَـا أَنـزَلَ اللـه مِنَ السـماء مِّن رِزْقٍ} وهو المطر {فَأَحْيَا بِهِ الارض بَعْدَ مَوْتِهَا} يعـني: بعد يبسها وقحطها {وَتَصْرِيفِ الرياح} مـرة رحمـة، ومـرة عذاباً. ويقال: مرة جنوباً ومرة شمالاً.
ثم قال: {لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ تَلْكَ * تِلْكَ آيات الله} يعـني: هـذه دلائل الله، وعلامة وحدانيته {تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بـالحق} يعـني: يقرأ عليك جبريل من القرآن، بأمر الله {تَلْـكَ ءايـات اللـه نَتْلُوهَـا عَلَيْـكَ بـالحق} قـال مقاتـل: إن لم تؤمنـوا بهـذا القرآن، فبأي حديث بعد توحيد الله وبعد القـرآن تؤمنـون. يعني: تصدقون.

تفسير الآيات رقم [7- 11]

{وَيْلٌ لِكُـلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْـمَعُ آَيَـاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْـهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آَيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُـزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَـذَابٌ مُهِينٌ (9) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَـيْئًا وَلَا مَـا اتَّخَـذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَـاءَ وَلَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ (10) هَـذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَـذَابٌ مِنْ رِجْـزٍ أَلِيمٌ (11)}
قولـه تعـالى: {وَيْـلٌ لّكُـلّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} يعـني: كـذاب فـاجر {يَسْمَعُ ءايـات اللـه} يعـني: القـرآن {تتلى عَلَيْـهِ} يعـني: يعرض عليه، ويقرأ عليه {ثُمَّ يُصِرُّ مُسْـتَكْبِراً} يعـني: يقيم على الكفر، متكبراً عن الإيمان {كَأَن لَّمْ يَسْـمَعْهَا} يعـني: كأن لم يعقلها، ولم يفهمها {فَبَشّـرْهُ} يـا محمـد {بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ} يعـني: شـديد. قـرأ ابن عـامر، وحمـزة، والكسـائي

وعاصم في رواية أبي بكر، وَآيَاتِهِ تُؤْمِنُونَ بالتاء على معنى المخاطبة. والباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم.

قوله عز وجل: {وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءاياتنا شَيْئاً اتخذها هُزُواً} يعني: إذا سمع من آياتنا، يعني: من القرآن، اتخذها هزءاً. يعني: سخرية. ويقال: مثل حديث رستم وإسفنديار، وهو النضر بن الحارث {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون فيه.

قوله تعالى: {مّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ} يعني: أمامهم جهنم. ويقال: من بعدهم في الآخرة جهنم {وَلاَ يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً} يعني: لا ينفعهم ما جمعوا من المال. {وَلاَ مَا اتخذوا مِن دُونِ الله أَوْلِيَاء} يعني: لا ينفعهم ما عبدوا دونه من الأصنام {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} في الآخرة.

قوله تعالى: {هـذا هُدًى} يعني: هـذا القرآن بيان من الضلالة. ويقال: هذا العذاب الذي حق {والذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا {بآيات رَبّهِمْ} يعني: بالقرآن {لَهُمْ عَذَابٌ مّن رّجْزٍ أَلِيمٌ} يعني: وجيع في الآخرة. قرأ ابن كثير، وعاصم في رواية حفص {أَلِيمٌ}، بضم الميم، والباقون بكسر الميم، كما ذكرنا في سورة سبأ، ثم ذكرهم النعم ليعتبروا.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)}

فقال تعالى {الله الذى سَخَّرَ لَكُمُ البحر لِتَجْرِىَ الفلك فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وقد ذكرناه. ثم قال: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السموات وَمَا فِي الارض} يعني: ذلل لكم ما في السموات وما في الأرض، لصلاحكم. ثم قال تعالى: {جَمِيعاً مّنْهُ} يعني: جميع ما

سخر الله تعالى، هو من قدرته ورحمتـه. ويقـال: {جَمِيعـاً مّنْهُ} يعني: مِنَّةً منه. قال مقاتل: يعني: جميعـاً من أمـره. وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: جميعاً منه، منه النـور، ومنه الشمس ومنه القمر.

{إِنَّ فِى ذَلِـكَ} يعـني: فيمـا ذكـر {لآيَـاتٍ} يعـني: دلالات وعبرات {لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} يعتـبرون في صـنعه وتوحيـده. وروى الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن النـبي صـلى اللـه عليه وسـلم، «أَنَّهُ مَـرَّ بِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فِي الخَـالِق، فَقَـالَ: تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلاَ تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَـالِقِ». وروى وكيـع، عن هشام، عن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَـدَكُم، فَيَقُـولُ: مَنْ خَلَـقَ السـماء؟ فيقـول: اللـه، فيقـول: من خلـق الأرض؟ فيقـول: اللـه. فيقـول: من خلـق اللـه تعـالى؟ فـإذا افْتُتِنَ أَحَـدُكُمُ بِـذَلِكَ، فَلْيَقُـلْ آمَنْتُ بِاللـه وَرَسُـولِهِ». قـال اللـه تعالى: {قُل لّلَّذِينَ ءامَنُواْ} قال مقاتل والكلبي: وذلـك، أن رجلاً من الكفـار من قـريش، شـتم عمـر رضـي اللـه عنـه بمكة، فهم عمر بـأن يبطش بـه، فـأمره اللـه بـأن يتجـاوز عنـه. فقـال: {قُـل لّلَّذِينَ ءامَنُـواْ}، يعـني: عمـر {يَغْفِـرُواْ لِلَّذِينَ} يعني: يتجاوزوا، ولا يعاقبوا الـذين {لاَ يَرْجُـونَ أَيَّامَ الله} يعني: لا يخافون عقوبته التي أهلك بها عاداً وثمـوداً، والقرون التي أهلكت قبلهم. يعـني: لا يخشـون مثـل أيـام الأمم الخالية. قال قتادة: ثم نسختها آية القتـال {إِنَّ عِـدَّةَ الشهور عِندَ الله اثنا عَشَرَ شَهْراً فِي كتاب اللـه يَـوْمَ خَلَـقَ السماوات والارض مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُـرُمٌ ذلـك الـدين القيم فَلاَ تَظْلِمُـواْ فِيهِنَّ أَنفُسَـكُمْ وَقَـاتِلُواْ المشـركين كَآفَّةً كَمَـا يقاتلونكم كَآفَّةً واعلموا أَنَّ الله مَعَ المتقين} [التوبة: 36] ثم قال: {لِيَجْزِىَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} يعـني: يجـزيهم بأعمالهم في الآخرة. قال مجاهد: {لاَ يَرْجُـونَ أَيَّامَ اللـه}، يعني: لا ينالون نعم الله. قرأ حمزة والكسائي، وابن عامر

لِنَجْزِيَ بالنون على الإضـافة إلى نفسـه. والبـاقون لِنَجْـزِيَ بالياء، أي: ليجزي الله.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 20]

{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَـاءَ فَعَلَيْهَـا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُـونَ (15) وَلَقَـدْ آَتَيْنَـا بَنِي إِسْـرَائِيلَ الْكِتَـابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَـالَمِينَ (16) وَآَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَـا اخْتَلَفُـوا إِلَّا مِنْ بَعْـدِ مَـا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِـي بَيْنَهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (17) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَـرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُـونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) هَذَا بَصَـائِرُ لِلنَّاسِ وَهُـدًى وَرَحْمَـةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (20)}

قوله عز وجل {مَّنْ عَمِـلَ صـالحا فَلِنَفْسِـهِ} يعـني: ثوابـه لنفسه {وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا} يعني: عقوبتـه عليهـا {ثُمَّ إلى رَبّكُمْ تُرْجَعُونَ} في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. قـال اللـه تعـالى: {وَلَقَـدْ ءاتَيْنَـا بَنِى إسـراءيل} يعـني: أولاد يعقـوب {الكتـاب} أي: التـوراة، والزبـور، والإنجيـل، لأن موسـى وداود وعيسى كـانوا في بـني إسـرائيل {والحكم} يعـني: الفهم والعلم {والنبوة} يعـني: جعلنـا فيهم النبـوة، فكـان فيهم ألف نبي.

{وَرَزَقْنَاهُمْ مّنَ الطيبات} يعـني: الحلال من الـرزق، وهـو المن والسـلوى. ويقـال: {رزقنـاهم مّنَ الطيبـات} يعـني: أورثناهم أموال فرعون {وفضلناهم عَلَى العالمين} يعني: فضلناهم بالإسلام على عالمي زمانهم. {وءاتينـاهم بينـات مّنَ الامر} يعني: الحلال والحرام، وبيان ما كان قبلهم، ثم اختلفوا بعده قوله تعالى: {فَمَا اختلفوا} يعني: في الـدين {إلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ العلم} أي: صفة النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم في كتبهم {بَغْيـاً بَيْنَهُمْ} يعـني: حسـداً منهم،

وطلباً للعز والملك. ويقال: اختلفوا في الدين، فصاروا أحزاباً فيما بينهم، يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من دين بعض.
ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامة} يعني: يحكم بينهم {فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} في الكتاب والدين. قوله عز وجل: {ثُمَّ جعلناك على شَرِيعَةٍ مّنَ الامر} يعني: أمرناك وألزمناك وأثبتناك على شريعة. ويقال: على سنة من الأمر وذلك حين دعوه إلى ملتهم. ويقال: على شريعة. يعني: على ملة ومذهب. وقال قتادة: الشريعة الفرائض والحدود والأحكام. {فاتبعها} يعني: اثبت عليها.
{وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الذين لاَ يَعْلَمُونَ} أي لا يصدقون بالتوحيد {إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ الله شَيْئاً} يعني: إن تركت الإسلام، إنهم لا يمنعوك من عذاب الله شيئاً {وَإِنَّ الظالمين بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ} يعني: بعضهم على دين بعض {والله وَلِيُّ المتقين} أي: ناصر الموحدين المخلصين {هذا بصائر لِلنَّاسِ} يعني: يبصرهم ما لهم وما عليهم، والواحدة بصيرة يعني: يبين لهم الحلال والحرام. ويقال: هذا القرآن دلائل للناس. ويقال: دعوة وكرامة.
ثم قال: {وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} أي: هدى من الضلالة، ورحمة من العذاب {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يعني: يصدقون بالرسل والكتاب، ويوقنون أن الله أنزله نعمة وفضلاً.
▲ تفسير الآيات رقم [21- 23]
{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (22) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23)}

{أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات} يعني: اكتسبوا السيئات، وذلك أنهم كانوا يقولون: إنا نعطى في الآخرة من الخير، ما لم تعطوا. قال الله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات} يعني: أيظن الذين عملوا الشرك، وهو عتبة وشيبة، والوليد وغيرهم {أَمْ حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات أن} يعني: علياً وحمزة وعيينة بن الحارث رضي الله عنهم {سَوَاء محياهم ومماتهم} يعني: يكونون سواء في نعم الآخرة، قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية حفص، سَوَاءً بالنصب والباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب فمعناه: أحسبوا أن نجعلهم سواء، أي: مستوياً فيجعل أن نَّجْعَلَهُمْ متعدياً إلى مفعولين. ومن قرأ بالضم، جعل تمام الكلام عند قوله: {وَعَمِلُواْ الصالحات} ثم ابتدأ فقال: {سَوَاء محياهم ومماتهم} خبر الابتداء وقال مجاهد: {سَوَاء محياهم ومماتهم} قال: المؤمنون في الدنيا والآخرة، مؤمن يكون على إيمانه، يموت على إيمانه، ويبعث على إيمانه والكافر في الدنيا والآخرة، كافر يموت على الكفر، ويبعث على الكفر.

وروى أبو الزبير عن جابر قال: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ المُؤمِنُ عَلَى إيمانِه، والمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِه» ثم قال: {سَاء مَا يَحْكُمُونَ} أي: بئس ما يقضون الخير لأنفسهم، حين يرون أن لهم ما في الآخرة، ما للمؤمنين.

قوله عز وجل: {وَخَلَقَ الله السموات والارض بالحق} وقد ذكرناه {ولتجزى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} يعني: ما عملت {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم، ولا يُزادون على سيئاتهم.

قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتخذ إلهه هَوَاهُ} قال: يعمل بهواه، ولا يهوى شيئاً إلا ركبه، ولا يخاف الله {وَأَضَلَّهُ الله على عِلْمٍ} يعني: علم منه، أنه ليس من أهل الهدى {وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} يعني: خذله الله، فلم يسمع

الهدى، وقلبه يعني: ختم على قلبه، فلا يرغب في الحق {وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غشاوة} يعني: غطاء. كي لا يعتبر في دلائل الله تعالى. قرأ حمزة والكسائي غشاوة بنصب الغين بغير ألف، والباقون غِشَاوَةً. كما اختلفوا في سورة البقرة، ومعناهما واحد {فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ} يعني: من بعد ما أضله الله {أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} أن من لا يقبل إلى دين الله، ولا يرغب في طاعته، لا يكرمه بالهدى والتوحيد.

تفسير الآيات رقم [24- 27]

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (26) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (27)}

قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدنيا} يعني: آجالنا تنقضي، نموت ويحيي آخرون. يعني: نموت نحن ويحيا أولادنا ويقال يموت قوم ويحيا آخرون ووجه آخر {نَمُوتُ وَنَحْيَا} يعني: نحيا ونموت، لأن الواو للجمع لا للتأخير، ووجه آخر نموت ونحيا، أي: كنا أمواتاً في أصل الخلقة، ثم نحيا، ثم يهلكنا الدهر فذلك قوله: {وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدهر} يعني: لا يميتنا إلا مضي الأيام، وطول العمر.

قال الله تعالى: {وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ} يعني: يقولون قولاً بغير حجة، ويتكلمون بالجهل {إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ} يعني: ما هم إلا جاهلون. قوله تعالى: {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بَيّنَاتٍ} يعني: تعرض عليهم آيات القرآن واضحات، بين فيه الحلال والحرام {مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ} أي: لم تكن حجتهم وجوابهم {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنا بينات} يعني: أحيوا لنا آباءنا {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنا نبعث {قُلِ الله

يُحْيِيكُمْ} يخلقكم من النطفـة {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} عنـد انقضـاء آجالكم.
{ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إلى يَوْمِ القيامة} يعـني: يـوم القيامـة يجمـع أولكم وآخركم {لاَ رَيْبَ فِيهِ} لا شـك فيـه عنـد المؤمـنين. ويقــال: لا ينبغي أن يشــك فيــه {ولكن أَكْثَــرَ النــاس لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: البعث بعد الموت. قوله عـز وجـل: {وَللَّهِ مُلْكُ السموات والارض} يعني: خزائن السموات والأرض. ويقال. له: نفاذ الأمر في السموات والأرض {وَيَـوْمَ تَقُـومُ الساعة يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ المبطلون} يعـني: يخسـر المكـذبون بالبعث، وهم أهل الباطل والكذب. ثم قال: {يَسْألُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ مرسـاها قُـلْ إِنَّمَـا عِلْمُهَـا عِنْـدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَـا لِوَقْتِهَـآ إِلاَّ هُـوَ ثَقُلَتْ فِى السـماوات والارض لاَ تَـأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْألُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَـا قُـلْ إِنَّمَـا عِلْمُهَـا عِنـدَ اللـه ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187].

تفسير الآيات رقم [28- 31]

{وَتَـرَى كُـلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَـةً كُـلُّ أُمَّةٍ تُـدْعَى إِلَى كِتَابِهَـا الْيَـوْمَ تُجْـزَوْنَ مَـا كُنْتُمْ تَعْمَلُـونَ (28) هَـذَا كِتَابُنَـا يَنْطِـقُ عَلَيْكُمْ بِـالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِـخُ مَـا كُنْتُمْ تَعْمَلُـونَ (29) فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (30) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آَيَـاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (31)}
{وتـرى كُـلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَـةً} يعـني: مجتمعـة للحسـاب على الـركب {كُـلُّ أمَّةٍ تـدعى إلى كتابهـا} يعـني: إلى ما في كتابها من خير أو شر، وهذا كقوله: {يَوْمَ نَدْعُواْ كُـلَّ أُنَـاسٍ بإمامهم فَمَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِهِ فأولئك يَقْرَءُونَ كتابهم وَلاَ يُظْلَمُـونَ فَتِيلاً} [الإسـراء: 71] يعـني: بكتـابهم {اليـوم تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: يقال لهم: اليوم تثابون بما كنتم تعملون في الدنيا، من خير أو شر. قوله تعالى: {هذا كتابنا يَنطِقُ عَلَيْكُم} يعني: هذا الـذي كتب عليكم الحفظة

{يَنطِقُ عَلَيْكُم} {بالحق} يعني: يشـهد عليكم بـالحق {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: نستنسـخ عملكم من اللوح المحفوظ، نسخة أعمالكم، {مَـا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ} من الحسنات والسيئات.
قال أبو الليث رحمه اللـه: حـدّثنا الخليـل بن أحمـد. قـال: حدّثنا الماسرجسي قال: حدّثنا إسحاق قال: حدّثنا بقية بن الوليد قال: حدّثنا أرطأة بن المنذر. قـال: عن مجاهـد، عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «أَوَّلُ مَا خَلَـقَ اللـه القَلَمَ، فَكَتَبَ مَـا يَكُـون فِي الـدُّنْيَا مِنْ عَمَـلٍ مَعْمُولٍ، براً وفاجَراً وَأَحْصَاهُ فِي الـذّكْرِ فَـاقْرَؤُوا إِن شِـئْتُمْ {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} فهَـلَ يَكُـونُ النّسْـخُ إِلاَّ مِنْ شَيءٍ قَدْ فُرِغ مِنْهُ». وروى الضـحاك، عن ابن عبـاس، أن الله تعالى وكَلَّ ملائكته، يستنسـخون من ذلـك الكتـاب المكتوب عنده، كل عام في شـهر رمضـان، مـا يكـون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، فيعارضـون بـه، حفظـه اللـه تعـالى على عبـادة كـل عشـية خميس، فيجدون ما رفع الحفظـة موافقـاً لمـا في كتـابهم ذلـك، لا زيادة فيه ولا نقصان.
وروى سعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس قـال: ألسـتم قومـاً عرباً، هل يكُون النَّسخ إِلاَّ من أَصْل كَان قَبْـل ذَلِـكَ؟ وقـال القتبي: إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ. قال إن الحفظة يكبتون جميـع مـا يكون من العبد، ثم يقابلونه بمـا في أم الكتـاب، فمـا فيـه من ثواب أو عقاب أثبت، وما لم يكن فيه ثواب ولا عقـاب محي فذلك قوله: {يَمْحُو اللـه مَـا يَشَـآءُ وَيُثْبِتُ وَعِنـدَهُ أُمُّ الكتاب} [الرعد: 39] الآية. وقال الكلبي: يرفعان ما كتبـا، فينسخان ما فيها من خير أو شر. ويطرح ما سوى ذلك.
قولــه تعــالى: {فَأَمَّا الــذين ءامَنُــواْ وَعَمِلُــواْ الصــالحات فَيُـدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِـهِ ذَلِـكَ هُـوَ الفـوز المـبين} وقـد ذكرناه. قوله عز وجل: {وَأَمَّا الذين كَفَرُواْ} يعني: جحــدوا

بِالكتاب والرسل والتوحيد. يقال لهم: {وَأَمَّا الـذين كَفَـرُواْ أَفَلَمْ تَكُنْ} يعـني: تقـرأ عليكم في الـدنيا {فاسـتكبرتم} يعني: تكبرتم عن الإيمان والقرآن {وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ} يعني: مشركين، كافرين بالرسل والكتب.

تفسير الآيات رقم [32- 37]

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (32) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (33) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (34) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (35) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (36) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (37)}

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ اللهَ حَـقٌّ} يعـني: إذا قـال لكم الرسـل في الـدنيا، إن البعث بعـد المـوت حـق {والسـاعة لاَ رَيْبَ فِيهَا} أي: لا شك فيها. قـرأ حمـزة {والسـاعة} بالنصـب، عطف على قوله: {أَنَّ وَعْدَ اللـه حَـقٌّ وَأَنَّ السـاعة} قـرأ الباقون بالضم، ومعناه: وَإِذَا قِيلَ: {إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَقِيلَ والساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا}، أي: لا شك فيها {قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا الساعة} يعني: ما القيامة، وما البعث {إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّـاً} يعــني: قلتم مــا نظن إلا ظنــاً غــير اليقين {وَمَــا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} أنها كائنة.

قولـه عـز وجـل: {وَبَـدَا لَهُمْ} أي: ظهـر لهم {سَـيّئَاتُ مَـا عَمِلُواْ} يعني: عقوبات ما عملوا في الدنيا. ويقـال: تشـهد عليهم جــوارحهم {وَحَـاقَ بِهِم مَّا كَـانُواْ بِـهِ يَسْـتَهْزِءونَ} يعني: نزل بهم العذاب، ووجب عليهم العذاب، باستهزائهم أنه غير نازل بهم {وَقِيلَ} يعني: قالت لهم الخزنة {اليـوم نَنسَاكُمْ} يعني: نترككم في النار. {كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ

هذا} يعني: كمـا تـركتم الإيمـان والعمـل، لحضـور يـومكم هذا.ْ
{وَمَأْوَاكُمُ النار} يعني: مثواكم ومستقركم النار {وَمَا لَكُمْ مّن ناصرين} يعني: ليس لكم مانع يمنعكم، مما نـزل بكم من العذاب {ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتخذتم ءايات الله هُـزُواً} يعـني: هـذا العـذاب، بـأنكم لم تؤمنـوا {وَغَـرَّتْكُمُ الحيـاة الـدنيا} يعني: ما في الدنيا من زينتها وزهرتها {فاليوم لاَ يُخْرَجُـونَ مِنْهَا} قرأ حمزة والكسـائي بنصـب اليـاء، فيجعلان الفعـل لهم. والباقون بالضم على فعل، مـا لم يسـم فاعلـه. {وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} يعني: لا يرجعون إلى الدنيا. وقال الكلـبي: لا يعاتبون بعد هـذا القـول، ويـتركون في النـار. ويقـال: لا يراجعون الكلام بعـد دخـولهم النـار {فَلِلَّهِ الحمـد} يعـني: عند ذلك، يحمد المؤمنون الله في الجنة. كقولـه: {وَقَـالُواْ الحمد للَّهِ الذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الارض نَتَبَوَّأُ مِنَ الجنة حَيْثُ نَشَـآءُ فَنِعْمَ أَجْـرُ العـاملين} [الزمـر: 74] ويقـال: {فَلِلَّهِ الحمد} يعني: له آثار الحمد، فعلى جميع الخلـق أن يحمدوه. ويقال: {فَلِلَّهِ الحمـد} يعـني: الألوهيـة والربوبيـة {رَبِّ السموات وَرَبِّ الارض} يعـني: الحمـد لـرب الأرض {رَبِّ العالمين} يعني: لـرب جميـع الخلـق الحمـد والثنـاء {وَلَـهُ الكبريـاء} يعـني: العظمـة، والقـدرة، والسـلطان، والعـزة {فِي السـموات والارض وَهُـوَ العزيـز} في ملكـه {الحكيم} في أمره وقضائه، سبحانه وتعالى عما يقولـون علواً كبيراً، وصـلى اللـه على سـيدنا محمـد وآلـه وصـحبه وسلم.

▲ سورة الأحقاف

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{حم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (3)}

قوله تبارك وتعالى: {حم تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز الحكيم} وقد ذكرناه {مَا خَلَقْنَا السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا} من الشمس، والقمر، والنجوم، والرياح، والخلق {إِلاَّ بالحق} يعني: إلا ببيان الحق، لأمر عظيم هو كائن، ولم يخلقهن عبثاً {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى} يعني: خلقهن لأجل أمر عظيم، ينتهي إليه وهو يوم القيامة، وهو الأجل المعلوم {والذين كَفَرُواْ} يعني: مشركي مكة {عَمَّا أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ} يعني: عما خوفوا به تاركون، فلا يؤمنون به، ولا يتفكرون فيه.

▲ تفسير الآيات رقم [4- 7]

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)}

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله} يعني: ما تعبدون من الأصنام. قال القتبي: ما هاهنا في موضع الجمع، يعني: الذين يدعون من الآلهة {أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الارض}

يعني: أخبروني مـا الـذي خلقـوا من الأرض، كالـذي خلـق الله تعالى، إن كانوا آلهـة {أَمْ لَهُمْ شِـرْكٌ فِى السـموات} يعني: أم لهم نصيب ودعوة في السموات. يعني: في خلق السموات.

ثم قال {ائتونى بكتاب مّن قَبْلِ هذا} أي: بحجـة لعبـادتكم الأصنام في كتاب الله. ويقال ائتـوني بحجـة من اللـه ومن الأنبيـاء من قبـل هـذا يعـني: من قبـل هـذا القـرآن، الـذي أتيتكم به، فيه بيان ما تقولون {أَوْ أثـارة مّنْ عِلْمٍ} يعـني: رواية تروونها من الأنبياء، والعلماء {إِن كُنتُمْ صادقين} أن الله تعالى، أمَركم بعبادة الأوثان. قـرأ الحسـن، وأبـو عبـد الرحمن السلمي، أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ. قال القتـبي: هـو اسـم مبني على فعلة من ذلك، والأول فعالـة، والأثـرة التـذكرة، ومنه يقال: فلان يأثر الحديث أي: يرويـه. وقـال قتـادة: أَوْ أَثَارَةٍ، يعني: خاصة من علم، ويقال: أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ يؤثر عن الأنبياء والعلماء. فلما قال لهم ذلك سكتوا.

قوله تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَـدْعُو مِن دُونِ اللـه} يعـني: من أشـد كفـراً ممن يعبـد من دون اللـه آلهـة {مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القيامة} يعني لا يجيبه وإن دعاه إلى يـوم القيامـة {وَهُمْ عَن دُعَـائِهِمْ غـافلون} يعـني: عن عبادتهم. ثم بين إجابتهم وحالهم يوم القيامة، فقال تعالى: {وَإِذَا حُشِرَ الناس} يعني: إلى البعث {كَـانُواْ لَهُمْ أَعْـدَاء} يعني: صارت الآلهة أعـداء لمن عبـدهم {وَكَـانُواْ بِعِبَـادَتِهِمْ كافرين} يعني: جاحدين، ويتبرؤون منهم {وَإِذَا تتلى عَلَيْهِمْ ءاياتنـا بَيّنَـاتٍ} يعـني: تقـرأ عليهم آياتنـا واضـحات، فيهـا الحلال والحرام. ويقال: بينات فيها دلائـل واضـحات {قَـالَ الذين كَفَرُواْ لِلْحَقّ} يعني: للقرآن {لَمَّا جَاءهُمْ هـذا سِـحْرٌ مُّبِينٌ} أي: حين جاءهم هذا سحر بين.

▲ تفسير الآيات رقم [8- 10]

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (9) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (10)}

قوله عز وجل: {أَمْ يَقُولُونَ افتراه} يعني: اختلقه من ذات نفسه {قُلْ إِنِ افتريته} يعني: اختلقته من تلقاء نفسي، يعذبني الله تعالى عليه. {فَلاَ تَمْلِكُونَ لِى مِنَ الله شَيْئاً} يعني: لا تقدرون أن تمنعوا عذاب الله عني {هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ} يعني: تخوضون فيه من الكذب في القرآن {كفى بِهِ شَهِيداً} يعني: كفى بالله عالماً {بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ} ويقال تفيضون أي تقولون ثم قال {وَهُوَ الغفور الرحيم} يعني: الغفور لمن تاب، الرحيم بهم.

قوله تعالى {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مّنَ الرسل} يعني: ما أنا أول رسول بعث {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ} يعني: يرحمني وإياكم، أو يعذبني وإياكم. وقال الحسن في قوله: وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ، يعني: في الدنيا. وقال الكلبي: وذلك أنه رأى في المنام، أنه أخرج إلى أرض، ذات نخل وشجر، فأخبر أصحابه، فظنوا أنه وحي أوحي إليه، فاستبشروا، فمكثوا بذلك ما شاء، فلم يروا شيئاً مما قال لهم، فقالوا يا رسول الله، ما رأينا الذي قلت لنا. فقال: «إِنَّمَا كَانَ رُؤْيَا رَأَيْتُها، وَلَمْ يَأْتِ وَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا أَدْرِي أَيَكُونُ ذلك أَوْ لا يَكُونُ». فنزل قوله {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مّنَ الرسل} يعني: ما كنت أولهم، وقد بعث قبلي رسل كثير، {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ} {إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يوحى إِلَيَّ} ويقال: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، يرحمني وإياكم، أو يعذبني وإياكم. فقالوا للنبي صلى

الله عليه وسلم: إذاً لا فرق بيننا وبينك، كمـا نحن لا نـدري ما يفعل بنا، ولا تدري ما يفعل بـك. وقـد عـير المشـركون المســلمين فقــالوا: {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَــا يَسْــتَمِعُونَ بِــهِ إِذْ يَسْــتَمِعُونَ إِلَيْــكَ وَإِذْ هُمْ نجــوى إِذْ يَقُــولُ الظـالمون إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا} [الإسراء: 47] لا يدري ما يفعـل به، فأنزل الله تبارك وتعالى: {تَبَارَكَ الـذى إِن شَـآءَ جَعَـلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذلك جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار وَيَجْعَـل لَّكَ قُصُوراً} [الفرقان: 10] فلما قدم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم المدينـة، نـزل عليـه {وَعَـدَكُمُ اللـه مَغَـانِمَ كَثِـيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه وَكَفَّ أَيْدِىَ النـاس عَنْكُمْ وَلِتَكُـونَ ءَايَـةً لِّلْمُـؤْمِنِينَ وَيَهْـدِيَكُمْ صـراطا مُّسْـتَقِيماً} [الفتح: 20] وقـد نسـخت هـذه الآيـة {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَـا يَسْـتَمِعُونَ بِـهِ إِذْ يَسْــتَمِعُونَ إِلَيْــكَ وَإِذْ هُمْ نجــوى إِذْ يَقُــولُ الظـالمون إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا} [الإسراء: 47].

ثم قـال تعـالى: {وَمَـا أَنَـاْ إِلاَّ نَـذِيرٌ مُّبِينٌ} يعـني: مخـوف، مفقه لكم بلغة تعرفونها. قوله تعالى: {قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ الله} يعني: إن كان القـرآن من عنـد اللـه تعـالى {وَكَفَرْتُمْ بِهِ} يعـني: جحـدتم بـالقرآن {وَشَـهِدَ شَـاهِدٌ مّن بَنِى إسراءيل} قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة هو عبـد اللـه بن سلام.

وروى عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قـال سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول: «لا يُشْـهَدُ لأحَـدٍ يَمْشِــي عَلَى الأَرْضِ أَنَّهُ مِنْ أَهْــلِ الجَنَّةِ إلاّ لِعَبْــدِ اللــه بْنِ سَـلامٍ» وفيـه نـزلت {وَشَـهِدَ شَـاهِدٌ مّن بَنِى إِسـراءيل} {على مِثْلِـهِ} أي: على مثـل شـهادة عبـد اللـه بن سـلام. يعني: بنيامين على مثله. يعني: على مثل شهادة عبد اللــه بن سلام، وكان ابن أخ عبد الله بن سلام، شهد على نبــوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وروى وكيع، عن ابن عون قال: ذكر عند الشعبي {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِى إسراءيل} أنه عبد الله بن سلام. فقال الشعبي: وكيف يكون عبد الله بن سلام هو الشاهد، وهذه السورة مكية، وكان ابن سلام بالمدينة. قال ابن عون: صدق الشعبي إن تلك السورة نزلت بمكة، ولكن هذه الآية نزلت بالمدينة، فوضعت في هذه السورة. وروى داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن مسروق قال: والله ما هو عبد الله بن سلام، ولقد أنزلت بمكة، فخاصم به النبي صلى الله عليه وسلم الذين كفرُوا من أهل مكة، أن التوراة مثل القرآن، ومُوسَى مثل محمد صلى الله عليه وسلم، وكُل مؤمن بالتوراة فهو شاهد من بني إسرائيل. ثم قال: {قُلْ أَرَءيْتُمْ} يعني: تكبرتم وتعاظمتم عن الإيمان {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: الكافرين.

تفسير الآيات رقم [11- 14]

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (11) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (12) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (14)}

{وَقَالَ الذين كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ} يعني: قال رؤساء المشركين لضعفاءِ المسلمين {لَوْ كَانَ خَيْراً} يعني: لو كان هذا الدين حقاً {مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ} وقال قتادة: قال أناس من المشركين: نحن أعز، ونحن أغنى، ونحن أكرم، فلو كان خيراً، ما سبقنا إليه فلان وفلان. قال الله تعالى: {مَّا يَوَدُّ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب وَلاَ المشركين أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ والله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ والله ذُو الفضل العظيم} [البقرة: 105] و{يَخْتَصُّ

بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ والله ذُو الفضل العظيم} [آل عمران: 74] يعني: يختار لدينه، من كان أهلاً لذلك {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ} يعني: لم يؤمنوا بهذا. أي: القرآن كما اهتدى به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم {فَسَيَقُولُونَ هذا إِفْكٌ قَدِيمٌ} يعني: القرآن كذب قديم، أي: تقادم من محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى {وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ موسى} يعني: قد أنزل قبل هذا القرآن، الكتاب على موسى، يعني: التوراة {إِمَاماً} يقتدى به {وَرَحْمَةً} من العذاب، لمن آمن به {وهذا كتاب مُّصَدّقٌ} يعني: وأنزل إليك هذا الكتاب، مصدق للكتب التي قبله {لّسَاناً عَرَبِيّاً} بلغتكم، لتفهموا ما فيه {لّيُنذِرَ الذين ظَلَمُواْ} يعني: مشركي مكة. قرأ نافع، وابن عامر لِتُنْذِرَ، بالتاء على معنى المخاطبة يعني: لتنذر أنت يا محمد. والباقون بالياء، على معنى الخبر عنه، يعني: ليخوف محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن {وبشرى لِلْمُحْسِنِينَ} يعني: بشارة بالجنة للموحدين {إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون أُوْلَئِكَ أصحاب الجنة خالدين فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقد ذكرناه.

تفسير الآيات رقم [15- 16]

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (16)}

ثم قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بوالديه إحسانا} يعني: أمرنا الإنسان بالإحسان إلى والديه. قال مقاتل والكلبي: نزلت الآية، في شأن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، ويقال: هذا أمر عام لجميع الناس. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم إِحْسَاناً بالألف، ومعناه: أمرناه بأن يحسن إليهما إحساناً. والباقون حُسْناً بغير ألف، فجعلوه اسماً، وأقاموه مقام الإحسان.

ثم ذكر حق الوالدين، فقال: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً} يعني: في مشقة {وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً} يعني: في مشقة {وَحَمْلُهُ وفصاله} يعني: حمله في بظن أمه، وفصاله ورضاعه {ثَلاَثُونَ شَهْراً} وروى وكيع بإسناده، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال: إن رجلاً قال له: إني تزوجت جارية سليمة بكراً، لم أر منها ريبة، وإنها ولدت لستة أشهر. فقرأ علي {والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهن حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أن يُتِمَّ الرضاعة وَعلَى المولود لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بالمعروف لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ والدة بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوارث مِثْلُ ذلك فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تسترضعوا أولادكم فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أَنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: 233] وقرأ {وَحَمْلُهُ وفصاله ثَلاَثُونَ شَهْراً} فالحمل ستة أشهر، والرضاع سنتين، والولد ولدك. وقال وكيع: هذا أصل، إذا جاءت بولد لأقل من ستة أشهر، لم يلزمه فيفرق بينهما.

ثم قال {حتى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ} يعني: بلغ ثلاثاً وثلاثين {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم، يعني: أبا بكر {قَالَ رَبّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ} يعني: ألهمني ما أؤدي به شكر نعمتك، وما أوزعت به نفسي، أن أكفها عن كفران نعمتك، وأصله من وزعته. أي: دفعته قال: رب

أوزعني أن أشكر. يعني: أن أؤدي شكر نعمتك {التى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وعلى وَالِدَىَّ} بالإسلام {وَأَنْ أَعْمَلَ صالحا ترضاه} يعني: تقبله {وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرّيَّتِى} يعني: أكرمهم بالتوحيد. ويقال: اجعلهم أولاداً صالحين مسلمين، فأسلموا كلهم {إِنّى تُبْتُ إِلَيْكَ} يعني: أقبلت إليك بالتوبة {وَإِنّى مِنَ المسلمين} يعني: المخلصين، الموحدين على دينهم.

قوله تعالى {أولئك} يعني: أهل هذه الصفة. يعني: أبا بكر ووالديه، وذريته، ومن كان في مثل حالهم {الذين نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ} يعني: ستجزيهم بإحسانهم. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية حفص، نَتَقَبَّل بالنون {وَنَتَجَاوَزُ} بالنون. وقرأ الباقون بالياء والضم. فمن قرأ بالنون، فهو على معنى الإضافة إلى نفسه، يعني: نتقبل نحن، ونصب أحسن لوقوع الفعل عليه، ومن قرأ بالياء والضم، فهو على معنى فعل، ما لم يسم فاعله. ولهذا رفع قوله: «أَحْسَنُ» لأنه مفعول ما لم يسم فاعله.

ثم قال {وَنَتَجَاوَزُ عَن سيئاتهم} يعني: ما فعلوا قبل التوبة، فلا يعاقبون عليها {فِى أصحاب الجنة} يعني: هم مع أصحاب الجنة. وروى أبو معاوية، عن عاصم الأحول، عن الحسن قال: مَنْ يَعْمَل سُوءاً يُجْزَ بِهِ، إنما ذلك لمن أراد الله هوانه، وأما من أراد الله كرامته، فإنه يتجاوز عن سيئاته فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ. ثم قال: {وَعْدَ الصدق} يعني: وعد الصدق في الجنة. قوله تعالى {الذى كَانُواْ يُوعَدُونَ}.

تفسير الآيات رقم [17- 20]

{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (18) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا

عَمِلُــوا وَلِيُــوَفِّيَهُمْ أَعْمَــالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُــونَ (19) وَيَــوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَــاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُــونِ بِمَــا كُنْتُمْ تَسْــتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْــرِ الْحَــقِّ وَبِمَــا كُنْتُمْ تَفْسُــقُونَ (20)}

{والذى قَالَ لوالديه أُفّ لَّكُمَا} يعني: عبد الرحمن بن أبي بكر قال لوالديه: أف لكما يعني: قدراً لكمـا، وهـو الـرديء من الكلام، وقد ذكرنا الاختلاف في موضع آخر، وقـد قـرئ على سبع قراءات: بالنصب والضم والكسـر، وكـل قـراءة تكون بالتنوين وبغير تنوين، فتلك سـت قـراءات، والسـابع أفْ بالسـكون {أَتَعِـدَانِنِى أَنْ أُخْـرَجَ} يعـني: أن أبعث بعـد المـوت، وذلـك قبـل أن يسـلم {وَقَـدْ خَلَتِ القــرون مِن قَبْلِى} أي: مضـــــت الأمم، ولم يبعث أحـــــدهم {وَمِمَّا يَسْتَغِيثَانِ الله} يعني: أبويه يدعوان الله تعالى له بالهـدى. اللهم اهده، وارزقه الإيمان ويقـولان لـه: {وَيْلَـكَ ءامِنْ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ} يعـني: ويحـك أسـلم وصـدق بـالبعث، فـإن البعث كائن {فَيَقُولُ} لهما {مَـا هـذا إِلاَّ أسـاطير الاولين} يعني: كذبهم فقال عبدالرحمن: إن كنتما صادقين، فأخرجا فلاناً وفلاناً من قبورهما فنزل {أولئك} يعني: القرون التي ذكر {الذين حَقَّ عَلَيْهِمُ القول} أي: وجب عليهم العذاب. {فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ} يعـني: في أمم قـد مضـت من قبلهم، من كفــــار {مّنَ الجن والإنس إِنَّهُمْ كَـــــانُواْ خاســرين} في الآخــرة بالعقوبــة، فأسـلم عبـد الــرحمن وحســن إسـلامه، وذكـر في الخـبر، أن مـروان بن الحكم قال: نزلت هذه الآية في شـأن عبـد الـرحمن، أخ عائشـة، فبلغ ذلك عائشة فقالت: بل نزلت في أبيك وأخيـك. قولـه عز وجل {وَلِكُـلّ درجـات مّمَّا عَمِلُـواْ} يعـني: فضـائل في الثواب مما عملوا {وَلِيُوَفّيَهُمْ أعمالهم} أي أجورهم {وَهُمْ

لاَ يُظْلَمُونَ} يعني: لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً، ولا يزادون على سيئات أعمالهم.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذين كَفَرُواْ عَلَى النار} يعني: يكشف الغطاء عنها، فينظرون إليها، فيقال لهم: {أَذْهَبْتُمْ طيباتكم} يعني: أكلتم حسناتكم {فِى حياتكم الدنيا واستمتعتم بِهَا} يعني: انتفعتم بها في الدنيا. وقرأ ابن عامر أَأَذْهَبْتُمْ بهمزتين، وقرأ ابن كثير آذْهَبْتُمْ بالمد، ومعناهما واحد، ويكون استفهاماً على وجه التوبيخ. والباقون أَذْهَبْتُمْ بهمزة واحدة، بغير مد، على معنى الخبر. وروي عن عمر: أنه اشتهى شراباً، فأتي بقدح فيه عسل، فأدار القدح في يده قال: أشربها فتذهب حلاوتها، أو تبقى نقمتها. ثم ناول القدح رجلاً، فسئل عن ذلك فقال: خشيت أن أكون من أهل هذه الآية {أَذْهَبْتُمْ طيباتكم فِى حياتكم الدنيا}.

وروي عن عمر، أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير، وقد أثر بجنبه الشريط، فبكى عمر فقال: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: ذكرت كسرى وقيصر، وما كانا فيه من الدنيا، وأنت رسول رب العالمين قد أثر بجنبك الشريط. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُوْلَئِكَ قَوْمٌ، عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِم الدُّنْيا، وَنَحْنُ قَوْمٌ، أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي الآخِرَةِ». قوله: {فاليوم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهون} يعني: العذاب الشديد {بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الارض بِغَيْرِ الحق} يعني: تستكبرون عن الإيمان {وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ} يعني: تعصون الله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 28]

{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (21) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آَلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (22) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ

اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِـلْتُ بِـهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًـا تَجْهَلُـونَ (
23) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَـالُوا هَـذَا عَـارِضٌ
مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَـذَابٌ أَلِيمٌ (24)
تُدَمِّرُ كُلَّ شَـيْءٍ بِـأَمْرِ رَبِّهَـا فَأَصْـبَحُوا لَا يُـرَى إِلَّا مَسَـاكِنُهُمْ
كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (25) وَلَقَـدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَـا إِنْ
مَكَّنَّاكُمْ فِيـهِ وَجَعَلْنَـا لَهُمْ سَـمْعًا وَأَبْصَـارًا وَأَفْئِدَةً فَمَـا أَغْنَى
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَـيْءٍ إِذْ كَـانُوا
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْـتَهْزِئُونَ (26)
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَـا حَـوْلَكُمْ مِنَ الْقُـرَى وَصَـرَّفْنَا الْآيَـاتِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُـونَ (27) فَلَـوْلَا نَصَـرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (
28)}

قوله تعالى: {واذكر أَخَـا عَـادٍ} يعـني: واذكـر لأهـل مكـة. ويقال: معناه واصبر على ما يقولون، واذكر هـود {إِذْ أَنـذَرَ قَوْمَهُ بالاحقـاف} يعـني: خـوف قومـه بموضـع. يقـال لـه: الأحقاف. روى منصور، عن مجاهد قـال: الأحقـاف الأرض. ويقـال: جبـل بالشـام، ويسـمى الأحقـاف. وقـال القتـبي: الأحقاف جمع حقف، وهو من الرمل ما أشرف من كثبانه، واستطال وانحنى {وَقَدْ خَلَتِ النـذر مِن بَيْنِ يَدَيْـهِ} يعـني: مضت من قبل هود {وَمِنْ خَلْفِهِ} يعني: ومن بعده.

{أَلاَّ تَعْبُـدُواْ إِلاَّ اللـه} يعـني: خـوفهم ألا تعبـدوا إلا اللـه، ووحـدوه {إِنّى أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ عَظِيمٍ} يعـني: أعلم أنكم، إن لم تؤمنوا، يصبكم عذاب يـوم كبـير {قَـالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءالِهَتِنَا} يعني: لتصرفنا عن عبـادة آلهتنـا {فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا} من العذاب {إِن كُنتَ مِنَ الصادقين} أن العذاب نازل بنا {قَالَ} هود {إِنَّمَا العلم عِندَ اللـه} يعـني: علم العذاب عند الله، يجيء بـأمر اللـه، وإنَّمـا عليَّ تبليـغ الرسالة، وليس بيدي إتيان العذاب. فذلك قوله: {وَأُبَلّغُكُمْ مَّا أُرْسِـلْتُ بِـهِ} يعـني: مـا يـوحي اللـه إليَّ لأدعـوكم إلى

التوحيد {ولكنى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ} لما قيـل لكم، ولمـا يراد بكم من العذاب.
{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضـاً مُّسْـتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ} يعـني: لمـا رأوا العـذاب مقبلاً، وكـانت السـحابة إذا جـاءت من قبـل ذلـك الوادي، أمطروا. وقال القتبي: العارض: السـحاب {قَـالُواْ هذا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} يعـني: هـذه سـحابة، وغيم ممطرنـا. أي: تمطر به حروثنا، لأن المطـر كـان حبس عنهم. فقـال هود: ليس هذا عارض {بَلْ هُـوَ مَـا اسـتعجلتم بِـهِ} يعـني: الريح والعذاب {رِيحٌ فِيهَـا عَـذَابٌ أَلِيمٌ} أي: متلـف. وروى عطاء، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم، إذا رأى رياحاً مختلفـة تلـون وجهـه، وتغـير وخـرج، ودخل وأقبل، وأدبر فذكرت ذلك له فقال: وما يدريك لعله كما قال الله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضـاً مُّسْـتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَـالُواْ هذا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا استعجلتم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} فإذا أمطرت سري عنه ويقـول {وَهُـوَ الـذى يُرْسِـلُ الرياح بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حـتى إِذَآ أَقَلَّتْ سَـحَابًا ثِقَـالاً سـقناه لِبَلَـدٍ مَّيِّتٍ فَأنزَلْنَـا بِـهِ المـآء فَأَخْرَجْنَـا بِـهِ مِن كُـلِّ الثمرات كذلك نُخْرِجُ المـوتى لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ} [الأعـراف: 57].
ثم قال تعالى: {تُدَمّرُ كُـلَّ شَـئ بِـأَمْرِ رَبّهَـا} يعـني: تهلـك الريح كل شيء بـأمر ربهـا، أي: بإذنـه تعـالى {فَأَصْـبَحُواْ} أي: فصاروا من العذاب بحال {لاَ يـرى * مسـاكنهم} وقـد ذكرناه في سـورة الأعـراف. قـرأ حمـزة، وعاصـم لا يُـرَى بضم الياء، مَسَاكِنُهُمْ بضم النـون على معـنى فعـل، مـا لم يسم فاعله، يعني: لا يرى شيء، وقد هلكوا كلهم.
وقــرأ البــاقون {لاَّ تــرى} بالتــاء على معــنى المخاطبــة. ومعناه لا ترى شـيئاً أيهـا المخـاطب، لـو كنت حاضـراً، مـا رأيت إلا مساكنهم.

ثم قـال {كـذلك نَجْـزِي القـوم المجـرمين} يعـني: هكـذا نعاقب القـوم المشـركين عنـد التكـذيب {وَلَقَـدْ مكنـاهم} يعني: أعطيناهم الملك والتمكين {فِيمَـا إِن مكنـاكم فِيـهِ} يعني: مـا لم نمكن لكم، ولم نعطكم يـا أهـل مكـة. وقـال القتبي: إن الخفيفة قد تزاد في الكلام، كقول الشاعر: مـا إن رأيت ولا سمعت بـه، يعـني: مـا رأيت ولا سـمعت بـه، يعني: ما لم نمكن لكم ومعنى الآيـة {وَلَقَـدْ مكنـاهم فِيمَـا إِن مكناكم فِيهِ} وقال الزجاج: إنْ هاهنا مكـان مـا، يعـني: فيما مكناكم فيـه. ويقـال معنـاه: ولقـد مكنـاهم في الـذي مكناكم فيه.

{وَجَعَلْنَـا لَهُمْ سَـمْعاً وأبصـارا وَأَفْئِدَةً} يعـني: جعلنـا لهم سمعاً ليسـمعوا المواعـظ، وأبصـاراً لينظـروا في الـدلائل، وأفئدة ليتفكروا في خلق الله تعـالى. {فَمَـا أغـنى عَنْهُمْ} يعـني: لم ينفعهم من العـذاب {سَـمْعُهُمْ وَلاَ أبصـارهم وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مّن شَىْء} إذ لم يسمعوا الهـدى، ولم ينظـروا في الـدلائل، ولم يتفكـروا في خلقـه {وَلَقَـدْ مكنـاهم فِيمَـا إِن مكناكم} يعني: بدلائله {وَحَـاقَ بِهِم} يعـني: نـزل بهم من العذاب {مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءونَ} يعني: العذاب الذي كانوا يجحدون به، ويستهزئون.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَـا حَـوْلَكُمْ مّنَ القـرى} يعـني: أهلكنا قبلكم يا أهل مكة بالعـذاب، مـا حـولكم من القـرى {وَصَرَّفْنَا الايات} أي: بينا لهم الدلائل، والحجج، والعلامات {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُـونَ} أي: يرجعـون عن كفـرهم، قبـل أن يهلكوا. قوله تعالى: {فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ} يعـني: فهلا نصـرهم. يعني: كيف لم يمنعهم من العذاب {الذين اتخذوا مِن دُونِ الله قُرْبَاناً} يعني: عبدوا من دون الله، ما يتقربون بها إلى الله {ءالِهَةً} يعني: أصناماً، كمـا قـال في آيـة أخـرى {أَلاَ لِلَّهِ الدين الخالص والذين اتخذوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زلفى إِنَّ اللـه يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَـا هُمْ

فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذب كَفَّارٌ} [الزمـر: 3] {بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ} يعني: الآلهة لم تنفعهم شيئاً. ويقال: اشتغلوا بأنفسهم. ويقال: بطلت عنهم.

{وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ} يعني: كذبهم {وَمَا كَانُواْ يَفْتَـرُونَ} يعـني: يختلفون. وذكر أبو عبيدة بإسناده، عن عبد الله بن عباس، أنه قرأ أَفَكَهُمْ بنصب الألـف والفـاء والكـاف. يعـني: ذلـك الفعـل أضـلهم، وأهلكهم وصـرفهم عن الحـق، وقـراءة العامـة بضـده. وَذَلِـكَ إِفْكهم يعـني: ذلـك الفعـل، وهـو عبادتهم. وقولهم: وكذبهم ويقال: وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ اليـوم، كمـا كان إفك من كان قبلهم.

▲ تفسير الآيات رقم [29- 35]

{وَإِذْ صَـرَفْنَا إِلَيْـكَ نَفَـرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْـتَمِعُونَ الْقُـرْآَنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَـمِعْنَا كِتَابًـا أُنْـزِلَ مِنْ بَعْـدِ مُوسَـى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَـا أَجِيبُـوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآَمِنُـوا بِـهِ يَغْفِـرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِـرْكُمْ مِنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِـزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَـهُ مِنْ دُونِـهِ أَوْلِيَـاءُ أُولَئِكَ فِي ضَـلَالٍ مُبِينٍ (32) أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ (33) وَيَـوْمَ يُعْـرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَـذَا بِـالْحَقِّ قَـالُوا بَلَى وَرَبِّنَـا قَالَ فَذُوقُوا الْعَـذَابَ بِمَـا كُنْتُمْ تَكْفُـرُونَ (34) فَاصْـبِرْ كَمَـا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ وَلَا تَسْـتَعْجِلْ لَهُمْ كَـأَنَّهُمْ يَـوْمَ يَرَوْنَ مَـا يُوعَـدُونَ لَمْ يَلْبَثُـوا إِلَّا سَـاعَةً مِنْ نَهَـارٍ بَلَاغٌ فَهَـلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (35)}

قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْـكَ نَفَـراً مّنَ الجن} وذلـك، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث، خـرت الأصـنام على وجوهها في تلك الليلة. فصاح إبليس صـيحة، فـاجتمع إليـه

جنوده، فقال لهم: قد عرض أمـر عظيم، امضـوا فاضـربوا مشارق الأرض ومغاربها. يعني: امشوا وانظروا ماذا حدث من الأمر. وروى ابن عباس: أنه لما بعث النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم حيـل بين الشـياطين وبين السـماء، وأرسـل عليهم الشهب، فجاؤوا إلى إبليس، فـأخبروه بـذلك، قـال: هذا الأمر حادث، اضـربوا مشـارق الأرض ومغاربهـا، فجـاء نفر منهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي تحت نخلة في سوق عكاظ، ومعه ابن مسعود وأصـحابه، وكـان يقرأ سورة طه في الصلاة.

وروى وكيع، عن سفيان، عن عاصم، عن رجـل، عن زر بن حبيش، في قوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الجن} قــال: كــانوا تســعة أحــدهم: زوبعــة أتــوه ببطن نخلــة {يَسْـتَمِعُونَ القـرءان فَلَمَّا حَضَـرُوهُ قَـالُواْ أَنصِـتُواْ} وروى عكرمة، عن الزبير قال: كان النبي صلى الله عليـه وسـلم يقرأ في العشاء الأخـيرة، فلمـا حضـروا النـبي صـلى اللـه عليه وسلم، قال بعضهم، لبعض أنصتوا للقـرآن واسـتمعوا {فَلَمَّا قُضِىَ} يعني: فرغ النبي صلى الله عليه وسـلم من القــراءة والصــلاة {وَلَّوْاْ} يعــني: رجعــوا {إلى قَــوْمِهِم مُّنـذِرِينَ} قـال مقاتـل: يعـني: المؤمـنين. وقـال الكلـبي: يعني: مخوفين. وقال مجاهد: ليس في الجن رسل، وإنمـا الرسل في الإنس، والنذارة في الجن. ثم قرأ {فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إلى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} يعـني: أنـذروا قـومهم من الجن {قَالُواْ يأَبَانَا إِنَّا سَمِعْنَا} من محمد صلى اللـه عليـه وسـلم {كتابا} يعني: قراءة القرآن {أُنزِلَ مِن بَعْدِ موسى} يعني أنزل على النبي صلى الله عليـه وسـلم {مُصَـدّقاً لّمَـا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني موافقاً لما قبله من الكتب {يَهْدِى إِلَى الحق} يعني: يدعو إلى توحيد الله تعالى من الشرك، كما هـو في سائر الكتب {وإلى طَرِيقٍ مُّسْـتَقِيمٍ} لا عـوج فيـه، يعـني: دين اللـه تعـالى، وهـو الإسـلام {مُّسْـتَقِيمٍ ياقومنـا أَجِيبُـواْ

دَاعِىَ الله} يعني: النبي صلى الله عليه وسلم {ياقومنا أَجِيبُواْ} يعني: صدقوا به وبكتابه {يَغْفِرْ لَكُمْ مّن ذُنُوبِكُمْ} وَمِنْ صلة في الكلام. يعني: يغفر لكم ذنوبكم إن صدقتم. وآمنتم {وَيُجِرْكُمْ مّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: يؤمنكم من عذاب النار {وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِىَ اللَّهِ} يعني: من لم يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بما يدعو إليه من الإيمان {فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى الارض} يعني: لا يستطيع أن يهرب في الأرض، من عذاب الله تعالى. ويقال: معناه فلن يجد الله عاجزاً عن طلبه {وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} يعني: ليس له أنصار يمنعونه، مما نزل به من العذاب {أُوْلَئِكَ فِى ضَلالٍ} يعني: في خطأ {مُّبِينٌ} وذكر في الخبر، أنهم لما أنذرهم وخوفهم، جاء جماعة منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فلقيهم بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن، فأمرهم ونهاهم، وكان معه عبد الله بن مسعود، وَخَطَّ لَهُ النبي صلى الله عليه وسلم خطاً، وقال له:

«لاَ تَخْرُجْ مِنْ هَذَا الخَطِّ، فَإِنَّكَ إنْ خَرَجْتَ لَنْ تَرَانِي إلَى يَوْمِ القِيَامَة، فلما رجع إليه قال: يا نبي الله سمعت هَدَّتين أي: صوتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أَمَّا إحْدَاهُمَا: فَإِنِّي سَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيَّ السَّلاَم، وأمّا الثَّانِيَة: فَإِنَّهُمْ سَأَلُوا الرِّزْقَ فَأَعْطَيْتُهُمْ عَظْماً رِزْقاً لهم، وَأَعْطَيْتَهُم رَوْثاً رِزْقاً لِدَوَابِّهِمْ». ثم قال تعالى {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ} يعني: أو لم يعتبروا ويتفكروا. ويقال: أو لم يخبروا {أَنَّ الله الذى خَلَق السموات والارض وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ} يعني: لم يعجز عن خلق السموات والأرض، فكيف يعجز عن بعث الموتى. ويقال: {وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ} يعني: لم يعيه خلقهن، ولم يعي بخلقهن بقادر {عَلَى أَن يُحْيِىَ الموتى بلى} لأنهم كانوا مقرين بأن الله، هو الذي خلق السموات والأرض، وكانوا منكرين للبعث بعد مماتهم،

فـأخبرهم اللـه تعـالى، بـأن الـذي كـان قـادراً على خلـق السموات والأرض، يكون قادراً على إحيائهم بعـد المـوت. ثم قال {بلى} يعني: هـو قـادر على البعث {إِنَّهُ على كُـلّ شَئ قَدِيرٌ} من الإحياء والبعث.

{وَيَـوْمَ يُعْـرَضُ الـذين كَفَـرُواْ عَلَى النـار} يعـني: يكشـف الغطاء عنها. ويقال: يساق الذين كفـروا إلى النـار. ويقـال لهم: {أَلَيْسَ هذا بالحق} يعـني: أليس هـذا العـذاب الـذي ترون حقاً، وكنتم تكذبون به {قَالُواْ بلى وَرَبّنَا} إنـه الحـق، وَرَبّنَـا هـو اللـه. ويقـال: واللـه إنـه لحـق، فيقـرون حين لا ينفعهم إقرارهم. قال: فيقال لهم: {قَـالَ فَـذُوقُواْ العـذاب بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} أي: تجحدون {فاصبر} يا محمد، يعني: اصبر على أذى أهل مكة، وتكذيبهم.

{كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ العـزم مِنَ الرسـل} يعـني: أولـو الحـزم، وهـو أن يصـبر في الأمـور، ويثبت عليهـا، وذلـك أن النـبي صلى الله عليـه وسـلم، أراد أن يـدعو عليهم، فـأمره اللـه تعالى بالصبر، كما صبر نوح، وكما صبر إبراهيم، وإسـحاق، ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء، صـلوات اللـه عليهم أجمعين. وقال السدي: أولو العـزم، الـذين أمـروا بالقتـال من الرسل. وقال أبو العالية: أولو العزم من الرسل، كانوا ثلاثة والنبي صلى الله عليه وسـلم رابعهم، إبـراهيم وهـود ونوح، فأمره الله تعالى أن يصبر كما صبروا. وقال مقاتل: أولو العزم من الرسل اثني عشـر نبيـاً في بيت المقـدس، فـــأوحى اللـــه إليهم ثلاث مـــرات، أن اخرجـــوا من بين أقوامكم، فلم يخرجوا.

فقـال اللـه تعـالى: يمضـي العـذاب عليكم مـع قـومكم فتشـاوروا فاختـاروا هلاك أنفسـهم بينهم {وَلاَ تَسْـتَعْجِل لَّهُمْ} يعني: لا تستعجل لهم بالعذاب {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَـا يُوعَدُونَ} يعني: العذاب قد أتـاهم من قـريب في الآخـرة، فلقربه كـأنهم يرونـه في الحـال. ويقـال: في الآيـة تقـديم

وتأخير، كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة في الدنيا يعني: إذا أتاهم ذلك اليوم، يرون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا القليل.
فذلك قوله: {لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مّن نَّهَارٍ} يعني: من نهـار الدنيا. ويقال: يعني: في القبور. وقـال أبـو العاليـة: معنـاه كأنهم يرون، حين يظنون أنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.
ثم قال {بَلاَغٌ} يعـني: ذلـك بلاغ وبلغـه وأجـل، فـإذا بلغـوا أجلهم ذلك {فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ القـوم الفاسـقون} يعـني: هـل يهلـك في العـذاب، إذا جـاء العـذاب إلا القـوم العاصـون. ويقال: معنـاه لا يهلـك مـع رحمـة اللـه وفضـله، إلا القـوم الفاسقون. ويقال: بلاغ يعني: هذا الذي ذكر بلاغ. أي: تمام العظة. ويقال: هو من الإبلاغ، أي: هـذا إرسـال وبيـان لهم كقولـه {هـذا بلاغ لّلنَّاسِ} واللـه أعلم، وصـلى اللـه على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.

سورة محمد

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3)}

قوله تبارك وتعالى: {الذين كَفَرُواْ} أي: جحدوا بتوحيد الله تعالى، وبالقرآن {وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} أي: صرفوا الناس عن طاعة الله، وهو الجهاد {أَضَلَّ أعمالهم} يعني: أبْطَلَ الله حسناتهم التي عملوا في الدنيا، لأنهم عملوا بغير إيمان، وكل عمل يكون بغير إيمان، فهو باطل كما قال {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الاخرة مِنَ الخاسرين} [آل عمران: 85] الآية. قال الكلبي: نزلت في مطعمي بدر، وهم رؤساء مكة، الذين كانوا يطعمون الناس في حال خروجهم إلى بدر، منهم أبو جهل والحارث ابنا هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبي وأمية ابنا خلف، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وغيرهم. ويقال: هذا في عامة الكفار.

وهذا كقوله: {والذين كفروا أعمالهم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمآن مَآءً حتى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ الله عِندَهُ فوفاه حِسَابَهُ والله سَرِيعُ الحساب} [النور: 39] الآية. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: {الذين كَفَرُواْ} هم أهل مكة {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} قال هم الأنصار، الذين آمنوا، يعني: صدقوا بالله تعالى، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن وعملوا الصالحات، يعني:

أدوا الفرائض والسنن، وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان في مثل حالهم {والذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات وَءامَنُواْ بِمَا نُزّلَ على مُحَمَّدٍ} يعني: صدقوا بما أنزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الحق وليس فيه باطل، ولا تناقض {كَفَّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم} يعني: محا عنهم ذنوبهم التي عملوا في الشرك، بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وطاعتهم لله تعالى، فيما يأمرهم به من الجهاد {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} يعني: حالهم. وهذا قول قتادة. وقال مقاتل: يعني: بين أمورهم في الإسلام، وعملهم وحالهم، حتى يدخلوا الجنة. وروى مجاهد {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} يعني: شأنهم وقال القتبي {كَفَّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم} أي: سترها {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} أي: حالهم. ويقال: أصلح بالهم يعني: أظهر الله تعالى أمرهم في الإسلام، حتى يقتدى بهم.

ثم بين المعنى الذي أحبط أعمال الكافرين، وأصلح شأن المؤمنين فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني: ذلك الإبطال، بأن الذين كفروا {اتبعوا الباطل} يعني: اختاروا الشكر وثبتوا عليه، ولم يرغبوا في الإسلام. ويقال: معناه لأنهم اختاروا الباطل على الحق، واتباع الهوى، على اتباع رضى الله سبحانه وتعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين} وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم {اتبعوا الحق مِن رَّبّهِمْ} يعني: اتبعوا القرآن، وعملوا به. ويقال: معناه اختاروا الإيمان على الكفر، واتباع القرآن، واتباع رضى الله تعالى على اتباع الهوى. قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ الله لِلنَّاسِ أمثالهم} يعني: هكذا يبين الله صفة أعمالهم. ثم حرض المؤمنين على القتال فقال:

▲ تفسير الآيات رقم [4- 6]

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ

الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (5) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (6)}

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الذين كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرقاب} يعني: اضربوا الرقاب، صار نصباً بالأمر، ومعناه اضربوا الأعناق ضرباً. وروى وكيع، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قَالَ: «إِنّي لَمْ أُبْعَثْ لأُعَذِّبَ بِعَذَابِ الله، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ بِضَرْبِ الرِّقَابِ، وَشَدِّ الوَثَاقِ» {حتى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الوثاق} يعني: حتى إذا قهرتموهم وأسرتموهم، فشدوا الوثاق يعني: فاستوثقوا أيديهم من خلفهم. ويقال الإثخان: أن يعطوا أيديهم، ويستسلموا وقال الزجاج {حتى أَثْخَنتُمُوهُمْ} يعني: أكثرتم فيهم القتل والأسر بعد المبالغة في القتل. وقال مقاتل: حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوُهم بالسيف، فظفرتم عليهم {فَشُدُّواْ الوثاق} يعني: الأسر.

{فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ} يعني: عتقاً بعد الأسر، بغير فداء {وَإِمَّا فِدَاء} يعني: يفادي نفسه بماله. وروي عن إبراهيم النخعي، أنه قال: الإمام بالخيار في الأسرى، إن شاء فادى، وإن شاء قتل وإن شاء استرق. وروي عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أنه قال: لا أفادي، وإن طلبوا بمدين من ذهب، وذكر عن أبي بكر، أنه كتب إليه في أسير، التمسوا منه الفداء. فقال: اقتلوه، لأَنْ أقتل رجلاً من المشركين أحب إليَّ من كذا وكذا.

قال أبو الليث: وقد كره بعض الناس قتل الأسير، واحتج بظاهر هذه الآية {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء} وقال أَصْحَابُنَا: لا بأس بقتله، بالخبر الذي روي عن أبي بكر رضي الله عنهم. وروي عن ابن جريج، وغيره من أهل التفسير، أن هذه الآية منسوخة بقوله: {فَإِذَا انسلخ الأشهر الحرم

فاقتلوا المشركين حَيْثُ وَجَـدتُّمُوهُمْ وَخُـذُوهُمْ واحصـروهم واقعدوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَـإِن تَـابُواْ وَأَقَـامُواْ الصـلاة وَءاتَـوُاْ الزكواة فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ الله غَفُـورٌ رَّحِيمٌ} [التوبـة: 5]، وقد قتل النبي صلى الله عليه وسـلم ابن خطـل يـوم فتح مكة، بعدما وقع في منعة المسلمين، فهـو كالأسـير، وأمـا الفداء: فإن فادوا بأسير من المسلمين، فلا بأس به.

كما قال إبراهيم النخعي: إن شاء فـادى بالأسـير، وإن أراد أن يفتـدى بمـال، لا يجـوز إلا عنـد الضـرورة، لأن في رد الأسير إلى دار الحرب، قوة لهم في الحرب. فكـره ذلـك، كما يكره أن يحمـل إليهم السـلاح. للـبيع. ثم قـال: {حـتى تَضَعَ الحرب} روي عن ابن عبـاس، أنـه قـال: حـتى تـترك الكفار إشراكها، ويوحدوا الرب تبارك وتعالى، حتى لا يبقى إلا مسلم يعني: في ذمة المسلمين، الذين يعطون الجزية، وعن سـعيد بن جبـير قـال: {فِـدَاء حـتى تَضَـعَ الحـرب أَوْزَارَهَا} قال خروج عيسى عليه السلام، يكسـر الصـليب، فيلقى الذئب الغنم، فلا يأخذها، ولا تكون عداوة بين اثنين، وهكـذا قـال مجاهـد، وقـال مقاتـل {حـتى تَضَـعَ الحـرب أَوْزَارَهَا} يعني: في مكان يقاتل سَمَّاهُم حرباً.

وقال القتبي: حـتى تضـع الحـرب، يعـني: حـتى يضـع أهـل الحرب السلاح.

ثم قال عز وجل: {ذلك} يعـني: افعلـوا ذلـك، ثم اسـتأنف فقـال {وَلَـوْ يَشَـاء اللَّهُ لاَنْتَصَـرَ مِنْهُمْ} بغـير قتـال، يعـني: يهلكهم {ولكن لّيَبْلُـوَ بَعْضَـكُمْ بِبَعْضٍ} يعـني: لم يهلكهم، لكي يختـبرهم بالقتـال، حـتى يتـبين فضـلهم، ويسـتوجبوا الثواب. ثم قـال: {والـذين قُتِلُـواْ فِى سَـبِيلِ اللـهِ} يعـني: جاهـدوا عـدوهم في طاعـة اللـه تعـالى. {فَلَن يُضِـلَّ أعمالهم} يعني: لن يبطل ثواب أعمـالهم. قـرأ أبـو عمـرو (قُتِلُوا) بضم القاف بغير ألف، وهكـذا روي عن عاصـم في إحدى الروايتين، يعني: الـذين قتلـوا يـوم أحـد، ويـوم بـدر

وفي سائر الحروب. وقرأ الباقون {والذين * قَاتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله} بالنصب، يعني: جاهدوا الكفار وحاربوهم.

ثم قال {سَيَهْدِيهِمْ} يعني: يجنبهم من أهوال الآخرة. ويقال: سيهديهم، يعني: يثبتهم على الهدى {وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} وقد ذكرناه {وَيُدْخِلُهُمُ الجنة} في الآخرة {عَرَّفَهَا لَهُمْ} يعني: هداهم الله تعالى إلى منازلهم. وروى أبو المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِذَا أُذِنَ لأهْلِ الجَنَّةِ فِي دُخُولِهَا لأَحَدهم أَهْدَى أي: أعرف بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ، من منزله الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا» وعن ابن مسعود، أنه قال: ما أشبههم إلاَّ أهل الجمعة، حين انصرفوا من جمعتهم. يعني: إن كل واحد منهم، يهتدي إلى منزله. وقال الزجاج في قوله: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} أي: يصلح لهم أمر معايشهم في الدنيا، مع ما يجازيهم في الآخرة. وهذا كما قال تعالى: {فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مُدْرَاراً} [نوح: 10، 11] الآية. ويقال: {عَرَّفَهَا لَهُمْ} أي طيبها لهم. يقال: طعام معرف أي: مطيب. ثم حث المؤمنين على الجهاد.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 12]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (8) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (9) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (10) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (11) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)}

فقال {لَهُمْ يأَيُّهَا الذين ءامَنُـواْ إِن تَنصُـرُواْ اللـه يَنصُـرْكُمْ} يعـني: إن تنصـروا دين اللـه بقتـال الكفـار، {يَنصُـرْكُمُ} بالغلبـة على أعــدائكم {وَيُثَبّتْ أَقْـدَامَكُمْ} فلا تـزول في الحرب.

ثم قال تعالى: {والـذين كَفَـرُواْ عَرَّفَهَـا لَهُمْ} يعـني: بعـداً، ونكساً، وخيبـة لهم. وهـو من قولـك: تعسـت أي: عـثرت، وسقطت، {وَأَضَلَّ أعمالهم} يعني: أبطل ثواب حسناتهم، فلم يقبلها منهم.

ثم بيّن المعنى الذي أبطـل بـه حسـناتهم، فقـال: {ذلـك} يعني: ذلك الإبطال {بِـأَنَّهُمْ كَرِهُـواْ مَـا أَنـزَلَ اللـه} يعـني: أنكروا، وكرهوا الإيمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم. {فَأَحْبَطَ أعمالهم} يعني: ثواب أعمالهم.

ثم خـوّفهم ليعتـبروا فقـال عـز وجـل: {أَفَلَمْ يَسِـيرُواْ فِى الارض} يعـــني: أفلم يســـافروا في الأرض {فَيَنظُـــرُواْ} يعني: فيعتبروا {كَيْفَ كَانَ عاقبة الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعــني: كيف كان آخـر أمـرهم. {دَمَّرَ اللـه عَلَيْهِمْ} يعـني: أهلكهم الله تعالى بالعذاب {وللكافرين أمثالهـا} يعـني: للكـافرين من هـذه الأمـة أمثالهـا من العـذاب، وهـذا وعيـد لكفـار قريش.

ثم قال: {ذلك} يعني: النصرة التي ذكر في قوله: {ياأيهـا الـذين ءامنـوا إِن تَنصُـرُواْ اللـه يَنصُـرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْـدَامَكُمْ} [محمد: 7] {ذَلِكَ بِأَنَّ اللـه مَـوْلَى الـذين} يعـني: إن اللـه تبارك وتعـالى ناصـر أوليـاءه بالغلبـة على أعـدائهم، {وَأَنَّ الكـافرين لاَ مـولى لَهُمْ} يعـني: لا ناصـر، ولا ولي لهم، لا تنصرهم آلهتهم، ولا تمنعهم مما نزل بهم من العذاب.

ثم ذكر مستقر المؤمنين، ومستقر الكـافرين، فقـال: {إِنَّ الله يُدْخِلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَـا الانهـار} وقـد ذكرنـاه، {والـذين كَفَـرُواْ يَتَمَتَّعُـونَ} يعني: يعيشون بما أعطوا في الدنيا، {وَيَـأْكُلُونَ كَمَـا تَأْكُـلُ

الانعــام} ليس لهم هَمٌّ إلاَّ الأكــل، والشــرب، والجمــاع، {والنار مَثْوًى لَّهُمْ} أي: منزلاً، ومستقراً لهم.

▲ تفسير الآيات رقم [13- 18]

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُـوَّةً مِنْ قَرْيَتِـكَ الَّتِي أَخْرَجَتْـكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (13) أَفَمَنْ كَـانَ عَلَى بَيِّنَـةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ (14) مَثَـلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِـنٍ وَأَنْهَـارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَـذَّةٍ لِلشَّـارِبِينَ وَأَنْهَـارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِـرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُـوَ خَالِـدٌ فِي النَّارِ وَسُـقُوا مَـاءً حَمِيمًـا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُـوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُـوا الْعِلْمَ مَـاذَا قَـالَ آنِفًـا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (16) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّـاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَـةً فَقَـدْ جَـاءَ أَشْـرَاطُهَا فَـأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَـاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (18)}

قوله تعالى: {وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ} يعني: وكم من قرية فيمــا مضى. يعني: أهل قرية {هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً} يعني: أشد منعـة، وأكـثر عـدداً، وأكـثر أمـوالاً، {مّن قَرْيَتِـكَ الـتى أَخْرَجَتْـكَ} يعـني: أهـل مكـة الـذين أخرجـوك من مكـة إلى المدينـة، {أهلكناهم} يعني: عذبناهم عند التكذيب {فَلاَ ناصــر لَهُمْ} يعني: لم يكن لهم مـانع مما نـزل بهم من العـذاب، وهـذا تخويف لأهل مكة.

قوله تعالى: {أَفَمَن كَـانَ على بَيّنَـةٍ مّن رَّبّـهِ كَمَن زُيّنَ لَـهُ سُوء عَمَلِهِ} قال مقاتل والكلبي: يعني: محمداً صلى اللــه عليه وسلم وأبا جهـل بن هشـام يعـني: لا يكـون حـال من كان على بيان من الله تعالى، كمن حسـن لـه قبح عملـه. {واتبعوا أَهْوَاءهُمْ} بعبادة الأوثـان. ويقـال: هـذا في جميـع

المسلمين، وجميع الكـافرين. لا يكـون حـال الكفـار، مثـل حال المؤمنين في الثواب.
قوله تعالى: {مَّثَلُ الجنة} يعني: صفة الجنـة {الـتى وُعِـدَ المتقون} الذين يتقون الشـرك، والفـواحش، {فِيهَـا أَنْهَـارٌ مّن مَّاء غَيْرِ ءاسِنٍ} قرأ ابن كثير: {مّن مَّاء غَيْـرِ ءاسِـنٍ} بغير مد. والباقون: بالمد، ومعناهما واحد. يعـني: مـاء غـير منتن، ولا متغـير الطعم والـريح. {وَأَنْهَـارٌ مّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} إلى الحموضة كما يتغير لبن أهل الدنيا من الحالـة الأولى. {وأنهـار مّنْ خَمْـرٍ لَّذَّةٍ للشـاربين} يعـني: لذيـذة. ويقـال: {لاَّ يُصَـدَّعُونَ عَنْهَـا وَلاَ يُـنزِفُونَ} [الواقعـة: 19]. {وأنهار مّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} ليس فيها العكـر، ولا الكـدرة، ولا الدردي، كعسل أهـل الـدنيا. قـال مقاتـل: هـذه الأنهـار الأربعة تتفجر من الكوثر، إلى أهل الجنة. ويقال: من تحت شجرة طوبى إلى أهل الجنة.
{وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلّ الثمـرات} يعـني: من ألـوان الثمـرات {وَمَغْفِـرَةٌ مّن رَّبّهِمْ} لـذنوبهم في الآخـرة. ويقـال: في الدنيا. {كَمَنْ هُوَ خالد فِى النار} يعني: هل يكون حال من هو في هذه النعم، كمن هـو في النـار أبـداً. {وَسُـقُواْ مَـاء حَمِيمـاً} أي: حـاراً قـد انتهى حـره {فَقَطَّعَ أَمْعَـاءهُمْ} من شدة الحر، فذابت أمعاؤهم، كقوله تعـالى: {يُصْـهَرُ بِـهِ مَـا فِى بُطُونِهِمْ والجلود} [الحج: 20].
ثم قال: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْـتَمِعُ إِلَيْـكَ} يعـني: من المنـافقين من يستمع إليك {حتى إِذَا خَرَجُـواْ مِنْ عِنـدِكَ قَـالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ العلم مَاذَا قَالَ ءانِفاً} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسـلم خطب النـاس يـوم الجمعـة، وعـاب في خطبتـه المنافقين، فلمـا خرجـوا من عنـده، قـال بعض المنـافقين لعبد الله بن مسعود، وهو الذي أوتي العلم. ماذا قال آنفاً؟ يعني: الساعة، على جهة الاستهزاء.

قال الله تعالى: {أُولَئِكَ الذين طَبَعَ الله على قُلُوبِهِمْ} مجازاة لهم {واتبعوا أَهْوَاءهُمْ} يعني: عملوا بهوى أنفسهم.
ثم ذكر المؤمنين، المصدقين، فقال: {والذين اهتدوا زَادَهُمْ هُدًى} يعني: آمنوا بالله تعالى، وأحسنوا الاستماع إلى ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: {زَادَهُمْ هُدًى} يعني: زادهم الله بصيرة في دينهم، وتصديقاً لنبيهم. ويقال: زادهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هدى. ويقال: زادهم قول المنافقين واستهزاؤهم. {هُدًى} يعني: تصديقاً، وثباتاً على الإسلام، وشكر الله تعالى. {والذين اهتدوا} حين بيّن لهم التقوى. ويقال: ألهمهم قبول الناسخ، وترك المنسوخ.
قوله تعالى: {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ الساعة} أي: ما ينتظر قومك إلا قيام الساعة. يعني: فما ينتظر قومك إن لم يؤمنوا إلا الساعة {أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً} يعني: فجأة {فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا} يعني: علاماتها، وهو انشقاق القمر، والدخان، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم. وروى مكحول عن حذيفة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ لَهَا أَشْرَاطٌ: تَقَارُبُ الأَسْوَاقِ يعني: كَسَادَهَا وَمَطَرٌ وَلاَ نَبَاتَ يعني: مطر في غَيْرِ حِينِهِ، وَتَفْشُو الْفِتْنَةُ، وَتَظْهَرُ أَوْلادُ البَغْيَةِ، وَيَعْظُمُ رَبُّ المَالِ، وَتَعْلُو أَصْواتُ الفَسَقَةِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَيَظْهَرُ أَهْلُ الْمُنْكَرِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ».
ثم قال: {فأنى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} يعني: من أين لهم التوبة، إذا جاءتهم الساعة. وقال قتادة: فأنى لهم أن يتذكروا أو يتذاكروا إذا جاءتهم الساعة. وقال مقاتل: فيه تقديم. يعني: أنى لهم التذكرة، والتوبة عند الساعة إذا جاءتهم، وقد فرطوا فيها.

تفسير الآيات رقم [19- 23]

{فَـاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْـتَغْفِرْ لِـذَنْبِكَ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْـوَاكُمْ (19) وَيَقُـولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُـورَةٌ فَـإِذَا أُنْـزِلَتْ سُـورَةٌ مُحْكَمَـةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ يَنْظُـرُونَ إِلَيْـكَ نَظَـرَ الْمَغْشِـيِّ عَلَيْـهِ مِنَ الْمَـوْتِ فَـأَوْلَى لَهُمْ (20) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْـرًا لَهُمْ (21) فَهَـلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ تَـوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِـدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُـوا أَرْحَـامَكُمْ (22) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (23)}

قوله عز وجل: {فـاعلم أَنَّهُ لاَ إلـه إِلا اللـه} قـال الزجـاج: هذه الفاء جواب الجزاء. ومعناه قد بينا ما يدل على توحيد الله، فاعلم أنه لا إله إلا الله، والنبي صلى الله عليه وسلم قد علم أن الله تعالى واحد. إنما خاطبه والمراد بـه أمتـه. وقـال: هـذا الأمـر للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم خاصـة. ومعناه. فاثبت على إظهار قول لا إلـه إلا اللـه. يعـني: ادع الناس إلى ذلك. ويقال: كان رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: «لَيْتَنِي أَعْلَمُ أَيُّ الكَلامِ أَفْضَـلُ وَأَيُّ الـدُّعَاءِ أَفْضَـلُ. فَأَعْلَمَـهُ اللـه تَعَـالَى، أنَّ أَفْضَـلَ الكَلاَمِ التَّوْحِيـدُ، وَأَفْضَلَ الدُّعَاءِ الاسْتِغْفارُ».

ثم قال: {واسـتغفر لِـذَنبِكَ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ والمؤمنـات} روى الزهـري أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله، وَأَتُـوبُ إلَيْـهِ، فِي كُـلِّ يَـوْمٍ سَـبْعِينَ مَـرَّةً أَوْ أَكْثَرَ». وروى أبو هريرة عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أنه قال: «إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللـه تَعَـالَى، وَأَتُـوبُ إلَيْـهِ، فِي كُـلِّ يَـوْمٍ مِائَةَ مَـرَّةٍ». وروى عبـد الـرزاق، عن معمـر، عن ابن جريج قال: قيل لعطاء: اسـتغفر للمؤمـنين في المكتوبـة؟ قال: نعم. قلت: فمن ابتدئ؟ قال: فبنفسك، كما قال الله تعالى: {واستغفر لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات}.

{والله يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} يعـني: منتشـركم بالنهـار، ومأواكم بالليل. ويقال: ذهابكم، ومجيئكم.
قوله عز وجل: {وَيَقُولُ الذين ءامَنُـواْ لَـوْلاَ نُـزّلَتْ سُـورَةٌ} وذلك أنهم كانوا يأنسون بـالوحي، ويستوحشـون إذا أبطـأ، فاشتاقوا إلى الوحي، فقالوا: لولا نزلت. هلاّ نزلت سورة.
قال الله تعالى: {فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ} يعني: مبينــة الحلال، والحرام {وَذُكِرَ فِيهَـا القتـال} يعـني: أمـروا فيهـا بالقتال. وقال قتادة: كل سورة ذكر فيها ذكـر القتـال فهي محكمــة. وقــال القتــبي في قــراءة ابن مســعود: ســورة محدثة، وتسـمى المحدثـة محكمـة، لأنهـا إذا نـزلت تكـون محكمـة مـا لم ينسـخ منهـا شـيء. ويقـال: {فَـإِذَا أُنـزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ} فِيها ذكر القتال، وطاعة النبي صـلى اللـه عليه وسلم فرح بهـا المؤمنـون، وكـره المنـافقون، فـذلك قولــه: {رَأَيْتَ الــذين فِى قُلُــوبِهِمْ مَّرَضٌ} يعــني: الشــك، والنفاق. {يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المغشى عَلَيْـهِ مِنَ المـوت} كراهيــة لــنزول القــرآن. يعــني: إنهم يشخصــون نحــوك بأبصارهم، وينظرون نظراً شـديداً من شـدة العـداوة، كمـا ينظـر المـريض عنـد المـوت. {فـأولى لَهُمْ} فهـذا تهديـد، ووعيــد. يعــني: وليهم المكــروه. يعــني: قــل لهم احــذروا العذاب، وقد تم الكلام.
ثم قــال: {طَاعَــةٌ وَقَــوْلٌ مَّعْــرُوفٌ} قــال القتــبي: هــذا مخصوص. يعـني: قـولهم قبـل نـزول الفـرض، سـمعاً لـك وطاعة. فإذا أمروا به كرهوا. ذلك. ويقـال: معنـاه {طَاعَـةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} أمثل لهم.
ويقال: معناه فـإذا أنـزلت سـورة ذات طاعـة، يـؤمر فيهـا بالطاعة، وقول معروف {فَإِذَا عَزَمَ الامر} أي: جاء الجــد، ووقت القتـال، فلم يـذكر في الآيـة جوابـه. والجـواب فيـه مضمر. معناه: {فَإِذَا عَزَمَ الامر} يعني: وجب الأمـر، وجـد الأمر، كرهوا ذلك.

ثم ابتدأ فقال: {فَلَوْ صَدَقُواْ الله لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} يعني: لو صدقوا الله في النبي، وما جاء به، لكان خيراً لهم من الشرك والنفاق.

قوله: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ} يعني: لعلكم وَإِن وليتم أمر هذه الأمة {أَن تُفْسِدُواْ فِى الارض} بالمعاصي. يعني: أن تعصوا الله في الأرض {وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ}. قال السدي: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى الارض} بالمعاصي {وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ} فإن المؤمنين إخوة. فإذا قتلوهم، فقد قطعوا أرحامهم. وروى جبير عن الضحاك قال: نزلت في الأمراء: {إِن تَوَلَّيْتُمْ} أمر الناس {أَن تُفْسِدُواْ فِى الارض}. ويقال: معناه إن أعرضتم عن دين الإسلام، وعما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء، ودفن البنات، وقطع الأرحام، {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ} يعني: هل تريدون إذا أنتم تركتم النبي صلى الله عليه وسلم، وما أمركم به، إِلاَّ أن تعودوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر، والمعاصي، وقطع الأرحام. قرأ نافع: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ} بكسر السين. والباقون: بالنصب. وهما لغتان، إلا أن النصب أظهر عند أهل اللغة.

قوله عز وجل: {أَوْلَئِكَ الذين لَعَنَهُمُ الله} يعني: أهل هذه الصفة خذلهم الله، وطردهم من رحمته.

قوله: {فَأَصَمَّهُمْ} عن الهدى، فلا يعقلونه {وأعمى أبصارهم} عن الهدى: فلا يبصرونه عقوبة لهم.

تفسير الآيات رقم [24- 32]

{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (25) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ

وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (27) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُـوا مَـا أَسْـخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (28) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْـغَانَهُمْ (29) وَلَـوْ نَشَـاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِـيمَاهُمْ وَلَتَعْـرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَـوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (30) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِـدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّـابِرِينَ وَنَبْلُـوَ أَخْبَـارَكُمْ (31) إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ وَشَـاقُّوا الرَّسُـولَ مِنْ بَعْـدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (32)}

قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان} يعـني: أفلا يسـمعون القرآن، ويعتبرون به، ويتفكرون فيما أنزل الله تعالى فيه، من وعد ووعيد، وكثرة عجائبه، حتى يعلمـوا أنـه من اللـه تعالى، وتقدس. {أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَـا} يعـني: بـل على قلــوب أقفالهــا. يعــني: أقفــل على قلــوبهم ومعنــاه: أن أعمالهم لغير الله ختم على قلوبهم.

قوله تعالى: {إِنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم} يعني: رجعوا إلى الشرك {مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهدى} يعـني: من بعـد ما ظهر لهم الإسلام. قـال قتـادة: {إِنَّ الـذين ارتـدوا على أدبارهم} وهم أهل الكتـاب عرفـوا نعت النـبي صـلى اللـه عليه وسلم، وكفروا به. ويقال: نزلت في المرتدين.

ثم قال عز وجل: {الشـيطان سَـوَّلَ لَهُمْ} يعـني: زين لهم ترك الهدى، وزين لهم الضلالة. {وأملى لَهُمْ ذلك} قرأ أبو عمرو: {وَأُمْلِى} بضم الألف، وكسر اللام، وفتح الياء على معنى فعل ما لم يسم فاعلـه. والبـاقون {وأملى} بنصـب اللام، والألـف. يعـني: أمهـل اللـه لهم، فلم يعـاقبهم حين كـذبوا محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم. ويقـال: زين لهم الشيطان، وأملى لهم الشـيطان. يعـني: خيـل لهم تطويـل المدة، والبقاء. وقـرأ يعقـوب الحضـرمي: {وَأُمْلِى} بضـم الألف، وكسر اللام، وسكون الياء. ومعناه: أنا أملي يعـني: أطول لهم المدة كما قال: {إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَـاً}

ثم قـال ذلـك: يعـني: اللعن، والصـمم، والعمى، والـتزين، والإملاء. {بِـأَنَّهُمْ قَـالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُـواْ مَـا نَـزَّلَ اللـه} وهم المنافقون، قالوا ليهـود بـني قريظـة والنضـير وهم الـذين كرهوا ما نزل الله. يعني: تركوا الإيمان بما أنـزل اللـه من القرآن، {سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الامر} يعني: سـنغنيكم في بعض الأمر، {والله يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} فيما قالوا فيما بينهم. قــرأ حمــزة، والكســائي، وعاصــم، في روايــة حفص: {إِسْرَارَهُمْ} بكسر الألف. والبـاقون: بالنصـب. فمن قـرأ: بالنصب. فهو جمع السر. ومن قـرأ: بالكسـر، فهـو مصـدر أسررت إسراراً. ويقال: سر وأسرار.

ثم خوفهم فقال الله تعالى: {فَكَيْفَ} يعني: كيف يصنعون {إِذَا تَـوَفَّتْهُمُ الملائكـة} يعـني: تقبض أرواحهم الملائكـة، ملـك المـوت، وأعوانـه، {يَضْـرِبُونَ وُجُـوهَهُمْ وأدبـارهم} يعني: عنـد قبض الأرواح. ويقـال: يعـني: يـوم القيامـة في النار. {ذلك} أي: ذلك الضرب الذي نزل بهم عند المـوت، وفي النار. {بِـأَنَّهُمُ اتبعـوا مَـا أَسْخَطَ اللـه} يعـني: اتبعـوا الكفر، وتكذيب محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم. {وَكَرِهُـواْ رِضْوَانَهُ} يعني: عملوا بما لم يرض الله به، وتركوا العمـل بما يرضي اللـه تعـالى. {فَأَحْبَـطَ أعمـالهم} يعـني: أبطـل ثواب أعمالهم.

قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الـذين فِى قُلُـوبِهِمْ مَّرَضٌ} يعـني: أيظن أهل النفاق، والشك، {أَن لَّن يُخْرِجَ اللـه أضـغانهم} يعني: لم يظهر الله نفاقهم.

ويقال: يعني: الغش الذي في قلوبهم للمؤمنين، وعداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم. {وَلَوْ نَشَاء لاريناكهم} يعـني: لعرفتـك المنـافقين، وأعلمتـك، {فَلَعَـرَفْتَهُم بسـيماهم} يعني: بعلاماتهم الخبيثة. ويقال: {فَلَعَرَفْتَهُم بسيماهم} إذا رأيتهم. ويقـال: لـو نشـاء، لجعلنـا على المنـافقين علامـة، فلعرفتهم بسيماهم. يعني: حتى عرفتهم. {وَلَتَعْـرِفَنَّهُمْ فِى

لَحْنِ القول} يعني: ستعرفهم يا محمد بعد هذا اليوم {فِى لَحْنِ القول} يعني: في محاورة الكلام. ويقـال: {فِى لَحْنِ القـول} يعـني: كـذبهم إذا تكلمـوا، فلم يخـفَ على النـبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية، منافق عنـده إلا عرفه بكلامه.

ثم قـال: {واللـه يَعْلَمُ أعمـالكم} يعـني: لم يخـف عليـه أعمالكم قبل أن تعملوها، فكيف يخفى عليه إذا عملتموها. {وَلَنَبْلُوَنَّكُم} يعـني: لنختـبرنكم عند القتال {حـتى نَعْلَمَ} أي: نمـيز {المجاهـدين مِنكُمْ والصـابرين} يعـني: صـبر الصـابرين عنـد القتـال {وَنَبْلُـوَ أخبـاركم} يعـني: نختـبر أعمالكم. ويقال: أسراركم. قرأ عاصم في روايـة أبي بكـر {وَلَيَبْلُـونَّكُم حَتَّى يَعْلَمَ وَيَبْلُـوَا} الثلاثـة كلهـا باليـاء. يعـني: يختـبركم اللـه. والبـاقون الثلاثـة كلهـا بـالنون على معـنى الإضافة إلى نفسه.

قولـه عـز وجـل: {عَنْـهُ وكفى بِجَهَنَّمَ سَـعِيراً إِنَّ الـذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا {وَصُدُّواْ} يعني: صـرفوا النـاس عن دين الإسلام {عَن سَبِيلِ الله} قال مقاتـل: يعـني: اليهـود. وقـال الكلـبي: يعـني: رؤسـاء قـريش حيث شـاقوا أهـل التوحيـد {وَشَـاقُّواْ الرسـول} يعـني: عـادوا اللـه تعـالى، ورسوله، وخالفوا رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم في الدين {مّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهدى} يعني: الإسـلام، وأمـر النبي صلى الله عليـه وسـلم أنـه الحـق {لَن يَضُـرُّواْ اللـه شَيْئاً} يعني: لن ينقصوا الله من ملكه شـيئاً بكفـرهم، بـل يضروا بأنفسهم {وَسَيُحْبِطُ أعمالهم} يعـني: يبطـل ثـواب أعمالهم التي عملوا في الدنيا، فلا يقبلها منهم.

▲ تفسير الآيات رقم [33- 38]

{يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا أَطِيعُـوا اللَّهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (33) إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا وَصَـدُّوا عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِـرَ اللَّهُ لَهُمْ (34) فَلَا تَهِنُـوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّـلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَـوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِـرَكُمْ أَعْمَـالَكُمْ (35) إِنَّمَـا الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْـوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُـوا وَتَتَّقُـوا يُـؤْتِكُمْ أُجُـورَكُمْ وَلَا يَسْـأَلْكُمْ أَمْـوَالَكُمْ (36) إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْـغَانَكُمْ (37) هَـا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَـرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (38)}

قولـه تعـالى: {بَصِـيراً ياأيهـا الـذين ءامَنُـواْ أَطِيعُـواْ اللـه وَأَطِيعُـواْ الرسـول} يعـني: أطيعـوه في السـر، كمـا في العلانية. ويقـال: {أَطِيعُـواْ اللـه} في الفـرائض {وَأَطِيعُـواْ الرسـول} في السـنن، وفيمـا يـأمركم من الجهـاد {وَلاَ تُبْطِلُـواْ أعمـالكم} يعـني: حسـناتكم بالريـاء. وقـال أبـو العالية: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع قول لا إله إلا الله ذنب، كما لا ينفع مع الشـرك عمل، حتى نزل {أعمالهم ياأيها الذين ءامَنُـواْ أَطِيعُـواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرسول وَلاَ تُبْطِلُـواْ أعمـالكم} فخـافوا أن تبطـل الـذنوب الأعمـال. وقـال مقاتـل: نـزلت في الـذين يمنـون عليك أن أسلموا {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} قال مقاتل: وذلك أن رجلاً سأله عن والده أنه كان محسناً في كفره، قال: هو في النار. فولى الرجـل يبكي، فـدعاه، فقال له: «والدك ووالدي ووالد إبراهيم في النار». فـنزل: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللـه} {ثُمَّ مَـاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِـرَ اللـه لَهُمْ} قـال الكلـبي: نـزلت الآيـة في رؤساء أهل بدر.

قولـه تعـالى: {فَلاَ تَهِنُـواْ} يعـني: لا تضـعفوا عن عـدوكم {وَتَدْعُواْ إِلَى السلم} يعـني: إلى الصـلح. أي: لا تهنـوا، ولا تدعوا إلى الصلح نظير.

قولـه تعـالى: {وَلاَ تَلْبِسُـواْ الحـق بالباطـل وَتَكْتُمُـواْ الحـق وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 42] يعني: ولا تكتمـوا الحـق وفي هذه الآية دليل على أن أيـدي المسـلمين، إذا كـانت عاليـة على المشركين، لا ينبغي لهم أن يجيبوهم إلى الصلح، لأن فيه ترك الجهاد. وإن لم تكن يدهم عاليـة عليهم، فلا بـأس بالصلح لقوله تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فاجنح لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّهُ هُوَ السميع العليم} [الأنفـال: 61] يعـني: إن مالوا للصلح فمل إليه. قرأ حمزة في رواية أبي بكــر: إلى السلم بكسـر السـين. والبـاقون: بالنصـب. قـال بعضـهم: وهما لغتان. وقال بعضهم: أحدهما صلح، والآخر استسلام.

ثم قال: {وَأَنتُمُ الاْعْلَوْنَ} يعني: العالين يكـون آخـر الأمـر لكم {والله مَعَكُمْ} يعني: معينكم، وناصركم، {وَلَن يَتِرَكُمْ أعمـالكم} يعـني: لن ينقصـكم من ثـواب أعمـالكم شـيئاً. يقال: وترتني حقي يعني: بخستني فيه. وقـال مجاهـد: لن ينقصـكم. وقـال قتـادة: لن يظلمكم. {إِنَّمَـا الحيـاة الـدنيا لَعِبٌ وَلَهْـوٌ} يعــني: باطــل، وفــرح. {وَإِن تُؤْمِنُــواْ} أي: تستقيموا على التوحيد {وَتَتَّقُواْ} النفاق {يُؤْتِكُمْ أُجُـورَكُمْ} يعــني: يعطكم ثــواب أعمــالكم {وَلاَ يَسْـئَلْكُمْ أمــوالكم} يعني: لا يسألكم جميع أموالكم، ولكن ما فضل منها {وَإِن يَسْئَلْكُمُوهَا} يعني: جميع الأموال {فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ} يعني: إن يلح عليكم بما يوجبه في أمـوالكم. ويقـال: {فَيُحْفِكُمْ} يعني: يجهدكم كـثرة المسـألة {تَبْخَلُـواْ} بالـدفع {وَيُخْـرِجْ أضـغانكم} يعـني: يظهـر بغضـكم، وعـدواتكم للـه تعـالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين.

ويقال: ويخرج ما في قلوبكم من حب المـال. يقـول: هـذا للمسلمين. ويقال: هذا للمنـافقين. يعـني: يظهـر نفـاقكم.

وقــال قتــادة: علم اللــه أن في مســألة الأمــوال خــروج الأضغان.
قوله عز وجل: {ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء} قرأ نافع، وأبو عمرو {وَإِذْ أَنتُمْ} بمــدة طويلــة، بغــير همــز. وقــرأ عاصــم، وحمــزة، والكسائي. بالمد، والهمز، فَهَا تنبيه، وأنتم كلمة على حدة، وإنما مد ليفصل ألــف هــاء من ألــف أنتم. وقــرأ ابن كثــير: بالهمز بغــير مــد ومعنــاه: أأنتم. ثم قلبت إحــدى الهمــزتين هاء. ومعنى هذه القــراءات كلهــا أنتم يــا معشــر المؤمــنين {تُــدْعَوْنَ لِتُنفِقُــواْ فِى سَــبِيلِ اللــه} يعــني: لتتصــدقوا في سبيل الله، وتعينوا الضــعفاء. {فَمِنكُم مَّن يَبْخَــلُ} بالنفقــة في ســبيل اللــه {وَمَن يَبْخَــلْ} بالنفقــة {فَإِنَّمَــا يَبْخَــلُ عَن نَّفْسِهِ} يعني: لا يكون له ثواب النفقة {والله الغنى} عمــا عندكم من الأموال، وعن أعمــالكم. {وَأَنتُمُ الفقــراء} إلى ما عند الله من الثواب، والرحمة، والمغفرة. {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ} يعني: تعرضوا عما أمركم الله به من الصدقة، وغــير ذلــك مما افترض الله عليكم من حق. {يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُــواْ أمثــالكم} يعــني: يهلككم، ويــأت بخــير منكم، وأطــوع للــه تعــالى منكم {ثُمَّ لاَ يَكُونُــواْ أمثــالكم} يعــني: أشباهكم في معصية الله تعالى. قــال بعضــهم: لم يتولــوا، ولم يســتبدل بهم. وقــال بعضــهم: اســتبدل بهم أنــاس من كندا وغيرها. وروى أبو هريرة قال: لمــا نــزلت هــذه الآيــة، قالوا: يــا رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وســلم من هــؤلاء الذين، إِنْ تولينا استبدلوا بِنَا؟ قال: وَعنده ســلمان. فوضــع النبي صــلى اللــه عليــه وســلم يــده عليــه، ثم قــال: «هــذا وَقَوْمُهُ» ثم قــال: «لَــوْ كَــانَ الإِيمَــانُ مُعَلَّقــاً بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَــهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِس» وصلى الله على سيدنا محمد وآلــه أجمعين.

سورة الفتح

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3)}

قوله تبارك وتعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} يعني: قضينا لك قضاء بيناً. أكرمناك بالإسلام، والنبوة، وأمرناك بأن تدعو الخلق إليه. قال مقاتل: وذلك أنه لما نزل بمكة {وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ} وكان المشركون يقولون: لم تتبعون رجلاً لا يدري ما يفعل به، ولا بمن تابعه. فلما قدم المدينة، عيّرهم بذلك المنافقون أيضاً. فعلم الله تعالى ما في قلوب المؤمنين من الحزم، وما في قلوب الكافرين من الفرح. فنزل {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} يعني:: قضينا لك قضاء بيناً {لّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} فقال المؤمنون: هذا لك فما لنا؟ فنزل {لّيُدْخِلَ المؤمنين والمؤمنات جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا وَيُكَفّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ الله فَوْزاً عَظِيماً} [الفتح: 5] الآية. فقال المنافقون فما لنا؟ فنزل {وَيُعَذّبَ المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظآنين بالله ظَنَّ السوء عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السوء وَغَضِبَ الله عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً} [الفتح: 6] الآية. وقال الزجاج: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ} يعني: فتح الحديبية، والحديبية بئر سمي المكان بها. والفتح هو الظفر بالمكان، كان بحرب أو بغير حرب. قال:

ومعنى الفتح الهداية إلى الإسلام. وكان في فتح الحديبية، معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنها بئر فاستسقى جميع ما فيها من الماء، ولم يبق فيها شيء، فمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها، فدرّت البئر بالماء. ثم قال: {لِّيَغْفِرَ لَكَ} قال بعضهم: هذه لام كي. فكأنه قال: لكي يغفر لك {الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ} يعني: ذنب آدم {وَمَا تَأَخَّرَ} يعني: ذنب أمتك. وقال القتبي: هذه لام القسم فكأنه قال: {لِّيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} ويقال: ما كان قبل نزول الوحي، وما كان بعده.

قوله تعالى: {وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ} بالنبوة، وبإظهار الدين {وَيَهْدِيَكَ صراطا مُّسْتَقِيماً} يعني: يثبتك على الهدى، وهو طريق الأنبياء {وَيَنصُرَكَ الله} يعني: لكي ينصرك الله على عدوك {نَصْراً عَزِيزاً} بإظهار الإسلام.

تفسير الآية رقم [4]

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4)}

قوله تعالى: {هُوَ الذى أَنزَلَ السكينة فِى قُلُوبِ المؤمنين} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم تجهز في سنة ست في ذي القعدة، فخرج إلى العمرة معه ألف وستمائة رجل، ويقال: ألف وأربعمائة، وساق سبعين بدنة. فبلغ قريشاً خبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فبعثوا خالد بن الوليد في عصابة منهم ليصدوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت؟ فلما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان قال: «إنَّ قُرَيْشاً جَعَلَتْ لِي عُيُوناً، فَمَنْ يَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ الثَّنِيَّةِ». فقال رجل من المسلمين: أنا يا رسول الله فخرج بهم، وانتهوا إلى الثنية، وصعدوا فيها. فلما هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الثنيـة، بـركت ناقتـه القصـواء، فلم تنبعث، فزجرَهـا، وزجرها الناس، وضربوها، فلم تنبعث. فقال النـاس: خلأت القصواء أي: صارت حروناً. فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: «ما خَلأَتِ القَصْوَاءُ، وَمَا كَانَ ذلك لَهَا بِخُلُـقٍ، ولكن حَبَسَـهَا حَـابِسُ الفِيـلِ» ثم قـال: «لا يَسْأَلُونَنِي فِيمَـا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شَـيْئاً يُعَظِّمُـونَ بِـهِ حُرُمَـاتِهِمْ، إلاَّ قِبْلْتُـهُ مِنْهُمْ» ثَم زجرها، فانبعثت.

فلما نزلوا على القليب بالحديبية، لم يكن في البئر إلا مـاء وشيك. يعني: قليل متغـير، فاستسـقوا فلم يبـق في البـئر ماء. فقال: مَن رجـل يهيج لنـا المـاء؟ فقـال رجـل: أنـا يـا رسول الله. فقال: «ما اسمك» قال: مرة. فقال: «تأخر» فقال رجل آخر أنا يا رسول اللـه، فقـال: «مَـا اسْـمُكَ؟». قال: ناجيه. فقال: «أنْـزِلْ». فـنزل، فأعطـاه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم مشقصاً، فبحت به البئر، فنبع الماء. وقال في رواية عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: كـان ماء الحديبية قد قل. فأتى بدلو من ماء، فتوضأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعـل منـه في فيـه، ثم مجـه في الـدلو، ثم أمـرهم بـأن يجعلـوه في البـئر، ففعلـوا، فامتلأت البئر حتى كادوا يغرقون منها وهم جلوس. ففـزع المشركون لنزول النبي صلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه في الحديبية، فجـاؤوه، واسـتعدوا ليصـدوه. فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: «يا عُمَرُ اذْهَبْ فَاسْتَأْذِنْ لَنَـا عَلَيْهِمْ حَتَّى نَعْتَمِـرَ، وَيُخْلُـوا بَيْنِي وَبَيْنَ البَيْتِ، لا أُرِيـدُ مِنْهُمْ غَيْرَهُ». فقال عمر: يا رسـول اللـه ليس ثم أحـد من قومي يمنعني. فأرسل عثمـان، فـإن هنـاك ناسـاً من بـني عمه، يمنعونه، فـذهب عثمـان، فتلقـاه أبـان بن سـعيد بن العـاص، فقـال لـه: أجـرني من قومـك حـتى أبلـغ رسـالة رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، فأجـاره، وحملـه على

فرسه ورائه، ودخل به مكة فاستأذن عثمان قريشاً، فــأبوا أن يأذنوا له.
فقال: أبان لعثمـان طـف أنت إن شـئت. فقـال: لمـا كنت لأتقدم بين يدي رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، وبقي هناك ثلاثة أيـام، فـذكر للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أن عثمـان قـد قتـل. فقـال لأصـحابه: بـايعوني على المـوت. فجلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، فبايعــه أصحابه على الموت، فقال النبي صلى اللـه عليـه وسـلم: «إِنِّي أَخَافُ أَلاَّ يُدْرِكَ عُثْمَانَ هَذِهِ البَيْعَةَ، فَأَنَا أُبَايِعُ لَهُ يَمِينِي بِشِمَالِي». ثم رجع عثمان، فأخبر أنهم قد أبوا ذلك، وبلغت قريشاً البيعة، فكبرت تلك البيعة عندهم، وقـالوا ليزيـد بن الحارث الكناني: أردده عنـا فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: «ابْعَثُوا الهَدْيَ فِي وَجْهِهِ يَرَاهَا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ يُعَظِّمُونَ الهَـدْيَ». فبعثــوا الهــدي في وجهــه، فلمــا رأى يزيــد بن الحارث الهـدي قـال: مـا أرى أحـداً يفلح بـردّ هـذا الهـدي، ورجع إلى قـريش. فقـال لهم: لا تـردوا هـذا الهـدي فـإني أخشى أن يصيبكم عذاب من السماء. فأرســلوا عــروة بن مسعود الثقفي، فجاء إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فجلس إليه، فقال: يا محمد ارجع عن قومك هـذه المـرة، فجعل يكلم رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، ويـومئ بيديه إلى لحيته، وكان المغيرة قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضربه بالسوط على يده، وقـال: اكفـف يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قبـل أن يصل إليك ما تكره. فقال عروة: من هذا يا محمد؟ فقـال: ابن أخيـك المغـيرة بن شـعبة. فقـال: يـا غـدر مـا غسـلت سلحتك عني بعد. أفتضرب يدي؟ قـال: اكففهـا قبـل أن لا تصل إليك. فرجع عروة إلى قريش، فقالوا له: ما ورائك يا أبا يعقوب؟ فقال: خلوا سبيل الرجل يعتمر، فإني حضـرت كسرى، وقيصر، والنجاشي، فمـا رأيت ملكـاً قـط أصـحابه

أطوع من هذا الملك. والله إنــه ليتنخم فيبتــدرون نخامتــه، والله إنه ليجلس فيبتدرون التراب الذي يجلس عليه، وإنــه ليتوضأ فيبتدرون وضــوءه. فقـالوا: جبنت، وانتفح سـحرك. ثم قـالوا لسـهيل بن عمـرو: اذهب واردده عنـا، وصـالحه. فلما رآه رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال: «قَـدْ سَهُلَ أَمْرُهُمْ» فجاءه سهيل في نفر من قريش فقـال: يـا محمد ارجع عن قومك هذه المرة، على أن لـك أن تـأتيهم من العـام المقبـل، فتعتمـر أنت، وأصـحابك، ويـدخل كـل إنسان منكم بسلاحه راكباً، فتصالحنا على أن لا تقاتلنا، ولا نقاتلك سنتين. فرضي رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم بذلك. فقال: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فأمر علياً رضـي اللـه عنه أن يكتب، فكتب: بسـم اللـه الـرحمن الـرحيم. فقـال سهيل: لا أعرف الرحمن. قال: فكيـف أكتب؟ قـال: اكتب باسـمك اللهم؛ فكتب باسـمك اللهم، هـذا مـا صـالح عليـه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال سهيل: لو أعلم أنك رسـول اللـه، لاتبعتـك. أفـترغب عن اسم أبيـك؟ فقـال علي رضـي اللـه عنـه: فواللـه إنـه لرسول الله صلى الله عليه وسلم على رغم أنفـك. فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللـه، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله» لأنه كان عهد أن لا يسألوه عن شيئاً يعظمون به حرماتهم إلا قبلــه. فكتب هذا مـا صـالح عليـه محمـد بن عبـد اللـه سـهيل بن عمرو، ألاّ تقاتلنا، ولا نقاتلك سنتين، وندخل في حلفنــا من نشـاء، وتـدخلوا في حلفكم من شـئتم، وعلى أنكم تـأتون من العام المقبل، وتقيمون ثلاثة أيـام، ثم ترجعـون، وعلى أن ما جاء منا إليكم لا تقبلوه، وتردوه إلينا، ومن جاء منكم إلينـا فهـو منـا، فلا نـرده إليكم، فشـق ذلـك الشـرط على المسلمين، فقـالوا: يـا رسـول اللـه من لحـق بنـا منهم لم نقبله، ومن لحق بهم منا فهو لهم. فقال رسول الله صـلى

الله عليه وسلم: «فأَمَّا مَنْ لَحِقَ بِهِمْ مِنَّا فَأَبْعَدَهُ الله وَأَوْلَى بِمَنْ كَفِرِ. وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَلْحَقَ بِنَا مِنْهُمْ فَسَيَجْعَلُ الله لَهُ مَخْرِجَاً». فجاء أبو جندل بن سهيل يوسف في الحديد، يعني: يمشي مشي الأعرج قد أسلم، فأوثقه أبوه حين خشي أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع في ظهراني المسلمين، قال: إني مسلم. فجاء أبوه فقال: إنما كتبنا الكتاب الساعة. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أليس الله حق وأنت نبيه؟ قال: «بَلَى». قال: ونحن قوم مؤمنون؟ وهم كفار؟ قال: «بَلَى». قال: فلم نُعْطِي الدنية في ديننا؟ قال: «إِنَّمَا كَتَبْنَا الكِتَابَ السَّاعَةَ». فتحول عمر إلى أبي جندل فقال: يا أبا جندل إن الرجل يقتل أباه في الله، وإن دم الكافر لا يساوي دم كلب، وجعل عمر يقرب إليه سيفه كيما يأخذه، ويضرب به أباه. فقال أبو جندل: ما لك لا تقتله أنت؟ فقال عمر: نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ما أنت بأحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني، لا أقتل أبي، فأخذ سهيل بن عمرو غصناً من أغصان تلك الشجرة، فضرب به وجه أبي جندل، والمسلمون يبكون. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِهِ، فَإِنْ يَعْلَمِ الله مِنْ أَبِي جَنْدَلٍ الصَّدْقَ يُنْجِهِ مِنْهُمّ». فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسهيل: «هَبْهُ لِي» فقال سهيل: لا. فقال: مكرز بن حفص: قد أجرته.

يعني: أمنته فآمنه حتى رده إلى مكة، فأنجى الله تعالى أبا جندل من أيديهم بعد ما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فخرج إلى شط البحر، واجتمع إليه قريباً من سبعين رجلاً، كرهوا أن يقيموا مع المشركين، وعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يقبلهم حتى تنقضي المدة، فعمدوا إلى عير لقريش مقبلة إلى الشام، أو مدبرة

فأخـذوها، وجعلـوا يقطعـون الطريـق على المشـركين، فأرسـل المشـركون إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يناشدونه إلا قبضهم إليـه، وقـالوا لـه: أنت في حـلَ منهم. فالتحقوا برسول الله صلى الله عليـه وسـلم، فعلم الـذين كرهوا الصلح، أن الخير فيما رأى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم. ثم أمر النبي صلى الله عليـه وسـلم أصـحابه أن ينحروا البدن، ويحلقوا الـرؤوس، فلم يفعـل ذلـك منهم أحد. فدخل النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم على أم سـلمة فقال: ألا تعجبين؟ أمرت الناس أن ينحروا البدن، ويحلقوا. فلم يفعل أحد منهم. فقالت أم سـلمة: قم أنت يـا رسـول الله وانحر بدنك، واحلق رأسك، فإنهم سيقتدون بك. فنحر رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم البـدن، وحلـق رأسـه، ففعل القوم كلهم، فحلق بعضـهم، وقصـر بعضـهم. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «يَـرْحَمُ اللـه المُحَلِّقِينَ». فقـالوا: والمقصـرين يـا رسـول اللـه؟ فقـال: «يَرْحَمُ الله المُحَلِّقِينَ، وَالمُقَصِّـرِينَ». فرجـع النـبي صـلى الله عليه وسلم إلى المدينـة، فـنزل {إِنَّا فَتَحْنَـا لَـكَ فَتْحـاً مُّبِينـاً} إلى قولـه: {هُـوَ الـذى أَنـزَلَ السـكينة فِى قُلُـوبِ المؤمـنين} يعـني: السـكون، والطمأنينـة في البيعـة، في قلـوبِ المؤمـنين. {لِيَـزْدَادُواْ إيمانـا مَّعَ إيمـانهم} يعـني: تصديقاً مع تصديقهم الـذي هم عليـه. ويقـال: تصـديقاً بمـا أمـرهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في البيعـة. ويقال: يعني: إقراراً بالفرائض، مع إقـرارهم باللـه تعـالى. وروي عن علي بن أبي طلحـة، عن ابن عبـاس في قولـه: {هُوَ الذى أَنزَلَ السكينة} قال: يعني: الرحمة {فِى قُلُوبِ المؤمنين لِيَزْدَادُواْ إيمانا}. قال: إن الله تعالى بعث رسوله صلى الله عليـه وسـلم بشـهادة أن لا إلـه إلا اللـه، محمـد رسول الله، كما قال: {قُلْ هُوَ الله أَحَد الله الصمد لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَـدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُـواً أَحَـدٌ} [الاخلاص: 1ـ 4] فلمـا

صدقوا بها، زادهم الصلاة. فلما صدقوا بهـا زادهم الزكـاة. فلمـا صـدقوا بهـا زادهم الصـوم. فلمـا صـدقوا بهـا زادهم الحج. فلما صدقوا به زادهم الجهاد. يعني: إن في كل ذلك يزيد تصديقاً مع تصديقهم.
{وَلِلَّهِ جُنُود السموات والارض} فجنود السموات الملائكة، وجنــود الأرض المؤمنــون من الجن والإنس {وَكَـانَ اللــه عَلِيمــاً} بخلقــه {حَكِيمــاً} في أمــره حيث حكم بالنصــر للمؤمنين يوم بدر.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 9]

{لِيُـدْخِلَ الْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَـانَ ذَلِـكَ عِنْـدَ اللَّهِ فَـوْزًا عَظِيمًـا (5) وَيُعَـذِّبَ الْمُنَـافِقِينَ وَالْمُنَافِقَـاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْـرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّـوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّـوْءِ وَغَضِـبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَـدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِـيرًا (6) وَلِلَّهِ جُنُـودُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَـانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (7) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا (8) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9)}
قولـه عـز وجـل: {لِّيُـدْخِلَ المؤمـنين والمؤمنـات} يعـني: المصدقين والمصدقات {جنات تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهـار} يعني: من تحت غرفها، وأشـجارها {خالـدين فِيهَـا} يعـني: دائمين مقيمين، لا يموتــون، ولا يخرجــون منهــا {وَيُكَفّــرَ عَنْهُمْ سيئاتهم} يعني: يمحو، ويتجاوز عن سيئاتهم. يعــني: عن ذنوبهم {وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ الله فَوْزاً عَظِيماً} في الآخرة. أي: نجاة وافرة من العذاب.
ثم قـال: {وَيُعَـذّبَ المنـافقين والمنافقـات} يعـني: ولكن يعــذب المنــافقين، والمنافقــات، من أهــل المدينــة {والمشركين} من أهل مكة {والمشركات} الذين أقاموا على عبادة الأصنام.

قوله: {الظانين بالله ظَنَّ السـوء} وظنهم تـرك التصـديق بالله تعالى ورسوله، مخافة ألا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: {بَـلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرسـول والمؤمنون إلي أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِى قُلُـوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السوء وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً} [الفتح: 12].

ثم قـال: {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السـوء} يعـني: عاقبـة العـذاب والهزيمة {وَغَضِبَ اللـه عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ} في الـدنيا {وَأَعَـدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ} في الآخـرة {وَسَـاءتْ مَصِـيراً} يعـني: بئس المصير الذي صاروا إليه.

قولـه تعـالى: {وَلِلَّهِ جُنُـودُ السـموات والارض وَكَـانَ اللـه عَزِيزاً} بالنقمة لمن مات على كفـره، ونفاقـه. {حَكِيمـاً} في أمره، وقضائه، حكم بالنصـرة للنـبي صـلى اللـه عليـه وسلم.

ثم قال: {إِنَّا أرسلناك شَاهِداً} يعني: بعثناك شاهداً بـالبلاغ إلى أمتك {وَمُبَشّراً} لمن أجابك بالجنـة {وَنَـذِيرًا} يعـني: مخوفـاً للكفـار بالنـار {لّتُؤْمِنُـواْ باللـه وَرَسُـولِهِ} يعـني: لتصدقوا بالله فيما يأمركم، وتصدقوا برسوله محمد صـلى الله عليه وسلم {وَتُعَزّرُوهُ} يعني: لكي تعينـوه، وتنصـروه على عدوه بالسيف، {وَتُوَقّرُوهُ} أي: تعظموا النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم {وَتُسَـبّحُوهُ} يعـني: تصـلوا للـه تبـارك وتعالى {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: غـدوة وعشـياً. فكأنـه قـال: لتؤمنـوا باللـه وتسـبحوه، وتؤمنـوا برسـوله، وتعـزروه، وتـوقروه. قـرأ ابن كثـير، وأبـو عمـرو: {لِيُؤْمِنُـواْ * باللـه وَرَسُـولِهِ} كلهـا باليـاء على معـنى الخـبر عنهم، وقـرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة، وقرأ ابن كثـير، وأبـو عمرو: {بِكُمُ الـدوائر عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السـوء} بضـم السـين. وقرأ الباقون: بالنصب، كقولك رجـل سـوء، وعمـل سـوء، وقد روي عن ابن كثير، وأبي عمرو: بالنصب أيضاً.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 14]

{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (11) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (12) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (13) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (14)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يُبَايِعُونَكَ} يعني: يوم الحديبية تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان، قال الكلبي: بايعوا تحت الشجرة، وهي شجرة السَّمرة، وهم يومئذٍ ألف وخمسمائة وأربعون رجلاً. وروى هشام عن محمد بن الحسن قال: كانت الشجرة أم غيلان. {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله} يعني: كأنهم يبايعون الله، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما بايعهم بأمر الله تعالى. ويقال: {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله} أي: لأجله، وطلب رضاه.

ثم قال: {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يعني: يد الله بالنصرة، والغلبة، والمغفرة، {فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} بالطاعة. وقال الزجاج: {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} يحتمل ثلاثة أوجه. أحدها {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} بالوفاء، ويحتمل {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} بالثواب، فهذان وجهان جاءا في التفسير، ويحتمل أيضاً {يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} في المِنَّة عليهم، وفي الهداية فوق أيديهم في الطاعة.

{فَمَن نَّكَثَ} يعني: نقض العهد، والبيعة {فَإِنَّمَا يَنكُثُ على نَفْسِهِ} يعني: عقوبته على نفسه. {وَمَنْ أوفى بِمَا

عاهـد عَلَيْـهِ اللـه} قـرأ حفص: برفـع الهـاء. أي: وفى بمـا عاهد عليه من البيعة، فيتم ذلك مع رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم يعـني: أوفى بمـا عاهـد اللـه عليـه من البيعـة، والتمام في ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
{فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} في الجنة. قـرأ نـافع، وابن كثـير، وابن عامر: {فَسَنُؤْتِيهِ} بالنون. والباقون: باليـاء. وكلاهمـا يرجع إلى معنى واحد. يعني: سيؤتيه الله ثواباً عظيماً.
قوله تعالى: {عَظِيماً سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الاعراب} وهم أسلم، وأشجع، وغفار، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسـلم حين خـرج إلى مكـة عـام الحديبيـة، فاسـتتبعهم، وكـانت منـازلهم بين مكـة والمدينـة. فقـالوا فيمـا بينهم: نـذهب معـه إلى قـوم جـاؤوه فقتلـوا أصـحابه، فقـاتلهم، فاعتلوا عليه بالشغل، حتى رجع، فأخبر الله تعالى رسـوله قبل ذلك، أنه إذا رجع إليهم استقبلوه بالعذر، وهم كاذبون. فقال: {سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الاعراب} يعني: الـذين تخلفوا عن بيعة الحديبية {شَغَلَتْنَا أموالنـا وَأَهْلُونَـا} يعـني: خفنا عليهم الضيعة، ولولا ذلـك لخرجنـا معـك. {فاسـتغفر لَنَا} في التخلف. {يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ} يعني: من طلب الاسـتغفار وهم لا يبـالون، اسـتغفرت لهم أم لم تستغفر لهم.
{قُلْ} يا محمـد {فَمَن يَمْلِـكُ لَكُمْ مّنَ اللـه شَـيْئاً} يعـني: من يقدر أن يمنع عنكم من عذاب الله شـيئاً {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَـرّاً} يعـني: قتلاً، أو هزيمـة، {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعـاً} يعـني: النصرة. قرأ حمزة والكسـائي {ضَـرّا} بضـم الضـاد، وهـو سوء الحال والمرض، وما أشبه ذلك. والباقون: بالنصب. وهو ضد النفع. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقريـر. يعني: لا يقدر أحد على دفع الضر، ومنع النفع غير الله.
ثم استأنف الكلام فقال: {بَلْ كَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} يعني: عالماً بتخلفكم، ومرادكم.

قوله عز وجل: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرسول} يعـني: بـل منعكم من السـير معـه، لأنكم ظننتم أن لن ينقلب الرسـول {والمؤمنـون} من الحديبيـة {إلى أَهْلِيهِمْ أَبَـداً وَزُيّنَ ذَلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ} يعني: حُسِّن التخلـف في قلـوبكم {وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السوء} يعني: حسبتم الظن القـبيح {وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً} يعـني: هلكى. وروي عن ابن عبـاس أنـه قـال: البور في لغة أزد عمان: الشيء الفاسـد. والبـور في كلام العرب: لا شيء. يعني: أعمالهم بور أي: مبطلة.

قوله عز وجل: {وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بالله وَرَسُـولِهِ} يعـني: من لم يصدق باللـه في السـر، كمـا صـدقه في العلانيـة {فَإِنَّا أَعْتَدْنَا للكافرين سَعِيراً} يعني: هيأنا لهم عذاب السعير.

قوله تعـالى: {وَللَّهِ مُلْـكُ *** السـموات والارض} يعـني: خـزائن السـموات والأرض. ويقـال: ونفـاذ الأمـر في السموات والأرض. {يَغْفِـرُ لِمَن يَشَـاء وَيُعَـذّبُ مَن يَشَـاء} وهو فضل، منـه المغفـرة، ويعـذب من يشـاء على الـذنب الصـغير، وهـو عـدل منـه {وَكَـانَ اللـه غَفُـوراً} لـذنوبهم {رَّحِيماً} بهم.

تفسير الآيات رقم [15- 20]

{سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَـا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَـدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُـلْ لَنْ تَتَّبِعُونَـا كَـذَلِكُمْ قَـالَ اللَّهُ مِنْ قَبْـلُ فَسَـيَقُولُونَ بَـلْ تَحْسُـدُونَنَا بَـلْ كَـانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (15) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَـوْمٍ أُولِي بَـأْسٍ شَـدِيدٍ تُقَـاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْـلِمُونَ فَـإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْـرًا حَسَـنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَـا تَـوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًـا (16) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَـرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَـرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَـرِيضِ حَـرَجٌ وَمَنْ يُطِـعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْـهُ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ وَمَنْ يَتَـوَلَّ يُعَذِّبْـهُ عَـذَابًا أَلِيمًـا (17) لَقَـدْ رَضِـيَ اللَّهُ عَنِ الْمُـؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَـكَ تَحْتَ الشَّـجَرَةِ فَعَلِمَ مَـا فِي قُلُـوبِهِمْ فَـأَنْزَلَ

السَّـكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـابَهُمْ فَتْحًـا قَرِيبًـا (18) وَمَغَـانِمَ كَثِـيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19) وَعَـدَكُمُ اللَّهُ مَغَـانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُـذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـذِهِ وَكَـفَّ أَيْـدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20)}

ثم قـال عـز وجـل: {سَـيَقُولُ المخلفـون} يعـني: الـذين تخلفـوا عن الحديبيـة {إِذَا انطلقتم إلي مَغَـانِمَ لِتَأْخُـذُوهَا} يعـني: إلى غنـائم خيـبر {ذَرُونَـا نَتَّبِعْكُمْ} يعـني: اتركونـا نتّبعكم في ذلك الغزو {يُرِيدُونَ أَن يُبَدّلُواْ كلام الله} يعني: يغيروا كلام الله. يعني: مـا قالـه اللـه لرسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: لا تـأذن لهم في غـزاة أخـرى. قـرأ حمـزة والكسائي: وهو جمع كلمة. والباقون {كَلاَمَ اللـه} والكلام اسم لكل ما يتكلم به. {قُل لَّن تَتَّبِعُونَـا} في المسـير إلى خيـبر إلاّ متطـوعين، من غـير أن يكـون لكم شـرك في الغنيمـة. {كَـذَلِكُمْ قَـالَ اللـه مِن قَبْـلُ} يعـني: من قبـل الحديبيـة. {فَسَـيَقُولُونَ بَـلْ تَحْسُـدُونَنَا} يعـني: يقولـون للمؤمنين: إن الله لم ينهكم عن ذلـك، بـل تحسـدوننا على ما نصيب معكم من الغنائم.

قـال اللـه تعـالى: {بَـلْ كَـانُواْ لاَ يَفْقَهُـونَ إِلاَّ قَلِيلاً} أي: لا يعقلـون، ولا يرغبـون في تـرك النفـاق، لا قليلاً، ولا كثـيراً. ويقال: بل كانوا لا يفقهـون النهي من اللـه تعـالى إلا قليلاً منهم.

قوله عز وجل: {قُل لّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الاعراب} يعني: الـذين تخلفوا عن الحديبية، مخافـة القتـال {سَـتُدْعَوْنَ إلى قَـوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ} يعني: قتال شديد. قال بعضـهم: يعـني: قتال أهل اليمامة بعد رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم. قاتلهم أبـو بكـر الصـديق رضـي اللـه عنـه. وقـال مجاهـد: {إلى قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَـدِيدٍ} يعـني: أهـل الأوثـان. وقـال أيضاً: هم أهل فارس، وكـذا قـال عطـاء، وقـال سـعيد بن جبير: هوازن، وثقيف. وقال الحسن: فارس، والروم.

{تقاتلونهم أَوْ يُسْلِمُونَ} قرأ بعضهم (أَوْ يُسْلِمُوا) بألف من غير نون، وقراءة العامة بالنون. فمن قرأ: {أَوْ} يعني: حتى يسلموا، أو إلى أن يسلموا. ومن قرأ: بالنون. فمعناه: تقاتلونهم أو هم يسلمون {يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ} يعني: تجيبوا، وتوقعوا القتال، وتخلصوا لله تعالى. {يُؤْتِكُمُ الله أَجْراً حَسَناً} يعني: ثواباً حسناً في الآخرة. {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مّن قَبْلُ} يعني: تعرضوا عن الإجابة كما أعرضتم يوم الحديبية. {يُعَذّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: شديداً دائماً، فلما نزلت هذه الآية، قال أهل الزمانة والضعفاء: فكيف بنا إذا دعينا إلى قتالتهم، ولا نستطيع الخروج، فيعذبنا الله؟ فنزل قوله: {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل: نزل العذر في الذين تخلفوا عن الحديبية. {لَّيْسَ عَلَى الاعمى حَرَجٌ} يعني: ليس عليهم إثم في التخلف {وَلاَ عَلَى الاعرج حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المريض حَرَجٌ} يعني: إثم.

{وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ} في الغزو ويقال: ومن يطع الله ورسوله في الغزو، في السر، والعلانية {يُدْخِلْهُ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهر} وقد ذكرناه.

{وَمَن يَتَوَلَّ} يعني: يعرض عن ذلك. يعني: عن طاعة الله، ورسوله، بالتخلف {يُعَذّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: شديداً دائماً. قرأ نافع: وابن عامر {نُدْخِلْهُ وَنُعَذّبْهُ} كلاهما بالنون. والباقون: كلاهما بالياء. وكلاهما يرجع إلى معنى واحد.

قوله تعالى: {عَذَاباً أَلِيماً لَّقَدْ رَضِيَ الله عَنِ المؤمنين إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشجرة} يعني: شجرة السمرة. ويقال: أم غيلان. قال قتادة: بايعوهُ يومئذٍ وهم ألف وأربعمائة رجل. وكان عثمان يومئذٍ بمكة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ عُثْمَانَ فِي حَاجَةِ الله وَحَاجَةِ رَسُولِهِ، وَحَاجَةِ المُؤْمِنِينَ. ثُمَّ وضع إحدى يديه على الأخرى، وقال: هذه بَيْعَةُ عُثْمَان».

{فَعَلِمَ مَـا فِى قُلُـوبِهِمْ} أي: مـا في قلـوبهم من الصـدق والوفاء. وهذا قول ابن عباس. وقال مقاتل: {فَعَلِمَ مَا فِى قُلُـوبِهِمْ} من الكراهيـة للبيعـة على أن يقتلـوا، ولا يفـروا. {فَأنزَلَ} الله {السكينة عَلَيْهِمْ} يعـني: أنـزل اللـه تعـالى الطمأنينـة، والرضـى عليهم. {وأثـابهم} يعـني: أعطـاهم. {فَتْحاً قَرِيباً} يعني: فتح خيبر. {وَمَغَانِمَ كَثِـيرَةً يَأْخُـذُونَهَا} يعـني: يغنمونهـا {وَكَـانَ اللـه عَزِيـزاً حَكِيمـاً} حكم عليهم بالقتل، والسبي. ويقال: حكم الغنيمة للمؤمنين، والهزيمـة للكافرين.

ثم قـال: {وَعَـدَكُمُ اللـه مَغَـانِمَ كَثِـيرَةً تَأْخُـذُونَهَا} يعـني: تغنمونها، وهو ما أصابوا مع رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وبعده إلى يوم القيامة. وقال ابن عبـاس: هي هـذه الفتوح التي تفتح لكم {فَعَجَّلَ لَكُمْ هذه} يعني: فتح خيـبر، قــرأ بعضــهم {وأتــاهم} أي: أعطــاهم وقــراءة العامــة {وأثابهم} يعني: كافأهم.

قوله تعالى: {وَكَفَّ أَيْدِىَ الناس عَنْكُمْ} يعـني: أيـدي أهـل مكة. ويقـال: أسـد وغطفـان أرادوا أن يعينـوا أهـل خيـبر، فدفعهم الله عن المؤمنين، فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يكونوا له، ولا عليه.

ثم قـال: {وَلِتَكُـونَ ءايَـةً لّلْمُـؤْمِنِينَ} وهـو فتح خيـبر، لأن المسلمين كانوا ثمانية آلاف، وأهل خيبر كانوا سبعين ألفاً.

ثم قال: {وَيَهْدِيَكُمْ صراطا مُّسْتَقِيماً} يعني: يرشدكم دينـاً قيماً، وهو دين الإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 26]

{وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَـانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (21) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِـيرًا (22) سُـنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَـدْ خَلَتْ

مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَبْـدِيلًا (23) وَهُـوَ الَّذِي كَـفَّ أَيْــــدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْــــدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْـــــدِ أَنْ أَظْفَـرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَـانَ اللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرًا (24) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُـغَ مَحِلَّهُ وَلَـوْلَا رِجَـالٌ مُؤْمِنُـونَ وَنِسَـاءٌ مُؤْمِنَـاتٌ لَمْ تَعْلَمُــوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِــيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَــرَّةٌ بِغَيْــرِ عِلْمٍ لِيُـدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِـهِ مَنْ يَشَـاءُ لَـوْ تَزَيَّلُـوا لَعَـذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْهُمْ عَـذَابًا أَلِيمًـا (25) إِذْ جَعَـلَ الَّذِينَ كَفَـرُوا فِي قُلُــوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَــأَنْزَلَ اللَّهُ سَــكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَــقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26)}

ثم قال: {وأخـرى لَمْ تَقْـدِرُواْ عَلَيْهَـا} يعـني: وعـدكم اللـه غنيمة أخرى لم تقدروا عليها. يعني: لم تملكوها بعـد، وهـو فتح مكة. ويقال: هو فتح قرى فارس، والروم. {قَدْ أَحَـاطَ الله بِهَا} يعـني: علم اللـه أنكم سـتفتحونها، وسـتغنمونها، فجمعها، وأحرزها لكم. {وَكَانَ الله على كُلّ شَـئ قَـدِيراً} من الفتح وغيره {وَلَوْ قاتلكم الـذين كفَـرُواْ} يعـني: كفـار مكة يوم الحديبية. ويقال: أسد وغطفان يوم خيـبر. {لَوَلَّوُاْ الادبـار} منهـزمين {ثُمَّ لاَ يَجِـدُونَ وَلِيّـاً وَلاَ نَصِـيراً} يعـني: قريباً ينفعهم، ولا مانعاً يمنعهم من الهزيمة.

قوله عز وجل: {سُنَّةَ الله التى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْـلُ} يعـني: هكذا سنة الله بالغلبة، والنصرة لأوليائـه، والقهـر لأعدائـه. {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً} يعني: تغييراً، وتحويلاً.

{وَهُوَ الـذى كَـفَّ أَيْـدِيَهُمْ عَنكُمْ} يعـني: أيـدي أهـل مكـة، {وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم} يعني: أيديكم عن أهـل مكـة من بعـد أن أظفركم عليهم. وذلـك أن جماعـة من أهـل مكـة، خرجـوا يــوم الحديبيــة يرمــون المســلمين، فرمــاهم المســلمون بالحجارة حتى أدخلوهم بيوت مكة. وروى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: طلع قوم وهم ثمـانون رجلاً على

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل التنعيم عند صلاة الصبح ليأخذوه، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخلى سبيلهم. فأنزل الله تعالى: {وَهُوَ الذى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم} {بِبَطْنِ مَكَّةَ} يعني: بوسط مكة {مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ} يعني: سلطكم عليهم {وَكَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} بحرب بعضكم بعضاً.

قوله تعالى: {هُمُ الذين كَفَرُواْ} يعني: جحدوا بوحدانية الله تعالى {وَصَدُّوكُمْ عَنِ المسجد الحرام} أن تطوفوا به {والهدى مَعْكُوفاً} يعني: محبوساً. يقال: عكفته عن كذا إذا حبسته. ومنه العاكف في المسجد لأنه حبس نفسه. يعني: صيروا الهدي محبوساً عن دخول مكة، وهي سبعون بدنة. ويقال: مائة بدنة. {أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} يعني: منحره، ومنحرة منى للحاج، وعند الصفا للمعتمر.

ثم قال: {وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مؤمنات} بمكة {لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ} أنهم مؤمنون. يعني: لم تعرفوا المؤمنين من المشركين {ءانٍ} يعني: تحت أقدامكم. ويقال: فتضربوهم بالسيف {تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكمْ مّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ} يعني: تلزمكم الدية {بِغَيْرِ عِلْمٍ} يعني: بغير علم منكم لهم، ولا ذنب لكم. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا مختلطين بالمشركين، غير متميزين، ولا معروفي الأماكن.

ثم قال: {وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مؤمنات لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن} لو دخلتموها أن تقتلوهم {عِلْمٍ لّيُدْخِلَ الله فِى رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء} لو فعلتم فيصيبكم من قتلهم معرة. يعني: يعيركم المشركون بذلك، ويقولون: قتلوا أهل دينهم كما قتلونا، فتلزمكم الديات.

ثم قال: {لَوْ تَزَيَّلُواْ} أي: تميزوا من المشركين {لَعَذَّبْنَا الذين كَفَرُواْ} يعني: لو تميزوا بالسيف. وقال القتبي: صار قوله: {لَعَذَّبْنَا} جواباً لكلامين أحدهما، لولا رجال مؤمنون، والآخر {لَوْ تَزَيَّلُواْ} يعني: لو تفرقوا، واعتزلوا. يعني:

المؤمنين من الكافرين {لَعَذَّبْنَا الذين كَفَرُواْ} {مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} يعني: شديداً وهو القتل.

قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الذين كَفَرُواْ} يعني: أهل مكة {فِى قُلُوبِهِمُ الحمية حَمِيَّةَ الجاهلية} وذلك أنهم قالوا: قتل آباءنا، وإخواننا. ثم أتانا يدخل علينا في منازلنا. والله لا يدخل علينا، فهذه الحمية التي في قلوبهم. {فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ} يعني: طمأنينته {على رَسُولِهِ وَعَلَى المؤمنين} فأذهب عنهم الحمية، حتى اطمأنوا، وسكتوا. {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التقوى} يعني: ألهمهم كلمة لا إله إلا الله حتى قالوا: {وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا} يعني: كانوا في علم الله تعالى أحق بهذه الكلمة من كفار مكة {وَأَهْلَهَا} يعني: وكانوا أهل هذه الكلمة عند الله تعالى {وَكَانَ الله بِكُلّ شَىْء عَلِيماً} يعني: عليماً بمن كان أهلاً لذلك وغيره.

تفسير الآيات رقم [27- 29]

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)}

قوله عز وجل: {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق} يعني: حقق الله تعالى رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوفاء، والصدق، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام قبل الخروج إلى الحديبية، أنهم

يدخلون المسجد الحرام. فأخبر الناس بذلك، فاستبشـروا. فلمـا صـدهم المشـركون، قـالت المنـافقون في ذلـك مـا قالت. فنزل {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيا بالحق} يعـني: يصدق رؤياه بالحق {لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحـرام} يعـني: مـا أخـبر أصـحابه أنهم يـدخلون المسـجد الحـرام في العـام الثاني. ويقال: نزلت الآية بعد مـا دخلـوا في العـام الثـاني {لَّقَدْ صَـدَقَ اللـه رَسُـولَهُ الرؤيـا بـالحق لَتَـدْخُلُنَّ المسـجد الحرام} يعـني: مـا أخـبر أصـحابه أنهم يـدخلون المسـجد الحرام {فَلَمَّا دَخَلُـواْ على يُوسُـفَ} يعـني: لتـدخلن {فَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ} يعني: بإذن الله، وأمـره. ويقـال: هـذا اللفظ حكاية الرؤيا. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسـلم حين رأى في المنـام، رأى كـأن ملكـاً ينـادي وهـو يقـول: لتدخلن المسجد الحرام إن شـاء اللـه، فـأنزل اللـه تعـالى {لَّقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرؤيـا بـالحق} وهـو قـول الملـك {لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إِن شَاء الله ءامِنِينَ} من العــدو {مُحَلِّقِينَ * رُءوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ} يعـني: منهم من يحلـق، ومنهم من يقصر {لاَ تخافون} العدو {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ} قال مقاتـل: فعلم أن يفتح عليهم خيـبر قبـل ذلـك، فوعـد لهم الفتح، ثم دخـول مكـة، ففتحـوا خيـبر، ثم رجعـوا، ثم دخلوا مكة، وأتوا عمرة القضـاء. وقـال الكلـبي في قولـه: {فَعَلِمَ مَـا لَمْ تَعْلَمُـواْ} يعـني: علم اللـه أنـه سـيكون في السنة الثانية، ولم تعلموا أنتم، فلذلك وقع في أنْفسكم مـا وقع {فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} يعني: فتح خيبر.

ثم قال عز وجل: {هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى} يعـني: بالتوحيـد شـهادة أن لا إلــه إلا اللــه {وَدِينِ الحــق} وهــو الإسلام {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلّهِ} يعني: على الأديان كلها قبـل أن تقـوم السـاعة. فلا يبقى أهـل دين إلا دخلـوا في الإسلام {وكفى بالله شَهِيداً} بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يشهد كفار مكة، وذلــك حين أراد

أن يكتب محمد رسول الله، فقال سهيل بن عمـرو: إنـا لا نعرف بأنك رسول الله ولا نشهد.
قال الله عـز وجـل: {وكفى باللـه شَـهيداً} وإن لم يشـهد سهيل، وأهـل مكـة. قـال عـز وجـل: {مُّحَمَّدٌ رَّسُـولُ اللـه والذين مَعَهُ} من المؤمنين {أَشِدَّاء عَلَى الكفار} بالغلظـة {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} يعني: متـوادّين فيمـا بينهم {تَـرَاهُمْ رُكَّعـاً سُـجَّداً} يعـني: يكـثرون الصـلاة {يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِّنَ اللـه وَرِضْوَاناً} يعني: يلتمسون من الحلال.
وقال بعضهم: {والذين مَعَهُ} يعني: أبا بكـر {أَشِـدَّاء عَلَى الكفار} يعني: عمر {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ} يعني: عثمان {تَـرَاهُمْ رُكَّعـاً سُـجَّداً} يعـني: عليّـاً رضـوان اللـه عليهم أجمعين {يَبْتَغُـونَ فَضْـلاً مِّنَ اللـه وَرِضْـوَاناً} يعـني: الزبـير، وعبـد الـــرحمن بن عـــوف {ســيماهم فِى وُجُـــوهِهِمْ} يعـــني: علاماتهم، وهي الصفرة في وجـوههم {مِّنْ أَثَـرِ السـجود} يعني: من السهر بالليل. ويقال: يعرفون غُرّاً محجلين يـوم القيامـة، من أثـر الوضـوء. وقـال مجاهـد: {سـيماهم فِى وُجُـوهِهِمْ} قـال: الخشـوع، والوقـار. وقـال منصـور: قلت لمجاهد: أهذا الذي يكون بين عيني الرجل؟ قـال: إن ذلـك قد يكون للرجل، وهو أقسى قلباً من فرعون.
ثم قال: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التوراة} يعني: هـذا الـذي ذكـره من نعتهم، وصفتهم في التوراة.
ثم ذكـر نعتهم في الإنجيـل فقـال: {وَمَثَلُهُمْ فِى الإنجِيـل} يعني: مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأصـحابه {كَـزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ}. روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قـال: مثلهم في التـوراة، والإنجيـل واحـد. قـال: {مَثَلُهُمْ فِى التـوراة وَمَثَلُهُمْ فِى الإنجيل كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ} قـرأ ابن كثـير، وابن عامر: {شَطَأَهُ} بنصـب الشـين، والطـاء. والبـاقون: بنصب الشين، وجزم الطـاء. ومعناهمـا واحـد. وهـو فـراخ الزرع. وقـال مجاهـد: {شَـطْأَهُ} يعـني: قوائمـه. قـرأ ابن

عامر: {فَازَرَهُ} بغير مد. والباقون بالمـد ومعناهمـا واحـد. يعني: قواه. ومنه قوله عز وجل: {اشدد بِـهِ أَزْرِى} [طه: 31] يعني: أقوي به ظهري. ويقال: {كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَـطْأَهُ} يعني: سنبله {فَازَرَهُ} يعـني: أعانـه وقـواه. {فاسـتغلظ} يعني: غلظ الزرع، واستوى. {فاستوى على سُـوقِهِ} وهـو جماعة الساق {يُعْجِبُ الزراع} يعني: الـزارع إذا نظـر في زرعه بعدما استغلظ، واستوى، يعجبه ذلك. فكـذلك النـبي صلى الله عليه وسلم، تبعه أبو بكر، ثم تبعه عمر، ثم تبعـه واحد بعد واحد من أصحابه، حتى كثروا ففرح النـبي صـلى الله عليه وسلم بذلك لكثرتهم.

{لِيَغِيظَ بِهِمُ الكفار} يعني: أهل مكة يكرهون ذلك لما رأوا من كثرة المسلمين، وقوتهم. وروى خيثمـة عن عبـد اللـه بن مسعود رضـي اللـه عنـه أنـه كـان يقـرئهم القـرآن في المسـجد، فـأتى على هـذه الآيـة: {كَـزَرْعٍ أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ} فقـال: أنتم الـزرع، وقـد دنـا حصـادكم. ويقـال: {كَـزَرْعٍ} يعـني: محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم. {أَخْـرَجَ شَـطْأَهُ} يعني: أبا بكر {فَازَرَهُ} يعني: أعانـه عمـر على كفـار مكـة {فاستغلظ} يعـني: تقـوى بنفقـة عثمـان {فاسـتوى على سُوقِهِ} يعني: قـام على أمـره علي بن أبي طـالب يعينـه، وينصره على أعدائه. {يُعْجِبُ الـزراع لِيَغِيـظَ بِهِمُ الكفـار} يعني طلحة، والزبير. وكان الكفـار يكرهـون إيمـان طلحـة والزبير لشدة قوتهما، وكثرة أموالهما.

{وَعَدَ الله الذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات مِنْهُم} يعـني: لهم. ويقال: فيما بينهم، وبين ربهم. ويقال: مِنْ هاهنا لإبانة الجنس. يعني: {وَعَدَ الله الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات مِنْهُم} أي: من أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم {مَغْفِرَةٍ} لذنوبهم {وَأَجْراً عَظِيماً} يعني: ثوابـاً وافـراً في الجنة. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«مَنْ قَــرَأَ سُــوَرَةَ الفَتْحِ فَكَأَنَّمَــا شَــهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ مَــعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم». والله سبحانه أعلم.

49

▲ سورة الحجرات

▲ تفسير الآية رقم [1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)}

قوله تبارك وتعالى: {عَظِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ} يقال: يا نداء، وها تنبيه، والَّذِينَ إشارة. وآمَنُوا مدحه. روي عن الضحاك أنه كان يقرأ: {لاَ تُقَدّمُواْ} بنصب التاء والدال. وقراءة العامة {لاَ تُقَدّمُواْ} برفع التاء، وكسر الدال. فمن قرأ بالنصب، فهو في الأصل لا تتقدموا، فحذفت إحدى التاءين لتكون أخف. ومن قرأ بالضم فهو من قدم تقدم. يقال: فلان تقدم بين يدي أبيه، وبين يدي الإمام. يعني: تعجل بالأمر، وانتهى بدونه. يعني:: لا تقدموا الكلام بين يدي الله، ورسوله. ومعناه: لا تقولوا قبل أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم. ويقال: معناه إذا أمرتم بأمر فلا تفعلوه قبل الوقت الذي أمرتم به. وقال الحسن: إن قوماً ذبحوا قبل أن يصلي النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبحوا آخر، فنزل {عَظِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ} وقال مسروق: كنا عند عائشة يوم الشك فأُتي بلبن، فناولتني، فقلت: إني صائم. فقالت عائشة رضي الله عنها: وقد نهي عن هذا. وقرأت هذه الآية وقالت هذه الآية نزلت في الصوم وغيره. وقال مقاتل: نزلت الآية في ثلاثة نفر، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية، وأمر عليهم المنذر بن عمرو. فخرج بنو عامر بن صعصعة عند بئر معونة، فرصدوهم على الطريق، وقتلوهم. فرجع ثلاثة

منهم، فلما دنوا إلى المدينة، خرج رجلان من بني سليم صلحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان أهداهما، وكساهما، فقالا: نحن من بني عامر، لأن بني عامر كانوا أقرب إلى المدينة، فقتلوهما، وأخذوا من ثيابهما، وجاؤوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل {عَظِيماً ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ الله وَرَسُولِهِ} يعني: لا تعجلوا بقتل، ولا بأمر، حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروي عن الحسن في رواية أخرى أنه قال: لا تعملوا بخلاف الكتاب والسنة.

ثم قال: {واتقوا الله} يعني: اخشوا الله عز وجل فيما يأمركم، وينهاكم، ولا تخالفوا أمر الله ورسوله.

وقوله: {إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يعني: سميع الدعاء، عليم بخلقه. ويقال: سميع لقول المستأمنين، عليم بنيات الذين قتلوهما. وفي الآية بيان رأفة الله عز وجل على عباده، حيث سماهم مؤمنين مع معصيتهم.

تفسير الآيات رقم [2- 3]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)}

فقال: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} ولم يقل: يا أيها الذين عصوا وقد ذكرنا من قبل أن النداء على ست مراتب، وهذا نداء مدح.

قوله عز وجل: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أصواتكم فَوْقَ صَوْتِ النبى} نزلت في وفد بني تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، وهم سبعون أو ثمانون، منهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعطارد بن الحجاب، وذلك حين قالوا: ائذن لشاعرنا، وخطيبنا في الكلام،

فعلت الأصوات، واللغط، فنزلت الآية {لاَ تَرْفَعُواْ أصـواتكم فَوْقَ صَـوْتِ النـبى} ويقـال: نـزلت في ثـابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، فكان إذا تكلم، رفع صوته.

ثم قال: {تَجْهَرُواْ لَهُ بالقول كَجَهْـرِ بَعْضِـكُمْ لِبَعْضٍ} يعـني: لا تدعوه باسمه، كمـا يـدعو الرجـل الرجـل منكم باسـمه، ولكن عظموه، ووقروه، وقولوا: يـا نـبي اللـه، ويـا رسـول الله.

ثم قال: {أَن تَحْبَـطَ أعمـالكم وَأَنتُمْ لاَ تَشْـعُرُونَ} أن ذلـك يحبطهـا. يعـني: إن فعلتم ذلـك، فتحبـط حسـناتكم. وقـال بعضهم: من عمل كبيرة من الكبائر حبـط جميـع مـا عمـل من الحسـنات واحتج بهـذه الآيـة: {أَن تَحْبَـطَ أعمـالكم} ولكن نحن نقـول: الكبـيرة لا تبطـل العمـل مـا لم يكفـر، وإنمـا ذكـر هاهنـا إبطـال العمـل، لأن في ذلـك اسـتخفافاً بالنبي صلى الله عليه وسلم. ومن قصد الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم كفر. فلمـا نـزلت هـذه الآيـة، دخـل ثابت بن قيس بيته، وجعل يبكي، ويقول: أنا من أهل النار. فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه، وقـال: «إنَّكَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ بَلْ غَيْـرُكَ مِنْ أهْـلِ النَّار». فقـال: يـا رسول اللـه لا أتكلم بعـد ذلـك إلا سـراً، أو مـا كـان يشـبه السر فنزل: {إِنَّ الذين يَغُضُّونَ أصواتهم عِندَ رَسُولِ الله} صلى الله عليه وسلم روى ثابت عن أنس قـال: لمـا نـزل {لاَ تَرْفَعُواْ أصواتكم} وكان ثابت بن قيس رفيـع الصـوت. فقال: أنا الـذي كنت أرفـع صـوتي، وحبـط عملي. أنـا من أهل النارِ. وجلس في بيته يبكي، ففقده رسول الله صـلى الله عليه وسلم، فأخبروه بما قال، فقال صـلى اللـه عليـه وسلم: «بَـلْ هُـوَ مِنْ أهْـلِ الجَنَّةِ». فقـال أنس: لكنـا نـراه يمشي بين أظهرنـا، ونحن نعلم أنـه من أهـل الجنـة. فلمـا كان يوم اليمامة، فكان فينا بعض الانكشـاف، فجـاء ثـابت بن قيس وقد تحنط، ولبس كفنه، فقال: بئس مـا تعـودون

أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل. ثم قال: {إِنَّ الـذين يَغُضُّـونَ أصـواتهم عِنـدَ رَسُـولِ اللـه} {أَوْلَئِكَ الـذين امتحن اللـه قُلُوبَهُمْ للتقوى} يعني: أخلص الله قلوبهم. ويقال: أصـفى الله عز وجل قلوبهم للتقـوى من المعصـية. يعـني: يجعـل قلـوبهم موضـعاً للتقـوى {لَهُم مَّغْفِـرَةٌ} لـذنوبهم {وَأَجْـرٌ عَظِيمٌ} أي: ثواب وافر في الجنة. يعني: يجعل ثوابهم في الدنيا أن يخلص قلوبهم للتقوى، وفي الآخرة أجر عظيم.

تفسير الآيات رقم [4- 8]

{إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُـونَ (4) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَـانَ خَيْـرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا إِنْ جَـاءَكُمْ فَاسِـقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُـوا أَنْ تُصِـيبُوا قَوْمًـا بِجَهَالَـةٍ فَتُصْـبِحُوا عَلَى مَـا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6) وَاعْلَمُـوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُـولَ اللَّهِ لَـوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْـرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَـانَ وَزَيَّنَـهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُـوقَ وَالْعِصْـيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (8)}

وقوله عز وجل: {إِنَّ الـذين يُنَادُونَـكَ مِن وَرَاء الحجـرات} فـالحجرات جمـع الحجـرة. يقـال: حجـرة وحجـرات، مثـل ظلمة وظلمات. وقرئ في الشاذ: الحجَرات بنصب الجيم. وقرأه العامة بالضم. ومعناهما: واحد. نزلت الآية في شأن نفر من بني تميم، وذلك أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم بعث أسامة بن زيد، فانتهى إلى قبيلة، وكانت تسمى بـــني العنبر، فأغـار عليهم، وسـبى زراريهم، فجـاء جماعـة منهم ليشتروا أسراهم، أو يفدوهم، فنادوه وكان وقت الظهيرة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في الحجرة. فنـادوه من وراء الحجرة، وكان لأزواج النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم حجرات. فلما خرج النبي كلموه في أمـر الـزراري، فقـال لواحـــد منهم: احكم. فقـــال: حكمت أن تخلي نصـــف

الأسارى، وتبيع النصف منا. ففعل النبي صلى الله عليه وسلم. فنزلت الآية {إِنَّ الذين يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الحجرات} {أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حتى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} لأنهم لو لم ينادوه، لكان يعتقهم كلهم. وروى معمر عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فناداه من وراء الحجرات، فقال: يا محمد إِنَّ مَدْحِي زَيْن، وإِن شَتْمِي شَيْن. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «وَيْلَكَ ذَلِّكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ». فَنَزل {إِنَّ الذين يُنَادُونَكَ} الآية.

ثم قال عز وجل: {والله غَفُورٌ} لمن تاب {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة.

قوله عز وجل: {رَّحِيمٌ ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن جَاءكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ} الآية. نزلت في الوليد بن عقبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق ليقبض الصدقات، فخرجوا إليه ليبجلوه، ويعظموه، فخشي منهم، لأنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية. فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خرجوا إِليَّ بأسلحتهم، ومنعوا مني الصدقات وأطرحوني وأرادوا قتلي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث لقتالهم، فجاؤوا إلى المدينة، وقالوا: يا رسول الله لما بلغنا قدوم رسولك، خرجنا نبجله، ونعظمه، فانصرف عنا، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فعل الوليد بن عقبة، فنزل {رَّحِيمٌ ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن جَاءكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ} يعني: بحديث كذب وبخبر كذب {فَتَبَيَّنُواْ} يعني: وتعرفوا ولا تعجلوا {ءانٍ} يعني: كيلا تصيبوا {تُصِيببُواْ قَوْمَا بِجَهَالَةٍ} وأنتم لا تعلمون بأمرهم {فَتُصْبِحُواْ} يعني: فتصيروا {على مَا فَعَلْتُمْ نادمين}. قرأ حمزة، والكسائي: فَتَثَبَّتُوا بالثاء. وقرأ الباقون: {فَتَبَيَّنُواْ} مثل ما في سورة النساء.

ثم قال للمؤمنين رضي الله عنهم: {واعلموا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ الله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مّنَ الامر} يعني: ما أمرتم به، لأن الناس كانوا قد حرضوه على إرسالهم لقتال بني المصطلق، {لَعَنِتُّمْ} يعني: لأثمتم.

وروى أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ. هذه الآية: {لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مّنَ الامر لَعَنِتُّمْ} يعني: هذا نبيكم، وخياركم {لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مّنَ الامر لَعَنِتُّمْ} فكيف بكم اليوم. ويقال: {لَعَنِتُّمْ} أي: لهلكتم. وأصله من عنت البعير إذا انكسرت رجله.

ثم ذكر لهم النعم فقال: {ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الايمان} يعني: جعل حب الإيمان في قلوبكم {وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ} يعني: حسنه للثواب الذي وعدكم. ويقال: دلكم عليه بالحجج القاطعة. ويقال: زينه في قلوبكم بتوفيقه إياكم لقبوله {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكفر والفسوق والعصيان} يعني: بغض إليكم المعاصي، والكفر لما بينه من العقوبة.

ثم قال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الرشدون} يعني: المهتدون. فذكر أول الآية على وجه المخاطبة، وآخر الآية بالمغايبة. ثم قال: {أُوْلَئِكَ هُمُ الرشدون} ليعلم أن جميع من كان حاله هكذا، فقد دخل في هذا المدح. وفي الآية دليل أن من كان مؤمناً، فإنه لا يحب الفسوق والمعصية، لأن الله تعالى قال: {وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكفر والفسوق والعصيان} والمؤمن إذا ابتلي بالمعصية، فإن شهوته وغفلته تحمله على ذلك، لا لحبه للمعصية. ثم قال: أي ذلك التحبيب والتبغيض {فَضْلاً مّنَ الله وَنِعْمَةً} يعني: كان الإيمان الذي حببه إليكم، والكفر الذي بغضه إليكم، كان {فَضْلاً مّنَ الله وَنِعْمَةً} يعني: رحمة {والله عَلِيمٌ} بخلقه {حَكِيمٌ} في أمره وقضائه.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (10) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11)}

قوله عز وجل: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الأنصار ليكلمهم في أمر من الأمور وهو على حماره، فبال الحمار وهو راكب عليه يكلم الأنصار. فقال عبد الله بن أبيّ المنافق: خل للناس سبيل الريح من نتن هذا الحمار، ثم قال: أف. وأمسك على أنفه فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قوله، فانصرف عبد الله بن رواحة. فقال: اتقوا هذا لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لبوله أطيب ريحاً منك. فاقتتلا فاجتمع قوم ابن رواحة وهم الأوس، وقوم عبد الله بن أبي وهم الخزرج، فكان بينهم ضرب النعال، والأيدي، والسعف، ورجع النبي صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم. فأنزل الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المؤمنين اقتتلوا فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا} بالعدل فكره بعضهم الصلح، فأنزل قوله: {فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا على الاخرى} يعني: استطالت فلم ترجع إلى الصُّلح {فقاتلوا التى تَبْغِى} يعني: تظلم {حتى تَفِىء إلى أَمْرِ الله} يعني: ترجع إلى ما أمر الله عز وجل. وروى أسباط عن السدي قال: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد، فأبغضت زوجها، وأرادت أن تلحق بأهلها،

وكان قـد جعلهـا في غرفـة لـه، وأمـر أهلـه أن يحفظوهـا، وخرج إلى حاجة له، فأرسـلت إلى أهلهـا، فجـاء نـاس من أهلها، وأرادوا أن يـذهبوا بهـا، فـاقتتلوا بالنعـال، والتلاطم. فنزل قوله تعـالى: {وَإِن طَآئِفَتَـانِ مِنَ المؤمـنين اقتتلـوا} الآية. ثم صارت الآية عامة في جميع المسلمين. إذا اقتتـل فريقان من المسلمين، وجب على المؤمـنين الإصـلاح بين الفريقين. فإن ظهر أن أحـد الفـريقين ظـالم، فإنـه يقاتـل ذلك الفريق حتى يرجع إلى حكم الله.

ثم قال: {فَإِن فَاءتْ} يعني: رجعت إلى الصلح {فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بالعدل} يعني: بـالحق {وَأَقْسِـطُواْ} يعـني: اعـدلوا بين الفــريقين، ولا تميلــوا {إِنَّ اللــه يُحِبُّ المقســطين} يعني: العادلين.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا المؤمنـون إِخْـوَةٌ} يعـني: كـالأخوة في التعاون لأنهم على دين واحد. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المُؤْمِنَ للمُؤْمِن كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعْضـاً» وَرُوي عنه أنه قـال: «المُؤْمِنُـونَ كَعُضْـوٍ وَاحِـدٍ إِذَا اشْـتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى سَائِر الأَعْضَاءِ إِلَى الحُمَّى وَالسَّهَرِ».

ثم قــال: {فَأَصْـلِحُواْ بَيْنَ أَخَـوَيْكُمْ} يعــني: الفــريقين من المؤمنين مثل الأوس والخـزرج. {فَأَصْـلِحُواْ بَيْنَ أَخَـوَيْكُمْ} قرأ ابن سيرين: إِخْوَانِكُم بالنون. وقرأ يعقوب الحضـرمي: بَيْنَ إِخْـوَتِكُمْ بالتــاء. يعــني: جمــع الأخ. وقــراءة العامــة {أَخَوَيْكُمْ} بالياء على تثنية الأخ. يعني: بين كل أخوين.

ثم قال: {واتقوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعـني: اخشـوا اللـه عز وجل، ولا تعصوه، لكي ترحموا، فلا تعذبوا.

قوله عز وجل: {تُرْحَمُونَ ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَـوْمٍ} يعــني: لا يســتهزئ الرجــل من أخيــه. وقــال بعضهم: الآية نزلت في ثابت بن قيس، حيث عيّر الـذي لم يوسع له في المكان، وقال بعضهم: الآية نـزلت في الـذين ينادونــــه من وراء الحجــــرات. اســــتهزؤوا من ضــــعفاء

المسلمين، {عسى أَن يَكُونُـواْ خَيْـراً مّنْهُمْ} يعـني: أفضـل منهم، وأكرم على الله تعالى {وَلاَ نِسَاء مّن نّسَاء} يعـني: لا تستهزئ امرأة من امرأة، وذلـك أن عائشـة رضـي اللـه عنها قالت: إن أم سلمة جميلة لـولا أنهـا قصـيرة {عسـى أَن يَكُنَّ خَيْراً مّنْهُنَّ} يعني: أفضـل. ثم صـارت الآيـة عامـة في الرجال والنساء، فلا يجوز أحد أن يسـخر من صـاحبه، أو من أحد من خلق الله تعالى. وقـال ابن مسـعود رضـي الله عنه: البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشـيت أن أكون مثله.

ثم قـال: {وَلاَ تَلْمِـزُواْ أَنفُسَـكُمْ} يعـني: لا يطعن بعضـكم بعضـاً. وقـال القتـبي: ولا تغتـابوا إخـوانكم من المسـلمين لأنهم كأنفسـكم كمـا قـال: {لـولا إِذْ سَـمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المؤمنـون والمؤمنـات بِأَنفُسِـهِمْ خَيْـراً وَقَـالُواْ هـاذآ إِفْـكٌ مُّبِينٌ} [النور: 12]. يعني: بأمثالهم.

ثم قال: {وَلاَ تَنَـابَزُواْ بالالقـاب} يعـني: لا تسـموا بـاللقب. وقال محمد بن كعب القرظي: هو الرجـل يكـون على دين من الأديان، فيسلم، فيدعونه بدينـه الأول: يـا يهـودي، ويـا نصراني. ويقال: لا تعيروا المسلم بالملة التي كـان عليهـا، ولا تسموه بغـير دين الإسـلام. وقـال أهـل اللغـة: الألقـاب والأنبـاز واحـد. ومنـه قيـل في الحـديث: «قـومٌ نَبْـزُهُمُ الرَّافِضَةُ» أي: لقبهم {وَلاَ تَنَابَزُواْ بالالقـاب} أي: لا تـداعوا بها. ويقال: هو اللقب الذي يكرهه الرجل. يعني: أنه ينبغي للمؤمن أن يخاطب أخاه بأحب الأسماء إليه. وقرأ بعضـهم {وَلاَ تَلْمِزُواْ} بضم الميم. وقـراءة العامـة: بالكسـر، وهمـا لغتان. يقال: لمز فلان فلاناً، يلمز ويلمـزه إذا عابـه. وذكـر في التفسير أن الآية نزلت في مالك بن أبي مالـك، وعبـد الله بن أبي حدرد، وذلك أن أبا مالك كـان على المقاسـم. فقال لعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي: يا أعرابي. فقال له عبد الله: يا يهودي. فأمرهما رسول اللـه صـلى اللـه عليـه

وسلم أن يدخلا عليه، حتى تظهر توبتهما، فنزل {بِئْسَ الاسم الفسوق بَعْدَ الايمان} يعني: بئس التسمية لإخوانكم بالكفر وهم مؤمنون {وَمَن لَّمْ يَتُبْ} من قوله {فَأوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} فأوثقا أنفسهما حتى قبلت توبتهما.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 14]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)}

قوله عز وجل: {الظالمون ياأيها الذين ءامَنُواْ اجتنبوا كَثِيراً مّنَ الظن} يعني: لا تحققوا الظن {إِنَّ بَعْضَ الظن إِثْمٌ} يعني: معصية أي: إنَّ ظن السوء بالمسلم معصية. وقال سفيان الثوري: الظن ظنان. ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه. فالظن الذي فيه إثم، أن يظن ويتكلم به. وأما الظن الذي لا إثم فيه، فهو أن يظن، ولا يتكلم به، لأنه قال: {إِنَّ بَعْضَ الظن إِثْمٌ} ولم يقل: جميع الظن إثم.

ثم قال: {وَلاَ تَجَسَّسُواْ} يعني: لا تطلبوا، ولا تبحثوا عن عيب أخيكم {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً} روى أسباط عن السدي قال: كان سلمان الفارسي في سفر مع ناس فيهم عمر، فنزلوا منزلاً، فضربوا خيامهم، وصنعوا طعامهم، ونام سلمان، فقال بعض القوم لبعض: ما يريد هذا العبد إلا أن يجد خياماً مضروبة، وطعاماً مصنوعاً، فلما استيقظ سلمان، قالوا له: انطلق إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم، والتمس لنا إداماً نأتدم بـه. فـأتى رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليـه السـلام: «أَخْبِـرْهُمْ أَنَّهُمْ قَدِ ائْتَدَمُوا». فأخبرهم. فقـالوا: مـا طعمنـا بعـد، ومـا كذب رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. فـأتوه، فقـال: «ائْتَدَمْتُمْ مِنْ صَـاحِبِكُمْ، حِينَ قُلْتُمْ مَـا قُلْتُمْ وَهُـوَ نَـائِمٌ» ثم قـرأ: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُـكُم بَعْضـاً} {أَيُحِبُّ أَحَـدُكُمْ أَن يَأْكُـلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ} يعني: فكما تكرهون أكل لحمـه ميتاً، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء وهو غائب. ويقـال: كـان سلمان في سـفر مـع أبي بكـر وعمـر رضـي اللـه عنهمـا، وكان يطبخ لهما، فنزلوا منزلاً، فلم يجد ما يصـلح لهم أمـر الطعام، فبعثاه إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم لينظـر عنده شيئاً من الطعام، فقـال أسـامة: لم يبـق عنـد النـبي صلى الله عليـه وسـلم شـيء من الطعـام، فرجـع إليهمـا، فقالا: إنه لو ذهب إلى بئر كذا، ليبس ماؤهـا، فـنزلت هـذه الآية. ويقال: نزلت في شأن زيد بن ثابت، وذلـك أن نفـراً ذكـروا فيـه شـيئاً، فـنزل: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُـكُم بَعْضـاً} قـرأ نافع: مَيِّتاً بتشديد الياء، والخفض. والباقون بـالجزم. وقـال أهل اللغة: الميت. والميت واحد مثل ضـيق وضـيّق، وهين وهيّن، ولين وليّن.

ثم قال: {واتقـوا اللـه} في الغيبـة، وتوبـوا إليـه {إِنَّ اللـه تَوَّابٌ} يعني: قابل التوبة {رَّحِيمٌ} بهم بعد التوبة.

قوله تعالى: {يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا الناس} قـال مقاتـل: وذلـك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، أمر بلالاً ليـؤذن. فقال الحارث بن هشام. أما وجد رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم غير هذا الغراب. يعـني: بلال. فـنزل {يُـذْهِبْكُمْ أَيُّهَـا النـاس} {إِنَّا خلقنـاكم مّن ذَكَـرٍ وأنـثى} يعـني: آدم وحواء {وجعلناكم شُـعُوباً وَقَبَائِلَ} يعـني: رؤوس القبائـل، مثل مضر، وربيعة {وَقَبَائِلَ} يعني: الأفخاذ مثل بني سعد، وبني عامر.

{لتعارفوا} في النسب {إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عَنـدَ اللـه أتقـاكم} يعـني: وإن كـان عبـداً حبشـياً أسـود مثـل بلال. وقـال في روايـة الكلـبي: نـزلت في ثـابت بن قيس، كـان في أذنيـه ثقل، وكان يدنو من رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ليسمع كلامه فأبطأ يوماً واحداً وقد أخذ النـاس مجالسـهم فجاء فتخطى رقابهم حتى جلس قريباً من النبي صلى الله عليه وسلم. فقال رجل من القوم: هذا يتخطى رقابنا، فلم لا يجلس حيث وجد المكان؟ فقال ثابت: من هذا؟ فقـالوا: فلان. فقال ثابت: يا ابن فلانة، وكـان يعيّـر بأمـه، فخجـل. فنزلت هذه الآية. فقال النبي صلى الله عليه وسـلم: «مَنْ عَيَّرَ فُلاناً بِأُمِّهِ» فقال ثابت بن قيس: أنا قـد ذكـرت شـيئاً. فقرأ هذه الآية عليه، فاستغفر ثابت. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال: القبائـل، والأفخـاذ: الصغار، والشعوب: الجمهور مثـل مضـر. وقـال الضـحاك: الشعوب: الأفخاذ الصغار، والقبائـل مثـل بـني تميم، وبـني أسـد. وقـال القتـبي: الشـعوب أكـثر من القبيلـة. وقـال الزجــاج: الشــعب أعظم من القبيلـــة، ومعنـــاه: إني لم أخلقكم شـعوباً وقبائـل لتتفـاخروا، وإنمـا خلقنـاكم كـذلك لتعارفوا. روي عن النبي صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَـةِ، يقـولُ الله عَـزَّ وَجَـلَّ: إِنَّكُمْ جَعَلْتُمْ لأَنْفُسِـكُمْ نَسَـباً، وَجَعَلْتُ لِنَفْسِـي نَسَـباً، فَـرفَعْتُم نَسَـبَكُم، وَوَضَعْتُمْ نَسَبِي، فَالْيَوْمَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَـبَكُم. يعـني: قلت: {إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عَنـدَ اللـه أتقـاكم} وقلتم: أنتم فلان وفلان».

ثم قـال: {إِنَّ اللـه عَلِيمٌ} بأتقيـائكم {خَبِـيرٌ} بافتخـاركم {قَـالَتِ الاعـراب ءامَنَّا} قـال ابن عبـاس: نـزلت في بـني أسد، قدموا على رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم في قحــط أصــابهم، فجــاؤوا بأهــاليهم، وذراريهم، يطلبــون الصـدقة، وأظهـروا الإسـلام، وقـالوا: يـا رسـول اللـه نحن

أسلمنا طوعاً، وقدمنا بأهالينا، فأعطنا من الغنيمة أكثر مما تعطي غيرنا. ويقال: كانت قبيلتان جهينة، ومزينة، قدموا بأهاليهم. فنزلت الآية {قَالَتِ الاعراب ءامَنَّا} يعني: صدقنا {قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ} يعني: لم تصدقوا في السر، كما صدقتم في العلانية {ولكن قُولُواْ أَسْلَمْنَا} يعني: دخلنا في الانقياد، والخضوع. ويقال: استسلمنا مخافة القتل والسبي {وَلَمَّا يَدْخُلِ الايمان فِى قُلُوبِكُمْ} يعني: التصديق. ويقال: لم يدخل حب الإيمان في قلوبكم {وَإِن تُطِيعُواْ اللهه وَرَسُولَهُ} في السر، كما تطيعونه في العلانية {لاَ يَلِتْكُمْ مّنْ أعمالكم شَيْئاً} يعني: لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً. قرأ أبو عمرو: {لا} بالألف والهمز. والباقون: {وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ} بغير ألف ولا همز. ومعناهما واحد يقال: لاته يلته وألته يألته إذا نقص حقه {إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لو صدقوا بقلوبهم، ثم بيّن الله عز وجل لهم من المصدق.

تفسير الآيات رقم [15- 18]

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (16) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (17) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)}

فقال عز وجل: {إِنَّمَا المؤمنون} يعني: المصدقون في إيمانهم {الذين ءامَنُواْ بالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ} يعني: لم يشكوا في إيمانهم {وجاهدوا} الأعداء {بِأموالهم وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ الله} أي: في طاعة الله {أُوْلَئِكَ هُمُ الصادقون} في إيمانهم. فلما نزلت هذه الآية، أتوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فحلفوا بالله أنهم لمصدقوه في السر، فنزل: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ الله بِدِينِكُمْ} الذي أنتم عليه {والله يَعْلَمُ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} يعني: سر أهل السموات، وسر أهل الأرض {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} أي: يعلم ما في قلوبكم من التصديق وغيره.

قوله عز وجل: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ} يعني: بقولهم جئناك بأهالينا، وأولادنا {قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَىَّ إسلامكم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ للايمان} يعني: وفقكم للإيمان {إِن كُنتُمْ} بأنكم مخلصون في السر، والعلانية.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السموات والارض} يعني: سر أهل السموات، وسر أهل الأرض. {والله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} قرأ ابن كثير، وعاصم، في رواية إبان {يَعْمَلُونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة. أي: بصير بما يعملون من التصديق وغيره، والخير، والشر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

سورة ق

تفسير الآية رقم [1]

{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (1)}

قوله تبارك وتعالى: {ق} قال قتادة: هو اسم من أسماء الله تعالى، كقوله: قادر، وقاهر. ويقال: هو اسم من أسماء القرآن. وقال مجاهد: هو افتتاح السورة. وقال بعضهم: {ق} يعني: قضي الأمر كما قال في {حم} حم الأمر، والدليل عليه قول الشاعر

فقلت لها قفي قالت قاف *** يعني: وقفت فذكر القاف، وأراد به تمام الكلام. وقال ابن عباس: هو جبل من زمردة خضراء، محيط بالعالم، فخضرة السماء منها، وهي من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من وراءه، والحجاب دون {ق} بمسيرة سنة، وما بينهما ظلمة، وأطراف السماء ملتصقة بها. ويقال: خضرة السماء من ذلك الجبل. ويقال: {ق} يعني: إن الله عز وجل قائم بالقسط. ثم قال: {ق والقرءان} يعني: الشريف. وقال الضحاك: هو جبل محدق بالدنيا، من زبرجدة خضراء، وخضرة السماء منها، ليس في الأرض بلدة من البلدان، ولا مدينة من المدائن، ولا قرية من القرى، إلا وفيها عرق من عروقها، وملك موكل عليها، واضع كفه بها. فإذا أراد الله عز وجل بقوم هلاكهم، أوحى الله عز وجل إلى ذلك الملك، فحرك منها عرقاً، فخسف بهم، فأقسم الله عز وجل بقاف {ق والقرءان} يعني: الشريف، إنكم لمبعوثون يوم القيامة، لأن أهل مكة أنكروا البعث، فصار جواب القسم مضمراً فيه، وهو ما ذكرناه إنكم مبعوثون. ويجوز أن يكون جواب القسم {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الارض

مِنْهُمْ وَعِنـدَنَا كتـاب حَفِيـظٌ} [ق: 4] فيكـون معنـاه: {ق والقـرءان المجيـد} لقـد علمنـا مـا تنقص الأرض، فحـذف اللام، لأن مـا قبلهـا عـوض عنهـا كمـا قـال {قَـدْ أَفْلَحَ مَن زكاها} [الشمس: 9] يعني: لقد أفلح. وقـال القتـبي: هـذا من الاختصار، فكأنه قال: {ق والقرءان المجيد} لتبعثن.

تفسير الآيات رقم [2- 11]

{بَـلْ عَجِبُـوا أَنْ جَـاءَهُمْ مُنْـذِرٌ مِنْهُمْ فَقَـالَ الْكَـافِرُونَ هَـذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْـدَنَا كِتَـابٌ حَفِيـظٌ (4) بَـلْ كَـذَّبُوا بِـالْحَقِّ لَمَّا جَـاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْـرٍ مَـرِيجٍ (5) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَـا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْـرَى لِكُـلِّ عَبْـدٍ مُنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْـلَ بَاسِـقَاتٍ لَهَـا طَلْـعٌ نَضِـيدٌ (10) رِزْقًـا لِلْعِبَـادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)}

قوله عز وجل: {بَلْ عَجِبُواْ أَن جَاءهُمْ مُّنـذِرٌ مّنْهُمْ} يعـني: من أهل مكة {فَقَالَ الكـافرون هـذا شَـئ عَجِيبٌ} يعـني: أمر عجيب أن يكون محمد رسولاً، وهو من نسبهم.

قوله تعالى: {أَءذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً} بعد الموت، نجدد بعدما متنا، نصير خلقاً جديداً، {ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ} يعـني: رد طويـل لا يكون أبداً. ويقال: رجع يرجع رجعاً إذا رجعه غيره، ورجع يرجع رجوعـاً إذا رجـع بنفسـه، كقولـه: صـد يصـد صـدوداً، وصد يصد صداً، {ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ} أي: ذلك صرف بعيد.

قوله تعالى: {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الارض مِنْهُمْ} يعـني: مـا تأكـل الأرض من لحـومهم، وعـروقهم، ومـا بقي منهم، ويقال: تأكل الأرض جميع البـدن إلا العصـعص، وهـو عجب

الـذنب، وذلـك العظم آخـر مـا يبقى من البـدن. فـأول مـا يعود، ذلك العظم ويركب عليه سائر البدن {وَعِنـدَنَا كتـاب حَفِيظٌ} يعني: اللوح المحفوظ.

قوله عز وجل: {بَلْ كَذَّبُواْ بالحق} يعـني: كـذبوا بـالقرآن، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، والبعث. {لَمَّا جَاءهُمْ} أي: حين جاءهم {فَهُمُ} يعني: قريش {فِى أَمْرٍ مَّرِيجٍ} يعــني: في قـول مختلـف، ملتبس. المـريج أن يقلـق الشـيء فلا يستقر. ويقال: مرج الخاتم في يدي مرجاً إذا قلق للهزال. وروى عبد الرزاق، عن معمـر، عن قتـادة قـال: {فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَّرِيجٍ} أي: من ترك الحق. يقال: من ترك الحق أمرج عليه رأيه، والتبس عليه دينه.

ثم دلهم على قدرته على بعثهم بعد المـوت بعظيم خلقـه، الذي يدل على وحدانيته فقال: {أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السـماء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بنيناها} بغير عمد {وزيناها} بـالكواكب {وَمَـا لَهَا مِن فُرُوجٍ} يعني: شقوق، وصدوع، وخلل.

قوله تعـالى: {والارض مـددناها} يعـني: بسـطناها مسـير خمسمائة عـام من تحت الكعبـة، {وَأَلْقَيْنَـا فِيهَـا رواسـي} يعني: الجبال الثوابت.

قوله: {وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} يعـني: حسـن طيب من الثمار، والنبات.

قولـه تعـالى: {تَبْصِـرَةً} يعـني: في هـذا الـذي ذكـره من خلقه، {تَبْصِرَةً} لتبصـروا بـه. ويقـال: عـبرة. {وذكـرى} يعـني: تفكـراً، وعظـة. {لِّكُـلِّ عَبْـدٍ مُّنِيبٍ} يعـني: مخلص بالتوحيد. ويقال: راجع إلى ربه.

قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السماء مَاء مباركا} يعني: المطر فيه البركة حيـاة لكـل شـيء، {فَأَنبَتْنَـا بِـهِ جنـات} يعـني: البساتين {وَحَبَّ الحصيد} يعني: حين ما يخرج من سنبله. ويقال: ما يحصد، وما لا يحصد، كل ما كان له حب. ويقال: هي الحبوب التي تحصد.

قوله عز وجل: {والنخل باسقات} يعني: أطوال {لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ} يعني: الكفري نضيد. يعني: مجتمع. يقال: نضد بعضه على بعض.
ويقال: ثمر منضود إذا كان متراكباً بعضه على بعض.
ويقال: إنما يسمى نضيداً ما كان في الغلاف {رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ} يعني: جعلناه طعاماً للخلق. يعني: الحبوب، والثمر. {وَأَحْيَيْنَا بِهِ} يعني: بالماء {بَلْدَةً مَّيْتاً} إذا لم يكن فيها نبات، فهذا كله صفات بركة المطر.
ثم قال: {كذلك الخروج} يعني: هكذا الخروج من القبر. كما أحييت الأرض الميتة بالنبات، فكذلك لما ماتوا، وبقيت الأرض خالية، أمطرت السماء أربعين ليلة كمني الرجل، فدخل في الأرض، فتنبت لحومهم، وعروقهم، وعظامهم من ذلك، ثم يحييهم. فذلك قوله: {كذلك الخروج}. ثم عزى النبي صلى الله عليه وسلم ليصبر على إيذاء الكفار. يعني: لا تحزن بتكذيب الكفار إياك، لأنك لست بأول نبي، وكل أمة كذبت رسلها، مثل نوح، وهود عليهم السلام وغيرهم فقال عز وجل:

تفسير الآيات رقم [12- 22]

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (13) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (19) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)}

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَـوْم نُـوحٍ وَأَصْـحَابُ الـرَّسِّ} والـرسّ: بـئر دون اليمامة، وإن عليها قوماً كذبوا رسلهم، فأهلكهم اللــه تعالى {وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وإخوان لُـوطٍ} يعـني: قومـه {وَثَمُودُ وَقَوْمُ} يعني: قوم شعيب {وَقَوْمُ تُبَّعٍ} يعني: قوم حمير. ويقال: تبع كان اسم ملك. وروى وكيـع عن عمـران بن جرير، عن أبي مجلز قال: جاء عبد الله بن عبــاس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن تبع، فقال: كان تبع رجلاً من العـرب، ظهـر على النـاس، وسـبا على فتيـة من الأحبـار. فكان يحدثهم، ويحدثونه. فقال قومه: إن تبعاً تــرك دينكم، وتابع الفتية. فقال: تبع للفتية: ألا ترون إلى ما قال هـؤلاء. فقالوا: بيننا وبينهم النار التي تحـرق الكـاذب، وينجـو منهـا الصـادق. قـال: نعم. فقـال تبـع للفتيـة: ادخلـوه، فتقلـدوا مصاحفهم. ثم دخلوهـا، فـانفرجت لهم حـتى قطعوهـا. ثم قال لقومه: ادخلوها. فلما دخلـوا، وجـدوا حـر النـار كفـوا. فقال لهم: لتدخلنها، فدخلوها. فلما توسطوا، أحـاطت بهم النار، فأحرقتهم، وأسلم تبع وكان رجلاً صالحاً. ويقال: كان اسمه سعد بن ملكي كرب، وكنيته: أبو كرب.

{كُـلٌّ كَـذَّبَ الرسـل} يعـني: جميـع هـؤلاء كـذبوا رسـلهم {فَحَقَّ وَعِيدِ} يعني: وجب عليهم عذابي. معنـاه: فاحـذروا يا أهل مكة مثـل عـذاب الأمم الخاليـة، فلا تكـذبوا رسـول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قـال عـز وجـل: {أَفَعَيِينَـا بـالخلق الاول} قـال مقاتـل: يعني: أعجزنا عن الخلق الأول حين خلقنـاهم، ولم يكونــوا شـيئاً. فكـذلك نخلقهم، ونبعثهم. أي: مـا عيينـا عن ذلـك، فكيف نعيي عن بعثهم. ويقال: معنـاه أعيينـا خلقهم الأول، ولم يكونوا شيئاً، لأن الذي قد كان، فإعادته أيسر في رأي العين من الابتداء. يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهــه. وقال الزجاج: هذا تقرير تقرر، لأنهم اعـترفوا في الابتـداء، أن الله عز وجل خلقهم، ولم يكونوا شيئاً.

ثم قـال: {بَـلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مّنْ خَلْـقٍ جَدِيـدٍ} يعـني: في شك من البعث بعد الموت. ويقال: بل أقاموا على شكهم.
قولـه عـز وجـل: {وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإنسـان} يعـني: جنس الإنسـان، وأراد بـه جميـع الخلـق {وَنَعْلَمُ مَـا تُوَسْـوِسُ بِـهِ نَفْسُهُ} يعني: ما يحدث به قلبه، ويتفكـر في قلبـه {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوريد} يعني: في القدرة عليه، وحبل الوريد عرق يخالط القلب. ويقال: هو العـرق الـذي داخـل العنق الذي هو عرق الروح، فأعلمه الله تعالى أنـه أقـرب إليه من ذلك العرق. ويقال: الوريدان عرقان بين الحلقوم، والعلباوين. والحبل هو الوريد. وأضيف إلى نفسـه لاختلاف لفظي اسميه.
قوله عز وجل: {إِذْ يَتَلَقَّى المتلقيان} يعني: يكتب الملكان عمله، ومنطقه. يعني: يتلقيان منه ويكتبان.
وقال أهل اللغة تلقى، وتلقف، بمعـنى واحـد. {عَنِ اليمين وَعَنِ الشمال قَعِيدٌ} يعني: عن يمين ابن آدم، وعن شماله قاعدان. أحدهما عن يمينـه، والآخـر عن شـماله، وصـاحب اليمين موكل على صاحب الشـمال، اثنـان بالليـل، واثنـان بالنهــار، وكــان في الأصــل قعيــدان، ولكن اكتفى بــذكر أحدهما فقال: قعيد.
ثم قال عز وجل: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ} يعني: ما يتكلم ابن آدم بقولٍ {إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} يعني: عنده حافظ حاضر. وقال الزجاج: {عَتِيدٌ} أي: ثابت، لازم.
قوله تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقّ} يعني: جـاءت غمرتـه بـالحق أنـه كـائن. ويقـال: جـاءت نزعـات المـوت بالحق. يعني: بالسعادة، والشـقاوة. يعـني: يتـبين لـه عنـد الموت. ويقال: فيه تقـديم، ومعنـاه: جـاءت سـكرة الحـق بالموت. روي عن أبي بكر الصديق، أنه كان يقرأ {وَجَاءتْ سَكْرَةُ * الحق} {بِالْحَقّ ذَلِـكَ مَـا كُنتَ مِنْـهُ تَحِيـدُ} يعـني:

يقال له: هذا الذي كنت تخاف منه، وتكره. ويقال: ذلك اليوم الذي كنت تفر منه.
{وَنُفِخَ فِى الصور} يعني: النفخة الأخيرة وهي نفخة البعث {ذَلِكَ يَوْمَ الوعيد} يعني: العذاب في الآخرة {وَجَاءتْ} أي: جاءت يوم القيامة {كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} سائق يسوقها إلى المحشر، ويسوقها إلى الجنة، أو إلى النار. {وَشَهِيدٌ} يعني: الملك يشهد عليها. وقال القتبي: السائق هاهنا، قرينها من الشياطين، يسوقها. سمي سائقاً، لأنه يتبعها، والشهيد: الملك. ويقال: الشاهد أعضاؤه. ويقال: الليل، والنهار، والبقعة، تشهد عليه.
ويقال له: {لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مّنْ هذا} يعني: من هذا اليوم، فلم تؤمن به، وقد ظهر عندك بالمعاينة {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ} يعني: غطاء الآخرة. ويقال: أريناك ما كان مستوراً عنك في الدنيا. ويقال: أريناك الغطاء الذي على أبصارهم، كما قال: {غَفْلَةٍ مّنْ هذا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ} أي: نافذ. ويقال: شاخص بصره لا يطرف، يديم النظر حين يعاين في الآخرة، ما كان مكذباً به. ويقال: {حَدِيدٍ} أي: حاد كما يقال: {حَفِيظٌ} يعني: حافظ، وقعيد بمعنى قاعد. وقال الزجاج: هذا مثل. ومعناه: إنك كنت بمنزلة من عليه غطاء {فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ} يعني: علمك بما أنت فيه نافذ.

تفسير الآيات رقم [23- 30]

{وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (28) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (29) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (30)}

قوله عز وجل: {وَقَالَ قَرِينُهُ} يعني: ملكه الذي كان يكتب عمله {هذا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ} يعني: هذا الذي وكلتني به قد أتيتك به، وهو حاضر يقول الله عز وجل {أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ} يعني: يقول للملكين ألقيا في جهنم {كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ} وقال بعضهم هذا أمر للملك الواحد بلفظ الاثنين، وقال الفراء: يرى أصل هذا أن الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى أن الشعراء أكثر شيء: قيلاً يا صاحبي، ويا خليلي، قال الشاعر: فقلت لصاحبي لا تحبساني، وأدنى ما يكون الأمر والنهي في الإعراب اثنان، فجرى كلامهم على ذلك ومثل هذا قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ويقال: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ، على معنى تكرير الأمر، يعني: ألق ألق، وهو على معنى التأكيد، وكذلك في قوله: قفا، معناه قف قف.

وقال الزجاج: عندي أن قوله أَلْقِيَا أَمر للملكين، وقال بعضهم: الأمر للواحد بلفظ الاثنين واقع في إطلاق العرب، وكان الحجاج يقول: يا حرسي اضربا عنقه {كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}، يعني: كل جاحد بتوحيد الله تعالى معرض عن الإيمان، وقال مقاتل: يعني الوليد بن المغيرة. ويقال هذا في جميع الكفار الذين ذكر صفتهم في هذه الآية، وهي قوله: {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ} يعني بخيلاً لا يخرج حق الله من ماله، ويقال: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» يعني يمتنع عن الإسلام {مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ} المعتدي هو الظلوم الغشوم، والمريب الشاك في توحيد الله تعالى قوله تعالى: {الذى جَعَلَ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} يعني: أشرك بالله عز وجل {فألقياه فِى العذاب الشديد} يعني: في النار {قَالَ قرِينُهُ} يعني: شيطانه {رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ} يعني: لم يكن لي قوة أن أضله {ولكن كَانَ فِى ضلال بَعِيدٍ} يعني: في خطأ طويل بعيد عن

الحــق، يقــول اللــه تعــالى لابن آدم وشــيطانه {قَــالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} أي لا تختصموا عنـدي {وَقَـدْ قَـدَّمْتُ إِلَيْكُم بالوعيد} يعني: أخـذت عليكم الحجـة، وأخـبرتكم بالكتـاب والرسول {مَا يُبَـدَّلُ القـول لَـدَىَّ} يعـني: لا يغـير قضـائي وحكمي الذي حكمت، ويقـال: لا يكـذب وعيـدي {وَمَـا أَنَـاْ بظلام لِّلْعَبِيدِ} يعني: لا أعذب أحـداً بغـير ذنب، ويقـال: مَـا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، يعني: لا يغير عن جهته، ولا يحـذف منـه، ولا يزاد فيـه، لأني أعلم كيـف ضـلوا، وكيـف أضـللتموهم، وروى سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليـه وسـلم أنـه قال: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ وُكِّلَ بِهِ قَرِيُنُه مِنَ الجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ المَلائِكَةِ " قالوا: وإياك يا رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم»؟ قال:

«وَإِيَّايْ وَلَكِنَّ اللــه عَــزَّ وَجَــلَّ أعَــانَنِي عَلَيْــهِ فَأَسْـلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِي إلاَّ بِخَيرٍ» وعن الربيـع، عن أنس، قـال: سـألت أبـا العالية عن قوله عز وجل: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القيامة عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: 31] وهاهنا يقول: {لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ} فقــال: لا تختصــموا لــدي في أهــل النــار، والأخــرى في المؤمنين في المظالم، فيما بينهم، وقال مجاهد: {مَا يُبَدَّلُ القـول لَـدَىَّ وَمَـآ أَنَـاْ بظلام لِّلْعَبِيـدِ} [ق: 29] يعـني: لقـد قضيت ما أنا قاض قوله عز وجل: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ} قرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر {يِقُولُ} بِاليَاء يعني: يقول الله تعالى، قرأ البـاقون بـالنون، ومعنـاه كـذلك يـوم صـار نصباً على معنى مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ في ذلك اليوم، ويقال على معنى أنذرهم يوم، كقوله: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحسـرة إِذْ قُضِىَ الامر وَهُمْ فِى غَفْلَـةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُـونَ} [مـريم: 39] ثم قال {هَلِ امتلات} يعني: هل أوفيتك مـا وعـدتك، وهـو قوله لأملأن جَهَنَّمَ {فَتَقُولُ} النار {هَـلْ مِن مَّزِيـدٍ} يعـني: هل من زيادة وقال عطية: هـل من موضـع، ويقـال معنـاه هـل امتلأت، أي قـد امتلأت، فليس من مزيـد، ويقـال: أنـا

طلبت الزيـادة تغيظـاً لمن فيهـا، وروى وكيـع بإسـناده عن أبي هريرة قال: «لا تَزَالُ جَهَنَّمَ تَسَـأَل الزِّيَـادَة حـتى يضـع الله فيها قدمه فَتَقُولُ جَهَنَّمَ يَـا رَبَّ قـط قـط» أي حسـبي حسبي، وقال في روايـة الكلـبي نحـو هـذا، ويقـال تضـيق بأهلهـا حـتى لا يكـون فيهـا مـدخل لرجـل واحـد. قـال أبـو الليث: قد تكلم الناس في مثـل هـذا الخـبر قـال بعضـهم: نؤمن به ولا نفسره، وقـال بعضـهم: نفسـره على مـا جـاء بظاهر لفظه، وتأولـه بعضـهم وقـال: معـنى الخـبر بكسـر القاف يضع قدمه وهم أقوام سالفة فتمتلئ بذلك.

تفسير الآيات رقم [31- 36]

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْـرَ بَعِيـدٍ (31) هَـذَا مَـا تُوعَـدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِـيَ الـرَّحْمَنَ بِـالْغَيْبِ وَجَـاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَـلَامٍ ذَلِـكَ يَـوْمُ الْخُلُـودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَـدَيْنَا مَزِيـدٌ (35) وَكَمْ أَهْلَكْنَـا قَبْلَهُمْ مِنْ قَـرْنٍ هُمْ أَشَـدُّ مِنْهُمْ بَطْشًـا فَنَقَّبُـوا فِي الْبِلَادِ هَـلْ مِنْ مَحِيصٍ (36)}

قولـه عـز وجـل: {وَأُزْلِفَتِ الجنـة} يعـني: قـربت وأدنيت الجنـة {لِّلْمُتَّقِينَ} الـذين يتقـون الشـرك والكبـائر، ويقـال زينت الجنة.

ثم قال عز وجل: {غَيْرَ بَعِيـدٍ} يعـني: ينظـرون إليهـا قبـل دخولها، ويقال غَيْرَ بَعِيدٍ، يعني: دخـولهم غـير بعيـد، فيقـال لهم {هذا مَا تُوعَدُونَ} في الدنيا {لِكُـلّ أَوَّابٍ حَفِيـظٍ} أي مقبل إلى طاعة الله، حفيظ لأمر الله تعالى في الخلـوات وغيرهـا، ويقـال: الأواب الحفيـظ الـذي إذا ذكـر خطايـاه استغفر منها، وروى مجاهـد عن عبيـد بن عمـير مثـل هـذا قوله عز وجل: {مَّنْ خَشِيَ الرحمن بالغيب} يعني: يخـاف الله عز وجل، فيعمل بما أمره الله، وانتهى عما نهاه، وهو في غيب منه {وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} يعـني: مقبلاً إلى طاعـة الله مخلصـاً ويقـال لهم: {ادخلوهـا بِسَـلامٍ} ذكـر في أول

الآية بلفظ الواحدان، وهو قوله وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ، ثم ذكر بلفظ الجماعة وهو قوله: {ادخلوها} لأن لفظه من اسم جنس، يقع على الواحد، وعلى الجماعة، مرة تكون عبارة عن الجماعة، ومرة تكون عن الواحدان {ادخلوها بِسَلامٍ} يعني: بسلامة من العذاب والموت والأمراض والآفات {ذَلِكَ يَوْمُ الخلود} أي لا خروج منه قوله عز وجل: {لَهُمْ مَّا يَشَآءونَ فِيهَا} يعني: يتمنون فيها {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} يعني: زيادة على ما يتمنون من التحف والكرامات، ويقال هو الرؤية وكقوله: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الحسنى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أولئك أصحاب الجنة هُمْ فِيهَا خالدون} [يونس: 26] ثم قال عز وجل: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ} يعني: قبل أهل مكة {هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً} يعني: أشد من أهل مكة {فَنَقَّبُواْ فِى البلاد} يعني: طافوا وتقلبوا في أسفارهم وتجاراتهم، ويقال: تغربوا في البلاد {هَلْ مِن مَّحِيصٍ} يعني: هل من فرار، وهل من ملجأ من عذاب الله.

▲ تفسير الآيات رقم [37- 45]

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37) وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (38) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ (40) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (41) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (43) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (45)}

قوله عز وجل: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لذكرى} يعني: فيما صنع لقومك {لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ} يعني: عقل لأنه يعقل بالقلب فكني عنه {أَوْ أَلْقَى السمع} يعني: استمع إلى القرآن {وَهُوَ شَهِيدٌ} يعني: قلبه حاضر غير غائب عنه، وقال القتبي: وهو شهيد، يعني: استمع كتاب الله، وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل، ولا ساه، وروى معمر عن قتادة قال: لمن كان له قلب من هذه الأمة، أو ألقى السمع. قال رجل من أهل الكتاب: استمع إلى القرآن، وهو شهيد على ما في يديه من كتاب الله تعالى، وروي عن عمر أنه قرأ: {فَنَقَّبُواْ} بالتخفيف، يعني: فتبينوا ونظروا وذكروا، ومنه قيل للعريف نقيب القوم، لأنه يتعرف أمرهم، ويبحث عنهم.

وقرأ يحيى بن يعمر {فَنَقَّبُواْ} بضم النون، وكسر القاف، يعني: تبينوا، وقرأ الباقون بالتشديد يعني: طوفوا، وقوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُواْ فِى البلاد هَلْ مِن مَّحِيصٍ} [ق: 36] يعني: هل من ملجأ من الموت، قوله عز وجل: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السموات والارض} وذلك أن اليهود قالوا: لما خلق الله السموات والأرض وفرغ منهما، استراح في يوم السبت فنزل قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السموات والارض وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} يعني: ما أصابنا من إعياء، وإنما يستريح من يعيى.

قوله عز وجل: {فاصبر على مَا يَقُولُونَ} من المنكر، وهو قولهم: استراح، ويقال: فاصبر على ما يقولون من التكذيب، وقال في رواية الكلبي: نزلت في المستهزئين من قريش، وفي أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم {وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشمس وَقَبْلَ الغروب} يعني: صل لربك صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر {وَمِنَ اليل} يعني: المغرب والعشاء {فَسَبّحْهُ} يعني:

صل له وهو المغرب والعشاء {وأدبار السجود} يعني: ركعتي المغرب، قرأ ابن كثير، ونافع، وحمزة {وأدبار} بكسر الألف، والباقون بالنصب، فهو جمع الدبر، ومن قرأ بالكسر فعلى مصدر أدبر يدبر إدباراً، قال أبو عبيدة: هكذا نقرأ يعني: بالنصب، لأنه جمع الدبر، وإنما الإدبار، هو المصدر كقولك: أدبر، يدبر، إدباراً، ولا إدبار للسجود، وإنما ذلك للنجوم.

قوله عز وجل: {واستمع يَوْمَ يُنَادِ المناد} قرأ أبو عمرو، ونافع، وابن كثير: الْمُنَادِي بالياء في الوصل، وهو الأصل في اللغة، والباقون بغير ياء، لأن الكسر يدل عليه فاكتفى به، ومعنى الآية اعمل واجتهد، واستعد ليوم القيامة، يعني: استمع صوت إسرافيل {مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} يعني: من صخرة بيت المقدس {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصيحة بالحق} يعني: نفخة إسرافيل بالحق أنها كائنة، وقال مقاتل: في قوله: {مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ} قال صخرة: بيت المقدس، وهي أقرب الأرض من السماء، بثمانية عشر ميلاً، وقال الكلبي: باثني عشر ميلاً {ذَلِكَ يَوْمُ الخروج} من قبورهم إلى المحاسبة، ثم إلى إحدى الدارين، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، وقال أبو عبيدة: يوم الخروج اسم من أسماء يوم القيامة، واستشهد بقول العجاج أليس يوم سميت خروجاً أعظم يوماً سميت عروجاً، قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ} يعني: نحيي في الآخرة، ونميت في الدنيا الأحياء، ويقال: إنا نحن نحيي الموتى ونميت الأحياء {وَإِلَيْنَا المصير} يعني: المرجع في الآخرة، يعني: مصير الخلائق كلهم.

قوله عز وجل: {يَوْمَ تَشَقَّقُ الارض عَنْهُمْ سِرَاعاً} يعني: تصدع الأرض عنهم، قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر {تَشَقَّقُ} بتشديد الشين، والباقون بالتخفيف، لأنه لما حذف إحدى التاءين ترك الشين على حالها، ثم قال:

{سِرَاعاً} يعني: خروجهم من القبور سـراعاً {ذَلِـكَ حَشْـرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} يعني: جمع الخلائق علينا هين {نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ} في البعث من التكذيب {وَمَـا أنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} يعـني: بمسـلط، يعـني: لم تبعث لتجـبرهم على الإسـلام، وإنما بعثت بشيراً ونذيراً، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.

ثم قال: {فَذَكِّرْ بالقرءان} يعني: فعـظ بـالقرآن بمـا وعـد اللـه فيـه {مَن يَخَـافُ وَعِيـدِ} يعـني: من يخـاف عقوبـتي وعذابي والله أعلم.

51

سورة الذاريات

▲ تفسير الآيات رقم [1- 9]

{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (6) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (7) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (8) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (9)}

قوله تعالى: {والذريات ذَرْواً} أقسم الله عز وجل، بالرياح إذا أذرت ذرواً، وروى يعلى بن عطاء، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الرياح ثمانية: أربعة منها رحمة، وأربعة منها عذاب، فالرحمة منها: الناشرات، والمبشرات، والذاريات، والمرسلات، وأما العذاب: العاصف والقاصف والصرصر والعقيم، وعن أبي الطفيل قال: شهدت عليّاً رضي الله عنه وهو يخطب ويقول: سلوني عن كتاب الله عز وجل، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بالليل، أم بالنهار فسأله ابن الكواء فقال له: ما {والذريات ذَرْواً} قال: الرياح. قال {فالحاملات وِقْراً}؟ قال: السحاب قال: فما {فالجاريات يُسْراً} قال: السفن جرت بالتسيير على الماء. {فالمقسمات أَمْراً}؟ قال: الملائكة.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: والذاريات الرياح، قال: ما ذرت الريح، فالحاملات وقراً يعني: السحاب الثقال، الموقرة من الماء، فالجاريات يسراً، يعني: السفن جرت بالتسيير على الماء، فالمقسمات أمراً، يعني: أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، لكل واحد منهم أمر مقسوم، وهم المدبرات أمراً، أقسم الله تعالى بهذه الآية: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ} يعني: الذي توعدون من قيام الساعة {لصادق} يعني: لكائن ويقال: في الآية

مضمر، فأقسم الله تعالى برب الذاريات، يعني: ورب الرياح الذاريات، ورب السحاب الحاملات، ورب السفن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات، إنما توعدون لصادق. {وَإِنَّ الدين لَوَاقِعٌ} يعني: المجازات على أعمالهم لواقع، ثم بين في آخر الآية ما لكل فريق من الجزاء، فبين جزاء أهل النار أنهم يفتنون، وبين جزاء المتقين أنهم في جنات وعيون.

ثم قال عز وجل: {والسماء ذَاتِ الحبك} أقسم بالسماء ذات الحسن والجمال، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني: ذات الخلق الحسن. وقال مجاهد: المتقن من البنيان، يعني: البناء المحكم. ويقال: الحبك يعني: ذات الطرائق ويقال للماء القائم إذا ضربته الريح، فصارت فيه الطرائق له حبك، وكذلك الرمل إذا هبت عليه الريح، فرأيت فيه كالطرائق فبذلك حبك.

قوله تعالى: {إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ} يعني: متناقض مرة قالوا ساحراً، ومرة قالوا مجنون، والساحر عندهم من كان عالماً غاية في العلم، والمجنون من كان جاحداً غاية في الجهل، فتحيروا، فقالوا: مرة مجنون، ومرة ساحر، ويقال: إنكم لفي قول مختلف، يعني: مصدقاً ومكذباً، يعني: يؤمن به بعضهم. ويكفر به بعضهم.

ثم قال عز وجل: {يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ} يعني: يصرف عنه من صرف، وذلك إن أهل مكة أقاموا رجالاً على عقاب مكة، يصرفون الناس، فمنهم من يأخذ بقولهم ويرجع، ومنهم من لا يرجع، فقال: يصرف عنه من قد صرفه الله عن الإيمان وخذله، ويقال: يصرف عنه من قد صرفه يوم الميثاق، ويقال يصرف عنه من كان مخذولاً لم يكن من أهل الإيمان.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 22]

{الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْـرَةٍ سَـاهُونَ (11) يَسْـأَلُونَ أَيَّانَ يَـوْمُ الدِّينِ (12) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُـونَ (13) ذُوقُـوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِـهِ تَسْـتَعْجِلُونَ (14) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَـا آتَـاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَـانُوا قَبْـلَ ذَلِـكَ مُحْسِـنِينَ (16) كَـانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْـلِ مَـا يَهْجَعُـونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّـائِلِ وَالْمَحْـرُومِ (19) وَفِي الْأَرْضِ آيَـاتٌ لِلْمُـوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِـكُمْ أَفَلَا تُبْصِـرُونَ (21) وَفِي السَّـمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَـا تُوعَدُونَ (22)}

ثم قال عز وجل: {قُتِلَ الخرصـون} يعـني: لعن الكـاذبون {الذين هُمْ فِى غَمْـرَةٍ سـاهون} يعـني: في جهالـة وعمي وغفلة عن أمر الآخرة، ساهون يعـني: لاهين عن الإيمـان، وعن أمر الله تعالى {يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الـدين} يعـني: أي أوان يوم الحساب استهزاء منهم به، فأخبر الله تعالى عن ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ} يعني: بالنار يحرقون، ويعذبون. ويقول لهم الخزنة: {ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هذا الذى كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} يعني: هذا العذاب الذي كنتم به تستهزئون. يعني: تستعجلون على وجه الاستهزاء.

ثم بيّن ثـواب المتقين فقـال عـز وجـل: {إِنَّ المتقين فِى جنات وَعُيُونٍ} يعني: في بساتين، وأنهار.

قوله تعالى: {ءاخِذِينَ مَا ءاتاهم رَبُّهُمْ} يعني: قابضـين مـا أعطاهم ربهم من الثواب {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ} في الدنيا {مُحْسِنِينَ} بأعمالهم. قرأ عاصم: {ءاخِـذِينَ} نصـب على الحال، ومعـنى {فِى جنـات وَعُيُـونٍ} في حـال آخـذين مـا آتاهم ربهم.

ثم قال: {كَانُواْ قَلِيلاً مّن اليل مَا يَهْجَعُونَ} يعني: قليل من الليل ما ينامون. وقال بعضهم: كانوا قليلاً. ثم الكلام يعني: مثل هـؤلاء المتقين {كَـانُواْ قَلِيلاً}. ثم أخـبر عن أعمـالهم، فقـال: {مّن اليـل مَـا يَهْجَعُـونَ} يعـني: لا ينـامون بالليـل،

كقوله: {وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِـرَبِّهِمْ سُـجَّداً وقيامـا} [الفرقـان: 64]. وقال الضحاك: كانوا من النائمين. وقـال الحسـن: لا ينامون إلا قليلاً. وقال الربيع بن أنس: لا ينـامون بالليـل إلا قليلاً {وبالاسـحار هُمْ يَسْـتَغْفِرُونَ} يعـني: يصـلون عنـد السحر. ويقال: يصـلون بالليـل، ويسـتغفرون عنـد السـحر عن ذنـوبهم {وَفِى أمـوالهم حَـقٌّ} يعـني: نصـيب للفقـراء {لِّلسَّـائِلِ والمحـروم} السـائل: المسـكين الـذي يسـأل الناس. والمحروم المتعفف الذي لا يسأل النـاس. ويقـال: المحروم المحـترف الـذي لا يبلـغ عيشـه. وقـال الشـعبي: أعيـــاني أن أعلم من المحـــروم. روى ســـفيان عن ابن إسحاق، عن قيس، قـال: سـألت ابن عبـاس: من السـائل والمحــروم؟ فقــال: الســائل: الــذي يســأل. والمحــروم: المحـارب الـذي ليس لـه سـهم في الغنيمـة، وهكـذا قـال إبراهيم النخعي، ومجاهد، والربيـع بن أنس. وروى عكرمـة عن ابن عباس قال: المحروم: الفقـير الـذي إذا خـرج إلى النــاس اســتعف، ولم يعــرف مكانــه، ولا يســأل النــاس فيعطونه. وقال الزجاج: المحـروم الـذي لا ينمـو لـه مـال. ويقال: هي بالفارسية بي دولة يعني: لا إقبال له.

قوله: {وَفِى الارض ءايات لِّلْمُـوقِنِينَ} يعـني: فيمن أهلـك قبلهم، لهم عبرة. ويقال: فيها علامة وحدانيـة اللـه تعـالى، كأنه قال جعلت جميع الأشياء مرآتك، لتنظر إليها، وترى ما فيها، ومراد النظر في المرآة، رؤية من لم يَرَ فكأنه قــال: وانظر في آيـات صـنعي، لتعلم أفي صـانع كمـل الأشـياء؟ فــإذا نظــرت إلى النقش، والنقش يــدل إلى نقاشــه وإذا نظرت إلى النفس وعجائب تركيبها يدل على خالقهـا، وإذا نظرت في الأرض فمختلف الأشـياء عليهـا يـدل إلى ربهـا، وهي البحار، والجبال، والأنهار، والأثمـار. {وَفِى أَنفُسِـكُمْ} يعني: وعلامة وحدانيته في أنفسكم {أفلاَ تُبْصِرُونَ} يعني:

تتفكرون في خلق أنفسكم، كيـف خلقكم وهـو قـادر على أن يبعثكم.

قوله عز وجل: {وَفِى السماء رِزْقُكُمْ} يعني: من الســماء يـأتي ســبب رزقكم، وهـو المطـر. ويقـال: وعلى خـالق الســماء رزقكم {وَمَـا تُوعَـدُونَ} يعـني: مـا توعـدون من الثـواب، والعقـاب، والخـير، والشـر. قـال مجاهـد: {وَمَـا تُوعَدُونَ} يعني: الجنة، والنار. وهكذا قال الضحاك.

تفسير الآيات رقم [23- 37]

{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَـا أَنَّكُمْ تَنْطِقُـونَ (23) هَـلْ أَتَـاكَ حَـدِيثُ ضَـيْفِ إِبْـرَاهِيمَ الْمُكْـرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَـلَامًا قَـالَ سَـلَامٌ قَـوْمٌ مُنْكَـرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَـهُ إِلَيْهِمْ قَـالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَـرَّةٍ فَصَـكَّتْ وَجْهَهَـا وَقَـالَتْ عَجُـوزٌ عَقِيمٌ (29) قَـالُوا كَـذَلِكِ قَـالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُـوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (30) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَـالُوا إِنَّا أُرْسِـلْنَا إِلَى قَـوْمٍ مُجْـرِمِينَ (32) لِنُرْسِـلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْـرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَـدْنَا فِيهَـا غَيْـرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْـلِمِينَ (36) وَتَرَكْنَـا فِيهَـا آَيَـةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (37)}

ثم قال عز وجل: {فَوَرَبّ الســماء والارض} أقســم الـرب بنفسـه {إِنَّهُ لَحَـقٌّ} يعـني: مـا قسـمت من الـرزق لكـائن {مّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} يعني: كما تقولون لا إلـه إلا اللـه، أو يعني: كما أن قـولكم لا إلـه إلا اللـه حـق، كـذلك قـولي سـأرزقكم حـق. ويقـال: معنـاه كمـا أن الشـهادة واجبـة عليكم، فكذلك رزقكم واجب علي. ويقال: معناه هو الـذي ذكر في أمـر الآيـات، والـرزق حـق. يعين: صـدق مثـل مـا أنكم تنطقون. وروي عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه

قال: «أَبَى ابْنُ آدَمَ أنْ يُصَدِّقَ رَبَّهُ حَتَّى أقْسَمَ لَهُ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ». قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم، في رواية أبي بكر {مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} بضم اللام. والباقون: بالنصب. فمن قرأ بالضم، فهو نعت بالحق، وصفه له. ومن قرأ بالنصب، فهو على التوكيد على معنى أنه لحق حقاً مثل نطقكم.

قوله عز وجل: {هَلْ أتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبراهيم المكرمين} يعني: جاء جبريل مع أحد عشر ملكاً عليهم السلام المكرمين، أكرمهم الله تعالى، وقال: أكرمهم إبراهيم، وأحسن عليهم القيام، {إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلامًا} فسلموا عليه، فرد عليهم السلام {قَالَ سلام} قرأ حمزة، والكسائي، قال: سلم أي: أمري سلم. والباقون {سلام} أي: أمري {سلام} أي: صلح.

ثم قال: {قَوْمٌ مُّنكَرُونَ} يعني: أنكرهم، ولم يعرفهم. وقال كانوا لا يسلمون في ذلك الوقت، فلما سمع منهم السلام أنْكَرَهُمْ. {فَرَاغَ إلى أَهْلِهِ} يعني: عهد إلى أهله. ويقال: عدل، ومال إلى أهله. ويقال: عدل من حيث لا يعلمون لأي شيء عدل. يقال: راغ فلان عنا، إذا عدل عنهم من حيث لا يعلمون.

{فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ} قال بعضهم: كان لبن البقرة كله سمناً، فلهذا كان العجل سميناً {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ} فلم يأكلوا {فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} فقالوا: نحن لا نأكل بغير ثمن. فقال إبراهيم: كلوا، فاعطوا الثمن. قالوا: وما ثمنه؟ فقال: إذا أكلتم، فقولوا بسم الله. وإذا فرغتم، فقولوا: الحمد لله، فتعجبت الملائكة عليهم السلام لقوله، فلما رآهم لا يأكلون {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} يعني: أظهر في نفسه خيفة. ويقال: ملأ عنهم خيفة، فلما رأوه يخاف {قَالُواْ لاَ تَخَفْ} منا يعني: لا تخشى منا {وَبَشَّرُوهُ بغلام عَلَيمٍ} يعني: إسحاق {فَأَقْبَلَتِ امرأته فِى صَرَّةٍ} يعني: أخذت

امرأته في صيحة {فَصَكَّتْ وَجْهَهَا} يعـني: ضـربت بيـديها، خديها تعجباً {وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} يعني: عجوزاً عـاقراً لم تلد قط، كيف يكـون لهـا ولـد؟ فقـال لهـا جبريـل: {قَـالُواْ كَـذَلِكِ قَـالَ رَبُّكِ إِنَّهُ} يكـون لـك ولـد {هُـوَ الحكيم} في أمره.

حكم بالولد بعد الكبر {العليم} عليم بخلقـه. ويقـال: عليم بوقت الولادة. فلما رآهم أنهم الملائكة {قَـالَ} لهم {فَمَـا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا المرسلون} يعـني: مـا أمـركم، ومـا شـأنكم، ولماذا جئتم أيها المرسلون؟ {قَالُواْ إِنَّآ أَرْسِلْنَآ} يعني: قال جبريل أرسلنا الله تعالى {إلى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ} يعني: قــوم كفار مشركين {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ} يعـني: لكي نرسـل عليهم {حِجَارَةً مّن طِينٍ} مطبوخ، كما يطبخ الآجر {مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} يعني: معلمـة. وقـال: مخططـة بسـواد، وحمرة. ويقال: مكتوب على كل واحد اسم صـاحب الـذي يصيبه.

ثم قال: {عِندَ رَبّكَ} يعني: جاءت الحجـارة من عنـد ربـك للمشركين، فاغتم إبراهيم لأجل لوط.

قال الله تعالى: {فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَـا} أي: في قريـات لوط {مِنَ المؤمنين} يعـني: من المصـدقين {فَمَـا وَجَـدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مّنَ المسلمين} يعني: غير بيت لوط.

قوله عز وجل: {وَتَرَكْنَا فِيهَا ءايَةً} يعني: أبقينا في قريـات لوط آية. يعني: عبرة في هلاكهم من بعدهم.

ثم قـال: {لّلَّذِينَ يَخَـافُونَ العـذاب الاليم} يعـني: العـذاب الشديد.

▲ تفسير الآيات رقم [38- 53]

{وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَـذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُـوَ مُلِيمٌ (40) وَفِي عَـادٍ إِذْ أَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (41) مَـا تَـذَرُ مِنْ شَـيْءٍ أَتَتْ عَلَيْـهِ إِلَّا

جَعَلَتْهُ كَـالرَّمِيمِ (42) وَفِي ثَمُـودَ إِذْ قِيـلَ لَهُمْ تَمَتَّعُـوا حَتَّى
حِينٍ (43) فَعَتَـوْا عَنْ أَمْـرِ رَبِّهِمْ فَأَخَـذَتْهُمُ الصَّـاعِقَةُ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ (44) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِـرِينَ
(45) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْـلُ إِنَّهُمْ كَـانُوا قَوْمًـا فَاسِـقِينَ (46)
وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (47) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا
فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (48) وَمِنْ كُلِّ شَـيْءٍ خَلَقْنَـا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَـذَكَّرُونَ (49) فَفِـرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْـهُ نَـذِيرٌ مُبِينٌ (
50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْـهُ نَـذِيرٌ مُبِينٌ (
51) كَـذَلِكَ مَـا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُـولٍ إِلَّا قَـالُوا
سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِـهِ بَـلْ هُمْ قَـوْمٌ طَـاغُونَ (
53)}
ثم قال: {وَفِى موسى} عطف على قوله {وفى أَنفُسِـكُمْ أَفَلاَ تُبْصِـرُونَ} [الـذاريات: 21] {وَفِى موسـى} {إِذْ أرسـلناه إلى فِرْعَـوْنَ بسـلطان مُّبِينٍ} يعـني: حجـة بينـة، وهي اليـد، والعصـا {فتـولى بِرُكْنِـهِ} يعـني: أعـرض عنـه فرعـون بجموعـه. يعـني: مـع جموعـه وجنـوده. ويقـال: {فتـولى بِرُكْنِـهِ} يعـني: أعـرض بجانبـه {وَقَـالَ سـاحر أَوْ مَجْنُـونٌ فأخـذناه وَجُنُـودَهُ} يعـني: عاقبنـاه، وجموعـه {فنبـذناهم فِى اليم} قـال الكلـبي يعـني: أغرقنـاهم في البحر وقـال مقاتـل يعـني: في النيـل {وَهُـوَ مُلِيمٌ} يعـني: يلـوم نفسـه، ويلومـه النـاس. وقـال: {مُلِيمٌ} أي: مـذنب. وقال أهل اللغة: ألام الرجل، إذا أتى بذنب يلام عليه.
ثم قال: {وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الـريح العقيم} يعـني: سلطنا عليهم الريح الشديد، وإنما سـميت عقيمـاً، لأنهـا لا تـأتي على شـيء إلا جعلتـه كـالرميم لا خـير فيـه. ويقـال: سـميت عقيمـاً لأنهـا لا تلقح الأشـجار، ولا تثـير السـحاب، وهي الدبور. وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضـي الله عنهما قال: ما أنزل الله قطرة من ماء إلا بمثقال، ولا أنزل سـفرة من ريح إلا بمكيـال، إلا قـوم نـوح طغى على

خزانة الماء، فلم يكن لهم عليه سبيل، وعتت الريح يوم عاد على خزانها، فلم يكن لهم عليها سبيل وروى عكرمة عن ابن عباس قال: العقيم الذي لا منفعة لها.
ثم قال: {مَا تَذَرُ مِن شَئٍ} يعني: ما تترك من شيء هو لهم، ولا منهم، {أَتتَ عَلَيْهِم إِلاَّ جَعَلَتْهُ كالرميم} يعني: مرت عليه إلا جعلته كالرماد. ويقال: الرميم: الورق الجاف، المتحطم، مثل الهشيم المحتظر، كما قال كهشيم المحتظر، بعد ما كانوا كنخل متقصر. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أرسل على عاد من الريح، إلا مثل خاتمي هذا. يعني: إن الريح العقيم تحت الأرض، فأخرج منها مثل ما يخرج من ثقب الخاتم، فأهلكهم.
ثم قال: {وَفِى ثَمُودَ} يعني: قوم صالح {إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حتى حِينٍ} يعني: قال لهم نبيهم صالح عليه السلام عيشوا إلى منتهى آجالكم، ولا تعصوا أمر الله {فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبّهِمْ} يعني: تركوا طاعة ربهم {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة} يعني: العذاب. قرأ الكسائي: {فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة} بغير ألف، وجزم العين. والباقون: بألف. وهي الصيحة التي أهلكتهم بالصعقة، قوله من قولك: صعقتهم الصاعقة. يعني: أهلكتهم. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ صعقة مثل الكسائي. {وَهُمْ يَنظُرُونَ} يعني: ظهرت النار من تحت أرجلهم، وهم يرونها بأعينهم. ويقال: سمعوا الصيحة، وهم ينظرون متحيرون. {فَمَا استطاعوا مِن قِيَامٍ} يعني: ما استطاعوا أن يقوموا لعذاب الله تعالى، حتى أهلكوا.
{وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ} يعني: ممتنعين من العذاب.
ثم قال: {وَقَوْمَ نُوحٍ} وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وقوم نوح: بكسر الميم. يعني: في قوم نوح كما قال: وفي ثمود. والباقون: بالنصب. يعني: وأهلكنا قوم نوح. ويقال: معناه فأخذناه، وأخذنا {مِن قَبْلُ} هؤلاء الذين

سميناهم {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فاسقين} يعني: قـوم نـوح من قَبْل. يعني: عاصين.
قولـه عـز وجـل: {والسـماء بنيناهـا بِأَيْـدٍ} يعـني: خلقناهـا بقوة، وقدرة {وَإِنَّا لَمُوسِـعُونَ} يعـني: نحن قـادرون على أن نوسعها كما نريد. ويقال: {والسماء} صـار نصـباً لـنزع الخافض. ومعناه و{وَهُوَ الذى فِى السمآءِ إلـه وَفِى الارض إله وَهُوَ الحكيم العليم} [الزخرف: 84] آية.
ثم قــال: {والارض فرشــناها} يعــني: وفي الأرض آيــة، بسطناها مسـيرة خمسـمائة عـام من تحت الكعبـة {فَنِعْمَ الماهدون} يعني: نعم الماهـدون نحن. ويقـال: في قولـه: {وَإِنَّا لَمُوسِـعُونَ} يعـني: نحن جعلنـا بينهمـا، وبين الأرض سعة.
ثم قال عز وجـل: {وَمِن كُـلّ شَـئ خَلَقْنَـا زَوْجَيْنِ} يعـني: صنفين، الذكر والأنثى، والأحمـر والأبيض، والليـل والنهـار، والـدنيا والآخـرة، والشـمس والقمـر، والشـتاء والصـيف. {لَعَلَّكُمْ تَـذَكَّرُونَ} يعــني: تتعظــون فيمــا خلــق اللــه، فتوحدوه.
قوله عز وجل: {فَفِرُّواْ إِلَى الله} يعني: توبوا إلى الله من ذنوبكم. ويقـال: معنـاه {فَفِـرُّواْ} من اللـه {إِلَى اللـه} أو {فَفِرُّواْ} من عذاب الله، إلى رحمة الله، أو {فَفِـرُّواْ} من معصيته، إلى طاعتـه. ومن الـذنوب إلى التوبـة. {إِنّى لَكُمْ مّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: مخوفاً من عذاب الله تعـالى بالنـار {وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ الله إلها ءاخَرَ} يعني: لا تقولوا له شــريكاً، وولداً {إِنَّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: فـإن فعلتم، فـإني لكم مخوف من عذابه، فلم يقبلوا قوله، وقالوا: هذا {ساحر أَوْ مَجْنُونٌ}.
يقول الله تعالى تعزية لنبيه صلى الله عليه وسلم: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الذين مِن قَبْلِهِمْ مّن رَّسُـولٍ} يعـني: هكـذا مـا أتى في الأمم الخالية من رسول، {إِلاَّ قَالُواْ ساحر أَوْ مَجْنُـونٌ}

كقول كفار مكة للنبي صلى الله عليه وسلم {أَتَوَاصَوْاْ بِهِ} يعني: توافقوا، وتواطؤوا فيما بينهم. وأوصى الأول الآخر أن يقولوا ذلك. ويقال: توافقوا، وتواطؤوا به كل قوم، وجعلوا كلمتهم واحدة أن يقولوا {ساحر أَوْ مَجْنُونٌ}.
قال الله عز وجل: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغون} يعني: عاتين في معصية الله تعالى.

تفسير الآيات رقم [54- 60]

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60)}
ثم قال: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: فأعرض عنهم يا محمد، بعد ما بلغت الرسالة، وأعذرت، {فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ} يعني: لا تلام على ذلك، لأنك قد فعلت ما عليك {وَذَكّرَ} يعني: عظ أصحابك بالقرآن {فَإِنَّ الذكرى تَنفَعُ المؤمنين} يعني: المصدقين تنفعهم العظة. ويقال: فعظ أهل مكة، فإن الذكرى تنفع المؤمنين. يعني: من قدر لهم الإيمان.
ثم قال عز وجل: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} يعني: ما خلقتهم، إلا أمرتهم بالعبادة، فلو أنهم خلقوا للعبادة لما عصوا طرفة عين. وقال مجاهد: يعني ما خلقتهم إلا لآمرهم، وأنهاهم. ويقال: {إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} يعني: إلا ليوحدون، وهم المؤمنون، وهم خلقوا للتوحيد والعبادة، وخلق بعضهم لجهنم، كما قال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجن والإنس لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أولئك كالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أولئك هُمُ الغافلون} [الأعراف: 179] فقد خلق كل صنف للأمر، والنهي الذي يصلح له.

ثم قال: {مَا أُرِيـدُ مِنْهُم مّن رّزْقٍ} يعـني: مـا خلقتهم، لأن يرزقوا أنفسهم {وَمَا أُرِيـدُ أَن يُطْعِمُـونِ} يعـني: لا أكلفهم أن يطعمـوا أحـداً من خلقي. وأصـل هـذا أن الخلـق عبـاد الله، وعياله. فمن أطعم عيال رجل ورزقهم، فقد رزقه إذا كان رزقهم عليه.

ثم قال: {إِنَّ اللـه هُـوَ الـرزاق} يعـني: {الـرزاق} لجميـع خلقه {ذُو القوة المتين} يعني: {ذُو القـوة} على أعدائـه، الشديد العقوبة لهم، والمتين في اللغة: الشديد القوي قرأ الأعمش: {ذُو القوة المتين} بكسر النون، جعلـه من نعت القـوة. وقـراءة العامـة بالضـم، ومعنـاه: {إِنَّ اللـه هُـوَ الرزاق} وهو {ذُو القوة المتين}.

قوله عز وجل: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُـواْ} يعـني: أشـركوا وهم مشركو مكة {ذَنُوباً} يعني: نصيباً من العذاب {مّثْلَ ذَنُوبِ أصحابهم} يعـني: مثـل نصـيب أصـحاب من عـذاب الـذين مضوا، وأصل الذنوب في اللغـة هـو الـدلو الكبـير، فكيـف عنه، لأنه تتابع. يعني: مثل عذاب الـذين أهلكـوا نحـو قـوم عاد، وثمود، وغـيرهم. {فَلاَ يَسْـتَعْجِلُونِ} يعـني: بالعـذاب، لأن النضر بن الحارث كان يستعجل بالعـذاب، فأمهلـه إلى يوم بدر، ثم قتل في ذلك اليوم، وصار إلى النار.

قولـه عـز وجـل: {فَوَيْـلٌ لّلَّذِينَ كَفَـرُواْ مِن يَـوْمِهِمُ الـذى يُوعَدُونَ} يعني: من عذاب يـوم القيامـة. والويـل: الشـدة من العذاب. يقال: الويل وادٍ في جهنم.

سورة الطور

تفسير الآيات رقم [1- 16]

{وَالطُّورِ (1) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (2) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (3) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (4) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (5) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (6) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (7) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (8) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (9) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (10) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (11) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (12) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (13) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14) أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (15) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (16)}

قوله تعالى: {والطور} أقسم الله تعالى بالجبل وكل جبل فهو طور بلغة النبط. ويقال: بلغة السريانية. ولكن عني به الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بمدين.

ثم قال: {وكتاب مُّسْطُورٍ} يعني: في اللوح المحفوظ. ويقال: أعمال بني آدم {فِي رَقّ مَّنْشُورٍ} يعني: في صحيفة منشورة، كما قال: {وَكُلَّ إنسان ألزمناه طائره فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القيامة كِتَابًا يلقاه مَنْشُوراً} [الإسراء: 13] يعني: مفتوحاً يقرؤونه. ويقال: {كِتَابٌ *** مُّسْطُورٍ} يعني: القرآن. {فِى رَقّ مَّنْشُورٍ} يعني: المصاحف. ويقال: في اللوح المحفوظ.

ثم قال: {والبيت المعمور} وهو في السماء السابعة. ويقال: في السماء السادسة ويقال: في السماء الرابعة. وروى وكيع بإسناده عن علي، وابن عباس في قوله: {والبيت المعمور} قالا: هو بيت في السماء حيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه إلى يوم

القيامة. قال بعضهم: بناه الملائكة قبل أن يخلق آدم عليه السلام وقال بعضهم: هو البيت الذي بناه آدم بمكة، فرفعه الله تعالى في أيام الطوفان إلى السماء بحيال الكعبة. وقال بعضهم: أنزل الله بيتاً من ياقوتة في زمان آدم عليه السلام ووضع بمكة، فكان آدم يطوف به وذريته من بعده إلى زمن الطوفان، فرفع إلى السماء، وهو {البيت * المعمور} طوله كما بين السماء والأرض.

ثم قال: {والسقف المرفوع} يعني: السماء المرتفعة من الأرض مقدار خمسمائة عام {والبحر المسجور} يعني: البحر الممتلئ تحت العرش، وهو بحر مكفوف. يقال له: الحيوان يحمي الله به الموتى يوم القيامة، فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء. ويقال: أقسم بخالق هذه الأشياء {إِنَّ عَذَابَ رَبّكَ لَوَاقِعٌ} يعني: العذاب الذي أوقع الكفار فهو كائن {مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ} يعني: لا يقدر أحد أن يرفع عنهم العذاب.

ثم بيّن أن ذلك العذاب في أي يوم يكون فقال: {يَوْمَ تَمُورُ السماء مَوْراً} يعني: تدور السماء بأهلها دوراً، وتموج بعضهم في بعض من الخوف. صار اليوم نصباً لنزع الخافض. ومعناه: أن عذاب ربك لواقع في {يَوْمَ تَمُورُ السماء مَوْراً} يعني: في يوم القيامة {وَتَسِيرُ الجبال سَيْراً} يعني: {***تسير} على وجه الأرض {الجبال سَيْراً} مثل السحاب حتى تستوي بالأرض {فَوَيْلٌ} الشدة من العذاب {يَوْمَئِذٍ} يعني: يوم القيامة {لّلْمُكَذّبِينَ} بيوم القيامة.

ثم نعتهم فقال: {الذين هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ} يعني: في باطل يلهون، ويستهزئون.

قوله عز وجل: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} يعني: تدفعهم خزنة جهنم. ويقال: {يَدَّعُونَ} يعني: يزعجون إليها إزعاجاً شديداً، ويدفعون دفعاً عنيفاً.

ومنه قوله تعالى: {فَذَلِكَ الذى يَدُعُّ اليتيم} [الماعون: 2] أي: يدفع عما يجب. ويقال: دعاً يعني: دفعاً على وجوههم يجرون، فإذا دنوا منها، قالت لهم الخزنة: {هذه النار التى كُنتُم بِهَا تُكَذّبُونَ} يعني: لم تصدقوا بها، ولم تأمنوا بها في الدنيا. {أَفَسِحْرٌ هذا} العذاب الذي ترون لأنفسكم، لأنكم قلتم في الدنيا للرسول ساحراً، ومجنون. {أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ} النار. ويقال: بل أنتم لا تعقلون.

ثم قال لهم: {اصلوها} يعني: ادخلوا فيها {فاصبروا أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ} يعني: فإن صبرتم، أو لم تصبروا، فهو {سَوَاء عَلَيْكُمْ} اللفظ لفظ الأمر، المراد به الخبر. يعني: إن صبرتم أو لم تصبروا، فلا تنجون منها أبداً {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} في الدنيا من الكفر والتكذيب.

تفسير الآيات رقم [17- 28]

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (17) فَاكِهِينَ بِمَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (18) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (19) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (20) وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (23) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (24) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (25) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (26) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (27) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (28)}

ثم بيّن حال المتقين فقال: {إِنَّ المتقين فِى جنات} يعني: الذين يتقون الشرك، والفواحش في بساتين {وَنَعِيمٍ فاكهين} يعني: معجبين. ويقال: ناعمين. ويقال: فرحين. {بِمَا ءاتاهم رَبُّهُمْ} في الجنة من الكرامة

{ووقـاهم رَبُّهُمْ عَـذَابَ الجحِيمِ} يعـني: دفـع عنهم عـذاب النار. ويقول لهم الخزنة: {كُلُواْ واشربوا} يعني: كلــوا من ألــوان الطعــام، والثمــار، واشــربوا من ألــوان الشــراب، {هَنِيئَاً} يعني: لا داء، ولا غائلة فيـه، ولا يخـاف في الأكـل، والشــرب، من الآفــات مــا يكــون في الــدنيا، {بِمَــا كُنْتُمْ تَعْمَلُــونَ} يعـني: هـذا الثـواب لأعمـالكم الـتي عملتم في الدنيا.

ثم قـال: {مُتَّكِئِينَ على سُـرُرٍ} يعـني: نـائمين على سـرر {مَصْفُوفَةٌ} قد صف بعضها إلى بعض، فكانوا على ســرر، وكل من كان، اشتاق إلى صديقه يلتقيان.

قوله تعالى: {وزوجناهم بِحُورٍ عِينٍ} يعـني: بيض الوجـوه. العين: حسان الأعين.

قولــه تعــالى: {والــذين ءامَنُــواْ} يعــني: صــدقوا باللــه، ورسوله، وصدقوا بالبعث {واتبعتهم ذُرّيَّتُهُم بإيمـان أَلْحَقْنَـا بِهِمْ ذُرّيَّتَهُمْ} يعـني: ألحقنـاهم ذريـاتهم. قـرأ أبـو عمـرو: {وأتبعناهم} {أَلْحَقْنَا بِهِمْ} الثلاثة كلها بالألف. وقـرأ نـافع: اثنان بغير ألف، والآخر: بالألف. وقرأ ابن عامر الأول: بغير ألف. والآخران: بـالألف. والبـاقون: كلهـا ألـف. فمن قـرأ: {اتبعناهم} معناه: ألحقناهم. يعـني: الـذين آمنـوا، وجعلنـا ذريتهم مؤمنين، ألحقنا بهم ذريتهم في الجنـة في درجتهم. ومن قــرأ: {ءامَنُــواْ واتبعتهم} بغــير ألــف، يعــني: ذريتهم معهم. ومن قرأ {ذرياتهم} بالألف، فهو جمع الذريــة. ومن قرأ: بغير ألف، فهو عبارة عن الجنس، ويقع على الجماعة أيضاً. وقال مقاتل: معناه الذين أدركوا مع آبـائهم، وعملـوا خيراً في الجنة، ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغــوا العمل، فهم معهم في الجنـة. ويقـال: إن أحـدهم إذا كـان أسـفل منـه، يلحـق بهم، لكي تقـر عينـه. وروى سـعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: يرفـع اللـه المسـلم ذريتـه وإن كانوا دونه في العمل، لتقر بهم عينه.

ثم قال: {ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا ألتناهم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَئ} يعـني: ما نقصناهم من عمل الآباء إذا كانوا مع الأبنـاء، حـتى يبلـغ بهم ذريتهم، من غـير أن ينقص من أجـر أولئـك شـيئاً، ولا من ذريتهم. {كُلُّ امرئ بِمَا كَسَبَ رَهَينٌ} يعني: كـل نفس مرتهنة بعملها يوم القيامة.
ثم رجع إلى صـفة المتقين في التقـديم، وكـرامتهم، قولـه تعالى: {وأمددناهم بفاكهـة} يعـني: أعطينـاهم من ألـوان الفاكهـة {وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْـتَهُونَ} يعـني: يتمنـون. قـرأ ابن كثـير: {ألتنـاهم} بكسـر اللام، وهي لغـة لبعض العـرب. واللغة الظاهرة: بالفتح، وهي من آلت يألت وهو النقصان.
قوله عز وجل: {يتنازعون فِيهَا كَأساً} يعني: يتعاطون في الجنة.
تعطيهم الخـدم قـدح الشـراب، ولا يكـون كأسـاً إلا مـع الشـراب، {لاَّ لَغْـوٌ فِيهَـا} يعـني: لا باطـل في الجنـة، {وَلاَ تَأْثِيمٌ} يعني: لا إثم في شـرب الخمـر. ويقـال: {لا تَـأْثِيمٌ} يعني: لا تكذيب فيما بينهم. قرأ ابن كثير، وأبـو عمـرو: {لا لَغْـواً فِيهَـا} بنصـب الـواو، {وَلاَ تَأْثِيمـاً} بنصـب الميم. والباقون: بالضم مع التنوين. فمن قرأ: بالنصب، فهـو على التبرئة. ومن قرأ: بالضـم، فهـو على معـنى الخـبر. يعـني: ليس فيها لغـو ولا تـأثيم، كمـا قـال: {لاَ فِيهَـا غَـوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ} [الصافات: 47].
ثم قال عز وجل: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَـأَنَّهُمْ لُؤْلُـؤٌ مَّكْنُـونٌ} يعـني: في الحسـن، والبيـاض، مثـل اللؤلـؤ في الصدف لم تمسـه الأيـدي، ولم تـره الأعين. وروى سـعيد، عن قتـادة قـال: ذكـر لنـا أن رجلاً قـال: يـا نـبي اللـه هـذا الخادم، فكيف المخـدوم؟ فقـال: والـذي نفسـي بيـده، إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البـدر، على سائر الكواكب.

ثم قال: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ} يعني: يتحدثون، ويتساءلون في الجنة عن أحوالهم التي كانت في الدنيا. ثم يقول: صرت إلى هذه المنزلة الرفيعة.

قوله تعالى: {قَالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ} يعني: في الدنيا {فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} يعني: خائفين من العذاب.

ثم قال: {فَمَنَّ الله عَلَيْنَا} يعني: من علينا بالمغفرة، والرحمة. {ووقانا عَذَابَ السموم} يعني: دفع عنا عذاب النار.

قوله عز وجل: {إنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ} يعني: في الدنيا ندعو الرب {إِنَّهُ هُوَ البر} الصادق في قوله، وفيما وعد لأوليائه. ويقال: {البر} بمعنى النار {الرحيم} قرأ نافع، والكسائي: أنه بالنصب. ومعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر. وقرأ الباقون: بالكسر على معنى الاستئناف.

ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يعظ الناس ولا يبالي في قولهم.

تفسير الآيات رقم [29- 38]

{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (33) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38)}

فقال عز وجل: {فَذَكّرْ} يعني: فعظ بالقرآن {فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ} يعني: برحمة ربك. ويقال: هو كقوله: ما أنت بحمد الله مجنون. وقال أبو سهل: متعظ بالقرآن، ولست

أنت والحمد لله {بكاهن وَلاَ مَجْنُونٍ} ويقال: فذكر. يعـني: ذكرهم بما أعتدنا للمؤمنين المتقين، وبما أعتـدنا للضـالين الكافرين {فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بكاهن وَلاَ مَجْنُـونٍ} يعـني: لست تقول بقول الكهنة، ولا تنطق إلا بالوحي.

ثم قال: {أَمْ يَقُولُـونَ شَـاعِرٌ} يعـني: أيقولـون هـو شـاعر يأتي من قبل نفسـه، وهـو قـول الوليـد بن المغـيرة، وأبي جهل، وأصحابهما. {نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنون} يعـني: أوجـاع المـوت، وحوادثـه. قـال قتـادة: {رَيْبَ المنـون} المـوت. وقال مجاهد: {رَيْبَ المنون} حوادث الدهر. وقال القتبي: حـوادث الـدهر، وأوجاعـه، ومصـايبه. ويقـال: إنهم كـانوا يقولون: قـد مـات أبـوه شـاباً، وهم ينتظـرون موتـه {قُـلْ تَرَبَّصُـــواْ} يعـــني: انتظـــروا هلاكي {فَـــإِنّى مَعَكُمْ مّنَ المتربصين} وذكر في التفسير، أن الذين قالوا هكذا ماتوا كلهم قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله تعـالى: {أَمْ تَـأْمُرُهُمْ أحلامهم بهـذا} يعـني: أتـأمرهم عقولهم، وتدلهم على التكذيب، والإيذاء بمحمد صـلى اللـه عليه وسـلم. {أَمْ هُمْ قَـوْمٌ طَـاغُونَ} يعـني: بـل هم قـوم عاتون في معصية الله تعالى. {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَـهُ} يعـني: أيقولون أن محمداً صلى الله عليـه وسـلم يقـول من ذات نفسه. واللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر والوعيد.

ثم قـال: {بَـل لاَّ يُؤْمِنُـونَ} يعـني: لا يصـدقون بالرَّسـول، والكتاب، عناداً وحسداً منهم.

قوله عز وجل: {فَلْيَأْتُواْ بِحَـدِيثٍ مّثْلِـهِ} يعـني: إن قلتم إن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول: من ذات نفسه، فـأتوا بمثل هـذا القـرآن كمـا جـاء بـه {إِن كَـانُواْ صـادقين} في قولهم.

ثم قـال: {أَمْ خُلِقُـواْ مِنْ غَيْـرِ شَـئ} يعـني: من غـير رب. كانوا هكذا خلقاً من غير شـيء. ومعنـاه: كيـف لا يعتـبرون بأن الله تعـالى خلقهم، فيوحدونـه، ويعبدونـه. ويقـال: {أَمْ

خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَئ} يعني: لغير شيء. ومعناه: أخلقوا باطلاً لا يحاسبون، ولا يؤمرون، ولا ينهون.
ثم قال: {أَمْ هُمُ الخالقون} يعني: أهم خلقوا الخلق؟ أم الله تعالى؟ ومعناه: أن الله تعالى خلق الخلق، وهو الذي يبعثهم يوم القيامة.
ثم قال: {أَمْ خَلَقُواْ السموات والارض} يعني: بل الله تعالى خلقهم {بَل لاَّ يُوقِنُونَ} بتوحيد الله الذي خلقهما، أنه واحد لا شريك له.
ثم قال {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبّكَ} يعني: مفاتيح رزق ربك. ويقال: مفاتيح ربك الرسالة، فيضعونها حيث شاؤوا، ولكن الله يختار من يشاء، كقولهم: {أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} [القمر: 25].
ثم قال: {أَمْ هُمُ المسيطرون} يعني: أهم المسلطون عليهم، يحملونهم حيث شاؤوا على الناس، فيجبرونهم بما شاؤوا. قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، في إحدى الروايتين: {المسيطرون} بالسين. والباقون: بالصاد. وقرأ حمزة: {المزيطرون} بإشمام الزاء. وقال الزجاج: تسيطر علينا، وتصيطر. وأصله السين، وكل سين بعدها طاء، يجوز أن تقلب صاداً، مثل مسيطر، ويبسط.
ثم قالوا: {المسيطرون أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ} يعني: سبباً إلى السماء {يَسْتَمِعُونَ فِيهِ} يعني: يرتقون عليه، فيستمعون القول من رب العالمين {فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بسلطان مُّبِينٍ} أي: بحجة بينة.

تفسير الآيات رقم [39- 49]

{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (39) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (40) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (41) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (42) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ

غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْـرِكُونَ (43) وَإِنْ يَـرَوْا كِسْـفًا مِنَ السَّمَاءِ سَـاقِطًا يَقُولُـوا سَـحَابٌ مَرْكُـومٌ (44) فَـذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَـوْمَهُمُ الَّذِي فِيـهِ يُصْـعَقُونَ (45) يَـوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (46) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُـوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (47) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُـومُ (48) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (49)}

ثم قال عز وجل: {أَمْ لَهُ البنات وَلَكُمُ البنون}.

ثم بيّن جهلهم، وقلة أحلامهم، أنهم يجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم.

قال عز وجل: {أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً} ومعناه: أن الحجة واجبة عليهم من كل وجه، لأنك قد أتيتهم بالبيـان والبرهـان، ولم تسـألهم على ذلـك أجـراً. فقـال: {أَمْ تَسْـئَلُهُمْ} يعـني: أتطلب منهم {أَجْراً} بمـا تعلمهم من الأحكـام، والشـرائع. {فَهُم مِّن مَّغْـرَمٍ مُّثْقَلُـونَ} يعـني: من أجـل المغـرم، يمتنعون عن الإيمان. يعني: لا حجة لهم في الامتناع، لأنـك لا تسأل منهم أجراً، فيثقل عليهم لأجل الأجر.

قوله عز وجل: {أَمْ عِنـدَهُمُ الغيب} يعـني: عنـدهم الغيب بـأن اللـه لا يبعثهم {فَهُمْ يَكْتُبُـونَ} يعـني: أمعهم كتـاب يكتبون بما شاؤوا؟ يعـني: مـا في اللـوح المحفـوظ، فهـذا كله لفظ الاستفهام، والمراد به: الزجر.

ثم قال عز وجل: {أَمْ يُرِيـدُونَ كَيْـداً} بـل يريـدون وعيـداً بـالنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم {فالـذين كَفَـرُواْ هُمُ المكيدون} يعني: بل هم المعذبون، الهالكون.

قوله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ إله غَيْـرُ اللـه} يعـني: ألهم خـالق غير الله يخلق، ويرزق، ويمنعهم من عذابنا {سـبحان اللـه عَمَّا يُشْرِكُونَ} يعني: تنزيهـاً للـه تعـالى عمـا يصـفون من الشريك، والولد.

ثم ذكر قسوة قلوبهم فقال: {وَإِن يَرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ السماء ساقطا} يعني: جانباً من السماء ساقطاً عليهم {يَقُولُواْ} يعني: لقالوا من تكذيبهم {سحاب مَّرْكُومٌ} يعني: متراكماً بعضه على بعض، لأنهم كانوا يقولون: لا نؤمن بك حتى تسقط علينا كسفاً.

ثم قال الله تعالى: لو فعلنا ذلك، لم يؤمنوا، ولا ينفعهم من قسوة قلوبهم.

ثم قال: {فَذَرْهُمْ} يعني: فتخل عنهم يا محمد {حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ} يعني: يعاينوا يومهم {الذى فِيهِ يُصْعَقُونَ} يعني: يموتون. ويقال: يعذبون. قرأ عاصم، وابن عامر، {يُصْعَقُونَ} بضم الياء والباقون. {يُصْعَقُونَ} بنصب الياء، وكلاهما واحد، وهما لغتان.

ثم وصف حالهم في ذلك اليوم فقال: {يَوْمَ لاَ يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} يعني: لا ينفعهم صنيعهم شيئاً {وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} يعني: لا يمنعون مما نزل بهم من العذاب.

ثم قال عز وجل: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} يعني: من قبل عذاب النار قد روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: عذاب القبر وقال معمر عن قتادة: قال: عذاب القبر في القرآن.

ثم قرأ {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} ويقال {عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} يعني: القتل. ويقال: الشدائد، والعقوبات في الدنيا. {ولكن أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون بالعذاب.

ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذاهم فقال: {واصبر لِحُكْمِ رَبّكَ} يعني: لما أمرك ربك، ونهاك عنه.

ويقال: واصبر على تكذيبهم، وأذاهم. {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} يعني: فإنك بمنظر منا، والله تعالى يرى أحوالك، ولا يخفى عليه شيء. وقال الزجاج: {فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} بمعنى

فإنــك بحيث نــراك، ونحفظــك، ولا يصــلون إلى مكــرك. ويقال: نرى ما يصنع بك. {وَسَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ حِينَ تَقُـومُ} يعني: صل بأمر ربـك قبـل طلـوع الشـمس. يعـني: صـلاة الفجـر وقبـل الغـروب. يعـني: صـلاة العصـر. {وَمِنَ اليـل فَسَبِّحْهُ} يعني: صل صلاة المغـرب والعشـاء ويقـال: حين تقوم صلاة الفجر، والظهر، والعصـر. ومعنـاه: صـل صـلاة النهار، وصلاة الليل. ويقال: {سَبِّحِ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُــومُ} يعـني: قـل سـبحانك اللهم وبحمـدك إذا قمت إلى الصـلاة وهذا قول ربيع بن أنس.

{وإدبـار النجـوم} يعـني: ركعـتي الفجـر. وروى سـعيد بن جبير، عن زاذان، عن عمر رضـي اللـه عنـه: لا صـلاة بعـد طلوع الفجر، إلا ركعتي الفجر، وهما إدبـار النجـوم. وروى أبو إسحاق، عن الحارث، عن علي رضـي اللـه عنـه قـال: {والركــع الســجود} الركعتــان بعــد المغــرب، {وإدبــار النجوم} الركعتان قبل الفجر. وروى وكيـع عن ابن عبـاس أنه قال: بت ذات ليلة عنـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم، فصلى ركعتي الفجـر، ثم خـرج إلى الصـلاة. فقـال ابن عبـاس: الركعتـان اللتـان قبـل الفجـر، {فِى النجـوم} واللاتي بعد المغرب {والركـع السـجود} وفي الآيـة، دليـل على أن تأخير صلاة الفجر أفضل، لأنه أمر بركعـتي الفجـر بعد ما أدبرت النجوم، وإنما أدبرت النجوم بعـد مـا أسـفر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

▲ سورة النجم

▲ تفسير الآيات رقم [1- 9]

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9)}

قوله تعالى: {والنجم إِذَا هوى} قال ابن عباس رضي الله عنه: أقسم الله تعالى بالقرآن، إذا نزل نجوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاً بعد وقت. الآية، والآيتان، والسورة، والسورتان، وكان بين أوله وآخره إحدى وعشرون سنة. قال مجاهد: أقسم الله بالثريا إذا غابت، وسقطت. والعرب تسمي الثريا: نجماً. ويقال: أقسم بالكواكب المضيئة. ويقال: أقسم بجميع الكواكب. {مَا ضَلَّ صاحبكم} وذلك أن قريشاً قالوا له: قد تركت دين آبائك، وخرجت من الطريق؛ وتقول شيئاً من ذات نفسك فنزل: {والنجم إِذَا هوى} {مَا ضَلَّ صاحبكم} يعني: ما ترك دين أبيه إبراهيم {وَمَا غوى} يعني: لم يضل قوماً. والغاوي والضال واحد. يقال: الضلال: قبل البيان. والفساد؛ بعد البيان. قرأ حمزة والكسائي: {إِذَا هوى} {وَمَا غوى} كله بالإمالة في جميع السورة. وقرأ نافع وأبو عمرو: بين الإمالة، والفتح في جميع السورة. والباقون: بالتخفيف. وكل ذلك جائز في اللغة.

ثم قال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى} يعني: ما ينطق بهذا القرآن بهوى نفسه، والعرب تجعل عن مكان الباء. تقول: رميت عن القوس، أي: بالقوس {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى}

أي: بالهوى {إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى} يعني: ما هذا القرآن إلا وحي يوحى إليه {عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى} يعني: أتاه جبريل عليه السلام، وعلمه، وهو {شَدِيدُ القوى} وأصله في اللغة، من قوى الجبل، وهو طاقاته، والواحد قوة. ويقال: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى} يعني: الله تعالى يعلمه بالوحي وهو ذو القوة المتين.

قوله عز وجل: {ذُو مِرَّةٍ} يعني: ذي قوة. وأصل المرة: القتل، فيعبر به عن القوة. ومنه الحديث: «لاتَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيَ وَلا لِذِي مَرَّةٍ سَوِيٍ».

ثم قال عز وجل: {فاستوى} يعني: جبريل عليه السلام. ويقال: {فاستوى} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {وَهُوَ بالافق الاعلى} يعني: من قبل مطلع الشمس جبريل، فرآه على صورته، وله جناحان، أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب.

{ثُمَّ دَنَا فتدلى} إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما دنا منه، انتقص حتى إذا قرب منه مقدار قوسين، رآه كما في سائر الأوقات، حتى لا يشك جبريل {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ} يعني: في القرب مقدار قوسين. وقال بعضهم: ليلة المعراج، دنا من العرش مقدار قوسين، وإنما ذكر القوسين لأن القرآن نزل بلغة العرب، والعرب تجعل مساحة الأشياء بالقوس. ويقال: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ} يعني: قدر ذراعين، وإنما سمي الذراع قوساً، لأنه تقاس به الأشياء. {أَوْ أدنى} يعني: بل أدنى. ويقال: أو بمعنى واو العطف. يعني: مقدار قوسين أو أقرب من ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [10- 18]

{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ

يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)}
قوله تعالى: {فأوحى إلى عَبْدِهِ مَا أوحى} يعني: أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه جبريل ما قرأ. ويقال: تكلم مع عبده ليلة المعراج ما تكلم. ويقال: أمر عبده بما أمر.
ثم قال: {مَا كَذَبَ الفؤاد مَا رأى} يعني: ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى بصره من أمر ربه في رؤية جبريل عليه السلام. ويقال: في رؤية الله تعالى بقلبه. قال محمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم، هل رأيت ربك: فقال: رأيته بفؤادي. ولم أره بعيني، قرأ الحسن ما كذَّب بتشديد الذال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ومعناه لم يجعل الفؤاد رؤية العين كذباً. والباقون: بالتخفيف. يعني: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم فيما رأى.
ثم قال عز وجل: {أفتمارونه على مَا يرى} قرأ حمزة: {أفتمارونه} بنصب التاء، وجزم الميم بغير ألف. وهكذا روي عن ابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهما، ومعناه: أفتجحدونه فيما رأى. والباقون: {أفتمارونه} يعني: أفتجادلونه لأنه رأى من آيات ربه الكبرى.
ثم قال: {وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أخرى} يعني: لقد رأى جبريل مرة أخرى. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: رأى ربه مرة، فقال: إن الله كلم موسى مرتين، ورأى محمداً مرتين، فبلغ ذلك إلى عائشة رضي الله عنها، وعن أبيها، فقالت: قد اقشعر جلدي من هيبة هذا الكلام؛ فقيل لها: يا أم المؤمنين أليس يقول الله تعالى: {وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أخرى} فقالت: أنا سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: رأيت جبريل نازلاً في الأفق على خلقته، وصورته.

ويقال: {وَلَقَدْ رَءاهُ نَزْلَةً أخرى} يعـني: رآه بفـؤاده وأكـثر المفسرين يقولون: إن المـراد بـه جبريـل. يعـني: محمـداً صلى الله عليه وسلم لما رجع من عند ربه ليلة أسري به، رأى جبريل. {عِندَ سِدْرَةِ المنتهى} فقال مقاتـل: السـدرة هي شجرة طوبى، ولـو أن رجلاً ركب نجيبـه، وطـاف على ساقها حتى أدركه الهرم، لما وصل إلى المكان الذي ركب منه، تحمل لأهل الجنة الحلي والحلل، وجميع ألوان الثمار. ويقال: هي شـجرة غـير شـجرة طـوبى، وهي شـجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة، تخرج أنهـار الجنـة من أصل تلـك الشـجرة. وإنمـا سـميت {سِـدْرَةِ المنتهى} لأن أرواح المؤمنين تنتهي إليهـا. ويقـال: أرواح الشـهداء تنتهي إليها. ويقال: الملائكة ينتهـون إليهـا، ولا يجاوزنهـا. ويقـال: لأن علم كل واحد ينتهي إليها، ولا يتجاوزنهـا، ولا يـدري مـا فوق ذلك. وروي عن طلحة بن مطرف، عن مرة، عن عبد الله قال: لما أسري برسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم انتهى بـه إلى سـدرة المنتهى، وإليهـا ينتهي مـا عـرف من تحتها، وإليها ينتهي ما هبـط من فوقهـا، وهي النهايـة الـتي ينتهي إليها من فوق، ومن تحت، ولا يتجاوز عن ذلك.

ثم قـال عـز وجـل: {عِنـدَهَا جَنَّةُ المـأوى} وإنمـا سـميت المأوى لأنه يأوي إليهـا أرواح الشـهداء. قـرأ سـعد بن أبي وقاص، وعائشة رضي الله عنهمـا: {جَنَّةُ المـأوى} بالتـاء. وقيل لسعد: إن فلانـاً يقـرأ عنـدها {جَنَّةُ المـأوى} بالهـاء. قال سعد: ما له أجنه الله. وعن أبي العاليـة قـال: سـألني ابن عباس: كيف تقرأها يا أبي العالية؟ قال: قلت له جنـة. قال: صـدقت هي مثـل قولـه: {جنـات المـأوى}. وقـراءة العامة {جَنَّةُ} وهي من جنات.

ثم قال: {إِذْ يغشى السدرة مَا يغشى} يعني: يغشـاها من الملائكة ما يغشى. وروي عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه سئل ماذا يغشى؟ قال: جراد من ذهب. ويقال: فراش

من ذهب. وقـال الحسـن: يغشـاها نـور مثـل الجـراد من ذهب.
ثم قال: {مَا زَاغَ البصر} يعني: مـا مـال، ومـا عـدل بصـر محمد صلى الله عليه وسـلم عمـا رأى {وَمَـا طغى} ومـا تعدى، وما جاوز إلى غيره. ويقال: {وَمَا طغى} يعني: وما ظلم صدق محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم فيمـا رأى تلـك الليلة التي عرج به إلى السماء {لَقَـدْ رأى مِنْ ءايـات رَبّـهِ الكبرى} وهو الرفـرف الأخضـر، قـد غطى الأفـق، فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وجاوز سـدرة المنتهى. وقال ابن مسعود: رأى جبريل وله ستمائة جنـاح، وهم {مِنْ ءايات رَبّهِ الكبرى} وذلـك أن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم لما أخبر برؤية جبريـل، تعجبـوا منـه، وأنكـروا، فأخبر الله تعالى أنه قد رآه مرة أخرى، وأنه قد {لَقَدْ رأى مِنْ ءايات رَبّهِ}.

تفسير الآيات رقم [19- 27]

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَـاةَ الثَّالِثَـةَ الْأُخْـرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَـهُ الْأُنْثَى (21) تِلْـكَ إِذًا قِسْـمَةٌ ضِـيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ مَا أَنْـزَلَ اللَّهُ بِهَـا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُـونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَـا تَهْـوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَـدْ جَـاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُـدَى (23) أَمْ لِلْإِنْسَـانِ مَـا تَمَنَّى (24) فَلِلَّهِ الْآَخِرَةُ وَالْأُولَى (25) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّـمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَـيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْـدِ أَنْ يَـأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَـاءُ وَيَرْضَــى (26) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُــونَ بِــالْآَخِرَةِ لَيُسَــمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (27)}
ثم قال عز وجل: {أَفَـرَءيْتُمُ اللات والعـزى} قـرأ مجاهـد: {اللات} بتشـديد التـاء. يقـال: كـان رجلاً يلت السـويق بالزيت، ويطعم الناس. وقال السدي: كان رجلاً يقوم على آلهتهم، ويلت السويق لهم. ويقال: كانت حجارة يعبـدونها، ويـنزل عنـدها رجـل يـبيع السـويق، ويلتـه، فسـميت تلـك

الحجارة باللات. وقرأه العامة بغير تشديد. قال مقاتل: وإنما سمي {اللات والعزى} لأنهم قالوا: هكذا أسماء الملائكة، وهم بناته فنزل {أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ والانثى} وقال قتادة: {اللات} كان لأهل الطائف، {والعزى} لقريش، ومناة للأنصار. ويقال: إن المشركين أرادوا أن يجعلوا من آلهتهم من أسماء الحسنى، فأرادوا أن يسموا الواحد منها الله، فجرى على لسانهم {اللات} وأرادوا أن يسموا الواحد منها العزيز، فجرى على لسانهم العزى، وأرادون أن يسموا الواحد منها المنان فجرى على لسانهم مناة. ويقال: إن العزى كانت نخلة بالطائف يعبدونها، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حتى قطع تلك النخلة، فخرجت منها امرأة تجر شعرها على الأرض، فأتبعها بفأس، فقتلها، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «تِلْكَ العُزَّى قَتَلَهَا فَلاَ تُعْبَدُ العُزَّى أَبَداً». ويقال: أول الأصنام كانت اللات، ثم العزَّى ثم مناة. وهو قوله: {أَفَرَءيْتُمُ اللات والعزى} {ومناة الثالثة الاخرى} يعني: أفرأيتم عبادتها تنفعهم في الآخرة.

ثم قال: {أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ الانثى} يعني بني مدلج، ويعبدون الملائكة، ويقولون: هم بناته فيشفعوا لنا {تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضيزى} أي: جائرة معوجة. قرأ ابن كثير: بهمز الألف، والمد. والباقون: بغير همز، ومعناهما واحد، وهو اسم الصنم. وقرأ ابن كثير: {ضئزى} بالهمزة. والباقون: بغير همزة، ومعناهما واحد. يقال: ضازه، يضيزه، إذا نقصه حقه. يقال: ضزت في الحكم أي جرت.

ثم قال: {ضيزى إِنْ هِىَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا} يعني: الأصنام، {أَنتُمْ وَءابَاؤُكُمُ} بالتقليد {مَّا أَنزَلَ الله بِهَا مِن سلطان} يعني: من عذر، وحجة لكم بما تقولون {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظن} يعني: ما يعبدون، وما يتبعون إلا الظن، ولا تعرفونها أنها يقيناً آلهة، {وَمَا تَهْوَى الانفس} يعني:

يتبعـون مـا تشـتهي أنفسـهم، وعبـدوه، وتركـوا دين اللـه، {وَلَقَـدْ جَـاءهُم مّن رَّبّهِمُ الهـدى} يعـني: أتـاهم الكتـاب، والرسول، وبين لهم طريق الهدى.
ثم قال عز وجل: {أَمْ للإنسان مَا تمنى} يعني: مـا يتمـنى بأن الملائكة تشفع له، فيكون الأمر بتمنيـه، {فَلِلَّهِ الاخـرة والاولى} يعــني: ثــواب الآخــرة والأولى. ويقــال: أهــل السموات، وأهل الأرض كلهم عبيده ويقال: له نفـاذ الأمـر في الآخــرة، والأولى. ويقــال: جميــع مــا فيهــا يــدل على وحدانيته.
ثم قـال: {وَكَمْ مّن مَّلَـكٍ فِى السـموات اَ تُغْنِى شـفاعتهم شَــيْئاً} يعــني: لا تنقطــع شــفاعتهم، رداً لقــولهم: إنهم يشفعون لنا.
ثم اسـتثنى فقـال: {إِلاَّ مِن بَعْـدِ أَن يَـأْذَنَ اللـه لِمَن يَشَـاء ويرضى} يعني: من كان معه التوحيد، فيشفع له بإذن الله تعالى.
ثم قال: {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة} يعـني: لا يصـدقون بالبعث {لَيُسَمُّونَ الملائكة تَسْـمِيَةَ الانـثى} باسـم البنـات، وفيه تنبيه للمؤمنين، لكي لا تقولوا مثـل مقـالتهم، وزجـراً للكافرين عن تلك المقالة.

تفسير الآيات رقم [28- 32]

{وَمَــا لَهُمْ بِــهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُــونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَــقِّ شَــيْئًا (28) فَــأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَــوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُــوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَــلَّ عَنْ سَــبِيلِهِ وَهُــوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (30) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَـنُوا بِالْحُسْـنَى (31) الَّذِينَ يَجْتَنِبُــونَ كَبَــائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَــوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِـعُ الْمَغْفِـرَةِ هُـوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَـأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)}
قال عز وجل: {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ} يعني: ليس لهم حجة على مقالتهم {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظنَ} يعني: ما يتبعون إلا الظن يعني: على غير يقين {وَإِنَّ الظن لاَ يُغْنِى مِنَ الحق شَيْئاً} يعني: لا يمنعهم من عذاب الله شيئاً {فَأَعْرَضَ مَّن تولى عَن ذِكْرِنَا} يعني: اترك من أعرض عن القرآن، ولا يؤمن به. {وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الحياة الدنيا} يعني: لم يرد بعلمه الدار الآخرة، إنما يريد به منفعة الدنيا {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مّنَ العلم} يعني: غاية علمهم الحياة الدنيا. ويقال: ذلك منتهى علمهم، لا يعلمون من أمر الآخرة شيئاً، وهذا كقوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مّنَ الحياة الدنيا وَهُمْ عَنِ الاخرة غافلون}.
ثم قال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ} يعني: هو أعلم بمن ترك طريق الهدى {وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهتدى} يعني: من تمسك بدين الإسلام، ومعناه: فأعرض عنهم، ولا تعاقبهم، فإن الله عليم بعقوبة المشركين، وبثواب المؤمنين، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال.
ثم عظم نفسه بأنه غني عن عبادتهم فقال: {وَللَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض} من الخلق {لِيَجْزِىَ الذين فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} يعني: ليعاقب في الآخرة الذين أشركوا، وعملوا المعاصي {وَيِجْزِى الذين أَحْسَنُواْ بالحسنى} يعني: ويثيب الذين آمنوا، وأدوا الفرائض الخمسة بإحسانهم.
ثم نعت المحسنين فقال: {الذين يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم والفواحش} قرأ حمزة والكسائي: {كَبِير الإثم} بلفظ الوحدان، والمراد به: الجنس. والباقون: {يَجْتَنِبُونَ كبائر الإثم} بلفظ الجماعة. قال بعضهم: {كبائر الإثم} يعني: الشرك بالله، {والفواحش} يعني: المعاصي. وقال

بعضهم: {كبائر الإثم والفـواحش} بمعـنى واحـد، لأن كـل فاحشة كبيرة، وكل كبيرة فاحشة. وروي عن النـبي صـلى الله عليه وسلم أنـه قـال «الْكَبَـائِرُ أَرْبَعَـةٌ: الشِّـرْكُ بِاللـه، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله». وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الكبائر سبعة. فبلغ ذلـك إلى عبـد اللـه بن عبـاس، فقـال: هي إلى السبعين أقرب. ويقال: كل ما نهى الله عنـه فهـو كبيرة. وقيل: كل ما أصر العبد عليه فهو كبـيرة، كمـا روي عن بعضهم أنه قال: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار.

قال: {إِلاَّ اللمم} وقال بعضهم: {اللمم} هـو الصـغائر من الذنوب. يعني: إذا اجتنبت الكبائر، يغفر الله صغار الـذنوب من الصـلاة إلى الصـلاة، ومن الجمعـة إلى الجمعـة، وهـو كقوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنهَـوْنَ عَنْـهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سـيئاتكم وَنُـدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيمـاً} [النسـاء: 31] قـال مقاتل: نزلت في شأن نبهان التمار، وذلـك أن امـرأة أتت لتشتري التمر، فقال لها: ادخلي الحانوت، فعانقها، وقبلها، فقالت المرأة: خنت أخاك ولم تصب حاجتك، فندم، وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى مسروق عن ابن مسعود: قـال زنى العيـنين النظـر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصـدق ذلك الفرج، أو يكذبه. فإن تقـدم كـان زنى وإن تـأخر كـان لممـاً. وقـال عكرمـة: {اللمم} النظـر، وحـديث النفس، ونحو ذلك. وروى طـاوس، عن ابن عبـاس قـال: مـا رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الله كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَى. فَـزِنَى الْعَيْنَيْنِ نَظَـرُ النَّاظِرِ، وَزِنَى اللِّسَـانِ النُّطْـقُ، وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى، وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَـدِّقُ ذَلِـكَ أَوْ يُكَذِّبُـهُ». وقال عبد الله بن الزبير: {اللمم} القبلـة، واللمس باليـد.

وقال بعضهم: {اللمم} كل ذنب يتوب عنه ولا يصر عليــه. وروى منصور، عن مجاهد قال: في قوله: {إِلاَّ اللمم} هــو الرجل يذنب الذنب، ثم يـنزع عنـه. وروي عن أبي هريـرة: قال: {اللمم} النكـاح. وذكـر ذلـك لزيـد بن أسـلم فقـال: صدق إنما اللمم لمم أهل الجاهلية. يقـول اللـه تعـالى في كتابه {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمــاتكم وخـــالاتكم وَبَنَـــاتُ الاخ وَبَنَـــاتُ الاخت وأمهـــاتكم الْلاَّتِى أَرْضَـــعْنَكُمْ وأخـــواتكم مِّنَ الرضـــاعة وأمهـــات نِسَـــآئِكُمْ وَرَبَــائِبُكُمُ اللاتي فِى حُجُــورِكُمْ مِّن نِّسَــآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَـإِن لَّمْ تَكُونُـواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَـاحَ عَلَيْكُمْ وحلائــل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاخـتين إَلاَّ مَـا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النسـاء: 23]. وروي عن الحسن أنه قال: {اللمم} هـو أن يصـيب النظـرة من المــرأة، والشــربة من الخمــر. ثم يــنزع عنــه. وروي عن مجاهـد أنـه قـال: الـذي يلم بالـذنب، ثم يدعـه. وقـد قـال الشاعر

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا *** وَأيّ عَبْدِ للَّه لا أَلَمَّا

وقال بعضهم: {إِلاَّ اللمم} ومعنـاه: ولا اللمم. ومعنـاه: أن تجتنبوا صغائر الذنوب، وكبائرها، كمـا قـال القائـل: وبلـدة ليس بهـا أنيس إلا اليعـافير، والعيش. يعـني: ولا اليعـافير، ولا العيس. وروي عن رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم أنه قال: «إيَّاكُمْ وَالمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ». وسـئل زيـد بن ثابت عن قوله: {إِلاَّ اللمم} قال: حرم اللـه الفـواحش مـا ظهر منها، وما بطن.

ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ واسع المغفـرة} يعـني: واسـع الفضـل، غافر الذنوب للذين يتوبون. ويقـال: معنـاه رحمتـه واسـعة على الذين يجتنبون الكبائر.

ثم قال: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ} يعني: هو أعلم بحالكم منكم {إِذْ أَنشَــأَكُمْ مّنَ الارض} يعـــني: إذ هـــو خلقكم من الأرض.

يعـني: خلـق آدم من تـراب، وأنتم من ذريتـه. {وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ} يعني: كنتم صغاراً {فِى بُطُـونِ أمهاتكم} كـان هـو أعلم بحالكم منكم في ذلك كلـه، {فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَـكُمْ هُـوَ أَعْلَمُ} يعني: لا تبرؤوا أنفسكم من الذنوب، ولا تمدحوها. ويقال: {وَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: لا يمدح بعضكم بعضـاً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـال: «إذا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرابَ». والمدح على ثلاثـة أوجـه: أولـه أن يمدحـه في وجهـه، فهـو الـذي نهي عنـه. والثاني: أن يمدحه بغير حضرته، ويعلم أنه يبلغه، فهو أيضاً منهي عنـه. والثـالث: أن يمدحـه في حـال غيبتـه، وهـو لا يبالي بلغه أو لم يبلغه، ويمدحه بما هو فيه، فلا بأس بهـذا. ويقال: {فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ} يعني: لا تطهروا أنفسكم من العيـوب. وهـذا كمـا قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «النَّاسُ كَإِبِـلٍ مِائَةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَـا رَاحِلَـةً». {بِمَنِ اتقى} يعني: من يستحق المدح، ومن لا يستحق المدح.

تفسير الآيات رقم [33- 42]

{أَفَـرَأَيْتَ الَّذِي تَـوَلَّى (33) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْـدَى (34) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (35) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْـرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَـانِ إِلَّا مَـا سَـعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42)}

ثم قال: {أَفَرَأَيْتَ الذى تـولى} يعـني: أعـرض عن الحـق، وهو الوليد بن المغيرة، ومن كان في مثل حالـه {وأعطى قَلِيلاً} يعـني: وأنفـق قليلاً من مالـه {وأكـدى} يعـني: هـو أمسك عن النفقة. قـال مقاتـل: أنفـق الوليـد بن المغـيرة على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نفقـة قليلـة، ثم انتهى عن ذلك. وقال القتـبي: {وأكـدى} أصـله من كديـه الدكية وهي الصلابة فيها. فإذا بلغها الحـافر، ييبس حفرهـا،

فقطع الحفرة. يعني: تركها. فقيل: لمن طلب شيئاً، ولم يدرك أخره، وأعطى شيئاً، ولم يتم وأكدى.
ثم قال عز وجل: {عِلْمُ الغيب فَهُوَ يرى أَمْ} يعني: أعنده علم الآخرة {فَهُوَ يرى} صنيعه. وقيل: يعلم ما في اللوح المحفوظ، فيرى صنيعه. {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ موسى} يعني: ألم يخبر بما بيّن الله تعالى في صحف موسى. قال بعضهم: {صُحُفِ موسى} يعني: التوراة. وقال بعضهم: هو كتاب أنزل عليه قبل التوراة {وإبراهيم الذى وفى} يعني: في كتاب إبراهيم {الذى وفى} يعني: بلغ الرسالة. ويقال: {وفى} بمعنى عمل ما أمر به. وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال لعثمان: إنك تنفق مالك، فعن قريب تفتقر. فقال عثمان: إن لي ذنوباً. فقال الوليد: ادفع إلي بعض المال حتى أدفع ذنوبك، فدفع إليه، فأنزل الله تعالى {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ موسى} يعني: ألم يبين الله تعالى في كتاب موسى، وكتاب إبراهيم، {أَلاَّ تَزِرُ وازرة وِزْرَ أخرى} يعني: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى. ويقال: {وإبراهيم الذى وفى} يعني: بما ابتلاه الله تعالى بعشر كلمات. ويقال: بذبح الولد. ويقال: كان يصلي كل غداة أربع ركعات، صلاة الضحى فسماه وفياً.
ثم قال عز وجل: {وَأَن لَّيْسَ للإنسان إِلاَّ مَا سعى} يعني: ليس للإنسان في الآخرة إلا ما عمل في الدنيا من خير أو شر {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يرى} يعني: يرى ثواب عمله في الآخرة.
قوله عز وجل {ثُمَّ يُجْزَاهُ الجزاء الاوفى} يعني: يعطى ثوابه كاملاً {وَأَنَّ إلى رَبّكَ المنتهى} يعني: إليه ينتهي أعمال العباد، وإليه يرجع الخلق كلهم، فهذا كله في مصحف موسى، وإبراهيم.

▲ تفسير الآيات رقم [43- 58]

{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (55) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (56) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58)}

ثم قال: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وأبكى} يعني: {أَضْحَكَ} أهل الجنة في الجنة. قال: {وأبكى} أهل النار في النار. ويقال: {أَضْحَكَ} في الدنيا أهل النعمة، {وأبكى} أهل الشدة، والمعصية. {وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} يعني: يميت في الدنيا، ويحيي في الآخرة للبعث {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزوجين} يعني: اللونين، والصنفين، {الذكر والانثى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تمنى} يعني: تهراق في رحم الأنثى. وقال القتبي: {مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تمنى} يعني: تقدر، وتخلق. ويقال: ما تدري ما يمني لك الماني. يعني: ما يقدر لك المقدر.

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّ عَلَيْهِ النشأة الاخرى} يعني: البعث بعد الموت. يعني: ذلك إليه، وبيده، وهو قادر على ذلك، فاستدل عليهم بالفعل الآخر بالفعل الأول، أنه خلقهم في الابتداء من النطفة، وهو الذي يحييهم بعد الموت {وَأَنَّهُ هُوَ أغنى وأقنى} يعني: حول وأعطى المال. {وأقنى} يعني: أفقر. ويقال: {أغنى} يعني: يعطي {وأقنى} يعني: يُرضي بما يُعطي. ويقال: {أغنى} نفسه عن الخلق {وأقنى} يعني: أفقر الخلق إلى نفسه. وروى السدي عن أبي صالح: {أغنى} بالمال، {وأقنى} يعني: بالقنية. وقال الضحاك: {أغنى} بالذهب، وبالفضة، والثياب، والمسكن،

{وأقنى} بالإبل، والبقر، والغنم، والدواب. وقـال عكرمـة: {أغنى} يعني: أرضى {وأقنى} يعني: وأقنع.
ثم قال: {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشعرى} يعني: وأن الله هو خـالق الشعرى. قال ابن عباس: هو كـوكب تعبـده خزاعـة يطلـع بعـد الجـوزاء، يقـول اللـه تعـالى وأنـا ربهـا، وأنـا خلقتهـا، فاعبدوني.
ثم خــوفهم فقــال عــز وجــل: {وَأَنَّهُ أَهْلَـكَ عَـاداً الاولى} بالعذاب، وهم قوم هود عليه السلام، وكان بعدهم عاد آخر سـواهم، فلهـذا سـماهم عـاد الأُولى {وَثَمُـودَ فَمَـا أبقى} يعني: قوم صـالح عليـه السـلام، فـأهلكهم اللـه، ومـا بقي منهم أحـد. قـرأ نـافع، وأبـو عمـرو {عَـادٍ الاولى} بحـذف الهمزة، وإدغام التنوين. والباقون: {عَاداً} بالتنوين الأولى، بالهمزة. وكلاهما جائز عند العرب. وقـرأ حمـزة، وعاصـم، روايـة حفص: {وَثَمُـودُ} بغـير تنـوين. والبـاقون: {ثمـوداً} بالتنوين. قال أبو عبيد نقرأ بالتنوين مكان الألف الثانية في المصحف.
ثم قال: {مُنتَصِرِينَ وَقَوْمَ نُوحٍ مّن قَبْلُ} يعني: أهلكنا قوم نـوح من قبـل عـاد وثمـود {إِنَّهُمْ كَـانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وأطغى} يعـني: أشـد في كفـرهم، وطغيـانهم، لأنـه لبث فيهم ألـف سنة إلا خمسين عامـاً، فـدعاهم، فلم يجيبـوا، وكـان الآبـاء يوصون الأبناء بتكذيبه.
ثم قال عز وجل: {والمؤتفكة أهـوى} يعـني: مدينـة قـوم لوط. وسماها مؤتفكة لأنهـا ائتفكت. أي: انقلبت {أهـوى} أي: أســقط. ويقــال: {المؤتفكــة} يعــني: المكذبــة {والمؤتفكة أهوى} يعني: أهـوى من السـماء إلى الأرض، وذلـك أن جبريـل عليـه السـلام حيث قلـع تلـك المـدائن، فرفعهـا إلى قـريب من السـماء، ثم قلبهـا، وأهواهـا إلى الأرض.

{فغشاها مَا غشى} يعني: فغشاها من الحجارة {مَا غشى} كقوله: {فَجَعَلْنَا عاليها سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} [الحجر: 74].

ثم قال: {فَبِأَىّ آلاء رَبّكَ تتمارى} يعني: بأي نعمة من نعماء ربك تتجاحد أيها الإنسان، بأنها ليست من الله تعالى.

قوله عز وجل: {هذا نَذِيرٌ مّنَ النذر الاولى} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم {نَّذِيرٍ} مثل {النذر الاولى} يعني: رسولاً مثل الرسل الأولى، ثم نوح، وهود، وصالح صلوات الله عليهم، وقد خوفهم الله ليحذروا معصيته، ويتبعوا ما أمرهم الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: {أَزِفَتِ الازفة} يعني: دنت القيامة {لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ الله كَاشِفَةٌ} يعني: ليس للساعة من دون الله {كَاشِفَةٌ} عن علم قيامها، وهذا كقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ مرساها قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السماوات والارض لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ الله ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187].

تفسير الآيات رقم [59- 62]

{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (61) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)}

ثم قال عز وجل: {أَفَمِنْ هذا الحديث تَعْجَبُونَ} يعني: من القرآن تعجبون تكذيباً {وَتَضْحَكُونَ} استهزاءً. {وَلاَ تَبْكُونَ} مما فيه من الوعد {وَأَنتُمْ سامدون} يعني: لاهين عن القرآن. روي عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: هو الغناء. كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، ولعبوا، وهي بلغة أهل اليمن. وقال قتادة {سامدون} يعني: غافلون.

ثم قال عز وجل: {فاسجدوا لِلَّهِ} يعني: صلوا لله. ويقال: اخضعوا لله {واعبدوا} يعني: أطيعوا. ويقال: {فاسجدوا

لِلَّهِ} في الصـلاة {واعبـدوا} يعـني: وحـدوه. ويقـال: هـو سـجدة التلاوة بعينهـا. وروي عن الشـعبي أنـه قـال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في النجم، وسـجد معه المؤمنون، والمشركون، والجن، والإنس.

سورة القمر

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4)}

قوله تعالى: {اقتربت الساعة} يعني: دنا قيام الساعة، لأن خروج النبي صلى الله عليه وسلم كان من علامات الساعة {وانشق القمر} وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علامة لنبوته، فانشق القمر نصفين. وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانشق القمر نصفين، فرأيت حراء بين فلقتي القمر، أي: شقتي القمر. وعن جبير بن مطعم قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة. وروى قتادة، عن أنس قال: سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة. وقال بعضهم: {اقتربت الساعة وانشق القمر} يعني: تقوم الساعة، وينشق القمر يوم القيامة. وأكثر المفسرين قالوا: إن هذا قد مضى. وقال عبد الله بن مسعود: ما وعد الله ورسوله من أشراط الساعة كلها قد مضى، إلا أربعة طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض، وخروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج.

ثم قال: {وَإِن يَرَوْاْ ءايَةً يُعْرِضُواْ} يعني: إذا رأوا آية من آيات الله مثل انشقاق القمر، يعرضوا عنها، ولا يتفكروا

فيها. {وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} يعني: مصنوعاً. سيذهب. ويقال: معناه ذاهباً يذهب، ثم التئام القمر. وقال القتبي: {سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} يعني: شديد القوى، وهو من المرة، وهو القتل. وقال الزجاج: في مستمر قولان: قول ذاهب، وقول دائم. وقال الضحاك: لما رأى أهل مكة انشقاق القمر. وقال أبو جهل: هذا سحر مستمر فابعثوا إلى أهل الآفاق، حتى ينظروا إذا رأوا القمر منشقاً أم لا. فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، قالوا: هذا سحر مستمر يعني: استمر سحره في الآفاق.

قوله عز وجل: {وَكَذَّبُواْ} يعني: كذبوا بالآية، وبقيام الساعة. {واتبعوا أَهْوَاءهُمْ} في عبادة الأصنام {وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ} يعني: كل قول من الله له حقيقة منه في الدنياً سيظهر، وما كان منه في الآخرة سيعرف. يعني: ما وعد لهم من العقوبة. ويقال: معناه مستقر لأهل النار عملهم، ولأهل الجنة عملهم. يعني: يعطي لكل فريق جزاء أعمالهم.

ثم قال: {وَلَقَدْ جَاءهُم مّنَ الانباء} يعني: جَاء لأهل مكة من الأخبار عن الأمم الخالية {مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ} يعني: ما فيه موعظة لهم، وزجر عن الشرك، والمعاصي.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 14]

{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)}

قوله تعالى: {حِكْمَةٌ بالغة} يعني: جاءهم كلمة بالغة، وهو القرآن يعني: حكمة وثيقة {فَمَا تُغْنِى النذر} يعني: لا تنفعهم النذر إن لم يؤمنوا، كقوله: {قُلِ انظروا مَاذَا فِى السماوات والارض وَمَا تُغْنِى الآيات والنذر عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ} [يونس: 101] ويقال: {فَمَا تُغْنِى النذر} لم تنفعهم الرسل إذا نزل بهم العذاب إن لم يؤمنوا.
قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ} يعني: اتركهم، وأعرض عنهم، بعدما أقمت عليهم الحجة. {يَوْمَ يَدْعُو الداع} يعني: يدعو إسرافيل على صخرة بيت المقدس {إلى شَىْءٍ نُّكُرٍ} يعني: إلى أمر فظيع، شديد، منكر {خُشَّعاً} يعني: ذليلة {أبصارهم} خاشعاً، نصب على الحال يعني: يخرجون، خاشعاً. قرأ حمزة، والكسائي، وأبو عمرو {خاشعا} بالألف مع النصب. والباقون: خُشعاً بضم الخاء، بغير ألف، وتشديد الشين بلفظ الجمع، لأنه نعت للجماعة. ومن قرأ: بلفظ الواحد، فلأجل تقديم النعت. وقرأ ابن مسعود: {خاشعة} بلفظ التأنيث. وقرأ ابن كثير: {إلى شَىْءٍ نُّكُرٍ} بجزم الكاف. والباقون: بالضم، وهما لغتان.
ثم قال عز وجل: {يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث} يعني: من القبور، {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} يعني: انتشروا عن معدنهم، ويجول بعضهم في بعض.
قوله تعالى: {مُّهْطِعِينَ إِلَى الداع} يعني: مقبلين إلى صوت إسرافيل {يَقُولُ الكافرون هذا يَوْمٌ عَسِرٌ} يعني: شديد عَسِر عليه. وروي في الخبر: «أَنَّهُمْ إذا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ، يَمْكِثُونَ وَاقِفِينَ أَرْبَعِينَ سَنَّةً» ويقال: مائة سنة، حتى يقولوا أرحنا من هذا، ولو إلى النار، ثم يؤمرون بالحساب.
ثم عزى نبيه صلى الله عليه وسلم ليصبر على أذى قومه كما لقي الرسل من قومهم فقال: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ} يعني: قبل قومك يا محمد {قَوْمُ نُوحٍ} حين أتاهم بالرسالة

{فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا} نوحاً {وَقَالُواْ مَجْنُونٌ} يعني: قالوا لنوح: إنك مجنون {وازدجر} يعني: أوعد بالوعيد. ويقال: صاحوا به حتى غشي عليه. وقال القتبي: {وازدجر} أي: زجر. وهو افتعل من ذلك، فلما ضاق صدره {فَدَعَا رَبَّهُ أَنّى مَغْلُوبٌ} يعني: مقهور فيما بينهم {فانتصر} يعني: أعني عليهم بالعذاب، فأجابه الله كما في سورة الصافات: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المجيبون} [الصافات: 75].

قوله عز وجل: {فَفَتَحْنَا أبواب السماء} يعني: طرق السماء {بِمَاء مُّنْهَمِرٍ} يعني: منصباً كثيراً. وقال القتبي: {بِمَاء مُّنْهَمِرٍ} أي: كثير، سريع الانصباب. ومنه يقال: همر للرجل إذا كثر من الكلام، وأسرع فيه. قرأ ابن عامر: {فَفَتَحْنَا} بتشديد التاء على تكثير الفعل. وقرأ الباقون: بالتخفيف، لأنها فتحت فتحاً واحداً.

قوله عز وجل: {وَفَجَّرْنَا الارض عُيُوناً} يعني: أخرجنا من الأرض عيوناً مثل الأنهار الجارية {فَالْتَقَى الماء} يعني: ماء السماء، وماء الأرض، {على أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ} يعني: على وقت قد قضى {وَحَمَلْنَاهُ} يعني: حملنا نوحاً {على ذَاتِ ألواح} يعني: على سفينة قد اتخذت بألواح {وَدُسُرٍ} يعني: سفينة قد شدت بالمسامير.

وقال بعضهم: كانت سفينة نوح من صاج. وقال بعضهم: من خشب شمشار. ويقال: من الجوز. وقال القتبي: الدسر المسامير، واحدها دسار، وهي أيضاً الشريط الذي يشد بها السفينة.

ثم قال: {تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا} يعني: تسير السفينة بمنظر منا، وأمرنا. ويقال: بمراد وحفظ منا. وقال الزجاج في قوله: {فَالْتَقَى الماء} ولم يقل الماءان، لأن الماء اسم لجميع ماء السماء، وماء الأرض. فلو قال: ماءان لكان جائزاً، لكنه لم يقل.

ثم قال: {جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} يعني: الحمل على السفينة، ثواب لنوح الذي كفر به قومه. وقرأ بعضهم: {جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} بالنصب يعني: الفرق عقوبة لمن كذب بالله تعالى، وبنوح.

تفسير الآيات رقم [15- 20]

{وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20)}

قوله تعالى: {وَلَقَدْ تركناها ءايَةً} أي: سفينة نوح أبقيناها عبرة للخلق. وقال بعضهم: يعني: تلك السفينة بعينها كانت باقية على الجبل إلى قريب من خروج النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: يعني: جنس السفينة صارت عبرة، لأن الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة، فاتخذت الناس السفن بعد ذلك في البحر، فلذلك كانت آية للناس.

ثم قال: {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: هل من معتبر يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح، فيترك المعصية. ويقال: فهل من مذكر يتعظ بأنه حق، ويؤمن به. وقال أهل اللغة: أصل مدكر، مفتعل من الذكر، مذتكر، فأدغمت الذال في التاء، ثم قلبت دالاً مشددة.

ثم قال: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ} يعني: كيف رأيت عذابي، وإنذاري لمن أنذرهم الرسل، فلم يؤمنوا، والنذر بمعنى الإنذار.

قوله عز وجل: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان} يعني: هوّنا القرآن {لِلذّكْرِ} يعني: للحفظ. ويقال: هونا قراءاته. وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لَوْلا قَوْلُ الله تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن

مُّدَّكِرٍ} {مَا ألقى مَعَاذِيرَهُ} {لاَ تُحَرّكْ بِهِ} ويقال: هوناه لكي يذكروا به ثم قال: {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: متعظ، يتعظ بما هون من قراءة القرآن. وروى الأسود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} بالدال، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَهَلْ مِنْ مُذَّكِر " يعني: بالذال.

قوله تعالى: {كَذَّبَتْ عَادٌ} يعني: كذبوا رسولهم هود {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ} يعني: أليس وجوده حقاً، ونذر جمع نذير قال القتبي: النذر جمع النذير، والنذير بمعنى الإنذار، مثل التنكير بمعنى الإنكار. يعني: كيف كان عذابي، وإنكاري.

ثم بيّن عذابه فقال عز وجل: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً} يعني: سلطنا عليهم ريحاً باردة {فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرّ} يعني: شديدة استمرت عليهم، لا تفتر عنهم سبع ليال، وثمانية أيام، حسوماً دائمة {تَنزِعُ الناس} يعني: تنزع أرواحهم من أجسادهم، وهذا قول مقاتل. ويقال: {فِى يَوْمِ نَحْسٍ} يعني: يوم مشؤوم عليهم: {مُّسْتَمِرٌّ} يعني: استمر عليهم بالنحوسة. وقال القتبي: الصرصر ريح شديدة ذات صوت تنزع الناس. يعني: تقلعهم من مواضعهم. {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} يعني: صرعهم، فكبهم على وجوههم كأنهم أصول نخل منقلعة من الأرض، فشبههم لطولهم بالنخيل الساقطة. وقال مقاتل: كان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعاً. وقال في رواية الكلبي: كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعاً، فاستهزؤوا حين ذكر لهم الريح، فخرجوا إلى الفضاء، فضربوا بأرجلهم، وغيبوها في الأرض إلى قريب من ركبهم، فقالوا: قل للريح حتى ترفعنا، فجاءت الريح فدخلت تحت الأرض، وجعلت ترفع كل اثنين، وتضرب

أحدهما على الآخر بعدما ترفعهما في الهواء، ثم تلقيه في الأرض، والباقون ينظرون إليهم حتى رفعتهم كلهم، ثم رمت بالرمل والتراب عليهم، وكان يسمع أنينهم من تحت التراب كذا وكذا يوماً.

تفسير الآيات رقم [21- 31]

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآَنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (24) أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (26) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (28) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (29) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (30) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (31)}

قال الله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} وقد ذكرناه {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنذر} يعني: صالحاً حين أتاهم {فَقَالُواْ أَبَشَراً مّنَّا واحدا} يعني: خلقاً مثلنا {نَّتَّبِعُهُ} في أمره {إِنَّا إِذاً لَّفِى ضلال وَسُعُرٍ} يعني: إنا إذا فعلنا ذلك {لَفِى} خطأ وعناء. وقال الزجاج: يعني: إنا إذا فعلنا ذلك {لَفِى ضلال} وجنون. وهذا كما يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها جنون. ويجوز أن يكون {وَسُعُرٍ} جمع في معنى العذاب.

ثم قال عز وجل: {الذّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ} يعني: اختص بالنبوة، والرسالة من بيننا، {بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} يعني: كاذباً على الله {أَشِرٌ} يعني: بطراً متكبراً.

قوله عز وجل: حدّثنا {سَيَعْلَمُونَ غَداً} قرأ ابن عامر، وحمزة {ستعلمون} بالتاء على معنى المخاطبة. يعني: أن صالحاً قال لهم {ذلك غَداً} والباقون: بالياء على معنى الخبر عنهم من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم

أنهم يعلمون غداً يعني: يوم القيامة {مَّنِ الكـذاب الاشـر} أهم، أم صالح؟ ومعناه: أنـه يتـبين لهم أنهم هم الكـاذبون، وكان صالحاً صادقاً في مقالته.

ثم قال: {إِنَّا مُرْسِلُواْ} يعـني: نخـرج لهم {الناقـة} وذلـك حين سألوا صالحاً بـأن يخـرج لهم ناقـة من الحجـر، فـدعا صـالح ربـه، فـأوحى اللـه تعـالى إليـه أني مخـرج الناقـة {فِتْنَةً} يعني: بلية {لَّهُمْ فـارتقبهم} يعـني: انتظـر هلاكهم {واصطبر} على الإيذاء.

قوله تعالى: {وَنَبِّئْهُمْ} يعني: وأخـبرهم {أَنَّ المـاء قِسْـمَةٌ بَيْنَهُمْ} يوم للناقة، ويوم لأهل القرية {كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ} يعني: إذا كان يوم الناقة تحضر الناقـة، ولا يحضـرون، وإذا كان يومهم لا تحضر الناقـة، وكـل فريـق يحضـر في نوبتـه {فَنَادَوْاْ صاحبهم} يعني: مصدع أو قذار {فتعاطى فَعَقَـرَ} يتناول الناقة بالسهم يعقرها {فَكَيْفَ كَانَ عَـذَابِى وَنُـذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَـيْحَةً واحـدة} يعـني: صـيحة جبريـل عليـه السـلام {فَكَـانُواْ كَهَشِـيمِ المحتظـر} قـال قتـادة: يعـني: كرماد محترق. وقال الزجاج: الهشيم مـا يبس من الـورق، وتحطم، وتكسر قرأ بعضهم: {كَهَشِـيمِ المحتظـر} بنصـب الظـاء. وقـراءة العامـة: بالكسـر: فمن قـرأ بالنصـب فهـو اسم الحظيرة، ومعناه: كهشيم المكـان الـذي يحضـر فيـه الهشيم. ومن قرأ بالكسر: فهـو صـاحب الحظـيرة، يعـني: يجمع الحشيش في الحظيرة، لغنمه فداسته الغنم.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 40]

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُـرْآنَ لِلـذِّكْرِ فَهَـلْ مِنْ مُـدَّكِرٍ (32) كَـذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (33) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِـبًا إِلَّا آَلَ لُـوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (34) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (35) وَلَقَـدْ أَنْـذَرَهُمْ بَطْشَـتَنَا فَتَمَـارَوْا بِالنُّذُرِ (36) وَلَقَـدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَـذُوقُوا عَـذَابِي وَنُـذُرِ (37) وَلَقَـدْ صَـبَّحَهُمْ بُكْـرَةً عَـذَابٌ مُسْـتَقِرٌّ (38) فَـذُوقُوا

عَـذَابِي وَنُـذُرِ (39) وَلَقَـدْ يَسَّـرْنَا الْقُـرْآنَ لِلـذِّكْرِ فَهَـلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (40)}
ثم قال عز وجـل: {وَلَقَـدْ يَسَّـرْنَا القـرءان لِلـذِّكْرِ} يعـني: سهلناه للحفـظ، لأن كُتب الأولين يقرؤهـا أهلهـا نظـراً، ولا يكادون يحفظون من أولها إلى آخرها، كما يحفـظ القـرآن {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: متعظ به.
قوله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بالنذر} يعني: بالرسل، لأن لوطاً عليـه السـلام يـدعوهم إلى الإيمـان بجميـع الرسـل، فكذبوهم، ولم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالى.
وهو قوله: {إِنَّا أَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ حاصـبا} يعـني: حجـارة من فوقهم {إِلاَّ الَ لُوطٍ نجيناهم بِسَحَرٍ} يعني: وقت السحر.
قولـه تعـالى: {نّعْمَـةً مّنْ عِنـدِنَا} يعـني: رحمـة من عنـدنا على آل لـوط. صـار نعمـة نصـباً لأنـه مفعـول. ومعنـاه: ونجيناهم بالإنعام عليهم {كَذَلِكَ نَجْـزِى مَن شَـكَرَ} يعـني: هكـذا يجـزي اللـه تعـالى من شـكر نعمتـه، ولم يكفرهـا. ويقال: {مَن شَكَرَ} يعني: من وحد اللـه تعـالى، لم يعذبـه في الآخرة مع المشركين، فكما أنجـاهم في الـدنيا ينجيهم في الآخرة، ولا يجعلهم مع المشركين.
قوله عز وجل: {وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا} يعني: خوفهم لوط عقوبتنا {فَتَمَارَوْاْ بالنذر} يعـني: شـكوا بالرسـل، فكـذبوا، يعني: لوط. ويقال: معناه شكوا بالعذاب الذي أخـبرهم بـه الرسل أنه نازل بهم.
قوله تعالى: {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ} يعـني: طلبـوا منـه الضيافة، وكانت أضيافه جبريل مع الملائكة، فمسح جبريل بجناحــه على أعينهم، فــذهب أبصــارهم، وذلــك قولــه: {فَطَمَسْـنَا أَعْيُنَهُمْ} يعــني: أذهبنــا أعينهم، وأبصــارهم، {فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ} اللفظ لفظ الاستفهام، والمـراد بـه الخبر. يعني: فذوقوا عذاب الله تعالى، أي: عقوبة الله مـا أخبر الله تعالى.

ثم قال: {وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ} يعني: أخذهم وقت الصبح عذاب دائم. يعني: عذاب الدنيا موصولة بعذاب الآخرة {فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ} يقال لهم: ذوقوا عذاب الله تعالى، وإنذاره.
ثم قال: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القرءان لِلذّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} وقد ذكرناها.

تفسير الآيات رقم [41- 48]

{وَلَقَدْ جَاءَ آَلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (41) كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (42) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (43) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (44) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (45) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (46) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (47) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (48)}
قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاء ءالَ فِرْعَوْنَ النذر} يعني: الرسل وهو موسى، وهارون، {كَذَّبُواْ بئاياتنا كُلَّهَا} يعني: بالآيات التسع {فأخذناهم} يعني: عاقبناهم عند التكذيب، {أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} يعني: عقوبة منيع بالنقمة على عقوبة الكفار، مقتدراً يعني: قادراً على عقوبتهم، وهلاكهم.
ثم خوف كفار مكة فقال: {أكفاركم خَيْرٌ مّنْ أُوْلَئِكُمْ} يعني: أكفاركم أقوى في النذر من الذين ذكرناهم، فأهلكهم الله تعالى، وهو قادر على إهلاكهم {أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِى الزبر} يعني: براءة في الكتب من العذاب. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر. يعني: ليس لكم براءة، ونجاة من العذاب.
ثم قال عز وجل: {أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ} يعني: ممتنع من العذاب يقول الله تعالى: {سَيُهْزَمُ الجمع}

يعني: سيهزم جمع أهل مكة في الحـرب {وَيُوَلُّونَ الـدبر} يعني: ينصرفون من الحرب، منهزمين. يعني: به: يوم بدر، وفي هذا علامة من علامات النبـوة، لأن هـذه الآيـة نـزلت بمكـة، وأخـبرهم أنهم سـيهزمون في الحـرب، فكـان كمـا قال. وروى عبـد الـرزاق، عن معمـر، عن قتـادة، أن عمـر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: {سَـيُهْزَمُ الجمـع وَيُوَلُّونَ الـدبر} فكنت لم أعلم مـا هي، وكنت أقـول: أي جمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر، رأيت النبي صلى الله عليـه وسـلم يثبت في الـدرع، ويقـول: «سَـيُهْزَمُ الجَمْـعُ وَيُوَلُّوْنَ الدُّبَر» وقال الزجاج: «ويولون الدبر» يعني: الإدبار، كقوله تعالى: {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يقـاتلوكم يُوَلُّوكُمُ الادبـار ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} [آل عمران: 111] لأن اسـم الواحـد يـدل على الجمع، وكذلك قولـه تعـالى: {إِنَّ المتقين فِى جنـات وَنَهَرٍ} [القمر: 54] أي: أنهار. وذكر عن الفـراء أنـه قـال: إنما وحّد لأنه رأس آية تقابل بالتوحيد رؤوس الآي. وكذلك في الدبر، لموافقته رؤوس الآي.

ثم قـال: {بَـلِ السـاعة مَوْعِـدُهُمْ} يعـني: مجمعهم {والساعة أدهى وَأَمَرُّ} يعني: عذاب الساعة أعظم وأشـد من عذاب الدنيا.

ثم وصف عذاب الآخرة فقـال: {إِنَّ المجـرمين فِى ضـلال وَسُـعُرٍ} يعـني: المشـركين في الـدنيا في ضـلالة، وخطـأ، وخلاف، وفي سعير في الآخرة. والسـعر جماعـة السـعير. ويقال: {السعر} يعني: في عناء.

ثم أخـبرهم بمسـتقرهم فقـال عـز وجـل: {وَسُـعُرٍ يَـوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النار على وُجُوهِهِمْ} يعني: يجـرون في النـار على وجـوههم، ويقـول لهم الخزنـة: {ذُوقُـواْ مَسَّ سَـقَرَ} يعني: عذاب النار.

▲ تفسير الآيات رقم [49- 55]

{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (50) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (51) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (53) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)}

ثم قال: {إِنَّا كُلَّ شَئ خلقناه بِقَدَرٍ} يعني: خلقنا لكل شيء شكله مما يوافقه. وروي عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: هذه الآية نزلت في أهل القدر {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النار على وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَئ خلقناه بِقَدَرٍ} وقال محمد بن كعب القرظي: {إِنَّا كُلَّ شَئ خلقناه بِقَدَرٍ} نزلت تعبيراً لأهل القدر. قال أبو الليث: حدّثنا أبو جعفر. قال: حدّثنا أبو القاسم، حدّثنا محمد بن الحسن، حدّثنا سفيان عن وكيع، عن زياد بن إسماعيل، عن محمد بن عبادة، عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر، فنزلت الآية {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النار على وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَئ خلقناه بِقَدَرٍ} وروى الضحاك، عن ابن عباس في قوله: {إِنَّا كُلَّ شَئ خلقناه بِقَدَرٍ} قال: خلق لكل شيء من خلقه ما يصلحهم من رزق، ومن الدواب، وخلق لدواب البر، ولغيرها من الرزق ما يصلحها، وكذلك لسائر خلقه.

قوله عز وجل: {وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ واحدة} يعني: وَمَا أمرنا بقيام الساعة إلا مرة واحدة {كَلَمْحٍ بالبصر} يعني: كرجع البصر. ومعناه: إذا أمرنا بقيام الساعة واحدة، فنقول: كن فيكون أقرب من طرف البصر.

ثم قال: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أشياعكم} يعني: عَذَّبنا أشباهكم، وأهل ملتكم. ويقال: إخوانكم حين كذبوا رسلهم {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} يعني: معتبر يعتبر فيكم، فيعلم أن ذلك حق، ويخاف عقوبة الله.

ثم قال عز وجـل: {وَكُـلُّ شَـىْءٍ فَعَلُـوهُ فِى الزبـر} يعـني: وكل شيء عملوه في الكتاب يحصى عليهم {وَكُـلُّ صَـغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ} يعني: مكتوباً في اللوح المحفوظ.
ثم قــال: {إِنَّ المتقين} يعــني: الــذين يتقــون الشــرك، والفواحش، {فِى جنات وَنَهَرٍ} يعـني: في بسـاتين، وأنهـار جارية، {فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ} يعني: في أرض كريمـة. ويقـال في مجلس حسن، وهي أرض (الجنة) {عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِ} يعني: في جوار مليك، قادر على الثواب، قادر على خلقـه، مثيب، ومعاقب. وقال القتبي: النهر الضـياء، والسـعة، من قولك انهرت الطعنة إذا وسعتها. [قال أبي بن كعب رضـي الله عنه: من قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غب بعثـه الله تعالى ووجهه مثل القمر ليلة البـدر، وإن قـرأ بهـا في كل ليلة كان أفضل]. والله أعلم بالصواب.

سورة الرحمن

تفسير الآيات رقم [1- 11]

{الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11)}

قوله تبارك وتعالى: {الرحمن عَلَّمَ القرءان} وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: {اسجدوا للرحمن} قال كفار مكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وقالوا: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب. فأنزل الله تعالى: {الرحمن} فأخبر عن نفسه، وذكر صفة توحيده، فقال: {الرحمن} يعني: الرحمن الذي أنكروه {عَلَّمَ القرءان} يعني: أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليقرأ عليه جبريل عليه السلام، ويعلمه، {خَلَقَ الإنسان} يعني: الذي خلق آدم من أديم الأرض. ويقال: خلق محمداً. ويقال: {خَلَقَ الإنسان} أراد به جنس الإنسان. يعني: جعله مخبراً، مميزاً، حتى يميز الإنسان من جميع الحيوان {عَلَّمَهُ البيان} يعني: الكلام. ويقال: يعني: الفصاحة. ويقال: الفهم.

ثم قال: {الشمس والقمر بِحُسْبَانٍ} يعني: بحساب، ومنازل، ولا يتعدانها. ويقال: {بِحُسْبَانٍ} يعني: يدلان على عدد الشهور، والأوقات، ويعرف منها الحساب {والنجم والشجر يَسْجُدَانِ} {والنجم} كل نبات ينبسط على وجه الأرض ليس له ساق، مثل الكرم، والقرع، ونحو ذلك، {أَوْ

الشجر} كل نبات له ساق {يَسْجُدَانِ} يعني: ظلهما يسجدان لله تعالى في أول النهار، وآخره ويقال: {يَسْجُدَانِ} يعني: يسبحان الله تعالى كما قال: {وَإِن مّن شَئ إِلاَّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ} ويقال: خلقهما على خلقه، فيها دليل لربوبيته، ويدل الخلق على سجوده. وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: {والنجم والشجر يَسْجُدَانِ} قال: نجوم السماء، وأشجار الأرض، يسجدان بكرة وعشياً.

ثم قال عز وجل: {والسماء رَفَعَهَا} يعني: من الأرض مسيرة خمسمائة عام {وَوَضَعَ الميزان} يعني: أنزل الميزان للخلق، يوزن به، وإنما أنزل في زمان نوح عليه السلام، ولم يكن قبل ذلك ميزان {أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِى الميزان} يعني: لكي لا تظلموا في الميزان. ويقال: ووضع الميزان. يعني: أنزل العدل في الأرض ألا تطغوا في الميزان. يعني: لكي لا تميلوا عن العدل {وَأَقِيمُواْ الوزن بالقسط} يعني: اعدلوا في الوزن {وَلاَ تُخْسِرُواْ الميزان} يعني: لا تنقصوا حقوق الناس في الوزن. ويقال: {وَأَقِيمُواْ الوزن} يعني: أقيموا اللسان بالقول، {وَلاَ تُخْسِرُواْ الميزان} يعني: لا تقولوا بغير حق. {والارض وَضَعَهَا لِلاْنَامِ} يعني: بسط الأرض للخلق {فِيهَا فاكهة} يعني: وخلق من الأرض، من ألوان الفاكهة، {والنخل ذَاتُ الاكمام} يعني: ذات النخيل الطويل، الموقرة بالطلع، ذات الخلق، وإنما العجائب في خلقه، وما يتولد منه لأنه يتولد من النخيل، من المنافع ما لا يحصى. وقال القتبي: {ذَاتُ الاكمام} يعني: ذات الكوى قبل أن تتفتق، وغلاف كل شيء أكمه {ذَاتُ الاكمام} يعني: ذات الغلاف.

تفسير الآيات رقم [12- 18]

{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14)

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)}

ثم قال: {والحب ذُو العصف} يعني: ذو الورق {والريحان} يعني: ثمره. وقال مجاهد: {العصف} يعني: ورق الحنطة {والريحان} الرزق. وقال الضحاك: الحب، الحنطة، والشعير، {والعصف}: التبن وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: {ذُو العصف} الزرع {والريحان} الورق بلسان حمير. ويقال: {العصف} السنبل {والريحان} ثمرته، وما ينتفع به. ويقال: {***الريحان} يعني: الرياحين، جمع الريحان وهو نبت لا ساق له. قرأ ابن عامر: {الاكمام والحب ذُو العصف} بنصب الباء، وإنما نصبه لأنه عطف على قوله: {الارض وَضَعَهَا لِلاْنَامِ} {والحب} يعني: وخلق الحب ذا العصف {والريحان}. وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: {والحب ذُو العصف والريحان} بضم النون والباء، لأنه عطف على قوله: {فِيهَا فاكهة} وقرأ حمزة، والكسائي، هكذا إلا أنَّهما كسرا النون في قوله: {والريحان} عطفاً على {العصف} على وجه المجاورة.

وقد ذكر الله تعالى من أول السورة نعماءه، ثم خاطب الإنس والجن فقال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} وإن لم يسبق ذكرهما، لأن في الكلام دليلاً، وقد ذكرهما من بعده، وهو قوله: {وَمَا خَلَقْتُ الجن والإنس} وقال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمة من نعماء ربكما أيها الجن والإنس {تُكَذّبَانِ} يعني: تتجاحدان بأنها ليست من الله تعالى. قال بعضهم: {الله لَعَلَّكُمْ} ونعماء الله واحد. إلا أن الآلاء أعم، والنعماء أخص. ويقال: الآلاء النعمة الظاهرة وهو التوحيد، والنعماء: النعمة الباطنة وهو المعرفة بالقلب، كقوله: {أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ مَّا

فِى السماوات وَمَا فِى الارض وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَـهُ ظـاهرة وَبَاطِنَةً وَمِنَ الناس مَن يجادل فِى الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُـدًى وَلاَ كتاب مُّنِيرٍ} [القمـان: 20] وقـال بعضـهم: {***الآلاء} إيصال النعم، والنعماء رفع البلايا. مثالـه أن رجلاً لـو كـانت لـه يـد شـلاء فلـه الآلاء وليسـت النعمـاء. وكـذلك لسـان الأخـرس، ورجـل مقعـد، فلـه الآلاء، وليسـت لـه النعمـاء. وأكـثر المفسـرين لم يفصـلوا بينهمـا، وقـد ذكـر في هـذه السورة دفع البلية، وإيصال النعمة. فكل ذلك سماه الآلاء. وروى محمد بن المنذر، عن جابر، بن عبـد اللـه، أن النـبي صلى الله عليه وسلم قـرأ على أصـحابه سـورة الـرحمن، فسكت القوم، فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: «الجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ رَدّاً مِنْكُمْ، مَا قَـرَأْتَ عَلَيْهِمْ {والريحـان فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذِّبَانِ} إلاَّ قَـالُوا: ولا بِوَاحِـدَةٍ مِنْهَـا فَلَـكَ الحَمْدُ». وفي رواية أخرى: أنه قال: «مَـا قَـرَأْتُ عَلَيْهِمْ إلاَّ قَالُوا وَلا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا فَلَكَ الْحَمْدُ».

ثم قال: {خَلَقَ الإنسان} يعني: آدم {مِن صلصال} يعني: الطين اليـابس الـذي يتصلصـل أي: يصـوت، كمـا يصـوت الفخار.

ويقـال: الصلصـال الطين الجيـد الـذي ذهب عنـه المـاء، وتشقق. {كالفخار} يعني: الطين الذي يصـنع بـه الفخـار. وقال في موضع آخر: {ياأيها النـاس إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ البعث فَإِنَّا خلقناكم مِّن تُـرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَـةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَـةٍ ثُمَّ مِن مُّضْـغَةٍ مُّخَلَّقَـةٍ وَغَيْـرِ مُخَلَّقَـةٍ لّنُبَيّنَ لَكُمْ وَنُقِـرُّ فِى الارحام مَـا نَشَـآءُ إلى أَجَـلٍ مُّسَـمًّى ثُمَّ نُخْـرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لتبلغوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يتوفى وَمِنكُمْ مَّن يُـرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمـر لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْـدِ عِلْمٍ شَـيْئاً وَتَـرَى الارض هَامِـدَةً فَإِذَآ أنزَلْنَا عَلَيْهَـا المـآء اهـتزت وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُـلّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} [الحج: 5] وقال في موضع آخر: {الذى أَحْسَنَ كُـلَّ شَـئ خَلَقَـهُ وَبَـدَأَ خَلْـقَ الإنسـان مِن طِينٍ} [السـجدة: 7]

وقال في موضع آخر: {مِن صلصال} فهذا كله قد كان حالاً بعد حال.
{وَخَلَقَ الجان} يعني: أبا الجن. ثم قال هو إبليس: {مِن مَّارِجٍ مّن نَّارٍ} يعني: من لهب من نار، وليس لها دخان. وقال بعضهم: خلق من نار جهنم. وقال بعضهم: من النار التي بين الكلة الرقيقة بين السماء، ومنها يكون البرق، ولا يرى السماء إلا من وراء تلك الكلة.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمة أنتم. يعني: خلقكم أيها الإنس من نفس واحدة، وخلقكم أيها الجن من نفس واحدة. فكيف تنكرون هذه النعمة أنها ليست من الله تعالى؟.
ثم قال: {رَبُّ المشرقين وَرَبُّ المغربين} يعني: هو {رَبُّ المشرقين} مشرق الشمس، ومشرق القمر. وقيل: مشرق الشتاء، ومشرق الصيف {وَرَبُّ المغربين} يعني: مغرب الشتاء، والصيف.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: نعمة أنتم من نعمائه أيها الجن والإنس تتجاحدان؟ ومعناه: أنتم حيث ما كنتم من مشارق الأرض ومغاربها في ملك الله تعالى، وتأكلون رزقه، وهو عالم حيث ما كنتم، وهو حافظكم، وناصركم، فكيف تنكرون هذه النعم.

▲ تفسير الآيات رقم [19- 32]

{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آَلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَـذِّبَانِ (30) سَـنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَـا الثَّقَلَانِ (31) فَبِـأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32)}
قوله عـز وجـل: {مَـرَجَ البحـرين يَلْتَقِيَـانِ} يعـني: أرسـل البحـرين. ويقـال: خلّى البحـرين. ويقـال: خلـق البحـرين {يَلْتَقِيَـانِ} يعـني: مـالح، وعـذب، {بَيْنَهُمَـا بَـرْزَخٌ} يعـني: حاجز {لاَّ يَبْغِيَانِ} يعني: لا يختلطان فيغـير طعمـه. وأصـل البغي: التطـاول، والجَـوْرُ، والظلم. وقـال بعضـهم: بينهمـا حاجز لطيف لا يراه الخلـق، وإنمـا العـبرة في ذلـك أنـه لا يرى. ويقال: بعضهم ليس هناك شيء، وإنمـا تمنعهمـا من الاختلاط قدرة الله تعالى. ويقال: {يَلْتَقِيَـانِ} أي: يتقـابلان أحدهما بحر الروم، والآخر بحر فـارس. وقيـل: بحـر الهنـد {وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ} أي: لا يختلطان {بَيْنَهُمَا بَـرْزَخٌ}. بلطف الله تعـالى أي: بـاللطف تمنـع عن الامـتزاج، وهمـا بحر واحد، لن يمس أحدهما بالآخر. وقال الزجـاج: الـبرزخ الحاجز، فهما من دموع العين مختلطـان، وفي قـدرة اللـه منفصلان. وقيل: {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ} أي: جزيرة العرب. وقيل: بحـر السـماء، والأرض، كقولـه تعـالى: {فَفَتَحْنَـآ أبـواب السمآء بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الارض عُيُوناً فَالْتَقَى المآء على أَمْـرٍ قَـدْ قُـدِرَ} [القمـر: 11، 12] وبينهمـا بـرزخ الهـواء، والأرض، وسكان الأرض.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعـني: خلـق البحـرين لمنفعة الخلق، وبين لكم العبرة، وقدرته، ولطفه، لتعتـبروا به، وتوحدوه، فكيف تنكرون هذه النعمـة بأنهـا ليسـت من الله تعالى؟.
ثم قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ} يعني: من بحر مـالح اللؤلـؤ {وَالمَرْجَانُ} ما صغر منـه. ويقـال: اللؤلـؤ يعـني: الصـغار {وَالمَرْجَانُ} يعني: العظام.
وقرأ نافع وأبو عمرو {يَخْرُجُ} بضم الياء ونصب الراء على فعل ما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون: بنصـب اليـاء، وضـم

الراء. وقرأ بعضهم: بكسر الراء. يعني: يخرج اللـه تعـالى، ونصب اللؤلؤ، والمرجان لأنه مفعول به.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: خلق في البحـر اللؤلؤ لمنفعة الخلق، ولصلاحهم، ولكي تعتبروا بـه، فكيـف تنكرون هذه النعمة.
ثم قال عز وجل: {وَلَهُ الجوار * لِتَجْرِىَ فِى البحر} يعـني: السفن التي تجري في المـاء {كـالاعلام} يعـني: كالجبـال فشـبّه السـفن في البحـر بالجبـال في الـبر. وقـرأ حمـزة {المنشآت} بكسر الشين. والباقون: بالنصـب. فمن قـرأ: بالكسر يعني: المبتدئات في السير.
ثم قال: {والريحان فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} أنـه جعـل السـفن في البحـر لمنفعـة الخلـق، فكيـف تنكـرون هـذه النعمة بأنها ليست من الله تعالى.
ثم قال عز وجل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَـانٍ} يعـنيِ: كـل شـيء على وجـه الأرض يفـنى {ويبقى وَجْـهُ رَبّـكَ} يعـني: ذو الملك، والعظمة، والإكـرام، {ذُو الجلال والإكـرام} يعـني: ذو الملك، والعظمة، والإكرام، يعني: ذو الكـرم، والتجـاوز، فلما نزلت هذه الآية، قالت الملائكة: هلكت بنو آدم، فلمـا نزل {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} أيقنوا بهلاك أنفسهم، وهـذا من النعم، لأنه يحذرهم، وبين لهم ليتهيؤوا لذلك.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} ومعناه إن الله تعـالى يعينكم، فتوكلـوا عليـه، ولا تعتمـدوا على النـاس، لأنهم لا يقدرون على دفع الهلاك عن أنفسهم، والله هو الباقي بعد فنـاء الخلـق، وهـو الـذي يتجـاوز عنكم، ويعينكم، فكيـف تنكرون ربكم الذي خلقكم، وأحسن إليكم؟.
قوله تعالى: {يَسْأَلُهُ مَن فِى * السموات والارض} يعـني: الملائكة يسألون لأهل الأرض المغفرة، ويسأل أهل الأرض جميع حوائجهم من الله تعالى.

ثم قال: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ} يعني: في كـل يـوم يُعـز، ويـذل، ويحـيي، ويميت، ويعطي، ويمنـع. وذلـك أن اليهـود قالوا: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً فـنزل {كُلَّ يَـوْمٍ هُـوَ فِى شَـأْنٍ} فـأخبر اللـه تعـالى أنـه يقضـي في جميـع الأيام، وكـان هـذا من النعم. وذكـر أن الحجـاج بن يوسـف الثقفي أرسل إلى محمد بن الحنفية يتوعـده قـال: لأفعلن بك كذا وكذا. فأرسل إليه محمد بن الحنفية وقال: إن الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة إلى اللوح المحفوظ، وكل يوم يعز، ويذل، ويعطي، ويمنع، فـأرجو أن يرزقني اللـه تعـالى ببعض نظراتـه، أن لا يجعـل لـك علي سـلطان. فكتب بهـا الحجـاج إلى عبـد الملـك بن مـروان، فكتب عبـد الملـك بهـذه الكلمـات الـتي قالهـا محمـد بن الحنفيـة، ووضـعها في خزانتـه، فكتب إليـه ملـك الـروم يتوعده في شيء، فكتب إليـه عبـد الملـك بتلـك الكلمـات التي قالها محمـد بن الحنفيـة، فكتب إليـه صـاحب الـروم: والله ما هذا من كنزك، ولا من كنز أهل بيتـك، ولكنهـا من كنز أهل بيت النبوة.

ثم قـال عـز وجـل: {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعـني: تجحدون نعمته، وأنتم تسألون حوائجكم منه.

قوله عز وجـل: {سَـنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَـا الثقلان} أي: سـنحفظ عليكم أعمالكم أيها الجن والإنس. فنجازيكم بـذلك. وروى جبير عن الضـحاك في قولـه: {سَـنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَـا الثقلان} قال: هـذا وعيـد من غـير شـغل. إن اللـه تعـالى لا يشـغل بشـيء. وقـال الزجـاج: الفـارغ في اللغـة على ضـربين. أحدهما: الفراغ من الشغل، والآخـر القصـد للشـيء، كمـا تقول سأفرغ لفلان أي: سـأجعل قصـدي لـه. قـرأ حمـزة، والكسائي، {الله لَكُمْ} بالياء. والبـاقون: بـالنون. وكلاهمـا يرجـع إلى معـنى واحـد. يعـني: سـيحفظ اللـه عليكم أعمالكم، ويحاسبكم بما تعملون.

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: ما عملتم فإنه لا ينسى، ولا يمنح ثوابه، وينصفكم من ظلمكم، فكيف تنكرون هذه النعم بأنها ليست من الله تعالى؟ واعلموا أن هذه النعم كلها من الله، فاشكروه. فكيف تنكرون من هو يجازيكم بأعمالكم، ولا يمنع ثواب حسناتكم، وينصركم على أعدائكم؟ فهذه النعم كلها من الله، فاشكروه، ووحدوه.

تفسير الآيات رقم [33- 44]

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آَنٍ (44)}

ثم قال: {يامعشر الجن والإنس إِنِ استطعتم} يعني: إن قدرتم {أَن تَنفُذُواْ مِنْ أقطار السموات والارض} يعني: أن تخرجوا من أطراف السَّمَوَاتِ، والأرض، ونواحيها، {فانفذوا} يعني: فاخرجوا إن استطعتم. قال مقاتل: هذا الخطاب للجن، والإنس في الدنيا. يعني: إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السماوات والأرض هروباً من الموت، فانفذوا {لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بسلطان} يعني: أينما أدرككم الموت. وروي عن ابن عباس أنه قال: هذا الخطاب في يوم القيامة، وذلك أن السماء تتشقق بالغمام، وتنزل ملائكة السموات، ويقومون حول الدنيا محيطين بها، وجاء الروح وهو ملك يقوم صفّاً وهو أكبر من جميع الخلق،

فحينئـذٍ يقـال لهم: {إِنِ اسـتطعتم أَن تَنفُـذُواْ مِنْ أقطـار السموات والارض فانفذوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بسـلطان} يعـني: لا تنجون إلا بحجة، وبرهان.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمـة من نعمائـه تجحـدون حيث بيّن لكم أحـوال يـوم القيامـة حـتى تتوبوا، وترجعوا. ويقال: معناه ذلك اليوم لا يفوتـه أحـد ولا يعينكم أحد غيره، فكيف تجحدون هذه النعم.
ثم قـال: {يُرْسَـلُ عَلَيْكُمَـا شُـوَاظٌ مّن نَّارٍ} يعـني: يرسـل على كفار الجن، وكفـار الإنس، لهب من النـار {وَنُحَـاسٌ} يعني: الصُّفْر المذاب يعذبون بهما. ويقال: دخان لهب فيه. ويقال: النحاس هو لباس أهل النار {فَلاَ تَنتَصِـرَانِ} يعـني: لا تُمْنعان من ذلك. قرأ ابن كثير: {يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُـوَاظٌ} بكسر الشـين. والبـاقون: بالضـم. فهمـا لغتـان، ومعناهمـا واحـد. وقـرأ ابن كثـير، وأبـو عمـرو: {وَنُحَـاسٌ} بكسـر السين. والباقون: بالضـم. فمن قـرأ بالكسـر عطـف على قوله من نار، ومن قرأ بالضم عطف على قوله شواظ.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَـذّبَانِ} يعـني: لا يعينكم أحـد غير الله، ولا يحفظكم حين يرسـل عليكم العـذاب إلا اللـه فكيف تنكرون قدرته وتوحيده؟.
ثم قال عز وجل: {فَإِذَا انشقت السماء} يعـني: انفـرجت السـماء لـنزول الملائكـة، كقولـه: {وَيَـوْمَ تَشَـقَّقُ السـمآء بالغمام وَنُزِّلَ الملئكة تَنزِيلاً} [الفرقان: 25].
ثم قـال: {فَكَـانَتْ وَرْدَةً كالـدهان} يعـني: صـارت كـدهن الورد الصافي، وهـذا قـول مقاتـل. وقـال القتـبي: صـارت حمراء في لـون الفـرس. يعـني: بمنزلـة الدابـة الجُلْجُـون الذي تغير لونه في كل وقت، يرى لونـه على خلاف اللـون الأول، ويقال له: المورد ويقال: الدهن الأديم الأحمـر بلغـة الفارسـي. يعـني: الفـرس الـذي يكـون لونـه لـون الـورد

الأحمر، يعنون أخضر يضرب إلى سواد، يتغير لونـه بيـاض. ويقال: من هيبة ذلك زاغ فيرى أنه كالدهن.
ثم قال عز وجـل: {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعـني: إذا كان يوم القيامة، تغيرت السموات من هيبته، ويأمر الخلق بالحساب، فهو الذي ينجيكم من هـول ذلـك اليـوم، فكيـف تنكرون هذه النعمة.
ثم قال عز وجل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْـئَلُ عَن ذَنبِـهِ} يعـني: عن علمه {إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ} يعني: إنسياً، ولا جنياً لأن الله تعالى قد أحصى عليه: ويقـال: لا يسـأل سـؤال اسـتفهام، ولكن يسـأل سـؤال التـوبيخ والزجـر كقولـه تعـالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجـر: 92] ويقـال لا يسـأل الكـافر لأنه عرف بعلامته.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعـني: إذا كـان يـوم القيامــة، أعطــاكم الثــواب، وأدخلكم في جنتــه، فكيــف تنكرون وحدانيته؟ ويقال: معنـاه إن اللـه قـد بين لكم أنـه يعلم أعمالكم، ونهاكم عن الـذنوب، وتجـاوز عنكم، فكيـف تنكرون، وحدانيته.
قولـه عـز وجـل: {يُعْـرَفُ المجرمـون بسـيماهم} يعـني: يُعـرف الكـافر بسـواد الوجـوه، وزرقـة الأعين، {فَيُؤْخَـذُ بالنواصي والاقدام} وذلـك أن خزنـة جهنم بعـد الحسـاب، يغلـون أيـديهم إلى أعنـاقهم، ويجمعـون بين نواصـيهم إلى أقـدامهم، ثم يـدفعونهم على وجـوههم، فيطرحـونهم في النار.
ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: هو الـذي يـدفع عنكم ذلـك العـذاب إن آمنتم بـه، وأطعتمـوه ووحـدتموه، فكيف تنكرون هذه النعمة؟.
ثم قال عز وجل: {هـذه جَهَنَّمُ} وذلـك أن الكفـار إذا دنـوا من النار، تقول لهم الخزنة: هـذه جهنم {الـتى يُكَـذّبُ بِهَـا المجرمون} يعني: جهنم التي كنتم بها تكذبون في الدنيا.

ثم أخبر عن حالهم فيها فقال: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءانٍ} يعني: الشراب الحار الذي قد انتهى حره، وذلك أنه يسلط عليهم الجوع، فيؤتى بهم إلى الزقوم الذي طلعه كرؤوس الشياطين، فأكلوا منه، فأخذ في حلقهم، فاستغاثوا بالماء، فأتوا من الحميم. فإذا قربوا إلى وجوههم، تناثر لحم وجوههم، فيشربون، فيغلي في أجوافهم، ويخرج جميع ما فيها، ثم يلقى عليهم الجوع، فمرة يذهب بهم إلى الحميم، ومرة إلى الزقوم، فذلك قوله تعالى: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءانٍ}.

تفسير الآيات رقم [45- 61]

{فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61)}

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: هو الذي ينجيكم من عذاب الآخرة، إن أطعتم أمره، وآمنتم برسله، فكيف تنكرون وحدانية الله تعالى؟ ويقال: معناه إن إخباري إياكم بهذه العقوبة نعمة لكم، لكي تنتهوا عن الكفر والمعاصي، فلا تنكروا نعمتي عليكم.

فقد ذكر الله في هذه الآيات دفع البلاء، ثم ذكر إيصال النعم لمن اتقاه وأطاع أمره، فقال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ جَنَّتَانِ} يعني: من خاف عند المعصية مقام يوم

القيامة بين يدي ربه، فانتهى عن المعصية، فله في الآخرة {جَنَّتَانِ} يعـني: بسـتانان. وقـال مجاهـد: هـو الرجـل يهم بالمعصية، فيذكر الله عنـدها، فيـدعها، فلـه أجـران. وذكـر عن الفراء أنه قال: {جَنَّتَـانِ} أراد بـه جنـة واحـدة، وإنمـا ذكر {جَنَّتَانِ} للقوافي، والقوافي تحتمل الزيادة والنقصان ما لا يحتمل الكلام. وقال القتبي: هذا لا يجوز، لأن الله قـد وعد ببستانين، فلا يجوز أن يريد بهما واحداً، فلو جـاز هـذا لجاز أن يقـال في قولـه: تسـعة عشـر إنمـا هم عشـرون، ولكن ذكر للقوافي.

ثم قال: {فَبِأَيِّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعـني: بـأي نعمـة من نعماء الله تعالى تتجاحدان؟ إذ جعل الجنة ثواب أعمـالكم، فكيف تنكرون وحدانية الله تعـالى ونعمتـه؟ قولـه تعـالى: {ذَوَاتَا أَفْنَـانٍ} يعـني: ذواتـاً ألـوان. يعـني: البسـاتين فيهـا ألوان من الثمرات. ويقال: {ذَوَاتَا} أغصان. وقال الزجاج: الأفنان ألوان، وهي الأغصان أيضاً واحدها فَنَنٌ.

ثم قـال: {فَبِـأَىّ ءالاء رَبِّكُمَـا تُكَـذِّبَانِ} يعـني: قـد وُعِـدْتُّمُ الجنة، والراحة، فكيف تنكرون وحدانيته ونعمته؟.

ثم قـال عـز وجـل: {فِيهِمَـا عَيْنَـانِ تَجْرِيَـانِ} يعـني: في البساتين نهران من ماء غير آسن أي: غير متغير.

ثم قال: {فَبِأَىّ ءالاء رَبِّكُمَـا تُكَـذِّبَانِ} يعـني: جعـل الأنهـار نزاهـة لكم زيـادة في النعمـة، فكيـف تنكـرون قـدرة اللـه تعالى ونعمته؟.

ثم قال: {فِيهِمَا مِن كُلّ فاكهة زَوْجَـانِ} يعـني: في هـذين البســاتين، من كــل لــون من الفاكهــة صــنفان، الحلــو، والحامض. ويقال: لونان {فَبِأَىّ ءالاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} يعني: جعل فيهما من الراحة والنزاهة من كل نـوع من الفاكهـة؟ فكيف تنكرون نعمته وقدرته.

قوله عز وجل: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ} يعـني: نـاعمين على فرش {بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} هو الـديباج الغليـظ الأخضـر

بلغـة فـارس. وقـال مقاتـل: {بَطَائِنُهَـا} يعـني: ظواهرهـا. وذكر عن الفراء أنه قال: {بَطَائِنُهَا} يعني: الظهـارة، وقـد تكون الظهارة بطانة، والبطانة ظهارة، لأن كل واحد منهما يكون وجهاً واحداً. وقال القتـبي: هـذا لا يصـح، ولكن ذكـر البطانـــة تعليمـــاً، أن البطانـــة إذا كـــانت من اســـتبرق، فالظهارة تكون أجود. وروي عن ابن عباس أنـه سـئل: أن بطائنها من استبرق فما الظواهر؟ قال هو مما قـال اللـه تعالى: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِىَ لَهُم مّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}.

ثم قال: {وَجَنَى الجنتين دَانٍ} يعني: اجتناؤهمـا قـريب إن شاء تناولهمـا قائمـاً، وإن شـاء تناولهمـا قاعـداً، وإن شـاء متكئاً.

ثم قـال: {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعـني: جعـل لكم مجـالس الملـوك مـع الفـراش المرتفعـة، فكيـف تنكـرون وحدانية الله ونعمته؟.

ثم قال عـز وجـل: {فِيهِنَّ قاصـرات الطـرف} يعـني: في الجنان من الزوجات غاضات البصر، قانعـات بـأزواجهن، لا يشتهين غيرهم، ولا ينظرون إلى غيرهم.

قولـه تعـالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ} يعـني: لم يمسسـهن إنس، {قَبْلَهُمْ وَلاَ جَـانٌّ} يعـني: لا إنسـاً، ولا جنيـاً {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعـني: جعـل لكم أزواجـاً موافقـة لطبعكم، وهن لا يرون غيركم، فكيف تنكرون الله تعالى؟.

ثم وصف الزوجـات فقـال: {كَـأَنَّهُنَّ اليـاقوت والمرجـان} يعـني: في الصـفاء كاليـاقوت، وفي البيـاض كالمرجـان، {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعـني: جعلهن بحـال تتلـذذ أعينكم بالنظر إليهن، فكيف تنكـرون وحدانيـة اللـه تعـالى ونعمته؟.

ثم قال عز وجل: {هَلْ جَزَاء الإحسان إِلاَّ الإحسان} يعني: هل جزاء التوحيد وهو قول لا إله إلا الله إلا الجنة. ويقـال:

هل جزاء من خاف مقام ربه إلا هاتان الجنتان التي ذكرناها في الآية.
ثم قال: {فَبِأىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فكيف تنكرون نعمة ربكم، حيث جعل ثواب إحسانكم الجنة، وبين لكم لكي تحسنوا، وتنالوا ثواب الله، وإحسانه.

▲ تفسير الآيات رقم [62- 78]

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَامَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)}
ثم قال عز وجل: {وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} يعني: من دون الجنتين اللتين ذكرهما، جنتان أخروان. فالأوليان جنة النعيم وجنة عدن، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى {فَبِأىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: قد ذكر للمتقين جنتين، وجنتان أخريان، زيادة على الكرامة. فكيف تنكرون فضل ربكم. وكرامته.
ثم وصف الجنتين الأخريين فقال: {مُدْهَامَّتَانِ} يعني: خضراوان. ويقال: التي تضرب خضرها إلى السواد {فَبِأىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} بعني جعل لكم الجنان المخضرة، لأن النظر في الخضرة يُجلي البصر، فكيف تنكرون وحدانيته.
ثم قال: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} يعني: ممتلئتان فوارتان. وقال القتبي: يعني: تفوران بالماء، والنضخ أكثر من

النضح. وقـال مجاهـد: {نَضَّـاخَتَانِ} يعـني: مملوءتـان من الخير لا ينقطعان {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعـني: كيـف تنكرون من جعل لكم فيهمـا عينـان تفـوران على الـدوام، ولا انقطاع لهما.
ثم قال عز وجل: {فِيهِمَا فاكهة وَنَخْـلٌ وَرُمَّانٌ} يعـني: في الجنتين الأخـريين من ألـوان الفاكهـة. {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَذّبَانِ} معناه: في الجنتين الأخـريين من ألـوان الفاكهـة، كمثل ما في الأوليين، فأنتم تجدون فيها ألوانـاً من الثمـار، والفواكه. فكيف تنكرون هذه النعمة.
ثم قـال عـز وجـل: {فِيهِنَّ خـيرات حِسَـانٌ} يعـني: في الجنان كلها زوجات حسان. وقال الزجاج: أصله في اللغـة خيرات. وقـد قـرئ بالتشـديد، وقـراءة العامـة بـالتخفيف. وقال مقاتل: خَيِّرات الأخلاق، حسان الوجوه، {فَبِـأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَـذّبَانِ} يعـني: في هـذه الجنـان الأربعـة، في كـل واحدة منها تجدون خيرة زوجة هي أحسن بما في الأخرى، فكيف تنكرون عزة ربكم ولا تشكرونه.
ثم وصـف الخـيرات فقـال: {حُـورٌ مقصـورات} يعـني: محبوسات {فِى الخيام} على أزواجهن. وقال ابن عبـاس: الخيمة الواحدة من لؤلؤة مجوفـة فرسـخ في فرسـخ لهـا أربعة آلاف مصراع من ذهب {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَـا تُكَـذّبَانِ} يعــني: فكيــف تنكــرون هــذه النعمــة حين حَبَسَ الأزواج الطيبات لكم إن أطعتم الله؟.
ثم قــال عــز وجــل: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَـانٌّ} يعني: لم يمسسهن إنس قبلهم، ولا جـان. قـرأ الكسـائي: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ} بضــم الميم. والبــاقون: بالكســر. وهمــا لغتان، ومعناهما واحد. {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ}.
ثم قــال: {مُتَّكِئِينَ على رَفْــرَفٍ} يعــني: نــائمين على المجـالس الخضـر، على السـرر الحسـان. ويقـال: على رياض {خُضْـرٍ وَعَبْقَـرِىّ حِسَـانٍ} يعـني: الـزرابيّ الكثـيرة

الألوان، وهي الطنافس الحسان. وقال مجاهد: {وَعَبْقَرِىّ حِسَانٍ} يعني: الديباج. وقال الزجاج: وإنما قال: {خيرات حِسَانٌ} ولم يقل حسن، لأن العبقري جماعة. يقال: للواحدة عبقرية، كما تقول: ثمرة وثمر لوزة، ولوز، وأيضاً يكون العبقري اسم جنس، والعبقري كل شيء بولغ في وصفه، والعبقري البُسُط.

ويقال: الطنافس المبسوطة.

ثم قال عز وجل: {فَبِأَىّ ءالاء رَبّكُمَا تُكَذّبَانِ} يعني: فبأي نعمة من نعماء ربكما أيها الجن والإنس تتجاحدان مع هذه الكرامات التي بين الله تعالى لكم؟ لتعلموا، فتناولوا تلك الكرامات ما شاء الله.

ثم قال عز وجل: {تبارك اسم رَبّكَ ذِى الجلال} يعني: ذي الارتفاع. يعني: ارتفاع المنزلة، والقدرة {والإكرام} يعني: الكريم، المتجاوز عن المذنبين. ويقال: الاسم زيادة في الكلام، ومعناه: تبارك ربك. قرأ ابن عامر: {ذُو الجلال} بالواو. والباقون: {ذِى الجلال} بالياء. فمن قرأ: {ذُو} جعله نعتاً للاسم، والاسم رفع. ومن قرأ: بالكسر، جعله نعتاً للرب عز وجل والله أعلم.

سورة الواقعة

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)}

قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ الواقعة} يعني: قامت القيامة، وإنما سميت القيامة {الواقعة} لثبوتها، وهي النفخة الآخرة. وقال قتادة: هي الصيحة أسمعت القريب، والبعيد، {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} يعني: ليس لها مثوبة، ولا ارتداد. ويقال: ليس لقيامها تكذيب.

ثم وصف القيامة فقال: {خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} يعني: خفضت أقواماً بأعمالهم، فأدخلتهم النار، ورفعت أقواماً بأعمالهم، فأدخلتهم الجنة. وقال قتادة في قوله: {خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ} يعني: خفضت أقواماً في عذاب الله، ورفعت أقواماً في كرامات الله.

تفسير الآيات رقم [4- 9]

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (5) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (6) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (7) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (8) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (9)}

ثم قال عز وجل: {إِذَا رُجَّتِ الارض رَجّاً} يعني: زلزلت الأرض زلزلة، وحركت تحريكاً شديداً، لا تسكن حتى تلقي جميع ما في بطنها على ظهرها.

ثم قال: {وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً} يعني: فتتت الجبال فتاً. ويقال: قُلِعت الجبال قَلْعاً. ويقال: كُسِرت الجبال كسراً. {فَكَانَتْ هَبَاء مُّنبَثّاً} يعني: تراباً وهو ما يسطع من سنابك

الخيل. ويقال: الغبار الذي في شعاع الكوة. وقال القتبي: {وَبُسَّتِ الجبال بَسّاً} يعني: فتتت حتى صارت كالدقيق، والسويق المبثوث. ثم وصف حال الخلق في يوم القيامة وأخبر أنهم ثلاثة أصناف. اثنان في الجنة، وواحدة في النار.

ثم نعت كل صنف من الثلاثة على حدة، فقال: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثلاثة} يعني: تكونون يوم القيامة ثلاثة أصناف {فأصحاب الميمنة} يعني: الذين يعطون كتابهم بأيمانهم {مَا أصحاب الميمنة} يعني: ما تدري ما لأصْحاب الميمنة من الخير، والكرامات: {وأصحاب المشئمة} يعني: الذين يعطون كتابهم بشمالهم {مَا أصحاب المشئمة} يعني: ما تدري ما لأصحاب المشئمة من الشرب، والعذاب. ويقال: {الميمنة مَا} يعني: الذين كانوا يوم الميثاق على يمين آدم عليه السلام، ويقال: على يمين العرش {وأصحاب المشئمة} الذين كانوا على شمال آدم عليه السلام. ويقال: على شمال العرش. ويقال: {الميمنة مَا} الذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش، ويأخذون طريق الجنة {وأصحاب المشئمة} الذين يأخذون طريق الشمال، فيفضي بهم إلى النار.

تفسير الآيات رقم [10- 36]

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (12) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (13) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (14) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (15) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (16) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (18) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (19) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (23) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (25) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (26) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا

أَصْــحَابُ الْيَمِينِ (27) فِي سِــدْرٍ مَخْضُــودٍ (28) وَطَلْحٍ مَنْضُــودٍ (29) وَظِـلٍّ مَمْـدُودٍ (30) وَمَـاءٍ مَسْـكُوبٍ (31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَـةٍ (33) وَفُـرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36)}

ثم قــال عــز وجــل: {والســابقون الســابقون} يعــني: السابقين إلى الإيمان، والجهـاد، والطاعـات {السـابقون} يعـني: هم السَّـابِقُونَ إلى الجنـة. فـذكر الأصـناف الثلاثـة. أحدها أصـحاب اليمين، الثـاني أصـحاب الشـمال، والثـالث السابقون.

ثم وصف كـل صـنف منهم بصـفة، فبـدأ بصـفة السـابقين فقال: {أُوْلَئِكَ المقربون} يعـني: المقـربين عنـد اللـه في الدرجات {فِي جنات النعيم} يعني: في جنـات عـدن {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين * وَقَلِيــلٌ مّنَ الاخــرين} يعــني: إن الســابقين تكون جماعة من الأولين. يعـني: من أول هـذه الأمـة مثـل الصــحابة، والتــابعين {وَقَلِيــلٌ مّنَ الاخــرين} يعــني: إن السابقين في آخر هـذه الأمـة يكـون قليلاً. وقـال بعضـهم: {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين} يعني جميعاً من الأمم الخاليـة، {وَقَلِيـلٌ مّنَ الاخـرين} يعـني: من هـذه الأمـة. فحـزن المسـلمون بــذلك حــتى نــزلت {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين وَثُلَّةٌ مّنَ الاخــرين} فطابت أنفسـهم. والطريـق الأول أصـح. وروي عن النـبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: «كِلْتَـا الثُّلَّتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي». وروي عن عبد الله بن يزيد قـال: قـال رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم: «أَهْـلُ الْجَنَّةِ عِشْـرُونَ وَمِائَةَ صِـنْفٍ هـذه الأُمّةِ مِنْهَا ثَمَانُونَ صِنْفاً».

ثم قـال: {على سُـرُرٍ مَّوْضُـونَةٍ} يعـني: إن السـابقين في الجنة على سرر منسوجة بالـدر واليـاقوت. وقـال مجاهـد: {مَّوْضُــونَةٍ} بالــذهب. وقــال القتــبي: {مَّوْضُــونَةٍ} أي:

منسوجة. كأن بعضها أدخل في بعض، أو نضد بعضـها على بعض، ومنه قيل للدرع {مَّوْضُونَةٍ}.

ثم قـال: {مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَـا متقـابلين} يعـني: نـاعمين على سرر متقابلين في الزيادة. وروي عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه أنه قـرأ: {مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَـا} نـاعمين. وقـال مجاهد: {متقابلين} يعني: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

ثم قـال عـز وجـل: {يَطُـوفُ عَلَيْهِمْ} يعـني: في الخدمـة {ولدان مُّخَلَّدُونَ} يعني: غلماناً خلـدوا في الجنـة. ويقـال: على سن واحد لا يتغيرون، لأنهم خلقـوا للبقـاء ومن خلـق للبقـاء، لا يتغـير. ويقـال: {مُّخَلَّدُونَ} يعـني: لا يكـبرون. ويقـــال: هم أولاد الكفـــار لم يكن لهم ذنب يعـــذبون، ولا طاعة يثابون، فيكونون خداماً لأهل الجنة.

قوله تعالى: {بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} هي التي لها عرى.

ثم قال: {وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ} يعـني: خمـراً بيضـاء من نهـر جار {لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا} يعني: لا يصـدع رؤوسـهم بشـرب الخمر في الآخرة {وَلاَ يُنزِفُونَ} يعني: لا تـذهب عقـولهم، ولا ينفد شرابهم.

ثم قـــال: {وفاكهـــة مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} يعـــني: مـــا يتمنـــون، ويختارون من ألـوان الفاكهـة {وَلَحْمِ طَيْـرٍ مِّمَّا يَشْـتَهُونَ} يعني: إن شاء مشوياً، وإن شاء مطبوخاً.

ثم قال عـز وجـل: {وَحُـورٌ عِينٌ} قـرأ حمـزة، والكسـائي {وَحُـــورٌ عِينٌ} بالكســـر عطفـــاً على قولـــه: {بِـــأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} والباقون {وَحُورٌ عِينٌ} بالضم.

ومعناها: ولهم حور عين، والحور: البيض، والعين: الحسان الأعين {كأمثال اللؤلؤ المكنـون} يعـني: اللؤلـؤ الـذي في الصـدف، لم تمسـه الأيـدي، ولم تـره الأعين، {جَـزَاء بِمَـا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: هذه الجنة مع هـذه الكرامـات، ثوابـاً لأعمالهم.

ثم قال: {لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْـواً} يعـني: في الجنـة حلفـاً، وكذباً، {وَلاَ تَأْثِيماً} يعني: كلاماً فيها عند الشرب كما يكون في الدنيا ويقال ولا تأثيماً يعني: ولا إثم عليهم فيما شـربوا {إلاَّ قِيلاً سلاما سلاما} يعني: إلا قولاً وكلاماً يسلم بعضـهم على بعض، ويبعث الله تعالى إليهم الملائكة بالسلام، فهذا كله نعت السابقين.

ثم ذكر الصنف الثاني فقال: {وأصحاب اليمين مَا أصحاب اليمين} يعني: مـا لأصـحاب اليمين من الخـير، والكرامـة، على وجه التعجب.

ثم وصـف حـالهم فقـال: {فِى سِـدْرٍ مَّخْضُـودٍ} يعـني: لا شوك له كالدر الذي يكـون في الـدنيا. وقـال قتـادة: {فِى سِدْرٍ مَّخْضُـودٍ} يعـني: كثـير الحمـل. أي: ليس لـه شـوك. وقال القتـبي: كأنـه نضـد شـوكه. يعـني: قطـع. وروي في الخبر: أنه لما نزل ذكـر السـدر، قـال أهـل الطـائف: إنهـا سِدْرنا هذا. فنزل {مَّخْضُودٍ} يعني: موقر بلا شوك.

ثم قـال: {وَطَلْحٍ مَّنضُـودٍ} وقـال مقاتـل: يعـني: المـوز المتراكم بعضه على بعض. وقال قتـادة: هـو المـوز، وهـذا روي عن ابن عباس. والمنضود الذي نضد بالحمل من أوله إلى آخره. ويروى عن علي بن أبي طالب رضي اللـه عنـه أنه قرأ: {سِـجّيلٍ مَّنْضُـودٍ} كقولـه تعـالى: {طَلْعٌ نَّضِـيدٌ} كقوله تعالى: {وَظِلّ مَّمْدُودٍ} يعني: دائمـاً لا يـزول. وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي اللـه عنه: قال: في الجنة شجرة يسير الراكب، في ظلهـا مائـة عام، ما يقطعها اقرؤوا إن شئتم {وَظِلّ مَّمْدُودٍ}.

ثم قال: {وَمَاء مَّسْكُوبٍ} يعني: منصباً كثيراً. ويقال: يعني منصباً من ساق العرش {وفاكهـة كَثِـيرَةٍ} يعـني: الفاكهـة كثيرة {لاَّ مَقْطُوعَةٍ} يعني: {لاَّ مَقْطُوعَةٍ} يعني: لا تنقطـع عنهم في حين كما يكون في فواكـه الـدنيا، بـل توجـد في جميــع الأوقــات {وَلاَ مَمْنُوعَــةٍ} يعــني: لا تمنــع منهم،

والممنوعـة أن ينظـر إليهـا، ولا يقـدر أن يأكلهـا كأشـجار الدنيا. {وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ} بعضها فوق بعض مرتفعة.
ثم قال عز وجل: {إِنَّا أنشأناهن إِنشَـاء} يعـني: الجـواري، والزوجـات. يقـال: نسـاء الـدنيا خلقنـاهن خلقاً بعـد خلـق الدنيا. ويقال: إنهن أفضل، وأحسن من حـور الجنـة، لأنهن عملن في الـدنيا، والحـور لم يعملن. وعن أنس بن مالـك، قال النبي صلى الله عليـه وسـلم: {إِنَّا أنشـأناهن إِنشَـاء} قال: «إِنَّ مِنَ المُنْشِآتِ الَّتِي كُنَّ فِي الدُّنْيَا عَجِـائِزَ عُمْشـاً رُمْصاً زُمْناً».
ثم قال: {فجعلناهن أبكارا} يعني: خلقناهن أبكاراً عذارى.

▲ تفسير الآيات رقم [37- 56]

{عُرُبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْـحَابِ الْيَمِينِ (38) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (39) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (40) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْـحَابُ الشِّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْـلَ ذَلِـكَ مُتْـرَفِينَ (45) وَكَــانُوا يُصِــرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (46) وَكَــانُوا يَقُولُـونَ أَئِذَا مِتْنَـا وَكُنَّا تُرَابًـا وَعِظَامًـا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُـونَ (47) أَوَآبَاؤُنَــا الْأَوَّلُــونَ (48) قُــلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِــرِينَ (49) لَمَجْمُوعُـونَ إِلَى مِيقَـاتِ يَـوْمٍ مَعْلُـومٍ (50) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَـا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُـونَ (53) فَشَـارِبُونَ عَلَيْـهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (55) هَذَا نُـزُلُهُمْ يَـوْمَ الـدِّينِ (56)}
{عُرُبـاً} يعـني: محبـات، عاشـقات، لأزواجهن، لا يــردن غيرهم قرأ حمزة، وعاصـم، في إحـدى الروايـتين {عُرُبـاً} بجزم الراء. والباقون بالضـم. ومعناهمـا واحـد. وقـال أبـو عبيـد: نقـرأ بالضـم لأنهـا أقيس في العربيـة، لأن واحـدتها

عَرُوب، وجمعها عرب، مثل صَبُور وصُبُر، وشـكور وشـكر. ثم قال:
{أَتْرَابـاً} يعـني: مسـتويات في السـن، كـأنهن على ميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين. وروي عن عكرمة أنه قال: أهـل الجنة ميلاد ثلاثين سـنة، رجـالهم ونسـاؤهم، قامـة أحـدهم ستون ذراعاً على قامة أبيهم آدم عليه السلام، شباب جرد مكمولـون، أحسـنهم يـرى كـالقمر ليلـة البـدر، وآخـرهم كـالكوكب الـدري في السـماء، يبصـر وجهـه في وجههـا، وكبده في كبدها، وفي مخ سـاقها، وتبصـر هي وجههـا في وجهــه، وفي كبــده وفي مخ ســاقه، ولا يــبزقون، ولا يتمخطـون، ومـا كـان فـوق ذلـك من الأذى فهـو أبعـد، {لاصحاب اليمين} يعني: هذا الـذي ذكـر كرامـة لأصـحاب اليمين.
ثم قــال عــز وجــل: {ثُلَّةٌ مّنَ الاولين وَثُلَّةٌ مّنَ الاخــرين} يعني: جماعة من أول هـذه الأمـة، وجماعـة من الآخـرين. فـذكر في السـابقين أنهم جماعـة من الأولين، وقليـل من الآخرين، لأن السابق في آخـر الأمـة قليـل، وأمـا أصـحاب اليمين يكــون جماعــة من أول الأمــة، وجماعــة من آخــر الأمة.
ثم ذكـر الصـنف الثـالث فقـال: {وأصـحاب الشـمال مَـا أصحاب الشمال} يعني: مـا لأصـحاب الشـمال من شـدة، وشر، وهوان.
ثم وصف حالهم فقـال: {فِى سَـمُومٍ وَحَمِيمٍ} والسـموم: الزمهرير يقطع الوجوه وسائر الجسوم. ويقـال: السـموم: النار الموقدة. والحميم: الماء الحـار الشـديد، {وَظِـلّ مّن يَحْمُومٍ} واليحموم الـدخان يعـني: دخـان جهنم أسـود {لاَّ بَـارِدٍ وَلاَ كَـرِيمٍ} يعـني: {لاَّ بَـارِدٍ} شـرابهم {وَلاَ كَـرِيمٍ} منقلبهم.

ثم بين أعمـالهم الـتي اسـتحقوا بهـا العقوبـة بأعمـالهم الباطلة فقال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ} يعني: كـانوا في الدنيا متكبرين في ترك أمر الله تعـالى. ويقـال: كـانوا مشـركين {وَكَـانُواْ يُصِـرُّونَ عَلَى الحنث العظيم} يعـني: يثبتـون على الـذنب العظيم، وهـو الشـرك. وإنمـا سـمِّي الشرك حنثاً، لأنهم كـانوا يحلفـون باللـه، لا يبعث اللـه من يموت، وكانوا يصـرون على ذلـك. وقـال القتـبي: {الحنث العظيم} اليمين الغموس. وقـال مجاهـد: الـذنب العظيم. وقال ابن عبـاس: {الحنث العظيم} هـو الشـرك {وَكَـانُواْ يقُولُـونَ} مـع شـركهم {أَءذَا مِتْنَـا وَكُنَّا تُرَابـاً وعظامـا أَءنَّا لَمَبْعُوثُونَ} يعني: بعدما صرنا ترابـاً، وعظامـاً باليـةً، صـرنا أحياء بعد الموت {وَءابَاؤُنَا الاولـون} الـذين: مضـوا قبلنـا، وصاروا تراباً.

قال الله تعالى: قل يا محمـد {قُـلْ إِنَّ الاولين والاخـرين} يعني: الأمم الخالية {لَمَجْمُوعُونَ} وهذه الأمـة لمجموعـة {إلى ميقاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} في يوم القيامـة يجتمعـون فيـه {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَـالون المكـذبون} بـالبعث {لآكِلُـونَ مِن شَجَرٍ مّن زَقُّوم فَمَالِئُونَ مِنْهَا البطون} يعني: يملـؤون من طلعها البطون، {فشاربون عَلَيْهِ مِنَ الحميم} يعـني: على إثره يشربون من الحميم {فشاربون شُرْبَ الهيم} يعـني: كشرب الهيم، وهي الإبـل الـتي يصـيبها داء، فلا تـروى من الشراب.

ويقال: الأرض التي أصابتها الشمس وهي أرض سـهلة من الرملة. قرأ نـافع، وعاصـم، وحمـزة {شُـرْبَ الهيم} بضـم الشين. والباقون: بالنصـب. فمن قـرأ بالضـم، فهـو اسـم. ومن قرأ: بالنصـب، فهـو المصـدر. ويقـال: كلاهمـا مصـدر شربت.

ثم قـال: {هـذا نُـزُلُهُمْ يَـوْمَ الـدين} يعـني: جـزاءهم يـوم الجــزاء. ويقــال: معنــاه هــو الــذي ذكرنــاه من الزقــوم والشراب طعامهم وشربهم يوم الحساب.

▲ تفسير الآيات رقم [57- 73]

{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَـدِّقُونَ (57) أَفَـرَأَيْتُمْ مَـا تُمْنُـونَ (58) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَــهُ أَمْ نَحْنُ الْخَــالِقُونَ (59) نَحْنُ قَــدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَــوْتَ وَمَــا نَحْنُ بِمَسْــبُوقِينَ (60) عَلَى أَنْ نُبَـدِّلَ أَمْثَـالَكُمْ وَنُنْشِـئَكُمْ فِي مَـا لَا تَعْلَمُــونَ (61) وَلَقَـدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَـوْلَا تَـذَكَّرُونَ (62) أَفَـرَأَيْتُمْ مَـا تَحْرُثُـونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَــهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُــونَ (64) لَــوْ نَشَــاءُ لَجَعَلْنَـاهُ حُطَامًـا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُـونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُـونَ (66) بَـلْ نَحْنُ مَحْرُومُـونَ (67) أَفَـرَأَيْتُمُ الْمَـاءَ الَّذِي تَشْـرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُـونَ (69) لَـوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَـرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُـورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَـأْتُمْ شَـجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِـئُونَ (72) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (73)}

ثم قـال: {نَحْنُ خلقنـاكم} يعـني: خلقنـاكم، ولم تكونـوا شيئاً، وأنتم تعلمون {فَلَوْلاَ تُصَدّقُونَ} يعني: أفلا تصـدقون بالبعث وبالرسل.

ثم أخبر عن صـنعه ليعتـبروا فقـال: {أَفَـرَءيْتُمْ مَّا تُمْنُـونَ} يعــني: مــا خــرج منكم من النطفــة، ويقــع في الأرحــام {تَخْلُقُونَهُ أم} يعني: منه بشراً في بطون النسـاء ذكـراً أو أنـثى {أَم نَحْنُ الخـالقون} يعـني: بـل نحن نخلقـه {نَحْنُ قَـدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المـوت} يعـني: نحن قسـمنا بينكم الآجـال، فمنكم من يموت صـغيراً، ومنكم من يمـوت شـاباً، ومنكم من يموت شيخاً. قـرأ ابن كثـير: {نَحْنُ قَـدَّرْنَا} بـالتخفيف

وقـرأ البـاقون: {قَـدَّرْنَآ} بالتشـديد، ومعناهمـا واحـد لأن التشديد للتكثير.
ثم قال: {وَمَا نَحْنُ بِمَسْـبُوقِينَ * على أَن نُّبَـدّلَ أمثـالكم} يعني: ومـا نحن بعـاجزين إن أردنـا أن نـأتي بخلـق مثلكم، وأمثـل منكم، وأطـوع للـه تعـالى: {وَنُنشِـئَكُمْ فِى مَـا لاَ تَعْلَمُونَ} يعني: ونخلقكم سوى خلقكم من الصـور فيمـا لا تعلمون من الصور، مثـل القـردة، والخنـازير. ويقـال: ومـا نحن بعـاجزين على أن نـرد أرواحكم إلى أجسـامكم بعـد الموت.
ثم قـال عـز وجـل: {وَلَقَـدْ عَلِمْتُمُ النشـأة الاولى} يعـني: علمتم ابتـداء خلقكم إذ خلقنـاكم في بطـون أمهـاتكم، ثم أنكـرتم البعث {فَلَـوْلاَ تَـذَكَّرُونَ} يعـني: فهـل لا تتعظـون، وتعتـبرون بـالخلق الأول، أنـه قـادر على أن يبعثكم كمـا خلقكم أول مرة، ولم تكونوا شيئاً.
ثم قـال: {أَفَـرَءيْتُم مَّا تَحْرُثُـونَ} يعـني: فهـل لا تعتـبرون بالزرع الذي تزرعونه في الأرض {ءأَنتُم تَزْرَعُونَـهُ} يعـني: تنبتونه {أَمْ نَحْنُ الزرعون} يعني: أم نحن المنبتون. يعني: بل اللـه تعـالى أنبتـه {لَـوْ نَشَـاء لَجَعَلْنَـاهُ حطامـا} يعـني: يابساً، هالكاً، بعدما بلغ {فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُـونَ} يعـني: فصـرتم تندمون. ويقال: يعني: تتعجبون من يبسه بعد خضـرته {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} يعني: معـذبون {بَـلْ نَحْنُ مَحْرُومُـونَ} يعـني: حرمنا منفعة زرعنـا. قـرأ عاصـم في روايـة أبي بكـر: {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} بهمزتين على الاستفهام وقرأ البـاقون: بهمـزة واحدة على معنى الخبر.
ثم قال: {أَفَرَءيْتُمُ الماء الذى تَشْرَبُونَ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المزن أَمْ} يعني: من السماء {أَمْ نَحْنُ المنزلون} يعني: بل نحن المـنزلون عليكم {لَـوْ نَشَـاء جعلنـاه أُجَاجـاً} يعـني: مـرّاً، مالحاً، لا تقدرون على شربه {فَلَوْلاَ تَشْـكُرُونَ} يعـني: هلا

تشكرون رب هذه النعمة، وتوحدونه حين سقاكم ماء عذباً.
ثم قال عز وجل: {أَفَرَءيْتُمُ النار التى تُورُونَ} يعني: تقدحون، والعرب تقدح بالزند والزند خشبة يحك بعضه على بعض، فيخرج منه النار {ءأنتُم أنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا} يعني: خلقتم شجرها {أَمْ نَحْنُ المنشئون} يعني: الخالقون. يعني: الله أنشأها، وخلقها لمنفعة الخلق، {نَحْنُ جعلناها تَذْكِرَةً} يعني: النار موعظة وعبرة في الدنيا من نار جهنم. وقال مجاهد: {نَحْنُ جعلناها تَذْكِرَةً} يعني: النار الصغرى للنار الكبرى {ومتاعا لّلْمُقْوِينَ} يعني: منفعة لمن كان ساخراً. وقال قتادة: المقوي الذي قد فني زاده. وقال الزجاج: المقوي الذي قد نزل بالقوى، وهي الأرض الخالية.

▲ تفسير الآيات رقم [74- 96]

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (74) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (76) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (80) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (81) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (82) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (85) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (86) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (87) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (88) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (89) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (90) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (91) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (92) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (93) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (94) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (95) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (96)}

ثم قال عز وجل: {فَسَبّحْ باسم رَبّكَ العظيم} يعني: اذكـر التوحيد باسم ربك يا محمد صلى اللـه عليـه وسـلم الـرب العظيم. ويقال: صل بأمر ربك. ويقال: سبح لله، واذكره.
قوله عز وجل: {فَلاَ أُقْسِـمُ} قـال بعضـهم: يعـني: أقسـم و(لا) زيـادة في الكلام. وقـال بعضـهم: {لا} رد لقـول الكفار.
ثم قـال: {بمواقـع النجـوم} يعـني: بـنزول القـرآن، نـزل نجوماً آية بعـد آيـة، وروى سـعيد بن جبـير عن ابن عبـاس قال: {بمواقع النجوم} يعـني: بحكم القـرآن {وَإِنَّهُ لَقَسَـمٌ لَّوْ تَعْلَمُـونَ عَظِيمٌ} يعـني: القسـم بـالقرآن عظيم {لَّوْ تَعْلَمُونَ} ذلك. ويقال: {لَّوْ تَعْلَمُـونَ} يعـني: لـو تصـدقون ذلك. قرأ حمزة، والكسائي: {بمواقع النجوم} بغـير ألـف. وقرأ الباقون: {بمواقع النجوم} بلفظ الجماعة. فمن قرأ: {بمواقع} فهو واحـد دل على الجماعـة. ويقـال: {بمواقـع النجوم} يعني: بمساقط النجوم. يعني: الكواكب.
ثم قال عز وجل: {إِنَّهُ لَقُـرْءانٌ كَـرِيمٌ} يعـني: الـذي يقـرأ عليك يا محمد، لقرآن شريف، كريم على ربه، {فِى كتـاب مَّكْنُونٍ} يعني: مستور من خلق الله، وهو اللوح المحفوظ {لاَّ يَمَسُّهُ إِلاَّ المطهرون} يعني: اللوح المحفـوظ. ويقـال: لا تمسه إلا الملائكة المطهـرون من الـذنب، ولا يقـرؤه إلا الطـاهرون. ويقـال: لا يمس المصـحف إلا الطـاهر. وروى معمر، عن محمد بن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيـه رضـي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابـاً فيـه " لا يُمَسُّ القُرْآنُ إلاَّ عَلَى طُهُـورٍ ". وروى إبـراهيم عن عبـد الـرحمن بن يزيـد قـال: «كنـا مـع سـلمان فخـرج، يقضـي حاجته، ثم جاء، فقلنا: يا عبد الله لو توضأت، لعلنا نسـألك عن آيات الله؟ فقال: إني لسـت أمسـه، لأنـه لا يمسـه إلا المطهرون. فقرأ علينا ما نسينا. يعني: يجـوز للمحـدث أن

يقرأ، ولا يجوز أن يمس المصحف. وأما الجنب لا يجوز لــه أن يمس المصحف، ولا يقرأ آية تامة.
ثم قال: {تَنزِيلٌ مّن رَّبّ العالمين} يعني: أنزل الله تعـالى جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن يقرؤه عليه من رب العالمين.
ثم قال عز وجـل: {أفبهـذا الحـديث أَنتُمْ مُّدْهِنُونَ} يعـني: تكفــرون. وقــال الزجــاج: المــدهن والمــداهن: الكــذاب المنافق. وقال بعض أهل اللغة: أصله من الدهن، لأنه يلين في دينـه. يعـني: ينـافق، ويـرى كـل واحـد أنـه على دينـه. ويقـــال: {أَنتُمْ مُّدْهِنُونَ} يعـــني: مكـــذبون {وَتَجْعَلُـــونَ رِزْقَكُمْ} يعـــني: شـــكر رِزْقكُمْ {أَنَّكُمْ تُكَـــذّبُونَ} يعـــني: تقولـون للمطـر إذا مطـرتم مُطِرْنـا بنـوء كـذا. وروي عن عاصم في بعض الروايات: {أَنَّكُمْ تُكَذّبُونَ} بالتخفيف.
يعني: تجعلون شكر رزقكم الكذب، وهو أن يقولوا: مُطِرنا بنـوء كـذا. وقـرأ البـاقون: {تُكَـذّبُونَ} بالتشـديد. يعـني: تجعلـون شـكر رزقكم التكـذيب، ولا تنسـبون السـقيا إلى الله تعالى الذي رزقكم.
ثم قــال: {فَلَــوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحلقــوم} يعــني: بلــغ الــروح الحلقوم {وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ} إلى الميت {وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ} يعني: أمر الله تعالى وهو ملك المــوت أقــرب إليه منكم، حين أتاه لقبض روحــه {ولكن لاَّ تُبْصِـرُونَ} مـا حضـر الميت {فَلَـوْلاَ إِن كُنتُمْ غَيْـرَ مَـدِينِينَ} يعـني: غـير محاسبين. ويقال: غير مملوكين، أذلاء عن قولـك: دِنْتُ لـه بالطاعـة، وإنمـا سـمي {يَـوْمِ الـدين} لأنـه يـوم الإذلال، والهـوان. ويقــال: {غَيْـرَ مَـدِينِينَ} يعـني: غــير مجــزيين {تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صادقين} يعـني: إنكم غـير محاسـبين، فهلا رددتم عنه الموت؟
ثم ذكـر الأصـناف الثلاثـة الـذين ذكـرهم في أول السـورة فقال: {فَأَمَّا إِن كَـانَ مِنَ المقـربين} يعـني: إذا كـان هـذا

الميت من المقـربين عنـد اللـه من السـابقين {فَـرَوْحٌ وَرَيْحَـانٌ} قـرأ الحسـن: {فَـرَوْحٌ} بضـم الـراء المهملـة، وقراءة العامة: بالنصب. وقال أبو عبيـد: لـولا خلاف الأمـة لقرأته بالضم. وروت عائشة رضـي اللـه عنهـا عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قرأ: بالضم. وقـال القتـبي: {الـروح} يعـبر عن معـان. فـالروح روح الأجسـام الـذي يقبض عنـد الممـات وفيـه حيـاة النفس، والـروح جبريـل، وكلام اللـه روح، لأنـه حيـاة من الجهـل، ومـوت الكفـر، ورحمة الله روح كقوله {لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللـه واليـوم الاخر يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ الله وَرَسُـولَهُ وَلَـوْ كـانوا ءَابَـآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إخـوانهم أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ أولئـك كَتَبَ فِى قُلُـوبِهِمُ الإيمان وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جنات تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهار خالدين فِيهَـا رَضِـىَ اللـه عَنْهُمْ وَرَضُـواْ عَنْـهُ أولئـك حِـزْبُ اللـه أَلاَ إِنَّ حِـزْبَ اللـه هُمُ المفلحـون} [المجادلـة: 22] أي: برحمـة. والـروح: الرحمـة، والـرزق. ويقـال: {الروح} حيـاة دائمـة لا مـوت فيهـا {والريحـان} الـرزق. ويقال: هي النبات بعينها. ومن قرأ: بالنصـب. فهـو الفـرح. ويقال: الراحة. ويقال: هي الرحمة.
ثم قال: {وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ} يعني: لا انقطـاع {وَأَمَّا إِن كَـانَ مِنْ أصحاب اليمين} يعني: إن كان الميت من أصـحاب اليمين {فسلام لَّكَ مِنْ أصـحاب اليمين} يعـني: سـلام اللـه لهم. ويقـال: يسـلمون عليـك من الجنـة. ويقـال: سـلام عليـك منهم. ويقـال: تـرى منهم مـا تحب من السـلام. ويقـال: {فسلام لَّكَ} يعني: يقال له ثوابه عند الموت، وفي القبر، وعلى الصراط، وعند المـيزان، بشـارة لـك إنـك من أهـل الجنة.
ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ المكـذبين} يعـني: إن كان الميت {مِنَ المكذبين} بالبعث {الضالين} عن الهدى {فَنُـزُلٌ مّنْ حَمِيمٍ} يعـني: جـزاؤهم، وثـوابهم، من حميم

{وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} يعني: يدخلون الجحيم وهي ما عظم من النار {إِنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اليقين} يعني: إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأقاصيص، وما أعد الله لأوليائه وأعدائه، وما ذكر مما يدل على وحدانيته، {لَهُوَ حَقُّ اليقين} {فَسَبِّحْ باسم رَبِّكَ العظيم} يعني: اذكر اسم ربك بالتوحيد.

ويقال: نزه الله تعالى عن السوء. يعني: قل سبحان الله. ويقال: أثن على الله تعالى. ويقال: صل لله تعالى. وروي عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الوَاقِعَةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ». والله أعلم بالصواب.

سورة الحديد

▲ تفسير الآية رقم [1]

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ (1)}

قوله تعالى: {سَبَّحَ للَّهِ مَا فِى السموات} يعني: صلى لله ما في السموات من الملائكة {والارض} من المؤمنين، فسمى الصلاة تسبيحاً، لأنه يجري فيها التسبيح. ويقال: {سَبَّحَ للَّهِ}، يعني: ذكر الله ما في السموات. يعني: جميع ما في السَّموات من الشمس، والقمر والنجوم والأرض، يعني: جميع ما في الأرض من الإنس، والأشجار، والأنهار، والجبال، وغير ذلك. ويقال: {سَبَّحَ للَّهِ} يعني: خضع لله جميع ما في السَّموات، والأرض، وقال بعضهم: التسبيح آثار صنعه، يعني: في كل شيء دليل لربوبيته، ووحدانيته. ويقال: هو التسبيح بعينه. يعني: يسبح جميع الأشياء كقوله: {تُسَبِّحُ لَهُ السماوات السبع والارض وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَئ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ ولكن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الإسراء: 44] وقال الحسن البصري (لولا ما يخفى عليكم من تسبيح من معكم في البيوت ما تقادرتم). وروى سمرة بن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَفْضَلُ الكَلاِمِ أَرْبَعَةٌ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلاَ إله إلاَّ الله، وَالله أَكْبَرُ» وَلا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ. {وَهُوَ العزيز الحكيم} يعني: العزيز بالنقمة لمن لا يوحّده، {والعزيز} في اللغة: الذي لا يعجزه عما أراد. ويقال: {القوى العزيز} الذي لا يوجد مثله {الحكيم} في أمره، وقضائه.

▲ تفسير الآيات رقم [2- 6]

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (2) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (3) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (5) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (6)}

ثم قال عز وجل: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} يعني: له خزائن السَّموات والأرض. يعني: خزائن السَّموات المطر، وخزائن الأرض النبات. ويقال: معناه له نفاذ الأمر في السَّموات والأرض.

ثم قال: {لاَ إله} يعني: يحيي للبعث، ويميت في الدنيا {وَهُوَ على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من الإحياء والإماتة.

ثم قال عز وجل: {هُوَ الاول} يعني: الأول قبل كل أحد {والاخر} بعد كل أحد {والظاهر} يعني: الغالب على كل شيء {والباطن} يعني: العالم بكل شيء. ويقال: {هُوَ الاول} يعني: مؤول كل شيء {والاخر} يعني: مؤخر كل شيء {والظاهر} يعني: المظهر {والباطن} يعني: المبطن. ويقال: هو {الاول} يعني: خالق الأولين {والاخر} يعني: خالق الآخرين {والظاهر} يعني: خالق الآدميين، وهم ظاهرون. {والباطن} يعني: خالق الجن، والشياطين الذين لا يظهرون. ويقال: {هُوَ الاول} يعني: خالق الدنيا {والاخر} يعني: خالق الآخرة. {والظاهر والباطن} يعني: عالم بالظاهر والباطن. ويقال: {هُوَ الاول} بلا ابتداء {والاخر} بلا انتهاء. {والظاهر والباطن}

يعني: منه نعمة ظاهرة. ويقال: هو {الاول والاخر والظاهر والباطن} يعني: هو الرب الواحد.
ثم قال: {وَهُوَ بِكُلّ شَئ عَلِيمٌ} يعني: من أمر الدنيا والآخرة.
ثم قال عز وجل: {هُوَ الذى خَلَقَ السموات والارض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرش يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الارض} يعني: ما يدخل في الأرض من الماء، والكنوز، والأموات، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} من النبات، والكنوز، والأموات، {وَمَا يَنزِلُ مِنَ السماء} وهو المطر، والثلج، والرزق، والملائكة، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} يعني: ما يصعد فيها من الملائكة، وأعمال العباد، والأرواح، {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ} يعني: عالم بكم، وبأعمالكم، أينما كنتم في الأرض {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فيجازيكم بالخير خيراً، وبالشر شراً.
ثم قال عز وجل: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور}.
ثم قال عز وجل: {يُولِجُ اليل فِى النهار} يعني: يُدخل الليل في النهار، إذا جاء الليل ذهب النهار. {وَيُولِجُ النهار فِى اليل} يعني: يُدخل النهار في الليل، إذا جاء النهار ذهب الليل. ومعنى آخر: يعني: يدخل زيادة الليل في النهار. يعني: يصير الليل أطول ما يكون خمس عشرة ساعة، والنهار أقصر ما يكون تسع ساعات. والليل والنهار أربع عشرون ساعة.
ثم قال عز وجل: {وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: بما في القلوب من الخير والشر.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 11]

{آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (7) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (8) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ

آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (9) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (10) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (11)}

ثم قال: {بالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصدقوا برسوله، {وَأَنْفِقُواْ} يعني: تصدقوا في طاعة الله تعالى {مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} يعني: مما جعلكم مالكين من المال. ويقال: معناه إن الأموال والدنيا كلها لله تعالى، فيجعل العباد مستخلفين على أمواله، وأمرهم بالنفقة، مما جعلهم خليفة فيها.

ثم بيّن ثواب الذين آمنوا فقال: {فالذين ءامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وتصدقوا، {لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} يعني: عظيم وهو الثواب الحسن في الجنة. ويقال: إن هذه الآية نسخت بآية الزكاة. ويقال: إنها ليست بمنسوخة، ولكنها حث على الصدقة، والنفقة في طاعة الله تعالى.

ثم قال عز وجل: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بالله} يعني: ما لكم لا تصدقون بوحدانية الله تعالى {والرسول يَدْعُوكُمْ} قرأ بعضهم: {والرسول} بضم اللام. يعني: ما لكم لا تؤمنون بالله، وتم الكلام.

ثم قال: {والرسول يَدْعُوكُمْ} إلى توحيد الله تعالى. وقراءة العامة {والرسول} بكسر اللام. يعني: ما لكم لا تصدقون بالله، وبرسوله حين يدعوكم، {لِتُؤْمِنُواْ بِرَبّكُمْ} يعني: لتصدقوا بوحدانية الله تعالى {وَقَدْ أَخَذَ ميثاقكم} يعني: أخذ الله تعالى إقراركم، والميثاق حين أخرجكم من صلب آدم {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} يعني: مصدقين قرأ أبو

عمرو: {وَقَدْ أَخَـذَ ميثـاقكم} بضـم القـاف، وكسـر الخـاء، على معنى فعل ما لم يسم فاعله، والبـاقون: يعـني: أخـذ الله ميثاقكم.
ثم قال: {هُوَ الذى يُنَزّلُ على عَبْدِهِ} هو الذي ينزل جبريل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم، يقرأ عليه {بَيّنَـاتٍ فاسأل} يعني: آيـات القـرآن، واضـحات بيّن فيهـا الحلال، والحـرام، والأمـر، والنهي. {لِيُخْـرِجَكُمْ مّنَ الظلمـات إِلَى النـور} يعـني: يـدعوكم من الشـرك إلى الإيمـان. ويقـال: {بَيّنَاتٍ فاسأل} يعني: واضحات. ويقال: {ءايـات} يعـني: علامات النبوة {لِيُخْرِجَكُمْ مّنَ الظلمات إِلَى النور} يعـني: ليوفقكم اللـه تعـالى للهـدى، ويخـرجكم من الكفـر. {وَإِنَّ الله بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} يعني: هداكم لدينه، وأنزل عليكم.
ثم قال عـز وجـل: {وَمَـا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُـواْ فِى سَبِيلِ اللـه} يعني: ما لكم ألا تصدقوا، أو ألا تنفقوا أمـوالكم في طاعـة الله.
{وَلِلَّهِ مِـيرَاثُ السـموات والارض} يعـني: إلى اللـه يرجـع ميراث السموات والأرض، أي: شيء ينفعكم ترك الإنفاق، ميتـون، تـاركون أمـوالكم. ويقـال: معنـاه: {وَمَـا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُواْ} والأمـوال كلهـا للـه تعـالى وهـو يـأمركم بالنفقـة. ويقال: أنفقوا مـا دمتم في الحيـاة، فـإنكم إن بخلتم، فـإن الله هو يرثكم، ويرث أهل السموات. يعني: أنفقوا قبل أن تفنوا، وتصير كلها ميراثاً لله تعالى بعد فنائكم، وإنمـا ذكـر لفظ الميراث، لأن العرب تعرف ما تـرك الإنسـان ميراثـاً، فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم.
ثم قــال: {لاَ يَسْــتَوِى مِنكُم} يعــني: لا يســتوي منكم في الفضل، والثـواب عنـد اللـه تعـالى {مَّنْ أَنفَـقَ} مَالـه في طاعة الله {مِن قَبْلِ الفتح} يعني: قاتل العدو. وفي الآية: تقديم يعني: من أنفق وقاتل {مِن قَبْلِ الفتح} يعــني: فتح مكة. ونزلت الآية في شأن أصحاب رسول الله صلى اللـه

عليـه وسـلم المهـاجرين والأنصـار. يعـني: الـذين أنفقـوا أموالهم مع رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، وقـاتلوا الكفار، لا يستوي حالهم وحال غيرهم. ويقال: نـزلت الآيـة في شأن أبي بكر رضي الله عنه كان جالسـاً مـع نفـر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم، فـوقعت بينهم منازعة في شيء، فنزل في تفضـيل أبي بكـر رضـي اللـه عنه {لاَ يَسْـتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَـقَ} مالـه {مِن قَبْـلِ الفتح} يعـني: من قبـل ظهـور الإسـلام {وقاتـل} يعـني: وجاهـد {أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً} يعني: أبا بكر رضـي اللـه عنـه {مّنَ الذين أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وقاتلوا} العدو مـع النـبي صـلى اللـه عليه وسلم. ويقال: هذا التفضيل لجميع أصحابه رضي الله عنهم أجمعين. وروى سفيان عن زيد بن أسـلم قـال: قـال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «سَـيَأْتِي قَـوْمٌ بَعْـدَكُمْ يَحْقِرُونَ أعْمَالَكُمْ مَعَ أعْمَالِهِمْ». قالوا: يا رسول اللـه نحن أفضل أم هم؟ فقال: «لَوْ أَنَّ أحَدَهُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُـدٍ ذَهَبـاً، مَا أدْرَكَ فَضْلَ أحَـدِكُمْ ولا نِصْـفَهُ». {أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَـةً} قال الفقيه: حدثني الخليل بن أحمد. ثنا الدبيلي. ثنـا عبيـد الله عن سفيان، عن زيد بن أسلم {مّنَ الـذين أَنفَقُـواْ مِن بَعْدُ وقـاتلوا} {وَكُلاًّ وَعَـدَ اللـه الحسـنى} قـرأ ابن عـامر: {وَكُلٌّ وَعَدَ الله الحسنى} بضم اللام. والبـاقون: بالنصـب. فمن قرأ بالضم، صار ضمّاً لمضمر فيه، فكأنه قال: أولئـك وعـد اللـه الحسـنى. ومن نصـب: معنـاه وعـد اللـه كلاًّ الحسنى يعني: الجنة.

ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} يعني: ما أنفقتم.

ثم قال: {مَّن ذَا الذى يُقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا} يعني: من ذا الذي يعطي من أموال اللـه قرضـاً حسـناً. يعـني: وفقـاً بالإخلاص، وطلب ثواب اللـه تعـالى: {فَيُضَـاعِفَهُ لَـهُ} في الحسـنات، ويعطي من الثـواب مـا لا يحصـى {وَلَـهُ أَجْـرٌ

كَرِيمٌ} يعني: ثواباً حسناً في الآخـرة. ويقـال: نـزلت الآيـة في شأن أبي الدحداح. ويقال: هو حث لجميع المسلمين.

تفسير الآيات رقم [12- 15]

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُـورُهُمْ بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِمْ بُشْـرَاكُمُ الْيَـوْمَ جَنَّاتٌ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا ذَلِـكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ (12) يَـوْمَ يَقُـولُ الْمُنَـافِقُونَ وَالْمُنَافِقَـاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُـوا انْظُرُونَـا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُـوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُـوا نُـورًا فَضُـرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَـذَابُ (13) يُنَـــادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَـــالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَـرَّتْكُمُ الْأَمَـانِيُّ حَتَّى جَـاءَ أَمْـرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (14) فَـالْيَوْمَ لَا يُؤْخَـذُ مِنْكُمْ فِدْيَـةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَـــرُوا مَـــأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَـــوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (15)}

ثم قال عز وجل: {يَوْمَ تَرَى المؤمنين والمؤمنات} يعـني: في يوم القيامة على الصراط {يسعى نُـورُهُم بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وبأيمـانهم} يعــني: بتصــديقهم في الــدنيا، وبأعمــالهم الصـالحة، فيعطى لهم النـور، يمضـون بـه على الصـراط، فيكون النور بين أيـديهم، وأيمـانهم، وعن شـمائلهم، إلا أن ذكـر الشـمائل مضـمر. وتقـول لهم الملائكـة: {بُشْـرَاكُمُ اليوم} يعني: أبشروا هذا اليوم بكرامة الله تعالى. {جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهـار خالـدين فِيهَـا} يعـني: مقيمين في الجنة، ونجوا من العذاب {ذلك هُوَ الفوز العظيم}.

قولـه تعـالى: {يَـوْمَ يَقُـولُ المنـافقون والمنافقـات لِلَّذِينَ ءامَنُــواْ انظرونــا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} يعــني: نُصِــبْ من نوركم، فتضـيء معكم. وروي عن أبي أمامـة البـاهلي أنـه قال: «بينما العباد يوم القيامـة عنـد الصـراط، إذ غشـيتهم ظلمة. ثم يقسم الله تعالى النور بين عبـاده، فيعطي اللـه المؤمن نوراً، ويبقى الكافر والمنافق لا يعطيان نوراً، فكما

لا يستضيء الأعمى بنور البصر، كذلك لا يستضيء الكــافر والمنــافق بنــور الإيمــان، فيقــولان: انظرونــا نقتبس من نــوركم، فيقــال لهم: {قِيــلَ ارجعــوا} حيث قسـم النـور فيرجعون، فلا يجدون شـيئاً، فـيرجعون، وقـد ضـرب بينهم بسور. وعن الحسن البصري قال: إن المنافقين يخــادعون الله، وهو خادعهم، لأنه يعطي المؤمن والمنافق نوراً، فإذا بلغـوا الصِّـراط، اطفئ نـور المنـافق، فيقـول: المنـافقون {انظرونا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} قال: فيشفق المؤمنون حين طفئ نور المنافقين، فيقولـون: عنـد ذلـك {رَبَّنَـا أَتْمِمْ لَنَـا نُورَنَا}. قرأ حمزة {انظرونا} بنصب الألف، وكسـر الظـاء المعجمة. والباقون: بالضـم. فمن قـرأ: بالنصـب، فمعنـاه: أمهلونـا. ومن قـرأ بالضـم، فمعنـاه: انتظرونـا. فقـال لهم المؤمنون: ارجعوا {وَرَاءكُمْ فالتمسوا نُوراً} يعني: ارجعـوا إلى الدنيا، فإنا جعلنا النور في الـدنيا. ويقـال: ارجعـوا إلى المحشر حيث أعطينا النور، واطلبـوا نـوراً، فـيرجعون في طلب النور، فلم يجدوا شيئاً، {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ} يعني: ظهر لهم. ويقال: بين أيديهم بسور. يعني: بحائط بين أهل الجنة، وأهل النار، {لَّهُ بَـابٌ بَاطِنُـهُ} يعـني: بـاطن السـور {فِيهِ الرحمة} يعني: الجنة {وظـاهره مِن قِبَلِـهِ العـذاب} يعـني: النــار. ويقــال: هــو الســور الــذي عليــه أصـحاب الأعراف، فيظهر بين الجنة، والنار. باب يعني: عليـه: بـاب فيجاوز فيه المؤمنون، ويبقى المنافقون على الصراط في الظلمــة {ينــادونهم} من وراء الســور {أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} يعــني: ألم نكن معكم في الــدنيا على دينكم، وكنــا معكم في الجماعــات، والصــلوات، فيجيبهم المؤمنــون. {قَــالُواْ بلى} يعــني: قــد كنتم معنــا في الــدنيا، أو في الظــاهر. {ولكنكم فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ} يعني: قـد أصـبتم أنفسـكم حيث كفـرتم في السـر. ويقـال: {فَتَنتُمْ أَنفُسَـكُمْ} يعـني: ثبتم

على الكفـر الأول في السـر {وَتَرَبَّصْـتُمْ} يعـني: انتظـرتم موت نبيكم.
ويقـال: {تربصـتم} يعـني: أخـرتم التوبـة، وسـوّفْتُمْ فيهـا. {وَتَرَبَّصْـتُمْ وارتبتم} يعـني: شـككتم في الـدين، وشـككتم في البعث {وَغرَّتْكُمُ الامانى} يعني: أباطيل الـدنيا {حـتى جَاء أَمْرُ الله} يعني: القيامة {وَغَرَّكُم بالله الغرور} يعني: الشياطين. وقال الزجـاج: {الغـرور} على مـيزان فعـول، وهو من أسماء المبالغة، وكذلك الشياطين {الغرور} لأنـه يغري ابن آدم كثيراً.
ثم قال: {فاليوم لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ} يعني: في هذا اليوم وهو يوم القيامة. وقـرأ ابن عـامر: {فـاليوم لاَ} بالتـاء لأن الفدية مؤنثة. وقرأ الباقون: بالياء. وجمع على المعنى، لأن معنى الفدية فداء، ومعناه: {فاليوم لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ} الفـداء يعـني: المنـافقين {وَلاَ مِنَ الـذين كَفَـرُواْ} يعـني: الـذين جحدوا بتوحيد الله تعالى، {مَأْوَاكُمُ النار} يعني: مصـيركم إلى النـار يعـني: المنـافقين، والكـافرين {هِىَ مـولاكم} يعــني: هي أولى بكم بمــا أسـلفتم من الــذنوب {وَبِئْسَ المصير} يعني: بئس المرجع النار للكافرين، والمنافقين.

تفسير الآيات رقم [16- 19]

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَـزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـابَ مِنْ قَبْـلُ فَطَـالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَـدُ فَقَسَـتْ قُلُـوبُهُمْ وَكَثِـيرٌ مِنْهُمْ فَاسِـقُونَ (16) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَـا قَـدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَـاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (17) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّـدِّقَاتِ وَأَقْرَضُـوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (18) وَالَّذِينَ آَمَنُـوا بِاللَّهِ وَرُسُـلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّـدِّيقُونَ وَالشُّـهَدَاءُ عِنْـدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْـرُهُمْ وَنُـورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَـرُوا وَكَـذَّبُوا بِآَيَاتِنَـا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (19)}

قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} يعني: ألم يجئ وقت تخاف قلـوبهم، فـترق قلـوبهم. يقال: إناءً يأني إناءً إذا حان وجاء وقته وأوانه. قال الفقيه: حدّثنا الخليل بن أحمد. ثنـا: أبـو جعفـر محمـد بن إبـراهيم الدبيلي. قال: حدّثنا أبو عبيـد اللـه. قـال: ثنـا سـفيان، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن القاسم قـال: مـلَّ أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم ملـة، فقـالوا: حـدّثنا يـا رسول الله، فأنزل الله تعالى: {الذى نَزَّلَ أَحْسَنَ الحـديث كتابا متشابها} ثم ملوا ملِّة أخرى فقالوا: حدّثنا يـا رسـول الله. فأنزل الله تعـالى {أَلَمْ يَـأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُـواْ أَن تَخْشَـعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللـه} ويقـال: إن المسـلمين قـالوا لسـلمان الفارسـي: حـدّثنا عن التـوراة، فـإن فيهـا عجـائب. فـنزل {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَـنَ القصـص} فكفـوا عن السـؤال، ثم سـألوه عن ذلـك، فـنزلت هـذه الآيـة {أَلَمْ يَـأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِـذِكْرِ اللـه} يعـني: تـرق قلـوبهم لذكر الله {وَمَا نَزَلَ مِنَ الحق} يعني: القرآن بذكر الحلال والحرام. قرأ نافع، وعاصم، في رواية حفص {وَمَـا نَـزَلَ} بـــالتخفيف. والبـــاقون: بالتشـــديد على معـــنى التكثـــير، والمبالغة.

ثم وعظهم فقـال: {وَلاَ يَكُونُـواْ كالـذين أُوتُـواْ الكتـاب مِن قَبْلُ} يعـني: ولا تكونـوا في القسـوة كـاليهود، والنصـارى، من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم {فَطَـالَ عَلَيْهِمُ الامد} يعني: الأجل. ويقال: خروج النبي صـلى اللـه عليـه وسلم {فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} يعني: جفّت، ويبست قلوبهم عن الإيمان، فلم يؤمنـوا بـالقرآن إلا قليـل منهم {وَكَثِـيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون} يعني: عاصون. ويقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءامَنُـواْ} يعني: المنافقين الذين آمنوا بلسـانهم دون قلـوبهم. وقـال أبو الدرداء: استعيذوا بالله من خشـوع النفـاق. قيـل: ومـا

خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع.
قوله تعالى: {اعلموا أَنَّ الله يُحْيِ الارض} يعني: يصلح الأرض، فاعتبروا بذلك {بَعْدَ مَوْتِهَا} يعني: بعد يبسها، وقحطها، فكذلك يحيي القلوب بالقرآن، ويصلح بعد قساوتها حتى تلين، كما أحيا الأرض كذلك بعد موتها بالمطر.
{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الايات} يعني: العلامات في القرآن {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يعني: لكي تعقلوا أمر البعث كذلك إنكم أيضاً تبعثون.
قوله تعالى: {إِنَّ المصدقين والمصدقات} قرأ ابن كثير، وعاصم، في رواية أبي بكر {إِنَّ المصدقين والمصدقات} كليهما بالتخفيف، والباقون: بالتشديد. فمن قرأ بالتخفيف، فمعناه: إن المؤمنين من الرجال، والمؤمنات من النساء، فمن صدق الله ورسوله ورضي بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. ومن قرأ: بالتشديد. يعني: المتصدقين من الرجال، والمتصدقات من النساء، فأدغمت التاء في الصاد، وشددت.
{وَأَقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً} يعني: يتصدقون، محتسبين بطبيعة أنفسهم، صادقين من قلوبهم {يُضَاعَفُ لَهُمُ} الحسنات، والثواب بكل واحد عشرة إلى سبعمائة، إلى ما لا يحصى، {وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} يعني: ثواباً حسناً في الجنة.
ثم قال عز وجل: {والذين ءامَنُواْ بالله وَرُسُلِهِ} يعني: صدّقوا بتوحيد الله، وصدقوا بجميع الرسل، {أُوْلَئِكَ هُمُ الصديقون} والصدِّيق: اسم المبالغة في الفعل. يقال: رجل صدِّيق، كثير الصدق. وقال ابن عباس رضي الله عنه: فمن آمن بالله ورسله فهو من الصدِّيقين.
ثم قال: {والشهداء عِندَ رَبّهِمْ} قال مقاتل: هذا استئناف فقال: {الشهداء} يعني: من استشهد عند ربهم. يعني:

يطلب شهادة على الأمم {لَهُمْ أَجْرُهُمْ} يعني: ثوابهم {وَنُورُهُمْ} ويقال: هذا بناء على الأول. يعني: {أُوْلَئِكَ هُمُ الصديقون والشهداء عِندَ رَبّهِمْ} يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة. ويقال: معناه {أُوْلَئِكَ هُمُ الصديقون} {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الشهداء} عند ربهم، ويكون لهم أجرهم، ونورهم. قال مجاهد: كل مؤمن صديق، شهيد.

ثم وصف حال الكفار فقال عز وجل: {والذين كَفَرُواْ} يعني: بوحدانية الله تعالى {وَكَذَّبُواْ بئاياتنا} يعني: جحدوا بالقرآن {أولئك أصحاب الجحيم}.

تفسير الآيات رقم [20- 23]

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (21) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)}

ثم قال عز وجل: {اعلموا أَنَّمَا الحياة الدنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} يعني: باطلاً، ولهواً. يعني: فرحاً يلهون فيها {وَزِينَةٌ} يعني: زينة الدنيا {وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ} عن الحسب {وَتَكَاثُرٌ فِى الاموال والاولاد} تفتخرون بذلك. وروى إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَامَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

ثم ضرب للدنيا مثلاً آخر فقال: {كَمَثَلِ غَيْثٍ} يعني: كمثل مطر نزل من السماء فينبت بـه الـزرع، والنبـات، {أَعْجَبَ الكفار نَبَاتُهُ} يعـني: فـرح الـزارع بنباتـه، ويقـال: {أَعْجَبَ الكفار} يعني: الكفار بالله، لأنهم أشد إعْجابـاً بزينـة الـدنيا من المؤمـنين. ويقـال: {الكفـار} كنايـة عن الـزراع، لأن الكَفْر في اللغة هو التغطية، ولهذا سمي الكافر كافراً لأنه يغطي الحق بالباطل. فسمي الـزراع كفـاراً لأنهم يغطـون الحب تحت الأرض، وليس ذلــك الكفــر الــذي هــو ضــد الإيمان، والطريقـة الأولى أحسـن إن أراد بـه الكفـار، لأن ميلهم إلى الــدنيا أشــد {ثُمَّ يَهِيجُ} يعــني: ييبس فيتغــير {فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً} بعـد خضـرته {ثُمَّ يَكُـونُ حُطَامـاً} يعـني: يابساً. ويقال: {حطاما} يعني: هالكاً، فشـبّه الـدنيا بـذلك، لأنه لا يبقى ما فيهـا، كمـا لا يبقى هـذا النبت {فِى الاخـرة عَذَابُ شَدِيدٍ} لمن افتخر بالـدنيا، واختارهـا {وَمَغْفِـرَةٌ مّنَ الله ورضوان} لمن ترك الدنيا، واختار الآخرة على الــدنيا. ويقال: عذاب شديد لأعدائه، ومغفرة من الله لأوليائه.

ثم قال: {وَما الحياة الدنيا إِلاَّ متاع الغـرور} يعـني: كمتـاع الغرور، يعني: كالمتاع الـذي يتخـذ من الزجـاج، والخـزف، يسرع إلى الفناء ولا يبقى.

ثم قال عز وجل: {سَـابِقُواْ إلى مَغْفِـرَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعـني: سارعوا بالأعمال الصـالحة. ويقـال: بـادروا بالتوبـة. وقـال مكحول: سـابقوا إلى تكبـيرة الافتتـاح {وَجَنَّةٍ} يعـني: إلى جنة {عَرْضُهَا كَعَرْضِ السماء والارض} يعـني: لـو ألصـقت بعضـها على بعض. يعـني: سـبع سـموات، وسـبع أرضـين، ومدت مد الأديم، لكان عرض الجنة أوسع من ذلـك؛ وإنمـا بين عرضها، ولم يبين طولها. ويقال: لـو جعلت السـموات والأرض لكانت الجنة بعد ذلك. هذا مثل يعـني: إنهـا أوسـع شــيء رأيتمــوه {سَــابِقُواْ إلى مَغْفِـرَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعــني: خلقت، وهيئت للذين صدقوا بوحدانية الله تعالى، وصـدقوا

برسله، {ذلك فَضْلُ الله} يعني: ذلـك الثـواب فضـل اللـه على العباد {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} يعني: يعطيـه من يشـاء من عباده، وهم المؤمنون، {والله ذُو الفضـل العظيم} يعـني: ذو العطاء العظيم، وذو المَنّ الجسيم.

قولـه تعـالى: {مَـا أَصَـابَ مِن مُّصِـيبَةٍ فِى الارض وَلاَ فِى أَنفُسِـكُمْ} يعـني: من قحـط المطـر، وغلاء السـعر، وقلـة النبــات، ونقص الثمــار، {وَلاَ فِى أَنفُسِــكُمْ} من البلايــا، والأمراض، والأوجاع.

{إِلاَّ فِى كتاب} يعـني: إلا في اللـوح المحفـوظ {مّن قَبْـلِ أَن نَّبْرَأَهَا} يعني: من قبـل أن نخلـق تلـك النسـمة. وذكـر الربيع بن أبي صالح الأسـلمي قـال: دخلت على سـعيد بن جبير حين جيء به إلى الحَجَّاج أراد قتلـه، فبكى رجـل من قومه فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك من مصـيبة. قال: فلا تبك، قد كان في علم اللـه تعـالى أن يكـون هـذا. ألم تسـمع قـول اللـه تعـالى: {مَـا أَصَـابَ مِن مُّصِـيبَةٍ فِى الارض وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كتـاب مّن قَبْـلِ أَن نَّبْرَأَهَـا} يعـني: من قبـل أن نخلقهـا. ويقـال: قبـل أن نخلـق تلـك النفس {إِنَّ ذلـك عَلَى اللــه يَسِــيرٌ} يعــني: هينــاً، {لّكَيْلاَ تَأْسَــوْاْ عَلَى مَــا فَــاتَكُمْ} يعــني: لكيلا تحزنــوا {على مَــا فَاتَكُمْ} من الرزق والعافية، إذا علمتم أنهـا مكتوبـة عليكم قبل خلقكم، {وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَا ءاتاكم} يعني: بمـا أعطـاكم في الـدنيا، ولا تفتخـروا بـذلك {والله لاَ يُحِبُّ كُـلَّ مُخْتَـالٍ فَخُــورٍ} يعــني: متكــبراً، فخــوراً، بنعم اللــه تعــالى، ولاَ يشكروه. قرأ أبو عمرو {بِمَا ءاتاكم} بغير مـدّ. والبـاقون: بالمد. فمن قرأ: بغير مد، فمعناه: لكيلا تفرحوا بما جـاءكم من حطـام الـدنيا، فإنـه إلى نفـاد. ومن قــرأ: بالمـد بمـا أعطاكم. وروى عكرمة عن ابن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا قال: ليس أحد إلا وهو يحــزن، ويفـرح. ولكن المـؤمن من جعل الفرح والمصيبة صَبْراً.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 27]

{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (26) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27)}

ثم قال عز وجل: {الذين يَبْخَلُونَ} يعني: لا يحب الذين يبخلون. يعني: يمسكون أموالهم، ولا يخرجون منها حق الله تعالى {وَيَأْمُرُونَ الناس بالبخل} ويقال: الذين يبخلون. يعني: يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم، ويأمرون الناس بالبخل. يعني: يكتمون صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته. {وَمَن يَتَوَلَّ} يعني: يعرض عن النفقة. ويقال: يعرض عن الإيمان {فَإِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} يعني: غنيٌّ عن نفقتهم، وعن إيمانهم، {الحميد} في فعاله. قرأ حمزة، والكسائي، {وَيَأْمُرُونَ الناس بالبخل} بنصب الخاء، والباء. وقرأ الباقون: بضم الباء، وإسكان الخاء، ومعناهما واحد. قرأ نافع، وابن عامر: {فَإِنَّ الله * الغنى الحميد} الذي لا غني مثله. والباقون: {فَإِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} بإثبات هو.

ثم قال: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بالبينات} يعني: بالأمر، والنهي، والحلال، والحرام، {وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكتاب} يعني: أنزلنا عليهم الكتاب ليعلموا أمتهم {والميزان} يعني:

العدل. ويقال: هو الميزان بعينه، أنزل على عهد نوح عليـه السلام {لِيَقُومَ الناس بالقسطِ} يعني: لكي يقـوم النـاس {بالقسط} يعني: بالعدل {وَأَنزْلْنَا الحديد} يعـني: وجعلنـا الحديـد {فِيـهِ بَـأْسٌ شَـدِيدٌ} يعـني: فيـه قـوة شـديدة في الحرب. وعن عكرمـة أنـه قـال: {وَأَنزْلْنَـا الحديـد} يعـني: أنـــزل اللـــه تعـــالى الحديـــد لآدم عليـــه الســـلام، العلاة، والمطرقة، والكلبتين فيه بأس شديد.

ثم قـال عـز وجـل: {ومنـافع لِلنَّاسِ} يعـني: في الحديـد {منافع * لِلنَّاسِ} مثل السكين، والفـأس، والإبـرة. يعـني: من معايشهم. {وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ} يعني: ولكن يعلم الله من ينصره على عدوه {وَرُسُلَهُ بالغيب} بقتل أعدائـه كقوله: {إِن تَنصُرُواْ الله يَنصُرْكُمْ} ويقـال: لكي يـرى اللـه من استعمل هـذا السـلام في طاعـة اللـه تعـالى، وطاعـة رسوله صلى الله عليه وسلم بالغيب. يعني: يصدق بالقلب {إِنَّ الله قَوِىٌّ} في أمره {عَزِيزٌ} في ملكه.

ثم قال عز وجـل: {وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا نُوحـاً وإبـراهيم} يعـني: بعثناهمـا إلى قومهمـا، {وَجَعَلْنَـا فِى ذُرّيَّتِهِمَـا} يعـني: في نسليهما {النبوة والكتاب} وكان فيهم الأنبياء مثل موسى، وهـــارون، وداود، ويـــونس، وســـليمان، وصـــالح، ونـــوح، وإبـــراهيم عليهم الســـلام {فَمِنْهُمْ مُّهْتَـــدٍ وَكَثِـــيرٌ مّنْهُمْ فاسقون} يعني: كثير من ذريتهم تاركون للكتاب.

قوله عـز وجـل: {ثُمَّ قَفَّيْنَـا على ءاثـارِهم} يعـني: وصـلنا، وأَتْبَعْنَا على آثـارهم {بِرُسُـلِنَا} واحـداً بعـد واحـد {وَقَفَّيْنَـا بِعِيسَى ابن مَرْيَمَ} يعني: وأرسلنا على آثارهم بعيسى ابن مريم {وَقَفَّيْنَا على} يعني: أعطيناه الإنجيـل {وَجَعَلْنَـا فِى قُلُـوبِ الـذين اتبعـوه} يعـني: الـذين آمنـوا بـه، وصـدقوه، واتبعوا دينه، {رَأْفَـةً وَرَحْمَـةً} يعـني: المـودة. والمتـوادين الذين يود بعضهم بعضاً.

ويقال: الرأفة على أهل دينهم، يـرحم بعضـهم بعضـاً، وهم الذين كانوا على دين عيسى، لم يتهوَّدوا، ولم يتنصروا.
ثم اســتأنف الكلام فقــال: {وَرَهْبَانِيَّةً ابتــدعوها} يعــني: ابتدعوا رهبانية {مَا كتبناها عَلَيْهِمْ} يعـني: لم تكتب عليهم الرهبانيــة {إِلاَّ ابتغـاء رضـوان اللـه} وذلـك أنـه لمـا كـثر المشركون، خرج المسلمون منهم، فهربـوا، واعـتزلوا في الغـيران، واتبعـوا الصـوامع، فطـال عليهم الأمـد، ورجـع بعضـهم عن دين عيسـى ابن مـريم، وابتـدعوا النصـرانية.
قال الله تعالى: {ابتدعوها} يعني: الرهبانية، والخروج إلى الصوامع، والتبتـل للعبـادة {مَـا كتبناهـا عَلَيْهِمْ} يعـني: مـا أوجبنا عليهم، ولم نـأمرهم إلا ابتغـاء رضـوان اللـه. يعـني: أمرنــاهم بمــا يرضــي اللــه تعــالى لا غــير ذلــك. ويقــال: {ابتــدعوها} لطلب رضـى اللـه تعـالى {فَمَـا رَعَوْهَـا حَـقَّ رِعَايَتِهَا} يعني: لم يحافظوا على ما أوجبوا على أنفســهم. ويقال: فما أطاعوا الله حين تهودوا، وتنصَّروا.
قــال اللــه تعــالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَـا على ءاثـارهم بِرُسُـلِنَا} في الآخرة {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون} يعني: عاصين. وهم الــذين تهودوا. وفي هذه الآية دليل وتنبيه للمؤمنين أن من أوجب على نفسه شيئاً، لم يكن واجباً عليـه أن يتبعـه، ولا يتركـه، فيستحق اسم الفسق. وروي عن بعض الصحابة أنه قــال: عليكم بإتمـام هـذه الـتراويح، لأنهـا لم تكن واجبـة عليكم. فقد أوجبتموها على أنفسـكم فـإنكم إن تركتموهـا صـرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية {وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فاسقون}.

▲ تفسير الآيات رقم [28- 29]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُـؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُـورًا تَمْشُـونَ بِـهِ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَحِيمٌ (28) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْـلُ الْكِتَـابِ أَلَّا يَقْـدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَـدِ اللَّهِ يُؤْتِيـهِ مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)}

ثم قال عز وجل: {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا اللـه} يعني: أطيعوه فيما يأمركم به، وفيما ينهـاكم عنـه، {ياأيهـا الذين} محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم، يعـني: اثبتـوا على الإسلام بعد نبيكم محمد صلى الله عليـه وسـلم ويقـال يـا أيها الذين آمنـوا بعيسـى ابن مـريم: آمنـوا باللـه ورسـوله محمد صلى الله عليه وسـلم {يُـؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِـهِ} يعني: أجرين من فضله، ويقال: لمـا نـزلت في أهـل مكـة {أولئك يُؤْتُونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَـدْرَؤُنَ بالحسـنة السـيئة وَمِمَّا رزقنـاهم يُنفِقُـونَ} [القصـص: 54]، حـزن المسلمون، فنزل فيهم {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ} وأصـل الكِفْل النصيب، يعني: نصيبين من رحمته، أحدهما: بإيمانـه بنبيـه قبـل خـروج النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، والآخـر الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.
ثم قال عز وجل: {وَيَجْعَـل لَّكُمْ نُـوراً تَمْشُـونَ بِـهِ} يعـني: يجعل لكم سبيلاً واضحاً تهتدون بـه، {وَيَغْفِـرْ لَكُمْ} يعـني: يغفر لكم ذنوبكم، {والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: يغفر الذنوب للمؤمنين {رَّحِيمٌ} بهم، {لّئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكتاب أَلاَّ يَقْدِرُونَ على شَئ مّن فَضْلِ اللـه} ولا مؤكـدة في الكلام، ومعنـاه لأن يعلمـوا أنهم لا يقـدرون على شـيء من فضـل اللـه ورحمتـه، يعـني: مؤمـني أهـل الكتـاب، يعلمـون أنهم لا يقدرون من فضل الله إلا برحمته لا برحمته، {وَأَنَّ الفضل بِيَدِ الله} يعني: الثواب من الله تعـالى {يُؤْتِيـهِ مَن يَشَـاء} من كان أهلاً لذلك من العبادة {والله ذُو الفضـل العظيم} يعني: هو المعطي وهو المانع والله أعلم بالصواب.

58

▲ سورة المجادلة

▲ تفسير الآية رقم [1]

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)}

قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَه قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ} يعني: تخاصمك، {فِى زَوْجِهَا} يعني: من قبل زوجها. وروى أبو العالية الرياحي: أن الآية نزلت في شأن أوس بن الصامت وفي امرأته خويلة بنت دعلج، وعن عكرمة أنه قال: نزلت في امرأة اسمها خويلة بنت ثعلبة وفي زوجها أوس بن الصامت، جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن زوجها جعلها عليه كظهر أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا أرَاكِ إلاَّ وَقَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ». قالت: انظر يا نبي الله، جعلني الله فداك يا نبي الله في شأني، وجعلت تجادله، وعائشة رضي الله عنها تغسل رأس النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت عائشة رضي الله عنها: اقصري حديثك ومجادلتك يا خويلة، أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تربّد ليوحى إليه، فأنزل الله تعالى {قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التي تُجَادِلُكَ}.

وروى سفيان، عن خالد، عن أبي قلابة، قال: كان طلاقهم في الجاهلية الظهار والإيلاء، فلما جاء الإسلام جعل الله تعالى في الظهار ما جعل، وجعل في الإيلاء ما جعل.

ثم قال: {وَتَشْتَكِى إِلَى الله} يعني: تتضرع المرأة إلى الله مخافة الفرقة {والله يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما} يعني: محاورتكما ومراجعتكما {إِنَّ الله سَمِيعٌ بَصِيرٌ} يعني: سميعاً لمقالة خويلة بصير بأمرها، وقال مقاتل فهي خويلة بنت ثعلبة.

▲ تفسير الآيات رقم [2- 4]

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (2) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)}

قوله تعالى: {الذين يظاهرون مِنكُمْ مّن نّسَائِهِمْ} قرأ عاصم {يظاهرون} بضم الياء وكسر الهاء، والتخفيف من ظاهر يظاهر، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، {يَظْهَرُونَ} بنصب الياء، مع التشديد، وهو في الأصل يتظهرون، فأدغمت التاء في الظاء، والمعنى في هذا كله واحد، يقال: ظاهر من امرأته، وتظهَّر منها، وأظهر منها،، إذا قال لها: أنت عليّ كظهر أمي.

ثم قال: {مَّا هُنَّ أمهاتهم} وروى الفضل عن عاصم، أمهاتُهم بضم التاء، لأنه خبر ما، كقولك ما زيد عالم، وقرأ الباقون بالكسر، لأن التاء في موضع النصب، فصار خفضاً لأنها تاء الجماعة، وهي لغة أهل الحجاز، فينصبون خبر «ما»، كقوله ما هذا بشراً، ما هن كأمهاتهم في الحرمة {أمهاتهم إِنْ} يعني: ما أمهاتهم {إِلاَّ اللائى وَلَدْنَهُمْ} يعني: الأم التي ولدته، والأم التي أرضعته، لأنه قال في موضع آخر {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وَبَنَاتُ الاخ وَبَنَاتُ الاخت وأمهاتكم اللاَّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأخواتكم مِّنَ الرضاعة وأمهات نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتي فِى حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاتى دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وحلائل أَبْنَآئِكُمُ الذين مِنْ أصلابكم وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الاختين إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ الله كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} [النساء: 23].

ثم قال: {وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ القول وَزُوراً} يعني: قولاً منكراً وكذباً {وَإِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} يعني: ذو تجاوز {غَفُورٌ}، حيث جعل الكفارة لرفع الحرمة، ولم يجعل فرقة بينهما.

ثم قال: {والذين يظاهرون مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ} يعني: يعودون لنقض ما قالوا، ولرفع ما قالوا في الجاهلية {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} يعني: فعليه تحرير رقبة، ويقال {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ} فيه تقديم وتأخير، يعني: ثم يعودون فتحرير رقبة لما قالوا ويقال: معناه ثم يعودون لما قالوا في الجاهلية، وذلك أنهم كانوا يتكلمون بهذا القول فيرجعون إلى ذلك القول بعد الإسلام، وقال بعضهم: لا تجب الكفارة حتى يقول مرتين، لأنه قال: ثم يعودون لما قالوا، يعني: يعودون مرة أخرى {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} هذا القول خلاف جميع أهل العلم، وإنما تجب الكفارة إذا قال مرة واحدة. والكفارة ما قال الله تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إلى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ الله وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 92] يعني: عتق رقبة {مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} يعني: من قبل أن يجامعها.

ويقال من قبل أن يمس كل واحد منهما صاحبه {ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ} يعني: هذا الحكم الذي تؤمرون به {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} من الوفاء وغيره. وقوله تعالى {فَمَن لَّمْ يَجِدْ} يعني: من لم يجد الرقبة {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} يعني: فعليه صيام شهرين متتابعين، لا يفصل بينهما {مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا} يعني: من قبل أن يمس كل

واحد منهما صاحبه. وفي الآية دليل أن المرأة لا يسعها أن تدع الـزوج يقربهـا قبـل الكفـارة، لأنـه نهاهمـا جميعاً عن المسـيس قبـل الكفـارة، واتفقـوا على أنـه إذا أفطـر في شهرين يوماً بغير عـذر عليـه أن يسـتقبل، واختلفـوا فيمن أفطر لمرض، أو عذر، أو غيره.

قال عطاء إذا أفطر من مرض، فالله أعذره بالعذر يبدلــه، ولا يستأنف، وقال طاوس: يقضي ولا يستأنف، وهكذا قال سعيد بن المسيب: فهـؤلاء كلهم قـالوا: لا يسـتقبل، وقـال إبراهيم النخعي والزهري والشعبي: يسـتقبل، وهكـذا قـال عطاء الخراساني، والحكم بن كيسان، وبه قال أبـو حنيفـة وأصحابه رضي الله عنهم.

ثم قــال: {فَمَن لَّمْ يَسْـتَطِعْ} الصــيام {فَإِطْعَــامُ سِــتِّينَ مِسْكِيناً} يعني: فعليه في قول أهل المدينة لكـل مسـكين صاع من الحنطة. أو التمر.

وفي قول أهل العراق منوان من حنطة، أو صاع من تمــر، بــدليل مــا روى سـليمان بن يسـار، عن سـلمة بن صـخر البياض، قال: كنت أصيب من النساء مـا لا يصـيب غـيري، فلمــا دخــل شــهر رمضــان خفت أن أصــيب من أهلي، فتظــاهرت من أهلي حــتى ينســلخ الشــهر، فبينمــا هي تخدمني ذات ليلـة، إذ انكشـف لي منهـا شـيء، فواقعتهـا، فلمــا أصــبحت أخــبرت قــومي، فقلت: اذهبــوا معي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقـالوا: مـا نـذهب ومـا نأمن أن ينزل فيك قـرآن، فأتيتـه فأخبرتـه، فقـال: «حَـرِّرْ رَقَبَةً» فقلت ما أملـك إلا رقبـتي، قـال: «فَصُـمْ شَـهْرَيْنِ» قلت: وهـل أصـابني إلا من قبـل الصـيام، قـال: «فـأَطْعِمْ وَسْقاً مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْـكِيناً» قلت: والـذي بعثـك بـالحق نبياً لقريش مـا لنـا طعـام. ثم قـال: «انْطَلِـقْ إلى صَـاحِبِ صَـدَقَةِ بَنِي زُرَيْـقٍ، فَلْيَـدْفَعْهَا إلَيْـكَ» فـرجعت إلى قـومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسـوء الـرأي، ووجـدت عنـد

رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأي، وقد أمر لي بصدقتكم، فقد بين في هذا الخبر أنه يجب وسقاً من تمر، والوسق ستون صاعاً، بالاتفاق.
ثم قال: {ذَلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بالله} يعني: لتصدقوا بوحدانية الله تعالى {وَرَسُولُهُ} يعني: وتصدقوا برسوله {وَتِلْكَ حُدُودُ الله} يعني: هذه فرائض الله، وأحكامه {وللكافرين عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: الذين لا يؤمنون بالله وبرسوله، وروي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتناجي النبي صلى الله عليه وسلم يسمع بعض كلامها، ويخفى عليه بعضه، إذ أنزل الله تعالى {قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا} وهكذا قال الأعمش.

تفسير الآيات رقم [5- 10]

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (5) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (6) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (7) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (8) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (9) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ

آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (10)}
قوله تعالى: {إِنَّ الذين يُحَادُّونَ الله وَرَسُولَهُ} يعني: يعادون، ويشاقون الله ورسوله، ويقال يشاقون أولياء الله ورسوله، يعني: الذين يشاقون أولياء الله، لأن أحداً لا يعادي الله، ولكن من عادى أولياء الله فقد عادى الله تعالى.
ثم قال: {كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} قال مقاتل: أخذوا كما أخذ الذين من قبلهم من الأمر ويقال: عذبوا كما عذب الذين من قبلهم، وقال أبو عبيد: أهلكوا ويقال: غيظوا كما غيظ الذين من قبلهم والكبت هو الغيظ، ويقال: أحزنوا، وقال الزجاج: أذلوا وغلبوا {وَقَدْ أنزَلْنَا ءايات بينات} يعني: القرآن فيه بيان أمره ونهيه ويقال: آيات واضحات {وللكافرين عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون فيه، ثم قال: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعاً} الأولين والآخرين يبعثهم الله من قبورهم {فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ} من خير أو شر ليعلموا وجوب الحجة عليهم {أحصاه الله وَنَسُوهُ} يعني: حفظ الله عليهم أعمالهم وهم نسوا أعمالهم ويقال: {وَنَسُوهُ} يعني: وتركوا العمل في الدنيا {والله على كُلّ شَئ شَهِيدٌ} يعني: شاهداً بأعمالهم ثم قال: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ} يعني: ألم تعلم، اللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التقرير يعني: أنك تعلم، ويقال: معناه إني أعلمتك أن الله يعلم. {مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض}. يعني: سر أهل السَّموات وسر أهل الأرض {مَا يَكُونُ مِن نجوى ثلاثة إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ} يعني: لا يتناجى ثلاثة فيما بينهم، ولا يتكلمون فيما بينهم بكلام الشر إلا هو رابعهم، لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم. {وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ} يعني: كان هو سادسهم، لأنه يعلم ما يقولون فيما بينهم. {وَلاَ أدنى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ} يعني: عالم بهم

وبأحوالهم {أَيْنَمَـا *** كَـانُواْ} في الأرض. {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَـا عَمِلُواْ} يعني: يخبرهم بما عملوا يـوم القيامـة من خـير أو شر. وذلك أن نفراً كانوا يتناجون عند الكعبة قـال بعضـهم لبعض: لا ترفعوا أصواتكم حتى لا يسمع رب محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم. ويقـال إن المنـافقين واليهـود كـانوا يتناجون فيمـا بينهم دون المؤمـنين، فـامتنعوا من ذلـك ثم عادوا إلى النجوى.

{يَوْمَ القيامة إِنَّ الله بِكُلّ شَـئ عَلِيمٌ * أَلَمْ تَـرَ إِلَى الـذين نُهُواْ عَنِ النجوى} يعني: عن قـول السـر فيمـا بينهم، {ثُمَّ يَعُـودُونَ لِمَـا نُهُـواْ عَنْـهُ ويتنـاجون بـالإثم} يعـني: بالكـذب {والعدوان} يعني: بالجَوْرِ والظلم، {أَلَمْ تَرَ} يعـني: خلاف أمر الله وأمر الرسول صلى الله عليه وسـلم. قـرأ حمـزة {***وينتجون}، والباقون {عَنْـهُ ويتنـاجون} وهمـا لغتـان، يقال: تناجى القوم وانتجوا.

ثم قال: {وَإِذَا *** جَاءوكَ حَيَّوْكَ} يعني: إذا جاءك اليهـود حيوك {بِمَا لَمْ يُحَيّكَ بِهِ الله}، وذلك أنهم كانوا يقولون إذا دخلـوا على رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: السـام عليكم.

فيقول: وعليكم. فقالت عائشـة رضـي اللـه عنهـا وعليكم السام، لَعَنَكُم الله وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ. فقال النـبي صـلى اللـه عليه وسلم: «مَهْلاً يا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بالرِّفْقِ. وَإِيَّاكِ وَالعُنْـفَ وَالفُحْشَ». قـالت: أو لم تسـمع مـا قـالوا؟ قـال: «أَوَ لَمْ تَسْمَعِي ما رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ؟ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ». فقالت اليهود فيما بينهم: لـو كـان رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم كمـا يقـول، لاسـتجيب دعـاؤه علينـا حيث قال: عليكم، فنزل {وَإِذَا *** جَـاءوكَ حَيَّوْكَ} يعـني: سلموا عليك بما لم يُحَيِّكَ به الله يعني: بمـا لم يـأمرك بـه الله أن تحيي به، ويقال: بما لم يسلم عليك به الله.

{وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ} يعني: فيما بينهم. {لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا الله} يعني: هلا يعذبنا الله {بِمَا نَقُولُ} لنبيه، يقول الله تعالى: {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ} يعني: مصيرهم إلى جهنم، {يَصْلَوْنَهَا} يعني: يدخلونها، {فَبِئْسَ المصير} ما صاروا إليه.

قوله تعالى: {المصير ياأيها الذين ءامَنُواْ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ} قال مقاتل: {ذَلِكَ بِأَنَّ الذين كَفَرُواْ} باللسان دون القلب {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ} فيما بينكم، {فَلاَ تتناجوا بالإثم والعدوان}؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية، كان المنافقون يتناجون فيما بينهم ليحزنوا المؤمنين. وهذا الخطاب للمخلصين في قول بعضهم، لأن الله تعالى أمرهم أن لا يتناجوا بالإثم والعدوان، كفعل المنافقين يعني: بالعداوة والظلم {أَلَمْ تَرَ} يعني: خلاف أمر الرسول أي: لا تخالفوا أمره {وتناجوا بالبر والتقوى} يعني: بالذي أمركم الله تعالى به، بالطاعة والتقى يعني: ترك المعصية.

ثم خوفهم فقال: {واتقوا الله} يعني: اخشوا الله، فلا تتناجوا بمثل ما تتناجى اليهود والمنافقون. {الذى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} بعد الموت فيجازيكم بأعمالكم. ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا النجوى مِنَ الشيطان} يعني: نجوى المنافقين من تزيين الشيطان. قال قتادة: إذا رأى المسلمون المنافقين جاؤوا متناجين، فشق عليهم، فنزل {إِنَّمَا النجوى مِنَ الشيطان} يعني: نجوى المنافقين في المعصية من الشيطان. {لِيَحْزُنَ الذين ءامَنُواْ}؛ قرأ نافع {لِيَحْزُنَ الذين ءامَنُواْ} بضم الياء، والباقون بالنصب، ومعناهما واحد. ثم قال: {وَلَيْسَ بِضَارّهِمْ شَيْئاً} يعني: ليس نجوى المنافقين يضر شيئاً للمؤمنين، أي: لا يضرهم {إِلاَّ بِإِذْنِ الله}، إلا أن يشاء. الله ثم أمر المؤمنين بأن

يتوكلوا على الله، وهو قولـه تعـالى: {وَعَلَى اللـه فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون}.

▲ تفسير الآيات رقم [11- 13]

{يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا إِذَا قِيـلَ لَكُمْ تَفَسَّـحُوا فِي الْمَجَـالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُـزُوا يَرْفَـعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا إِذَا نَـاجَيْتُمُ الرَّسُـولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَـرُ فَـإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ (12) أَأَشْـفَقْتُمْ أَنْ تُقَـدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَـإِذْ لَمْ تَفْعَلُـوا وَتَـابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّـلَاةَ وَآَتُـوا الزَّكَـاةَ وَأَطِيعُـوا اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (13)}

ثم قال عز وجل: {المؤمنون ياأيها الـذين ءامَنُـواْ إِذَا قِيـلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى المجالس}. قرأ عاصم {فِى المجـالس} بلفظ الجمع، والباقون {فِى المجالس} يعني: في مجلس النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم. نـزلت في ثـابت بن قيس، وكـان في أذنيـه شـيء من الثقـل، فحضـر مجلس النـبي صلى الله عليه وسلم وقد أخـذوا مجالسـهم، فبقي قائمـاً فقال النبي صلى الله عليـه وسـلم: «رَحِمَ اللـه مَنْ وَسَّـعَ لأَخِيهِ» فنزلت الآية. وروى معمر، عن قتادة أنه قال: كـان الناس يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليـه وسـلم فقيـــل لهم: إذا قيـــل لكم تفســـحوا في المجـــالس، {فافسحوا} يعني: وسعوا المجلس. {يَفْسَحِ الله لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشزوا فَانشُزُواْ} يعني: إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا. وروى معمـر، عن الحسـن قـال: هـذا في الغـزاة؛ وقـال مجاهـد: {تَفَسَّـحُواْ فِى المجـالس} يعـني: مجلس النـبي صلى الله عليه وسلم خاصة {وَإِذَا قِيلَ انشـزوا} إلى كـل خير وقتال عدو وأمر بالمعروف. وروي عن ابن عمـر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: «لا يُقِيمُ الرَّجُـلُ الرَّجُـلَ

فِي مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، ولكن تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا». قرأ نافع وابن عامر وعاصم في إحدى الروايتين {انشزوا} بالضم للشين، والباقون بالكسر وهما لغتان. يقال: نشز ينشز يعني: إذ قيل لكم انهضوا يعني: قوموا لا تتثاقلوا، ويقال: {انشزوا} يعني: قوموا للصلاة وقضاء حق أو شهادة فانشزوا يعني: انهضوا.

ثم قال: {يَرْفَعِ الله الذين ءامَنُواْ مِنكُمْ والذين أُوتُواْ العلم درجات} يعني: من كان له إيمان وعلم، وكان له فضائل على الذين يقومون وليس بعالم. قال الضحاك: {يَرْفَعِ الله الذين ءامَنُواْ مِنكُمْ} وقد تم الكلام. ثم قال: {والذين أُوتُواْ العلم درجات} يعني: لأهل العلم درجات، أي: الذين أوتوا العلم في الدنيا ولهم درجات في العقبى. قال: وللعلماء مثل درجة الشهداء، وقال مقاتل: إذا انتهى المؤمن إلى باب الجنة، يقال للمؤمن الذي ليس بعالم: ادخل الجنة بعملك، ويقال للعالم: أقم على باب الجنة واشفع للناس. وقال ابن مسعود: {يَرْفَعِ الله الذين ءامَنُواْ مِنكُمْ والذين أُوتُواْ العلم} على الذين آمنوا منكم ولم يؤتوا العلم درجات. ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} من التفسح في المجلس وغيره.

قوله تعالى: {خَبِيرٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِذَا ناجيتم الرسول} يعني: إذا كلمتم الرسول سراً، {فَقَدّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نجواكم صَدَقَةً} يعني: تصدقوا قبل كلامكم بصدقة. {ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ} يعني: التصدق خير لكم من إمساكه، {وَأَطْهَرُ} لقلوبكم وأزكى من المعصية. {فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ} ما تتصدقون، {فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} لِمَنْ لم يجد الصدقة.

وذلك أن الأغنياء كانوا يكثرون مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يمكنوا الفقراء من سماع كلامه، وكان يكره طول مجالستهم وكثرة نجواهم، فأمرهم الله تعالى

بالصدقة عند المناجاة، فانتهوا عن ذلـك، فقـدرت الفقـراء على سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومجالسته.
وقال مجاهد: نُهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسـلم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إِلاَّ عَليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قدم ديناراً تصدق به وكلم النبي صلى الله عليه وسلم في عشر كلمات، ثم أنزلت الرخصة بالآية التي بعدها وهو قولـه: {ءَأَشْـفَقْتُمْ} يعـني: أبخلتم يـا أهـل الميسـرة {أءشْفَقْتُمْ أَن تُقَـدّمُواْ بَيْنَ يَـدَىْ نجـواكم صـدقات}؟ فلـو فعلتم كان خيراً لكم، {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ} وتكرهوا ذلك، فإن الله تعالى غني عن صدقاتكم. {وَتَابَ اللـه عَلَيْكُمْ} يعـني: تجاوز عنكم. {أءشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ}، فَنَسَخَت الزكـاةُ الصدقة التي عند المناجاة. {وَأَطِيعُواْ الله وَرَسُـولَهُ} فيمـا يأمركم به وينهـاكم عنـه. {واللـه خَبِـيرٌ بِمَـا تَعْمَلُـونَ} من الخير والشر والتصدق والنجوى.

تفسير الآيات رقم [14- 19]

{أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًـا غَضِـبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَـا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُـونَ عَلَى الْكَـذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُـونَ (14) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُـونَ (15) اتَّخَـذُوا أَيْمَـانَهُمْ جُنَّةً فَصَـدُّوا عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَـذَابٌ مُهِينٌ (16) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْـــوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (17) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَـا يَحْلِفُـونَ لَكُمْ وَيَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَـيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَـاذِبُونَ (18) اسْـتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِـزْبُ الشَّـيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (19)}
قولـه تعـالى: {أَلَمْ تَـرَ إِلَى الـذين تَوَلَّوْاْ قَوْمـاً غَضِـبَ اللـه عَلَيْهِم} يعـني: المنـافقين اتخـذوا اليهـود أوليـاء وتولّوهم وناصحوهم، وهم اليهود، وغضب اللـه عليهم ثم قـال: {مَّا هُم مّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ} يعـني: ليسـوا منكم في الحقيقـة ولا

من اليهود في العلانية، وهـذا كقولـه: لا إلى هـؤلاء ولا إلى هؤلاء. وكانوا إذا سألهم المسـلمون: إنكم تتولـون اليهـود، كانوا يحلفون بالله إنهم من المؤمنين، كما قال الله تعـالى في آية أخرى: {يَحْلِفُـونَ باللـه أَنَّهُمْ مِنكُمْ وَمَـا هُم مِّنكُمْ} فـأخبر اللــه تعــالى إنهم لكــاذبون في أيمــانهم، فقــال: {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ} يعني: يحلفـون أنهم مصدقون في السر وهم يعلمون أنهم مكذبون.

{أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَـدِيداً} في الآخـرة. {إِنَّهُمْ سَـاء مَـا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} يعني: بئس ما كانوا يعملون بولايتهم اليهود وكذبهم وحلفهم، ثم قال عز وجل: {اتخذوا أيمــانهم جُنَّةً} يعني: جعلوا حلفهم بدلاً عن القتل، ليأمنوا بها عن القتـل والسبي؛ {فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله} يعـني: صَـدُّوا وصـرفوا الناس عن دين الله تعالى في السر. {فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} يهانون فيه.

قوله تعالى: {لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أموالهم وَلاَ أولادهم مّنَ اللــه شَـيْئًا} يعـني: لم تنفعهم أمـوالهم ولا أولادهم من عـذاب الله شيئاً. {أولَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَـا خالـدون} يعـني: دائمين. ثم قال عز وجل: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَمِيعاً} يعـني: المنـافقين واليهـود، {فَيَحْلِفُـونَ لَـهُ} يعـني: يحلفـون للـه تعالى في الآخرة، {كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ} في الـدنيا؛ وحَلفهم في الآخرة ما قال اللـه تعـالى في سـورة الأنعـام {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَــالُواْ واللــه رَبِّنَــا مَــا كُنَّا مُشْــرِكِينَ} [الأنعام: 23]، وروى معمر، عن قتادة قال: المنافق يحلف لله تعالى يوم القيامة، كما كان حلف لأوليائه في الدنيا.

ثم قال: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ على شَـئ} يعـني: يحسـبون أن يمينهم تنفعهم شيئاً، {أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكـاذبون} في قــولهم، ويقـال: {وَيَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ على شَـئ} من الـدين، ويقـال: {وَيَحْسَبُونَ} يعـني: يحسـب المؤمنـون أنهم على شـيء، يعــني: إن المنــافقين على شــيء من الــدين، يعــني: إذا

سمعوا حلفهم. قال الله تعالى: من الدين يعني: إذا سمعوا حلفهم، قال الله تعالى: {أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الكاذبون} في حلفهم وهم كافرون في السر. ثم قال: {استحوذ} يعني: غلب {عَلَيْهِمُ الشيطان}، ويقال: استولى عليهم الشيطان. {أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشيطان} يعني: جند الشيطان {أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشيطان هُمُ الخاسرون} يعني: خسروا أنفسهم وأموالهم في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [20- 22]

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (22)}

قوله عز وجل: {إِنَّ الذين يُحَادُّونَ اللهِ وَرَسُولَهُ} يعني: يعادون الله ويخالفون الله ورسوله {أُوْلَئِكَ فِى الاذلين} يعني: في الأسفلين في الدرك الأسفل من النار، وهم المنافقون ويقال: {أُوْلَئِكَ فِى الاذلين} يعني: في الهالكين.

قوله تعالى: {كتاب الله} يعني: قضى الله {لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى} يعني: لأغلبن في الدنيا بالحجة والدلائل في الآخرة، ويقال: {لاَغْلِبَنَّ} يعني: لأقهرن أنا ورسلي، فتكون العاقبة للمؤمنين. {إِنَّ الله قَوِىٌّ عَزِيزٌ}، ويقال: {كتاب الله} يعني: قضى الله ذلك قضاء ثابتاً {لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى}، وغلبة الرسل تكون على نوعين: من بعث منهم في الحرب، فغلب في الحرب ومن بعث منهم بغير حرب

فهو غالب بالحجة {إِنَّ الله قَـوِىٌّ عَزِيـزٌ} أي: مـانع حزبـه من أن يذل والعزيز الذي لا يغلب ولا يقهر.
ثم قال: {لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله واليـوم الاخـر} يعـني: البعث بعد الموت. {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ} يعــني: يتخذون خلة وصداقة مع الكافرين. نزلت في «حـاطب بن أبي بلتعة» وفيـه نـزل {لاَ تَتَّخِـذُواْ عَـدُوّى وَعَـدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاء تُلْقُــونَ إِلَيْهِمْ بـالمودة} ثم قـال عـز وجـل: {وَلَـوْ كَـانُواْ ءابَـاءهُمْ أَوْ أَبْنَـاءهُمْ أَوْ إخــوانهم أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ} يعـني: لا تتخذوا مع الكافرين صداقة، وإن كانوا من أقربائه.
ثم قال: {أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمان} يعني: الــذين لا يتخذون مع الكافرين صداقة. هم الـذين جعـل في قلـوبهم الإيمان يعني: التصديق {وَأَيَّدَهُمْ}، يعـني: أعـانهم {بِـرُوحٍ مّنْـهُ} أي: قَــوَّاهم بنــور الإيمــان وبإحيــاء الإيمــان، وذلــكَ يوصــلهم إلى الجنــة، {وَيُـدْخِلُهُمْ جنـات تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهـار}، يعـني: في الآخـرة {خالـدين فِيهَـا}، يعـني: في الجنة. {رَّضِـىَ اللـه عَنْهُمْ} بإيمـانهم وطـاعتهم، {وَرَضُـواْ عَنْهُ} بالثواب والجنة. {أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله} يعني: جند اللـه. {أَلاَ إِنَّ حِـزْبَ اللـه هُمُ المفلحـون}، يعـني: جنـد اللـه هم الناجون، الذين فازوا بالجنـة وبنعمـة اللـه تعـالى وفضـله؛ والله أعلم بالصواب.

سورة الحشر

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)}

قوله تبارك وتعالى: {سَبَّحَ للَّهِ مَا فِى السموات}، يعني: صلى لله، ويقال: خضع لله، ويقال: هو التسبيح بعينه {مَا فِي السموات} من الملائكة. {وَمَا فِى الارض} يعني: من الخلق. {وَهُوَ العزيز} في ملكه، {الحكيم} في أمره. ثم قال عز وجل: {هُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ}، يعني: يهود بني النضير. {مِنْ أَهْلِ الكتاب مِن ديارهم}. وكان بدأ أمر بني النضير، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة بعوث، أحد البعوث مرشد بن أبي مرشد الغنوي، وأمره على سبعة نفر إلى بعض النواحي، فساروا حتى جاؤوا بطن الرجيع، فنزلوا عند شجرة، فأكلوا من تمر عجوة كانت معهم، فسقطت نوايات بالأرض، وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار، فكمنوا بالجبل.

فجاءت امرأة من هذيل ترعى الغنم، فرأت النوايات التي سقطت في الأرض، فأنكرت صفرهن فعرفت أنها تمر المدينة، فصاحت في قومها: أنتم أتيتم. فجاؤوا يطلبونها، فوجدوهم قد كمنوا في الجبل، فقالوا لهم: انزلوا ولكم الأمان. فقالوا: لا نعطي بأيدينا. فقاتلوهم، فقتلوا كلهم إلا

عبد الله بن طارق، فجرحوه وحسبوا أنه قد مات، فتركوه فنجا من بينهم.
وبقي أخوهم عاصم بن ثابت بن الأفلح، ففرغ جعبته ثم جعل يرميهم ويرتجز، ويقاتلهم حتى فنيت سبله؛ ثم طاعن بالرمح حتى انكسر الرمح وبقي السيف. ثم قال: اللهم إني قد حميت دينك أول النهار، فاحم جسدي في آخره. وكانوا يجردون من قتل أصحابه، فلما قتلوا عاصماً، حمته الدبر وهي الذنابير، حتى جاء السيل من الليل، فذهب به الدبر.
وأسروا خبيب بن عدي ورجل آخر اسمه زيد بن الدثنة، فأما خبيب فذهبوا به إلى مكة، فاشترته امرأة ومعها أناس من قريش قتل لهم قتيل يوم بدر فلما جيء بخبيب أتي به في الشهر الحرام، فحبس حتى انسلخ الشهر الحرام ثم خرجوا به من الحرم ليصلبوه، فقال لهم: اتركوني أصلي ركعتين، فصلاهما. ثم قال: لولا خشيت أن يقولوا جزع من الموت، لازددت. فقال: اللهم ليس هاهنا أحد أن يبلغ عني رسولك السلام، فبلغ أنت عني السلام. ثم التفت إلى وجوههم، وقال: اللهم أحصهم عدداً وأهلكهم بدناً يعني: متفرقين، ولا تبقي منهم أحداً. ثم صلبوه. وأما صاحبه، الذي أسر معه، اشتراه صفوان بن أمية.
وأما البعث الثاني، فإنه بعث محمد بن سلمة مع أصحابه، فقتل أصحابه عن نحو طريق العراق، وارتث هو من وسط القتلى فنجا.
وأما البعث الثالث، فإن عمرو بن مالك كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ابعث إليَّ رجالاً يعلموننا القرآن، ويفقهوننا في الدين، فهم في ذمتي وجواري.
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي في أربعة عشر من المهاجرين والأنصار،

فسـاروا نحـو بـئر معونـة. فلمـا سـاروا ليلـة من المدينـة، بلغهم أن عمـرو بن مالـك مـات، فكتب المنـذر بن عمـرو إلى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم يسـتمده، فأمـده صلى اللـه عليـه وسـلم بأربعـة نفـر منهم عمـرو بن أميـة الضـمري، والحـارث بن الصـمة، وسـعد بن أبي وقـاص، ورجل آخر؛ فساروا حتى بلغوا بئر معونة، وكتبوا إلى ربيعة بن عامر بن مالك: نحن في ذمتك وذمة أبيك، أفنقدم إليك أم لا؟ فقال: أنتم في ذمتي وجواري فأقدموا.

فخـرج إليهم عـامر بن الطفيـل، واسـتعان برعـل وذكـوان وعصية فخرجوا إلى المسلمين فقاتلوهم، فقتلــوا كلهم إلا عمرو بن أمية الضـمري، والحـارث بن الصـمة، وسـعد بن أبي وقاص، كانوا تخلفوا. فنزلوا تحت شجرة إذ وقــع على الشجرة طير، فرمى عليهم بعلقـة دم، فعرفـوا أن الطـير قد شرب الـدم، فقـال بعضـهم لبعض: قـد قتـل أصـحابنا. فصعدوا أعلى الجبـل، فنظـروا فـإذا القـوم صـرعى، وقـد اعتكفت عليهم الطـير، فقـال الحـارث بن الصـمة: أنـا لا أنتهي حتى أبلغ مصارع أصحابي.

فخرج إليهم فقاتـل القـوم، فقتـل منهم رجلين. ثم أخـذوه فقالوا لـه: مـا تحب أن نصـنع بـك؟ فقـال لهم: ابلغـوا بي مصارع قومي. فلما بلغ مصارع أصحابه، أرسلوه فقـاتلهم، فقتل منهم اثنين. ثم قتل فرجع عمرو بن أميـة الضـمري، ورجع معه الـرجلان الآخـران إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم، فخرج رجلان من عند رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم مستأمنين، قد كسـاهما وحملهمـا رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم، فقـال: من أنتمـا؟ قـال: كلابيـان. فقتلهمـا عمـرو بن أميـة الضـمري، وأخـذ سـلبهما، ودخـل على رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وأخـبره الخـبر، فقال: بئس ما صنعت حين قتلتهما.

فلما جاء إلى رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، وأخـبره خبر هذه البعوث الثلاثة في ليلة واحـدة، صـلى الصـبح في ذلك اليوم، وقال في الركعـة الثانيـة: اللهم اشـدد وطأتـك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم العن رعلان وذكوان وبني لحيان، اللهم غفار، غفر الله لهـا وسالم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله.

فجاء أناس من بني كلاب يلتمسون من رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم دية الكلابيين، وكان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم حين قدم المدينة، صالح بني النضير على أن لا يكونوا معه ولا عليه؛ فاستعان النبي صلى الله عليه وسلم في عقل الكلابيين قبائل الأنصار؛ فلما بلغ العاليـة اسـتعان من بني النضير فقال: أعينـوني في عقـل أصـابني، فقـال: هؤلاء حلفائي. فخرج رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم، ومعـه أبـو بكـر، وعمـر، وعلي رضـي اللـه عنهم إلى بـني النضير، فقال حيي بن أخطب: اجلس يا أبـا القاسـم حـتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا.

فجلس النبي صلى الله عليه وسـلم في صـفه، ومعـه أبـو بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم فقـال حـيي بن أخطب لأصحابه: إنما هـو في ثلاثـة نفـر لا ترونـه أقـرب من الآن، فاقتلوه لا تروا شراً أبداً.

فنزل جبريل عليه السلام وأخبره، فقام النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كأنـه يريـد حاجـة، حـتى دخـل المدينـة فجـاء إنسان، فسألوه عنـه فقـال: رأيت النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم دخل أول البيوت. فقاموا من هناك، فقـال حـيي بن أخطب: عجـل أبـو القاسـم عليـه، فقـد أردنـا أن نطعمـه ونعطيه الذي سأله. فلما رجع النبي صلى الله عليه وسـلم إلى المدينة، جمع الناس وجاء بالجيش، واختلفوا في قتـل كعب بن الأشرف، فقال بعضهم لبعض: قد كان قتـل قبـل ذلك، وقال بعضهم: قتل في هذا الـوقت. فبعث محمـد بن

سلمة، فخرج محمد بن سلمة، وأبو نائلة، ورجلان آخـــران، فأتوه بالليل، وقالوا: أتيناك نستقرض منك شيئاً من التمر. فخرج إليهم فقتلـوه، ورجعـوا إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فخـرج إليهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم مـع الجيش إلى بني النضير، فقال لهم: اخرجوا منها. فإذا جـاء وقت الجذاذ، فجذوا ثماركم. فقالوا: لا نفعل.

فحاصـرهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم فقـالوا: يـا أبـا القاسم، نحن نعطيك الذي سألتنا. قال: «لاَ ولكن اخْرُجُـوا مِنْهَـا، وَلَكُمْ مَـا حَمَلَتِ الإِبِـلُ إلاّ الحَلَقَـةُ» يعـني: السـلاح، قالوا: لا. فحاصرهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم خمس عشرة ليلة، وأمر بقطع نخيلهم، ونقب بيوتهم. فلما رأت اليهود ما يصـنعون بهم، فكلمـا نقب المسـلمون بيت فــروا إلى بيت، آخـــر ينتظـــرون المنـــافقين. وقـــد قـــال المنافقون لهم: لئن أخـرجتم لنخـرجن معكم، وإن قـوتلتم لننصــرنكم. فلمــا رأوا أنــه لا يــأتيهم أحــد من المنــافقين ولحقهم من الشر ما لحقهم، قال بعضهم لبعض: ليس لنــا مقـام بعـد النخيـل، فنحن نعطيـك يـا أبـا القاسـم على أن تعتق رقابنا إلا الحلقة ونخرج، فأجلاهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم من المدينـة، ولهم مـا حملت الإبـل إلا الحلقة.

فأخذ أموالهم، فقسمها بين المهـاجرين، ولم يعطهـا أحـداً من الأنصار إلا رجلين كانا محتاجين مثل حاجة المهاجرين، وهما سهل بن حنيف وسماك بن خرشة أبو دجانة، فنزلت هذه الآية: {وَهُوَ الذى أَخْرَجَ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْـلِ الكتـاب مِن ديـارهم} يعـني: بـني النضـير {لاِوَّلِ الحشـر}، يعـني: أول الإجلاء من المدينـــة. وقـــال عكرمـــة: من شـــك بـــأن الحشر هو الشام، فليقرأ هذه الآية {هُوَ الذى أَخْرَجَ الـذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْـلِ الكتـاب مِن ديـارهم لاِوَّلِ الحشـر}. فلمـا

قال لهم: اخرجوا من المدينـة، قـالوا: إلى أين؟ قـال: إلى أرض المحشر.
فقال لهم: إنهم أول من يحشر، وأخرج من ديارهم.
ثم قـال: {مَـا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُـواْ}، يعـني: مـا ظننتم أيهـا المؤمنين أن يخرجـوا من ديـارهم. وذلـك إن بـني النضـير كـان لهم عـز ومنعـة، وظن النـاس أنهم بعـزهم ومنعتم لا يخرجون. {وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ}، يعني: وحسبوا بـني النضـير أنهم {مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مّنَ اللـه} يعـني: أن حصـونهم تمنعهم من عذاب اللـه. {فاتـاهم اللـه}، يعـني: أتـاهم أمـر اللـه، ويقــال: {فاتــاهم اللــه} بمــا وعــد لهم. {مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ}، يعني: لم يظنوا أنه يـنزل بهم، وهـو قتـل كعب بن الأشرف، ويقال: خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع الجيش إليهم. {وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرعب}، يعـني: جعـل في قلوبهم الخوف.
{يُخْرِبُونَ بُيُـوتَهُمْ بِأَيْـدِيهِمْ وَأَيْـدِى المؤمـنين}. وذلـك أنهم حصنوا أزقتهم بالدروب، وكان المسلمون ينقبـون بيـوتهم، ويدخلونها، وكان اليهود ينقبـون بيـوتهم من الجـانب الآخـر ويخرجون منها. ويقال: كان اليهود ينقبون بيـوتهم، لـيرموا بهـا على المسـلمين؛ وكـان المسـلمون يخربـون نـواحي بيوتهم، ليتمكنوا من الحرب. ويقال: كان اليهود أنفقوا في بيوتهم، فلما علمـوا أنهم يخرجـون منهـا، جعلـوا يخربونهـا كيلا يسكنها المسلمون؛ وكان المؤمنون يخربونها، ليـدخلوا عليهم. قـرأ أبـو عمـرو {يُخْرِبُـونَ} بالتشـديد. والبـاقون بالتخفيف. قال بعضهم: هما لغتـان: خـرب وأخـرب. وروي عن الفراء أنه قـال: من قـرأ بالتشـديد، فمعنـاه يهـدمون؛ ومن قرأ بالتخفيف، فمعنـاه يعطلـون. ثم قـال {فـاعتبروا ياأولى الابصار}، يعني: من له البصارة في أمر الله.

▲ تفسير الآيات رقم [3- 5]

{وَلَـوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَـذَّبَهُمْ فِي الـدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (3) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (4) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَـا قَائِمَـةً عَلَى أُصُـولِهَا فَبِـإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْـزِيَ الْفَاسِقِينَ (5)}

قوله عز وجل: {وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ الله عَلَيْهِمُ الجلاء}، يعـني: لولا أن قضى اللـه عليهم الإخـراج من جزيـرة العـرب إلى الشـام، {لَعَـذَّبَهُمْ فِى الـدنيا}؛ يعـني: لعـذبهم بالقتـل والسبي. {وَلَهُمْ فِى الاخرة عَذَابُ النار}، يعني: ذلك الذي أصابهم من الجلاء في الـدنيا والعـذاب في الآخـرة. {ذَلِـكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ الله وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقّ الله}، يعني: خـالفوا الله ورسوله في الدين، ويقال: عادوا الله ورسوله. {وَمَن يُشَاقّ الله} وأصله من يشاقق الله، إلا أن إحـدى القـافين أدغمت في الأخـرى وشـددت، يعـني: من يخـالف اللـه ورسوله في الدين، {فَإِنَّ الله شَـدِيدُ العقـاب}، يعـني: إذا عاقب، فعقوبته شديدة.

قوله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مّن لّينَةٍ} يعني: من نخلـة {أَوْ تَرَكْتُمُوهَـا قَائِمَـةً على أُصُـولِهَا} فلم تقطعوهـا، {فَبِـإِذْنِ الله} يعني: بأمر الله. وقال عكرمة: لما دخل المسـلمون على بني النضير، أخذوا يقطعون النخـل، فنهـاهم بعضـهم، وتأولوا قوله تعالى: {وَإِذَا تـولى سـعى فِى الارض لِيُفْسِـدَ فِيهَـا وَيُهْلِـكَ الحـرث والنسـل واللـه لاَ يُحِبُّ الفسـاد} [البقرة: 205] وقال بعضهم: يقطـع ويتـأول قولـه تعـالى: {مَـا كَـانَ لأَهْـلِ المدينـة وَمَنْ حَـوْلَهُمْ مِّنَ الاعـراب أن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ الله وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذلك بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ اللـهِ وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الكفار وَلاَ يَنَـالُونَ مِنْ عَـدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْـرَ المحسـنين} [التوبة: 120]، فأنزل الله تعالى: {مَـا قَطَعْتُمْ مّن لّينَـةٍ أَوْ

تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً على أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللـه}. وقـال الزهـري في قوله: {مَا قَطَعْتُمْ مّن لّينَةٍ} اللينة: ألـوان النخـل كلهـا إلا العجوة، وقال الضحاك: اللينة: النخلة الكرمة والشجرة الطيبة المثمرة، وقال مجاهد: اللينة: الشجرة المثمرة.

وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهـــــد قـــــال: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل، وقـالوا: إنمـا هي مغـانم المسـلمين. فـنزل القـرآن بتصـديق من نهى عن قطعهـا، وبتحليل من قطعها، وإنما قطعها وتركها بإذن اللـه تعـالى.

وعن ابن عباس أنه قال: أمر النبي صلى الله عليه وسـلم بقطع النخل، فشق ذلك على بني النضير مشـقة شـديدة، فقـالوا للمؤمـنين: تزعمـون أنكم تكرهـون الفسـاد وأنتم تفسدون في الأرض، فدعوها قائمة؛ فإنمـا هي لمن غلب، فنزل: {مَا قَطَعْتُمْ مّن لّينَةٍ} واللينة هي النخلة كلها ما خلا العجوة {أَوْ تَرَكْتُمُوهَـا قَائِمَـةً على أُصُـولِهَا} وهي العجـوة {فَبِإِذْنِ الله} يعني: القطع والترك بإذن الله.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر عبد الله بن سـلام، وأبـا ليلى المـازني بقطـع النخـل، فكـان أبـو ليلى يقطع العجوة، وكان عبد الله بن سلام يقطع اللون، فقيـل لأبي ليلى: لِمَ تقطـع العجـوة؟ قـال: لأن فيـه كبت العـدو. وقيل لابن سلام: لِمَ تقطع اللون، قال: لأني أريـد أن تبقى العجـوة للمسـلمين. فـأنزل اللـه تعـالى رضـاً بمـا فعـل الفريقـان، فقـال اللـه تعـالى: {مَـا قَطَعْتُمْ مّن لّينَـةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَـا قَائِمَـةً على أُصُـولِهَا فَبِـإِذْنِ اللـه}. ثم قـال عـز وجـل: {وَلِيُخْـزِىَ الفاسـقين} يعـني: وليـذل العاصـين الناقضين العهد.

ثم قال عز وجل {ومـا أفـاء اللـه على رسـوله} يعـني مـا أعطى الله رسوله من بني النضـير وذلـك أنهم طلبـوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسـم أمـوالهم بين جميـع المسلمين كما قسم أموال بدر فلم يفعل النبي صلى اللـه

عليه وسلم وقسم بين فقراء المهاجرين فنزل {وما أفاء الله على رسوله منهم} يعني ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير {فما أوجفتم} يعني ما أجريتم {عليه من خيل ولا ركاب} يعني لا على خيل ولا على إبل أتيتم بل إنكم} مشيتم مشيا حتى فتحتموها
ويقال أوجف الفرس والبعير إذا أسرعا يعني لم يكن عن غزوة أوجفتم خيلا ولا ركابا
{ولكن الله يسلط رسله} يعني محمدا صلى الله عليه وسلم {على من يشاء} من بني النضير
والله على كل شيء قدير من النصرة والغنيمة
ثم بين لمن يعطي تلك الغنائم فقال {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى} يعني من بني النضير وفدك ويقال بني قريظة والنضير وخيبر
{فلله وللرسول} يعني لله أن يأمركم فيه بما أحب
وروى عبد الرازق عن معمر عن الزهري قال كانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصا لم يفتحوها عنوة ولكن افتتحوها على صلح فقسمها بين المهاجرين
ثم قال {ولذي القربى} يعني قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم
{واليتامى والمساكين وابن السبيل}
وروى مالك بن أنس عن عمر قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا بني النضير وخيبر وفدك
فأما بنو النضير فكانت حبسا لنوائبه وأما فدك فكانت لابن السبيل وأما خيبر فجزأها ثلاثة أجزاء فقسم جزأين بين المسلمين وحبس جزءا للنفقة
فما فضل عن أهله رده إلى فقراء المسلمين
ثم قال {كي لا يكون} المال {دولة}
قرأ أبو جعفر المدني {دولة} بالضم وجعله اسم يكون وقراءة العامة بالنصب يعني لكي لا يكون دولة

وقــرأ أبــو عبــد الــرحمن الســلمي {دولــة} بنصــب الــدال والباقون بالضم {دولة} فمن قرأ بالضم فهو اســم المــال الذي يتداول فيكون مرة لهذا ومرة لهذا
وأما النصب فهو النقل والانتقــال من حــال إلى حــال {بين الأغنيــاء منكم} يعــني لكيلا يغلب الأغنيــاء على الفقــراء ليقسموه بينهم
ثم قال {وما آتــاكم الرســول فخــذوه} يعــني مــا أعطــاكم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنيمة فخذوه ويقال ومــا أمركم الرسول فاعملوا به {وما نهاكم عنه فانتهوا} يعــني فامتنعوا عنه
{واتقوا الله إن الله شديد العقاب} لمن عصاه
ثم ذكــر أن الفيء للمهــاجرين يعــني الغنــائم {للفقــراء المهاجرين} {الذين أخرجوا من ديارهم وأمــوالهم} يعــني تركــوا أمــوالهم وديــارهم في بلادهم وهــاجروا إلى النــبي صلى الله عليه وسلم
ويقال هذا ابتداء ومعناه عليكم بــالفقراء المهــاجرين يعــني اعرفوا حقهم وصلوهم {الذين أخرجوا من ديارهم} يعــني أخرجهم أهل مكة من ديارهم وأموالهم
يبتغون فضلا من اللــه ورضــوانا {يعــني يطلبــون رزقــا في الجنــة ورضــوان اللــه تعــالى {وينصــرون اللــه ورســوله} بالسيف يعني يطيعون الله فيما أمرهم بطاعته
{أولئــك هم الصــادقون} يعــني الصــادقين في إيمــانهم فطــابت أنفس الأنصــار في ذلــك فقــالوا هــذا كلــه لهم وأموالنا أيضا لهم
فــأثنى اللــه تعــالى على الأنصــار فقــال عــز وجــل والــذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يعني استوطنوا الدار يعني دار المدينة من قبل هجــرتهم يعــني نزلــوا دار الهجــرة في المدينة {والإيمان} يعني تبوءوا الإيمان أي كــانوا مؤمــنين

من قبـل أن هـاجر إليهم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصحابه
قال الله تعالى {يحبون من هاجر إليهم}
يعني يحبون من يقدم إليهم من المؤمنين {ولا يجدون في صـدورهم حاجـة ممـا أوتـوا} يعـني لا يكـون في قلـوبهم حسدا مما أعطوا يعني المهاجرين
ويقال حاجة يعني حزازة وهـو الحـزن ويقـال {ولا يجـدون في صدورهم} بخلا وكراهة بما أعطوا
{ويؤثرون على أنفسهم} في القسـمة من الغنيمـة يعـني تركوها للمهاجرين
{ولو كان بهم خصاصة} يعني حاجة
وروى وكيع عن فضيل بن عمران عن رجل عن أبي هريرة أن رجلا من الأنصار نزل به ضيف فلم يكن عنـده إلا قوتـه وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي الصبية وأطفئي السـراج وقــربي إلى الضــيف مــا عنــدك فــنزل {ويــؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}
ويقال إن رجلا من الأنصار أهدي لـه بـرأس مشـوي فقـال لعل جاري أحوج مني فبعث إليه
ثم إن جاره بعثه إلى جار آخر فطاف سبعة أبيـات ثم عـاد إلى الأول فـنزل {ويـؤثرون على أنفسـهم ولـو كـان بهم خصاصة}
قال الله تعالى {ومن يـوق شـح نفسـه} يعـني ومن يمنـع بخل نفسه {فأولئك هم المفلحون} يعني الناجين
وروى وكيع بإسناده عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال} بـريء من الشـح من أدى الزكـاة وأقـرى الضـيف وأعطى في النائبة {
وقـد أثـنى اللـه تعـالى على المهـاجرين وعلى الأنصـار ثم أثنى على الذين من بعدهم على طريقتهم فقـال {والـذين

جاؤوا من بعدهم} يعني التابعين ويقال يعني الذين هاجروا من بعد الأولين
{يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} يعني أظهروا الإيمان قبلنا يعني المهاجرين والأنصار
{ولا تجعل في قلوبنا غلا} يعني غشا وحسدا وعداوة
{للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} يعني رحيما بعبادك المؤمنين
وفي الآية دليل أن من ترحم على الصحابة واستغفر لهم ولم يكن في قلبه غل لهم فله حظ في المسلمين وله أجر مثل أجر الصحابة
ومن شتمهم أو لم يترحم عليهم أو كان في قلبه غل لهم ليس له حظ في المسلمين لأنه ذكر للمهاجرين فيه حظ ثم ذكر الأنصار ثم ذكر الذين جاؤوا من بعدهم وقد وصفهم الله بصفة الأولين إذ دعا لهم
وفي الآية دليل أن الواجب على المؤمنين أن يستغفروا لإخوانهم الماضين وفيه وينبغي للمؤمنين أن يستغفروا لآبائهم ولمعلميهم الذين علموهم أمور الدين
ثم نزل في شأن المنافقين فقال {ألم تر إلى الذين نافقوا} يعني منافقي المدينة
{يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب} يعني بني النضير
{لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا} يعني ولا نطيع محمدا صلى الله عليه وسلم في خذلانكم
{وإن قوتلتم لننصرنكم} يعني لنعينكم
{والله يشهد إنهم لكاذبون} في مقالتهم وإنما قالوا ذلك بلسانهم في غير حقيقة في قلوبهم
فقال الله تعالى {لئن أخرجوا لا يخرجون معهم} يعني لئن أخرج بنو النضير لا يخرج المنافقون معهم
{ولئن قوتلوا لا ينصرونهم} يعني لا يمنعونهم على ذلك

{ولئن نصروهم ليولن الأدبار} يعني ولو أعانوهم لا يثبتون على ذلـك ولن ينصـروهم {ليـولن الأدبـار} يعـني رجعـوا منهزمين
{ثم لا ينصرون} يعني لا يمنعون من الهزيمة
ثم قال عز وجل {لأنتم أشـد رهبـة} يعـني أنتم يـا معشـر المسـلمين {أشـد رهبـة في صـدورهم من اللـه} يعـني خوفهم منكم أشد من عذاب الله في الآخرة
{ذلك بـأنهم قـوم لا يفقهـون} يعـني لا يعقلـون أمـر اللـه تعالى
ثم أخبر عن ضعف اليهود في الحرب فقـال عـز وجـل {لا يقاتلونكم جميعا} يعني لا يخرجون إلى الصحراء لقتالكم {إلا في قرى محصنة} يعني حصينة أو من رواء جدر يعني يقاتلونكم من وراء الجدار فحذف الألف وهو جمع الجدار قرأ ابن كثير وأبـو عمـرو من وراء جـدار بـالألف والبـاقون جدر بحذف الألف وهو جماعة
فمن قرأ {جدار} فهو واحد يريد به الجمع
ثم قال {بأسهم بينهم شديد} يعني قتـالهم فيمـا بينهم إذا اقتتلوا شديد وأما مع المؤمنين فلا
ثم قال {تحسبهم جميعا} يعني تظن أن المنافقين واليهود على أمر واحد وكلمتهم واحدة
{وقلوبهم شتى} يعني قلـوب اليهـود مختلفـة ولم يكونـوا على كلمة واحدة
{ذلك بأنهم} يعني ذلك الاختلاف بأنهم {قـوم لا يعقلـون} يعني لا يعقلون أمر الله تعالى
ثم ضـرب لهم مثلا فقـال عـز وجـل {كمثـل الـذين من قبلهم} يعني مثل بني النضير مثل الـذين من قبلهم يعـني أهل بدر
{قريبا} يعني كان قتال بدر قبل ذلك بقـريب وهـو مقـدار سنتين أو نحو ذلك

{ذاقـوا وبـال أمـرهم} يعـني عقوبـة ذنبهم {ولهم عـذاب أليم} يعني عذابا شديدا في الآخرة

ثم ضرب لهم مثلا آخر وهو مثل المنافقين مع اليهـود حين خذلوهم ولم يعينوهم

{كمثل الشيطان إذ قـال للإنسـان اكفـر} يعـني برصيصـا الراهب

وروى عـدي بن ثـابت عن ابن عبـاس قـال كـان في بـني إسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الـدهر حـتى كـان يؤتى بالمجانين فيعودهم ويداويهم فيبرؤون على يديه

وأنه أتى بامرأة قد جنت وكان لها أخوة فـأتوه بهـا فكـانت عنده فلم يزل به الشـيطان يخوفـه ويـزين لـه حـتى وقـع عليها فحملت

فلما استبان حملها لم يزل به الشيطان يخوفـه ويـزين لـه حتى قتلها ودفنها

ثم ذهب الشيطان إلى إخوتها في صـورة رجـل حـتى لقي أحدا من أخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنهـا في مكان كذا

فبلــغ ذلــك إلى ملكهم فســار الملــك مــع النــاس فــأتوه فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب

فلما رفع على خشبة تمثـل لـه الشـيطان فقـال أنـا الـذي زينت لك هذا وألقيتك فيه فهل لك أن تطيعني فيمـا أقـول لك وأخلصك مما أنت فيه فقال نعم

قال اسجد لي سجدة واحدة

فسجد له فـذلك قولـه كمثـل الشـيطان إذا قـال للإنسـان اكفر يعني اسجد {فلما كفر} يعني سجد

قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين قال ذلــك على وجه الاسـتهزاء كـذلك المنـافقون خـذلوا اليهـود كمـا خـذل الشـطيان الـراهب {فكـان عاقبتهمـا} يعـني عاقبـة

الشيطان والراهب {أنهما في النار خالدين فيها} يعني مقيمين فيها
وكان ابن مسعود يقرأ خالدان فيها وقراءة العامة {خالدين فيها} بالنصب
وإنما هو نصب على الحال
{وذلك جزاء الظالمين} يعني الخلود في النار جزاء المنافقين والكافرين
قوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله} يعني اخشوا الله ويقال أطيعوا الله
{ولتنظر نفس ما قدمت لغد} يعني ما عملت لغد وأسلفت لغد أي ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابه يوم القيامة
ثم قال {واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون} من الخير والشر
ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره ونهيه كاليهود ويوحدوه في السر والعلانية ولا يكونوا في المعصية كالمنافقين فقال {ولا تكونوا كالذين نسوا الله} يعني تركوا أمر الله تعالى
{فأنساهم أنفسهم} يعني خذلهم الله تعالى حتى تركوا حظ أنفسهم أن يقدموا خيرا لها
{أولئك هم الفاسقون} يعني العاصين ويقال {ولا تكونوا كالذين نسوا الله} أي تركوا ذكر الله وما أمرهم به {فأنساهم أنفسهم} يعني فترك ذكرهم بالرحمة والتوفيق ويقال {ولا تكونوا كالذين نسوا الله} يعني تركوا عهد الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم {فأنساهم أنفسهم} يعني أنساهم حالهم حتى لم يعملوا لأنفسهم ولم يقدموا لها خيرا
{أولئك هم الفاسقون} يعني الناقضين للعهد

ثم ذكر مستقر الفريقين فقـال {لا يسـتوي أصـحاب النـار وأصحاب الجنة} يعني لا يستوي في الكرامة والهـوان في الـدنيا والآخـرة لأن أصـحاب الجنـة في الـدنيا موفقـون منعمون معصومون وفي الآخرة لهم الثواب والكرامة
وأصحاب النار مخذولون في الدنيا معذبون في الآخرة
ويقـال {لا يسـتوي أصـحاب النـار وأصـحاب الجنـة} في الآخـرة لان أصـحاب الجنـة يتقلبـون في النعيم وأصـحاب النار يتقلبون في النار والهوان
ثم قال {أصحاب الجنة هم الفـائزون} يعـني المسـتعدون الناجون وأصحاب النار الهالكون
ثم وعظهم ليعتبروا بالقرآن فقال عز وجل {لو أنزلنا هــذا القرآن على جبل} يعني القرآن الذي فيـه وعـده ووعيـده لو أنزل على جبل {لرأيته خاشعا} يعني خاضعا {متصدعا من خشية الله} يعـني خاضـعا متصـدعا ويقـال ويـرق من خوف عذاب الله فكيف لا يرق هذا الإنسان ويخشع ويقـال هذا على وجه المثل يعني لو كان الجبـل لـه تمـيز لتصـدع من الخشية من خشية الله ثم قال {وتلك الأمثال نضــربها للنـــاس} أي نبينهـــا للنـــاس {لعلهم يتفكـــرون} أي لكي يتعظـوا في أمثـال اللـه يعـني فيعتـبرون ولا يعصـون اللـه تعالى
ثم قال {هـو اللـه الـذي لا إلـه إلا هـو} يعـني لا خـالق ولا رازق غيره
{عالم الغيب والشهادة} يعني عالم السر والعلانية ويقـال الغيب ما غاب عن العباد
والشهادة ما شاهدوه وعاينوه ويقال {عالم} بما كان وبما يكون ويقال {عالم} بأمر الآخرة وبأمر الدنيا
ثم قال {هو الرحمن الـرحيم} يعـني العـاطف على جميـع الخلق بالرزق و{الرحيم} بالمؤمنين

ثم قال تعالى {هو الله الـذي لا إلـه إلا هـو الملـك} يعـني مالك كل شيء وهو الملك الدائم الذي لا يزول ملكه أبدا
ثم قال {القدوس} يعني الطاهر عما وصفه الكفـار ولهـذا سمي بيت المقـدس يعـني المكـان الـذي يتطهـر فيـه من الذنوب
ثم قـال {السـلام} يعـني يسـلم عبـاده من ظلمـه ويقـال سمى نفسه سلاما لسـلامته ممـا يلحـق الخلـق من العيب والنقص والفناء
ثم قال {المؤمن} يعـني يـؤمن أوليـاؤه من عذابـه ويقـال {المؤمن} أي يصدق في وعده ووعيده ويقال {المـؤمن} يعني قابل إيمان المؤمنين
ثم قـال {المهيمن} يعـني الشـهيد على عبـاده بأعمـالهم ويقال {المهيمن} يعـني المـويمن فقلبت الـواو هـاء وهـو بمعنى الأمين
ثم قـال {العزيـز} يعـني الـذي لا يعجـزه شـيء عمـا أراد ويقال {العزيز} الذي لا يوجد مثله
ثم قال {الجبار} يعني القاهر لخلقه على مـا أراده ويقـال الغالب على خلقه ومعناهما واحد
ثم قال {المتكبر} يعـني المتعظم على كـل شـيء ويقـال {المتكبر} الذي تكبر عن ظلم عباده
ثم قـال {سـبحان اللـه} يعـني تنزيهـا للـه تعـالى {عمـا يشركون} يعـني عمـا وصـفه الكفـار من الشـريك والولـد ويقـال {سـبحان اللـه} بمعـنى التعجب يعـني عجبـا عمـا وصفه الكفار من الشريك
قوله تعالى} هـو اللـه الخـالق {يعـني الخـالق الخلـق في أرحــام النســاء ويقــال خــالق النطــف في أصــلاب الآبــاء {المصـور} للولـد في أرحـام الأمهـات ويقـال {الخـالق} يعني المقدر

{البارئ} الذي يجعل الروح في الجسد ويقال {البارئ} يعني خالق الأشياء ابتداء

ثم قال {له الأسماء الحسنى} يعني الصفات العلى ويقال {له الأسماء الحسنى} وهي تسعة وتسعون اسما وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة

ثم قال {يسبح له ما في السماوات والأرض} يعني يخضع له ما في السموات والأرض يعني جميع الأشياء كقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده الإسراء 44

ثم قال {وهو العزيز} يعني العزيز في ملكه {الحكيم} في أمره

فإن قال قائل قد قال الله تعالى {فلا تزكوا أنفسكم} النجم 32 فما الحكمة في أنه نهى عباده عن مدح أنفسهم ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان أحدهما أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فهو ناقص وإن كان ناقصا لا يجوز له أن يمدح نفسه والله سبحانه وتعالى تام الملك والقدرة فيستوجب به المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه

وجواب آخر أن العبد وإن كان فيه خصال الخير فتلك الخصال أفضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقدرة العبد فلهذا لا يجوز له أن يمدح نفسه

والله سبحانه وتعالى إنما قدرته وملكه له ليس لغيره فيستوجب فيه المدح

ومثال هذا أن الله تعالى نهى عباده أن يمنوا على أحد بالمعروف وقد من الله تعالى على عباده للمعنى الذي ذكرناه في المدح والله أعلم وصلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم

سورة الممتحنة

▲ تفسير الآيات رقم [1- 3]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (1) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (2) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)}

قوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدكم أولياء نزلت في حاطب بن أبي بلتعة العبسي ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهز الجيش للخروج إلى فتح مكة وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج إلى الغزو ورى بغيره يعني يظهر من نفسه أنه يريد الخروج إلى ناحية أخرى وكان الناس لا يعلمون إلى أي ناحية يريد الخروج

فأمر الناس بأن يتجهزوا إلى الخروج للغزو ولم يعلموا إلى أين يخرج إلا الخواص من أصحابه

فبينما الناس يتجهزون إذ قدمت امرأة من مكة يقال لها سارة مولاة بني عمر بن الصيف بن هشام بن عبد مناف وكانت امرأة مغنية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لماذا جئت فقالت جئت لتعطيني شيئا

فقال لها النبي صلى الله عليـه وسـلم مـا فعلت بعطياتـك من شـبان قـريش فقـالت منـذ قتلتهم ببـدر لم يصـل إلي شيء إلا القليل

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن تعطى شيئا لترجع

فلما أرادت الخروج أتاهـا حـاطب بن أبي بلتعـة فقـال لهـا إني معطيك عشرة دنانير وكسـاء على أن تبلغي إلى أهـل مكة كتابا

فأجابتـه إلى ذلـك فخـرجت إلى مكـة فـنزل جبريـل عليـه السلام في أثرها بالخبر فقال النبي صلى الله عليه وسـلم لعلي والزبير والمقداد انطلقوا حتى تأتوا روضة خـاخ فـإن بها امرأة معها كتاب فخذوه منها

فخرجوا حتى أتوا الروضة فإذا هي سارة هناك فقـالوا لهـا أخرجي الكتاب

فقالت ما معي كتاب

فألحوا عليها فحلفت أنـه ليس معهـا كتـاب فلم يصـدقوها حتى نزعت جميع ثيابها فرمت بها إليهم

فنظـروا إلى ثيابهـا فلم يجـدوا فيهـا الكتـاب ونظـروا في راحلتها وأمتعتها فلم يجدوا فيها الكتاب

فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نرجع

فقال علي بن أبي طالب رضي اللـه عنـه إن جبريـل نـزل على النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأخـبره بـذلك فقـول المرأة أصدق أم قول

جبريـل فواللـه لا أرجـع حـتى آخـذ منهـا الكتـاب ولأحملن رأسها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسل السيف ليضرب رأسها فأخرجت الكتاب من عقاصها

فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الكتاب فإذا فيـه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة وأخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد الخروج إليهم وإنه أراد بالكتاب إليهم مودتهم فقام إليه عمر وقـال دعـني يـا رسـول اللـه

أضرب عنـق هـذا المنـافق فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم ما هذا يا حاطب فقال لا تعجل علي يا رسـول اللـه إني كنت ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكل من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمـون بهـا أهـاليهم فأردت أن أتخذ فيهم يـدا يحمـون قرابـتي ومـا فعلت هـذا كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام
وقد علمت أن الله تعالى منجـز وعـده مـا وعـد ألا لينصـر نبيه صلى الله عليه وسلم
قال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه إنه شـهد بـدرا ومـا يدريك يا عمر لعل الله تعالى قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم فنزل {يا أيهـا الـذين آمنـوا} فسـماهم مؤمـنين {لا تتخـذوا عـدوي وعـدوكم أولياء} يعني في العون والنصرة
{تلقـون إليهم بـالمودة} يعـني تكتبـون وتبعثـون إليهم بالصـحيفة والنصـيحة ويقـال معنـاه تخـبرونهم كمـا يخـبر الرجل أهل مودته حيث توجهون إليهم بـالمودة والنصـيحة والكتاب
{وقـد كفـروا بمـا جـاءكم من الحـق} يعـني من القـرآن والرسول
{يخرجون الرسول وإياكم} يعني أخرجوكم من مكة
{أن تؤمنوا بالله ربكم} يعني لأجـل إيمـانكم بـربكم يعـني بوحدانية ربكم
{إن كنتم خـرجتم جهـادا في سـبيلي وابتغـاء مرضـاتي تسرون إليهم بـالمودة} يعـني لا تلقـون إليهم بـالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي وطلب رضاي
{وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم} يعني مـا أسـررتم ومـا أظهرتم من المودة لأهل الكفر وأعلنتم الإقرار بالتوحيد
{ومن يفعلـه منكم فقـد ضـل سـواء السـبيل} يعـني من يفعل بعد منكم فقد أخطأ قصد الطريق

ثم قال عز وجل {إن يثقفوكم} وهذا إخبار من الله تعالى للمؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم لكيلا يميلوا إليهم فقال {إن يثقفوكم} يعني أن يظهروا عليكم ويقال إن يأخذوكم ويقال إن يقهروكم ويغلبوكم

{يكونوا لكم أعداء} يعني يتبين لكم أنهم أعداؤكم فيظهر لكم عداوتهم عند ذلك

{ويبسطوا إليكم أيديهم} بالقتل والتعذيب {وألسنتهم بالسوء} يعني بالشتم

{وودوا لو تكفرون} يعني تمنوا أن ترجعوا إلى دينهم فإن فعلتم ذلك بسبب قرابتكم

{لن تنفعكم أرحامكم} يعني قرابتكم {ولا أولادكم} الذين كانوا بمكة

{يوم القيامة يفصل بينكم} يعني يفرق بينكم وبينهم يوم القيامة

قرأ عاصم {يفصل بينكم} بنصب الياء وكسر الصاد مع التخفيف يعني يفصل الله بينكم وبينهم يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو {يفصل بينكم} بضم الياء ونصب الصاد مع التخفيف على معنى فعل ما لم يسم فاعله والمعنى مثل الأول

وقرأ حمزة والكسائي {يفصل بينكم} بضم الياء وكسر الصاد مع التشديد يعني يفصل الله بينكم والتشديد للتكثير وقرأ ابن عامر {يفصل بينكم} بضم الياء ونصب الصاد مع التشديد على معنى فعل ما لم يسم فاعله والتشديد للتكثير

ويقال الفصل هو القضاء يعني يقضي بينكم على هذا

{والله بما تعملون بصير} يعني عالم بأعمالكم

▲ تفسير الآيات رقم [4- 6]

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنَـا بِكُمْ وَبَـدَا بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُمُ الْعَـدَاوَةُ وَالْبَغْضَـاءُ أَبَـدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَـا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْـكَ تَوَكَّلْنَـا وَإِلَيْـكَ أَنَبْنَـا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (4) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَـةً لِلَّذِينَ كَفَـرُوا وَاغْفِـرْ لَنَـا رَبَّنَـا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ (5) لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَـوْمَ الْآخِـرَ وَمَنْ يَتَـوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)}

قوله عز وجل: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ فِى إِبـراهيم} يعـني: هلا فعلتم كمـا فعـل إبـراهيم، تـبرأ من أبيـه لأجـل كفره؟ ويقال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} يعـني: قـدوة حسـنة وسـنة صـالحة في إبـراهيم فاقتـدوا بـه. {والـذين مَعَهُ} يعني: من كان مع إبراهيم من المؤمـنين. {إِذْ قَـالُواْ لِقَـوْمِهِمْ} أي: لمن كفـر من قـومهم: {أَنَـاْ بَـرَاءَ مّنكُمْ} يعني: من دينكم، {وَمِمَّا تَعْبُدُونَ} يعني: برآء مما تعبـدون {مِن دُونِ اللـه} من الآلهـة. {كَفَرْنَـا بِكُمْ} يعـني: تبرأنـا منكم. قرأ عاصم {أُسْوَةٌ حَسَـنَةٌ} بضـم الألـف، والبـاقون بالكسر، وهما لغتان إسوة وأسوة وهما بمعنى الإقتداء.

ثم قـال: {وَبَـدَا بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُمُ العـداوة والبغضـاء أَبَـداً حـتى تُؤْمِنُواْ بالله وَحْدَهُ} يعني: حتى تصدقوا بالله وحده، فأعلم اللـه تعـالى أن أصـحاب إبـراهيم تـبرؤوا من قـومهم، وعادوهم، لأجل كفرهم، فـأمر اللـه تعـالى أصـحاب النـبي صلى الله عليه وسـلم أن يقتـدوا بهم. ثم قـال: {إِلاَّ قَـوْلَ إِبـراهيم}، يعـني: اقتـدوا بهم إلا قـول إبـراهيم {لاِبِيـهِ لَاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} يعني: لأدعون لـك أن يهـديك اللـه ويكـون على هـذا التفسـير إلا بمعـنى لكن قـول إبـراهيم لأبيـه لأستغفرن لـك يعـني: لأدعـون لـك أن يهـديك اللـه يعـني: إبراهيم تبرأ من قومه، لكنه يـدعو لأبيـه بالهـدى. ثم قـال: {وَمَـا أَمْلِـكُ لَـكَ مِنَ اللـه مِن شَـئ} يعـني: مـا أقـدر أن أمنعك من عذاب الله من شيء، إن لم تؤمن.

ثم علَّمهم ما يقولون، فقال: قولوا {رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا} يعني: فوَّضنا أمرنا إليك وأمر أهالينا، {وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا} يعني: أقبلنا إليك بالطاعة؛ {وَإِلَيْكَ المصير} يعني: المرجع في الآخرة. قوله تعالى: {رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ}، فتقتر علينا الرزق وتبسط عليهم، فيظنوا أنهم على الحق ونحن على الباطل؛ {واغفر لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أنتَ العزيز الحكيم} وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه {إِنَّكَ أنتَ الغفور الرحيم}.

وقال بعضهم: هذا كله حكاية عن قول إبراهيم أنه دعا ربه بذلك، ويقال: هذا تعليم لحاطب بن أبي بلتعة هلاّ دعوت بهذا الدعاء، حتى ينجو أهلك ولا يسلط عليهم عدوك. قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} يعني: في إبراهيم وقومه في الاقتداء. {لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله واليوم الاخر} يعني: لمن يخاف الله ويخاف البعث؛ ويقال: {لِّمَن كَانَ يَرْجُو} ثواب الله وثواب يوم القيامة. {وَمَن يَتَوَلَّ} يعني: يعرض عن الحق؛ ويقال: يأبى عن أمر الله تعالى. {فَإِنَّ الله هُوَ الغنى الحميد} يعني: الغني عن عباده الحميد في فعاله.

تفسير الآيات رقم [7- 10]

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

أَنْ تَنْكِحُـوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُـوهُنَّ أُجُـورَهُنَّ وَلَا تُمْسِـكُوا بِعِصَـمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْـأَلُوا مَـا أَنْفَقُـوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)}

ثم قال عز وجل: {عَسَى الله أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ} يعني: لعل اللـه أن يجعـل بينكم {وَبَيْنَ الـذين عَـادَيْتُم}، كفـار مكـة. {مِّنْهُم مَّوَدَّةً}؛ وذلك أنه لما أخبرهم عن إبـراهيم بعداوتـه مع أبيه، فأظهر المسـلمون العـداوة مـع أرحـامهم، فشـق ذلك على بعضهم، فنزل {عَسَى الله أَن يَجْعَـلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الذين عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً} يعني: صلة. قـال مقاتـل: فلمـا أسلم أهل مكة، خالطوهم وناكحوهم، فتزوج النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم أم حبيبـة بنت أبي سـفيان، وأسـلمت وأسلم أبوها. ويقال: يسلم منهم فيقـع بينكم وبينهم مـودة بالإسلام؛ وهذا القول أصح، لأنه كان قـد تـزوج بـأم حبيبـة قبل ذلـك. {واللـه قَـدِيرٌ} على المـودة؛ ويقـال: {قَـدِيرٌ} بقضائه وهو ظهور النبي صلى الله عليـه وسـلم على أهـل مكـة. {واللـه غَفُـورٌ} لمن تـاب منهم، {رَّحِيمٌ} بهم بعـد التوبة.

ثم رخص في صـــلة الـــذين لم يعـــادوا المؤمـــنين ولم يقاتلوهم، وهم خزاعـة وبنـو مـدلج، فقـال عـز وجـل: {لاَّ ينهاكم الله عَنِ الذين لَمْ يقاتلوكم فِى الـدين} يعـني: عن صـلة الـذين لم يقـاتلوكم في الـدين، {وَلَمْ يُخْرِجُـوكُمْ مّن دياركم أَن تَبَرُّوهُمْ} يعني: أن تصلوهم، {وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ} يعـــني: تعـــدلوا معهم بوفـــاء عهـــدهم. {إِنَّ اللـــه يُحِبُّ المقسطين} يعني: العـادلين بوفـاء العهـد، يقـال: أقسـط الرجل، فهو مقسط إذا عدل. وقسط يقسط، فهو قاسـط إذا جار.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا ينهاكم الله عَنِ الذين قـاتلوكم فِى الدين} يعني: عن صلة الذين قاتلوكم في الدين، وهم أهل مكـــة، ومن كـــان في مثـــل حـــالهم من أهـــل الحـــرب.

{وَأَخْرَجُوكُم مّن دياركم وظاهروا على إخـراجكم} يعـني: عاونوا على إخراجكم من دياركم. {أن تَوَلَّوْهُمْ} يعني: أن تناصحوهم. {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ} منكم يعـني: يناصـحهم ويحبهم منكم، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني: الكافرون الظالمون لأنفسهم.

قوله عز وجل: {الظالمون ياأيها الـذين ءامَنُـواْ إِذَا جَـاءكُمُ المؤمنـات مهـاجرات}؛ وذلـك أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم صـالح أهـل مكـة يـوم الحديبيـة، وكتب بينـه وبينهم كتاباً: «إِنَّ مَنْ لَحِقَ مِنَ المُسْـلِمِينَ بِأَهْـلِ مَكَّةَ فَهُـوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَحِقَ مِنْهمْ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَدَّهُ عَلَيْهِمْ». فجاءت امرأة إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، اسـمها سـبيعة بنت الحـارث الأسـلمية، فجـاء زوجهـا في طلبهـا، فقال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: (ارْدُدْهَا فَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ شَرْطاً. فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «إِنَّمَـا كَـانَ الشَّـرْطُ فِي الرِّجَـالِ وَلَمْ يَكُنْ فِي النِّسَـاءِ». فـأنزل اللـه تعالى: {إِذَا جَاءكُمُ المؤمنات مهاجرات} نصب على الحال {فامتحنوهن} يعني: اختبروهن، ما أخرجكن من بيـوتكن؟ {فامتحنوهن} يعـني: اسـألوهن، ويقـال: اسـتخلفوهن مـا خرجنا إلا حرصاً على الإسلام، ولم تكن لكراهية الزوج، ولا لغير ذلك {الله أَعْلَمُ بإيمانهن} يعني: أعلم بسرائرهن.

{فَإِنْ عَلِمْتُمُـوهُنَّ مؤمنـات} يعـني: إذا ظهـر عنـدكم إنهـا خـرجت لأجـل الإسـلام، ولم يكن خروجهـا لعـداوة وقعت بينهـا وبين زوجهـا، {فَلاَ تَرْجِعُـوهُنَّ إِلَى الكفـار} يعـني: لا تـردوهن إلى أزواجهن. {لاَ هُنَّ حِـلٌّ لَّهُمْ} يعـني: لا تحـل مؤمنة لكافر، {وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} يعـني: ولا نكـاح كـافر لمسلمة.

قوله تعالى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ} يعـني: أعطـوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر. قـال مقاتـل: يعـني: إن تزوجها أحد من المسلمين، يدفع المهر إلى الزوج؛ فإن لم

يتزوجها أحد من المسلمين، فليس لزوجها الكافر شيء. ثم قال: {وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ} يعني: لا حرج على المسلمين أن يتزوجوهن. {اليوم أُحِلَّ لَكُمُ} يعني: مهورهن، فرد المهر على الزوج الكافر منسوخ. وفي الآية دليل أن المرأة إذا خرجت من دار الحرب، بانت من زوجها. وفي الآية تأييد لقول أبي حنيفة: أَنَّهُ لاَ عِدَّةَ عَلَيْهَا. وفي أقوال أبي يوسف ومحمد: عليها العدة.

ثم قال: {وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الكوافر}. قرأ أبو عمرو {وَلاَ تُمْسِكُواْ} بالتشديد، والباقون بالتخفيف. فمن قرأ بالتخفيف، فهو من أمسك يمسك، ومن قرأ بالتشديد فهو من مسك بالشيء يمسكه تمسيكاً، ومعناهما واحد، وهو أن المرأة إذا كفرت، ولحقت بدار الحرب، فقد زالت العصمة بينهما. فنهى أن يقبضها من بعد انقطاعها، وجاز له أن يتزوج أختها أو أربعاً سواها. وأصل العصمة الحبل، ومن أمسك بالشيء فقد عصمه. وقال: معناه لا ترغبوا فيهن ولا تعتدوا فيهن؛ ويقال: لا تعتد بامرأتك الكافرة، فإنها ليست لك بامرأة. وكان للمسلمين نساء في دار الحرب، فتزوجن هناك. ثم قال: {ياأيها الذين ءامَنُواْ} يعني: إسألوا من أزواجهن ما أنفقتم عليهن من المهر. {وَلْيَسْئَلُواْ} منكم {مَّا أَنفَقُواْ} يعني: ما أعطوا من مهر المرأة التي أسلمت. وهذه الآية نسخت، إلا قوله: {لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} ثم قال: {ذَلِكُمْ حُكْمُ الله} يعني: أمره ونهيه {يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} يعني: يقضي بينكم {والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

تفسير الآيات رقم [11- 13]

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآَتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (11) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا

يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَــأْتِينَ بِبُهْتَــانٍ يَفْتَرِينَــهُ بَيْنَ أَيْــدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْـرُوفٍ فَبَـايِعْهُنَّ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (12) يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًـا غَضِـبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَـدْ يَئِسُـوا مِنَ الْآخِـرَةِ كَمَـا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (13)}

قولــه عــز وجــل: {وَإِن فَــاتَكُمْ شَــئ مّنْ أزواجكم إِلَى الكفـار} يعـني: إذا ارتـدت امـرأة ولحقت بـدار الحـرب، فعاقبتم يعـني: فغنم من المشـركين شـيئاً، {فَـاتُواْ الـذين ذَهَبَتْ أزواجهم} من الغنيمـــة {مّثْــلَ مَــا أَنفَقُــواْ} من الغنيمة، مثل الذين أعطوا نساءهم من المهر. وهـذه الآيـة منسوخة بالإجماع. قرأ إبـراهيم النخعي: {فعـاقبتم} بغـير ألـف، وعن مجاهـد أنـه قـرأ: {فعـاقبتم}؛ وقـراءة العامـة {فعـاقبتم} فـذلك كلـه يرجـع إلى معـنى واحـد يعـني: إذا غلبتم العبد واعتصـمتم، واصـبتموهم في القتـال. {واتقـوا الله} يعني: اخشوا اللـه فلا تعصـوه فيمـا أمـركم. {الـذى أنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ} يعني: مصدقين. ثم قال: {مُؤْمِنُونَ ياأَيُّهَـا النــبى إِذَا جَـاءكَ المؤمنـات يُبَايِعْنَـكَ} يعــني: النســاء إذا أسلمن، فبايعهن {على أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بالله شَـيْئاً}، يعـني: لا يعبدن غير الله. {وَلاَ يَسْرِقْنَ}، يعني: لا يأخذن مال أحد بغير حق. {وَلاَ يَـزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أولادهن} يعـني: ولا يقتلن بنـاتهن، كمـا قتلن في الجاهليـة؛ ويقـال: لا يشـربن دواءً، فيسقطن حملهن.

ثم اختلفوا في مبايعة النساء، وقال بعضهم: وضـع رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ثوبـاً وأخـذ في الثـوب، وقـال بعضهم: كان يشيرهن رسول الله صلى اللــه عليـه وسـلم ويصافحهن عمر، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكـة، وفـرغ من مبايعـة الرجـال، وهـو على الصـفا، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه، فبايع النساء على أن لا يشركن باللـه شـيئاً، ولا يسـرقن. فقـالت هنـد،

امرأة أبي سفيان: إنِّي قَدْ أصَبْتُ مِنْ مَالِ أبِي سُفْيَان، فَلاَ أدْرِي أحَلاَلٌ أمْ لا؟ فقال أبو سفيان: نَعَمْ مَا أصَبْتِ فِيمَا مَضَى وَفِيمَا غَبَرَ. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: عَفَا الله عَمّا سَلَفَ.
وفي خبر آخر، أنها قالت: أرَأَيْتَ لَوْ لَمْ يُعْطِنِي مَا يَكْفِينِي وَلِوَلَدي، هَلْ يَحِلُّ لِي أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خُذِي مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِيكِ وَلِوَلَدِكِ بِالمَعْرُوفِ». ثم قال: {وَلاَ يَزْنِينَ} فلما قال ذلك، قالت هند: أَوَتَزْنِي الحُرَّةُ؟ فضحك عمر عند ذلك، ثم قال: تَعَالَيْ {وَلاَ يَقْتُلْنَ أولادهن} يعني: لا يقتلن بناتهن الصغار، فقالت هند: ربيناهم صغاراً أفنقتلهم كباراً؟ فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: {وَلاَ يَأْتِينَ ببهتان يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ} يعني: لا تجيء بصبي من غير زوجها، فتقول للزوج: هو منك. فقالت هند: إنَّ البُهْتَانَ أَفْحَشُ وَمَا تَأْمُرْنَا إلاَّ بِالرُّشْدِ.
ثم قال عز وجل: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ} يعني: في طاعة مما أمر الله تعالى، ويقال: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ} يعني: فيما نهيتهن عن النوح وتمزيق الثياب، أو تخلو مع الأجنبي، أو نحو ذلك، فقالت هند: مَا جَلَسْنَا هَذَا المَجْلِسِ وَفِي أَنْفُسِنَا أَنْ نَعْصِيكَ فِي شَيْءٍ ثم قال {فَبَايِعْهُنَّ واستغفر لَهُنَّ الله} يعني: إذا بايعن على ذلك، فاسأل الله لهن المغفرة لما كان في الشرك.
{إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} غفور لهن ما كان في الشرك رحيم فيما بقي.
قوله تعالى: {رَّحِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ}، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأمر المسلمين، يتواصلون إليهم بذلك، فيصيبون من ثمارهم وطعامهم وشرابهم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، فقال: {رَّحِيمٌ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ

قوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ} يعني: لا تتخذوا الصداقة مع قـوم غضب اللـه عليهم، ويقـال: هَـذَا أيضـاً في حـاطب بن أبي بلتعة.

ثم قال عز وجل: {قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الاخرة كَمَـا يَئِسَ الكفـار مِنْ أصحاب القبور}؛ قال مقاتل: وذلك أن الكافر إذا وضع في قبره، أتاه ملك شديد الانتهار، فيجلسه، ثم يسأله: من ربك، ومـا دينـك، ومن رسـولك؟ فيقـول: لا أدري. فيقـول الملك: أبعدك الله، انظر يا عـدو اللـه إلى منزلـك. فينظـر إليه من النار، فيدعو بالويـل والثبـور، فيقـول: هـذا لـك يـا عدو الله. فيفتح له باب إلى الجنة، فيقـول: هـذا لمن آمن باللـه تعـالى، فلـو كنت آمنت بربـك نـزلت الجنـة. فيكـون حسرة عليه، وينقطع رجاؤه منها. وعلم أنه أبعـد لـه فيهـا، ويئس من خير الجنة، فذلك قوله تعالى: للكفار أهل الدنيا الأحيـاء منهم {قَـدْ يَئِسُـواْ مِنَ الاخـرة} يعـني: من خـير الآخـرة، لأنهم كـذبوا بـالثواب والعقـاب، وهم آيسـون من الجنـة كمـا يئس الكفـار من أصـحاب القبـور، إذا عـرف منازله؛ ويقال: إن الكفـار إذا مـات منهم أحـد، يئسـوا من رجوعـه، فيقـال: قـد يئس هـؤلاء من الآخـرة، كمـا يئس الكفار من أصحاب القبـور من رجـوعهم؛ ويقـال: {يَئِسُـواْ مِنَ الاخرة} يعني: هـؤلاء الكفـار كمـا يئس الكفـار الـذين كـانوا قبلهم من الآخـرة؛ وهـو اليـوم من أصـحاب القبـور؛ والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمـد النـبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الصف

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)}

قوله تبارك وتعالى: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السموات وَمَا فِي الارض وَهُوَ العزيز الحكيم يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}؛ وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بعدما فروا يوم أحد: لو نعلم أي الأعمال أحب إلي الله تعالى، وأفضل لفعلناه، فنزل: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}. ويقال: قالوا ذلك قبل يوم أحد، فابتلوا بذلك وفروا، فنزل تيسيراً لهم بترك الوفاء، فقال: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}. {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله}، يعني: عظم بغضاً عند الله {أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * إِنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون فِى سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بنيان

مَّرْصُـوصٌ}، يعـني: يصـفون بمنزلـة الصـف في الصـلاة وملتزمـة بعضـهم في بعض، لا يتـأخر أحـدهم عن صـاحبه بمنزلة البنيان الذي بني بالرصاص؛ ويقـال: {كَـأَنَّهُم بنيـان مَّرْصُـوصٌ} أي: متفقي الكلمــة بعضــهم على بعض على عـدوهم، فلا يخـالف بعضـهم بعضـاً. وروي في الخـبر: أنـه كان يوم مؤتة وكان عبد الله بن رواحة أحد الأمـراء الـذين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسـلم نـاداهم: يـا أهـل المجلس الذين وعدتم ربكم قولكم، ثم مشى فقاتل حـتى قتل.

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ موسى} وقد قال موسـى {لِقَوْمِـهِ ياقوم لَّم تُؤْذُونَنِى} بالتكـذيب، وذلـك أنهم كـذبوه وقـالوا: إنـه آدر، ويقـال: إنـه حين مـات هـارون، ويقـال: إنـه قـال لقومــه الكفــار: لم تؤذونــني بالتكــذيب والشــتم؟ {وَقَــد تَّعْلَمُونَ أَنّى رَسُـولُ اللـه إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُـواْ} يعـني: مـالوا عن الحق وعدلوا عنه. {أَزَاغَ الله قُلُـوبَهُمْ} يعـني: خـذلهم عن الهدى فثبتوا على اليهودية. {والله لاَ يَهْـدِى} يعـني: لا يرشــد إلى دينــه {القــوم الفاســقين}، يعــني: العاصــين المكذبين، الذين لا يرغبون في الحق.

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ} يعـني: وقـد قـال عيسـى ابن مـريم {مَـرْيَمَ يـابنى إسـراءيل إِنّى رَسُـولُ اللـه إِلَيْكُم}، يعني: أرسـلني اللـه تعـالى إليكم، لأدعـوكم إلى الإسـلام. {مُّصَـدّقاً لّمَـا بَيْنَ يَـدَىَّ مِنَ التـوراة} يعـني: أقـرأ عليكم الإنجيل موافقـاً للتـوراة في التوحيـد وفي بعض الشـرائع، {وَمُبَشّراً بِرَسُولٍ} يعني: أبشركم برسول الله {يَـأْتِى مِن بَعْـدِى اسـمه أَحْمَـدُ}. وروى ثـور بن يزيـد، عن خالـد بن معدان، عن أصحاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللـه أَخْبِرْنَـا عَنْ نَفْسِـكَ. فقـال: «أَنَـا دَعْـوَةُ أَبِي إِبْـرَاهِيمَ وَبُشْـرَى عِيسَـى صَـلَوَاتُ اللـه عَلَيْهِمْ وَرَأَتْ أُمِّي رُؤْيَاهَــا حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَــرَجَ مِنْهَــا نُــورٌ

أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى فِي أرْضِ الشَّـام». {فَلَمَّا جَـاءهُم بالبينات}، يعني: جاءهم عيسى بالبينات الـتي كـان يـريهم من إحياء الموتى وإبراءِ الأكمه والأبرص. {قَالُواْ هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} يعني: بيناً ظاهراً. قرأ حمـزة والكسـائي {سـاحر} بالألف، والباقون {ساحر} بغير ألـف. فمن قـرأ {سـاحر} فهو فاعل، ومن قرأ {ساحر} فهو نعت الفعل.

تفسير الآيات رقم [7- 14]

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُـوَ يُـدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (7) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْكَـافِرُونَ (8) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدَى وَدِينِ الْحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا هَـلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَـارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْـرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـونَ (11) يَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَـةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَـا نَصْـرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَـرِيبٌ وَبَشِّـرِ الْمُـؤْمِنِينَ (13) يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا كُونُـوا أَنْصَـارَ اللَّهِ كَمَـا قَـالَ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَـرَتْ طَائِفَـةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)}

ثم قال عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ} يعني: من أشد في كفــره {مِمَّنِ افترى عَلَى الله} يعني: اختلق على الله {الكذب} وهم اليهـود. {وَهُـوَ يـدعى إِلَى الإسـلام} يعـني: إلى دين محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم {واللـه لاَ يَهْـدِى القـوم الظالمين} يعني: لا يرشدهم. ويقال: لا يرحمهم مـا دامـوا على كفرهم. ثم قال عز وجل: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللــه بأفواههم} يعـني: ليبطلـوا دين اللـه بقـولهم: {واللـه مُتِمُّ

نُورِهِ} يعني: مظهر توحيده وكتابه، {وَلَوْ كَـرِهَ الكـافرون} يعني: وإن كره اليهود والنصارى. قـرأ حمـزة، والكسـائي، وابن عامر، وعاصم في روايـة حفص: {واللـه مُتِمُّ نُـورِهِ} على معـنى الإضـافة، والبـاقون {مُّتِّمْ} بـالتنوين {نُـورِهِ} بالنصب. فمتم فاعل ونصب نوره، لأنه مفعول به.

ثم قال عز وجل: {هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى} يعـني: بالتوحيـد {وَدِينِ الحـقِ} يعـني: الشـهادة لا إلـه إلا اللـه. {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ} يعني: على الأديـان كلهـا. قـال مقاتل: وقد فعـل، ويقـال: إنـه يكـون في آخـر الزمـان، لا يبقى أحـــد إلا مســـلم أو ذمـــة للمســـلم. {وَلَـــوْ كَـــرِهَ المشركون} يعني: وإن كرهوا ذلك.

ثم قـال عـز وجـل: {المشـركون يأَيُّهَـا الـذين ءامَنُـواْ هَـلْ أَدُلُّكمْ على تجــارة تُنجِيكُم مِّنْ عَــذَابٍ أَلِيمٍ}، يعــني: من عذاب دائم. قرأ ابن عامر {تُنجِيكُم} بالتشـديد، والبـاقون بالتخفيف، وهما لغتان. أنجاه ونجـاه بمعـنى واحـد. ثم بيَّن لهم تلك التجارة، فقال عز وجل: {تُؤْمِنُـونَ باللـه} يعـني: تصــدقون بتوحيــد اللــه {وَرَسُــولُهُ} يعــني: وتصــدقون برسوله، وبماء جاء بـه من عنـده. {وتجاهـدون فِى سَبِيلِ الله بأموالكم وَأَنفُسِكُمْ}، فقدم ذكـر المـال، لأن الإنسـان ربما يضر بماله ما لا يضر بنفسه، ولأنـه إذا كـان لـه مـال، فإنــه يؤخــذ بــه النفس ليغــزو. {ذلكم خَيْـرٌ لَّكُمْ} يعـني: التصديق والجهاد خير لكم من تركهما. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: تعلمون ثـواب اللـه تعـالى، ويقـال: يعلمـون يعـني: يصدقون.

ثم بين ثـواب ذلـك العمـل. فقـال: {يَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ} يعني: إن فعلتم ذلك العمل، يغفر لكم ذنوبكم. {وَيُـدْخِلْكُمْ جنـات تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهـار ومسـاكن طَيِّبَـةً} يعـني: يدخلكم منازل الجنة {فِى جنات عَدْنٍ ذَلِكَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة. ثم قال عز وجل: {وأخـرى تُحِبُّونَهَـا

نَصْرٌ مّن الله} يعني: تجارة أخرى تحبونها {نَصْرٌ مّن الله} يعـني: ولكم سـوى الجنـة أيضـاً عـدة أخـرى في الـدنيا تحبونهـا، ويقـال: معنـاه ونجـاة أخـرى تحبونهـا {نَصْـرٌ مّن اللـه} يعـني: هي النصـرة من اللـه تعـالى على عـدوكم، {وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} يعني: ظفراً سريعاً عاجلاً في الدنيا والجنـة في الآخرة.

ثم قال: {وَبَشّرِ المؤمنين} يعني: بشرهم بالجنة. ثم قـال عز وجل: {المؤمنين يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصار الله}، قرأ ابن كثـير، ونـافع وأبـو عمـرو {أنصَـار اللَّهِ} بـالتنوين، والباقون {أَنْصَارُ اللـه} بالإضـافة، ومعناهمـا واحـد يعـني: كونوا أعوان اللـه بالسـيف على أعدائـه، ومعنـاه: انصـروا الله، وانصروا دين الله، وانصروا محمـداً صـلى اللـه عليـه وسلم، كما نصر الحواريون عيسـى ابن مـريم. وهـو قولـه تعالى: {كَمَا قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيّينَ مَنْ أنصـارى إلَى الله} يعني: من أعواني إلى الله، ويقـال: إنمـا سـموا الحواريون لبياض ثيـابهم، ويقـال: كـانوا قصـارين، ويقـال: خلصاؤه وصفوته. كما قال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: «الزُّبَيْرُ ابنُ عِمَّتِي وَحَوَارِيَّ مِنْ أُمَّتِي». وتأويـل الحـواريين في اللغـة، الـذين أخلصـوا وتـبرؤوا من كـل عيب؛ وكـذلك الدقيق الحواري، لأنه ينتقى من لباب البرّ. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قـال: إنمـا سـموا الحـواريين لبيـاض ثيابهم، وكانوا صيادين. وروى عبد الرزاق، عن معمر قـال: تلا قتادة {المؤمنين يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُـواْ أنصـار اللـه} قال: وقد كان ذلك بحمد الله جاءه السبعون، فبايعوه عنـد العقبة فنصروه وآووه، حتى أظهر الله دينه.

{قَالَ الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ الله} يعني: نحن أعوانـك مـع الله، {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصار} يعني: بعيسى عليـه السلام ويقـال: فـآمنت طائفـة من بـني إسـرائيل بمحمـد صلى الله عليه وسـلم، {وَكَفَـرَت طَّائِفَـةٌ} يعـني: جماعـة

منهم. {يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ كُونُواْ أنصارِ} يعني: قوينا الـذين آمنـوا على عـدوهم من الكفـار، {فَأَصْـبَحُواْ ظـاهرين}، فصاروا غالبين بالنصرة، والحجة؛ والله أعلم بالصواب.

سورة الجمعة

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (2) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (4) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (7) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)}

قوله تعالى: {يُسَبّحُ لِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض}، وقد ذكرناه. {الملك القدوس} يعني: الملك الذي يملك كل شيء، ولا يزال ملكه القدوس يعني: الطاهر عن الشريك والولد. قرئ في الشاذ: {الملك القدوس} بالضم ومعناه هو الملك القدوس؛ وقرأه العامة بالكسر، فيكون نعتاً لله تعالى: {العزيز} في ملكه، {الحكيم} في أمره.

ثم قال: {هُوَ الذى بَعَثَ فِى الاميين} يعني: في العرب. والأميون الذين لا يكتبون، وهو ما خلقت عليه الأمة قبل

تعلم الكتابة. {رَسُولاً مِّنْهُمْ} يعني من قومهم العرب. {يَتْلُو عَلَيْهِمْ} يعني: يقرأ عليهم {ءاياته} يعني: القرآن، {وَيُزَكِّيهِمْ} يعني: يدعوهم إلى التوحيد، ويطهرهم به من عبادة الأوثان؛ ويقال: {يُزَكِّيهِمْ} يعني: يصلحهم، ويقال: يأمرهم بالزكاة. {وَيُعَلِّمُهُمُ الكتاب} يعني: القرآن {والحكمة} يعني: الحلال والحرام. {وَإِن كَانُواْ} يعني: وقد كانوا {مِن قَبْلُ} أن يبعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم، {لَفِى ضَلال مُّبِينٍ} يعني: لفي خطأ بيِّن يعني: الشرك.

{وَءاخَرِينَ مِنْهُمْ} يعني: التابعين من هذه الأمة ممن بقي، {لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ} يعني: لم يكونوا بعد فسيكونون. وروى جويبر، عن الضحاك في قوله: {ءاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ} قال: يعني: من أسلم من الناس، وعمل صالحاً إلى يوم القيامة من عربي وعجمي. ثم قال: {وَهُوَ العزيز الحكيم} يعني: العزيز في ملكه، الحكيم في أمره.

قوله تعالى: {ذلك فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ} يعني: الإسلام فضل الله يؤتيه {مَن يَشَآء} يعني: يعطيه من يشاء، ويكرم به من يشاء من كان أهلاً لذلك. {والله ذُو الفضل العظيم} يعني: ذو المنّ العظيم لمن اختصه بالإسلام. ثم قال: {مَثَلُ الذين حُمّلُواْ التوراة} يعني: صفة الذين علموا التوراة، وأمروا بأن يعملوا بما فيها. {ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا}، أي: لم يعملوا بما أمروا فيها من الأمر والنهي وبيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال: {مَثَلُ الذين حُمّلُواْ التوراة} وأمروا بأن يحملوا تفسيرها، ثم لم يحملوها يعني: لم يعلموا تفسيرها، فمثلهم {كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أَسْفَاراً} يعني: يحمل كتباً ولا يدري ما فيها، كما لا يدري اليهود ما حملوا من التوراة. ثم قال: {بِئْسَ مَثَلُ القوم الذين كَذَّبُواْ بئايات الله} يعني: بئس مثل القوم ضربنا لهم الأمثال، ويقال: بئس صفة القوم الذين كذبوا بآيات

الله، يعني: جحدوا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم. {والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} يعني: إلى طريـق الجنـة اليهود الذين لا يرغبون في الحق.
وقوله تعالى: {قُلْ ياأيهـا الـذين هَـادُواْ} يعـني: مـالوا عن الإسلام والحق إلى اليهودية.
{إِن زَعمْتُمْ أَنَّكُمْ} يعــني: إن ادعيتم وقلتم إنكم {أَوْلِيَــاء لِلَّهِ} يعني: أحباباً للـه. {مّن دُونِ النـاس} يعـني: من دون المؤمنين، {فَتَمَنَّوُاْ الموت} يعني: سـلوا المـوت، فقولـوا: اللهم أمتنا. {إِن كُنتُمْ صادقين} بأنكم أولياء اللــه من دون المؤمنين. {وَلاَ يَتَمَنَّونَهُ أَبَداً} يعـني: لا يسـألون أبـداً {بِمَـا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} يعني: بما عملت وأسلفت أيـديهم. {واللـه عَلِيمٌ بالظـالمين} يعـني: عليمـاً بحـالهم بـأنهم لا يتمنـون الموت. {قُلْ إِنَّ الموت الـذى تَفِـرُّونَ مِنْـهُ فَإِنَّهُ ملاقيكم} أي: تكرهــون المــوت، يعــني: نــازل بكم لا محالــة. {ثُمَّ تُـرَدُّونَ} يعـني: ترجعـون في الآخـرة. {إلى عـالم الغيب والشهادة}، وقد ذكرناه {فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: يخبركم ويجازيكم بما كنتم تعملون في الدنيا.

تفسير الآيات رقم [9- 11]

{يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا إِذَا نُـودِيَ لِلصَّـلَاةِ مِنْ يَـوْمِ الْجُمُعَـةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْـرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْـعَ ذَلِكُمْ خَيْـرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُـونَ (9) فَـإِذَا قُضِـيَتِ الصَّـلَاةُ فَانْتَشِـرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِـيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)}
قوله عـز وجـل: {ياأيها الـذين ءامَنُـواْ إِذَا نُـودِىَ للصـلاة} يعني: إذا أذن للصلاة {مِن يَوْمِ الجمعـة فاسـعوا إلى ذِكْـرِ

الله} يعني: امضوا إلى الصلاة فصلوها. ويقال: {إلى ذِكْـرِ اللــه} يعــني: الخطبــة فاســتمعوها. وروى الأعمش، عن إبراهيم قـال: كـان ابن مسـعود يقـرأ: (فامضـوا إلى ذكـر اللـه) ويقـول: لـو قرأتهـا فاسـعوا، لسـعيت حـتى يسـقط ردائي. وقــال: القتــبي: الســعي على وجــه الإســراع في المشـي كقولـه تعـالى: {وَجَـآءَ رَجُـلٌ مِّنْ أَقْصَـى المدينـة يسعى قَالَ ياموسى إِنَّ الملا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فــاخرج إِنِّى لَكَ مِنَ الناصـحين} [القصـص: 20] والسـعي: العمـل كقوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الاخـرة وسـعى لَهَـا سَـعْيَهَا وَهُـوَ مُؤْمِنٌ فأولئك كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا} [الإسراء: 19] وقال: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى} [الليل: 4]، والسعي: المشي، كقولـه تعالى: {وَإِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ الموتى قَـالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَـالَ بلى ولكن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَـالَ فَخُـذْ أَرْبَعَـةً مِّنَ الطـير فَصُـرْهُنَّ إِلَيْـكَ ثُمَّ اجعـل على كُـلِّ جَبَـلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادعهن يَأْتِينَكَ سَـعْيًا واعلم أَنَّ اللـه عَزِيـزٌ حَكِيمٌ} [البقر: 260] وكقوله تعالى: {ياأيها الذين ءامنوا إِذَا نُودِىَ للصلاة مِن يَوْمِ الجمعة فاسعوا إلى ذِكْـرِ اللـه وَذَرُواْ الـبيع ذَلِكُمْ خَيْــرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُــونَ} [الجمعــة: 9] وقــال الحسن في قوله تعـالى: {فاسـعوا إلى ذِكْـرِ اللـه} قـال: ليس السعي بالأقدام، ولكن سعي بالنية، وسـعي بـالقلب، وسعي بالرغبة.

ثم قال: {وَذَرُواْ البيع}، ولم يـذكر الشـراء، لأنـه لمـا ذكـر البيع، فقد دل على الشراء. ومعناه: اتركوا البيع والشــراء. وقال جماعة من العلماء: لو باع بعـد الأذان يـوم الجمعـة، لم يجز البيع. وقال الزهري: يحرم البيع يـوم الجمعـة عنـد خروج الإمام. وروى جويبر، عن الضحاك أنه قال: إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، حَرُمَ الشِّرَاءُ وَالْبَيْع، وَلَوْ كُنْت قَاضِيّاً لَرَدَدْتُهُ.

وروى معمر، عن الزهري قال: الأَذَان الَّذِي يُحرمُ نِيَّةَ الْبَيْـعِ عِنْدَ خُروجِ الإمَـامِ وَقْتَ الخُطْبَـةِ، وقـال الحسـن: إذَا زَالَتِ الشَّمْسِ، فَلا تَشْتَرِ وَلا تَبِعْ. وقال محمـد: يُحْـرَمُ البَيْـعُ عِنْـدَ النِّداءِ يَـوْمَ الجُمُعَـةِ عِنْـدِ الصَّـلاةِ. وروى عكرمـة، عن ابن عباس قال: لا يَصحُّ البَيْعُ وَالشِّراءُ يَوْمَ الجُمُعَـةِ حِينَ يُنَـادَى بِالصَّلاةِ حَتَّى تَنْقَضِي. وقال عامة أهل الفتوى من الفقهاء: إنَّ البَيْـعَ جَـائِزٌ فِي الحُكْمِ لأنَّ النَّهْيَ لأَجْـلِ الصَّـلاةِ وَلَيْسَ بِمَانِعٍ لِمَعْنًى فِي الْبَيْـعِ. ثم قـال: {ذلكم خَيْـرٌ لَّكُمْ} يعـني: السعي إلى الصلاة، وترك الشـراء والـبيع. والاسـتماع إلى الخطبة، خير لكم من الشـراء والـبيع. {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُـونَ} يعــني: فــاعلموا ذلــك. وكــل مــا في القــرآن {إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم مؤمنين، فهو بمعنى التقرير والأمر.

ثم قال عز وجل: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة} يعني: فـرغتم من الصـلاة، {فانتشـروا فِى الارض وابتغـوا مِن فَضْـلِ اللـه} يعني: اطلبوا الرزق من الله تعالى بالتجارة والكسب.

اللفظ لفـظ الأمـر، والمـراد بـه الرخصـة، كقولـه: {ياأيهـا الـذين ءَامَنُـواْ لاَ تُحِلُّواْ شَـعَآئِرَ اللـه وَلاَ الشـهر الحـرام وَلاَ الهدى وَلاَ القلائد ولا ءَامِّينَ البيت الحرام يَبْتَغُونَ فَضْـلاً مِّن رَّبِّهِمْ ورضـوانا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فاصـطادوا وَلاَ يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ المسـجد الحـرام أَن تَعْتَـدُواْ وَتَعَـاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى وَلاَ تَعَـاوَنُواْ عَلَى الإثم والعـدوان واتقـوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]، وهي رخصة بعـد النهي. {واذكروا الله كَثِيراً} يعني: واذكروا اللـه باللسـان، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ} يعـني: لكي تنجـوا. ثم قـال عـز وجـل: {وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة أَوْ لَهْواً}، قال مجاهد: اللهـو هـو الضـرب بالطبل، فـنزلت الآيـة حين قـدم دحيـة بن خليفـة الكلـبي. وروى سالم، عن جابر قال: أقبلت عـير ونحن مـع رسـول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نصـلي الجمعـة، فـانفض

الناس إليهم، فما بقي غير اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية {وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة أَوْ لَهْواً}. {انفضوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً}.
وروى معمر، عن الحسن: أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت عير والنبي صلى الله عليه وسلم قائم، يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها فخرجوا إليها، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم. قال الله تعالى: وتركوك قائماً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَلَوْ اتَّبَعَ آخِرُهُمْ أَوَّلَهُمْ لالْتَهَبَ الْوَادِي عَلَيْهِمْ نَاراً». قال معمر، عن قتادة قال: لم يبق يومئذ معه إلا اثنا عشر رجلاً وامرأة، ويقال: إن أهل المدينة كانوا إذا قدمت عير، ضربوا بالطبل وخرج الناس، فنزل {وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة أَوْ لَهْواً انفضوا إِلَيْهَا} والمعنى خرجوا إليها، يعني: إلى التجارة، ويقال: {إِلَيْهَا} يعني: جملة ما رأوا من اللهو والتجارة. وتركوك قائماً على المنبر. {قُلْ مَا عِندَ الله خَيْرٌ مّنَ اللهو} يعني: ثواب الله تعالى خير من اللهو {وَمِنَ التجارة والله خَيْرُ الرزقين} وخير المعطين؛ والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

سورة المنافقون

تفسير الآيات رقم [1- 6]

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (2) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6)}

قوله تعالى: {إِذَا جَاءكَ المنافقون}، إذا حرف من حروف التوقيت، وجوابه قوله: {فاحذرهم} وهذا إعلام من الله تعالى بنفاقهم وكذبهم وغرورهم. {قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله} يعني: يقولون ذلك بلسانهم دون قلوبهم. {والله يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} من غير قولهم. {والله يَشْهَدُ} يعني: يبيِّن {إِنَّ المنافقين لكاذبون} يعني: إنهم مصدقون في قولهم، ولكنهم كاذبون بأنهم أرادوا به الإيمان.

ثم قال عز وجل: {اتخذوا أيمانهم جُنَّةً} يعني: حلفهم جُنَّة من القتل، وقرأ بعضهم: اتخذوا إيمانهم بكسر الألف، يعني: اتخذوا إظهارهم الإسلام وتصديقهم ستراً. لأنفسهم، وقراءة العامة: {اتخذوا أيمانهم} بالنصب يعني: استتروا بالحلف. وكلما ظهر نفاقهم، حلفوا كاذبين. ثم قال:

{فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللـه} يعـني: صـرفوا النـاس عن دين الله وهو الإسـلام. {إِنَّهُمْ سَـاء مَـا كَـانُواْ يَعْمَلُـونَ} يعـني: بئس مـا كـانوا يعملـون، حيث أظهـروا الإيمـان وأسـروا الكفر، وصدوا الناس عن الإيمان.
{ذَلِـكَ بِـأَنَّهُمْ} يعـني: ذلـك الحلـف وصـرف النـاس عن الإيمان بأنهم {ءامَنُواْ} يعني: أقـروا باللسـان علانيـة، {ثُمَّ كَفَـرُواْ} يعـني: كفـروا في السـر. {فَطُبِـعَ على قُلُـوبِهِمْ} بالكفر، {فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ} الهدى ولا يرغبون فيه.
قولـه تعـالى: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ} يعـني: المنـافقين، {تُعْجِبُـكَ أجسامهم} يعـني: عبـد اللـه بن أبي ابن سـلول المنـافق، كـان رجلاً جسـيماً فصـيحاً يعـني: يعجبـك منظـرهم وفصاحتهم. {وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَـوْلِهِمْ} يعـني: تصـدقهم فتحسـب أنهم محقـون. {كَـأَنَّهُمْ خُشُـبٌ مُّسَـنَّدَةٌ}، قـال مقاتل: فيها تقديم، يقول: كـأن أجسـامهم خشـب مسـندة بعضها على بعض قائماً، وإنهـا لا تسـمع ولا تعقـل، ويقـال: {خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ} يعـني: خشـب أسـند إلى الحائـط، ليس فيهـا أرواح، فكـذلك المنـافقون لا يسـمعون الإيمـان ولا يعقلون. قرأ الكسائي، وأبـو عمـرو، وابن كثـير في إحـدى الروايتين {كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ} بجزم الشين، والبـاقون بالضـم، ومعناهما واحد، وهو جماعة الخشب.
فوصـفهم بتمـام الصـور، ثم أعلم أنهم في تـرك التفهم بمنزلة الخشب. ثم قـال: {يَحْسَـبُونَ كُـلَّ صَـيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}، فوصفهم بالجبن أي: كلما صاح صائح، ظنوا أن ذلـك لأمـر عليهم ويقال: إن كـل من خـاطب النبي صـلى اللـه عليـه وسلم، كـانوا يخـافون ويظنـون أنـه مخـاطب يخاطبـه في أمـرهم، وكشـف نفـاقهم. ثم أمـر أن يحـذرهم، وبيّن أنهم أعـداؤه فقـال: {هُمُ العـدو} يعـني: هم أعـداؤك، {فاحذرهم} ولا تأمن من شرهم. ثم قال: {قـاتلهم اللـه}

يعــني: لعنهم {أنى يُؤْفَكُــونَ} يعــني: من أين يكــذبون؟ ويقال: من أين يصرفون عن الحق؟.
ثم قال عز وجل: {وَإِذْ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللـه لَـوَّوْاْ رُؤُوسَـهُمْ} يعـني: عطفـوا رؤوسـهم رغبـة عن الاستغفار وأعرضوا عنه.
وذلك أن عبد الله بن أبي ابن سلول قيل له: يا أبا الحبـاب قد أنزل فيك آي: شداد، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فلـوى رأسـه ثم قـال: أمرتمـوني أن أؤمن، فقـد آمنت. وامرتمـوني أن أعطي زكـاة مـالي، فقد أعطيت. وما بقي إلا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسـلم. قـرأ نـافع {لَـوَّوْاْ رُؤُوسَـهُمْ} بـالتخفيف، والبـاقون بالتشديد. ومن قـرأ بـالتخفيف، فهـو من لـوى يلـوي؛ ومن قرأ بالتشديد، فهو للتكثير. ثم قال: {وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْـتَكْبِرُونَ} يعـني: يعرضـون عن الاسـتغفار مسـتكبرين عن الإيمان في السر. ثم أخبر: أن الاستغفار لا ينفعهم، ما داموا على نفاقهم، فقال: {سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللــه لَهُمْ}، لأنهم منــافقون. {إِنَّ الله لاَ يَهْدِى القوم الفاسقين} يعني: لا يرشدهم إلى دينه، لأنهم لا يرغبون فيه.

تفسير الآيات رقم [7- 11]

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُــونَ لَا تُنْفِقُــوا عَلَى مَنْ عِنْــدَ رَسُــولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّـــوا وَلِلَّهِ خَـــزَائِنُ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُـونَ (7) يَقُولُـونَ لَئِنْ رَجَعْنَـا إِلَى الْمَدِينَـةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (8) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَـلْ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِـرُونَ (9) وَأَنْفِقُـوا مِنْ مَـا رَزَقْنَـاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَـأْتِيَ أَحَـدَكُمُ الْمَـوْتُ فَيَقُـولَ رَبِّ لَـوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَـلٍ

قَـرِيبٍ فَأَصَّـدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّـالِحِينَ (10) وَلَنْ يُـؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (11)}

ثم قال: {هُمُ الذين يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ على مَنْ عِندَ رَسُـولِ الله حتى يَنفَضُّواْ} يعني: يتفرقوا. وروى سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد اللـه يقـول: كنـا في غـزوة، فكسـح رجـل من المهـاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري يـا للأنْصـارِ وقـال: المهـاجري: يـا للمهاجرين. فسمع النبي صلى الله عليـه وسـلم، فقـال: " مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، دَعُوهَا فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ ". فقال عبد اللـه بن أبي: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعـز منهـا الأذل. فقال عمر: دعني يا رسـول اللـه أضـرب رأس هـذا المنـافق فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: " دَعْـهُ لا يَتَحَدَّث النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أصْحَابَهُ ".
وروى معمر، عن قتادة أن عبد الله بن أبي قال لأصـحابه: لا تنفقوا على من عنـد رسـول اللـه، فـإنكم لـو لم تنفقـوا عليهم قد انفضوا. قال: فاقتتل رجلان، أحدهما من جهينـة، والآخـر من غفـار؛ وكـانت جهينـة حليـف الأنصـار، فظهـر عليهم الغفاري، فقال رجل منهم عظيم النفاق يعني: عبـد اللـه بن أبي: عليكم صـاحبكم حليفكم، فواللـه مـا مثلنـا ومثل محمد صلى اللـه عليـه وسـلم إلا كمـا قـال القائـل: سـمِّن كلبـك يأكلـك. أمـا واللـه لئن رجعنـا إلى المدينـة. ليخرجن الأعز منها الأذلّ.
وروى معمر، عن الحسن: أن غلامـاً جـاء إلى النـبي صـلى الله عليه وسلم، فقال: يا نـبي اللـه، إني سـمعت أن عبـد الله بن أبي يقول كذا. فقال: فلعلك غضـبت عليـه. فقـال: أما والله يا نـبي اللـه، فلقـد سـمعته يقـول، فقـال: فلعلـه أخطأ سـمعك. فقـال: لا واللـه يـا نـبي اللـه، لقـد سـمعته يقول. فـأنزل اللـه تعـالى تصـديقاً للغلام {لَئِن رَّجَعْنَـا إِلَى

المدينة}. فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذن الغلام، وقال: «وَعَتْ أُذُنُكَ يَا غُلامُ»، فنزل قوله تعالى: {هُمُ الذين يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُواْ على مَنْ عِندَ رَسُولِ الله حتى يَنفَضُّواْ} قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ خَزَائِنُ * السموات والارض} يعني: مفاتيح السموات وهي المطر والرزق، ومفاتيح الأرض وهي النبات. {ولكن المنافقين لاَ يَفْقَهُونَ} أمر الله تعالى.

{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الاعز مِنْهَا الاذل} يعني: القوي {مِنْهَا} يعني: من المدينة الذليل يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ} يعني: المقدرة والمنعة لله ولرسوله. {وَلِلْمُؤْمِنِينَ}، حيث قواهم الله تعالى ونصرهم {ولكن المنافقين لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: لا يصدقون في السر. ويقال: {وَلِلَّهِ العزة} يعني: القدرة، ويقال: نفاذ الأمر {وَلِرَسُولِهِ}، وهو عزة النبوة والرسالة {وَلِلْمُؤْمِنِينَ}، وهو عز الإيمان والإسلام، أعزهم الله في الدنيا والآخرة. ولكن المنافقين لا يعلمون.

ثم قال عز وجل: {يَعْلَمُونَ ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أموالكم} يعني: لا تشغلكم أموالكم {وَلاَ أولادكم عَن ذِكْرِ الله} يعني: عن طاعة الله تعالى. {وَمَن يَفْعَلْ ذلك} يعني: من لم يعمل بطاعته ولم يؤمن بوحدانيته، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخاسرون} يعني: المغبونين بذهاب الدنيا وحرمان الآخرة. ثم قال عز وجل: {وَأَنفِقُواْ مِمَّا رزقناكم} يعني: تصدقوا مما رزقناكم، أي: مما رزقكم الله من الأموال. {مّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الموت فَيَقُولُ رَبّ لَوْلا أَخَّرْتَنِى إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ} يعني: يقول: يا سيدي ردني إلى الدنيا، {فَأَصَّدَّقَ} يعني: فأتصدق، ويقال: أصدق بالله. {وَأَكُن مّنَ الصالحين} يعني: أفعل كما فعل المؤمنون.

وروى الضحاك، عن ابن عباس أنه قال: من كـان لـه مـال يجب فيـه الزكـاة فلم يزكـه، أو مـال يبلغـه بيت اللـه فلم يحج، سأل عند الموت الرجعة قال: فقال رجل: اتـق اللــه يا ابن عباس، سألت الكفار الرجعة. قال: إني أقـرأ عليـك بهذا القرآن، ثم قرأ {ذَلِكَ بِـأَنَّ الـذين كَفَـرُواْ} إِلَى قَولِـه: {فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مّنَ الصالحين} فقال رجل: يا ابن عبــاس، وما يوجب الزكاة؟ قال: مائتان فصاعداً. قال: فما يـوجب الحج؟ قال: الـزاد والراحلـة. قـرأ أبـو عمـرو، {فَأَصَّـدَّقَ} بالواو وفتح النـون، والبـاقون {إِلَيْهِنَّ وَأَكُن} بحـذف الـواو بالجزم. فمن قـرأ {أَكُـونَ} لأن قولـه: {فَأَصَّـدَّقَ} جـواب لـولا أخبرتـني بالفـاء، فـأكون معطوفـاً عليـه. ومن قــرأ {وَأَكُن}، فإنه عطفـه على موضـع {فَأَصَّـدَّقَ}، لأنـه على معنى إن أخرتـني أصـدق وأكن، ولم يعطفـه على اللفـظ. قال أبو عبيدة: قرأت في مصحف عثمـان هكـذا بغـير واو. ثم قال: {وَلَن يُؤَخِّرَ اللـه نَفْسـاً إِذَا جَـاء أَجَلُهَـا} يعـني: إذ جاء وقتها. {والله خَبِـيرٌ بِمَـا تَعْمَلُـونَ} من الخـير والشـر، فيجازيكم. قرأ عاصم في رواية أبي بكر {يَعْلَمُـونَ} باليـاء على معــنى الخــبر عنهم، والبــاقون بالتــاء على معــنى المخاطبة والله أعلم.

سورة التغابن

تفسير الآيات رقم [1- 6]

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (5) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (6)}

قوله تعالى: {يُسَبّحُ لِلَّهِ مَا فِى السموات وَمَا فِي الارض لَهُ الملك} أي: له الملك الدائم الذي لا يزول، يعني: يحمده المؤمنون في الدنيا وفي الجنة. كما قال: {وَلَهُ الحمد} في الأولى والآخرة، ويقال: {لَهُ الحمد} يعني: هو المحمود في شأنه، وهو أهل أن يحمد، لأن الخلق كلهم في نعمته. فالواجب عليهم أن يحمدوه. ثم قال: {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: قادر على ما يشاء.

{هُوَ الذى خَلَقَكُمْ} يعني: يخلقكم من نفس واحدة، {فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} يعني: منكم من يصير كافراً، ومنكم من يصير أهلاً للإيمان ويؤمن بتوفيق الله تعالى. ويقال: منكم من خلقه كافراً، ومنكم من خلقه مؤمناً؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا إنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى». وإلى هذا ذهب أهل الجبر. ويقال: {فَمِنكُمْ كَافِرٌ} يعني: كافر بأن الله تعالى خلقه، وهو

كقولـه: {قُتِـلَ الإنسـان مَـآ أَكْفَـرَه مِنْ أَىِّ شَـئ خَلَقَـهُ} [عبس: 17/18] وكقولـه: {قَـالَ لَـهُ صـاحبه وَهُـوَ يحـاوره أَكَفَـرْتَ بالـذى خَلَقَـكَ مِن تُـرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَـةٍ ثُمَّ سَـوَّاكَ رَجُلاً} [الكهف: 37]، ويقال: {فَمِنكُمْ كَافِرٌ} يعني: كـافراً في السـر وهم المنـافقون {وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} وهم المخلصون. ويقال: هذا الخطاب لجميع الخلق، ومعناه: هو الذي خلقكم، فمنكم كـافر باللـه وهم المشـركون، ومنكم مؤمن وهم المؤمنون، يعني: استويتم في خلق الله إياكم، واختلفتم في أحـوالكم، فمنكم من آمن باللـه، ومنكم من كفر. ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} يعـني: عليمـاً بمـا تعملون من الخير والشر.

ثم قال عز وجل: {خُلِقَ السموات والارض بالحق} يعـني: بـالحق والحجـة والثـواب والعقـاب. {وَصَـوَّرَكُمْ} يعـني: خلقكم، {فَأَحْسَـنَ صُـوَرَكُمْ} يعـني: خلقكم على أجمـل صـورة. وهـذا كقولـه: {لَقَـدْ خَلَقْنَـا الإنسـان فى أَحْسَـنِ تَقْـوِيمٍ} [الـتين: 4] وكقولـه: {وَلَقَـدْ كَرَّمْنَـا بَنِى ءَادَمَ وحملنـاهم فِى الـبر والبحـر ورزقنـاهم مِّنَ الطيبـات وفضلناهم على كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَـا تَفْضِـيلاً} [الإسـراء: 70] ثم قال: {وَإِلَيْهِ المصير} يعني: إليـه المرجـع في الآخـرة، فهذا التهديد يعني: كونـوا على الحـذر. لأن مـرجعكم إليـه. ثم قال: {يَعْلَمُ مَا فِى السموات والارض} يعـني: من كـل موجود. {وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} يعني: مـا تخفـون ومـا تضـمرون في قلـوبكم، ومـا تظهـرون وتعلنـون بألسـنتكم. {واللـه عَلِيمٌ بِـذَاتِ الصـدور} يعـني: عليمـاً بسرائركم.

ثم قال الله عز وجـل: {أَلَمْ يَـأْتِكُمْ نَبَـؤُاْ الـذين كَفَـرُواْ مِن قَبْلُ}. اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التوبيخ والتقريع، يعني: قد أتاكم خبر الذين كفروا من قبلكم. {فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ} يعني: أصابتهم عقوبة ذنبهم في الـدنيا. ثم أخـبر:

أن ما أصابهم في الـدنيا، لم يكن كفـارة لـذنوبهم، فقـال: {وَلَهُمْ عَـــذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخـــرة ثم بين الســـبب الـــذي أصابهم بـه العـذاب، فقـال: {ذلـك} العـذاب. {بِأَنَّهُ كَـانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُــلُهُم بالبينــات} يعــني: بــالأمر والنهي، ويقــال: {بالَبينات} يعني: بالدلائل والحجج. {فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} يعـني: آدميـاً مثلنـا يرشـدنا ويأتينـا بـدين غـير دين آبائنـا؟ {فَكَفَــرُواْ} يعــني: جحــدوا بالرســل والكتــاب، {وَتَوَلَّواْ} يعني: أعرضوا عن الإيمـان. {واسـتغنى اللـه} تعـالى عن إيمانهم. {والله غَنِىٌّ حَمِيدٌ} عن إيمان العباد {حَمِيـدٌ} في فعاله، يقبل اليسير ويعطي الجزيل.

تفسير الآيات رقم [7- 9]

{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُـوا قُـلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَـا عَمِلْتُمْ وَذَلِـكَ عَلَى اللَّهِ يَسِـيرٌ (7) فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (8) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَـوْمِ الْجَمْـعِ ذَلِـكَ يَـوْمُ التَّغَـابُنِ وَمَنْ يُـؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْـهُ سَـيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْـهُ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (9)}

ثم قال عز وجل: {زَعَمَ الذين كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ} يعني: مشركي العرب، زعموا أن لن يبعثوا بعد الموت. {قُلْ} يا محمد {بلى وَرَبّى لَتُبْعَثُنَّ}. فهذا قسم أقسم أنهم يبعثــون بعد المـوت. {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَـا عَمِلْتُمْ} يعـني: تخـبرون بمـا عملتم في دار الدنيا، ويجزون على ذلك. ثم قـال: {وَذَلِـكَ عَلَى الله يَسِيرٌ} يعني: البعث والجزاء على الله هين.

قوله تعالى: {قُلْ ياأيهـا النـاس} يعـني: صـدقوا بوحدانيـة الله تعالى، وصدقوا برسالة محمد صلى الله عليه وســلم. {والنور الذى أنزلناه} يعني: صدقوا بالقرآن الذي نزل بــه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم، فسـمى القـرآن نوراً، لأنه يهتدى به في ظلمة الجهالة والضلالة، ويعرف به

الحلال والحرام. ثم قال: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} يعني: عالم بأعمالكم فيجازيكم بها.
ثم قال: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ} يعني: تبعثون في يوم يجمعكم {لِيَوْمِ الجمع} يعني: يوم تجمع فيه أهل السماء وأهل الأرض، ويجمع فيه الأولون والآخرون. قرأ يعقوب الحضرمي {يَوْمِ} بالنون، وقراءة العامة بالياء ومعناهما واحد. ثم قال: {الجمع ذَلِكَ يَوْمُ التغابن} يعني: يغبن فيه الكافر نفسه. وأصله ومنازله في الجنة، يعني: يكون له النار مكان الجنة، وذلك هو الغبن والخسران. ثم قال: {وَمَن يُؤْمِن بالله وَيَعْمَلْ صالحا} يعني: يوحد الله تعالى ويؤدِّي الفرائض. {يُكَفّرْ عَنْهُ سيئاته} يعني: ذنوبه، {وَيُدْخِلْهُ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفوز العظيم} يعني: النجاة الوافرة. قرأ نافع، وابن عامر {نَّكْفُرَ} و{ندخله} كلاهما بالنون، والباقون كلاهما بالياء، ومعناهما واحد.

تفسير الآيات رقم [10- 15]

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (10) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (12) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (13) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (15)}
ثم وصف حال الكافرين فقال عز وجل: {الميمنة والذين كَفَرُواْ بئاياتنا} يعني: بالكتاب والرسول. {أَوْلَئِكَ أصحاب النار خالدين فِيهَا وَبِئْسَ المصير} يعني: بئس المرجع الذي صاروا إليه المغبونين. ثم قال عز وجل: {مَا أَصَابَ

مِن مُّصِيبَةٍ} يعني: ما أصاب بني آدم من شدة ومرض وموت الأهلين، {إِلاَّ بِإِذْنِ الله} يعني: إلا بإرادة الله تعالى وبعلمه. {وَمَن يُؤْمِن بالله} يعني: يصدق بالله على المصيبة، ويعلم أنها من الله تعالى، {يَهْدِ قَلْبَهُ} يعني: إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر. وروي، عن علقة بن قيس: أن رجلاً قرأ عنده هذه الآية، فقال: أتدرون ما تفسيرها؟ وهو أن الرجل المسلم، يصاب بالمصيبة في نفسه وماله، يعلم أنها من عند الله تعالى، فيسلم ويرضى. ويقال: {مَن يُؤْمِنُ بالله يَهْدِ قَلْبَهُ} للاسترجاع يعني: يوفقه الله تعالى لذلك. {والله بِكُلِّ شَيْء عَلِيمٌ} أي: عالم بثواب من صبر على المصيبة.

ثم قال عز وجل: {وَأَطِيعُواْ الله} يعني: أطيعوا الله في الفرائض، {وَأَطِيعُواْ الرسول} في السنن. ويقال: أطيعوا الله في الرضا بما يقضي عليكم من المصيبة، وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الصبر وترك الجزع. {فَإِن تَوَلَّيْتُمْ} يعني: أبيتم وأعرضتم عن طاعة الله وطاعة رسوله. {فَإِنَّمَا على رَسُولِنَا البلاغ المبين} أي: ليس عليه أكثر من التبليغ ثم وحَّد نفسه، فقال عز وجل: {الله لاَ إِله إِلاَّ هُوَ} يعني: لا ضار، ولا نافع، ولا كاشف إلاَّ هو. {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} يعني: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، ويفوضوا أمرهم إليه.

قوله تعالى: {المؤمنون يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ إِنَّ مِنْ أزواجكم وأولادكم عَدُوّاً لَّكُمْ}، حين يمنعونكم الهجرة، {فاحذروهم} أن تطيعوهم في ترك الهجرة. روى سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن قوماً أسلموا بمكة، فأرادوا أن يخرجوا إلى المدينة، فمنعهم أزواجهم وأولادهم. فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، رأوا الناس قد فقهوا في الدين، فأرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فنزل قوله تعالى: {المؤمنون يأَيُّهَا

الـــــذين ءامَنُـــــواْ إِنَّ مِنْ أزواجكم وأولادكم عَـــــدُوّاً لَّكُمْ فاحـــذروهم}. {وَأَن تَعْفُـــواْ} يعـــني: تـــتركوا عقـــابهم، {وَتَصْفَحُواْ} يعني: وتتجاوزوا، {وَتَغْفِـرُواْ فَـإِنَّ اللـه غَفُـورٌ رَّحِيمٌ} لذنوب المؤمنين {رَّحِيمٌ} بهم.
ثم قال: {إِنَّمَا أموالكم وأولادكم فِتْنَةٌ} يعني: الـذين بمكـة بلية لا يقـدر الرجـل على الهجـرة. روي، عن عبـد اللـه بن بريدة، عن أبيـه قـال: كـان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم يخطبنا، فأقبل الحسن والحسين يمشـيان ويعـثران. فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، نـزل إليهمـا وأخذهما واحداً من هذا الجانب، وواحـداً من هـذا الجـانب. ثم صعد المنبر، فقال: «صَدَقَ الله {إِنَّمَا أموالكم وأولادكم فِتْنَــةٌ}. لَمَّا رَأَيْتُ هــاذين الغُلامَيْنِ، لَمْ أَصْــبِرْ أَنْ قَطَعْتُ كَلامِي، وَنَزَلْتُ إِلَيْهِمَـا». ثم أتم الخطبـة. ثم قـال: {واللـه عِنْـدَهُ أَجْـرٌ عَظِيمٌ} أي: ثـواب عظيم، لمن آمن ولمن لم يعص الله تعالى لأجل الأموال والأولاد وأحسن إليهم.

تفسير الآيات رقم [16- 18]

{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُـوا خَيْـرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (16) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّـهَادَةِ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ (18)}
ثم قال عز وجل: {فاتقوا الله مَـا اسـتطعتم} يعـني: على قدر ما أطقتم. {واسمعوا} يعني: اسمعوا ما تـؤمرون بـه من المواعظ. {وَأَطِيعُواْ} يعني: وأطيعـوا اللـه والرسـول. {وَأَنْفِقُـواْ خَيْـراً لاِنفُسِـكُمْ} يعـني: تصـدقوا خـيراً، يعـني: وأنفقـوا من أمـوالكم في حـق اللـه تعـالى {لانفُسِـكُمْ} يعني: ثوابه لأنفسكم، ويكـون زاداً لكم إلى الجنـة. ويقـال معناه: تصدقوا خيراً لأنفسكم من إمساك الصـدقة. {وَمَن

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ} يعني: يـدفع البخـل عن نفسـه، {فَأُوْلَئِكَ هُمُ المفلحون} يعني: الناجين السعداء.
وقوله تعالى: {إِن تُقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً} يعني: صادقاً من قلـوبكم. {يضـاعفه لَكُمْ} يعـني: القـرض يضـاعف حسـناتكم. ويقـال: {يضـاعفه لَكُمْ} يعـني: اللـه تعـالى يضـاعف القـرض لكم، فيعطي للواحـد عشـرة. إلى سبعمائة، إلى ما لا يحصى. {وَيَغْفِرْ لَكُمْ} يعني: يغفر لكم ذنـوبكم. {واللـه شَـكُورٌ} يعـني: يقبـل اليسـير ويعطي الجزيـل. {حَلِيمٌ} لا يعجـل بالعقوبـة لمن يبخـل. ثم قـال: {عالم الغيب والشهادة}، وقـد ذكرنـاه. {العزيـز الحكيم} يعني: العزيز في ملكه، الحكيم في أمره، سبحانه وتعالى، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

سورة الطلاق

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)}

قوله تعالى: {الحكيم يأَيُّهَا النبى إِذَا طَلَّقْتُمُ النساء}، فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به هو وأمته، بدليل قوله: {إِذَا طَلَّقْتُمُ النساء}، فذكر بلفظ الجماعة، فكأنه قال: يا أيها النبي ومن آمن بك، {إِذَا طَلَّقْتُمُ النساء} يعني: أنت وأمتك. إذا أردتم أن تطلقوا النساء. وقال الكلبي: نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم، حين غضب على حفصة بنت عمر، فقال: {فَطَلّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}. وقال: طاهرات، من غير جماع.

وروى أبو إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال: {فَطَلّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} طاهرات من غير جماع. روى سفيان، عن عمرو بن دينار: أن ابن عباس

رضي الله عنهما قرأ (فطلقوهن لقبـل عـدتهن) وروي عن علي بن أبي طـالب رضـي اللـه عنـه قـال: لـو أن النـاس أصابوا حد الطلاق، لما ندم رجل على امرأته يطلقها، وهي طاهرة لم يجامعها. فإن بدا أن يمسكها أمسـكها، وإن بـدا له أن يخلي سبيلها خلى.

وروى عكرمــة عن ابن عبــاس قــال: الطلاق على أربعــة أوجــه: وجهــان حلال، ووجهــان حــرام. فأمــا الحلال، بــأن يطلقها من غير جماع، أو يطلقها حاملاً. وأما الحـرام، بـأن يطلقهـا حائضـاً، أو يطلقهـا حين جامعهـا. وقـال الحسـن: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} قال: إذا طهرن من الحيض من غــير جماع. وقال الزهري، وقتادة: يطلقها لقبيـل عـدتها. وروى ابن طـاوس، عن أبيـه قـال: حـد الطلاق أن يطلقهـا قبـل عدتها. قلت: وما قبل عدتها؟ قال: طاهرة من غير جماع.

ثم قال: {وَأَحْصُواْ العـدة} يعـني: واحفظـوا العـدة. فـأمر الرجل بحفظ العدة، لأن في النساء غفلة، فربما لا تحفـظ عدتها. ثم قال: {واتقـوا اللـه رَبَّكُمْ} يعـني: واخشـوا اللـه ربكم، فأطيعوه فيمـا أمـركم ولا تطلقـوا النسـاء في غـير طهـورهن. فلـو طلقهـا في الحيض، فقـد أسـاء. والطلاق واقع عليها في قول عامة الفقهاء. ثم قال: {لاَ تُخْرِجُـوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ} يعني: اتقوا الله في إخراجهن من بيوتهن لأن سـكناها على الـزوج مـا لم تنقض عـدتها ثم قـال: {وَلاَ يَخْرُجْنَ} يعني: ليس لهن أن يخرجن من البيوت. ثم قال: {إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَـةٍ مُّبَيِّنَـةٍ} يعـني: إلا أن تـزني فتخـرج لأجـل إقامـة الحـد عليهـا، وهـو قـول ابن مسـعود. وقـال الشـعبي، وقتـادة: خروجهـا في العـدة فاحشـة. وإخـراج الزوج لها في العدة معصـية؛ وهكـذا روي، عن ابن عمـرو، وإبراهيم النخعي. وقال ابن عباس: الفاحشة أن تبذو على زوجها فتخرج. ثم قال: {وَتِلْكَ حُدُودُ اللـه} يعـني: الطلاق بالسنة، وإحصاء العدة من أحكام الله تعـالى. {وَمَن يَتَعَـدَّ

حُـدُودَ اللـه} يعـني: يـترك حكم اللـه فيمـا أمـر من أمـر الطلاق.
{فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} يعني: أضر بنفسه.
ثم قال: {لا تَدْرِى لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} يعني: لا تطلقها ثلاثاً، فلعله يحـدث من الحب أو الولـد خـير، فيريـد أن يراجعها فلا يمكنه مراجعتها. وإن طلقها واحـدة، يمكنـه أن يراجعها. ثم قـال: {فَـإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} يعـني: إذا بلغن وقت انقضاء عدتهن، وهـو مضـي ثلاث حيض ولم تغتسـل من الحيضــة الثالثــة، {فَأَمْسِــكُوهُنَّ بِمَعْــرُوفٍ} يعــني: راجعوهن بإحسان، يعني: أن تمسكوهن بغـير إضـرار. {أَوْ فَـارِقُوهُنَّ بِمَعْـرُوفٍ} يعـني: اتركـوهن بإحسـان. ويقـال: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} يعني: انقضـت عـدتهن، {فَأَمْسِـكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} يعني: بنكاح جديد إذا طلقها واحدة أو اثنتين.
ثم قـال عـز وجـل: {وَأَشْـهِدُوا ذَوِى عَـدْلٍ مّنْكُمْ} يعـني: أشــهدوا على الطلاق والمراجعــة فهــو على الاســتحباب. ويقال: على النكاح المستقبل، فـإن أراد بـه الإشـهاد على الطلاق والمراجعة، فهو على الاستحباب. ولو ترك الإشهاد بالمراجعة، جاز الطلاق والمراجعـة. فـإن أراد بـه الإشـهاد على النكاح، فهو واجب، لأنه لا نكاح إلاَّ بشهود.
ثم قال: {وَأَقِيمُواْ الشهادة لِلَّهِ} يعني: يا معشــر الشــهود، أدوا الشهادة عنـد الحـاكم بالعـدل على وجههـا لحـق اللـه تعالى ولسبب أمر الله تعالى. ثم قال: {ذَلِكُمْ يُوعَـظُ بِـهِ} يعني: هذا الـذي يـؤمر بـه. {مَن كَـانَ يُـؤْمِنُ باللـه واليـوم الاخــرِ} أي: لا يكتم الشــهادة. ثم قــال: {وَمَن يَتَّق اللــه يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} يعني: يخشى الله ويطلق امرأته للسنة، {يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} يعني: المراجعة. {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} يعـني: في شـأن المراجعـة. ويقـال: {يَجْعَـل لَّهُ مَخْرَجـاً} يعـني: ينجـو من ظلمـات يـوم القيامـة ويرزقـه الجنة. ووجـه آخـر: أن من اتقى اللـه عنـد الشـدة وصـبر،

يجعــل لــه مخرجــاً من الشــدة {وَيَرْزُقْــهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} يعني: يوسع عليه من الرزق. وقال مسروق: {يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} قال: مخرجه أن يعلم أن الله هو يرزقه، وهو يمنحه ويعطيه، لأنه هو الرازق وهو المعطي وهو المانع. كما قال الله تعالى: {ياأيها الناس اذكروا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالق غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السمآء والارض لاَ إله إِلاَّ هُوَ فأنى تُؤْفَكُونَ} [فاطر: 3] الآية.

ثم قال عز وجل: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ} يعني: من يثق بالله في الرزق {فَهُوَ حَسْبُهُ} يعني: الله كافيه. وروى سالم بن أبي الجعد: أن رجلاً من أشجع أسره العدو، فجاء أبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فشكا إليه، فقال: اصبر. فأصاب ابنه غنيمة، فجاء بهما جبريل عليه السلام {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً} الآية.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: جاء عوف بن مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت الأم، فما تأمرني؟ فقال: آمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فرجع إلى منزله، فقالت له: بماذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: بكذا. فقالت: نعم ما أمرك به. فجعلا يقولان ذلك، فخرج ابنه بغنيمة كثيرة، فنزل قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ} يعني: من يثق بالله في الشدة، يجعل له مخرجاً من الشدة. ويقال: المخرج على وجهين: أحدهما أن يخرجه من تلك الشدة، والثاني أن يكرمه فيها بالرضا والصبر. ثم قال: {إِنَّ الله بالغ أَمْرِهِ} يعني: قاضياً أمره. قرأ عاصم في رواية حفص {بالغ أَمْرِهِ} بغير تنوين، بكسر الراء على الإضافة،

والباقون بالتنوين {أَمَرَهُ} بالنصـب، نصـبه بالفعـل بمعـنى يمضي أمره في الشدة والرخاء أجلاً ووقتاً. ثم قـال: {قَـدْ جَعَلَ الله لِكُـلّ شَـئ قَـدْراً} يعـني: جعـل لكـل شـيء من الشدة والرخاء أجلاً ووقتاً، لا يتقدم ولا يتأخر.

قوله تعـالى: {واللائى يَئِسْـنَ مِنَ المحيض مِن نّسَـائِكُمْ}. قـال ابن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا: لمـا نـزل قولـه: {والمطلقات يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثلاثـة قـرواء وَلاَ يَحِـلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ مَا خَلَـقَ اللـه فِى أَرْحَـامِهِنَّ إِن كُنَّ يُـؤْمِنَّ باللـه واليـوم الاخـر وَبُعُـولَتُهُنَّ أَحَـقُّ بِـرَدِّهِنَّ فِي ذلـك إِنْ أرادوا إصلاحا وَلَهُنَّ مِثْلُ الذى عَلَيْهِنَّ بالمعروف وَلِلرِّجَـالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَـةٌ واللـه عَزِيـزٌ حَكُيمٌ} [البقـرة: 228] قـال معـاذ بن جبل: يا رسول الله، لو كانت المرأة آيسة لا تحيض، كيـف تعتـد؟ فـنزل: {واللائى يَئِسْـنَ مِنَ المحيض مِن نّسَـائِكُمْ} والآية. أن تبلغ ستين سنة، ويقـال خمسـين. {إِنِ ارتبتم}، إن شككتم في عدتهن، {فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أَشْهُرٍ}، فقام رجـل آخر، فقال: لو كانت صغيرة، كيف عدتها؟ وقام آخر وقال: لو كانت حاملاً، كيف عـدتها؟ فـنزل: {واللائى لَمْ يَحِضْـنَ} يعني: المرأة التي لم تحض، فعدتها ثلاثة أشهر مثـل عـدة الآيسـة. {وأولات الاحمـال أَجَلُهُنَّ} يعـني: عـدتهن {أَن يَضَـعْنَ حَمْلَهُنَّ} وقـال عمـر: لـو وضـعت مـا في بطنهـا وزوجها على سريره، قبل أن يـدفن في حفرتـه، لانقضـت عـدتها وحلت للأزواج. وروى الزهـري، عن عبـد اللـه، عن أبيه: أن سبيعة بنت الحارث قد وضـعت بعـد وفـاة زوجهـا بعشـرين يومـاً، فمـر بهـا السـنابل بن بعكـك، فقـال لهـا: أتريدين أن نتزوج؟ فقالت: نعم. قال: لا حـتى يـأتي عليـك أربعة أشهر وعشر. فأتت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقال لها قد حللت للزواج يعني: انقضت عدتك.

ثم قـال: {وَمَن يَتَّقِ اللـه} يعـني: يصـبر على طاعـة اللـه تعالى، {يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً} يعني: ييسر عليه أمره،

ويوفقه ليعمل على طاعة الله تعالى، ويعصمه عن معاصيه. ثم قال: {ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ} يعني: هذا الذي ذكره حكم الله وفريضته. {أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ} يعني: أنزله في القرآن على نبيكم. {وَمَن يَتَّقِ اللهَ} ويعمل بأحكامه وفريضته، {يُكَفِّرْ عَنْهُ سيئاته} في الدنيا، {وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً} يعني: ثواباً في الجنة. قرأ نافع، وابن عامر {نُّكْفُرَ * عَنْهُ} بالنون، والباقون بالياء، ومعناهما: يرجع إلى شيء واحد. ثم رجع إلى ذكر المطلقات.

تفسير الآيات رقم [6- 7]

{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (6) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)}

فقال عز وجل: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم} يعني: أنزلوهن من حيث تسكنون فيه. {مّن وُجْدِكُمْ} يعني: من سعتكم. والوجد: القدرة والغنى. ويقال: افتقر فلان بعد وجده. ثم قال: {وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ} يعني: لا تظلموهن. {لِتُضَيّقُواْ عَلَيْهِنَّ} في النفقة والسكنى. {وَإِن كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ} يعني: إن كن المطلقات ذوات حمل، {فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} وقد أجمعوا أن المطلقة إذا كانت حاملاً فلها النفقة، وأما إذا لم تكن حاملاً، فإن كان الطلاق رجعياً، فلها النفقة والسكنى بالإجماع. وإن كان الطلاق بائناً، فلها السكنى والنفقة في قول أهل العراق. وقال بعضهم: لها السكنى ولا نفقة.

ثم قـــال: {أَسْـــكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَـــكَنتُم مِّن} يعـــني: المطلقـات إذا أرضـعن أولادكم، فـأعطوهن أجـورهن، لأن النفقة على الأب. وأجر الرضاع من النفقة، فهو على الأب إذا كـــانت المـــرأة مطلقـــة. ثم قـــال: {وَأْتَمِـــرُواْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} هموا به واعزموا عليـه، ويقـال هـو أن لا تضـار المـرأة بـالزوج ولا الـزوج بـالمرأة في الرضـاع. ويقـال: {وَأْتَمِـرُواْ بَيْنَكُمْ} يعـني: اتفقـوا فيمـا بينكم يعـني: الـزوج والمـــرأة يتفقـــان على أمـــر واحـــد: {بِمَعْـــرُوفٍ} يعـــني: بإحسان. {وَإِن تَعَاسَرْتُمْ} يعني: تضايقتم، وهو أن يأبى أن يــؤتي المــرأة لأجــل رضــاعها، وأبت المــرأة أن ترضــعه. ويقــال: يعــني: أراد الرجــل أقــل ممــا طلبت المــرأة من النفقة، ولم يتفقا على شيء واحد. {فَسَتُرْضِعُ لَهُ أخــرى} يعني: يـدفع الـزوج الصـبي إلى امـرأة أخـرى إن أرضـعت بأقل مما ترضع الأم به. ثم قال عز وجل: {لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ} يعني: ينفـق على المـرأة ذو الغـنى على قـدر غناه، وعلى قدر عيشه وسـعته ويسـره. {وَمَن قُـدِرَ عَلَيْـهِ رِزْقُهُ} يعني: ضيق عليه رزقه، {فَلْيُنفِـقْ مِمَّا ءاتَـاهُ اللـه} يعني: على قدر ما أعطاه الله من المـال. {لاَ يُكَلِّـفُ اللـه نَفْساً إِلاَّ مَا ءاتَاهَا} يعني: لا يأمر الله نفسـاً في النفقـة إلا مـا أعطاهـا من المـال {سَـيَجْعَلُ اللـه بَعْـدَ عُسْـرٍ يُسْـراً} يعني: العسر ينتظر اليسر.

تفسير الآيات رقم [8- 12]

{وَكَـأَيِّنْ مِنْ قَرْيَـةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْـرِ رَبِّهَـا وَرُسُـلِهِ فَحَاسَـبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (8) فَذَاقَتْ وَبَـالَ أَمْرِهَـا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْـرًا (9) أَعَـدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَـذَابًا شَـدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آَمَنُوا قَدْ أَنْـزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْـرًا (10) رَسُـولًا يَتْلُـو عَلَيْكُمْ آَيَـاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَـاتٍ لِيُخْـرِجَ الَّذِينَ آَمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ

وَمَنْ يُـؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَـلْ صَـالِحًا يُدْخِلْـهُ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًـا (11) اللَّهُ الَّذِي خَلَـقَ سَـبْعَ سَـمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَـزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)}

قوله تعالى: {وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ} يعني: فكم من أهـل قريـة قرأ ابن كثير {وَكَأَيّن} بغير الألف، والبـاقون بغـير مـد مـع تشديد الياء، وهما لغتـان ومعناهمـا واحـد، يعـني: وكم من قرية. {عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبّهَـا} يعـني: أبت وعصـت عن أمـر ربها يعني: عن طاعـة ربهـا. قـال مقاتـل: {عَتَتْ عَنْ أَمْـرِ رَبّهَا} يعني: خالفت وعصت وقال الكلبي: العتو المعصـية. وقال أهل اللغة: العتو مجاوزة الحد في المعصية. ثم قال: {وَرُسُلِهِ} يعني: عن طاعة رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم. {فحاسـبناها حِسَـاباً شَـدِيداً} يعـني: جازاهـا اللـه بعملها. ويقـال: {***حاسـبناها} في الآخـرة {فحاسـبناها حِسَاباً شَدِيداً}. {وعذبناها عَذَاباً نُّكْراً} يعني: عذاباً منكراً، على معنى التقديم يعني: عذبناها في الدنيا عـذاباً شـديداً، وحاسبناها في الآخـرة حسـاباً شـديداً. ويقـال: وحاسـبناها يعـني: في الـدنيا يعـني: جازيناهـا وخـذلناها وحرمناهـا. ثم قال عز وجل: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَـا} يعـني: جـزاء ذنبهـا. {وَكَانَ عاقبة أَمْرِهَا خُسْراً} يعني: أهل القريـة، يعـني: أن آخر أمرهم صار إلى الخسران والندامة.

ثم قال: {أَعَدَّ الله لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} يعني: ما أصابهم في الـدنيا لم يكن كفـارة لـذنوبهم، ولكن مـع مـا أصـابهم في الدنيا {أَعَدَّ اللـه لَهُمْ عَـذَاباً شَـدِيداً} في الآخـرة، لأنهم لم يرجعـوا عن كفـرهم. ثم أمـر المؤمـنين بـأن يعتـبروا بهم، ويثبتوا على إيمانهم، فقال: {فاتقوا اللـه يـاأولى الالبـاب} يعني: اخشـوا اللـه وأطيعـوه يـا ذوي العقـول من النـاس. {الذين كَفَرُواْ} بالله يعني: الـذين صـدقوا باللـه ورسـوله.

{قَدْ أَنـزَلَ اللـه إِلَيْكُمْ ذِكْـراً} يعـني: كتابـاً. ويقـال: شـرفاً وعزاً وهو القرآن. ثم قال: {رَسُـولاً} يعـني: أرسـل إليكم رسولاً، {يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ} يعني: يقـرأ عليكم ويعـرض عليكم. ويقـال: {قَـدْ أَنـزَلَ إِلَيْكُمْ ذِكْـراً رَسُـولاً} يعـني: كتابـاً مـع رسـوله، ليتلـو عليكم يعـني: يقـرأ عليكم {اللـه مبينـات لِّيُخْرِجَ} يعني: واضحات. ويقال: بيّن فيه الحلال والحـرام. {لِّيُخْرِجَ الذين ءامَنُواْ} يعـني: الـذين صـدقوا بتوحيـد اللـه وطاعتـه {وَعَمِلُـواْ الصـالحات} يعــني: الطاعــات {مِنَ الظلمات إِلَى النور} يعني: من الجهالة إلى البيان. ويقال: {لِّيُخْرِجَ الذين ءامَنُواْ} اللفظ لفظ المستقبل، والمـراد بـه الماضي يعني: أخرج الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات من الظلمات إلى النور، يعني: من الكفر إلى الإيمـان؛ ويقـال: هو المستقبل يعني: يخرجهم من الشبهات والجهـالات إلى الدلالات والبراهين؛ ويقال: ليـدعو النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم، ليخرجكم من ظلمـات الكفـر إلى نـور الإيمـان من قدرة الله الإيمان في سابق علمه.

ثم قال عز وجل: {وَمَن يُؤْمِن بالله} يعـني: يصـدق باللـه. ويقال: يثبت على الإيمان، {وَيَعْمَلْ صالحا} يعني: فـرائض الله وسنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

{يُدْخِلْهُ جنـات تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهـر}. قـرأ نـافع، وابن عامر: {ندخله} بالنون، والباقون بالياء يعـني: يدخلـه اللـه تعالى في الآخرة. {جَهَنَّمَ خالِدين فِيهَا} يعني: مقيمين في الجنة دائمين فيها. {أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللـه لَـهُ رِزْقـاً} يعـني: أعد الله له ثواباً في الجنة.

ثم قال عز وجل: {الله الـذى خَلَـقَ سَـبْعَ * سـموات وَمِنَ الارض مِثْلَهُنَّ} يعــني: خلــق ســبع أرضــين مثــل عــدد السماوات. {يَتَنَزَّلُ الامـر بَيْنَهُنَّ} يعـني: يـنزل الـوحي من السـموات. ويقـال: في كـل سـماء، وفي كـل أرض أمـره نافذ. وقال القتـبي: الأمـر، على وجـوه الأمـر أي القضـاء،

كقولهِ: {إِنَّ رَبَّكُمُ الله الذي خَلَـقَ السـماوات والارض فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ استوى عَلَى العرشِ يُدَبِّرُ الامر مَـا مِن شَـفِيعٍ إلاَّ مِن بَعْـدِ إِذْنِـهِ ذلكم اللـه رَبُّكُمْ فاعبـدوه أَفَلاَ تَـذَكَّرُونَ} [يونس: 3] ويعني: يقضي القضاء، وكقوله: {إِنَّ رَبَّكُمُ الله الـذى خَلَـقَ السـماوات والارض فِي سِـتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسـتوى عَلَى العـرش يُغْشِـى اليـل النهـار يَطْلُبُـهُ حَثِيثًـا والشـمسَ والقمرَ والنجوم مسخرات بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخلق والامر تَبَارَكَ الله رَبُّ العـالمين} [الأعـراف: 54] أي: القضـاء. والأمـر: الدين، كقوله: {وتقطعوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَـا راجعـون} [الأنبياء: 93] وكقوله: {لَقَدِ ابتغوا الفتنـة مِن قَبْـلُ وَقَلَّبُـواْ لَكَ الأمور حتى جَآءَ الحق وَظَهَرَ أَمْـرُ اللـه وَهُمْ كـارهون} [التوبة: 48] أي: دين الله. والأمر: القول كقوله: {وكـذلك أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ليعلموا أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ السـاعة لاَ رَيْبَ فِيهَـا إِذْ يتنـازعون بَيْنَهُمْ أَمْـرَهُمْ فَقَـالُواْ ابنـوا عَلَيْهِمْ بنيانـا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الذين غَلَبُواْ على أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا} [الكهف: 21] أي قولهم الأمر: العـذاب، كقولـه: {يإبراهيم أَعْرِضْ عَنْ هاذآ إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَـرْدُودٍ} [هـود: 76] والأمـر: القيامـة، كقولـه: {أتى أَمْــرُ اللــه فَلاَ تَسْــتَعْجِلُوهُ ســبحانه وتعــالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النحل: 1] والأمر: الوحي، كقوله: {الله الــذى خَلَقَ سَبْعَ سماوات وَمِنَ الارض مِثْلَهُنَّ يَتَنَـزَّلُ الامـر بَيْنَهُنَّ لتعلموا أَنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَئ عِلْمَا} [الطلاق: 12] يعني: الـوحي. والأمـر: الـذنب، كقوله: {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَـا وَكَـانَ عاقبـة أَمْرِهَـا خُسْـراً} [الطلاق: 9] أي: جـزاء ذنبهـا. وأصـل هـذا كلـه واحـد، لأن الأشياء كلها بأمر الله تعالى، فسميت الأشياء أموراً.

ثم قـال: {لِّتَعْلَمُـواْ أَنَّ اللـه على كُـلّ شَـئ قَـدِيرٌ} يعـني: يمكنكم أن تعلموا أن الله على كل شيء قدير. {وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلّ شَئ عِلْمَا} يعني: أحاط علمـه بكـل شـيء.

وروى معمــر، عن قتــادة في قولــه: {سَــبْعَ سـموات *** وَمِنَ الارض مِثْلَهُنَّ} قال: في كـل سـماء، وفي كـل أرض من أرضه، وخلق من خلقـه وأمـر من أمـوره، وقضـاء من قضائه سبحانه وتعالى.

سورة التحريم

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (1) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2)}

قوله تعالى: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ}، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خلا في يوم لعائشة رضي الله عنها مع جاريته مارية القبطية، فوقعت حفصة على ذلك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تُعْلِمِي عَائِشَةَ» وحرم مارية على نفسه، فأخبرت حفصة عائشة بذلك، فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك، فطلق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة، فأمر الله تعالى رسوله بكفارة اليمين، لتحريم جاريته على نفسه، وأمره بأن يراجع حفصة، فقال له جبريل: راجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، ونزلت هذه الآية: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ} يعني: مارية {تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أزواجك} يعني: تطلب رضا زوجتك عائشة. {والله غَفُورٌ} فيما حرم على نفسه. ويقال: غفور لذنب حفصة. {رَّحِيمٌ} حيث لم يعاقبها.

{قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانكم} يعني: بيَّن الله لكم كفارة أيمانكم. ويقال: أوجب الله عليكم كفارة أيمانكم. وفي الآية وجه آخر؛ روى هشام بن عروة، عن أبية، عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلو والعسل، وكان إذا صلى العصر، دار على نسائه، فيدنو منهن؛ فدخل على حفصة،

فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عائشة عن ذلك، فقيل لها: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه. فقالت: أما والله لنحتالن. فذكرت ذلك لسودة، وقالت: إذا دخل فإنه سيدنو منك، فقولي له: أكلت المغافير؟ فإنه سيقول لك: لا. فقولي له: ما هذه الريح؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه إذا وجد منه الريح، فإنه سيقول لك: حفصة سقتني شربة عسل. فقولي له: جرست نحلة العُرْفُط يعني: أن تلك النحلة أكلت العرفط، وهو نبات به رائحة منكرة. وسأقول له ذلك، وقولي له أنت يا صفية. فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سودة، قالت سودة: لقد كدت أن أناديه وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا مني، قلت: أكلت المغافير؟ قال: لا، قالت: فما هذه الريح؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. قلت: جرست نحلة العرفط. فلما دخل على صفية، قالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة، قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي به.
وروى ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من شراب عند سودة من العسل، فدخل على عائشة، فقالت له: إني أجد منك ريحاً. ثم دخل على حفصة، فقالت: إني أجد منك ريحاً. قال: أراه من شراب شربته عند سودة، والله لا أشربه، فنزل: {عِلْمَا ياأيها النبى لِمَ تُحَرّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ}. ثم قال: {قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أيمانكم} يعني: أوجب عليكم كفارة أيمانكم. {والله مولاكم} يعني: ناصركم وحافظكم {وَهُوَ العليم} بما قالت حفصة لعائشة في أمر مارية. {الحكيم} حكم بكفارة اليمين.

تفسير الآيات رقم [3- 4]

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)}

ثم قال عز وجل: {وَإِذَ أَسَرَّ النبى} يعني: أخفى النبي {إلى بَعْضِ أزواجه حَدِيثاً} يعني: كلاماً. {فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ} يعني: أخبرت بذلك الخبر حفصة عائشة، {وَأَظْهَرَهُ الله عَلَيْهِ} يعني: أظهر الله قولها لرسوله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، فأخبرها ببعض ما أخبرت عائشة، ولم يخبرها عن الجميع، فذلك قوله: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ} يعني: سكت عن بعض. ومن هذا قيل: إن الكريم لا يبالغ في العتاب. قرأ الكسائي: {عَرَّفَ} بالتخفيف يعني: جازاها ببعضه، والباقون {عَرَّفَ} بالتشديد يعني: عرف حفصة. {فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ} يعني: لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الخبر حفصة، {قَالَتْ مَنْ أنبَأَكَ هذا} يعني: من أخبرك بهذا. {قَالَ نَبَّأَنِىَ} يعني: أخبرني {العليم الخبير}.

قوله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى الله} يعني: عائشة وحفصة، {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} يعني: مالت قلوبكما عن الحق. وذكر عن الفراء أنه قال: معناه إن لا تتوبا إلى الله، {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} عن الحق، ويقال: فيه مضمر، ومعناه: إن تتوبا إلى الله يقبل الله توبتكما، ويقال معناه إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما يعني: مالت إلى الحق. وروى الزهري، عن عبد الله بن عباس قال: كنت مع عمر رضي الله عنه حين حج، فلما كنا في بعض الطريق، نزل في موضع، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان قال

الله تعالى: {إِن تَتُوبَا إِلَى اللـه}؟ فقـال عمـر رضـي اللـه عنه واعجبا لك يا ابن عباس. قال الزهـري: كأنـه كـره مـا سأله عنه، ولم يكتمه. قال: هي حفصة وعائشة رضي الله عنهما ثم قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النسـاء، فلمـا قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نسـاؤهم فطفقن نسـاؤنا يتعلمن من نسائهم. فغضبت يومـاً على امـرأتي، فـإذا هي تراجعــني. فــأنكرت أن تراجعــني، فقــالت مــا تنكــر أن أراجعـك، فوالله إن أزواج النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم لتراجعنـه وتهجـره إحـداهن اليـوم إلى الليـل، فـدخل على حفصـة، فـذكرت لهـا، فقـالت: نعم. فقلت: قـد خـاب من فعل ذلك منكن وخسرت، أفتأمن إحداكن أن يغضـب اللـه عليها لغضب رسوله؟ لا تـراجعي رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم، ولا تسأليه شيئاً، واسأليني ما بدا لك.

قال: كان لي جار من الأنصـار يـأتيني بخـبر الـوحي، وأتـاه بمثل ذلك. قال: فأتاني يوماً فناداني، فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم. فقلت: ماذا؟ قال: طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، فقلت: خابت حفصة وخسرت. فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم؟ قـالت: لا أدري، هـو ذا معـتزلاً في هـذه المشربة.

فأتيته، فدخلت فسـلمت عليـه، فـإذا هـو متكئ على رمـل حصير. قد أثر في جنبه، فقلت: أطلقت نساءك يـا رسـول الله؟ قال: لا. فقلت: الله أكبر، لـو رأيتنـا يـا رسـول اللـه، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومــاً تغلبهم نســاؤهم، فطفــق نســاؤنا يتعلمن. فتبســم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً، حتى نزل: {عِلْمَـا ياأيهـا النـبى لِمَ تُحَـرّمُ مَـا أَحَلَّ الله لَكَ} إلى قولـه تعـالى: {إِن تَتُوبَـا إِلَى اللـه فَقَـدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}.

ثم قـال: {وَإِن تَظَـاهَرَا عَلَيْـهِ} يعـني: تعاونـا على أذاه ومعصيته، فيكون مثلكما كمثل امـرأة نـوح وامـرأة لـوط، تعملان عملاً تؤذيـان بـذلك رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم. قـرأ عاصـم، وحمـزة، والكسـائي {تظـاهر} بالتخفيف، وقرأ نافع وأبو عمرو بالتشديد، وكذلك ابن كثير وابن عامر في إحدى الروايتين، لأن أصله تتظـاهر. {عَلَيْـهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مولاه} يعني: وليه وناصره. {وَجِبْرِيلُ وصـالح الْمُؤْمِنِينَ} يعني: أبا بكـر وعمـر وعثمـان وعلي وأصـحابه رضي الله عنهم قال: حدثنا الفقيه ابن جعفـر قـال: حـدثنا أبو بكر أحمد بن حمدان قال: حدثنا أحمـد بن جريـر قـال: حدثنا سعيد بن هشام قال: حـدثنا هشـام بن عبـد الملـك، عن محمد بن أبان، عن عبـد اللـه بن عثمـان، عن عكرمـة في قوله: {وصالح الْمُؤْمِنِينَ} قال أبو بكـر، وعمـر رضـي الله عنهما قال عبد اللـه: فـذكرت ذلـك لسـعيد بن جبـير، قال: صدق عكرمة. ويقال: {صالح المؤمنين} يعني: خيـار أصـحابه. ثم قـال: {وَالْمَلَئِكَـةُ بَعْـدَ ذلـك ظَهِـيرٌ} يعـني: الملائكة أيضاً أنصار النبي صلى الله عليه وسلم بعـد ذلـك يعني: مع ذلك أعوان النبي صلى الله عليه وسلم.

تفسير الآيات رقم [5- 8]

{عَسَـى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَـهُ أَزْوَاجًـا خَيْـرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَـاتٍ عَابِـدَاتٍ سَـائِحَاتٍ ثَيِّبَـاتٍ وَأَبْكَارًا (5) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـوا قُـوا أَنْفُسَـكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَـارًا وَقُودُهَـا النَّاسُ وَالْحِجَـارَةُ عَلَيْهَـا مَلَائِكَـةٌ غِلَاظٌ شِـدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا يُـؤْمَرُونَ (6) يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (7) يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُـوا تُوبُـوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَـةً نَصُـوحًا عَسَـى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَـيِّئَاتِكُمْ وَيُـدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ يَـوْمَ لَا يُخْـزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُـوا مَعَـهُ

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـانِهِمْ يَقُولُـونَ رَبَّنَـا أَتْمِمْ لَنَـا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (8)}

ثم قـال: {عسـى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ}، فخـوفهن اللـه تعـالى بفراق النبي صلى الله عليه وسلم إياهن، وعسى من اللـه واجب {إِن طَلَّقَكُنَّ} عسى ربه {أَن يُبْدِلَـهُ أزواجـا}. قـرأ نـافع، وأبــو عمــرو {يُبْدِلَـهُ} بتشــديد الــدال، والبـاقون بالتخفيف ومعناهما واحد. يقال: بدَّل وأبـدل. {خَيْـراً مِّنكُنَّ مسلمات} يعني: مستسلمات لأمر النبي صلى اللـه عليـه وسلم. ويقال: يعني: معينات. ثم قال: {مؤمنـات} يعـني: مصـدقات في إيمـانهن، {قانتـات} يعـني: مطيعـات للـه تعالى ولرسوله صلى الله عليـه وسـلم، {تائبـات} يعـني: راجعات عن الذنوب، {عابدات} يعني: موحدات مطيعات، {سائحات} يعني: صائمات. وقال أهل اللغـة: إنمـا سـمي الصائم سائحاً، لأن الذي يسيح للعبادة لا زاد معـه، يمضـي نهاره لا يطعم شيئاً؛ ولذلك سمي الصائم سـائحاً، {ثيبـات وَأَبْكَاراً}. الثيبات: جمع الثيب؛ والأبكـار: جمـع البكـر. وهن العذارى. ويقال: هذا وعد من الله تعالى للنبي صـلى اللـه عليه وسلم بأن يزوجه في الجنة، والثيب: هي آسية امـرأة فرعون، والبكر: هي مـريم أم عيسـى عليـه السـلام وهي ابنة عمران تكون وليته في الجنة، ويجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله تعالى هاتين المرأتين محمـداً صـلى اللـه عليـه وسلم.

قوله تعـالى: {وَأَبْكَـاراً يأَيُّهَـا الـذين ءامَنُـواْ قُـواْ أَنفُسَـكُمْ} يعني: بعدوا أنفسكم عن النار بطاعة الله وطاعــة رسـوله صلى الله عليـه وسـلم. {وَأَهْلِيكُمْ} يعـني: أهليكم {نَـارًا} بتعليمهم ما ينجيهم منها. وقال قتادة: مروهم بطاعــة اللـه تعـالى، وانهـوهم عن معصـية اللـه. وقـال مجاهـد: يعـني: أوصوا أهليكم بتقوى الله؛ ويقال: أدبوهم وعلمـوهم خـيراً، تقوهم بذلك نـاراً {وَقُودُهَـا} يعـني: حطبهـا. والوقـود: مـا

توقـد بـه النـار يعـني: حطبهـا {النـاس} إذا صـاروا إليهـا وحطبهـا، {والحجـارة} قبـل أن يصـير النـاس إليهـا، وهي حجارة الكبريت.
ثم قـال: {عَلَيْهَـا مَلَئِكَـةٌ غِلاَظٌ شِـدَادٌ} يعـني: على النـار ملائكة موكلين غلاظ يعني: أقويـاء يعملـون بـأرجلهم، كمـا يعملـون بأيـديهم {لاَّ يَعْصُـونَ اللـه مَـا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ} يعني: ليسوا كأعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشـوة، ولكن يفعلون {مَا يُؤْمَرُونَ} يعني: لا يفعلون غير ما أمرهم اللـه تعالى.
ثم قال: {يُـؤْمَرُونَ يأَيُّهَـا الـذين كَفَـرُواْ لاَ تَعْتَـذِرُواْ اليـوم} يعني: يقول لهم الملائكة يـوم القيامـة حين يعتـذرون: {لاَ تَعْتَذِرُواْ اليوم} يعني: لا يقبل منكم العذر. {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: تعاقبون بمـا كنتم تعملـون في الـدنيا من المعاصي. ثم أمر المؤمنين بالتوبة عن الذنوب. فقال: {تَعْمَلُونَ يأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ تُوبُـواْ إِلَى اللـه تَوْبَـةً نَّصُـوحاً} يعني: صادقاً في توبته، ويقال: تنصحون لله فيهـا من غـير مداهنة.
وروى سماك بن حرب، عن النعمان بن بشـير قـال: سـئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن التوبة النصوح، فقال: هو الرجل يتوب من عمل السوء، ثم لا يعود إليه أبداً.
وروي، عن ابن عبـاس أنـه قـال: توبـة النصـوح: النـدم بالقلب، والاستغفار باللسـان، والإضـمار أن لا يعـود إليهـا.
قرأ نافع، وعاصم في إحدى الروايتين {تَوْبَةً نَّصُوحاً} بضم النون، والبـاقون بالنصـب. فمن قـرأ بالنصـب، فهـو صـفة التوبة يعني: توبة بالغة في النصح، كما يقال: رجـل صـبور وشكور. ومن قرأ بالضم، يعني: ينصـحوا بهـا نصـوحاً، كمـا يقال: نصحت له نصحاً ونصوحاً.
ثم قـال: {عسـى رَبُّكُمْ أَن يُكَفّـرَ عَنكُمْ سـيئاتكم} يعـني: يغفر لكم ما مضى من ذنوبكم إن تبتم. {وَيُـدْخِلَكُمْ جنـات

تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار يَوْمَ لاَ يُخْزِى الله النبى} صار اليوم نصاً لنزع الخافض {يعني}. يكفر عنكم في يـوم لا يخـزي الله النبي. قال الكلبي: يعني: لا يعذب الله النـبي، ويقـال: يوم لا يخزيه فيما أراد من الشفاعة. وغيره، وتم الكلام.

ثم قـال: {النـبى والـذين ءامَنُـواْ مَعَـهُ نُـورُهُمْ يسـعى بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ} يعـني: على الصـراط. وروى الحسـن، عن النـبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: «مِنَ المُـؤْمِنِينَ مَنْ نُـورُهُ أَبْعَـدُ مـا بَيْنَنَـا وَبَيْنَ عَـدنِ أبْيَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُـوُرُه لَا يُجَـاوِزُ قَدَمَيْهِ» فقال: {نُورُهُمْ يسعى بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ} يعـني: يضـيء بين أيديهم. {وبأيمانهم} يعني: عن أيمانهم وعن شمائلهم على وجه الإضـمار. {يَقُولُـونَ رَبَّنَـا أَتْمِمْ لَنَـا نُورَنَـا}، ذلـك حين طفئت أنـــوار المنـــافقين، أشـــفق المؤمنـــون على نورهم، ويتفكرون فيما مضى منهم من العذاب، فيقولـون: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَـا} يعـني: احفـظ علينـا نورنـا، {واغفـر لَنَا} ما مضـى من ذنوبنـا {إِنَّكَ على كُـلّ شَـئ قَـدِيرٌ} من إتمام النور والمغفرة.

تفسير الآيات رقم [9- 12]

{يَـا أَيُّهَـا النَّبِيُّ جَاهِـدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَاغْلُـظْ عَلَيْهِمْ وَمَـأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِـيرُ (9) ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَـا صَـالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَـا فَلَمْ يُغْنِيَـا عَنْهُمَـا مِنَ اللَّهِ شَـيْئًا وَقِيـلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُـوا امْـرَأَةَ فِرْعَـوْنَ إِذْ قَـالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْـدَكَ بَيْتًـا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَـوْنَ وَعَمَلِـهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ (11) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَـا فِيـهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَـانِتِينَ (12)}

قوله تعالى: {ياأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين} يعـني: جاهد الكفار بالسيف، وجاهد المنـافقين بـالقول والتهديـد.

{واغلــظ عَلَيْهِمْ} يعــني: اشــدد عليهم، يعــني: على كلا الفـريقين، يعـني: على الكفـار بالسـيف، وعلى المنـافقين باللســان. {وَمَــأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} يعــني: إن لم يرجعــوا ولم يتوبوا، فمرجعهم إلى جهنم، {وَبِئْسَ المصير} يعني: بئس القرار وبئس المرجع.
قوله تعالى: {ضَرَبَ اللـه مَثَلاً} يعـني: وصـف اللـه شـبهاً لكفار مكة، وذلك أنهم استهزؤوا وقالوا: إن محمـداً صـلى الله عليه وسلم يشـفع لنـا. فـبيّن اللـه تعـالى أن شـفاعته عليه السلام لا تنفع لكفار مكـة، كمـا لا تنفـع شـفاعة نـوح لامرأته. وشفاعة لوط لامرأته. وذلك قوله: {لِّلَّذِينَ كَفَـرُواْ امرأت نُوحٍ} واسمها واعلة، {ضَرَبَ الله} واسمها داهلـة. ويقال: فيه تخويف لأزواج النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، ليثبتن على دينه وطاعته.
ثم قال: {كَانَتَـا تَحْتَ عَبْـدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَـا صـالحين} يعـني: نوحاً ولوطاً عليهما السلام {فَخَانَتَاهُمَـا} يعـني: خالفتاهمـا في الدين. وروي عن ابن عباس أنـه قـال: مـا زنت امـرأة نبي قط، وما كانت خيانتهما إلا في الدين. فأما امرأة نــوح كانت تخبر الناس أنه مجنون، وأما امرأة لوط كـانت تــدل على الأضياف. وقال عكرمة: الخيانـة في كـل شـيء ليس في الـزنى. {فَلَمْ يُغْنِينَـا عَنْهُمَـا مِنَ اللـه شَـيْئاً} يعـني: لم يمنعهما صلاح زوجيهما مع كفرهمـا من اللـه شـيئاً، يعـني: من عـذاب اللـه شـيئاً. {وَقِيـلَ} لهمـا في الآخـرة: {ادخلا النار مَعَ الدخلين}، فكـذلك كفـار مكـة، وإن كـانوا أقربـاء النبي صلى الله عليه وسلم، لا ينفعهم صـلاح النـبي صـلى الله عليه وسلم. وكذلك أزواجه، إذا خالفنه.
ثم ضرب الله مثلاً للمؤمـنين، فقـال عـز وجـل: {وَضَـرَبَ اللــه مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءامَنُــواْ} يعــني: بيَّن اللــه شــبهاً وصــفة للمؤمـنين الـذين آمنـوا. {امـرأة فِرْعَـوْنَ}، فإنهـا كـانت صالحة، لم يضرها كفر فرعـون، فكـذلك من كـان مطيعـاً

لله لا يضره شر غيره؛ ويقال: هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، يعني: لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون، صبرت على إيذاء فرعون. {إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابن لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الجنة}؛ وذلك أن فرعون لما علم بإيمانها، فطلب منها أن ترجع، فأبت ولم ترجع عن إيمانها، فوتدها بأربعة أوتاد في يديها ورجليها، وربطها وجعل على صدرها حجر الرحى، وجعلها في الشمس. فأراها الله تعالى بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب، وضحكت، فقالوا عند ذلك: هي مجنونة تضحك، وهي في العذاب.

وروى أبو عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا ذرت، أي طلعت الشمس وارتفعت، أظلتها الملائكة بأجنحتها، وأريت مقعدها من الجنة.

وروى قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعٌ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ».

ثُمّ قال الله عز وجل: {رَبِّ ابن لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الجنة} يعني: ارزقني في الجنة. {وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ} يعني: من عذاب فرعون وظلمه. {وَنَجِّنِى مِنَ القوم الظالمين} يعني: من قوم فرعون، يعني: من تعييرهم وشماتتهم.

ثم قال عز وجل: {وَمَرْيَمَ ابنة عِمْرَانَ} يعني: واذكر مريم، ويقال: معناه: وضرب الله مثلاً مريم ابنة عمران وصبرها على إيذاء اليهود، {التى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} يعني: عفت نفسها عن الفواحش. {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} يعني: أرسلنا جبريل عليه السلام فنفخ في جيب درعها، وذلك قوله: {فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا} أي: في جيبها، أي

روحـــاً من أرواحنـــا، وهي روح عيســـى عليـــه الســـلام {وَصَدَّقَتْ بكلمات رَبَّهَا} أي: صدقت بعيسى عليه السـلام ويقــال: صــدقت بالبشــارات الــتي بشــرها بهــا جبريــل. {وَكُتُبِهِ} يعني: آمنت بكتاب اللـه تعـالى؛ وقـرأ أبـو عمـرو وعاصــم في روايــة حفص {وَكُتُبِــهِ} يعــني: الكتب الــتي أنزلت على الأنبياء، والباقون {***بكتابه} يعني: الإنجيــل. وقرأ بعضهم {وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَــة رَبُّهَــا} يعـني: صـار عيسـى مخلوقاً بكلمة الله، فصدقت بذلك. {وَكَانَتْ مِنَ القــانتين} يعني: المطيعين لله.

سورة الملك

تفسير الآيات رقم [1- 11]

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (5) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (6) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (7) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (8) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (9) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (11)}

قوله تعالى: {تَبَارَكَ الذى بِيَدِهِ الملك} يعني: تعالى وتعظم. وهذا قول ابن عباس وقيل: تفاعل من البركة. وقال الحسن: تبارك يعني: تقدس {الذى بِيَدِهِ الملك} يعني: الذي له الملك، كما قال: {لَّهُ مُلْكُ السموات والارض} ويقال: {الذى بِيَدِهِ الملك} يعني: الذي له القدرة ونفاذ الأمر. {وَهُوَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} يعني: في العز والذل، يعز من يشاء ويذل من يشاء.

ثم قال: {الذى خَلَقَ الموت والحياة} قال مقاتل: {خَلَقَ الموت} يعني: النطفة والعلقة والمضغة، وخلق الحياة يعني: خلق إنساناً، ونفخ فيه الروح، فصار حياً. وقال

الكلـبي: {خَلَـقَ المـوت} بمنزلـة كبش أملح، لا يمـر على شيء، ولا يجد ريحه شيء إلا مات {والحياة} شيء كهيئـة الفرس البلقاء الأنثى الـتي يـركب عليهـا جبريـل والأنبيـاء. وقال قتادة في قوله: {خَلَقَ المـوت والحيـاة} يعـني: أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حيـاة وفنـاء، وجعـل الآخرة دار جـزاء وبقـاء. ويقـال: {خَلَـقَ المـوت والحيـاة} يعني: قدر الحياة ثم قدر المـوت بعـد الحيـاة. {لِيَبْلُـوَكُمْ} يعـني: ليختـبركم مـا بين الحيـاة والمـوت. {أَيُّكُمْ أَحْسَـنُ عَمَلاً} في حياتـه، ويقـال: أيكم أكمـل عملاً وأخلص عملاً. ويقال: {خَلَقَ الموت والحياة} أي: خلق الحياة للامتحـان، وخلـق؛ المـوت للجـزاء كمـا قيـل: لـولا المحن لقـدمنا مفاليس، وذلك أن الله تعالى، خلق الجنة. وخلق لهـا أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً، وابتلاهم بالعمل والأمـر والنهي، فيسـتوجبون بفعلهم الثـواب والعقـاب. والابتلاء من اللـه تعالى، أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب.

ثم قـال: {وَهُـوَ العزيـز الغفـور} يعـني: العزيـز بالنقمـة للكافر، والغفـور لمن تـاب منهم. ثم قـال: {الـذي خَلَـقَ} يعـني: تبـارك الـذي خلـق {سَـبْعَ سـموات طِبَاقـاً} يعـني: مطبقاً بعضها فـوق بعض مثـل القبـة. {مَّا تـرى فِى خَلْـقِ الـرحمن مِن تفـاوت}. قـرأ حمـزة، والكسـائي: {مِن تفاوت} بغير ألف، والباقون بـالألف، وهمـا لغتـان. تفـاوت الشـيء وتفـوت، إذا اختلـف، يعـني: مـا تـرى في خلـق الـرحمن اختلافـاً واضـطراباً، ويقـال: مـا تـرى فيهـا من اعوجاج، ولكنه مستوي. ويقـال: معنـاه مـا تـرى في خلـق السموات من عيب. وأصله من الفوت أي يفـوت الشـيء، فيقع فيه الخلل، ولكنه متصل بعضها ببعض.

ثم أمر بـأن ينظـروا في خلقـه، ليعتـبروا بـه ويتفكـروا في قدرته، فقال عز وجل: {فـارجع البصـر} يعـني: رد البصـر إلى السماء. ويقال: قلب البصر في السماء، ويقال: اجتهد

بالنظر إلى السماء. {هَـلْ تـرى مِن فُطُـورٍ}؟ يعـني: هـل ترى فيها من شقوق؟ ويقال: هل ترى فروجاً أو صدوعاً أو خللاً؟ {ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ} يعني: انظر إليها وإنما أمـر بـالنظر إلى السـماء مـرتين، لأن الإنسـان إذا نظـر في الشيء مرة، لا يرى أثر عيبه ما لم ينظر فيه مـرة أخـرى؛ فأخبر الله تعالى أنه وإن نظر إلى السماء مـرتين، لا يـرى فيها عيباً، بل يتحير بالنظر إليها، فذلك قوله: {يَنقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا} يعني: يرجع البصر ذليلاً.

{وَهُوَ حَسِيرٌ} يعني: قد أعيا من قبل أن يرى في السـماء خللاً. وقال القتبي: {خَاسِئًا} أي مبعداً، {وَهُوَ حَسِيرٌ} أي: كليل منقطع عن أن يلحق ما نظر إليه قبل أن يـرى شـيئاً من الخلل.

ثم قال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السماء الدنيا بمصابيح} يعني: بالنجوم والكـواكب. {وجعلناهـا رُجُومـاً للشـياطين} يعـني: جعلنـا بعض النجوم رمياً للشياطين، إذا تصـدوا اسـتراق السـمع. {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ} يعني: للشياطين {عَـذَابِ السـعير} يعـني: الوقـود. {وَلِلَّذِينَ كَفَـرُواْ} يعـني: أعتـدنا للـذين جحـدوا {بِرَبِّهِمْ} يعني: بوحدانية الله تعالى {عَذَابَ جَهَنَّمَ}. قـرئ في الشاذ {عَذَابَ جَهَنَّمَ} بالنصب يعني: أعتدنا لهم عذاب جهنم، فيصـير نصـباً لوقـوع الفعـل عليـه، وقـراءة العامـة بالضم، على معنى خبر الابتداء. ثم قال: {وَبِئْسَ المصير} يعني: المرجع.

ثم قال: {إِذَا أُلْقُواْ فِيهَا} يعني: ألقوا الكفار في نار جهنم. {سَمِعُواْ لَهَا} يعني: سمعوا منهـا {شَـهيقًا} يعـني: صـوتاً كصوت الحمار. {وَهِىَ تَفُورُ} يعـني: تغلي كغلي المرجـل. {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ} يعني: تكاد تتفرق من غيظهـا على أعداء الله تعالى. {كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَـوْجٌ} يعـني: من النـار فـوج، يعـني: أمـة من الأمم. {سَـأَلَهُمْ خَزَنَتُهَـا أَلَمْ يَـأْتِكُمْ نَذِيرٌ} يعني: رسولاً يخبركم ويخوفكم؟ {قَالُواْ بلى} يعني:

يقولون: بلى {قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ} يعـني: الرسـول، {فَكَـذَّبْنَا} الرسـول، {وَقُلْنَـا}: إنكم لكـاذبون على اللـه تعـالى. {مَـا نَزَّلَ الله مِن شَئ} يعني: كتاباً ولا رسولاً. {إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضلالٍ كَبِيرٍ} يعني: قلنا لهم ما أنتم إلا في خطأ عظيم.

{وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِـلُ} يعـني: لـو كنـا نسـمع إلى الحـق {أَوْ نَعْقِـلُ} يعـني نـرغب في الهـدى ونتفكـر في الخلق. {مَا كُنَّا فِى أصحاب السـعير} يعـني: مـع أصـحاب الزقـوم في النـار. ويقـال: يعـني: مـا كنـا في أهـل النـار. {فاعترفوا بِذَنبِهِمْ} يعني: أقروا بشركهم {فَسُحْقًا} يعني: فبعـداً من رحمـة اللـه تعـالى {لاصـحاب السـعير} يعـني: الوقـود. وقـال الزجـاج: {فَسُـحْقًا} نصـب على المصـدر، فمعنــاه أسـحقهم اللــه ســحقاً، فباعــدهم من رحمتــه. والسحق: البعيد، كقوله: {في مكان سـحيق} [الحج: 31] أي: بعيد. قرأ الكسائي بضم السين والحـاء، وجـزم الحـاء والباقون بضم السين، وهما لغتـان معناهمـا واحـد. ثم بين حال المؤمنين.

تفسير الآيات رقم [12- 20]

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِـرَةٌ وَأَجْـرٌ كَبِـيرٌ (12) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّـدُورِ (13) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِـيرُ (14) هُـوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِـفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَـإِذَا هِيَ تَمُـورُ (16) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّـمَاءِ أَنْ يُرْسِـلَ عَلَيْكُمْ حَاصِـبًا فَسَـتَعْلَمُونَ كَيْـفَ نَـذِيرِ (17) وَلَقَـدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (18) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الـرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ بَصِـيرٌ (19) أَمْ مَنْ هَـذَا الَّذِي هُـوَ جُنْـدٌ لَكُمْ يَنْصُـرُكُمْ مِنْ دُونِ الـرَّحْمَنِ إِنِ الْكَـافِرُونَ إِلَّا فِي غُـرُورٍ (20)}

فقال عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} يعـني: يخـافون الله تعالى ويخافون عذابه، الذي هو {بالغيب}، فهو عذاب يوم القيامة. {لَهُم مَّغْفِرَةٌ} يعني: مغفرة لـذنوبهم {وَأَجْـرٌ كَبِـيرٌ} يعـني: ثوابـاً عظيمـاً في الجنـة ثم قـال: {وَأَسِـرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجهروا بِهِ}. اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخـبر يعني: إن أخفيتم كلامكم في أمر محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم أو جهرتم به. {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصـدور} يعـني: بمـا في القلوب من الخير والشر، وذلك أن جماعة من الكفـار كانوا يتشاورون فيما بينهم، فقال بعضهم لبعض: لا تجهروا بأصواتكم، فإن رب محمد يسمع فيخبره، قال اللـه تعـالى للنبي صلى الله عليه وسلم: قـل لهم يـا محمـد: {أَسَـرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجهروا بِهِ} فإنه يعلم به. ***
ثم أخـبر بمـا هـو أخفى من هـاتين الحـالتين، فقـال: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني: فكيـف لا يعلم قـول السـر. ثم قال عز وجل: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَـقَ} يعـني: ألا يعلم السـر، من خلق السـر يعـني: هـو خلـق السـر في قلـوب العبـاد، فكيــف لا يعلم بمــا في قلــوب العبــاد؟ ثم قــال: {وَهُــوَ اللطيف الخبير} يعني: لطف علمه بكل شيء، يعني: يرى أثر كل شيء بمـا في القلـوب من الخـير والشـر؛ ويقـال: {لَطِيفٌ} يرى أثر النملـة السـوداء على الصـخرة الصـماء في الليلـة الظلمـاء، {خَبِـيرٌ} يعـني: عـالم بأفعـال العبـاد وأقوالهم.
ثم ذكــر نعمــه على خلقــه، ليعرفــوا نعمتــه، فيشــكروه ويوحدوه، فقال: {هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض ذَلُولاً} يعـني: خلق لكم الأرض ذلـولاً، ومـدها وذللهـا؛ وجعلهـا لينـة، لكي تزرعوا فيها، وتنتفعوا منها بـألوان المنـافع، {فامشـوا فِى مَنَاكِبِهَا} يعني: لكي تمشوا في أطرافها ونواحيها وجبالهـا. وهــذا خــبر بلفــظ الأمــر؛ وقــال القتــبي: {فامشــوا فِى مَنَاكِبِهَـا} يعـني: جوانبهـا. ومنكبـا الرجـل: جانبـاه. وقـال

قتـادة: {مَنَاكِبِهَـا}: جبالهـا. قـال: وكـان لبشـر بن كعب سرية، فقال لها: إن أخبرتيني ما مناكب الأرض فأنت حرة لوجه الله؟ فقالت: مناكبها: جبالها، فصارت حرة. فأراد أن يتزوجها، فسأل أبو الدرداء، فقال له: دع ما يريبك إلى مـا لا يريبك.

ويقال: {هُوَ الذى جَعَلَ لَكُمُ الارض ذَلُـولاً}، أي سـهل لكم السلوك {فامشوا فِى مَنَاكِبِهَا}، أي: تمشون فيها. {وَكُلُواْ مِن رّزْقِهِ} يعني: تأكلون من رزق الله تعـالى وتشـكرونه. {وَإِلَيْـهِ النشـور} يعـني: إلى اللـه تبعثـون من قبـوركم. ويقـال: معنـاه: هـو الـذي ذلـل لكم الأرض، قـادر على أن يبعثكم، لأنه ذكر أولاً خلـق السـماء، ثم ذكـر خلـق الأرض، ثم ذكر النشور.

ثم خـــوفهم، فقـــال عـــز وجـــل: {ءامَنْتُمْ *** مَّن فِى السماء}؟ قال الكلـبي، ومقاتـل: يعـني: أمنتم عقوبـة من في السماء؟ يعني: الرب تعالى إن عصيتموه.

ويقال: هـذا على الاختصـار؛ ويقـال: أمنتم عقوبـة من هـو جـار حكمـه في السـماء. قـرأ أبـو عمـرو، ونـافع {أَمِنتُمْ} بالمد، والبـاقون بغـير مـد بهمـزتين، ومعناهمـا واحـد وهـو الاستفهام، والمراد به التوبيخ. وقرأ ابن كثير بهمزة واحدة بغير مد، على لفظ الخبر. {أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الارض} يعني: يغـور بكم الأرض، كمـا فعـل بقـارون. {فَـإِذَا هِىَ تَمُـورُ} يعني: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

{أَمْ أَمِنتُمْ مّن فِى السماء} يعني: عذاب من في السـماء. {أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصبا} يعني: حجـارة كمـا أرسـلنا إلى قوم لوط. وقال القتبي: «أم» على وجهين، مرة يـراد بهـا الاستفهام، كقوله: {أَمْ يَحْسُدُونَ الناس}، ومـرة يـراد بهـا أو، كقولــه: {أَمْ أَمِنتُمْ} ويعــني: أو أمنتم. وهــذا كقولــه: {أَفَـأَمِنتُمْ أَن يَخْسِـفَ بِكُمْ جَـانِبَ الـبر أَوْ يُرْسِـلَ عَلَيْكُمْ حَاصِـبًا ثُمَّ لاَ تَجِـدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً} [الإسـراء: 68]. ثم قـال:

{فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} يعني: تعبيري عليهم بالعذاب. ويقال: معناه سيظهر لكم كيف عذابي.

ثم قال: {وَلَقَدْ كَذَّبَ الذين مِن قَبْلِهِمْ} يعني: الأمم الخالية كذبوا رسلهم، {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}؟ يعني: كيف كانت عقوبتي إياهم وإنكاري لهم؟ ثم قال: {أَوَ لَمْ *** يَرَوْا إِلَى الطير}؟ يعني: أو لم يعتبروا في خلق الله تعالى كيف خلق الطيور؟ {فَوْقَهُمْ صافات} يعني: باسطات أجنحتها في الهواء. {وَيَقْبِضْنَ} يعني: ويضممن أجنحتهن ويضربن بها. {مَا يُمْسِكُهُنَّ} يعني: ما يحفظهن في الهواء عند القبض والبسط. {إِلاَّ الرحمن إِنَّهُ بِكُلّ شَئ بَصِيرٌ} يعني: عالماً بصلاح كل شيء.

▲ تفسير الآيات رقم [21- 30]

{أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (21) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (23) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (24) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (26) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (27) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (28) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (29) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)}

ثم قال عز وجل: {أَمَّنْ هذا الذى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ} يعني: حزب لكم ومنفعة لكم. {يَنصُرُكُمْ مّن دُونِ الرحمن} يعني: من عذاب الرحمن؛ ومعناه: هاتوا أخبروني من الذي يمنعكم من عذاب الله تعالى إن عصيتموه. {إِنِ

الكافرون إِلاَّ فِى غُرُورٍ} يعني: ما الكـافرون إلا في خـداع وأباطيل. ثم قال عـز وجـل: {أَمَّنْ هـذا الـذى يَـرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَـكَ رِزْقَـهُ} يعـني: من الـذي يـرزقكم إن حبس اللـه رزقه؟ وهذا كقوله: {ياأيها الناس اذكروا نِعْمَةَ اللـه عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خالق غَيْرُ الله يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السـمآء والارض لاَ إله إِلاَّ هُوَ فـأنى تُؤْفَكُـونَ} [فـاطر: 3]؟ ثم قـال: {بَـل لَّجُّواْ} يعني: تمادوا في الذنب. ويقال: تمادوا في الكفـر. ويقـال: بـل مضـوا {فِى عُتُـوّ} يعـني: في تكـبر {وَنُفُـورٍ} يعـني: تباعداً من الإيمان.

ثم قال عز وجل: {أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً على وَجْهِـهِ} يعـني: الكـافر يمشـي ضـالاً في الظلمـة أعمى القلب. {أهـدى} يعني: هو أصـوب دينـاً. {أَفَمَن يَمْشِـى سَـوِيّاً عَلَى صـراط مُّسْتَقِيمٍ} هو المؤمن يعمـل بطاعـة اللـه يعـني: على دين الإسلام. وقـال قتـادة: {أَفَمَن يَمْشِـى مُكِبّـاً على وَجْهِـهِ}، قال: هو الكافر عمل بمعصية الله، يحشره الله تعالى يوم القيامــة على وجهــه {أَمَّن يَمْشِــى سَــوِيّاً عَلَى صــراط مُّسْتَقِيمٍ}، هو المؤمن يعمل بطاعة الله تعالى، يسـلك بـه يوم القيامة طريق الجنة. وقال الزجـاج: أعلم اللـه تعـالى أن المؤمن يسلك الطريق المستقيم، وإن كان الكـافر في ضلال بمنزلة الذي يمشي مكبـاً على وجهـه. قـال مقاتـل: نزلت في شأن أبي جهل؛ وقال بعضهم: هو وجميع الكفار. ثم قال: {قُلْ هُـوَ الـذى أَنشَـأَكُمْ} يعـني: خلقكم {وَجَعَـلَ لَكُمُ السمع} لكي تسمعوا بهـا الحـق، {والابصـار} يعـني: لكي تبصروا، {والافئـدة} يعـني: القلـوب لكي تعقلـوا بهـا الهـدى. {قَلِيلاً مَّا تَشْـكُرُونَ} يعـني: شـكركم فيمـا صـنع إليكم قليلاً. ويقــال: معنــاه خلــق لكم السـمع والأبصــار والأفئدة آلة لطاعات ربكم، وقطعـاً لحجتكم، وقـدرة على ما أمركم؛ فاستعملتم الآلات في طاعة غيره ولم توحدوه.

ثم قال عز وجل: {قُلْ هُوَ الذى ذَرَأَكُمْ فِى الارض} يعـني: خلقكم. ويقـال: كـثركم في الأرض، وأنــزلكم في الأرض. {وَإِلَيْـهِ تُحْشَـرُونَ} يعـني: إليـه ترجعـون بعـد المـوت، فيجازيكم بأعمالكم.

قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ متى هذا الوعد إِن كُنتُمْ صـادقين} يعـني: البعث بعـد المـوت إن كنتم صـادقين أنَّا نبعث، خاطبوا به النبي صلى اللـه عليـه وسـلم بلفـظ الجماعـة. ويقال: أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. {قُلْ إِنَّمَا العلم عِندَ الله} يعـني: علم قيـام السـاعة عنـد اللـه. {وَإِنَّمَـا أَنَـاْ نَـذِيرٌ مُّبِينٌ} يعـني: مخـوف أخـوفكم بلغـة تعرفونها.

قوله تعـالى: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَـةً سِـيئَتْ} يعـني: لمـا رأوا العـذاب قريبـاً. ويقـال: لمـا رأوا القيامـة قريبـة وسـيئت {وُجُـوهِ الـذين كَفَـرُواْ} يعـني: ذللت، ويقـال: قبحت وسودت. وقال القتبي: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً} يعـني: لمـا رأوا ما وعدهم الله قريباً منهم؛ وقـال الزجـاج: {سـيئات} أي: تبيَّن فيها السوء في وجوه الذين كفروا. {وَقِيلَ هـذا الـذى كُنتُم بِـهِ تَـدَّعُونَ}، أي: تشـكون في الـدنيا قـرأ قتـادة، والضحاك، ويعقوب الحضرمي: {تَدْعُونَ} بالتخفيف يعني: تستعجلون، وتدعون إليه في قولكم: فأمطر علينـا حجـارة من السـماء، وقـراءة العامـة {تَـدْعُونَ} بالتشـديد يعـني: تكـذبون. ويقـال: من أجلـه {تَـدْعُونَ} الأباطيـل يعـني: تـدعون أنكم إذا متم وكنتم ترابـاً وعظامـاً، لا ترجعـون ولا تجازون. ويقال: {تَدْعُونَ} أي: تتمنون.

قولـه تعـالى: {قُـلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللـه وَمَن مَّعِىَ} يعني: إن عذبنا اللـه. {أَوْ رَحِمَنَـا} يعـني: غفـر لنـا. {فَمَن يُجِـيرُ الكـافرين} يعـني: من ينجيهم ويغيثهم {مِنْ عَـذَابٍ أَلِيمٍ} يعـني: أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـال لهم: «نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بالله، وَنَتَوَسَّلُ بِعِبَادَتِهِ إِلَيـهِ، لاَ نَـأْمَنُ عَذَابَـهُ

عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ مَعَ كُفْرِكُم بِهِ مِنْ عَذَابِهِ وَعُقُوبَتِهِ؟» فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟ {قُلْ هُوَ الرحمن ءامَنَّا بِهِ} يعني: قل هو الرحمن بفضله، إن شاء عذبنا، وإن شاء رحمنا. {وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} يعني: فوضنا إليه أمورنا. {فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضلال مُّبِينٍ} يعني: فستعرفون، عند نزول العذاب، من هو في خطأ بيِّن. قرأ الكسائي: {فَسَيَعْلَمُونَ} بالياء بلفظ الخبر، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة يعني: سوف تعلمون يا كفار مكة.

{قُلْ أَرَءيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً} يعني: إن صار ماؤكم غائراً، لا تناله الأيدي ولا الدلاء. {فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَاء مَّعِينٍ} يعني: بماء طاهر. والغور والغائر، يقال: ماء غور. ومياه غور وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع. وقال مجاهد: {بِمَاء مَّعِينٍ} يعني: جار. وروى عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني: الطاهر. وروى أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سُورَةٌ فِي القُرْآنِ ثَلاَثُونَ، شُفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ. {تبارك الذي بيده الملك»}.

وروى زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: يؤتى بالرجل في قبره من قبل رأسه، فيقول له: ليس لك علي من سبيل. قد كان يقرأ على سورة الملك، فيؤتى من قبل رجليه، فيقول: ليس لك علي سبيل. كان يقوم بسورة الملك، فيؤتى من قبل جوفه، فيقول: ليس لك علي سبيل. قد أوعاني سورة الملك، قال: وهي المنجية تنجي صاحبها من عذاب القبر. وروى ابن الزبير، عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ سورة {الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه} و{تَبَارَكَ الذى بِيَدِهِ الملك}؛ والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة القلم

تفسير الآيات رقم [1- 6]

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (1) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (2) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (3) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (5) بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ (6)}

قوله تبارك وتعالى: {ن والقلم}. قرأ الكسائي، ونافع، وعاصم في إحدى الروايتين بالإِدغام، والباقون بإظهار النون، وهما لغتان ومعناهما واحد. قال ابن عباس: هي السمكة التي تحت الأرضين. وروى الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس قال: أَوَّلُ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى مِنْ شَيْءٍ القَلَمَ فَقَالَ اكْتُبْ، قَالَ بِمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ القَدَرَ فَيَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى قِيامِ السَّاعَةِ. ثم خلق النون يعني: السمكة، فدحا الأرض عليها فارتفع بخار الماء، ففتق منه السموات، فاضطربت النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال. وإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة. وقال سعيد بن جبير، والحسن، وقتادة: النون: الدواة، وقال قتادة: الدواة والقلم: ما قام لله وبه لإصلاح عيش خلقه، والله يعلم ما يصلح خلقه. ويقال: النون: افتتاح اسم الله تعالى، وهو النون. ويقال: هو آخر اسمه من الرحمن، وهذا قسم أقسم الله تعالى بالنون والقلم، وجواب القسم {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ}، فذلك قوله: {نون}.

{والقلم وَمَا يَسْطُرُونَ} يكتُب الحفظة من أعمال بني آدم؛ ويقال: {وَمَا يَسْطُرُونَ} يعني: تكتب الحفظة في اللوح المحفوظ. {مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ} يعني: ما أنت بحمد الله تعالى بمجنون {وَمَا أَنت بِنِعْمَةِ رَبّكَ

بِمَجْنُونٍ} كما يزعمون، وذلك أن أول ما نـزل من القـرآن قوله تعالى: {اقرأ باسم رَبِّكَ الذى خَلَقَ} [العلـق: 1] إلى قولـه: {عَلَّمَ الإنسـانِ مَـا لَمْ يَعْلَمْ} [العلـق: 5] وعلمـه جبريل الصلاة، فقال أهل مكة: جن محمد صلى الله عليـه وسلم. وكان النبي يفر من الشاعر والمجنون. فلما نسبوه إلى الجنون، شق ذلك عليه، فـنزل: {مَـا أنتَ بِنِعْمَـةِ رَبّـكَ بِمَجْنُونٍ}. ويقال: بل أنت رسول الله تعالى.

ثم قال: {وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ} يعني: غـير مقطـوع، ويقال: غير محسـوب، ويقـال: لا يمن عليـك. {وَإِنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} يعني: على خلق حسن؛ وقال مقاتل: يعـني: على دين الإسلام، وقال عطيـة: يعـني: على آدب القـرآن.

ثم قال: {فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ} يعني: سترى ويرون ويقال فستعلم ويعلمـون {بِـأَيّكُمُ المفتـون} يعـني: إذا نـزل بهم العـذاب تعلمـون أيكم المفتـون، يعـني: بـأيكم المجنـون ويقـال البـاء زيـادة، ومعنـاه أيكم المفتـون يعـني أيكم المجنون، وقال قتـادة: يعـني: أيكم أولى بالسـلطة، وقـال أبو عبيدة: أيكم المجنون والباء زيادة، واحتج بقول القائل: نضرب بالسيف، ونرجو بالفرج يعني: نرجو الفرج.

▲ تفسير الآيات رقم [7- 16]

{إِنَّ رَبَّكَ هُـــوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَـــلَّ عَنْ سَـــبِيلِهِ وَهُـــوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَـدِينَ (7) فَلَا تُطِـعِ الْمُكَـذِّبِينَ (8) وَدُّوا لَـوْ تُـدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9) وَلَا تُطِـعْ كُـلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّـاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (14) إِذَا تُتْلَى عَلَيْـهِ آَيَاتُنَـا قَـالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (15) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (16)}

ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَـلَّ عَن سَـبِيلِهِ} يعـني: هــو عــالم بمن أخطــأ الطريــق عن دينــه {وَهُــوَ أَعْلَمُ بِالمهتدين} لدينـه. ثم قـال: {فَلاَ تُطِـعِ المكـذبين}، وذلـك أنهم كـانوا يدعونـه إلى دين آبائـه، فـأمره اللـه تعـالى أن

يثبت على دينه، فقـال: {لاَ تطعالمكـذبين} بوحدانيـة اللـه تعالى. {وَدُّواْ لَـوْ تُـدْهِنُ فَيُـدْهِنُونَ} قـال مجاهـد: ودوا لـو تركن إليهم، وتترك ما أنت عليه من الحق، فيميلون إليـك. وقال السدي: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُـرُونَ} وقـال القتـبي: ودوا لـو تـداهن في دينـك فيـداهنون في أديـانهم. وكـانوا أرادوا أن يعبدوا آلهتهم مدة، ويعبدون الله مدة.
ثم قال: {فَيُدْهِنُونَ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ} يعني: كـذاباً في دين اللــه والحلاف: مكثــار الحلــف، {مَّهِينٌ} ضـعيف فاجر. نزلت في الوليد بن المغيرة. وقال القتــبي: المهين: الحقير الدنيء، وقال الزجاج: وهو فعيل من المهانة، وهي القلة. ومعناه في هذا الموضع: القلة في الـرأي والتميـيز. ثم قال: {هَمَّازٍ} يعني: الوليد بن المغـيرة، طعّـان، لعّـان، مغتاب، {مَّشَّاء بِنَمِيمٍ} يعني: يمشي بين الناس بالنميمــة. وقال القتبي: {هَمَّازٍ} يعني: عياب ثم قال: {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْـرِ} يعني: بخيلاً لا ينتفع بماله لنفسه، وكان ينفـق أموالـه على غيره. ويقال: معناه: {مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ} يعـني: التوحيـد، ويمنـع الناس عن التوحيد. {مُعْتَدٍ} يعني: ظلومــاً لنفســه {أَثِيمٍ} يعني: فاجراً.
قولـه تعـالى: {عُتُـلٍ} يعـني: شـديد الخصـومة بالباطـل، ويقال: {عُتُلٍ} يعني: أكول شروب صـحيح الجسـم رحيب البطن. {بَعْدَ ذَلِكَ} يعني: مع ذلك {زَنِيمٍ} يعـني: ملصـق. وقال ابن عباس: الزنيم: الدعي الملصـق، ويسـتدل بقـول القائل
زَنِيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَة *** كَمَـا زِيـدَ فِي عَـرْضِ الأَدِيمِ الأَكَارِعُ
ويقال: الزنيم: الشديد الخلق. وروى شهر بن حوشب، عن عبد الـرحمن بن غنم، يرفعـه إلى النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَـوَّاظٌ وَلاَ جَعْظَـرِيٌّ وَلاَ العُتُـلُّ الزَّنِيمُ. قَالَ: أَمَّا الجَوَّاظُ، فَالَّذِي جَمَعَ وَمَنَـعَ وَتَـدْعُوهُ لَظَى

نَزَاعَـةً للشَّـوَى» أيْ الشَّـدِيدَ الخُلُـقِ رَحِيبَ الجَـوْفِ. وَأمَّا الجَعْظَرِيُّ، فَالفَظُّ. الغَلِيظُ. وَأمَّا العُتُلُّ الزَّنِيمُ، صَحِيحٌ أكُولٌ شَرُوبٌ ظَلُومٌ لِلنَّاسِ. وَيُقَالُ. الزَّنِيمُ: الدَّعِيُّ وذكر أنـه لمـا نزلت هذه الآية، قال لأمـه: إن محمـداً لصـادق، وأنـه قـال كذا وكذا، فأقرت والدته له بذلك.

ثم قال: {أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} يعني: فلا تطعه وإن كان ذا مال وبنين، يعـني: لا تطعـه بسـبب مالـه. ثم قـال: {إِذَا تتلى عَلَيْهِ ءاياتنا} يعني: القـرآن {قَـالَ أسـاطير الاولين} يعـني: كـذبهم وأبـاطيلهم. وقـال السـدي: يعـني: أسـاجيع الأولين. ثم قـــال: {سَنَسِـــمُهُ عَلَى الخرطـــوم} يعـــني: سنضربه على الوجه، ويقال: سنسود وجهـه يـوم القيامـة، ويقال: سنسمه على أنفه؛ وقال القتـبي: للعـرب في هـذا مذاهب، يقولون للرجال إذا سبه سبة قبيحة، أو يثني عليه فاحشة: قد وسم ميسم سوء، يريد أنـه ألصـق بـه عـاراً لا يفارقه، كما أن السمة لا يعفو أثرها. وقد وصف الله تعالى الوليـد بـالحلف، والمهانـة، والمشـي بالنميمـة، والبخـل، والظلم، والإثم، والدعوى، فـألحق بـه العـار لا يفارقـه في الدنيا والآخرة. قـال: والـذي يـدل على هـذا، مـا روي، عن الشـعبي في قولـه: {عُتُـلٍّ بَعْـدَ ذَلِـكَ زَنِيمٍ} يعـني: القتـل الشديد. والزنيم: له زنمة من الشر، يعرف بها كما تعـرف الشاة.

تفسير الآيات رقم [17- 33]

{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَـمُوا لَيَصْـرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (17) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (18) فَطَافَ عَلَيْهَا طَـائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَـائِمُونَ (19) فَأَصْـبَحَتْ كَالصَّـرِيمِ (20) فَتَنَـادَوْا مُصْبِحِينَ (21) أَنِ اغْـدُوا عَلَى حَـرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَـارِمِينَ (22) فَـانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَـافَتُونَ (23) أَنْ لَا يَـدْخُلَنَّهَا الْيَـوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَغَـدَوْا عَلَى حَـرْدٍ قَـادِرِينَ (25) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ

أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَـوْلَا تُسَـبِّحُونَ (28) قَـالُوا سُـبْحَانَ رَبِّنَـــا إِنَّا كُنَّا ظَـــالِمِينَ (29) فَأَقْبَـــلَ بَعْضُـــهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30) قَـالُوا يَـا وَيْلَنَـا إِنَّا كُنَّا طَـاغِينَ (31) عَسَـى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْـرًا مِنْهَـا إِنَّا إِلَى رَبِّنَـا رَاغِبُـونَ (32) كَـذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (33)}

ثم قـال: {إِنَّا بلونـاهم} يعـني: اختبرنـا أهـل مكـة بـترك الاستثناء؛ ويقال: ابتليناهم بالجوع والشدة. ثم قـال: {كَمَـا بَلَوْنَـا أصـحاب الجنـة} يعـني: أهـل ضـيروان، وهي قبيلـة باليمن. وروى أسباط، عن السدي قال: كـان قـوم بـاليمن وكــان أبــوهم رجلاً صــالحاً، وكــان إذا بلــغ ثمــاره فأتــاه المساكين، فلم يمنعهم من دخولها، وأن يـأكلوا منهـا، وأن يتزودوا فيها. فلما مات أبـوهم، قـال بنـوه بعضـهم لبعض: على ما نعطي أموالنا هؤلاء المساكين؟ فقالوا: فلنـدع من يصـرفها قبـل أن يعلم المسـاكين. ولم يسـتثنوا فـانطلقوا وهم يتخافتون، ويقول بعضـهم لبعض خفيـاً: أن لا يـدخلنها اليـوم عليكم مسـكين فـذلك قولـه: {إِذْ أَقْسَـمُواْ} يعـني: حلفوا فيمـا بينهم. {لَيَصْـرِمُنَّهَا مُصْـبِحِينَ} يعـني: ليُجـدنَّها وقت الصبح، أي: ليقطعنها قبل أن يخرج المسـاكين. {وَلاَ يَسْتَثْنُونَ} يعني: لم يقولوا: إن شاء الله تعالى.

وروي في الخبر: أن أباهم كـان إذا أراد أن يصـرم النخـل، اجتمع هناك مسـاكين كثـيرة. وقـد جعـل لـه علامـة، فكـل ثمــرة تسـقط وراء العلامـات، كـانت للمسـاكين. فكـانوا يأخذون الثمر قدر ما يتزودون به أيامـاً كثـيرة. فلمـا مـات الرجـل، قـال بنـوه فيمـا بينهم: إن أبانـا كـان عيالـه أقـل، وحاجتـه أقـل فصـار عيالنـا أكـثر. وحاجتنـا أكـثر فخرجـوا بالليل، كي لا يشعر بهم المسـاكين، فـاحترقت نخيلهم في تلك الليلة، فذلك قوله: {فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ} يعني: بعث الله تعالى ناراً على حديقتهم بالليل. والطائف: الذي أتــاك ليلاً فأحرقها وهم نائمون. {مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ

كالصريم} يعـني: صـارت الحديقـة كالليـل المظلم. وقـال القتبي: الصريم: من أسماء الأضداد. يسمى الليل صـريماً، والصـبح صـريماً، لأن الليـل ينصـرم عن النهـار، والنهـار ينصرم عن الليـل. ويقـال: الصـريم يعـني: ذهب مـا فيهـا، فكأنه صرم أي قطع وجز.

ثم قـال: {فَتَنَـادَوْاْ مُصْـبِحِينَ} يعـني: نـادى بعضـهم لبعض {أَنِ اغـدوا على حَـرْثِكُمْ} يعـني: اخرجـوا بالغـداة جـذوا زروعكم وصـرام نخيلكم. {إِن كُنتُمْ صـارمين} يعـني: إن أردتم أن تصـــرموها قبـــل أن يحضـــرها المســـاكين. {فـانطلقوا} يعـني: ذهبـوا إِلى نخيلهم، {وَهُمْ يتخـافتون} يعـني: يتشـاورون فيمـا بينهم بكلام خفي: {أَن لاَّ يَـدْخُلَنَّهَا اليوم عَلَيْكُمْ مّسْكِينٌ وَغَدَوْاْ على حَرْدٍ} قال مقاتل: يعـني: على جـــد في أنفســـهم. {قـــادرين} على جنتهم؛ وقـــال الزجـاج: معنـاه على قصـد، وقـال القتـبي: الحـرد المنـع، ويقال: الحرد القصـد قـادرين واجـدين؛ ويقـال: على قـوة ونشاط، ويقـال: على طريـق جنتهم، ويقـال: الحـرد اسـم تلك الجنة.

{فَلَمَّا رَأَوْهَا} يعني: أتوها ورأوها مسودة، أنكروها. {قَالُواْ إِنَّا لَضَالُّونَ} يعني: أخطأنـا الطريـق، وليسـت هـذه جنتنـا. فلما تفحصوا وعلموا أنها جنتهم وأنها عقوبـة لهم، فقـالوا: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} يعني: حُرِمْنا منفعتها.

{قَالَ أَوْسَطُهُمْ} يعـني: أعـدلهم وأعقلهم: {أَلَمْ أَقُـلْ لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَـبّحُونَ} يعـني: هلا تسـتثنون في أيمـانكم. ويقـال: كـان اسـتثناؤهم التسـبيح يعـني: لـولا قلتم سـبحان اللـه. فنـدموا على فعلهم. {قَـالُواْ سـبحان رَبّنَـا} يعـني: نزهـوه وعظموه تائبين عن ذنوبهم، ويقال: نسـتغفر ربنـا. {إِنَّا كُنَّا ظالمين} يعني: ضارين بأنفسنا بمنعنا المساكين.

{فَأَقْبَلَ بَعْضُـهُمْ على بَعْضٍ يتلاومـون} يعـني: جعـل يلـوم بعضهم بعضاً لصنيعهم ذلك، ثم {قَالُواْ} بأجمعهم: {قَــالُواْ

ياويلنا إِنَّا كُنَّا طاغِين} يعني: عاصِين بمنعنا المساكين. ثم قالوا: {عسى رَبُّنَا أن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا} يعني: يعوضنا خيراً منها في الجنة. {إِنَّا إلى رَبّنَا راغبون} يعني: راجين مما عنده. قال الله تعالى: {كَذَلِكَ العذاب} يعني: هكذا عذاب الدنيا لمن منع حق الله تعالى. {وَلَعَذَابُ الاخرة أَكْبَرُ} لمن لم يتب ولم يرجع عن ذنبه. ويقال: هكذا العذاب في الدنيا لأهل مكة بالجوع، ولعذاب الآخرة أعظم. {لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} يعني: لو كانوا يفقهون. ويقال: لو كانوا يصدقون، ثم ذكر ما للمتقين من الثواب.

تفسير الآيات رقم [34- 43]

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (37) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (38) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (39) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (40) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (41) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (42) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (43)}

فقال عز وجل: {إِنَّ لّلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبّهِمْ} يعني: في الآخرة {جنات النعيم}. فلما ذكر الله تعالى نعيم الجنة، قال عتبة بن ربيعة: إن كان كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم، فإن لنا في الآخرة أكثر ما للمسلمين، لأن فضلنا وشرفنا أكثر، فنزل: {أَفَنَجْعَلُ المسلمين كالمجرمين} يعني: لا يكون حال المسلمين في الهوان والذل كالمشركين. {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} يعني: وَيْحَكم كيف تقضون بالجَوْر؟ {أَمْ لَكُمْ كتاب فِيهِ تَدْرُسُونَ}؟ يعني: ألكم كتاب تقرؤون فيه؟ {إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ} يعني: في الكتاب مما تتمنون. {أَمْ لَكُمْ أيمان عَلَيْنَا بالغة}؟ يعني: ألكم عهد

عندنا وثيق؟ {إلى يَوْمِ القيامة}. يعني: في يوم القيامة. {إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ} يعني: ما تقضون لأنفسكم في الآخرة؟.

قوله تعالى: {سَلْهُمْ أَيُّهُم بذلك زَعِيمٌ} يعني: أيهم كفيل لهم بذلك؟ ثم قال: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء}؟ يعني: شهداء يشهدون أن الذي قالوا لهم حق. {فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُواْ صادقين} يعني: يشهدون أن لهم في الآخرة ما للمسلمين، فهذا كله لفظ الاستفهام، والمراد به الزجر واليأس، يعني: ليس لهم ذلك.

قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} يعني: اذكر ذلك اليوم. ويقال: معناه إن الثواب والعقاب. الذي ذكر، في يوم يكشف عن ساق. قال ابن عباس: يعني: يظهر قيام الساعة. وروى سفيان، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن ابن عباس قال: {عَن سَاقٍ} يعني: عن أمر عظيم، وقال مجاهد: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} عن بلاء عظيم، وقال قتادة: يكشف الأمر عن شدة الأمر.

{وَيُدْعَوْنَ إِلَى السجود فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد حدثنا ابن منيع: حدثنا هدبة حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة بن أبي موسى قال: حدثنا أبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُون فِي الدُّنْيَا، فَذَهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا، وَيَبْقَى أَهْلُ التَّوْحِيدِ فِيُقَالُ لَهُمْ: كِيْفَ بَقِيْتُمْ، وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبّاً كُنّا نَعْبُدُهُ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ نَرَهُ قَالَ أَوَ تَعْرِفُونَهُ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُمْ: وَكَيْفَ تَعْرِفُونَه وَلَمْ تَرَوْهُ؟ قَالُوا: لا شَبَهَ لَهُ. فَيُكْشفُ لَهُمُ الحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ إِلَى الله تَعَالَى، فَيَخرُّونَ لَهُ سُجّداً، وَيَبْقَى أَقْوَامٌ ظُهُورُهُمْ مِثْلَ صِيَاصِي البَقَرِ، فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ. فَيَقُولُ

الله تَعَالَى عِبَادِي ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، قَدْ جَعَلْتُ بَدَلَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ رَجُلاً مِنَ اليَهُودِ والنَّصَارَى فِي النَّارِ».
قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، أحدثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلفت له ثلاثة أيمان، فقال عمر: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا الحديث.
وقال القتبي: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} هذا من الاستعارة، فسمى الشدة ساقاً، لأن الرجل إذا وقع في الشدة، شمَّر عن ساقه، فاستعيرت في موضع الشدة. ويقال: يكشف ما كان خفياً. ويقال: يبدؤون عن أمر شديد، وهو عذاب عظيم يوم القيامة.
ثم قال عز وجل: {خاشعة أبصارهم} يعني: ذليلة أبصارهم، {تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} يعني: تغشاهم وتعلوهم كآبة وكشوف وسواد؛ وذلك أن المسلمين، إذا رفعوا رؤوسهم من السجود، صارت وجوههم بيضاء كالثلج. فلما نظر اليهود والنصارى والمنافقون، وهم عجزوا عن السجود، حزنوا واغتموا فسودت وجوههم. ثم بَيَّنَ المعنى الذي عجزهم عن السجود، فقال: {وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السجود وَهُمْ سالمون} يعني: يدعون إلى السجود في الدنيا وهم أصحاء معافون، فلم يسجدوا.

▲ تفسير الآيات رقم [44- 52]

{فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (45) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (46) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (47) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (48) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (49) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (50) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (51) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (52)}

ثم قال عز وجل: {فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بهذا الحديث} يعني: دع هؤلاء الذين لا يؤمنون بالقرآن. ويقال: فوض أمرهم إليَّ، فإني قادر على أخذهم متى شئت. {سَنَسْتَدْرِجُهُم} يعني: سنأخذهم وسنأتيهم بالعذاب. {مّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ} يعني: نذيقهم من العذاب درجة، من حيث لا يعلمون أن العذاب نازل بهم. وأصله في اللغة من الارتقاء في الدرجة. وقال السدي: كلما جددوا معصية، جدد لهم نعمة وأنساهم شكرها، فذلك الاستدراج. {وَأَمْلِى لَهُمْ} يعني: أمهل لهم وأؤجل لهم إلى وقت. {إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} يعني: عقوبتي شديدة إذا نزلت بهم لا يقدرون على دفعها.

ثم قال: {أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً}؟ يعني: أتسألهم على الإيمان جملاً؟ {فَهُم مّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ} يعني: لأجل الغرم يمتنعون. وهذا يرجع إلى قوله: {أَمْ لَكُمْ كتاب فِيهِ تَدْرُسُونَ}. ثم قال: {أَمْ عِندَهُمُ الغيب}؟ يعني: اللوح المحفوظ. {فَهُمْ يَكْتُبُونَ} يعني: ما يقولون. ثم قال عز وجل: {فاصبر لِحُكْمِ رَبّكَ} يعني: على ما أمر ربك ولقضاء ربك. {وَلاَ تَكُن كصاحب الحوت} يعني: لا تكن في قلة الصبر والضجر مثل يونس عليه السلام {إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ} يعني: مكروباً في بطن الحوت، وقال الزجاج: {مَكْظُومٌ} أي مملوء غماً. {لَّوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مّن رَّبّهِ} يعني: لولا النعمة والرحمة التي أدركته من الله تعالى، {لَنُبِذَ بالعراء} يعني: لطرح بالصحراء. والصحراء هي الأرض التي لا يكون فيها نخل ولا شجر، يوارى فيها {وَهُوَ مَذْمُومٌ} يعني: يذم ويلام. ولكن كان رحمة من الله تعالى، حيث نبذ بالعراء وهو سقيم وليس بمذموم.

قولـه تعـالى: {فاجتبـاه رَبُّهُ} يعـني: اختـاره ربـه للنبـوة، {فَجَعَلَـهُ مِنَ الصـالحين} يعـني: من المرسـلين، كقولـه: {وَإِنَّ يُـونُسَ لَمِنَ المرسـلين}. ثم قـال عـز وجـل: {وَإِن يَكَادُ الذين كَفَـرُواْ} يعـني: أراد الـذين كفـروا. {لَيُزْلِقُونَـكَ بأبصـارهم} يعـني: ليرهقونـك بأبصـارهم إن قـدروا على ذلك. ويقال: معناه إذا قرأت القرآن، فينظرون إليك نظـراً شديداً بالعـداوة، يكـاد يزلقـك أي: بالعـداوة يسـقطك من شـدة النظـر. وذكـر عن الفـراء أنـه قـال: {لَيُزْلِقُونَـكَ بأبصارهم} يعني: يعتانونك يعني: يصيبونك بعيونهم. وذلـك أن رجلاً من العرب، كان إذا أراد أن يعتان شيئاً، يقبل على طريق الإبل إذا صـدرت عن المـاء، فيصـيب منهـا مـا أراد بعينه، فأرادوا أن يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم.

قال الكلبي: {لَيُزْلِقُونَكَ} يعني: ليصرعونك. {لَمَّا سَـمِعُواْ الذكر} يعني: قراءتك القرآن، {وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُـونٌ وَمَـا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لّلْعَالَمِينَ} يعني: ما هذا القـرآن إلاَّ عظـة للجن والإنس؛ ويقال: عز وشرف للعالمين. قرأ حمـزة، وعاصـم في روايـة أبي بكـر: {أَن كَـانَ ذَا مَـالٍ وَبَنِينَ} بهمـزتين، والباقون بهمزة واحدة، إلا ابن عامر، فإنه يقرأ {إِن كَـانَ} بالمـد. فمن قـرأ بهمـزتين، فـالألف الأولى للاسـتفهام، والثانية ألف إن. ومن قرأ بهمزة واحدة معناه: لأن كـان ذا مـال أي: لا تطعـه لمالـه وتحمـل لأن كـان ذا مـال. قـال: أسـاطير الأولين. قـرأ نـافع: {لَيُزْلِقُونَـكَ} بنصـب اليـاء، والباقون بالضم؛ وهما لغتان، ومعناهمـا واحـد؛ واللـه أعلم بالصواب.

▲ سورة الحاقة

▲ تفسير الآيات رقم [1- 10]

{الْحَاقَّةُ (1) مَـا الْحَاقَّةُ (2) وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا الْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَـادٌ فَـأُهْلِكُوا بِـرِيحٍ صَرْصَـرٍ عَاتِيَـةٍ (6) سَـخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَـةَ أَيَّامٍ حُسُـومًا فَتَـرَى الْقَـوْمَ فِيهَـا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَـازُ نَخْـلٍ خَاوِيَـةٍ (7) فَهَـلْ تَـرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (8) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَـاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10)}

قوله تعالى: {الحاقـة مَـا الحاقـة} وهـو اسـم من أسـماء القيامة، ومعناه القيامة ما القيامة؟ تعظيماً لأمرهـا. وقـال قتادة في قوله: {الحاقة} يعني: حقت لكل قوم أعمـالهم يعـني: حقت للمؤمـنين أعمـالهم وللكـافرين أعمـالهم من حق يحق، إذا صح. وذكر عن الفراء أنه قال: إنما قيـل لهـا الحاقـة، لأن فيهـا حـواق الأمـور. يقـال: لقـد حـق عليـك الشيء، أي وجب. ثم قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحاقة} يعـني: ما تدري أي يوم هو، تعظيماً لأمرها.

ثم وصـف القيامـة في قولـه: {فَـإِذَا نُفِخَ فِى الصـور}. ثم ذكـر من كـذب بالسـاعة والقيامـة، ومـا نـزل بهم، فقـال: {كَذَّبَتْ ثَمُـودُ وَعَـادٌ بالقارعـة} يعـني: كـذبت قـوم صـالح وقوم هود بالقيامة. وإنما سميت قارعة، لأنها تقرع قلـوب الخلق. ثم أخبر عن عقوبتهم في الدنيا، فقال: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَـأُهْلِكُواْ بالطاغيـة} يعـني: بطغيـانهم، ومعنـاه وطغيـانهم حملهم على التكـذيب، فـأهلكوا. ويقـال: أهلكـوا بالرجفـة الطاغية، كما قال في قصته {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَـةٍ} يعـني: عتت على خزانها، فـذلك قولـه: {وَأَمَّا عَـادٌ فَـأُهْلِكُواْ بِـرِيحٍ

صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} يعني: باردة يعني: شديدة البرد {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ} يعني: سلطها عليهم {سَبْعَ لَيَالٍ وثمانية أَيَّامٍ حُسُوماً} يعني: دائمة متتابعة. ويقال: {عَاتِيَةٍ} يعني: شديدة {حُسُوماً} يعني: كاملة دائمة لا يفتر عنهم. وقال القتبي: {حُسُوماً} أي: متتابعة. وأصله من حسم الداء، لأنه يكون مرة بعد مرة.

{فَتَرَى القوم فِيهَا صرعى} يعني: في الريح؛ ويقال: في الأيام؛ ويقال: في القرية. {صرعى} يعني: موتى؛ ويقال: هلكى؛ ويقال: قلعى

مطروحين. {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} يعني: منقلعة ساقطة. وروى شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال: ما أنزل الله تعالى قطرة من ماء إلا بمثقال، ولا شعرة من الريح إلا بمكيال، إلا يوم عاد ونوح. وأما الريح فعتت على خزائنها يوم عاد، فلم يكن لهم عليها سبيل. وأما الماء، طغى على خزانة يوم نوح، فلم يكن لهم عليه سبيلاً، كما قال الله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طغى الماء} [الحاقة: 11] الآية. ثم قال عز وجل: {فَهَلْ ترى لَهُم مّن بَاقِيَةٍ}؟ يعني: لم يبق أحداً منهم.

ثم قال عز وجل: {وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ}. قرأ أبو عمرو، والكسائي، ومن قبله بكسر القاف ونصب الباء الموحدة، يعني: ظهر فرعون وأتباعه وأشياعه؛ والباقون بنصب القاف وجزم الباء يعني: من تقدمه من عتاب الكفار. ثم قال: {والمؤتفكات بِالْخَاطِئَةِ} يعني: قريات قوم لوط، يعني: جاء فرعون وقوم لوط بالخاطئة يعني: بالشرك وبأعمالهم الخبيثة. {فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبّهِمْ} يعني: كذبوا رسلهم، {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً} يعني: عاقبهم الله عقوبة شديدة.

تفسير الآيات رقم [11- 17]

{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَـاءُ حَمَلْنَـاكُمْ فِي الْجَارِيَـةِ (11) لِنَجْعَلَهَـا لَكُمْ تَـذْكِرَةً وَتَعِيَهَـا أُذُنٌ وَاعِيَـةٌ (12) فَـإِذَا نُفِخَ فِي الصُّـورِ نَفْخَــةٌ وَاحِــدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَــالُ فَــدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّا لَمَّا طغى المـاء} يعـني: طغى على خزانة يـوم نـوح، كمـا روي عن ابن عبـاس. ويقـال: طغى الماء، أي ارتفع؛ ويقال في اللغة: طغى الشيء، إذا ارتفـع جداً. وقال قتادة: إنه طغى فوق كـل شـيء خمسـة عشـر ذراعاً. {حملنـاكم فِى الجاريـة} يعـني: السـفينة، ومعنـاه: حين غرق اللـه تعـالى قـوم نـوح، حملنـاكم يـا محمـد في السفينة في أصلاب آبائكم. {لِنَجْعَلَهَـا لَكُمْ تَـذْكِرَةً} يعـني: لنجعل هلاك قوم نوح لكم عبرة لتعتبروا بها. {وَتَعِيَهَــا أُذُنٌ واعية} يعني: يسمع هذا الخبر أذن سامعة، ويحفظها قلب حافظ على معنى الإضمار.

ثم رجــع إلى أول الســورة فقــال: {فَـإِذَا نُفِخَ فِى الصـور نَفْخَــةٌ واحــدة} يعــني: نفخ إســرافيل في الصــور نفخــة واحدة. ثم قـال: {وَحُمِلَتِ الارض والجبـال} يعـني: قلعت مـا على الأرض من نباتهـا وشـجرها، وحملت الجبـال عن أماكنها. {فَدُكَّتَا دَكَّةً واحـدة} يعـني: فضـربت على الأرض مرة واحدة؛ وهذا قول مقاتل، وقال الكلبي: يعـني: رفعت الأرض والجبال فزلزلتا زلزلـة واحـدة. ويقـال: فـدكتا دكـة واحدة أي: كسرتا كسرة واحدة. {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الواقعة} يعني: في ذلك اليوم قامت القيامـة. {وانشـقت السـماء} يعــني: انفــرجت الســماء بــنزول الملائكــة. {فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ} يعني: ضعيفة منشقة متمزقة من الخوف.

{والملــك على أَرْجَائِهَــا} يعــني: الملائكــة على نواحيهــا وأطرافها، يعني: صفوف الملائكة حـول العـرش {وَيَحْمِـلُ

عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ} يعني: فوق الخلائق. {يَوْمَئِذٍ ثمانية} يعني: ثمانية أجزاء من المقربين، لا يعلم كثرة عددهم إلا الله. وروى عطاء بن السائب، عن ميسرة في قوله: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانية} يعني: ثمانية من الملائكة، أرجلهم في تخوم الأرض السابعة وقال وهب بن منبه: أربعة من الملائكة يحملون العرش على أكتافهم، لكل واحد منهم أربعة وجوه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه إنسان. روى الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب في قوله تعالى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثمانية}.

▲ تفسير الآيات رقم [18- 37]

{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (18) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (35) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (36) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (37)}

ثم قال عز وجل: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ} أي: تساقون إلى الحساب والقصاص وقراءة الكتب؛ ويقال: {تُعْرَضُونَ} على الله تعالى، كقوله: {وَعُرِضُواْ على رَبِّكَ صَفَا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِدًا} [الكهف: 48] ثم قال: {لاَ تخفى مِنكُمْ خَافِيَةٌ}

يعني: لا يخفى على الله منكم ولا من أعمالكم شيء. قرأ حمـزة، والكسـائي {لاَ يخفى}، والبـاقون بالتـاء بلفـظ التأنيث، لأن لفظ خافية مـؤنث. ومن قـرأ باليـاء، انصـرف إلى المعـنى يعـني: لا يخفى منكم خـاف، والهـاء ألحقت للمبالغة.

ثم قـال عـز وجـل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابـه بِيَمِينِـهِ} يعـني: كتابـه الـذي عملـه، فـرأى فيـه الحسـنات فسـر بـذلك، {فَيَقُولُ} لأصحابه: {هَاؤُمُ} يعني: تعالوا {اقرؤا كتابيـه}. قال القتبي: {هَاؤُمُ} في اللغة بمنزلة خـذ وتنـاول؛ ويقـال للاثنين: هاؤما، وللجماعة هاؤموا. والأصـل هـاكم، فحـذفوا الكاف وأبدلوها همزة. وروى عبد الـرزاق، عن معمـر، عن قتـادة قـال: بلغـني أنهم يعرضـون ثلاث عرضـات. فأمـا عرضتان، فهما الخصومات والمعاذير. وأما الثالثة، فتطـاير الصحف في الأيدي. وروى عبد الله بن مسـعود نحـو هـذا. ثم قـال: {إِنّى ظَنَنتُ أَنِّى ملاق حِسَـابِيَهْ} يعـني: أيقنت وعلمت أني أحاسب. قـال اللـه تعـالى: {فَهُـوَ فِى عِيشَـةٍ رَّاضِيَةٍ} يعني: في عيش مرضي، {فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} يعـني: مرتفعـة. {قُطُوفُهَـا دَانِيَـةٌ} يعـني: اجتنـاء ثمارهـا قـريب، يعني: شجرها قريب يتناولـه القـائم والقاعـد، فيقـال لهم: {كُلُواْ واشربوا هَنِيئَاً} يعني: كلوا من ثمار الجنـة واشـربوا من شـرابها هينئـاً يعـني: طيبـاً بلا داء، ويقـال: حلال لا إثم فيه. {بِمَا أَسْلَفْتُمْ} يعني: بما عملتم وقـدمتم {فِى الايـام الخالية} يعني: في الدنيا. ويقال: بمـا عملتم من الأعمـال الصالحة في الأيام الماضية، يعني: في الدنيا.

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابـه بِشِـمَالِهِ} روي عن ابن عبـاس أنـه قـال: الآيـة الأولى نـزلت في أبي سـلمة بن عبـد الأسـد، وهذه الآية في الأسـود بن عبـد الأسـد، ويقـال: في جميـع المؤمـنين وفي جميـع الكفـار. {فَيَقُـولُ يـاليتنى لَمْ أُوتَ كتابيه} يعني: لم أعط كتابيه، {وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} يعني:

لم أعلم ما حسابي. قوله تعالى: {حِسَابِيَهْ ياليتها كَانَتِ القاضية}، يا ليتني تركت على الموتة الأولى بين النفختين، ويقال: {حِسَابِيَهْ ياليتها كَانَتِ القاضية} يعني: المنية. قال مقاتل: يتمنى الموت. {مَا أَغنى عَنّى مَالِيَهْ} يعني: ما أرى ينفعني مالي الذي جمعت في الدنيا. {هَلَكَ عَنّى سلطانيه} يعني: بطل عني عذرِي وحجتي.

يقول الله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ} يعني: بالأغلال الثّقال. {ثُمَّ الجحيم صَلُّوهُ} يعني: أدخلوه. {ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاْسْلُكُوهُ} يعني: أدخلوه في تلك السلسلة.

{إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بالله العظيم} يعني: لا يصدق بالله العظيم. {وَلاَ يَحُضُّ} يعني: لا يحث نفسه ولا غيره {على طَعَامِ المسكين} يعني: لا يطعم المسكين في الدنيا. {فَلَيْسَ لَهُ اليوم هاهنا حَمِيمٌ} يعني: قريب يمنع منه شيئاً، يعني: أحداً يمنع من العذاب. {وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ} يعني: ليس له فيها طعام إلا من غسلين. وروى عكرمة، عن ابن عباس قال: لا أدري ما الغسلين. وروي عنه أنه قال: الغسلين: ما يسقط عن عروقهم، وذاب من أجسادهم. وقال القتبي: هو فعلين من غسلت فكأنه غسالة. {لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخاطئون} يعني: المشركين. وروى عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً قرأ عنده: {لاَّ يَأْكُلِهُ إِلاَّ الخاطئون} وقال ابن عباس: كلنا نخطئ، ولكن {لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخاطئون} يعني: العاصين الكافرين.

تفسير الآيات رقم [38- 52]

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (42) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (43) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46)

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (48) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (49) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (50) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (51) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (52)}

ثم قال: {فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ} يعني: أقسم بما تبصرون من شيء ومن الخلق. {وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ} من الخلق. {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} يعني: هذا القرآن قول رسول كريم على الله تعالى يعني: جبريل، وهذا قول مقاتل. ويقال: قول رسول كريم، يعني: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم. قال أبو العالية: إنه يعني: القرآن، لقول: رسول كريم يقرأ عليك يا محمد. ويقال: معناه إن الذي ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن، ويقرؤه عليه جبريل الكريم على الله تعالى، ليس الشياطين كما يقولون؛ {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ} يعني: القرآن ليس هو بقول شاعر. {قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ} يعني: قليلاً ما تؤمنون. «وما» صلة. قرأ ابن كثير، وابن عامر في رواية هشام {قَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ} بالياء {الآيات لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} بالياء، والباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

ثم قال: {وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ} يعني: ليس بقول كاهن، ليس بقول شيطان أي: عراف كاذب. {قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} يعني: قليلاً ما تتعظون. ثم قال عز وجل: {تَنزِيلٌ مّن رَّبّ العالمين} يعني القرآن هو كلام رب العالمين أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاقاويل} يعني: أن محمد صلى الله عليه وسلم لو قال من ذات نفسه، {لاخَذْنَا مِنْهُ باليمين} يعني: لعاقبناه. فأعلم الله تعالى أنه لا محاباة لأحد، إذا عصاه بالقرآن، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم. ومعنى قوله: {باليمين} يعني: بالقوة. وقال القتبي: إنما قام اليمين

مقام القوة، لأن قوة كل شيء في يمينه. ولأهل اللغة في هـذا مـذاهب أخـر، وهـو قـولهم إذا أرادوا عقوبـة أحـد، فيقولون: خذ بيده، وافعل به كذا وكذا. قال الله تعالى: لو كذب علينا لأمرنا بالأخذ بيده ثم عاقبناه. ويقال: {لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاقاويل} معنـاه: لـو زاد حرفـاً واحـداً على مـا أوحيته إليه أو نقص، لعاقبته. وكان هو أكـرم النـاس عليَّ. وفي الآية تنبيـه لغـيره، لكيلا يغـيروا شـيئاً من كتـاب اللـه تعـالى، ولا يتقولـوا فيـه شـيئاً من ذات أنفسـهم. ويقـال: {باليمين} يعني: بالحق. ويقال: بالحجة. {ثُمَّ لَقَطَعْنَـا مِنْـهُ الـوتين} وهـو عـرق يتعلـق بـه القلب، إذا انقطـع مـات صاحبه، يعني: لأهلكناه.

{فَمَا مِنكُم مّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجزين} يعـني: ليس أحـد منكم يمنعنا من عذابه. {وَأَنَّهُ} يعني: القرآن {لَتَذْكِرَةٌ لّلْمُتَّقِينَ} يعني: عظة للذين يتقون الشـرك والفـواحش. {وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَـذّبِينَ} يعـني: وإنـا لنعلم أن منكم أيهـا المؤمنون مكذبون بالقرآن، يعني: المنافقين. ثم قـال عـز وجل: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الكافرين} يعني: إن هذا القرآن ندامة على الكفارين يوم القيامة، لأنه يقـال لهم: ألم يقـرأ عليكم القرآن؟ فيكون لهم حسرة وندامـة بـترك الإيمـان. {وَإِنَّهُ لَحَـقُّ اليقين} يعـني: إن تلـك الندامـة لحـق اليقين. ويقال: إن القرآن من الله تعالى حقاً يقيناً. {فَسَـبّحْ باسـم رَبّـكَ العظيم} يعـني: صـل للـه تعـالى. ويقـال: سـبحه باللسـان؛ واللـه تعـالى أعلم واللـه أعلم بالصـواب، وإليـه المرجع والمآب.

سورة المعارج

تفسير الآيات رقم [1- 14]

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (5) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (6) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (7) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (8) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (9) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (10) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14)}

قوله تعالى: {سَأَلَ سَائِلٌ}. قرأ نافع بغير همزة، والباقون بالهمزة. فمن قرأ بغير همزة، فهو من سال يسال يعني: جرى واد بعذاب الله تعالى. ومن قرأ بالهمزة، فهو من سأل يسأل بمعنى دعا داع. {بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، وهو النضر بن الحارث، فوقع به العذاب، فقتل يوم بدر في الدنيا. وقال مجاهد: دعا داع بعذاب يقع في الآخرة، وهو قولهم: إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء.

ويقال: {سَأَلَ سَائِلٌ} عن عذاب واقع والجواب: {للكافرين لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} يعني: أن ذلك العذاب من الله واقع للكافرين. {مِنَ الله} الذي هو {ذِي المعارج}. قال مقاتل: يعني: ذي الدرجات، يعني: السموات السبع. وقال القتبي: يعني: معارج الملائكة أي تصعد. {تَعْرُجُ الملئكة والروح إِلَيْهِ} يعني: جبريل. {فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} يعني: ذلك العذاب واقع في يوم القيامة، مقداره خمسين ألف سنة. ويقال: يعني: يعرج

جبريـل والملائكـة في يـوم واحـد كـان مقـداره لـو صـعد غيرهم خمسين ألف سنة. وقال محمد بن كعب: {فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} قال: هو يوم الفصـل بين الدنيا والآخرة.

ثم قال عز وجل: {فاصبر صَبْراً جَمِيلاً} يعني: اصبر صـبراً حسناً لا جزع فيه. ثم أخبر متى يقع العـذاب فقـال: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً} يعني: يوم القيامة غير كائن عنـدهم. {وَنَـرَاهُ قَرِيباً} لا خلف فيه. {يَوْمَ تَكُـونُ السـماء كالمهـل} يعـني: اليوم الذي تكون السماء كالمهـل أي: كـدردي الـزيت من الخوف. ويقال: ما أذيب من الفضـة أو النحـاس. {وَتَكُـونُ الجبال كالعهن} يعني: كالصوف المندوف. قـرأ الكسـائي: {يَعْرُجُ الملائكة} بالياء، والباقون بالتاء بلفظ التأنيث، لأنها جمع الملائكة. ومن قرأ بالياء، فلتقـديم الفعـل. وروي عن ابن كثير أنه قرأ: {وَلاَ يَسْئَلُ حَمِيمٌ} بضم اليـاء، والبـاقون بالنصب. ومن قرأ بالضم، فمعناه أنـه لا يسـأل قـريب عن ذي قرابته، لأن كل إنسان يعرف بعضهم بعضاً قوله تعالى {يُبَصَّرُونَهُمْ} يعني: يعرفونهم ملائكة الله تعالى. ومن قـرأ بالنصـب، معنـاه لا يسـأل قـريب عن قريبـه، لأنـه يعـرف بعضهم بعضاً {يُبَصَّرُونَهُمْ} يعـني: يعرفـونهم ويقـال: مـرة يعرفونهم، ويقال: ومرة لا يعرفونهم.

ثم قال عز وجل: {يَوَدُّ المجرم} أي: يتمـنى الكـافر. {لَـوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ} يعني: ينـادي نفسـه بولـده، {وصاحبته} يعني: وزوجته، {وَأَخِيهِ وَفَصِـيلَتِهِ الـتى تُوِيـهِ} يعني: عشيرته التي يأوى إليهم. وقال مجاهد: {وَفَصِيلَتِهِ} أي: قبيلته، هكـذا روي عن قتـادة. وقـال الضـحاك: يعـني: عشـيرته. {وَمَن فِى الارض جَمِيعـاً} يعـني: يفـادي نفسـه بجميع من في الأرض. {ثُمَّ يُنجِيهِ} يعني: ينجي نفسـه من العذاب.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 35]

{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (15) نَزَّاعَةً لِلشَّـوَى (16) تَـدْعُوا مَنْ أَدْبَـرَ وَتَوَلَّى (17) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (18) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًـا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًـا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَـلَاتِهِمْ دَائِمُـونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْـوَالِهِمْ حَـقٌّ مَعْلُـومٌ (24) لِلسَّـائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الـدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَـذَابِ رَبِّهِمْ مُشْـفِقُونَ (27) إِنَّ عَـذَابَ رَبِّهِمْ غَيْـرُ مَأْمُونٍ (28) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمَـانُهُمْ فَـإِنَّهُمْ غَيْـرُ مَلُـومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَـاتِهِمْ وَعَهْـدِهِمْ رَاعُـونَ (32) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَـهَادَاتِهِمْ قَـائِمُونَ (33) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَـلَاتِهِمْ يُحَـافِظُونَ (34) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (35)}

قال الله تعالى: {كَلاَّ} أي حقـاً لا ينجيـه، وإن فـادى جميـع الخلق، ولا يفادي نفسه وقال أهل اللغة: {كَلاَّ} ردع وتنبيه يعني: لا يكون كما تمـنى. ثم اسـتأنف الكلام، فقـال: {كَلاَّ إِنَّهَا لظى} يعني: النار والعقوبة {لظى} اسـم من أسـماء النـار. {نَزَّاعَـةً للشـوى} يعـني: قلاعـة للأعضـاء؛ ويقـال: حراقـة للأعضـاء والجسـد. وقـال القتـبي الشـوى: جلـود الرأس وأحدها شواة، ويعني: أن النار تنزع جلـود الـرأس. وعن أبي صـالح قـال: {نَزَّاعَـةً للشـوى} أطـراف اليـدين والـرجلين؛ وقـال مقاتـل: يعـني: تـنزع النـار الهامـة والأطراف. قـرأ عاصـم في روايـة حفص: {نَزَّاعَـةً} نصـباً على الحال، والباقون بالضم يعني: إنها نزاعة للشوى.

{تَـدْعُواْ مَنْ أَدْبَـرَ وتـولى} يعـني: لظى تـدعو إلى نفسـه، تنادي من أعرض عن التوحيد وأعرض عن الإيمان؛ ويقال: إن لظى تنـادي وتقـول: أيهـا الكـافر تعـال إلي، فـإن مسـتقرك فيّ. وتقـول: أيهـا المنـافق تعـال إلي، فـإن مستقرك فيّ. فذلك قولـه: {تَـدْعُواْ مَنْ أَدْبَـرَ وتـولى} ثم

قال: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى} يعني: جمع المال ومنع حق الله تعالى. قال مقاتل: {فَأَوْعَى} يعني: فأمسكه، فلم يؤد حق الله تعالى.

ثم قال: {إِنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعاً} يعني: حريصاً ضجوراً بخيلاً ممسكاً فخوراً، وقال القتبي: {هَلُوعاً} يعني: شديد الجزع. يقال: ناقة هلوع، إذا كانت شديدة النفس. {إِذَا مَسَّهُ الشر} يعني: الفقر. {جَزُوعاً} يعني: لا يصبر على الشدة. {وَإِذَا مَسَّهُ الخير مَنُوعاً} يعني: إذا أصابه الغنى يمنع حق الله تعالى. {إِلاَّ المصلين}، فإنهم ليسوا هكذا، وهم يؤدون حق الله تعالى. {الذين هُمْ على صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ} يعني: يحافظون على الصلوات. {والذين فِى أموالهم حَقٌّ مَّعْلُومٌ} يعني: معروفاً {لِّلسَّائِلِ والمحروم} يعني: للسائل الذي يسأل الناس، والمحروم الذي لا يشهد الغنيمة ولا يسهم له. وروى وكيع، عن سفيان، عن قيس، عن محمد بن الحسن قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية، ففتحت، فجاء آخرون بعد ذلك، فنزل {وَفِى أموالهم حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ والمحروم}. وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم.

ثم قال تعالى: {والذين يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدين} يعني: بيوم الحساب. {والذين هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ} يعني: خائفين. {إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} يعني: لم يأت لأحد الأمان من عذاب الله تعالى؛ ويقال: لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله تعالى. ثم قال: {والذين هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافظون إِلاَّ على أزواجهم أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانهم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابتغى وَرَاء ذلك فَأُوْلَئِكَ هُمُ العادون} وقد ذكرناه. {والذين هُمْ لاماناتهم وَعَهْدِهِمْ راعون} يعني: الأمانات التي فيما بينهم وبين الله تعالى، والعهد الذي بينهم وبين الله تعالى.

والأمانـات والعهـد الـتي بينهم وبين النـاس حـافظون. {وَالَّذِينَ هُمْ بشهاداتهم قَـائِمُونَ} يعـني: يـؤدون الشـهادة عند الحاكم، ولا يكتمونها إذا دعوا إليهـا، فيـؤدون الشـهادة على الوجه الذي علموها وحملوها. قـرأ عاصـم في روايـة حفص، وأبو عمرو في إحدى الروايتين {بشـهاداتهم} وهـو جمع الشهادة، والباقون {بشهادتهم} وهي شهادة واحـدة؛ وإنما تقع على الجنس. ثم قال: {قَـائِمُونَ وَالَّذِينَ هُمْ على صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ} يعني: يداومون عليها ويحافظون عليها في مواقيتها. {أُوْلَئِكَ فِى جنات مُّكْرَمُونَ} يعني: أهل هذه الصفة، في جنات مكرمون بثواب من الله تعـالى بـالتحف والهدايا.

تفسير الآيات رقم [36- 44]

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَـكَ مُهْطِعِينَ (36) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (37) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُـدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (38) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَـاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُـونَ (39) فَلَا أُقْسِـمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَـادِرُونَ (40) عَلَى أَنْ نُبَـدِّلَ خَيْـرًا مِنْهُمْ وَمَـا نَحْنُ بِمَسْـبُوقِينَ (41) فَـذَرْهُمْ يَخُوضُـوا وَيَلْعَبُـوا حَتَّى يُلَاقُـوا يَـوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَـدُونَ (42) يَـوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُـبٍ يُوفِضُـونَ (43) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَـرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِـكَ الْيَـوْمُ الَّذِي كَـانُوا يُوعَدُونَ (44)}

ثم قال تعالى: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} يعـني: حولك؛ ويقال: عنـدك نـاظرين. والمهطـع: المقبـل ببصـره على الشيء. كانوا ينظرون إليه نظرة عداوة يعـني: كفـار مكـة. وإنمـا قـولهم {مُهْطِعِينَ} نصـباً على الحـال. {عَنِ اليمين وَعَنِ الشمال عِزِينَ} يعـني: حلقـاً حلقـاً جلوسـاً لَا يدنون منه، فينتفعـون بمجلسـه. ويقـال: {عِـزِينَ} يعـني: متفـرقين. وروى تميم، عن طرفـة، عن جـابر بن سـمرة قال: دخل علينا رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ونحن

جلوس متفرقين، فقال: «مَا لِي أرَاكُمْ عِزِينَ؟» يعني: متفرقين {أَيَطْمَعُ كُلُّ امرئ مّنْهُمْ أن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ} يعني: يتمنى كل واحد منهم أن يدخل الجنة، كما يدخل المسلمون. قال الله تعالى: {كَلاَّ} يعني: لا يدخلون ما داموا على كفرهم.

ثم قال: {إِنَّا خلقناهم مّمَّا يَعْلَمُونَ} يعني: من النطفة؛ وقال الزجاج: معناه أنهم خلقوا من تراب، ثم من نطفة. فأي شيء لهم يدخلون به الجنة؟ ويقال: إنا خلقناهم مما يعلمون، فبماذا يتكبرون ويتجبرون؟ ثم قال عز وجل: {فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبّ المشارق} يعني: أقسم برب المشارق وقال في آية: {رَّبُّ المشرق والمغرب}. وإنما أراد به الناحية التي تطلع الشمس، والناحية التي تغرب الشمس منها. وقال في آية أخرى: {رَبُّ المشرقين} يعني: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ورب المغربين لذلك؛ وقال في هذا الموضع: {رَبّ المشارق} يعني: مشرق كل يوم؛ وهي ثمانون ومائة مشرق في الشتاء ومشرق مثلها في الصيف. {والمغارب} يعني: مغرب كل يوم. {إِنَّا لقادرون على أَن نُّبَدّلَ خَيْراً مّنْهُمْ} يعني: على أن نهلكهم ونخلق خلقاً خيراً منهم {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} يعني: عاجزين.

{فَذَرْهُمْ} يعني: اتركهم وأعرض عنهم. {يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ} يعني: حتى يخوضوا ويلعبوا في الباطل ويستهزئوا. {حتى يلاقوا يَوْمَهُمُ} يعني: يعاينوا يومهم {الذى يُوعَدُونَ}. قوله تعالى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث سِرَاعاً} يعني: في اليوم الذي يوعدون وفي اليوم الذي يخرجون من القبور سراعاً يعني: يسرعون إلى الصوت {كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} يعني: كأنهم إلى علم منصوب يمضون. قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص {إلى نُصُبٍ} بضم النون والصاد يعني: أصناماً لهم،

كقوله: {حُـرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الميتـة والـدم وَلَحْمُ الخـنزير وَمَـآ أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وَمَـآ أَكَـلَ السـبع إِلاَّ مَـا ذَكَّيْتُمْ وَمَـا ذُبِحَ عَلَى النصـب وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بالازلام ذلكم فِسْـقٌ اليـوم يَئِسَ الـذين كَفَـرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ واخشون اليـوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِـيتُ لَكُمُ الأسـلام دِينـاً فَمَنِ اضـطر فِى مَخْمَصَـةٍ غَيْـرَ مُتَجَـانِفٍ لإِثْمٍ فَـإِنَّ اللـه غَفُـورٌ رَّحِيمٌ} [المائـدة: 3]، والبـاقون {إِلَى نُصُـبٍ} يعـني: إلى علم يسـتبقون. وقـال أهـل اللغـة: الإيفـاض: الإسـراع. {خاشعة أبصارهم} يعني: ذليلة أبصارهم. {تَـرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} يعني: تغشـاهم مذلـة. ثم قـال: {ذَلِـكَ اليـوم الـذى كَـانُواْ يُوعَدُونَ} يعني: يوعدون فيـه العـذاب، وهم لـه منكـرون؛ وصلى الله على سيدنا محمد.

سورة نوح

تفسير الآيات رقم [1- 14]

{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (1) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (2) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (3) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (4) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (14)}

قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ} يعني: جعله الله رسولاً إلى قومه. {أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ} يعني: أن خوف قومك بالنار لكي يؤمنوا بالله. {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} يعني: الطوفان والغرق. {قَالَ} لهم نوح عليه السلام: {إلى قَوْمِهِ إِنَّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} يعني: قال نوح لقومه أنبئكم بلغة تعرفونها؟ {أَنِ اعبدوا الله} يعني: أنذركم وأقول لكم اعبدوا الله، يعني: وحدوا الله. {واتقوه} يعني: واخشوه واجتنبوا معاصيه. {وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم، {يَغْفِرْ لَكُمْ مّن ذُنُوبِكُمْ} يعني: ذنوبكم. و«من» صلة. {وَيُؤَخّرْكُمْ} يعني: يؤجلكم {إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى} يعني: إلى منتهى آجالكم. {إِنَّ أَجَلَ الله} يعني: إن عذاب

الله، {إِذَا جَاء لاَ يُؤَخَّرُ} يعني: لا يستطيع أن يــؤخره أحــد. {لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} يعني: لو كان لكم علم تنتفعون به.

قوله تعالى: {قَالَ رَبّ} يعني: دعا نوح بعد مـا كـذبوه في طول المدة، قال: رب يعني: يا رب، {إِنّى دَعَوْتُ قَـوْمِى} إلى التوحيــد {لَيْلاً وَنَهَــاراً} يعــني: في كــل وقت ســراً وعلانية. {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلاَّ فِرَاراً} يعني: إلى التوحيــد تباعداً من الإيمان. قال عـز وجـل: {وَإِنّى كُلَّمَـا دَعَـوْتُهُمْ} إلى التوحيــد، {لِتَغْفِــرَ لَهُمْ جَعَلُـواْ أَصــابعهم فِى ءاذانهم} يعــني: لا يســمعون دعــائي، {واستغشــوا ثِيَــابَهُمْ} يعــني: غطوا رؤوسهم بثيابهم لكي لا يسـمعوا كلامي. {وَأَصَـرُّواْ} يعني: أقاموا على الكفر والشرك، {واستكبروا اسـتكبارا} يعني: تكبروا عن الإيمان تكبراً.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنّى دَعَوْتُهُمْ جِهـارا} يعـني: دعـوتهم إلى الإيمان علانية من غير خفية، {ثُمَّ إِنّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ} يعــني: صــحت لهم، {وَأَسْــرَرْتُ لَهُمْ إِسْــرَاراً} يعــني: خلطت دعـاءهم بالعلانيـة بـدعائهم في السـر. {فَقُلْتُ اسـتغفروا رَبَّكُمْ} يعني: توبـوا وارجعـوا من ذنـوبكم، يعـني: الشـرك والفواحش. {إِنَّهُ كَـانَ غَفَّاراً} يعـني: غفـاراً لمن تـاب من الشـرك. {يُرْسِـلِ السـماء عَلَيْكُمْ مُّدْرَاراً} يعـني: المطـر دائماً كلما احتاجوا إليه. {وَيُمْـدِدْكُمْ بِـأموال وَبَنِينَ} يعـني: يعطيكم أمــوالاً وأولاداً، {وَيَجْعَــل لَّكُمْ جنــات} يعــني: البساتين، {وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً} يعني: في الجنات.

قولــه تعــالى: {مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُـونَ لِلَّهِ وَقَـاراً}؟ مـا لكم لا تخافون لله عظمة في التوحيد؟ وهو قول الكلبي ومقاتل؛ وقال قتادة: مالكم لا ترجون لله عاقبة؟ ويقال: مـا لكم لا ترجون عاقبة الإيمان؟ يعـني: في الجنـة. وروى سـعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما لكم لا تعلمون حق عظمتـه؟ وقال مجاهد: ما لكم لا ترجون لله عظمـة؟ {وَقَـدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً} يعني: خلقاً بعد خلق وحـالاً بعـد حـال، نطفـة، ثم

علقة، ثم مضغة. فمعناه: ما لكم لا توحـدون، وقـد خلقكم ضروباً؟ ويقال: أراد بـه اختلاف الأخلاق والمنطـق، ويقـال أراد به المناظرة.

تفسير الآيات رقم [15- 28]

{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (15) وَجَعَـلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (16) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (17) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَـا وَيُخْـرِجُكُمْ إِخْرَاجًـا (18) وَاللَّهُ جَعَـلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَـاطًا (19) لِتَسْـلُكُوا مِنْهَـا سُبُلًا فِجَاجًا (20) قَالَ نُـوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَـوْنِي وَاتَّبَعُـوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَـرُوا مَكْـرًا كُبَّارًا (22) وَقَـالُوا لَا تَـذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَـذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُـوَاعًا وَلَا يَغُـوثَ وَيَعُـوقَ وَنَسْـرًا (23) وَقَـدْ أَضَـلُّوا كَثِـيرًا وَلَا تَـزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَـلَالًا (24) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُـوا فَـأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِـدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَـارًا (25) وَقَـالَ نُـوحٌ رَبِّ لَا تَـذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَـافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ إِنْ تَـذَرْهُمْ يُضِـلُّوا عِبَـادَكَ وَلَا يَلِـدُوا إِلَّا فَـاجِرًا كَفَّارًا (27) رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَلِوَالِـدَيَّ وَلِمَنْ دَخَـلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًـا وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)}

ثم وعظهم ليعتبروا، فقال عز وجل: {أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْـفَ خَلَـقَ الله}؟ يعني: ألم تنظروا فتعتبروا، كيف خلـق اللـه تعـالى {سَبْعَ سموات طِبَاقاً}؟ يعني: مطبقـاً بعضـها فـوق بعض. {وَجَعَلَ القمـر فِيهِنَّ نُـوراً} يعـني: ضـياءً لبـني آدم. وإنمـا قال: {فِيهِنَّ} أراد به سماء الدنيا، لأنها إحـداهن. {وَجَعَـلَ الشمس سِرَاجاً} يعني: نوراً للخلق؛ ويقال: {جَعَلَ القمـر فِيهِنَّ نُـوراً} يعـني: في جميـع السـموات، لأن إحـداهن مضـيء لأهـل السـموات وظهـره لأهـل الأرض؛ ويقـال: {وَجَعَلَ القمر فِيهِنَّ نُوراً} يعني: معهن نوراً.

ثم قال عز وجـل: {واللـه أَنبَتَكُمْ مّنَ الارض نَبَاتـاً} يعـني: خلقكم في الأرض خلقاً. ويقـال: يعـني: خلقكم من الأرض

وهو آدم عليه السلام وأنتم من ذريته. {ثُمَّ يُعِيـدُكُمْ فِيهَـا} يعني: بعد المـوت. {وَيُخْـرِجُكُمْ إِخْرَاجـاً} يعـني: يخـرجكم من الأرض يـوم القيامـة قولـه تعـالى: {والله جَعَـلَ لَكُمُ الارض بِسَـاطاً} يعـني: فراشـاً، {لِّتَسْـلُكُواْ مِنْهَـا} يعـني: فتمضوا فيها وتأخذوا فيها {سُبُلاً فِجَاجاً} يعني: طرقــاً بين الجبال والرمال؛ ويقال: طرقاً واسعة.

قوله تعالى: {قَالَ نُـوحٌ رَّبّ إِنَّهُمْ عصـونى} فيمـا أمـرتهم من توحيد الله تعـالى، {واتبعـوا} يعـني: أطـاعوا {مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ} يعني: أطاعوا من لم يـزده مالـه يعـني: كـثرة أموالــه {وَوَلَــدُهُ إِلاَّ خَسَــاراً} أي: خســراناً في الآخــرة. {وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً} يعني: مكراً عظيمـاً؛ ويقـال: مكـروا مكـراً كبـيراً يعـني: قـالوا كلمـة الشـرك. والكبـير والكبـار بمعنى واحد. {وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءالِهَتَكُمْ} يعني: قال بعضهم لبعض: ويقال: قـال الرؤسـاء للسـفلة: لا تـذرن، يعـني: لا تتركوا عبادة آلهتكم. {وَلاَ تَـذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُـوَاعاً وَلاَ يَغُـوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً}، فهذه أسماء الأصنام الـتي كـانوا يعبـدونها يعني: لا تتركوا عبادة هذه الأصـنام قـرأ نـافع {وُدّاً} بضـم الواو، والباقون بالنصب، ومعناهما واحد. وهو اسم الصنم، وقال قتادة: هذه الآلهة كـان يعبـدها قـوم نـوح، ثم عبـدها العرب بعد ذلك. وقال القتـبي {الـود} صـنم، ومنـه كـانت العرب تسمى «عبد ود»، وكذلك تسمي «عبد يغوث».

ثم قال: {وَنَسْراً وَقَدْ أَضَـلُّواْ كَثِـيراً} يعـني: هـذه الأصـنام أضلوا كثيراً من الناس، يعني: ضلوا بهن كثيراً من النــاس، كقوله: {إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ} كثيراً من الناس. ثم قال: {وَلاَ تَـزِدِ الظالمين إِلاَّ ضَلاَلاً} يعني: خساراً وغبناً.

ثم قال عز وجل: {مّمَّا خطيئاتهم أُغْرِقُواْ} يعني: بشركهم بالله تعالى أغرقوا في الدنيا. {فَأُدْخِلُواْ نَـاراً} في الآخـرة. قـال مقاتـل: {بِمَـا خطيئـاتهم أُغْرِقُـواْ} بخطيـاتهم؛ وقـال القتــبي: (بمــا خطيــاتهم أغرقــوا) يعــني: من خطيئــاتهم

أغرقوا، والميم زيادة. ثم قال: {فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُمْ مّن دُونِ الله أَنصَاراً} يعني: أعواناً يمنعونهم من العذاب.

قرأ أبو عمرو {خطاياهم}، والباقون {خطيئاتهم} ومعناهما واحد، وهو جمع خطيئة.

قوله تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَّبّ لاَ تَذَرْ عَلَى الارض مِنَ الكافرين دَيَّاراً} يعني: لا تدع على ظهر الأرض من الكافرين دياراً، يعني: أحداً منهم؛ ويقال: أصله من الدار يعني: نازلاً بها، ويقال: في الدار أحد وما بها ديار؛ وأصله ديوار، فقلبت الواو ياء ثم شددت وأدغمت الياء في الياء. ثم قال عز وجل: {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ} يعني: إنك إن تتركهم ولم تهلكهم، يدعوا الموحدين إلى الكفر. {وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً} يعني: يكون منهم الأولاد، يكفرون ويفجرون بعد البلوغ؛ ويقال: يعني: ولا يلدوا إلا أن يكونوا فجاراً كفاراً. وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ».

ثم قال عز وجل: {رَّبّ اغفر لِى ولوالدى وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً} يعني: سفينتي وديني. وقال الكلبي: {وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً} يعني: مسجدي. {وَلِلْمُؤْمِنِينَ والمؤمنات وَلاَ تَزِدِ الظالمين إِلاَّ تَبَاراً} يعني: لا تزد الكافرين إلا هلاكاً، كقوله: {عَلَوْاْ تَتْبِيرًا}. وروى عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا قرأ القرآن في الليل، فمر بآية فيقول لي: يا عكرمة ذكرني عند هذه الآية غداً. فقرأ ذات ليلة هذه الآية، فقال: يا عكرمة، ذكرني غداً. فذكرته ذلك، فقال: إن نوحاً دعا بهلاك الكافرين، ودعا للمؤمنين بالمغفرة، وقد استجيب دعاؤه في المؤمنين، فيغفر الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات بدعائه، وبهلاك الكافرين فأهلكوا. وروي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نَجَاةُ المُؤْمِنِينَ فِي ثَلاَثَةِ أَشْيَاءٍ: بِدُعَاءِ

نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَبِـدُعَاءِ إِسْـحَاقَ عليـه السـلام وَبِشَـفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم» يعني: للمؤمنين والله أعلم.

سورة الجن

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (3) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4)}

قوله تعالى {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ} يعني: قل يا محمد أوحى الله إلي، وأخبرني الله تعالى في القرآن. {أَنَّهُ استمع نَفَرٌ مّنَ الجن}، وهم تسعة من أهل نصيبين، من أهل اليمن، من أشرافهم. والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم مع طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين السماء أي: بين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فقالوا: ما هذا إلا لشيء حدث؛ فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء. فوجدوا النفر الذين خرجوا نحو تهامة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة، وهو يصلي مع أصحابه صلاة الفجر، فاستمعوا منه، فقالوا: هذا والله الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم {فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءانَاً عَجَباً * يَهْدِى إِلَى الرشد}، فأنزل الله تعالى: {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ استمع نَفَرٌ مّنَ الجن} يعني: طائفة وجماعة من الجن، فقالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا} يعني: قالوا بعدما رجعوا إلى قومهم: {قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ} يعني: عزيزاً شريفاً كريماً، ويقال: عزيزاً لا يوجد مثله. {يَهْدِى إِلَى الرشد} يعني: يدعو إلى الهدى، وهو الإسلام. ويقال: إلى الصواب،

والتوحيد، والأمر والنهي. ويقال: يـدل على الحـق. {يَهْـدِى إِلَى} يعني: صدقنا بالقرآن. ويقال: آمنا بالله تعالى. {وَلَن نُّشرِكَ بِرَبّنَا أَحَداً} يعني: إبليس، يعني: لن نشرك بعبادتـه أحداً من خلقه.
ثم قال عز وجل: {وَأَنَّهُ تعالى جَدُّ رَبّنَا} أي: ارتفـع عظمـة ربنا؛ ويقال: ارتفع ذكـره، ويقـال: ارتفـع ملكـه وسـلطانه. {مَا اتخذ صاحبة وَلاَ وَلَداً} يعني: لم يتخـذ زوجـة ولا ولـداً، كمـا زعم الكفـار. واتفـق القـراء في قولـه: {أَنَّهُ اسـتمع نَفَـرٌ} على نصـب الألـف، لأن معنـاه قـل: أوحي إلي بأنـه استمع. واتفقوا في قوله: {إِنَّا سَمِعْنَا} على الكسـر، لأنـه على معنى الابتداء. واختلفوا فيما سوى ذلك. قـرأ حمـزة، والكسائي، وابن عامر كلها بالنصـب بنـاء على قولـه: {أَنَّهُ اسـتمع}، إلا في حـرفين أحـدهما {فَـأَنَّ لَـهُ نَـارَ جَهَنَّمَ} بالكسـر، والأخـرى قولـه: {فَإِنَّهُ يَسْـلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْـهِ} بالكسر على معنى الابتداء. وقرأ أبو عمرو، وابن كثير كلها بالكسر، إلا في أربعة أحرف: {قُلْ أُوحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ استمع}، {وَإِنَّ لُوطاً استقاموا}، {وَأَنَّ المسـاجد}، {وَأَنَّهُ لَّمَـا قَـامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ}. قرأ عاصم في رواية أبي بكر، ونافع في إحدى الروايتين هكذا، إلا في قوله وأنه لما قـام عبـد اللـه وإنما اختاروا الكسر لهـذه الأحـرف، بنـاء على قولـه: {إِنَّا سَمِعْنَا} وقال أبو عبيد: ما كان من قول الجن، فهو كسـر، ومعناه وقالوا: إنه تعالى وقالوا: {إِنَّهُ كَان يِقُولُ} وما كان محمولاً على قوله أوحى فهو نصب على معـنى أوحي إلي أنه ثم قال: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُـولُ سَـفِيهُنَا عَلَى اللـه شَـطَطاً} يعني: جاهلنـا يعـني: إبليس لعنـه اللـه ويقـال: {وَأَنَّهُ كَـانَ يَقُولُ سَـفِيهُنَا} يعـني: كفـرة الجن. {عَلَى اللـه شَـطَطاً} يعني: كذباً وجوراً من المقال.

▲ تفسير الآيات رقم [5- 17]

{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (5) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (7) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (10) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (12) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (13) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15) وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (17)}

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّا ظَنَنَّا} يعني: حسبنا {أَن لَّن تَقُولَ الإنس والجن عَلَى الله كَذِباً} يعني نتوهم أن أحداً لا يكذب على الله، وإلى هاهنا حكاية كلام الجن.

يقول الله تعالى: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مّنَ الإنس} يعني: في الجاهلية {يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مّنَ الجن}، وذلك أن الرجل إذا نزل في فضاء من الأرض، كان يقول أعوذ بسيد هذا الوادي، فيكون في أمانهم تلك الليلة. {فَزَادوهُمْ رَهَقاً} يعني: زادوا للجن عظمة وتكبروا، ويقولون: بلغ من سُؤْدُدنا أن الجن والإنس يطلبون منا الأمان، {وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ} يعني: كفار الجن حسبوا كما حسبتم يا أهل مكة، {أَن لَّن يَبْعَثَ الله أَحَداً} يعني: بعد الموت، يعني: إنهم كانوا غير مؤمنين، كما أنكم لا تؤمنون. ويقال: إنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً يعني: رسولاً. فقد أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم.

ثم رجــع إلى كلام الجن، فقــال: {وَأَنَّا لَمَسْنَــا السـَــماء} يعني: صعدنا وأتينا السـماء لاسـتراق السـمع. {فوجـدناها مُلِئَتْ حَرَساً شَـدِيداً} يعـني: حفاظـاً أقويـاء من الملائكـة. {وَشُهُباً} يعني: رُمينـا نجمـاً متوقـداً. {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُـدُ مِنْهَـا مقاعد لِلسَّمْعِ} يعني: كنا نقعد فيمـا مضـى للاسـتماع من الملائكة، ما يقولون فيما بينهم من الكوائن. {فَمَن يَسْتَمِعِ الان يَجِدْ لَهُ شِـهَاباً رَّصَـداً} يعـني: نجمـاً مضـيئاً. والرصـد: الذي أرصد للـرجم يعـني: النجم. وروى عبـد الـرزاق، عن معمــر قــال: قلت للزهــري: أكــان يــرمى بــالنجوم في الجاهلية؟ قـال: نعم. قلت: أفـرأيت قولـه: {فَمَن يَسْـتَمِعِ الان يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَـداً} قـال: غلـظ وشـدد أمرهـا حين بُعث النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم. قـال الجن بعضـهم لبعض: {وَأَنَّا لاَ نَدْرِى أَشَـرٌّ أُرِيـدَ بِمَن فِى الارض}؟ يعـني: يبعثــه فلم يؤمنــوا فيهلكــوا {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَــداً}؟ يعني: خيراً وصواباً، فيؤمنوا ويهتدوا. ويقال: لا ندري أخيراً أريـد بأهـل الأرض أو الشـرحين حرسـت السـماء، ورُمينـا بــالنجوم، وَمُنعنــا الســمع؟ ويقــال: أريــد عــذاباً بمن في الأرض، بإرسـال الرسـول بالتكـذيب لـه، أو أراد بهم ربهم خيراً ببيان الرسول لهم هدى وبياناً.

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّا مِنَّا الصـالحون} يعـني: الموحـدين والمسـلمين. {وَمِنَّا دُونَ ذَلِـكَ} يعـني: ليسـوا بموحـدين. {كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً} يعني: فينا أهواء مختلفـة وملـل شـتى. وقال القتبي: يعني: فرقاً مختلفـة، وكـل فرقـة قـدة مثـل القطعة في التقدير، والطرائق: جمع الطريق. قوله تعالى: {وَأَنَّا ظَنَنَّا} يعـني: علمنـا وأيقنـا {أَن لَّن نُّعْجِـزَ اللـه فِى الارض} يعني: لا يفوت أحد من الله تعـالى. {وَلَن نُّعْجِـزَهُ هَرَباً}، لا يقدر الهرب منه.

قال الله عز وجل: {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهدى} يعني: القــرآن يقـرؤه محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، {بِـهِ إِنَّهُ} يعـني:

صـدقنا بـالقرآن؛ ويقـال: بـالنبي صـلى اللـه عليـه وسـلم؛ ويقال: صدقنا بالله تعالى {فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ} قال بعضــهم هذا من كلام الله تعالى للنبي صلى الله عليـه وسـلم فمن يصـدق بوحدانيـة اللـه تعـالى، {فَلاَ يَخَـافُ بَخْسـاً} يعـني: نقصاناً من ثواب عمله، {وَلاَ رَهَقاً} يعني: ذهاب عمله.

وهذا كقولـه تعـالى {فَلاَ يَخَـافُ ظُلْمـاً وَلاَ هَضْـماً}. {وَمَن يَعْمَــلْ مِنَ الصــالحات وَهُــوَ مُــؤْمِنٌ فَلاَ يَخَـافُ ظُلْمــاً وَلاَ هَضْماً} [طه: 112] ويقال: هذا كلام الجن بعضـهم لبعض، {فَمَن يُـؤْمِن بِرَبّـهِ فَلاَ يَخَـافُ بَخْسـاً وَلاَ رَهَقـاً}. والرهـق: الظلم أن يجعل ثواب عمله لغـيره. والبخس النقصـان من ثواب عمله.

قولــه تعــالى: {وَأَنَّا مِنَّا المســلمون} يعــني: المصــدقين بوحدانية الله تعـالى، {وَمِنَّا القاسـطون} يعـني: العـادلين عن طريق الهدى؛ ويقال: {القاسطون} يعـني: الجـائرين. يقال: قسط الرجـل، إذا جـار. وأقسـط، إذا عـدل. كقولـه تعــالى: {إِنَّ اللـــه يُحِبُّ المقســطين}. ثم قــال: {فَمَنْ أَسْلَمَ} يعني: أقر بوحدانية الله تعالى وأخلص بالتوحيد له، {فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَداً} يعني: نوراً وتمنوا وقصدوا ثواباً.

ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا القاسـطون} يعـني: العـادلين عن الطريق، الجـائرين، {فَكَـانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبـاً} يعـني: وقـوداً قال الله تعالى: {وَإِنَّ لُوطاً *** استقاموا عَلَى الطريقة}. قال مقاتل: لو استقاموا على طريقة الهـدى، يعـني: أهـل مكـة، {لاسـقيناهم مَّاء غَـدَقاً} يعـني: كثـيراً من السـماء، كقوله: {وَلَوْ أَنَّ أَهْـلَ القـرى ءَامَنُـواْ واتقـوا لَفَتَحْنَـا عَلَيْهِمْ بركات مِّنَ السمآء والارض ولكن كَذَّبُواْ فأخذناهم بِمَا كَانُواْ يَكْسِـبُونَ} [الأعـراف: 96] ثم قـال عـز وجـل: {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} يعني: لنبتليهم بـه، كقولـه: {وَلَـوْلاَ أَن يَكُـونَ النـاس أُمَّةً واحدة لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُـرُ بـالرحمن لِبُيُـوتِهِمْ سُـقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف: 33] الآية. وقــال

قتادة: {وَإِنَّ لُوطاً *** استقاموا عَلَى الطريقة}، يعني: آمنوا لوسّع الله عليهم الرزق؛ وقال القتبي: هذا مثل ضربه الله تعالى للزيادة في أموالهم ومواشيهم، كقوله: {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ الناس} ثم قال: {وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبّهِ} يعني: توحيد ربه؛ ويقال: يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، {يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} يعني: يكلفه الصعود على جبل أملس. وقال مقاتل: {عَذَاباً صَعَداً} أي: شدة العذاب. وقال القتبي: يعني: شاقاً؛ وقال قتادة: صعوداً من عذاب الله تعالى، لا راحة فيه.

تفسير الآيات رقم [18- 28]

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (18) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (19) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (23) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (24) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (25) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)}

ثم قال عز وجل: {وَأَنَّ المساجد لِلَّهِ}. قال الحسن: يعني: الصلاة لله تعالى؛ وقال قتادة: كانت اليهود والنصارى يدخلون كنائسهم، ويشركون بالله تعالى. فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخلص الدعوة له إذا دخل المسجد. وقال القتبي: قوله: {وَأَنَّ المساجد لِلَّهِ} يعني: السجود لله. ويقال: هي المساجد بعينها يعني: بنيت المساجد، ليعبدوا الله تعالى فيها. {فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ الله

أَحَداً} يعني: لا تعبدوا أحـداً غـير اللـه تعـالى. قـرأ حمـزة، والكسـائي، وعاصـم {يَسْـلُكْهُ} باليـاء، والبـاقون بـالنون، وكلاهما يرجع إلى معنى واحـد. يقـال: سـلكت الخيـط في الإبرة وأسلكته، إذا أدخلته.
قوله عز وجل: {وَأَنَّهُ لَّمَـا قَـامَ عَبْـدُ اللـه} يعـني: محمـداً صلى الله عليـه وسـلم لمـا قـام إلى الصـلاة ببطن نخلـة. {يَدْعُوهُ} يعني: يصـلي للـه تعـالى، ويقـرأ كتابـه. {كَـادُواْ يَكُونُـونَ عَلَيْـهِ لِبَـداً} يعـني: يـركب بعضـهم بعضـاً، ويقـع بعضـهم على بعض. ثم قـال عـز وجـل: {قُـلْ إِنَّمَـا أَدْعُـو رَبّى}. قـرأ حمـزة، وعاصـم: {قُـلْ إِنَّمَـا أَدْعُـو رَبّى} على معنى الأمر، يعـني: قـل يـا محمـد إنمـا أدعـو ربي، يعـني: أعبـده. {وَلاَ أُشْـرِكُ بِـهِ أَحَـداً}. قـرأ البـاقون على معـنى الخبر عنهم. قرأ ابن عامر في رواية هشـام {عَلَيْـهِ لِبَـداً} بضـم اللام، والبـاقون بكسـرها ومعناهمـا واحـد. وقـال القتـبي: {يَكُونُـونَ عَلَيْـهِ لِبَـداً} أي: يتلبـدون بـه رغبـة في استماع القرآن. يقال: لبدت بـه، أي: لصـقت بـه، ومعنـاه: كادوا أن يلصقوا به.
قوله تعالى: {قُلْ إِنّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً} يعـني: لا أقدر لكم خـذلاناً ولا هدايـة. قولـه تعـالى: {قُـلْ إِنّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ الله أَحَـدٌ} يعـني: لن يمنعـني من عـذاب اللـه أحد إن عصيته، {وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَـداً} يعـني: ملجـأ ولا مفراً. {إِلاَّ بَلاَغاً مِّنَ الله ورسالاته} يعني: فـذلك الـذي يجيرني من عـذاب اللـه؛ ويقـال في الآيـة تقـديم، ومعنـاه قل: لا أملك لكم ضـراً إلا أن أبلغكم رسـالات ربي، يعـني: ليس بيـدي شـيء من الضـر والنفـع والهدايـة، إلا بتبليـغ الرسالة.
{وَمَن يَعْصِ اللـه وَرَسُـولَهُ} في التوحيـد، ولم يـؤمن بـه، {فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خالدين فِيهَا أَبَداً} أي: مقيمين في النار أبداً، يعني: دائماً. وقد تم الكلام. ثم قال عز وجـل: {حـتى

إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ} من العذاب يعـني: لمـا رأوا العـذاب، ويقال: معناه أمهلهم حـتى إذا رأوا مـا يوعـدون في الـدنيا وفي الآخرة، {فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُـوَ أَضْـعَفُ نَاصِـراً} يعـني: مانعاً من العذاب. {وَأَقَلُّ عَدَداً} يعني: رجالاً.
فقالوا: متى هذا العذاب الذي تعدنا يا محمد؟ فنزل: {قُـلْ إِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَـدُونَ} يعـني: مـا أدري أقـريب مـا توعدون من العذاب، {أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبّى أَمَداً}؟ يعني: أجلاً ينتهي إليه.
قوله تعالى: {عالِم الغيب} يعـني: هـو عـالم الغيب، {فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَـداً} يعـني: هـو الـذي يعلم وقت نـزول العذاب، ولا يطلع على غيبه أحداً من خلقـه. قولـه تعـالى: {إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ} يعني: إلا من اختار لرسـالته، فإنه يطلعه على ما يشاء من الغيب، ليكـون دلالـة لنبوتـه. {فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْـهِ وَمِنْ خَلْفِـهِ رَصَـداً} يعـني: من الملائكة بين يدي رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ومن خلفـه، ليحفظـوه من الشـياطين {لّيَعْلَمَ أَن قَـدْ أَبْلَغُـواْ رسالات رَبّهِمْ} يعني: ليعلموا الرسول أن الذي أنـزل إليـه من رسالات الله؛ وذلك أن الملائكة لو لم يرصـدوهم، لمـا يسـتمعوا حين يقـرأ جبريـل، ثم يفشـون ذلـك قبـل أن يخـبرهم الرسـول، فلا يكـون بينهم وبين الأنبيـاء فـرق، ولا يكون للأنبياء دلالة، ثم لا يقبل قولهم.
وروى أسباط، عن السدي في قولـه: {إِلاَّ مَنِ ارتضـى مِن رَّسُـولٍ فَإِنَّهُ يَسْـلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْـهِ وَمِنْ خَلْفِـهِ رَصَـداً} إذا بعث إليه تعالى نبياً، جعل معـه حفظـة من الملائكـة. فـإذا جاء الوحي من الله تعالى، قـالت الملائكـة: هـذا من اللـه. فإذا جاءه الشيطان، قالت الحفظة: هذا من الشيطان.
{لّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رسالات رَبّهِمْ} يعـني: ليعلم الجن أن الرسـل قـد أبلغـوا الرسـالة لأنهم تمـازحوا من اسـتراق السـمع. وقـال سـعيد بن جبـير: لم يجيء جبريـل قـط

بالقرآن، إلا ومعه أربعة من الحفظة. ثم قال عز وجل: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ} يعني: الله تعالى عالم بما عند الأنبياء؛ ويقال: عالِم بهم. {وأحصى كُلَّ شَئ عَدَداً} يعني: عدد الملائكة، وعلم نزول العذاب ووقته وغير ذلك؛ والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

73

سورة المزمل

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (6) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (7) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8)}

قوله تعالى: {عَدَداً يأَيُّهَا المزمل} يعني الملتف في ثيابه وأصله في اللغة المتزمل وهو الذي يتزمل في الثياب وكل من التف بثوبه فهو متزمل وقد تزمل فأدغمت التاء في التاء وشددت الزاي فقيل مزمل يعني النبي صلى الله عليه وسلم {قُمِ اليل} يعني قم الليل للصلاة {إِلاَّ قَلِيلاً} من الليل {نّصْفَهُ} يعني قم نصفه فاكتفى بذكر الفعل الأول من الثاني لأنه دليل عليه {أَوِ انقص مِنْهُ قَلِيلاً} يعني أو انقص من النصف قليلاً {أَوْ زِدْ عَلَيْهِ} يعني: زد على النصف يعني ما بين الثلث إلى الثلثين ثم قال: {وَرَتّلِ القرءان تَرْتِيلاً} يعني: توسل فيه وقال الحسن بينه إذا قرأته فلما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فنزلت الرخصة في آخر السورة، وقال مقاتل هذا قبل أن يفرض الصلوات الخمس، وقال الضحاك: {وَرَتّلِ القرءان

تَرْتِيلاً} قال: اقرأه حرفاً حرفاً وقـال مجاهـد: أحب النـاس إلى الله تعالى في القراءة أعقلهم عنـه قولـه تعـالى: {إِنَّا سَـنُلْقِى عَلَيْـكَ قَـوْلاً ثَقِيلاً} يعـني: سـننزل عليـك القـرآن بـالأمر والنهي يعـني: يثقـل لمـا فيـه من الأمـر والنهي والحدود وكان هذا في أول الأمر ثم سهل الله تعالى الأمر في قيام الليل، وقال قتادة في قولـه: {إِنَّا سَـنُلْقِى عَلَيْـكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} قال: يثقل الله فرائضه وحدوده. ويقال: يعـني: قيام الليـل ثقيـل على المجـرمين، ويقـال: ثقيـل على من خالفـه، ويقـال: ثقيـل في المـيزان خفيـف على اللسـان، ويقال: نزوله ثقيل كما قال: {لَوْ أَنزَلْنَا هـذا القـرءان على جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خاشعا مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْـيَةِ اللـه وَتِلْـكَ الامثـال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر: 21] الآيـة وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم كـان إذا أوحي إليـه وهـو على ناقتـه وضـعت حرائها وما تستطيع أن تتحرك حتى يسري عنه أي: يـذهب عنه ثم قال: {إِنَّ نَاشِـئَةَ اليـل هِىَ أَشَـدُّ} يعـني: سـاعات الليل أشد موافقة للقراءة وأسمع، ويقال هي أشد نشاطاً من النهـار إذا كـان الرجـل محتسـباً، ويقـال: هي أوفى لقلوبهم {وَطْأً وَأَقْـوَمُ قِيلاً} وأبين وأصـوب وأثبت قـراءة، وقال القتبي: ناشئة الليل يعني: ساعاته وهي مـأخوذة من نشأت أي: ابتداء شيئاً بعد شـيء فكأنـه قـال: إن سـاعات الليل الناشـئة فـاكتفى بالوصـف من الاسـم قولـه تعـالى: {أَشَدَّ} يعني: أثقل على المصلي من ساعات النهار فأخبر أن الثواب على قدر الشدة وأقوم قيلاً يعني: أخلص للقول وأسـمع لـه لأن الليـل تهـدأ فيـه الأصـوات وتنقطـع فيـه الحركات قرأ أبو عمرو وابن عامر أشد وطـأ بكسـر الـواو ومد الألف والباقون بنصب الواو بغير مد فمن قرأ بالكسر يعني: أشد وطأ أي: موافقة لقلة السمع يعني: أن القـرآن

في الليل يتواطأ فيه قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم يعني: أبلغ في القيام وأبين في القول.
ويقال: أغلظ على اللسان. قوله تعالى: {قِيلاً إِنَّ لَكَ فِى النهار سَبْحَاً طَوِيلاً} يعني: فراغاً طويلاً بقضاء حوائجك فيه ففرغ نفسك لصلاة الليل، وقال القتبي: سبحاً أي: تصرفاً إقبالاً وإدباراً بحوائجك وأشغالك قوله عز وجل: {واذكر اسم رَبّكَ} يعني اذكر توحيد ربك ويقال: فاذكر ربك.
ويقال: صل لربك {وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} يعني: أخلص إليه إخلاصاً في دعائك بعبادتك وهو قول مجاهد وقتادة ويقال: وتبتل إليه تبتيلاً يعني: انقطع إليه وأصل التبتل القطع قيل لمريم العذراء البتول لأنها انقطعت إلى الله تعالى في العبادة.

تفسير الآيات رقم [9- 19]

{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (9) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (11) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (12) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (13) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (14) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (15) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (16) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (17) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (18) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (19)}
ثم قال عز وجل: {رَّبُّ المشرق والمغرب} قرأ حمزة وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر رب المشرق بالكسر والباقون رب بالضم فمن قرأ بالكسر وتبعه قوله واذكر اسم ربك رب المشرق والمغرب ومن قرأ بالضم فهو على الابتداء ويقال: معناه: هو رب المشرق والمغرب. ثم قال: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} وقد ذكرناه

{فاتخذه وَكِيلاً} يعني: ولياً وحافظاً وناصراً وكفيلاً ثم قــال عز وجل: {واصبر على مَا يَقُولُونَ} يعني: على ما يقولون من التكــذيب والإذاء {واهجــرهم هَجْــراً جَمِيلاً} يعــني: اعتزلهم اعتزالاً حصناً بلا جزع ولا فحش ثم قــال: {وَذَرْنِى والمكذبين} هذا كلام على ما جرت به عــادات النــاس لأن اللــه تعــالى لا يحــول بينــه وبين إرادتــه أحــد ولكن معنــاه: فوض أمورهم إليَّ يعني: أمــور المكــذبين {أُوْلِى النعمــة} يعني ذا المال والغنى {وَمَهّلْهُمْ قَلِيلاً} يعني: أجلهم يسيراً لأن الدنيا كلها قليل يعني: إلى يوم القيامة ثم بين مــا لهم من العقوبة يوم القيامة فقال عز وجل: {إِنَّ لَــدَيْنَا أَنكَــالاً} يعني: قيوداً في الآخرة، ويقال: عقوبــة من ألــوان العــذاب {وَجَحِيمــاً} مــا عظم من النــار {وَطَعَامــاً ذَا غُصَّــةٍ وَعَــذَاباً أَلِيماً} يعني: ذا شــوك مستمســك في الحلــق لا يــدخل ولا يخرج فيبقى في الحلق ومع ذلك لهم عذاب أليم قول الله تعالى: {يَــوْمَ تَرْجُــفُ الارض} يــوم تتحــرك وتــتزلزل صــار اليوم منصوباً لنزع الخافض يعــني: هــذه العقوبــة في يــوم ترجف الأرض {والجبال وَكَانَتِ الجبال كَثِيبــاً مَّهِيلاً} يعــني: صارت الجبال رملاً سائلاً وهو كقوله: فكانت هباءً منبثــاً ثم قــال: {إِنَّا أَرْسَــلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُــولاً شــاهدا عَلَيْكُمْ} يعــني: محمداً صلى الله عليه وسلم يشهد عليكم بتبليــغ الرســالة {كَمَا أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً} يعني: موسى بن عمران {فعصى فِرْعَوْنُ الرسول} يعــني: كذبــه ولم يقبــل قولــه: {فأخذناه أَخْذاً وَبِيلاً} يعــني: عاقبنــاه عقوبــة شــديدة وهــو الغرق فهذا تهديد لهم يعــني: إنكم إن كــذبتموه فهــو قــادر على عقوبتكم قوله عز وجل: {فَكَيْفَ تَتَّقُــونَ إِن كَفَــرْتُمْ} يعني: توجدون في الآخرة إن كفرتم في الدنيا، ويقال فيــه تقديم ومعناه: إن كفرتم في الدنيا كيف تحذرون وتنجــون. {يَوْماً يَجْعَلُ الولدان شِيباً} يعــني: يــوم القيامــة من هيبتــه يشيب الصبيان وهذا على وجــه المثــل لأن يــوم القيامــة لا

يكون فيه ولدان ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي يشيب رأسه من الهيبة ويقال: هذا وقت الفزع قبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق ثم قال عز وجل: {السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ} يعني: انشقت السماء من هيبة الرحمن {كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً} يعني: كائناً في البعث ثم قال: {إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ} يعني: هذه الصورة موعظة {فَمَن شَاء اتخذ إلى رَبّهِ سَبِيلاً} يعني: من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك التوحيد إلى ربه مرجعاً فليفعل وقال أهل اللغة في قوله: السماء منفطر به ولم يقل منفطرة به فالتذكير على وجهين: أحدهما: أنه انصرف إلى المعنى ومعنى السماء السقف كقوله

{وَجَعَلْنَا السمآء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءاياتها مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 32]، والثاني: أن معناه السماء ذات الانفطار كما يقال امرأة مرضع أي: ذات رضاع على وجه النسب. ويقال: قوله السماء منفطر به يعني: فيه شيء في يوم القيامة، ويقال: يعني: بالله تعالى يعني: من هيبته قوله تعالى: {إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ} يعني: إن هذه الآيات التي ذكرت موعظة بليغة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً يعني: من شاء أن يرغب فليرغب فقد أمكن له لأنه أظهر الحجج والدلائل.

▲ تفسير الآية رقم [20]

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ

اللَّهِ هُوَ خَيْـرًا وَأَعْظَمَ أَجْـرًا وَاسْـتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ رَحِيمٌ (20)}

ثم قال عز وجـل: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُـومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ اليـل وَنِصْـفَهُ وَثُلُثَـهُ} قـرأ حمـزة والكسـائي وابن كثـير وعاصم ونصـفه وثلثـه كلاهمـا بالنصـب والبـاقون بالكسـر فمن قرأ بالنصب فهو على تفسـير الأدنى كمـا قـال: أدنى من ثلثي الليل وكان نصفه وثلثه تفسير لـذلك الأدنى ومن قرأ بالكسر فمعناه: أدنى من نصـفه وثلثـه وقـال الحسـن لما نزل قوله {قُمِ اليل إِلاَّ قَلِيلاً} فكان قيام الليل فريضـة فقام بها المؤمنون حولاً فأجهدهم ذلك ومـا كلهم قـام بهـا فأنزل الله تعـالى رخصـة {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُـومُ أدنى} إلى قوله: {عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ} فصار تطوعـاً ولا بـد من قيام الليل. فذلك قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنى مِن ثُلُثَيِ اليل وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ} {وَطَائِفَةٌ مّنَ الذين مَعَكَ} يعـني: وجماعة من المؤمـنين معـك تقومـون نصـف الليـل وثلثـه {واللـه يُقَـدّرُ اليـل والنهـار} يعـني: يعلم سـاعات الليـل والنهـار {عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُـوهُ} يعـني: أن لن تطيعـوه ولم تقـدروا أن تحفظـوا مـا فـرض اللـه عليكم على الـدوام ويقـال: معنـاه: لن تطيقـوا حفـظ سـاعات الليـل {فَتَـابَ عَلَيْكُمْ} يعـني: تجـاوز عنكم ورفـع عنكم وجـوب القيـام {فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القرءان} في صـلاة الليـل ويقـال: {فـاقرءوا مَـا تَيَسَّـرَ مِنَ القـرءان} في جميـع الصـلوات {عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مرضى} علم الله تعـالى أن منكم مرضـى لا يقـدرون على قيـام الليـل {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ} يعـني: يسـافرون في الأرض {يَبْتَغُـونَ مِن فَضْـلِ اللــه} يعني: في طلب المعيشة يطلبـون الـرزق من اللـه تعـالى وفي الآية دليل أن الكسب الحلال بمنزلة الجهاد لأنه جمـع مع الجهاد في سبيل الله، وروى إبـراهيم عن علقمـة قـال قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: «مَـا مِنْ جَـالِبٍ

يَجْلِبُ طَعَامَاً مِنْ بَلَدٍ إلَى بَلَدٍ فَيَبِيعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ إلاَّ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الله تَعَالَى مَنْزِلَةَ الشَّهِيدِ» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ فاقرءوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} يعني: من القرآن {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: الصلوات الخمس {وَإِذْ أَخَذْنَا} يعني: الزكاة المفروضة {وَأَقْرِضُواْ الله قَرْضاً حَسَناً} يعني: تصدقوا من أموالكم بنية خالصة من المال الحلال {وَمَا تُقَدّمُواْ لانْفُسِكُم مّنْ خَيْرٍ} يعني: ما تعملون من عمل من الأعمال الصالحة يعني: تتصدقون بنية خالصة {تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ} يعني: تجدوا ثوابه في الآخرة. {هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً} يعني: الصدقة خير من الإمساك وأعظم ثواباً من معاملتكم وتجارتكم في الدنيا، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه اتخذ له حيساً يعني: تمراً بلبن فجاءه مسكين فأخذه، ودفعه إليه فقال بعضهم: ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال عمر: لكن رب المسكين يدري ما هو فكأنه تأول قوله تعالى: {وَمَا تُقَدّمُواْ لانْفُسِكُم مّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً} ثم قال عز وجل: {واستغفروا الله} يعني: اطلبوا المغفرة لذنوبكم بالرجوع إلى الله تعالى {إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} يعني: لمن تاب رحيماً بعد التوبة والله أعلم بالصواب.

سورة المدثر

تفسير الآيات رقم [1- 10]

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (6) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (7) فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (9) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (10)}

قوله تعالى: {يأَيُّهَا المدثر} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم وقد تدثر بثوبه وأصله المتدثر بثيابه إذا نام فأدغمت التاء في الدال وشددت وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في حديثه:«فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوتاً مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا المَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحراء جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيَ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ فَخَشَيْتُ فَرَجِعْتُ إِلَى أَهْلِي فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَرُونِي فَنَزَلَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» {قُمْ فَأَنذِرْ} يعني: فخوف قومك وادعهم إلى التوحيد ويقال: {قُمْ فَأَنذِرْ} يعني: قم فصلِّ لله ويقال: {قُمْ فَأَنذِرْ} يعني: خوفهم بالعذاب إن لم يوحدوا يعني: ادعهم من الكفر إلى الإيمان ثم قال عز وجل: {وَرَبَّكَ فَكَبّرْ} يعني: فعظمه عما يقولون فيه عبدة الأوثان. ويقال: فكبر يعني: فكبر للصلاة ثم قال: {وَثِيَابَكَ فَطَهّرْ} يعني: طهر قلبك بالتوبة عن الذنوب والمعاصي وهذا قول قتادة وقال مقاتل: يعني: قلبك فطهر بالتوبة وكانت العرب تقول للرجل إذا أذنب دنس الثياب وقال الفراء: يعني: ثيابك فقصر. وقال الزجاج لأن تقصير الثوب أبعد من النجاسة وإن كان طويلاً لا يؤمن أن يصيبه

النجاسة ويقال: يعني: لا تقصر فتكون غـادراً دنس الثيـاب وقال مجاهد: وثيابك فطهـر يعـني: نفسـك فطهـر ويقـال: عملـك فـأخلص ويقـال: ظنـك فحسـن ثم قـال: {والرجـز فاهجر} يعني: المأثم فاترك ويقال: الرجـز فـاهجر يعـني: ارفض عبادة الأوثان قرأ عاصـم في روايـة حفص والرجـز بضـم الـزاء والبـاقون بكسـر الـزاء ومعناهمـا واحـد وهم الأوثان يعني: فارفض عبادة الأوثان ويقال: الرجز العــذاب كقوله تعالى: {فَبَدَّلَ الذين ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذي قِيـلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَـا عَلَى الـذين ظَلَمُـواْ رِجْـزًا مِّنَ السـمآء بِمَـا كَـانُواْ يَفْسُـقُونَ} [البقـرة: 59] ومعنـاه كـل شـيء يحـرك إلى عـذاب اللـه تعـالى فاتركـه ثم قـال عـز وجـل: {وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ} يعني: لا تعط شيئاً قليلاً تطلب بـه أكـثر وأفضـل في الدنيا وقال الحسـن ولا تمنن تسـتكثر يعـني: ولا تمنن بعملك على ربك تستكثره وقال مجاهد لا تعط مالك رجـاء فضل من الثواب في الدنيا وقال الضحاك لا تعط ولتعطى أكثر منه قوله تعالى: {وَلِرَبّكَ فاصـبر} يعـني: اصـبر على أمر ربك قـال إبـراهيم النخعي: اصـبر لعظمـة ربـك وقـال مقاتل: ولربك فاصبر يعـني: يعـزي نبيـه صـلى اللـه عليـه وسلم ليصبر على أذاهم ويقال: فاصـبر نفسـك في عبـادة ربك {فَإِذَا نُقِرَ فِى الناقور} يعني: اصـبر فعن قـريب ينفخ في الصور. {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَـوْمٌ عَسِـير عَلَى الكـافرين غَيْـرُ يَسِيرٍ} يعني: شديداً على الكافرين غير يسـير يعـني: غـير هين وفي الآية دليل أن ذلـك اليـوم يكـون على المؤمـنين هيناً وهذا كقوله تعالى: {الملك يَوْمَئِذٍ الحق للرحمن وَكَانَ يَوْمـاً عَلَى الكـافرين عَسِـيراً} [الفرقـان: 26] لأن الكفـار يقطع رجاؤهم في جميع الوجوه.

تفسير الآيات رقم [11- 31]

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَـالًا مَمْـدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَـعُ

أَنْ أَزِيــدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَـانَ لِآَيَاتِنَـا عَنِيــدًا (16) سَــأُرْهِقُهُ صَعُودًا (17) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَـدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَـدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَـرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَـرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَـالَ إِنْ هَـذَا إِلَّا سِـحْرٌ يُـؤْثَرُ (24) إِنْ هَـذَا إِلَّا قَـوْلُ الْبَشَـرِ (25) سَأُصْـلِيهِ سَـقَرَ (26) وَمَـا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَـةٌ لِلْبَشَـرِ (29) عَلَيْهَا تِسْـعَةَ عَشَـرَ (30) وَمَـا جَعَلْنَـا أَصْـحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَـا جَعَلْنَـا عِـدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَـةً لِلَّذِينَ كَفَـرُوا لِيَسْـتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ وَيَـزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُـوا إِيمَانًـا وَلَا يَرْتَـابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُـونَ وَلِيَقُـولَ الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلًا كَـذَلِكَ يُضِـلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُـودَ رَبِّكَ إِلَّا هُـوَ وَمَـا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)}

ثم قال: {ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً} يعني: اترك هذا الـذي خلقته وحيداً وفوض أمره إليَّ وهو الوليد بن المغيرة خلقه اللـه تعـالى وحيـداً بغـير مـال ولا ولـد {وَجَعَلْتُ لَـهُ مَـالاً مَّمْدُوداً} يعني: ورزقته مالاً كثيراً قال مجاهد كان له مائـة ألف دينار وكان بنوه عشرة وقال بعضهم: كان ماله أربعـة آلاف درهم ثم قــال عــز وجــل: {وَبَنِينَ شُـهُوداً} يعــني: حضوراً لا يغيبون عنه في التجارة ولا غيرهم وقال بعضهم: ذرني ومن خلقت وحيـداً يعــني: إنــه لم يكن من قــريش وكان ملصقاً بهم لأنه ذكر أن أباه المغيرة تبناه بعد ما أتت ثمانية أشهر ولم يكن منه كما قال الله تعـالى {عُتُـلٍّ بَعْـدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: 13] {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْـدُوداً} يعـني: غير منقطع عنه وبنين شهوداً لا يغيبـون عنـه ولا يحتـاجون إلى التصرف وكان له عشرة من البنين وهذا قول الكلــبي وغيره وقال مقاتل: سبع بنين {وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً} يعــني: بسـطت لـه في المـال والخـير بسـطاً ويقـال: أمهلت لـه إمهـالاً {ثُمَّ يَطْمَـعُ أَنْ أَزِيـدَ} يعـني: يطمـع أن أزيـد مالـه

ووله. وذلك أنه تفاخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي: مالاً ممدوداً ولي عشرة من البنين فلا يزال يزداد مالي وبني فنزل ثم يطمع أن أزيد يعني: أن أزيد وهو يعصيني {كَلاَّ} يعني: وهو رد عليه يعني: لا أزيد فما أزداد ماله بعد ذلك ولا ولده ولكن أخذ في النقصان فهلك عامة ماله وولده قوله تعالى: {إِنَّهُ كان لاياتنا عَنِيداً} يعني: مكذباً معرضاً عنها معانداً ثم قال عز وجل: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} يعني: يكلف في النار صعود جبل من صخرة ملساء في الباب الخامس تسمى سقر فإذا بلغ رأس العقبة دخل دخان في حلقة فيخرج من جوفه ما كان في جوفه من الأمعاء فإذا سقط في أسفل العقبة سقي من الحميم فإذا بلغ أعلاه انحط منه إلى أسفله من مسيرة سبعين سنة وقال مجاهد: {سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً} يعني: مشقة من العذاب وقال الزجاج: سأحمله على مشقة من العذاب ويقال: سأكلفه الصعود على عقبة شاقة والصعود والكؤود بمعنى واحد ثم ذكر خبث أفعاله الذي يستوجب به العقوبة فقال: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ} يعني: إنه فكر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقدر في أمره وقال ساحر يقول الله عز وجل: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} يعني: فلعن كقوله: {قُتِلَ الخراصون} [الذاريات: 10]. {ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة ليدبروا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: هذه أيام الموسم والناس مجتمعون وقد فشا قول هذا الرجل في الناس وهم سائلون عنه فماذا تجيبون وتردون عليهم فقالوا نقول إنه مجنون وقال بعضهم: إنهم يأتونه ويكلمونه فيجدونه فصيحاً عاقلاً فيكذبونكم فقالوا: نقول شاعر قال بعضهم: هم العرب وقد رأوا الشعراء وقوله: لا يشبه الشعر فيكذبونكم قالوا: نقول كاهن قال بعضهم: إنهم لقوا الكهان وإذا سمعوا قوله وهو يستثني في كلامه

المستقبل فيكذبونكم ففكر الوليد بن المغيرة ثم أدبر عنهم ثم رجع إليهم وقال: فكرت في أمره فإذا هو ساحر يفرق بين المرء وزوجه وأقربائه فاجتمع رأيهم على أن يقولوا: ساحر فقتل كيف قدر يعني: كيف قدر بمحمد صلى الله عليه وسلم بالسحر ثم قتل يعني لعن مرة أخرى أي: اللعنة على أثر اللعنة كيف قدر هذا التقدير الذي قال للكفرة إنه ساحر {ثُمَّ نَظَرَ} يعني: ثم نظر في أمر محمد صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ عَبَسَ} يعني: عبس وجهه أي: كلح وتغير لون وجهه وقال الزجاج: ثم عبس وجهه {وَبَسَرَ} أي: نظر بكراهة شديدة {ثُمَّ أَدْبَرَ} يعني أعرض عن الإيمان {واستكبر} يعني: تكبر عن الإيمان ثم قال: {إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} يعني: تأثره من صاحب اليمامة يعني: يرويه عن مسيلمة الكذاب ويقال: معناه: ما هذا الذي يقول: إلا سحر يرويه عن جابر ويسار ويقال عن أهل بابل: {إِنْ هذا إِلاَّ قَوْلُ البشر} يعني: ما هذا القرآن إلا قول الآدمي قال الله تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} يعني: سأدخله سقر قال مقاتل: يعني: الباب الخامس وقال الكلبي: هو اسم من أسماء النار {وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ} تعظيماً لأمرها ثم بين قال: {لاَ تُبْقِى وَلاَ تَذَرُ} يعني: لا تبقي لحماً إلا أكلته ولا تذرهم إذا أعيدوا فيها خلقاً جديداً، ويقال: لا تبقي ولا تذر يعني: لا تميت ولا تحيي، ويقال: لا تبقى اللحم ولا العظم ولا الجلد إلا أحرقته ولا تذر لحماً ولا عظماً ولا جلداً أي: تدعه محرقاً بل تجده خلقاً جديداً ثم قال عز وجل: {لَوَّاحَةٌ لّلْبَشَرِ} يعني: حراقة للأجساد شواهة للوجوه نزاعة للأعضاء وأصله في اللغة التسويد ويقال: لاحته الشمس إذا غيرته وذلك أن الشيء إذا كان فيه دسومة فإذا أحرق اسود ثم قال: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} يعني: على النار تسعة عشر من الملائكة مسلطون من

رؤساء الخزنة وأما الزبانية فلا يحصى عددهم كما قال في سياق الآية: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إِلاَّ هُوَ}.
وإنما أراد تسعة عشر ملكاً ومعهم ثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف ويخرج لهب النار من أفواههم فنزعت عنهم الرأفة غضاب على أهلها يدفع أحدهم سبعين ألفاً فلما نزلت هذه الآية قال الوليد بن المغيرة لعنه الله: أنا أكفيكم خمسة وكل ابن لي يكفي واحداً منهم وسائر أهل مكة يكفي أربعة منهم وقال رجل من المشركين وكان له قوة وأنا أكفيكموهم وحدي أدفع عشرة بمنكبي هذا وتسعة بمنكبي الأيسر فألقيهم في النار حتى يحترقوا وتجوزون حتى تدخلون الجنة فنزلت هذه الآية {وَمَا جَعَلْنَا أصحاب النار إلا مَلَئِكَةٌ} يعني: ما سلطنا أعوان النار إلا ملائكة زبانية غلاظ شداد لا يغلبهم أحد {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ} يعني: ما ذكرنا قلة عددهم وهم تسعة عشر {إِلاَّ فِتْنَةً لّلَّذِينَ كَفَرُواْ} يعني: بلية لهم {لِيَسْتَيْقِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب} وذلك أن أهل الكتاب وجدوا في كتابهم أن مالكاً رئيسهم وثمانية عشر من الرؤساء فبين لهم أنما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم يقوله: بالوحي {وَيَزْدَادَ الذين ءامَنُواْ إيمانا} يعني: تصديقاً وعلماً {وَلاَ يَرْتَابَ الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني: يعلموا أنه حق وعدتهم كذلك {والمؤمنون} أيضاً لا يشكون في ذلك {وَلِيَقُولَ الذين فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ} يعني: المنافقين {والكافرون} يعني: المشركين {مَاذَا أَرَادَ الله بهذا مَثَلاً} يعني: بذكر خزنة جهنم تسعة عشر يقول الله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ الله مَن يَشَاء} يعني: يخذله ولا يؤمن به أمناً له {وَيَهْدِى مَن يَشَاء} يعني: يوفقه لذلك {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إِلاَّ هُوَ} يعني: من يعلم قوة جنود ربك وكثرتها إلا هو يعني: الله تعالى ويقال: وما يعلم يعني: لا يعلم عدد جموع ربك إلا الله تعالى: {وَمَا هِىَ إِلاَّ ذكرى لِلْبَشَرِ} يعني: الدلائل

والحجج في القرآن ويقال: ما هي يعني: القرآن ويقال: وما هي يعني: سقر إلا ذكرى للبشر يعني: عظه للخلق ثم أقسم الله تعالى لأجل سقر.

▲ تفسير الآيات رقم [32- 56]

{كَلَّا وَالْقَمَرِ (32) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (33) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (34) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (35) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (36) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (37) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (49) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (50) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (51) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (52) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (53) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (55) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (56)}

فقال: {كَلاَّ} رداً عليهم {والقمر} يعني: وخالق القمر {والليل إِذْ أَدْبَرَ} يعني: ذهب أقسم بخالق الليل {والصبح إِذَا أَسْفَرَ} أقسم بخالق الصبح {إِنَّهَا لإِحْدَى الكبر} يعني: سقر إحدى الكبر العظام وباب من أبواب النار قرأ نافع وحمزة وعاصم في رواية حفص والليل إذ بغير ألف أدبر بالألف والباقون إذا بالألف دبر بغير ألف وهما لغتان ومعناهما واحد دبر وأدبر ويقال دبر النهار وأدبر ودبر الليل وأدبر وقال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله {والليل إِذَا أَدْبَرَ} فسكت حتى إذا كان آخر الليل قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل ويقال: الليل إذا أدبر يعني: إذا جاء بعد النهار والصبح. إذا أسفر يعني: استضاء بأنها أي: سقر

لإحــدى الكــبر يعــني: أن ســقر لأعظم درجــات في النــار {نَذِيراً لِّلْبَشَرِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسـلم نـذيراً للخلق وإنما صار نعتاً لأنه معنـاه تم نـذيراً للبشـر، ويقـال: إن العذاب الذي ذكر نذيراً للبشر قوله تعالى: {لِمَن شَــاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} يعني: يتقدم في الخـير أو يتـأخر إلى المعصية فبينا لكم فهذا وعيد لكم لمن شــاء منكم أن يتقدم إلى الطاعـة أو يتـأخر إلى المعصـية كقولـه: {وَقُـلِ الحـق مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَـآءَ فَلْيُـؤْمِن وَمَن شَـآءَ فَلْيَكْفُـرْ إِنَّآ أَعْتَـدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَـارًا أَحَـاطَ بِهِمْ سُـرَادِقُهَا وَإِن يَسْـتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل يَشْوِى الوجـوه بِئْسَ الشـراب وَسَـآءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 29] ويقال: معنـاه: لمن شـاء منكم أن يتقدم إلى التوبـة فليوحـد أو يتـأخر عن التوبـة فليقم على الكفـر يعـني: نـذيراً لمن شـاء. ثم قـال: {كُـلُّ نَفْسٍ بِمَـا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} يعني: كل كافر مرتهن بعملـه {إِلاَّ أَصـحاب اليمين} يعني: لكن أصحاب اليمين فإنهم ليسـوا مرتهـنين بعملهم يعـني: الـذين أعطـوا كتـابهم بأيمـانهم ويقـال: هم الـذين عن يمين العـرش، ويقـال: كـل نفس بمـا كسـبت رهينة عند المحاسـبة إلا أصـحاب اليمين قـال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هم أطفـال المسـلمين يعـني: ليس عليهم حساب لأنهم لم يعملوا شـيئاً ثم قـال: {فِى جنـات يَتَسَــاءلُونَ} يعـــني: إنهم في بســاتين يتســاءلون {عَنِ المجرمين} يعني: يرون أهل النار يسألونهم {مَـا سَـلَكَكُمْ فِى سَقَرَ} يعني: ما الذي أدخلكم في سقر فأجـابهم أهـل النـار: {قَـالُواْ لَمْ نَـكُ مِنَ المصـلين} يعـني: لم نـك نقـر بالصلاة ولم نؤدها {وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ المسكين} يعني: كنا لا نقــر بــالفرائض والزكــاة ولا نؤديهــا. {وَكُنَّا نَخُــوضُ مَــعَ الخائضــين} يعــني: كنــا نســتهزئ بالمســلمين ونخــوض بالباطل ونرد الحق مع المبطلين المستهزئين {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَـوْمِ الـدين} يعـني: بيـوم الحسـاب {حـتى أتانـا اليقين}

يعني: الموت والقيامة قوله تعـالى: {فَمَـا تَنفَعُهُمْ شـفاعة الشـافعين} يعـني: لا يسـألهم شـفاعة الأنبيـاء وشـفاعة الملائكة {فَمَا لَهُمْ عَنِ التذكرة مُعْرِضِينَ} فما للمشـركين يعرضون عن القـرآن والتوحيـد {كَـأَنَّهُمْ حُمُـرٌ مُّسْـتَنفِرَةٌ} يشبههم بالحمر الوحشية المذعورة حين فروا من القـرآن وكـذبوا بـه قـرأ نـافع وابن عـامر مسـتنفرة بنصـب الفـاء والباقون بالكسـر فمن قـرأ بالنصـب فمعنـاه منفـرة فـإن الصائد نفرها ومن قرأ بالكسر ومعنـاه نـافرة ويقـال: نفـر واستنفر بمعنى واحد ثم قال: {فَرَّتْ مِن قَسْـوَرَةٍ} فقـال أبو هريرة رضي اللـه عنـه: يعـني: الأسـد وقـال سـعيد بن جبير رضي الله عنهم القناص يعني: الصيادين وقال قتادة: القسورة النبـل يعـني: الـرمي بالسـهام وهـو حس النـاس وأصواتهم ثم قال عز وجل: {بَـلْ يُرِيـدُ كُـلُّ امـرئ مِّنْهُمْ} يعني: أهل مكـة {أَن يـؤتى صُـحُفاً} وذلـك أن كفـار مكـة قالوا إن الرجل من بني إسرائيل إذا أذنب ذنباً يصبح وذنبه وكفارته مكتوب عند رأسـه فهـل ترينـا مثـل ذلـك إن كنت رسولاً فنزل {قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيـدُ كُـلُّ امـرئ مِّنْهُمْ أَن يـؤتى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً} يعني: صـحفاً مكتـوب فيهـا جرمـه وتوبتـه ويقال: نزلت في شأن عبد اللـه بن أميـة المخـزومي حين قال: لن نؤمن حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قال الله تعالى: {كَلاَّ} يعني: هذا لا يكون لهم أبداً ثم ابتداء فقال: {بَـل لاَّ يَخَافُونَ الاخِرة} يعني: البعث يعني: لكن لا يخافون عذاب الآخرة {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} يعني: حقاً إن القرآن عظة للخلق {فَمَن شَاء ذَكَـرَهُ} يعـني: من شـاء أن يتعـظ بـه فليتعـظ {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء} يعني: إلا أن يشاء {الله} لهم، ويقال إلا أن يشاء الله منهم قرأ نـافع ومـا تـذكرون بالتـاء على معـنى المخاطبـة والبـاقون باليـاء على معـنى الخـبر عنهم ثم قال عز وجل: {هُوَ أَهْلُ التقوى وَأَهْـلُ المغفـرة} يعني: هـو أهـل أن يتقي ولا يشـرك بـه ويوحـد ولا يعصـى

وأهـل المغفـرة يعـني هـو أهـل أن يغفـر لمن أطاعـه ولا يشرك ويقال: هو أهل أن يتقى وأهـل المغفـرة لمن اتقى والله الموفق.

سورة القيامة

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (3) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (4) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5)}

قوله تعالى: {لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة} أجمع أهل التفسير أن معناه أقسم، واختلفوا في تفسير لا. قال بعضهم: والكلام زيادة للزينة، ويجري في كلام العرب زيادة لا، كما في آية أخرى. قال: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} [الأعراف: 12] يعني: أن تسجد. وقال بعضهم: لا رد لكلامهم، حيث أنكروا البعث. فقال: ليس الأمر كما ذكر. ثم قال: {أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة} ويقال: معناه أقسم برب يوم القيامة إنها كائنة. {وَلاَ أُقْسِمُ بالنفس اللوامة} يعني: أقسم بخالق النفس اللوامة، وهي نفس ابن آدم، يلوم نفسه. كما روي عن ابن عباس، وعن عمر رضي الله عنهم: ما من نفس برة وفاجرة، إلا تلوم نفسها، إن كانت محسنة تقول: يا ليتني زدت إحساناً، وإن كانت سيئة تقول: يا ليتني تركت. ولم يذكر جواب القسم، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهو قوله {بلى قادرين} ومعناه: ولا أقسم بالنفس اللوامة، لتبعثن بعد الموت.

ثم قال عز وجل: {أَيَحْسَبُ الإنسان} يعني: أيظن الكافر {أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ} يعني: أن لن يبعث الله بعد الموت. نزلت في أبي بن خلف، ويقال: في عدي بن الربيعة، لإنكار البعث بعد الموت. يقول الله تعالى: {بلى قادرين} يعني: إن الله تعالى قادر {على أَن نُّسَوّىَ بَنَانَهُ}

يعني: يجعل أصابعه ملتزقة، وألحق الراحة بالأنامل. وهـذا قـول ابن عبـاس. وقـال القتـبي: فكأنـه يقـول: أيحسـب الإنسان أن لن نجمع عظامه في الآخرة، بلى قادرين على أن نسوي بنانه، يعني: أن نجمع ما صغر منه، ونؤلف بينـه. أي: نعيـد السـلاميات على صـغرها، ومن قـدر على جمـع هذا، فهو على جمع كبار العظام أقدر. وقـال مجاهـد: على أن نسوي خفه كخف البعير، لا يعمل به شيئاً. وقال سـعيد بن جبير يعني: كنف البعير، أو كحافر الدابـة والحمـر، لأنـه ليس من دابة، إلا وهي تأكل بفمها غير الإنسان.

قوله تعالى: {بَلْ يُرِيدُ الإنسان لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} يعـني: يقـدم ذنوبه، ويؤخر توبته ويقول: سوف أتوب، ولا يترك الذنوب، وهـذا قـول ابن عبـاس رضـي اللـه عنـه. وقـال عكرمـة: {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} يعني: يريد الـذنوب في المسـتقبل. وقـال القتبي: بل يريـد الإنسـان ليفجـر أمامـه، فقـد كـثرت فيـه التفاسير. وقال سعيد بن جبير سوف أتوب، وقال الكلـبي: يكثر الذنوب، ويؤخر التوبة. وقال آخرون: يتمنى الخطيئـة، وفيـه قـول آخـر على طريـق الإنكـار، بـأن يكـون الفجـور بمعـنى: التكـذيب بيـوم القيامـة، ومن كـذب بـالحق، فقـد فجـر، وأصـل الفجـور: الميـل. فقيـل: للكـاذب والمكـذب والفاسق فاجر، لأنه مال عن الحق.

تفسير الآيات رقم [6- 30]

{يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَـفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (10) كَلَّا لَا وَزَرَ (11) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْـتَقَرُّ (12) يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَـدَّمَ وَأَخَّرَ (13) بَـلِ الْإِنْسَـانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15) لَا تُحَـرِّكْ بِهِ لِسَـانَكَ لِتَعْجَـلَ بِـهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَـهُ وَقُرْآنَـهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَـةَ (20) وَتَـذَرُونَ الْآخِـرَةَ (21) وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ

نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23) وَوُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِـرَةٌ (24) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (25) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (26) وَقِيــلَ مَنْ رَاقٍ (27) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِـرَاقُ (28) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (29) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (30)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامة} يعـني: يسـأل مـتى يوم القيامة، تكذيباً بالبعث. فكأنه قـال: بـل يريـد الإنسـان أن يكذب بيوم القيامة، وهو أمامه، وهو يسأل متى يكـون. فـبين اللـه تعـالى في أي يـوم يكـون فقـال: {فَـإِذَا بَـرِقَ البصر} يعني: شخص البصر، وتحير. قرأ نـافع {فَـإِذَا بَـرَقَ البصر} بنصب الراء، والباقون بالكسر. فمن قرأ بالنصـب، فهو من برق يبرق بريقـاً، ومعنـاه: شـخص فلا يطـرق من شدة الفزع. ومن قرأ بالكسر، يعني: فزع وتحـير. وأصـله: أن الرجل إذا رأى البرق تحير، وإذا رأى من أعـاجيب يـوم القيامة، تحير ودهش.

{وَخَسَـفَ القمـر} يعـني: ذهب ضـوؤه {وَجُمِـعَ الشـمس والقمر} يعني: كـالثورين المقـرنين. ويقـال: بـرق البصـر، وخسف القمر. قال كوكب العين ذهب ضـوؤه. وروى علي بن أبي طالب، رضي اللـه عنـه أنـه قـال: يجعلان في نـور الحجاب. ويقال: جمع الشمس والقمر، يعني: سوى بينهما في ذهاب نورهما، وإنما قال: وجمع الشمس والقمـر، ولم يقـل وجمعت، لأن المـؤنث والمـذكر إذا اجتمعـا، فالغلبـة للمـذكر. {يَقُـولُ الإنسـان يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المفـر} يقـول: أين الملجأ من النار؟ قرئ في الشاذ، أين المفر بالكسر للفاء، على معـنى: أين مكـان الفـرار. وقـراءة العامـة بالنصـب، يعني: أين الفرار.

ثم قـال: {كَلاَّ لاَ وَزَرَ} يعـني: حقـاً لا جبـل يلجـؤون إليـه، فيمنعهم من النــار، ولا شــجر يــواريهم. والــوزر في كلام العـرب، الجبـل الـذي يلتجئ إليـه، والـوزر والسـتر هنـا، الشيء الذي يستترون به. وقـال عكرمـة: ولا وزر. يعـني:

منعه. وقال الضحاك: يعني: لا حصن لهم يـوم القيامـة. ثم قال عز وجل: {إلى رَبّكَ يَوْمَئِذٍ المستقر} يعـني: المرجـع {يُنَبَّأُ الإنسان يَوْمَئِذِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} يعني: يسأل ويبين له، ويجازى بما قـدم من الأعمـال وأخـر، من سـنة صـالحة أو سيئة.

قوله عز وجل: {بَلِ الإنسـان على نَفْسِـهِ بَصِـيرَةٌ} يعـني: جوارح العبد شاهدة عليه. ومعناه على الإنسان من نفسـه شاهد، يشهد عليه كل عضو بما فعل. ويقال يعني: جوارح، العبـد شـاهدة عليـه، ومعنـاه رقيب بعضـها على بعض. والبصـيرة أدخلت فيهـا الهـاء للمبالغـة، كمـا يقـال: رجـل علامة. وقال الحسـن: على نفسـه بصـيرة، يعـني: بعيـوب غيره، الجاهل بعيوب نفسـه {وَلَـوْ ألقى مَعَـاذِيرَهُ} يعـني: ولو تكلم بعـذر لم يقبـل منـه. ويقـال: ولـو أرخى سـتوره، يعني: أنه شاهد على نفسه، وإن أذنب في الستور.

قوله تعالى: {لاَ تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ} يعني: لا تعجـل بقـراءة القرآن، من قبل أن يفرغ جبريل عليه السـلام من قراءتـه وروى سعيد بن جبـير، عن ابن عبـاس، رضـي اللـه عنهمـا قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا نزل عليـه القرآن، تعجل بـه للحفـظ فـنزل: {لاَ تُحَـرّكْ بِـهِ لِسَـانَكَ} {لِتَعْجَـلَ بِـهِ * إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَـهُ} يعـني: حفظـه في قلبـك {وَقُرْءانَهُ} يعني: يقرأ عليك جبريـل، حـتى تحفظـه {فَـإِذَا قرأناه فاتبع قُرْءانَهُ} يعني: إذا قرأ عليك جبريل فاقرأ أنت بعد قراءته وفراغـه وقـال محمـد بن كعب: فـاتبع قراءتـه، يعني: فاتبع حلاله وحرامه.

وقـال الأخفش: {إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَـهُ} يعـني: تأليفـه {فَـإِذَا قرأناه فـاتبع قُرْءانَـهُ} يعـني: تأليفـه {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَـا بَيَانَـهُ} يعني: بيـان أحكامـه وحـدوده. ويقـال: علينـا بيانـه، يعـني: شرحه. ويقال: بيـان فرائضـه، كمـا بين على لسـان النـبي صلى الله عليه وسلم.

ثم نـزل بعـد هـذه الأحكـام، قولـه تعـالى: {كَلاَّ بَـلْ تُحِبُّونَ العاجلة} يعـني: تحبـون العمـل للـدنيا {وَتَـذَرُونَ الاخـرة} يعني: تتركون العمل للآخرة. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بـل يحبون بالياء، على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء، على معنى المخاطبة. ثم بين حـال ذلـك اليـوم فقـال: {وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} أي: حسنة مشرقة مضيئة، كما قال في آية أخـرى: {تَعْـرِفُ فِى وُجُـوهِهِمْ نَضْـرَةَ النعيم} [المطففين: 24] {وَإِلَى رَبِّهَا نَـاظِرَةٌ} يعـني: نـاظرين يومئـذ إلى اللـه تبارك وتعـالى. وقـال مجاهـد: {إلى رَبِّهَـا نَـاظِرَةٌ} يعـني: تنتظر الثـواب من ربهـا. وهـذا القـول لا يصـح، لأنـه مقيـد بـالوجوه، موصـول بـإلى، ومثـل هـذا، لا يسـتعمل في الانتظار.

ثم قال عز وجل: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِـرَةٌ} يعـني: عابسـة. ويقال: كريهة. ويقال: كاسفة ومسودة {تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} يعني: تعلم أنه قد نزل بها العذاب والشدة. يعـني: تعلم هـذه الأنفس. ويقـال: الفـاقرة الداهيـة، ويقـال: قـد أيقنت أن العـذاب نـازل بهـا. ثم قـال عـز وجـل: {كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التراقى} يعني: حقاً إذا بلغت النفس إلى الحلقـوم. يعـني: خـروج الـروح {وَقِيـلَ مَنْ رَاقٍ} يعـني: يقـول من حضر عند الموت، هـل من طـبيب حـاذق يداويـه؟ ويقـال: من راق، يعـني: من يشـفي من هـذا الحـال. ويقـال: من راق، يعني: من يقدر أن يرقي من الموت. يعـني: لا يقـدر أحد أن يرقي من الموت. والعرب تقول: من الرقية، رقي يرقي رقيةً، ومن الـرقيّ وهـو الصـعود، رقي يـرقى رقيـاً، فهو راقٍ منهما.

{وَظَنَّ أَنَّهُ الفراق} يعني: اسـتيقن أنـه ميت، وأنـه يفـارق الـروح من الجسـد. ويقـال: وقيـل من راق، أن الملائكـة الذين حضروا لقبض روحه يقـول: بعضـهم لبعض، من راق يعني من يصعد منا بروحه إلى السماء، فأيقن عند ذلك أنه

الفـــراق {والتفت الســـاق بالســـاق * إلى رَبّـــكَ يَوْمَئِذٍ المساق} قال ابن عباس: يعني: التفت شـدتان أخـر يـوم من أيـام الـدنيا، وأول يـوم من الآخـرة. وروى وكيـع، عن بشـير بن المهـاجر قـال: سـمعت الحسـن يقـول: والتفت الساق بالساق، قال: هما ساقان إذا التفتا في الكفن، إلى ربك يومئذٍ المساق يعني: يساق العبد إلى ربه.

تفسير الآيات رقم [31- 40]

{فَلَا صَـدَّقَ وَلَا صَـلَّى (31) وَلَكِنْ كَـذَّبَ وَتَـوَلَّى (32) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِـهِ يَتَمَطَّى (33) أَوْلَى لَـكَ فَـأَوْلَى (34) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (35) أَيَحْسَـبُ الْإِنْسَـانُ أَنْ يُتْـرَكَ سُـدًى (36) أَلَمْ يَـكُ نُطْفَـةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَـانَ عَلَقَـةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَـلَ مِنْـهُ الـزَّوْجَيْنِ الـذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)}

ثم قال عز وجل: {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صلى} وهو أبـو جهـل بن هشام، يعني: لم يصدق بتوحيد الله تعالى، وبمحمـد صـلى الله عليه وسلم، ولم يصل لله تعالى. ويقال: {وَلاَ صـلى} يعـني: ولا أسـلم. فسـمي المسـلم مصـلياً {ولكن كَـذَّبَ وتولى} يعني: كـذب بالتوحيـد، وتـولى يعـني: أعـرض عن الإيمان {ثُمَّ ذَهَبَ إلى أَهْلِـهِ يتمطى} قـال القتـبي: يعـني: وأصله في اللغة يتمطـط فقلبت الطـاء يـاء فصـار يتمطى يعـني: ذهب إلى أهلـه يتمطى يعـني: ويتبخـتر في مشـيته {أولى لَكَ فأولى} وعيد على أثر وعيد، يعني: احذر يـا أبـا جهل. {يتمطى أولى لَكَ} أي: قرب لك يا أبا جهـل. وقـال سعيد بن جبـير: قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم لأبي جهل: أولى لك فأولى {ثُمَّ أولى لَـكَ فـأولى} ثم نـزل بـه القرآن. وقال الزجاج: معنـاه أولى لـك يعـني: يـوجب لـك المكروه يا أبا جهل، والعرب تقول أولى بفلان، إذا وعد له مكروهاً. وقال القتـبي: أولى لـك تهديـد ووعيـد كمـا قـال:

فأولى لهم ثم ابتدأ فقال: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الامر فَلَوْ صَدَقُواْ الله لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} [محمد: 21].

ثم قـال: {أَيَحْسَـبُ الإنسـان أن يُتْـرَكَ سُـدًى} يعـني: أن يـترك مهملاً، لا يـؤمر ولا ينهى {أَلَمْ يَـكُ نُطْفَـةً مّن مَّنِىّ يمنى} يعني: أليس قد خلق من ماء مهين. قـرأ ابن عـامر وحفص، عن عاصم، من منى يمنى بالهاء، والبـاقون بالتـاء على معنى التـأنيث، لأن النطفـة مؤنثـة. ومن قـرأ باليـاء، انصرف إلى المعـنى وهـو المـاء {ثُمَّ كَـانَ عَلَقَـةً} يعـني: صارت بعـد النطفـة علقـة {فَخَلَـقَ فسـوى} يعـني: جمـع خلقه في بطن أمه مستوياً، معتدل القامـة {فَجَعَـلَ مِنْـهُ} يعني: خلق من المني {الزوجين} يعني: لونين من الخلـق {الذكر والانثى أَلَيْسَ ذَلِـكَ بقـادر على أن يُحْيِىَ المـوتى} اللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقريـر، يعـني: أن هـذا الذي يفعـل مثـل هـذا، هـو قـادر. على أن يحـيي المـوتى. وذكر عن ابن عباس، أنه كـان إذا قـرأ {أَلَيْسَ ذَلِـكَ بقـادر على أن يُحْيِىَ المـوتى} قـال: سـبحانك اللهم بلى قـادر، واللـه أعلم، وصـلى اللـه على سـيدنا محمـد، وعلى آلـه وصحبه وسلم.

سورة الإنسان (الدهر)

▲ تفسير الآيات رقم [1- 14]

{هَـلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَـانِ حِينٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَـيْئًا مَـذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَـا الْإِنْسَـانَ مِنْ نُطْفَـةٍ أَمْشَـاجٍ نَبْتَلِيـهِ فَجَعَلْنَاهُ سَـمِيعًا بَصِـيرًا (2) إِنَّا هَـدَيْنَاهُ السَّـبِيلَ إِمَّا شَـاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (4) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَـا كَـافُورًا (5) عَيْنًـا يَشْـرَبُ بِهَـا عِبَـادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَـا تَفْجِـيرًا (6) يُوفُـونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَـانَ شَـرُّهُ مُسْـتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُـونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَـا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَـافُ مِنْ رَبِّنَـا يَوْمًـا عَبُوسًـا قَمْطَرِيـرًا (10) فَوَقَـاهُمُ اللَّهُ شَـرَّ ذَلِـكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيـرًا (12) مُتَّكِئِينَ فِيهَـا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَـرَوْنَ فِيهَـا شَمْسًـا وَلَا زَمْهَرِيـرًا (13) وَدَانِيَـةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَـا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (14)}

قوله تعالى: {هَلْ أتى عَلَى الإنسان} يعـني: قـد أتى على أدم {حِينٌ مّنَ الدهر} يعـني: أربعين سـنة {لَمْ يَكُن شَـيْئاً مَّذْكُوراً} يعني: لم يدر مـا اسـمه، ولا مـا يـراد بـه إلا اللـه تعالى. وذلك أن اللـه تعـالى، لمـا أراد أن يخلـق آدم، أمـر جبريل عليه السلام، أن يجمـع الـتراب فلم يقـدر. ثم أمـر إسرافيل فلم يقدر، ثم أمر عزرائيل عليهم السلام، فجمـع

الـتراب من وجـه الأرض، فصـار الـتراب طينـاً، ثم صـار صلصالاً، وكان على حالـه أربعين سـنة، قبـل أن ينفخ فيـه الروح. وروى معمر، عن قتادة قال: كان آدم آخر ما خلـق من الخلق، خلق كل شيء قبل آدم.
ثم قـال: {إِنَّا خَلَقْنَـا الإنسـان مِن نُّطْفَـةٍ أَمْشَـاجٍ نَّبْتَلِيـهِ} يعني: مختلطاً ماء الرجل ومـاء المـرأة، لا يكـون الولـد إلا منهما جميعاً. ماء الرجل أبيض ثخين، ومـاء المـرأة أصـفر رقيق {نَّبْتَلِيهِ} يعني: لكي نبتليه بـالخير والشـر {فجعلنـاه سَمِيعاً بَصِيراً} يعـني: جعلنـا لـه سـمعاً يسـمع بـه الهـدى، وبصـراً يبصـر بـه الهـدى. وقـال مقاتـل: في الآيـة تقـديم، يعني: جعلناه سميعاً بصيراً، يعني: جعلنا له سـمعاً لنبتليـه، يعني: لنختبره.
قولـه عـز وجـل: {إِنَّا هـديناه السـبيل} يعـني: بينـا لـه، وعرفنـاه طريـق الخـير وطريـق الكفـر. ويقـال: سـبيل السعادة والشقاوة {إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} يعني: إمـا أن يكون موحداً، وإما أن يكون جاحـداً لوحدانيـة اللـه تعـالى. ويقال: إما شاكراً لنعمه، وإما كفوراً لنعمه. ثم بين ما أعـد للكافرين فقال: {إِنَّا أَعْتَدْنَا للكـافرين} يعـني: في الآخـرة {سلاسل وأغلالا} يعني: هيئنا لهم أغلالاً، تغل بهـا أيمـانهم إلى أعناقهم {وَسَعِيراً} يعني: وقوداً.
ثم بيّن مـا أعـد للشـاكرين فقـال: {إِنَّ الابـرار} يعـني: الصـادقين في إيمـانهم {يَشْـرَبُونَ مِن كَـأْسٍ} يعـني: من خمر {كَانَ مِزَاجُهَا كافورا} يعني: على بـرد الكـافور وريح المسك وطعم الزنجبيـل ليس ككـافور الـدنيا ولا كمسـكها ولكنه وصف بها حتى يهتدى به القلـوب أو يقـال: الكـافور اسم عين في الجنة يمزج بها الخمر {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله} يعني: عين الكافور يشرب بها أولياء اللـه تعـالى في الجنة {يُفَجّرُونَهَا تَفْجِيراً} يعني: يمزجونهـا تمزيجـاً. وقـال ابن عبـاس: {يُفَجّرُونَهَـا تَفْجِـيراً} في قصـورهم وديـارهم،

وذلك، أن عين الكافور، يشرب بها المقروبون صـرفاً غـير ممـزوج، ولغـيرهم ممزوجـاً. ويقـال: {يُفَجّرُونَهَـا تَفْجِـيراً} يعني: يفجرون تلك العين في الجنة كيف أحبوا، كما يفجـر الرجل النهر الذي يكون له في الـدنيا هاهنـا، وهاهنـا حيث شاء.

ثم بين أفعالهم في الـدنيا فقـال: {يُوفُـونَ بالنـذر} يعـني: يتمون الفرائض. ويقال: أوفوا بالنذر {ويخافون يَوْماً} وهو يوم القيامة {كَانَ شَـرُّهُ مُسْـتَطِيراً} يعـني: عذابـه فاشـياً ظاهراً، وهو أن السموات قد انشقت، وتنـاثرت الكـواكب، وفـزعت الملائكـة، وفـارت الميـاه ثم قـال عـز وجـل: {وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبّهِ} يعـني: على قلتـه وشـهوته وحاجته {مِسْكِيناً} وهو الطائف بالأبواب {وَيَتِيماً وَأَسِـيراً} يعني: من أسر من دار الشرك.

ويقال: أهل اليمن. وذكر أن الآية نزلت في شـأن علي بن أبي طـالب، وفاطمـة رضـي اللـه عنهمـا وكانـا صـائمين فجاءهما سائل وكان عندهما قوت يومهما فأعطيا السـائل بعض ذلـك الطعـام ثم جاءهمـا يـتيم فأعطيـاه من ذلـك الطعام ثم جاءهما أسـير فأعطيـاه البـاقي فمـدحهما اللـه تعالى لذلك، ويقال: نزلت في شـأن رجـل من الأنصـار ثم قال عز وجل: {إِنَّمَـا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْـهِ اللـه} يعـني: ينـوون بأدائهم، ويضمرون في قلوبهم وجه الله تعـالى. ويقولـون: {لاَ نُرِيــدُ مِنكُمْ جَـزَاء وَلاَ شُـكُوراً} يعــني: لا نريــد منكم مكافأة في الدنيا، ولا ثواب في الآخرة {إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبّنَـا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيـراً} يعـني: العبـوس الـذي تعبس فيـه الوجوه، من هول ذلك اليوم، والقمطرير الشديد العبـوس.

ويقال: عبوساً، أي: يوم يعبس فيه الوجوه، فجعل عبوسـاً من صـفة اليـوم. كمـا قـال: {مَّثَـلُ الـذين كَفَـرُواْ بِـرَبِّهِمْ أَعْمَـالُهُمْ كَرَمَـادٍ اشـتدت بِـهِ الـريح فِي يَـوْمٍ عَاصِـفٍ لاَّ يَقْـدِرُونَ مِمَّا كَسَـبُواْ على شَـئ ذلـك هُـوَ الضـلال البعيـد}

[إبـراهيم: 18] أراد عاصـف الـريح والقمطريـر الشـديد. يعني: ينقبض الجـبين ومـا بين الأعين، من شـدة الأهـوال. ويقال: قمطريراً نعت ليوم. ويقال: يوم قمطرير، إذا كـان شديداً. يعني: يوماً شديداً صعباً.
ثم قال عز وجل: {فوقاهم اللـه شَـرَّ ذَلِـكَ اليـوم} يعـني: دفع الله عنهم عذاب ذلك اليوم {ولقاهم} يعني: أعطاهم {نَضْـرَةَ} حسـن الوجـوه {وَسُـرُوراً} يعـني: فرحـاً في قلوبهم قوله تعالى: {وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ} يعني: أعطـاهم الثواب بما صبروا في الدنيا {جَنَّةً وَحَرِيراً} يعني: لباسـهم فيها حرير. ويقال: بما صبروا على الطاعات. ويقـال: على المصائب. وقوله عز وجل: {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا} يعـني: نـاعمين في الجنة {على الارائك} يعني: على السرر، وفي الجمال واحدها أريكة {لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً} يعني: لا يصيبهم فيها حر الشمس {وَلاَ زَمْهَرِيراً} يعني: ولا برد الشتاء.
ثم قـال عـز وجـل: {وَدَانِيَـةً عَلَيْهِمْ ظلالهـا} يعـني: قريبـة عليهم ظلال الشجر. {وَذُلّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} يعني: قربت ثمارها ويقال سخرت قطوفها يعـني: مجـنى ثمرهـا تـذليلاً يعني: قريباً ينالها القاعد والقـائم. وروى بن أبي نجيح، عن مجاهد قال: أرض الجنة من فضة، وترابها مسـك، وأصـول شـجرها ذهب وفضـة، وأغصـانها لؤلـؤ وزبرجـد، والـورق والثمـر تحت ذلـك، فمن أكـل قائمـاً لم يـؤذه، ومن أكـل جالسـاً لم يـؤذه، ومن أكـل مضـطجعاً لم يـؤذه. ثم قـرأ {وَذُلّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً} وقال أهل اللغة. ذللت أي: أدنيت منهم، من قولـك: حائـط ذليـل إذا كـان قصـير السـمك. والقطوف والثمرة واحدها قطف، وهـو نحـو قولـه تعـالى: {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الحاقة: 23].

تفسير الآيات رقم [15- 31]

{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (15) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَـا كَأْسًـا

كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (19) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (21) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (23) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (24) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (25) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (27) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (28) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)}

ثم قال عز وجل: {وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِئَانِيَةٍ مّن فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ} وهي كيزان مدققة الرأس، لا عرى لها {كَانَتْ قَوَارِيرَاْمِن فِضَّةٍ} يعني: في صفاء القارورة، وبياض الفضة. وروي عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لو أخذت فضة من فضة الدنيا، فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم تر الماء من ورائه، ولكن قوارير الجنة من فضة في صفاء القوارير، كبياض الفضة. قرأ نافع، وعاصم، والكسائي سلاسلاً وقواريراً، كلهن بإثبات الألف والتنوين. وقرأ حمزة بإسقاط الألف كلها، وكان أبو عمرو يثبت الألف في الأولى من قوارير، ولا يثبتها في الثانية.

قال أبو عبيد: رأيت في مصحف عثمان، رضي الله عنه الذي قال له مصحف الإمام قوارير بالألف، والثانية كان بالألف، فحكت ورأيت أثرها بيناً هناك، وأما السلاسل فرأيتها قد رست. وقال بعض أهل اللغة: الأجود في العربية، أن لا ينصر فيه سلاسل وقوارير، لأن كل جمع

يأتي بعـد ألفـه حرفـان أو ثلاثـة، أوسـطها سـاكن، فإنـه لا ينصرف، فأما من صرفه ونـون، فإنـه رده إلى الأصـل في الازدواج إذا وقعت الألـف بغـير تنـوين ثم قـال: {قَـدَّرُوهَا تَقْدِيراً} يعني: على قدر كف الخدم، ويقال: على قدر كف المخـدوم ولا يحجـز، ويقـال: على قـدر مـا يحتـاجون إليـه ويريدونه. ويقال: على مقدار الذي لا يزيد ولا ينقص ليكون الري لشربهم {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً} يعني: خمـراً وشـراباً {كَانَ مِزَاجُهَا} يعني: خلطها {زَنجَبِيلاً * عَيْنـاً فِيهَـا تسـمى سَلْسَـبِيلاً} وقـال القتـبي: والزنجبيـل اسـم العين، وكـذلك السلسبيل ويقال: إن السلسـبيل اللبن والزنجبيـل طعمـه، والعـرب تضـرب بـه المثـل. وقـال مقاتـل: إنمـا سـمي السلسبيل، لأنها تسيل عليهم في الطريـق وفي منـازلهم، وقال أبو صالح: بلغني أن السلسبيل شديد الجريـة. وقـال بعضهم: معنـاه {كَـانَ مِزَاجُهَـا زَنجَبِيلاً} عينـاً فيهـا تسـمى سلسبيلاً يعني: عيناً تسـمى الزنجبيـل وتم الكلام ثم قـال: سلسبيلاً يعني: سل الله تعالى السبيل إليها.

قوله تعـالى: {وَيَطُـوفُ عَلَيْهِمْ ولـدان مُّخَلَّدُونَ} يعـني: لا يكبرون، ويكونـون على سـن واحـدة {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِـبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً} قال قتادة: كثرتهم وحسنهم، كاللؤلؤ المنثور {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً} يعـني: إذا رأيت هنـاك مـا في الجنـة، رأيت نعيمـاً {وَمُلْكـاً كَبِـيراً} يعـني: على رؤوسـهم التيجان، كمـا يكـون على رأس ملـك من الملـوك. ويقـال: {وَمُلْكـاً كَبِـيراً} يعــني: لا يــدخل رســول رب العــزة، إلا بإذنهم.

ثم قال عز وجـل: {عـاليهم ثِيَـابُ سُـندُسٍ خُضْـرٌ} يعـني: على ظهورهم ثياب سندس. قرأ نافع، وحمزة بجـزم اليـاء وكسر الهاء. والباقون بنصب اليـاء وضـم الهـاء. فمن قـرأ بالجزم، فمعناه الـذي يعلـوهم، وهـو اسـم فاعـل، من علا يعلو.

ومن قرأ بالنصب نصبه على الظرف، كما قال: فوقهم ثياب. وروي عن ابن مسعود، أنه قرأ عاليتهم ثياب، يعني: الوجه الأعلى. ثم قال: ثياب سندس، خضر بالكسر {وَإِسْتَبْرَقٍ} قرأ نافع، وعاصم في رواية حفص، خضر واستبرق كلاهما بالضم. والباقون كلاهما بالكسر، فمن قرأ بالضم، لأنه نعت الثياب. يعني: ثياباً خضراً. ومن قرأ بالكسر، فهو نعت للسندس، ومن قرأ واستبرق بالضم، فهو نسق على الثياب. ومعناه: عليهم سندس واستبرق، ومن قرأ بالكسر، يكون عليهم ثياب من هذين النوعين.

ثم قال عز وجل: {وَحُلُّواْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ} وهو جمع السوار {وسقاهم رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً} يعني: الذي سقاهم خدمهم. ويقال: الذين يشربون من قبل أن يدخلوا الجنة. ثم قال: {إِنَّ هذا كَانَ لَكُمْ جَزَاء} يعني: الذي وصف لكم في الجنة، ثواباً لأعمالكم {وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً} يعني: عملكم مقبولاً. يعني: يبشرون بهذا إذا أرادوا أن يدخلوا الجنة. ثم قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القرءان تَنزِيلاً} يعني: أنزلنا عليك القرآن تنزيلاً، يعني: إنزالاً فالمصدر للتأكيد.

ثم قال عز وجل: {فاصبر لِحُكْمِ رَبّكَ} يعني: استقم على أمر الله تعالى ونهيه. ويقال: اصبر على أذى الكفار. وقال: على تبليغ الرسالة {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءاثِماً أَوْ كَفُوراً} آثماً يعني: فاجراً وهو الوليد بن المغيرة، أو كفوراً يعني: ولا كفوراً، وهو عتبة بن ربيعة. قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فعلت هذا لأجل المال، فارجع حتى أدفع إليك من المال، ما تصير به أكثر مالاً من أهل مكة. فنزلت هذه الآية {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءاثِماً وَلا كَفُورًا}.

ثم قال عز وجل: {واذكر اسم رَبّكَ} يعني: صلِ باسم ربك {بُكْرَةً وَأَصِيلاً} يعني: بكرة وعشياً يعني: صلاة الفجر، وصلاة الظهر والعصر {وَمِنَ اليل فاسجد لَهُ}

يعني: فصلِّ لله المغرب والعشاء {وَسَبّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} يعني: بعد المكتوبة، فهذا للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة. ويقال له ولأصحابه: وهذا أمر استحباب، لا أمر وجوب. ثم قال عز وجل: {إِنَّ هؤلاء يُحِبُّونَ العاجلة} يعني: يختارون الدنيا {وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ} يعني: يتركون العمل لما هو أمامهم {يَوْماً ثَقِيلاً} يعني: ليوم ثقيل وقال مجاهد: وراءهم يعني: خلفهم.

قوله تعالى: {نَّحْنُ خلقناهم وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} يعني: قوينا خلقهم ليطيعوني، فلم يطيعوني. ويقال: شددنا مفاصلهم بالعصب، والعروق والجلد، لكي لا ينقطع المفاصل وقت تحريكها. ويقال: شددنا أسرهم، أي: قبلهم ودبرهم، لكي لا يسيل البول والغائط، إلا عند الحاجة {وَإِذَا شِئْنَا} يعني: إذا أردنا {بَدَّلْنَا أمثالهم تَبْدِيلاً} يعني: أي نخلق خلقاً أمثل منهم، وأطوع لله {إِنَّ هذه تَذْكِرَةٌ} يعني: هذه السورة عظة لكم. ويقال: هذه الآيات {فَمَن شَاء اتخذ إلى رَبّهِ سَبِيلاً} يعني: فمن شاء أن يتعظ فليتعظ، فقد بينا له الطريق.

ثم قال عز وجل: {وَمَا تَشَاءونَ إِلاَّ أَن يَشَاء الله} يعني: إلا أن يشاء لكم فيوفقكم. يعني: إن جاهدتم فيوفقكم كقوله: {والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} [العنكبوت: 69] الآية. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو {وَمَا يَشَآءونَ} بالياء على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء على معنى المخاطبة. ثم قال عز وجل: {إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} يعني: كان عليماً قبل خلقكم، من يتخذ السبيل، ولم يشرك ويوحد {حَكِيماً} حكم بالبداية لمن كان أهلاً لذلك.

قوله تعالى: {يُدْخِلُ مَن يَشَاء فِى رَحْمَتِهِ} يعني: يكرم بالإسلام من كان أهلاً لذلك. ويقال: يدخل من يشاء في رحمته، يعني: في نعمته وهي الجنة، في رحمته وفضله

{والظالمين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً} يعـني: يـدخل الظـالمين في عذاب أليم. ويقال: يعذب الظالمين. وقرئ في الشـاذ والظالمون، وقراءة العامـة والظـالمين بالنصـب. ومعنـاه: ويعذب الظـالمين، ويكـون لهم عـذاباً أليمـاً، تفسـيراً لهـذا المضمر. والله أعلم.

سورة المرسلات

تفسير الآيات رقم [1- 15]

{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15)}

قوله تعالى: {والمرسلات عُرْفاً} قال الكلبي، ومقاتل يعني: الملائكة أرسلوا بالمعروف. ويقال: كثرتها لها عرف كعرف الفرس. وقال أهل اللغة: ويحتمل وجهين، أحدهما: أنها متتابعة بعضها في إثر بعض، وهو مشتق من عرف الفرس. ووجه آخر: أنه يرسل بالعرف، أي: بالمعروف. وروى سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي عبيدة الساعدي قال: سألت عبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما عن قوله: {والمرسلات عُرْفاً} قال: الريح {فالعاصفات عَصْفاً} قال: الريح {والناشرات نَشْراً} قال: الريح {فالفارقات فَرْقاً} قال: حسبك معناه {والمرسلات عُرْفاً} يعني: أرسل الرياح متتابعة كعرف الفرس {فالعاصفات عَصْفاً} يعني: الريح الشديدة التي تدر التراب بالبراري، وسمي ريح عاصف {والناشرات نَشْراً} يعني: الريح التي تنشر السحاب.

ويقال {والناشرات نَشْراً} يعني: البعث يوم القيامة، ويقال: الملائكة الذين ينشرون من الكتاب. {فالفارقات فَرْقاً} يعني: القرآن فرق بين الحق والباطل. ويقال: هو

القبر فرق بين الدنيا والآخرة. ويقال: آيـات القـرآن، الـتي فيها بيان عقوبة الكفار.
{فالملقيات ذِكْراً} يعني: فـالمنزلات وحيـاً، وهم الملائكـة {عُذْراً أَوْ نُذْراً} يعني: أنزل الـوحي عـذراً من اللـه تعـالى من الظلم، أو نــذراً لخلقــه من عذابــه. قــرأ حمــزة، والكسـائي، وأبـو عمـرو، وعاصـم في روايـة حفص، بضـم العين وجـزم الـذال، أو نـذراً بضـم النـون وجـزم الـذال. والباقون بضم الحرفين في كليهما، فمعناهمـا إنـذار، وهـو جمع نذر يعني: لإنذار. ومن قرأ بالجزم فمعناه كذلك، وهو للتخفيف، وإنما نصب عـذراً أو نـذراً، لأنهمـا مفعـولاً لهمـا فمعناه {فالملقيات ذِكْراً} للإعذار والإنذار.
ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لواقع} وهو جواب قسـم. أقسم الله تعـالى بهـذه الأشـياء، إن مـا توعـدون من أمـر الساعة والبعث لواقع. يعني: لكـائن ولنـازل. ثم قـال عـز وجـل: {فَـإِذَا النجـوم طُمِسَـتْ} يعـني: الموعـد الـذي يوعدون، في اليوم الذي فيه طمست النجوم، يعني: ذهب ضوءها {وَإِذَا السماء فُـرِجَتْ} يعـني: انشـقت من خـوف الرحمن {وَإِذَا الجبال نُسِـفَتْ} يعـني: قلعت من أصـولها، حتى سـويت بـالأرض {وَإِذَا الرسـل أُقِّتَتْ} يعـني: جمعت وروى منصـور، عن إبـراهيم {وَإِذَا الرسـل أُقِّتَتْ} قـال: وعدت. وقال مجاهد أي: أجلت. قرأ أبو عمرو وقتت بغـير همزة، والعرب تقول صلى القوم إحداناً ووحداناً، ومعناهما واحد، يعني: يجعل لها وقتاً واحداً. وقيل: جمعت لوقتها.
ثم قال: {لايّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ} على وجـه التعظيم، يعـني: لأي يوم أجلت الرسـل، ليشـهدوا على قـومهم. ثم بين فقـال: {لِيَوْمِ الفصل} يعني: أجلها ليوم الفصل وهو يوم القضاء، ويقال: يوم الفصل يعني: يوم يفصل بين الحبيب والحبيبـة وبين الرجل وأمه وأبيه وأخيه {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفصل} يعني: ما تدري أي يوم القضاء تعظيماً لـذلك اليـوم {وَيْـلٌ

يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: الشدة من العذاب في ذلك اليوم، للذين أنكروا، وجحدوا بيوم القيامة.

▲ تفسير الآيات رقم [16- 31]

{أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (20) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (21) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُوم (22) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (23) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (24) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (25) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (26) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (27) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (28) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (29) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (30) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (31)}

ثم قال عز وجل: {أَلَمْ نُهْلِكِ الاولين} يعني: ألم يهلك الله تعالى من كان قبلهم بتكذيبهم لأنبيائهم {ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الاخرين} يعني: نهلك الآخرين يعني: إن كذبوا رسلهم {كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالمجرمين} يعني: هكذا يفعل الله بالكفار {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: الذين كذبوا رسلهم ثم قال: {أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ} يعني: من نطفة، وهو ماء ضعيف {فجعلناه فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ} يعني: في رحم الأم. {إلى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ} يعني: إلى وقت معروف، وهو وقت الخروج من البطن.

{فَقَدَرْنَا} يعني: فخلقنا {فَنِعْمَ القادرون} يعني: نعم الخالق، وهو أحسن الخالقين. قرأ نافع، والكسائي {فَقَدَّرْنَا} بتشديد الدال المهملة، والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد. يقال: قدرت كذا وكذا، وقد يعني: خلقه في بطن الأم نطفة، ثم علقة ثم مضغة. يعني: قدرنا خلقه قصيراً وطويلاً، فنعم القادرون. يعني: فنعم ما قدر الله تعالى خلقهم، ثم أخبرهم بصنعه ليعتبروا، فيؤمنوا بالبعث، وعرفوا الخلق الأول فقال: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني:

الشـدة من العـذاب لمن رأى الخلـق الأول، فـأنكر الخلـق الثـاني. ويقـال: فنعم القـادرون، يعـني: نعم المقـدرون. ويقال: نعم المالكون.
ثم قال عز وجل: {أَلَمْ نَجْعَلِ الارض كِفَاتـاً} يعـني: أوعيـة للخلق. ويقال: موضع القرار، ويقال: بيوتـاً ومـنزلاً {أَحْيَـاء وأمواتـا} يعـني: ظهرهـا منـازل الأحيـاء، وبطنهـا منـازل الأموات. وقال الأخفش: يعـني: أوعيـة للأحيـاء والأمـوات. وقال الشعبي: بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحياءكم. ويقـال: يعني نظمكم فيها، والكفت الضم {وَجَعَلْنَا فِيهَـا رَوَاسِـىَ} يعني: الجبال الثقـال: {شـامخات} يعـني: عاليـات طـوالاً {وأسقيناكم مَّاء فُرَاتاً} يعني: ماءً عذباً من السـماء، ومن الأرض {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لّلْمُكَذّبِينَ} يعني: ويل لمن عـاين هـذه الأشياء، وأنكر وحدانية الله تعالى والبعث.
ثم قـال عـز وجـل: {انطلقـوا إلى مَـا كُنتُمْ بِـهِ تُكَـذّبُونَ} يعـني: يـوم الفصـل. يقـال لهـؤلاء الـذين أنكـروا البعث، انطلقوا إلى ما كنتم تكذبون، يعني: انطلقـوا إلى العـذاب.
ثم قال عز وجل: {انطلقوا إلى ظِـلّ ذِى ثلاث شُـعَبٍ * لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب} وذلك أنه يخرج عنق من النار، فيحيط الكفـار مثـل السـرادق، ثم يخـرج من دخـان جهنم ظل أسود، فيفرق فيهم ثلاث فرق رؤوسهم، فإذا فرغ من عرضهم قيل لهم {انطلقوا إلى ظِـلّ ذِى ثلاث شُـعَبٍ * لاَّ ظَلِيلٍ} ينفعهم {وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب} يعني: السرادق من لهب النـار. وقـال القتـبي: وذلـك أن الشـمس تـدنو من رؤوسهم، يعني: رؤوس الخلق أجمـع، وليس عليهم يومئـذ لباس، ولا لهم أكنان. ينجي الله تعـالى برحمتـه من يشـاء إلى ظل من ظله.
ثم قـال للمكـذبين: انطلقـوا إلى مـا كنتم بـه تكـذبون من عذاب الله وعقابه، انطلقـوا إلى ظـل، أي: دخـان من نـار جهنم قد يسطع. ثم افترق ثلاث فرق، فيكونـون فيـه، إلى

أن يفرغ من الحساب، كما يكون أوليائه في ظله. ثم يؤمر لكل فريق إلى مستقره الجنة، أو إلى النار. ثم وصف الظل فقال {لاَّ ظَلِيلٍ} يعني: لا يظلكم من حر هذا اليوم، بل يزيدكم من لهب النار، إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس {وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللهب} وهذا مثل قوله {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ} [الواقعة: 43] وهو الدخان وهو سرادق أهل النار، كما ذكر المفسرون.

تفسير الآيات رقم [32- 50]

{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (32) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (33) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (34) هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (35) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (36) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (37) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (38) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (39) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (40) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (41) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (42) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (44) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (45) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (46) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (47) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (48) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (49) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (50)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كالقصر} يعني: النار ترمي بشرر القصر. قال الكلبي: يعني: يشبه القصر، وهو القصور الأعاريب التي على الماء. واحدهما عربة، وهي الأرحية التي تكون على الماء، تطحن الحنطة. وقال مقاتل: القصور أصول الشجر العظام. وقال مقاتل: إنها ترمي بشرر كالقصر. أراد القصور من قصور أحياء العرب. وقرأ بعضهم كالقصر بنصب الصاد شبه بأعناق النخل، ثم شبه في لونه بالجمالات الصفر. فقال: {كَأَنَّهُ جمالة صُفْرٌ} وهو أسود. والعرب تسمي السود من الإبل الصفرُ، لأنه يشوبه صفرة، كما قال الأعشى

تِلْكَ خَيْلِي وَتِلْكَ منها رِكَابِي *** هُنَّ صَفْرٌ أوْلادُهَا كالزَّبِيبِ
يعـني: أسـود، قـرأ حمـزة والكسـائي وعاصـم في روايـة حفص: {جمالة صُفْرٌ} وهي جمع جمل يقال: جمل وجمال وجمالة وقرأ الباقون: {جمالات} وهـو جمـع الجمـع وقـال ابن عباس رضي الله عنـه جمـالات حيـال السـفينة يجمـع بعضها إلى بعض حتى يكون مثل أوساط الرجال {الفصـل وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَـذِّبِينَ} يعـني: ويـل لمن جحـد هـذا اليـوم بعدما سـمعه ثم قـال عـز وجـل: {هـذا يَـوْمُ لاَ يَنطِقُـونَ} يعــني: لا يتكلمــون وهــذا في بعض أحــوال يــوم القيامــة ومواضعها {وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَـذِرُونَ} يعـني: لا يـؤذن لهم في الكلام يعني: الكفار ليعتـذروا {وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَـذِّبِينَ} يعني: ويل لمن جحـد يـوم القيامـة وهـو يقـدر على الكلام في هذا اليـوم يعـني: كـان في الـدنيا يقـدر على المعـذرة فتركها ثم قال عز وجل: {هـذا يَـوْمُ الفصـل} يعـني: يـوم القضاء ويقال: يوم الفصل يعني: بين أهل الجنة وبين أهل النار {جمعناكم والاولين} يعـني: جمعنـاكم يـا أمـة محمـد صلى الله عليه وسلم مع من مضى قبلكم {فَإِن كَـانَ لَكمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ} يعني: إن كان لكم حيلـة فاحتـالوا لأنفسـكم {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعـني: ويـل لمن أنكـر قـدرة اللـه والبعث والجمع يوم القيامة ثم قال عز وجل: {إِنَّ المتقين فِى ظلال وَعُيُــونٍ} يعــني: إن الــذين يتقــون الشــرك والفواحش.
قال الكلبي: في ظلال الأشجار. وقـال مقاتـل: يعـني: في الجنان والقصور يعني: قصـور الجنـة وعيـون يعـني: أنهـار جارية {وفواكه} يعـني: وألـوان الفواكـه {مِّمَّا يَشْـتَهُونَ} يعــني: يتمنــون ويقــال لهم: {كُلُــواْ} يعــني: من الطعــام {واشـربوا} من الشـراب {هَنِيئًاً} يعـني: سـائغاً مريئـاً لا يؤذيهم {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} يعني: ثواباً لكم بما عملتم في الدنيا {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى المحسنين} يعني: هكـذا يثبت اللـه

الموحـدين المحسـنين المؤمـنين في أعمـالهم وأفعـالهم {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} يعني: ويل لمن أنكـر هـذا الثـواب ثم قال للمجرمين عز وجل: {كُلُـواْ وَتَمَتَّعُـواْ قَلِيلاً} يعـني: كلوا في الدنيا كما تأكـل البهـائم وعيشـوا مـدة قليلـة إلى منتهى آجـالكم {إِنَّكُمْ مُّجْرِمُـونَ} يعـني: مشـركين، وهـذا وعيـد وتهديـد {وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَـذِّبِينَ} يعـني: لمن رضـي بالدنيا ولا يقـر بـالبعث ثم قـال عـز وجـل: {وَإِذَا قِيـلَ لَهُمُ اركعوا لاَ يَرْكَعُونَ} يعـني: اخضـعوا للـه تعـالى بالتوحيـد لا يخضعون، ويقـال: وإذا قيـل لهم صـلوا وأقـروا بالصـلاة لا يركعون يعني: لا يقرون بها ولا يصلون.

يعـني: ويـل طويـل لمن لا يقـر بالصـلاة ولا يؤديهـا وقـال مقاتل: نزلت في ثقيف قالوا: أنحني في الصلاة لأنه مذلـة علينا ثم قال عز وجل: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} يعني: إن لم يصدقوا به فبأي كلام يصدقون يعني: إن لم يصدقوا بالقرآن ولم يقـروا بـه فبـأي حـديث يصـدقون يعـني: هـذا الكلام لا باطل فيه يعـني: لا حـديث أصـدق منـه ولا دعـوة أبلغ من دعوى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم واللـه أعلم بالصواب.

78 مكي

سورة النبأ

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)}

قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ} وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث، جعلوا يتساءلون فيما بينهما، ويقولون ما الذي جاء به هذا الرجل. فنزل {عَمَّ يَتَسَاءلُونَ} يعني: عماذا يتساءلون. ثم قال: {عَنِ النبإ العظيم} يعني: يتساءلون عن الخبر العظيم، وهو القرآن كقوله: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص: 68] ويقال: معناه عن ماذا يتحدثون، وعن أي شيء يتحدثون. ثم قال: {عَنِ النبإ العظيم} يعني: خبراً عظيماً. وقال الزجاج: أصله {عَمَّا يَتَسَاءلُونَ} ثم بين فقال: {عَنِ النبإ العظيم} يعني: عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: عن القرآن. وقيل {عَنِ النبإ العظيم} يعني: عن البعث والدليل قوله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الفصل كَانَ ميقاتا} [النبأ: 17] ثم بين لهم الأمر الذي كانوا يتساءلون، وهو البعث.

ثم قال عز وجل: {الذى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} يعني: مصدقاً ومكذباً. يعني: بالبعث بعضهم مصدق، وبعضهم مكذب. ويقال: بالقرآن، ويقال: بمحمد صلى الله عليه وسلم. ثم قال الله تعالى: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} يعني: سيعرفون {ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} يعني: سيعرفون ذلك الوعيد، على أثر الوعيد، يعني: سيعلمون عند الموت وفي الآخرة، ويتبين لهم بالمعاينة. قرأ ابن عامر ستعلمون، بالتاء على وجه المخاطبة. وقرأ الباقون بالياء، على معنى الخبر عنهم.

تفسير الآيات رقم [6- 23]

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَـاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَـا اللَّيْـلَ لِبَاسًـا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًـا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًـا (16) إِنَّ يَـوْمَ الْفَصْـلِ كَـانَ مِيقَاتًـا (17) يَـوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّـورِ فَتَـأْتُونَ أَفْوَاجًـا (18) وَفُتِحَتِ السَّـمَاءُ فَكَـانَتْ أَبْوَابًـا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23)}

ثم ذكر صنعه، ليستدلوا بصنعه على توحيده. فقال تعـالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الارض مهادا} يعـني: فراشـاً ومقامـاً. ويقـال: موضع القرار، ويقـال: معنـاه ذللنـا لهم الأرض، ليسـكنوها ويسيروا فيها. {والجبال أَوْتَاداً} يعـني: أوتـدها وأثبتهـا. ثم قال: {وخلقنـاكم أزواجـا} يعـني: أصـنافاً وأضـداداً، ذكـراً وأنثى. ويقال: ألواناً بيضاً، وسوداً، وحمراً {وَجَعَلْنَـا نَـوْمَكُمْ سُبَاتاً} يعني: راحة لأبدانكم وأصله التمـدد، فلـذلك سـمي السبت، لأنه قيل لبـني إسـرائيل: اسـتريحوا فيـه. ويقـال: سباتاً يعني: سكوناً وانقطاعاً عن الحركات.

{وَجَعَلْنَا اليل لِبَاساً} يعني: سـكوناً يسـكنون فيـه. ويقـال: ستراً يستر كل شيء {وَجَعَلْنَا النهار مَعَاشاً} يعني: مطلباً للمعيشة {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً} يعني: سبع سموات غلاظاً، كل سماء مسيرة خمسمائة عـام {وَجَعَلْنَـا سِـرَاجاً وَهَّاجـاً} يعـني: وقـاداً مضـيئة {وَأَنزَلْنَـا مِنَ المعصـرات} يعني: من السـحاب، سـمي معصـرات لأنهـا تعصـر المـاء. ويقـال: المعصـرات هي الريـاح. يعـني: ذوات الأعاصـير. كقوله: إعصاراً فيه نار.

ثم قال عز وجل: {مَاءِ ثَجَّاجاً} يعني: سيالاً ويقال: منصـباً كبيراً {لِّنُخْـرِجَ بِـهِ حَبّـاً وَنَبَاتـاً} يعـني: بالمـاء حبوبـاً كثـيرة للناس، ونباتاً للدواب من العشب والكلأ {وجنـات أَلْفَافـاً}

يعني: شجرها ملتفاً بعضها في بعض، فأعلم الله تعالى قدرته، أنه قادر على البعث. فقال: {إِنَّ يَوْمَ الفصل كَانَ ميقاتا} يعني: يوم القيامة ميقاتاً، وميعاداً للأولين والآخرين {يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصور فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً} يعني: جماعة جماعة. وروي في بعض الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: يبعث الله تعالى الناس صوراً مختلفة، بعضهم على صورة الخنزير، وبعضهم على صورة القردة، وبعضهم وجوههم كالقمر ليلة البدر.

ثم قال عز وجل: {وَفُتِحَتِ السماء} يعني: أبواب السماء {فَكَانَتْ أبوابا} يعني: صارت طرقاً. قرأ حمزة، والكسائي، وعاصم {وَفُتِحَتْ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد، وهو لتكثير الفعل، والتخفيف بفتح مرة واحدة. ثم قال عز وجل: {وَسُيّرَتِ الجبال} يعني: قلعت من أماكنها {فَكَانَتْ سَرَاباً} يعني: فصارت كالسراب، تسير في الهواء كالسراب في الدنيا {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً} أي: رصداً لكل كافر ويقال: سجناً ومحبساً {للطاغين مَئَاباً} أي: للكافرين مرجعاً، يرجعون إليها.

{لابثين فِيهَا أَحْقَاباً} يعني: ماكثين فيها أبداً دائماً. والأحقاب وأحدها حقب، والحقب ثمانون سنة، واثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وكل يوم منها مقدار ألف سنة مما تعدون بأهل الدنيا، فهذا حقب واحد، والأحقاب هو التأبيد كلما مضى حقب، دخل حقب آخر. وإنما ذكر أحقاباً، لأن ذلك كان أبعد شيء عندهم. فذكر وتكلم بما تذهب إليه أوهامهم ويعرفونه، وهو كناية عن التأبيد، أي: يمكثون فيها أبداً. قرأ حمزة لبثين بغير ألف. والباقون لابثين بالألف، ومعناهما واحد.

▲ تفسير الآيات رقم [24- 40]

{لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (27)

وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29)
فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31)
حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (
34) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ
عَطَاءً حِسَابًا (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ
وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ
صَوَابًا (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآَبًا (
39) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ
يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)}

ثم قال عز وجل: {لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً} يعني: لا يكون فيها برد يمنعهم من حرها. وقال القتبي: البرد النوم. وقال الزجاج: يجوز أن يكون البرد نوماً، ويجوز أن يكون معناه: لا يذوقون فيها برد ريح، ولا ظل {وَلاَ شَرَاباً} يعني: شراباً ينفعهم {إِلاَّ حَمِيماً} يعني: ماءً حاراً قد انتهى حره {وَغَسَّاقاً} يعني: زمهريراً. وقال الزجاج: الغساق ما يغسق من جلودهم، أي: ما يسيل وقد قيل الشديد البرد. قرأ حمزة، والكسائي وعاصم في رواية حفص، وغساقاً بالتشديد. والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد.

ثم قال: {جَزَاء وفاقا} يعني: العقوبة موافقة لأعمالهم، لأن أعظم الذنوب الشرك نعوذ بالله، وأعظم العذاب النار، ووافق الجزاء العمل. ثم قال: {إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً} يعني: لا يخافون البعث بعد الموت. ويقال: كانوا لا يرجون ثواب الآخرة، أنهم كانوا ينكرون البعث. قوله تعالى: {وَكَذَّبُواْ بآياتنا كِذَّاباً} يعني: جحدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن كذاباً يعني: تكذيباً وجحوداً. ثم قال: {وَكُلَّ شَئ أحصيناه كتابا} يعني: أثبتناه في اللوح المحفوظ {فَذُوقُواْ} يعني: يقال لهم: فذوقوا العذاب {فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً}.

ثم بين حـــال المؤمـــنين فقـــال عـــز وجـــل: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَـازاً} يعـني: نجـاة من النـار إلى الجنـة. ويقـال: المفـاز بمعنى الفوز. يعني: موضع النجاة {حَدَائِقَ وأعنابا} يعــني: لهم حدائق في الجنة، والحدائق مـا أحيـط بالجـدار، وفيـه من النخيل والثمار، وأعناباً يعني: كروماً {وَكَوَاعِبَ أَتْرَابـاً} والكواعب، الجواري مفلكات الثـديين {أَتْرَابـاً} مسـتويات في الميلاد والسن. وقال أهل اللغة: الكواعب النسـاء، قـد كعب ثديهن {وَكَأْساً دِهَاقاً} كل إناء فيه شراب فهو كأس، فإذا لم يكن فيه شراب فليس بكـأس، كمـا يقـال للمائـدة إذا كان عليها طعام مائدة، وإذا لم يكن فيها طعـام خـوان يقال {دِهَاقاً} يعني: سائغاً. وقال الكلبي: {وَكَأْساً دِهَاقـاً} يعني: إناء فيه خمر ملآن متتابعاً. وهذا قول عطية وسعيد، والعبـاس بن عبـد المطلب، رضـي اللـه عنهم، ومجاهـد، وإبراهيم النخعي.
{لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْـواً} يعـني: حلفـاً وبـاطلاً. ويقـال: ولا يسمعون في مشربها فحشاً خبثاً {وَلاَ كِذباً} يعني: تكـذيباً في شـربها. يعـني: لا يكـذبون فيهـا. قـرأ الكسـائي كـذاباً بـالتخفيف، يعـني: لا يكـذب بعضـهم بعضـاً. وقـرأ البـاقون بالتشـديد فهـو من التكـذيب ثم قـال: {جَـزَاء مِّن رَّبِّـكَ} يعني: ثواباً من ربـك {عَطَـاء حِسَـاباً} يعـني: كثـيراً وقـال مجاهد: عطاء من الله، حساباً بما عملوا. وقال أهل اللغة: حساباً أي: كثيراً. كما يقال: أعطينا فلاناً عطاء حساباً، أي: كثيراً. وأصله أن يعطيه حتى يقول حسبي.
وقـال الزجـاج: حسـاباً. أي: مـا يكفيهم، يعـني: فيـه مـا يشتهون.
ثم قال: {رَبِّ السموات والارض} يعني: خـالق السـموات والأرض. قرأ ابن كثير، ونـافع وأبـو عمـرو، رب السـموات والأرض بضـم البـاء والبـاقون بالكسـر فمن قـرأ بالضـم فمعناه هو رب السـموات والأرض ومن قـرأ بالكسـر فهـو

على معـنى الصـفة أي: جـزاء من ربـك رب السـموات والأرض {وَمَـا بَيْنَهُمَـا الـرحمن} يعـني: الـرحمن هـو رب السـموات والأرض {لاَ يَمْلِكُـونَ مِنْـهُ خِطَابـاً} يعـني: لا يملكون الكلام بالشفاعة، إلا بإذنه {يَوْمَ يَقُومُ الروح} قال الضحاك: هو جبريـل. وقـال قتـادة عن ابن عبـاس، وخلـق على صورة بني آدم. ويقال: هـو خلـق واحـد، يقـوم صـفاً واحداً {والملائكة صَـفّاً} يعـني: صـفوفاً. ويقـال: الـروح لا يعلمه إلا الله، كما قال {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الـروح قُـلِ الـروح مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَـآ أُوتِيتُم مِّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسـراء: 85].

ثم قال عـز وجـل: {لاَّ يَتَكَلَّمُـونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَـهُ الـرحمن} يعـني: لا يتكلمـون بالشـفاعة، إلا من أذن لـه الـرحمن بالشفاعة {وَقَالَ صَوَاباً} يعـني: لا إلـه إلا اللـه يعـني: من كان معه من التوحيد، وهو من أهل الشفاعة. ثم قـال عـز وجل: {ذَلِكَ اليوم الحق} يعني: القيامة كائنة {فَمَن شَـاء اتخذ} يعـني: من شـاء وحـد واتخـذ بـذلك التوحيـد {ذَلِـكَ اليوم الحق} يعني: مرجعاً. ويقال: من شاء اتخذ بالطاعـة إلى ربه مرجعاً.

ثم خـوفهم فقـال: {إِنَّا أنـذرناكم عَـذَاباً قَرِيبـاً} يعـني: خوفنـاكم بعـذاب قـريب، وهـو يـوم القيامـة. ثم خـوف المؤمنين، ووصف ذلك اليوم {يَوْمَ يَنظُرُ المرء مَـا قَـدَّمَتْ يَـدَاهُ} يعـني: مـا عملـوا من الخـير والشـر يعـني: ينظـر المـؤمن إلى عملـه، وينظـر الكـافر إلى عملـه {وَيَقُـولُ الكافر الكافر ياليتنى كُنتُ ترابا} يعني: لو كنت بهمـاً منهـا فأكون تراباً، أستوي بالأرض. وذلك، أن اللـه تعـالى يقـول للسـباع والبهـائم، كـوني ترابـاً فعنـد ذلـك، يتمـنى الكـافر {الكافر ياليتنى كُنتُ ترابا}.

وروى عبد الله بن عمر، عن أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه، أنه قال: إن الله يحشر البهائم والدواب والناس، ثم يقتص

لبعضهم من بعض، حتى يقتص للشـاة. الجمـاء من الشـاة القرناء. ثم إن الله تعالى يقـول لهـا: كـوني ترابـاً، فيراهـا الكـافر ويتمـنى أن يكـون مثلهـا ترابـاً. ويقـول: {الكـافر ياليتنى كُنتُ ترابا} يعني: يا ليتـني لم أبعث كقولـه: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابـه بِشِـمَالِهِ فَيَقُـولُ يـاليتنى لَمْ أُوتَ كتابيـه} [الحاقة: 25] إلى قوله: {ياليتها كَانَتِ القاضية} [الحاقـة: 27] واللـه أعلم، وصـلى اللـه على سـيدنا محمـد، وآلـه وسلم.

سورة النازعات

تفسير الآيات رقم [1- 14]

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (8) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (9) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (10) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (11) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (12) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (13) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (14)}

قوله تعالى: {والنازعات غَرْقاً} قال مقاتل يعني: ملك الموت ينزع روح الكافر من صدره، كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف. فيخرج نفسه من حلقه منها العروق، كالغريق في الماء {والناشطات نَشْطاً} ملك الموت، ينشط روح الكافر من قدمه إلى حلقه. وقال الكلبي: {والنازعات} يعني: ملك الموت وأعوانه {غَرْقاً} كرهاً. يقال: غرقت نفسه في صدره وذلك، أنه ليس من كافر يحضره الموت، إلا عرضت عليه جهنم، فيراها قبل أن يخرج نفسه، فيرى فيها أقواماً، مرة ينغمسون، ومرة يرتفعون. فعند ذلك، تغرق روحه في جسده. {والناشطات نَشْطاً} يعني: الملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين بالتيسير، وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت، إلا ويرى منزلته في الجنة. ويرى فيها أقواماً من أهل معرفته، وهم يدعون إلى أنفسهم، فعند ذلك ينشط إلى الخروج. ويقال {النازعات} الملائكة تنزع النفس أغراقاً، كما يغرق النازع في القوس {غَرْقاً والناشطات} الملائكة تقبض نفس المؤمن، كما ينشط العقال. وقال عطاء:

{والنازعـات غَرْقـاً} يعـني: ألقى {والناشـطات نَشْـطاً} يعني: الأوهاق.
ثم قـال: {والسـابحات سَـبْحاً} يعـني: الملائكـة الـذين يقبضون أرواح الصالحين، يسلونها سلاً رقيقاً، ويتركونها حتى تستريح رويداً. ويقـال: {والسـابحات سَـبْحاً} يعـني: السـفن تجـري في المـاء. ويقـال: {والسـابحات سَـبْحاً} يعني: الملائكة جعل نزولها في السماء كالسباحة. ويقـال: {والسـابحات سَـبْحاً} يعـني: النجـوم الـدوارة. كمـا قـال: و{وَهُوَ الذى خَلَقَ اليل والنهار والشـمس والقمـر كُـلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: 33] ثم قال: {فالسابقات سَبْقاً} يعني: الملائكة الذين يسبقون إلى الخير والـدعاء. ويقـال: {فالسابقات سَبْقاً} بالخير يعني: أرواح المؤمنين يعرج بها إلى السـماء، سـراعاً يفتح لهـا أبـواب السـماء. ويقـال: {فالسابقات سَبْقاً} يعني: خيول الغزاة.
{فالمدبرات أَمْراً} يعني: الملائكة الذين جعل إليهم تـدبير الخلـق، وهم جبريـل وميكائيـل، وإسـرافيل، وعزرائيـل، عليهم السلام. أما جبريـل فعلى الـوحي، وإنـزال الرحمـة، والعـذاب على الخلائـق بـأمر اللـه وأمـا ميكائيـل فعلى الأمطار والنبات، يقسم على البلاد والعباد بإذن اللـه. وأمـا عزرائيـل، وهـو ملـك المـوت، فعلى قبض الأرواح عنـد انقضاء أجلهم بإذن الله تعالى. وإما إسرافيل، فعلى النفح في الصور متى أمره الله تعالى، فهذا كله قسـم، وجـواب القسم مضمر، فكأنه أقسم بهذه الأشياء، أنهم يبعثون يوم القيامة، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهو قوله: {يَوْمَ تَرْجُـفُ الراجفـة} يعـني: لتبعثن يـوم القيامـة في {يَـوْمَ تَرْجُـفُ الراجفة} يعني: الصيحة الأولى.
{تَتْبَعُهَـا الرادفـة} يعـني: الصـيحة الثانيـة، يعـني: النفخـة الأولى للصعق، والنفخة الأخرى للبعث. وروي عن يزيد بن ربيعـة، عن الحسـن في قولـه: {يَـوْمَ تَرْجُـفُ الراجفـة *

تَتْبَعُهَا الرادفة} قـال: همـا النفختـان، فأمـا الأولى: فيميت الأحياء، وأما الثانية: فتحيي الموتى.
ثم تلا {وَنُفِخَ فِى الصـور فَصَـعِقَ مَن فِى السـموات وَمَن فِى الارض إِلاَّ مَن شَـاء اللـه} [الزمـر: 68] ثم نفخ فيـه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، وأصل الرجفة الحركة يعني: تزلزلت الأرض زلزلة شديدة عند النفخة الأولى، والرادفـة كل شيء تجيء بعد شيء، فهو يردفه.
ثم قال: {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَـةٌ} يعـني: خائفـة خاشـعة من هول ذلك اليـوم. ويقـال: يعـني: ذليلـة. ويقـال: زائلـة عن مكانها. {أبصـارها خاشـعة} يعـني: أبصـار الخلائـق ذليلـة. ويقـال: أبصـار القلـوب خاشـعة. ثم ذِكـرِ قـول الكفـار، وإنكـارهم البعث فقـال: {يَقُولُـونَ أَءنَّا لَمَـرْدُودُونَ فِى الحـافرة} تعجبـاً منهم، وفي الآيـة تقـديم ومعنـاه: أئنـا لمردودون في الحياة بعد المـوت. ويقـال: أئنـا لمـردودون في الحـافرة، أي: إلى أول أمرنـا. يقـال: رجـع فلان في حافرته، وعلى حافرته أي: رجع من حيث جاء.
ثم قال: {أَءذَا كُنَّا عظاما نَّخِرَةً} يعني: بعد ما كنـا عظامـاً بالية. قرأ حمـزة، والكسـائي وعاصـم في روايـة أبي بكـر {إِذَا كُنَّا عظاما} بالألف، والباقون بغير ألف. قال بعضـهم: معناهما واحد هما لغتان. وقال بعضهم: الناخرة التي أكلت أطرافها، وبقيت أوساطها، والنخرة التي قد فسـدت كلهـا. وقال مجاهد: عظاماً نخرة، أو مرفوتة كما قال في قولـه: {كُنَّا عظاما ورفاتا} {قَالُواْ تِلْـكَ إِذاً كَـرَّةٌ خاسـرة} يعـني: إن كانوا كما يقولون، فنحن بخسران قوله تعـالى: {فَإِنَّمَـا هِىَ زَجْرَةٌ واحدة} يعـني: يبعثهم صـيحة واحـدة، وهـو نفخ إسرافيل في الصور {فَإِذَا هُم بالساهرة} يعني: على وجه الأرض يعني: هم قيـام على ظهـر الأرض. ويقـال: سـميت الأرض ساهرة، لقيام الخلق، وسهرهم عليها.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 26]

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُـوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَـوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُـلْ هَـلْ لَـكَ إِلَى أَنْ تَـزَكَّى (18) وَأَهْـدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَـى (19) فَـأَرَاهُ الْآيَـةَ الْكُبْـرَى (20) فَكَـذَّبَ وَعَصَـى (21) ثُمَّ أَدْبَـرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَـادَى (23) فَقَـالَ أَنَـا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَـذَهُ اللَّهُ نَكَـالَ الْآخِـرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26)}

ثم وعظهم بما أصاب فرعون في النكال في الدنيا فقــال: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ موسى} يعني: قد أتاك خبر موســى {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بالواد المقدس} يعني: بالوادي المطهر {طُوًى} اســم الــوادي {اذهب إلى فِرْعَـوْنَ إِنَّهُ طغى} يعـني: علا وتكــبر وكفــر فقــال اللــه تعــالى: {فَقُـلْ هَـل لَّكَ إلى أن تزكى} يعني: ألم يـأن لـك أن تسـلم. ويقـال: معنـاه هـل ترغب في توحيد ربـك، وتشـهد أن لا إلـه إلا اللـه، وتـزكي نفسك من الكفر، والشـرك. قـرأ ابن كثـير، ونـافع إلى أن تزكى بتشديد الـزاء، لأن أصـله تـتزكى، وأدغمت التـاء في الـزاء، وشـددت. والبـاقون بـالتخفيف، لأنـه حـذف إحـدى التائين، وتركت مخففة.

ثم قال: {وَأَهْدِيَكَ إلى رَبّـكَ فتخشـى} يعـني: أدعـوك إلى توحيد ربك فتخشى. يعـني: تخـاف عذابـه فتسـلم {فَـأَرَاهُ الاية الكبرى} يعني: العصا، واليد، وسائر الآيـات. {فَكَـذَّبَ وعصى} يعني: كذب الآيات، ولم يقبل قول موســى عليــه السلام {ثُمَّ أَدْبَرَ يسعى} يعني: أدبر عن التوحيـد، وســعى في هلاك موســى {فَحَشَــرَ} يعـني: فجمـع أهـل المدينـة {فنادى} يعـني: فخـاطب {فَقَـالَ} لهم اعبـدوا أصـنامكم التي كنتم تعبدون، فإن هؤلاء أربابكم الصغار.

{أَنَـاْ رَبُّكُمُ الاعلى * فَأَخَـذَهُ اللـه نَكَـالَ الاخـرة والاولى} يعني: فعاقبه بعقوبة الدنيا والآخـرة، وهي الغـرق وعقوبـة الآخرة وهي النار. ويقال: الآخــرة والأولى. يعـني: العقوبـة

بالكلمة الأولى، والكلمة الأخرى، فأما الأولى قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِى} والأخرى قوله: {وَأَنَاْ رَبُّكُمْ * الاعلى} وكان بين الكلمتين أربعون سنة. ويقال: قوله {وَأَنَاْ رَبُّكُمْ * الاعلى} كان في الابتداء، حيث أمرهم بعبادة الأصنام، ثم نهاهم عن ذلك، وأمرهم بأن لا يعبدوا غيره. وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِى} ثم قال: {إِنَّ فِى ذَلِكَ} يعني: في هلاك فرعون وقومه {لَعِبْرَةً لّمَن يخشى} يعني: لعظة لمن يريد أن يعتبر، ويسلم.

تفسير الآيات رقم [27- 41]

{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (29) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (32) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (33) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (35) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (36) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)}

ثم وعظ أهل مكة فقال: {أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السماء بناها} يعني: أبعثكم بعد الموت أشد، أم خلق السماء في المشاهدة عند الناس، خلق السماء أشد. فالذي هو قادر على خلق السماء، قادر على البعث. ثم قال: {بناها} يعني: خلق السماء مرتفعة {رَفَعَ سَمْكَهَا} أي: سقفها بغير عمد {فَسَوَّاهَا} يعني: سوى خلقها. ويقال: خلقها مستوية، بلا صدع ولا شق {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا} يعني: أظلم ليلها {وَأَخْرَجَ ضحاها} يعني: أنوار ضحاها، وشمسها ونهارها، فإنها راجعة إلى السماء.

ثم قال عز وجل: {والارض بَعْدَ ذَلِكَ دحاها} يعني: بعد خلق الأرض السماء، وبسط الأرض ومدها {أَخْرَجَ مِنْهَا

مَاءهَـا} يعـني: من الأرض ماءهـا. يعـني: عيونهـا للنـاس {ومرعاها} للدواب والأنعام. قال القتبي: هـذا من جوامـع الكلم، حيث ذكر شـيئين على جميـع مـا يخـرج من الأرض قوتاً، ومتاعاً للأنعام من العنب، والشـجر، والحب، والتمـر، والملح والنار، لأن النار من العيدان، والملح من الماء.
ثم قال عز وجل: {والجبال أرساها} يعني: أوتـدها وأثبتهـا {متاعا لَّكُمْ} يعـني: منفعـة لكم {ولانعـامكم فَـإِذَا جَـاءتِ الطامة الكـبرى} يعـني: الصـيحة العظمى، وإنمـا سـميت الطامة، لأنهـا طمت وعلت فـوق كـل شـيء {يَـوْمَ يَتَـذَكَّرُ الإنسان مَا سعى} يعني: يعلم بكل شيء عمله في الدنيا. ويقال: يوم ينظر الإنسان في كتابـه، بمـا عمـل في الخـير والشـر {وَبُـرّزَتِ الجحيم} يعـني: أظهـرت الجحيم {لِمَن يرى} يعـني: لمن وجب لـه {فَأَمَّا مَن طغى} يعـني: كفـر وعلا وتكبر. {وَءاثَرَ الحياة الدنيا} يعني: اختار ما في الدنيا على الآخرة. ويقال: اختار العمل للدنيا على الآخرة {فَـإِنَّ الجحيم هِىَ المأوى} يعني: مأوى من كان هكذا.
{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ} يعـني: خـاف المقـام بين يـدي ربــه {وَنَهَى النفس عَنِ الهــوى} يعــني: منــع نفســه عن معاصي اللـه تعـالى، وعمـل بخلاف مـا تهـوى في الحـرام {فَإِنَّ الجنة هِىَ المأوى} يعني: مأوى من كان هكذا. قــال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل، واتباع الهوى. فأما طول الأمل فينسـي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق.

تفسير الآيات رقم [42- 46]

{يَسْـأَلُونَكَ عَنِ السَّـاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـاهَا (42) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَـا (43) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَـا (44) إِنَّمَـا أَنْتَ مُنْـذِرُ مَنْ يَخْشَـاهَا (45) كَـأَنَّهُمْ يَـوْمَ يَرَوْنَهَـا لَمْ يَلْبَثُـوا إِلَّا عَشِـيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (46)}

قوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الساعة} يعـني: يسـألونك عن قيام الساعة {أَيَّانَ مرساها} أي: وقت قيامها. وأصله أي: أوان ظهورها ووقتها. قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: {فِيمَ أنتَ مِن ذِكْرَاهَا} يعني: دع مـا أنت وذاك دع ذلك إلى الله، ثم قال: {إلى رَبّكَ منتهاها} يعني: عند ربك علم قيامها. وروى سفيان، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها. قـالت: لم يـزل النـبي صـلى اللـه عليه وسلم، يسأل عن السـاعة، حـتى نـزل {فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَـا إلى رَبّـكَ منتهاهـا} يعـني: عنـد ربـك علم قيامهـا، وانتهى عند ذلك.

ثم قال عز وجل: {إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يخشاها} يعني: أنت مخوف بالقرآن، من يخاف قيام السـاعة، وليس عليـك أن تعرف متى وقتها. ثم قال عز وجل: {كَـأَنَّهُمْ يَـوْمَ يَرَوْنَهَـا} يعني: قيام الساعة {لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضحاها} يعـني: كأنهم لبثوا في قبورهم مقدار عشية، وهو قدر آخر النهار، أو ضحاها وهو قدر أول النهار. ويقال: كأنهم لم يلبثـوا في الدنيا، إلا مقدار العشية، أو مقدار الضحى. قرأ أبـو عمـرو في إحدى الروايتين {إِنَّمَا أَنتَ مُنـذِرُ} بـالتنوين، والبـاقون بغـير تنـوين. فمن قـرأ بـالتنوين، جعـل من في موضـع النصب. يعني: منذر الذي يخشـاها. ومن قـرأ بغـير تنـوين، جعل من في موضع خفض. بالإضافة. والله الموفـق بمنـه وكرمه، وصلى الله على سيدنا محمد.

سورة عبس

تفسير الآيات رقم [1- 16]

{عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (11) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (12) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (13) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (14) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (15) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (16)}

قوله تعالى: {عَبَسَ وتولى} أي: كلح وأعرض بوجهه. يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وروى هشام بن عروة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً، ومعه عتبة بن ربيعة، في ناس من وجوه قريش، وهو يحدثهم بحديث. فجاء ابن أم مكتوم على تلك الحال، فسأله عن بعض ما ينفع به، فكره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع كلامه، وقال في رواية مقاتل، كان اسم ابن أم مكتوم عمر بن قيس. وقال في رواية الكلبي، كان اسمه عبد الله بن شريح. فقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله تعالى. فأعرض عنه شغلاً بأولئك القوم، لحرصه على إسلامهم فنزل {عَبَسَ وتولى}. وهو بلفظ المغايبة، تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم {عَبَسَ} محمد صلى الله عليه وسلم وجهه {وتولى} يعني: وأعرض {أَن جَاءهُ الاعمى} يعني: إن جاءه الأعمى. ويقال: حين جاء الأعمى، وهو ابن أم مكتوم.

ثم قال: {وَمَـا يُـدْرِيكَ لَعَلَّهُ يـزكى} يعـني: ومـا يـدريك يـا محمد، لعله يصلي أو يفلح، فيعمل خـيراً فيتعـظ بـالقرآن. ويقال: يعني: يزداد خيراً. {أَوْ يَذَّكَّرُ} يعني: يتعـظ بـالقرآن {فَتَنفَعَــهُ الــذكرى} يعــني: العظــة. ثم قــال: {أَمَّا مَنِ استغنى} يعني: اسـتغنى بنفسـه عن ثـواب اللـه. ويقـال: اسـتغنى بمالـه ونفسـه، عن دينـك وعظمتـك {فَـأَنتَ لَـهُ تصدى} يعني: تقبـل بوجهـك عليـه. ويقـال تصـدى يعـني: تعرض. يقال: فلان تصدى لفلان، إذا تعرض له لـيراه. قـرأ عاصـم {أَوْ يَـذَّكَّرُ فَتَنفَعَـهُ الـذكرى} بنصـب العين، جعلـه جواباً لعله يتـذكر فتنفعـه الـذكرى. وقـرأ البـاقون بالضـم، جعلوه جواباً للفعل. قـرأ نـافع، وابن كثـير تصـدى بتشـديد الصاد، لأن الأصـل تتصـدى، فـأدغمت وشـددت. والبـاقون بحذف التاء للتخفيف، فهذا كقولـه {فَقُـلْ هَـل لَّكَ إلى أَن تزكى} [النازعات: 18].

ثم قال: {وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يزكى} يعـني: أي شـيء عليـك إن لم يوجد عتبة وأصحابه. ويقال: لا يضرك إن لم يؤمن، ولم يصلح. ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا مَن جَـاءكَ يسـعى} يعـني: يسرع إلى الخير، ويعمل بـه، وهـو ابن أم مكتـوم. ويقـال: يعـني: يمشـي برجليـه {وَهُـوَ يخشـى} ربـه {فَـأَنتَ عَنْـهُ تلهى} يعني: تشتغل، وتتلاهى وتتغافل. وكان رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، يكرم ابن أم مكتوم بعد نزول هــذه الآية قوله تعالى: {كَلاَّ} يعني: لا تفعل، ولا تقبــل على من استغنى عن الله تعالى بنفسه، وتعرض عمن يخشـى اللـه تعالى.

ثم قال: {إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} يعني: هذه الموعظة تذكرة. ويقال: هذه السـورة تـذكرة، يعـني: موعظـة {فَمَن شَـاء ذَكَـرَهُ} يعني: ذكر المواعظ وذكره يلفظ التذكير، ولم يقل ذكرها، لأنه ينصرف إلى المعنى، لأن الموعظة إنما هي بالقرآن.

يعني: فمن شاء أن يتعظ بالقرآن فليتعظ {فَى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ} يعني: أن هذا القرآن في صحف مكرمة. يعني: مطهرة مبجلة معظمة، وهو اللوح المحفوظ {مَّرْفُوعَةٍ} يعني: مرتفعة {مُّطَهَّرَةٍ} يعني: منزهة عن التناقض، والكذب والعيب. {بِأَيْدِى سَفَرَةٍ} يعني: الكتبة الذين يكتبون في اللوح المحفوظ. ثم أثنى على الكتبة فقال: {كِرَامٍ} على الله {بَرَرَةٍ} أي: مطيعين لله تعالى. ويقال: بررة من الذنوب. وقال القتبي: السفرة الكتبة. وأحدهما سافر، وإنما يقال للكاتب سافر، لأنه يبين الشيء ويوضحه. ويقال: أسفر الصبح، إذا أضاء البررة جمع بار، مثل: كفرة وكافر.

تفسير الآيات رقم [17- 32]

{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)}

ثم قال تعالى: {قُتِلَ الإنسان مَا أَكْفَرَهُ} يعني: لعن الكافر بالله تعالى. يعني: عتبة وأصحابه، ومن كان مثل حاله إلى يوم القيامة. ما أكفره يعني: ما الذي أكفره، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: يعني: أي شيء أكفره. قال نزلت في عتبة حيث قال: إني كفرت بالنجم إذا هوى. ويقال: ما أكفره، يعني: ما أشده في كفره. ثم قال: {مِنْ أىّ شَئ خَلَقَهُ} يعني: هل يعلم من أي شيء خلقه الله تعالى. ويقال: أفلا يعتبر من أي شيء خلقه، ثم أعلمه ليعتبر في خلقه، فقال: {مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} يعني: خلقه في بطن أمه طوراً بعد طور.

{ثُمَّ السبيل يَسَّرَهُ} يعني: يسـره للخـروج من بطن أمـه. ويقال: يسره طريق الخير والشر. وقال مجاهد: هـو مثـل قوله {إِنَّا هديناه السبيل إِمَّا شَـاكِراً وَإِمَّا كَفُـوراً} [الـدهر: 3] {ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} يعـني: جعـل لـه قـبراً يـوارى فيـه. ويقال: أمر به ليعتبر، ويقال: فأقبره أي: جعله ممن يقـبر، ولم يجعله ممن يلقى على وجـه الأرض، كالبهـائم {ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ} يعني: يبعثه في القبر إذا جاء وقته.

ثم قال: {كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} يعـني: لم يـؤد مـا أمـره من التوحيد، وما هنا صلة كقوله {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِـكَ فـاعف عَنْهُمْ واستغفر لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الامر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللـه إِنَّ اللـه يُحِبُّ المتـوكلين} [آل عمـران: 159]. وقال مجاهد: لما يقضي مـا أمـره، يعـني: لا يقضـي أحـداً أبداً، كما افترض عليه. ثم أمرهم بأن يعتبروا بخلقه فقال: {فَلْيَنظُرِ الإنسان إلى طَعَامِـهِ} يعـني: إلى رزقـه ومن أي شيء يرزقه، وليعتبروا بـه {أَنَّا صَـبَبْنَا المـاء صَـبّاً} يعـني: المطر. قرأ أهل الكوفة أنا صببنا، بنصب الألـف. والبـاقون بالكسر فمن قرأ بالنصـب جعلـه بـدلاً عن الطعـام، يعـني: {فَلْيَنظُرِ الإنسان إلى طَعَامِـهِ أَنَّا صَـبَبْنَا المـاء صَـبّاً} ومن قرأ بالكسر، فهو على الاسـتئناف {أَنَّا صَـبَبْنَا المـاء صَـبّاً} يعني: المطر على الأرض المطر بعد المطر.

{ثُمَّ شَقَقْنَا الارض شَقّاً} يعني: شققناها بالنبـات والشـجر {فَأَنبَتْنَـا فِيهَـا} يعــني: في الأرض ومعنـاه: أخرجنـا من الأرض {حَبّاً} يعني: الحبوب كلها {وَعِنَباً} يعـني: الكـروم {وَقَضْباً} قال ابن عباس رضي اللـه عنهمـا: القضـبة وهـو القت الرطب. وقال القتبي: القضـب القت، سـمي قضـباً لأنه يقضب مرة بعد مرة، أي: يقطع. وكذلك الفصيل، لأنه يفصل أي: يقطع. ويقال: وقضبتا يعـني: جميـع مـا يقضـب مثل القت. والكرات، وسائر البقول التي تقطع، فينبت من

أصـله {وَزَيْتُونـاً} وهي شـجرة الزيتـون {وَنَخْلاً} يعـني: النخيل {وَحَدَائِقَ غُلْباً} قال عكرمة: غلاظ الرقاب.
ألا تـرى أن الرجـل إذا كـان غليـظ الرقبـة، يقـال أغلب. والحدائق واحدها حديقة غلباً أي: نخلاً غلاظاً طوالاً. ويقال: حدائق غلباً يعني: حيطان النخيل والشـجر. وقـال الكلـبي: كل شيء أحبط عليه من نخيل أو شجر، فهو حديقـة، ومـا لم يحط به فليس بحديقة. ويقـال: الشـجر الملتـف بعضـه في بعض.
ثم قال عز وجل: {وفاكهة} ويعـني الثمـر كلهـا وروي عن النبي صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: " خُلِقْتُمْ مِنْ سَبْعٍ وَرُزِقْتُمْ مِنْ سَـبْعٍ فَاسْـجُدُوا للـه عَلَى سَـبْعٍ " وإنمـا أراد بقوله خلقتم من سبع يعني من نطفـة ثم من علقـه، الآيـة والرزق من سبع وهو قوله: «فأنبتنا فيهـا حبـاً وعنبـاً» إلى قوله: «وفاكهة وأبـاً» ثم قـال: {وَأَبّاً} يعـني العنب وقـال مجاهد: ما يأكل الدواب والأنعام وقال الضـحاك هـو التبن.
{متاعا لَّكُمْ ولانعامكم} يعني الحبوب والفواكه منفعة لكم والكلأ والعشب منفعة لكم ولأنعامكم.

تفسير الآيات رقم [33- 42]

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَـرْءُ مِنْ أَخِيـهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيـهِ (36) لِكُـلِّ امْـرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَـاحِكَةٌ مُسْتَبْشِـرَةٌ (39) وَوُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَـا غَبَـرَةٌ (40) تَرْهَقُهَـا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42)}
ثم ذكـر القيامـة فقـال: {فَـإِذَا جَـاءتِ الصـاخة} يعـني: الصيحة تصخ الأسماع أي تصمها فلا يسمع إلا مـا يـدعا بـه ويقال الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة وكذلك الطامـة والقارعة والحاقة ثم وصف ذلـك اليـوم فقـال: {يَـوْمَ يَفِـرُّ المرء مِنْ أَخِيهِ} وفراره أنه يعرض عنه بنفسه وقال شهر

بن حوشب يوم يفر المرء من أخيه يعـني: هـو هابيـل يفـر من أخيه قابيل {وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم من أمه وأبيه وإبراهيم من أبيه {وصـاحبته} يعـني: لوط عليـه السـلام من امرأتـه {وَبَنِيـهِ} يعـني: نـوح عليـه السلام من ابنه، ويقال هذا في بعض أحـوال يـوم القيامـة أن كل واحد منهم يشـتغل بنفسـه يعـني: فلا ينظـر المـرء إلى أخيه وإلى أبيه وإلى ابنه ثم قال تعـالى: {لِكُـلِّ امـرئ مِّنْهُمْ شَأْنٌ يُغْنِيـهِ} يعـني؛ لكـل إنسـان شـغل يشـغله عن هؤلاء، وروي في الخبر أن عائشة رضي الله عنها قالت يـا رسول الله كيف يحشر الناس قال: «حُفَاة عُرَاة» فقـالت عائشة رضي الله عنها واسوأتاه النساء مـع الرجـال حفـاة عراة فقرأ رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم هـذه الآيـة {لِكُلِّ امـرئ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيـهِ} يعـني: لكـل واحـد منهم عمل يشغله بنفسه عن غيره ثم قال تعالى: {وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ} يعني: من الوجوه ما يكون في ذلك اليـوم مشـرقة مضـيئة {ضـاحكة مُّسْتَبْشِـرَةٌ} يعـني: مفرحـة بـالثواب وهم المؤمنـون المطيعـون {وَوُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَـا غَبَرَةٌ} يعني: من الوجوه ما يعلوها السواد كالدخان وأصل الغبرة يعني الغبار ثم قال عز وجل: {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} يعني: تلحقها قترة يعني يغشـاها الكسـوف والسـواد {أُوْلَئِكَ هُمُ الكفرة الفجرة} يعـني: أن أهـل هـذه الصـفة هم الكفـرة بالله تعالى الكذبـة على اللـه تعـالى ويقـال ترهقهـا قـترة يعني المذلة والكآبة والفجرة يعني: الظلمة. والله الموفق بمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

سورة التكوير

تفسير الآيات رقم [1- 14]

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)}

قوله تعالى: {إِذَا الشمس كُوّرَتْ} قال أبو الليث رحمه الله حدثنا الحاكم أبو الفضل قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب المروزي حدثنا محمد بن حموية النيسابوري قال: حدثنا إبراهيم بن موسى قال: حدثنا هشام عن عبد الله عن يحيى بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إليَّ يَوْمَ القِيَامَةِ فَلْيَقْرَأْ إذَا الشَّمْسُ كُوِّرتْ» وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: {إِذَا الشمس كُوّرَتْ} يعني: ذهب ضوؤها وكذلك قال الضحاك وعكرمة يعني: اضمحلت وذهبت ويقال تكور كما تكور العمامة يعني: جُمِع ضوؤها ولُفَّ كما تُلف العمامة قوله تعالى: {وَإِذَا النجوم انكدرت} يعني: تناثرت وتساقطت {وَإِذَا الجبال سُيّرَتْ} يعني: قُلعت عن الأرض وسُيِّرت في الهواء كقوله: {قَالَتْ رَبِّ أنى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كذلك الله يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قضى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [الكهف: 47] يعني: خالية ليس عليها شيء من الماء والشجر وغيرها ثم قال: {وَإِذَا

العشار عُطِّلَتْ} يعني: النوق الحوامل عطّلها أربابها اشتغالاً بأنفسهم وواحدها: عشراء وهي الناقة التي أتت على حملها عشرة أشهر وهي في الحمل فلا يعطلها أهلها إلا في يوم القيامة وهذا على وجه المثل لأن في يوم القيامة لا يكون ناقة عشراء، ولكن أراد به المثل يعني: أن هول يوم القيامة بحال لو كان عند الرجل عشراء يعطلها واشتغل بنفسه ثم قال: {وَإِذَا الوحوش حُشِرَتْ} يعني: جُمِعَتْ {وَإِذَا البحار سُجِّرَتْ} يعني: ضجرت بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً فملئت وكثر ماؤها كقوله: {والبحر المسجور} [الطور: 6] يعني: الممتلئ ويقال: سجرت أي أحميت بالكواكب إذا تساقطت وفيها قال ابن عباس إذا كان يوم القيامة كوَّر الله تعالى الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم بعث الله تعالى ريحاً دبوراً فتنفخها فتصير ناراً وهو قوله: {وَإِذَا البحار سُجِّرَتْ} أي: أحميت. وقال قتادة: سجرت أي: غار ماؤها، وقال الزجاج وقد قيل إنه جعل مياهها ناراً يعذب بها الكفار فهذه الأشياء الست التي ذكرها قبل النفخة الأخيرة والتي ذكرها بعدها تكون بعد النفخة الأخيرة وهو قوله: {وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ} قال الكلبي ومقاتل: يعني: نفوس المؤمنين قرنت بالحور العين ونفوس الكفار بالشياطين. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: {وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ} قال الفاجر مع الفاجر والصالح مع الصالح وقال أبو العالية الرياحي قرنت الأجساد بالأرواح وقال القتبي الزوج القرين كقوله: {احشروا الذين ظَلَمُواْ وأزواجهم وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ}

[الصافات: 22] يعني: قرناءهم ثم قال: {وَإِذَا النفوس زُوِّجَتْ} أي: قرنت نفوس الكفار بعضها ببعض والعرب تقول زوجت إبلي إذا قرنت بعضها ببعض ويقال: وإذا النفوس زوجت يعني الأبرار مع الأبرار في زمرة والأشرار

مع الأشرار في زمرة ثم قال: {وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ بِـأَىّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}. وكان العرب إذا ولد لأحدهم ابنـة دفنهـا حيـة وهي الموءودة فتسأل يوم القيامـة بـأي ذنب قتلـك أبـوك وإنما يكون السؤال على وجه التوبيخ لقائلهـا يـوم القيامـة لأن جوابهـا قتلت بغـير ذنب وهـو مثـل قولـه تعـالى: {وَإِذْ قَالَ اللـه ياعيسـى ابن مَـرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتخـذونى وَأُمِّىَ إلهين مِن دُونِ اللـه قَـالَ سبحانك مَـا يَكُـونُ لى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُـهُ فَقَـدْ عَلِمْتَـهُ تَعْلَمُ مَـا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ علام الغيـوب} [المائدة: 116] وإنما سؤاله وجوابه تبكيت على من ادعى هذا عليه وقال عكرمة الموؤودة المدفونـة، كـانت المـرأة في الجاهلية إذا حملت فكانت أوان ولادتها حفـرت حفـرةً فإن ولدت جارية رمت بهـا في الحفـرة وإن ولـدت غلامـاً حبسته وقرئ في الشاذ {وَإِذَا المـوءودة سُـئِلَتْ بِـأَىّ ذَنبٍ قُتِلَتْ} يعني: المقتولة سـئلت لأبويهـا بـأي ذنب قتلتمـاني ولا ذنب لي قولـه تعـالى: {وَإِذَا الصـحف نُشِـرَتْ} يعـني؛ تطايرت الصحف وهي الكتب الـتي فيهـا أعمـال بـني آدم، قـرأ ابن كثـير وأبـو عمـرو سـجرت وسـعرت مخففـتين، ونشرت مشددة وقرأ نافع وابن عـامر وحفص عن عاصـم سجرت وسعرت مشددتين ونشـرت مخففـة وقـرأ حمـزة والكسـائي سـجرت ونشـرت مخففـتين وسـعرت مشـددة فمن شددها فلتكثير ومن خففهـا فعلى غـير التكثـير قولـه تعالى: {وَإِذَا السماء كُشِطَتْ} يعـني: نـزعت من أماكنهـا كما يكشف الغطاء عن الشيء يعني: كشفت عما فيهـا ثم قـال عـز وجـل: {وَإِذَا الجحيم سُـعّرَتْ} يعـني: للكـافرين {وَإِذَا الجنـة أُزْلِفَتْ} يعـني: قـربت للمتقين فجـواب هـذه الأشـياء قولـه تعـالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَـرَتْ} يعـني؛ عند ذلك تعلم كـل نفس مـا عملت من خـير أو شـر وهـذا كقولـه تعـالى: {يَـوْمَ تَجِـدُ كُـلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْـرٍ

مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سواء تَـوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَـا وَبَيْنَـهُ أَمَـدَا بَعِيــدًا وَيُحَـذِّرُكُمُ اللــه نَفْسَـهُ واللــه رَءُوفُ بالعبــاد} [آل عمران: 30] الآية.

تفسير الآيات رقم [15- 25]

{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (15) الْجَـوَارِ الْكُنَّسِ (16) وَاللَّيْـلِ إِذَا عَسْـعَسَ (17) وَالصُّـبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (18) إِنَّهُ لَقَـوْلُ رَسُـولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَـاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَـاحِبُكُمْ بِمَجْنُـونٍ (22) وَلَقَـدْ رَآهُ بِـالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (24) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {فَلاَ أُقْسِمُ بالخنس} يعني: الــذي خنس بالنهار وظهـر بالليـل، ويقـال الخنس النجـوم الـتي تخنس بالنهار وتظهر بالليل {الجوار الكنس} الجوار الـتي تجـري والكنس الـتي ترتفـع وتغيب، وقـال أهـل التفسـير الخنس يعـني: خمسـة من الكـواكب فهـران، وزحـل، ومشـتري، وعطــارد، وزهــرة الــتي تخنس بالنهــار وتظهــر بالليــل، الجواري لأنهن تجري بالليل في السـماء {الكنس} يعـني: تستتر كما تكنس الظباء وقال أهـل اللغـة الخنس واحـدها خـانس كراكـع وركّع وقـال بعضـهم: الخنس أرادهـا هنـا الوحوش والظباء وظباء الوحوش والجـواري الكنس الـتي تـدخل الكنـائس وهـذا غصـن من أغصـان الشـجر ويكـون معنـاه: أقسـم بـرب هـذه الأشـياء وروى عكرمـة عن ابن عبـاس: {الخنس} المعـز، والكنس: الظبـاء ألم تـرى إذا كـانت في الظـل كيـف تكنس بأعناقهـا ومـدت ببصـرها؟ وروى الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: {بالخنس الجوار الكنس} هي بقـر الـوحش وقال علي بن أبي طـالب: هي النجـوم، وقـال القتـبي هي النجوم الخمسة الكبـار لأنهـا تخنس أي ترجـع في مجراهـا وتكنس أي تسـتتر كمـا تكنس الظبـاء ثم قـال عـز وجـل:

{والليـل إِذَا عَسْـعَسَ} يعـني: إذا أدبـر وقـال الزجـاج: {عَسْعَسَ} إذا أقبل. وعسعس: إذا أدبـر والمعنيـان يرجـع إلى شيء واحد وهـذا ابتـداء الظلام في أولـه وإدبـاره في آخره وقال مجاهد {إِذَا عَسْعَسَ} أي إذا أظلم ثم قال عز وجـل: {والصـبح إِذَا تَنَفَّسَ} يعـني: إذا استضـاء وارتفـع، ويقال إذا امتد حتى يصير النهار بيناً، فأقسم بهذه الأشـياء، ويقال يخـالف هـذه الأشـياء {أَنَّهُ} يعـني: القـرآن {لَقَـوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} على ربه يقـرأ على النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم وهو جبريل عليه السلام ثم أثـنى على جبريـل وبيَّن فضله فقال: {ذِى قُوَّةٍ} يعني: ذا شدة ويقال: أعطاه اللـه تعالى القوة ومن قوته أنه قلع مدائن قوم لوط بجناحه ثم قال عز وجـل: {عِنـدَ ذِى العـرش مَكِينٍ} يعـني: عنـد رب العرش له منزلة {مطاع} يعـني: يطيعـه أهـل السـماوات {ثَمَّ أَمِينٍ} فيمـا اسـتودعه اللـه من الرسـالات ويقـال: {مطاع} يعني: طاعته على أهل السموات واجبـه كطاعـة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم على أهـل الأرض {أَمِينٌ} على الرسالة والوحي، ويقال: {أَمِينٌ} في السماء كما أن محمد صلى الله عليه وسلم أمين في الأرض ثم قـال عـز وجـل: {وَمَـا صـاحبكم} الـذي يـدعوكم إلى التوحيـد للـه تعالى {بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَءاهُ} يعني: رأى محمـدٌ صـلى اللـه عليه وسـلم جبريـل عليـه السـلام {بـالافق المـبين} عنـد مطلع الشمس ثم قال: {وَمَا هُوَ عَلَى الغيب بِضَـنِينٍ} أي: ليس فيما يوحَى إليه من القرآن ببخيـل وقـرأ ابن مسـعود رضي الله عنه بظنين بظاء وهكذا قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسـائي {***بظـنين} يعـني: بمتَّهم أنـه يزيـد فيـه أو ينقص والباقون بالضاد يعني: البخيل ثم قال: {بِضَنِينٍ وَمَـا هُوَ بِقَوْلِ شيطان رَّجِيمٍ} يعني: القرآن ليس بمنزلـة قـول الكهان.

▲ تفسير الآيات رقم [26- 29]

{فَـأَيْنَ تَـذْهَبُونَ (26) إِنْ هُـوَ إِلَّا ذِكْـرٌ لِلْعَـالَمِينَ (27) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَـاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَـاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (29)}

قوله عز وجل: {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} يعني: تذهبون عن طاعتي وكتابي ويقال: أنى تذهبون يعني: تعدلون عن أمري وقـال الزجاج معناه فبأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقـة التي بينت لكم {إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْـرٌ للعـالمين} يعـني: مـا هـذا القـرآن إلا عظـة للجن والإنس. قولـه تعـالى: {لِمَن شَـاء مِنكُمْ أَن يَسْـتَقِيمَ} يعـــني: لمن شـــاء أن يســـتقيم على التوحيـد فليسـتقم {وَمَـا تَشَـاءونَ إِلاَّ أَن يَشَـاء اللـه رَبُّ العالمين} فأعلمهم أن المشـيئة والتوفيـق والخـذلان إليـه وأن الأمور كلها بمشيئة الله تبـارك وتعـالى وإرادتـه واللـه الموفق وصلى الله على سيدنا محمد.

سورة الانفطار

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5)}

قوله تعالى: {إِذَا السماء انفطرت} يعني: انفجرت لهيبة الرب تبارك وتعالى ويقال: انفجرت لنزول الملائكة لقوله تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السمآء بالغمام وَنُزِّلَ الملئكة تَنزِيلاً} [الفرقان: 25] {وَإِذَا الكواكب انتثرت} يعني: تساقطت {وَإِذَا البحار فُجّرَتْ} يعني: فتحت بعضها في بعض وصارت بحراً واحداً {وَإِذَا القبور بُعْثِرَتْ} يعني: بعثرت وأخرج ما فيها، ويقال: بعثرت المتاع وبعثرته إذا جعلت أسفله أعلاه ثم قال عز وجل: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} يعني: ما عملت من خير وشر يعني ما عملت من سنة صالحة أو سيئة، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الْهُدَى فَاتُّبِعَ فَلَهُ أَجْرُ مَنِ اتَّبَعَهُ إلاَّ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى الضَّلاَلَةِ فَاتُّبِعَ فَلَهُ وزرُ مَنْ اتَّبَعَهُ إلاَّ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئَاً» ويقال: {مَّا قَدَّمَتْ} أي: ما عملت وما {أخرت} يعني: أضاعت العمل فلم تعمل.

تفسير الآيات رقم [6- 12]

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)}

ثم قال عز وجل: {القرءان خَلَقَ الإنسان} يعـني: يـا أيهـا الكافر {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم} يعني: لم يعجـل بالعقوبـة، وقال مقاتل: نزلت في كلدة بن أسـيد حيث ضـرب النـبي صلى الله عليه وسلم بقوسه فلم يعاقبه النبي صـلى اللـه عليه وسلم، فبلغ ذلك حمزة فأسلم حمية لذلك ثم أراد أن يعود كلدة لضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية فأسلم حمزة يومئذٍ».

ويقال نزلت في جميع الكفار مـا غـرك يعـني: مـا خـدعك حين كفـرت بربـك الكـريم المتجـاوز لمن تـاب {الـذى خَلَقَـكَ} من النطفـة {فَسَـوَّاكَ} يعـني: فسـوى خلقـك {فَعَدَلَكَ} يعني: خلقك معتدل القامة {مَا يجادل * صُـورَةٍ مَّا شَـاء رَكَّبَـكَ} يعـني: شـبهك بـأي صـورة شـاء إن شـاء بالوالد وإن شـاء بالوالـدة قـرأ عاصـم والكسـائي وحمـزة فعدلك بالتخفيف والبـاقون بالتشـديد فمن قـرأ بـالتخفيف جعـل في المعـنى إلى فكأنـه قـال فعـدلك إلى أي صـورة شاء أن يركبك يعني صـرفك إلى مـا شـاء من الصـور من الحسن والقبح ومن قرأ بالتشديد فمعناه قومك ويكون مـا صلة وقد تم الكلام عند قولـه فعـدلك ثم ابتـدأ فقـال: في أي صـورة شـاء ركبـك، ويقـال: في مـا معـنى الشـرط والجزاء والمعنى أي صورة ما شاء أن يركبـك فيهـا ركبـك ويكون شاء بمعنى يشاء ثم قال عز وجل: {كَلاَّ} يعـني: لا يـؤمن هـذا الإنسـان بمـا ذكـره من أمـره وصـورته {بَـلْ تُكَذِّبُونَ بالدين} يعني: تكذبون بأنكم مبعوثون يوم القيامة ثم أعلم اللـه تعـالى أن أعمـالكم محفوظـة عليهم فقـال: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لحـافظين} من الملائكـة يحفظـون أعمـالكم {كِرَاماً كاتبين} يعني: كراماً على الله تعالى كـاتبين يعـني يكتبون أعمال بني آدم عليه السلام {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُـونَ} من الخير والشر، وروى مجاهد عن النبي صلى اللـه عليـه

وسلم قال: " أَكْرِمُوا الكِـرَامَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لاَ يُفَـارِقُونَكُمْ إلاَّ عِنْدَ إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ الجَنَابَةِ والْغَائِطِ ".

▲ تفسير الآيات رقم [13- 19]

{إِنَّ الْأَبْـــرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (15) وَمَـا هُمْ عَنْهَـا بِغَـائِبِينَ (16) وَمَـا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (17) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الـدِّينِ (18) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (19)}

ثم قال تعالى: {إِنَّ الابـرار} يعـني: المؤمـنين المصـدقين في أيمـانهم {لَفِى نَعِيمٍ} يعـني: في الجنـة وهم أبـو بكـر وعمر وعثمان وعلي وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضـي اللـه عنهم ومن كـان مثـل حـالهم {وَإِنَّ الفجـار} يعـني: الكفـار {لَفِى جَحِيمٍ يَصْـلَوْنَهَا يَـوْمَ الـدين} يعـني: يدخلون فيها يوم القيامة {وَمَا هُمَ عَنْهَا بِغَـائِبِينَ} يعـني: لا يخرجون منهـا أبـداً {وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا يَـوْمُ الـدين} تعظيمـاً لذلك اليوم {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدين} يعني: كيـف تعلم حقيقة ذلـك اليـوم ولم تعاينـه {يَـوْمَ لاَ تَمْلِـكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَـيْئاً} يعـني: لا تنفـع نفس مؤمنـة لنفس كـافرة شـيئاً بالشفاعة قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمـرو بالضـم والبـاقون بالنصـب فمن قـرأ بالضـم معنـاه يـوم لا تملـك ومن قـرأ بالنصب فلنزع الخـافض يعـني في يـوم ثم قـال: {والامـر يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} يعـني: الحكم والقضـاء للـه تعـالى وهـو يـوم القيامة.

83

▲ سورة المطففين

▲ تفسير الآيات رقم [1- 10]

{وَيْـــــلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَـــــالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْـتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَوْ وَزَنُـوهُمْ يُخْسِـرُونَ (3) أَلَا

يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَـوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَـوْمَ يَقُـومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِـجِّينٍ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (8) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10)}

قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} يعني: الشـدة من العـذاب للذين ينقصون المكيال والميزان وإنما سمي الـذي يخـون في المكيـال والمـيزان مطففـاً لأنـه لا يكـاد يسـرق في المكيـال والمـيزان إلا الشـيء الخفيـف الطفيـف ثم بيّن أمرهم فقال: {الـذين إِذَا اكتـالوا عَلَى النـاس يَسْـتَوْفُونَ} يعـني: اسـتوفوا من النـاس لأنفسـهم وعلى بمعـنى عن بمعـنى إذا اكتـالوا عن النـاس يسـتوفون يتمـون الكيـل والوزن {وَإِذَا كَالُوهُمْ} يعني: إذا باعوا من غيرهم ينقصون الكيل {أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} يعني: ينقصون الكيل وقـال بعضهم كالوهم حرفـان يعـني: كـالوا ثم قـال: هم وكـذلك وزنوا ثم قال: هم يخسرون وذكـر عن حمـزة الزيـات أنـه قـال هكـذا ومعنـاه هم إذا كـالوا أو وزنـوا ينقصـون وكـان الكسائي يجعلها حرفاً واحداً كالوهم أي: كالوا لهم وكـذلك وزنوا لهم وقال أبو عبيدة وهذه هي القـراءة لأنهم كتبوهـا في المصاحف بغير ألف ولو كان مقطوعاً لكتبـوا كـالواهم بـالألف ثم قـال عـز وجـل: {أَلا يَظُنُّ} يعـني: ألا يعلم المطفـف وألا يسـتيقن بـالبعث قولـه تعـالى: {أَوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ} يعني: يبعثون بعد الموت {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ} يعـني: يوم القيامة هولها شديد {يَوْمَ يَقُومُ الناس لِرَبّ العالمين} يعني: في يوم يقوم الخلائق بين يدي الله تعالى وروى أبـو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُـومُ النَّاسُ لِـرَبِّ الْعَـالَمِينَ مِقْـدَارَ نِصْـفَ يَـوْمٍ يَعْنِي: خَمْسَـمِائَةِ عَـامٍ وَذَلِـكَ الْمَقَـامُ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ كَتَـوَلِّي الشَّمْسَ» وروى نافع عن ابن عمـر عن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم قال: «يَقُومُ أَحَدُكُمْ ورشحه إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»

وقـال ابن مسـعود: إن الكـافر ليلجم بعرقـه حـتى يقـول أرحني ولـو إلى النـار ثم قـال: {كَلاَّ} يعـني: لا يسـتيقنون البعث ثم استأنف، فقال: {إِنَّ كتابِ الفجار} ويقـال: هـذا موصول بكلا إن كتـاب يعـني حقـاً إن كتـاب الفجـار {لَفِى سِـجّينٍ} يعـني: أعمـال الكفـار لفي سـجين قـال مقاتـل وقتادة: السجين الأرض السفلى، وقـال الزجـاج: السـجين فعيل من السجن والمعـنى: كتـابهم في حبس جعـل ذلـك دليلاً على خساسة منزلتهم وقـال مجاهـد: سـجين صـخرة تحت الأرض السـفلى فيجعـل كتـاب الفجـار تحتهـا، وقـال عكرمـة: {لَفِى سِـجّينٍ} أي: لفي خسـارة وقـال الكلـبي: السجين الصخرة التي عليها الأرضون وهي مسـجونة فيهـا أعمـال الكفـار وأزواجهم فلا تفتح لهم أبـواب السـماء ثم قـال: {وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا سِـجّينٌ} ثم أخـبر فقـال: {كتـاب مَّرْقُـومٌ} يعـني: مكتوبـاً ويقـال: مكتـوب مختـوم {وَيْـلٌ يَوْمَئِذٍ} يعـني: شـدة العـذاب {لِّلْمُكَـذّبِينَ} يعـني: شـدة العذاب للمكذبين.

تفسير الآيات رقم [11- 21]

{الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَـا قَـالَ أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَـا كَـانُوا يَكْسِـبُونَ (14) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَـالُو الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17) كَلَّا إِنَّ كِتَـابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا عِلِّيُّونَ (19) كِتَـابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21)}

ثم بيّن فقال عز وجل: {الذين يُكَذّبُونَ بِيَوْمِ الدين} يعني: يجحدون بالبعث {وَمَا يُكَذّبُ بِهِ} يعني: بيـوم القيامـة {إِلاَّ كُلُّ مُعْتَـدٍ أَثِيمٍ} يعـني: كـل معتـد بـالظلم آثم عـاص لربـه ويقال: كل مقيـد للخلـق أثيم يعـني فـاجر وهـو الوليـد بن المغيرة وأصحابه ومن كان في مثـل حـالهم ثم قـال: {إِذَا

تتلى عَلَيْـهِ ءاياتنـا قَـالَ أسـاطِير الاولين} يعـني: أحـاديث الأولين وكذبهم. ثم قـال: {كَلاَّ} يعـني: لا يـؤمن {بَـلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ} يعني: ختم، ويقـال: غطى على قلـوبهم {مَّا كَـانُواْ يَكْسِـبُونَ} يعـني: مـا عملـوا من أعمـالهم الخبيثـة، وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى اللـه عليـه وسلم أنه قال: «إذَا أَذْنَبَ العَبْدُ ذَنْباً كَانَتْ نُكْتَةٌ سَـوْدَاء فِي قَلْبِهِ فَإِذَا تَابَ صُقِلَ قَلْبُـهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ وَذَلِـكَ قَوْلِـهِ {كَلاَّ بَـلْ رَانَ على قُلُـوبِهِمْ مَّا كَـانُواْ يَكْسِـبُونَ}» وقـال قتـادة: الذنب على الذنب حتى مات القلب (أسود) ويقـال: غلـف على قلوبهم ويقـال: غطـا على قلـوبهم وقـال أهـل اللغـة الرين: هو الصدأ والصدأ هو اسم البعد كما قال: ويصـــدهم عن سبيل الله يغشـى على القلب ثم قـال: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} يعني: لا يرونه يوم القيامة ويقـال عن رحمتـه لممنوعـون {ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَـالُواْ الجحيم} يعـني: دخلوا النار {ثُمَّ يُقَالُ} يعني: يقول لهم الخزنة {هذا الـذى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} يعني: تجحدون، وقلتم إنـه غـير كـائن ثم قال عـز وجـل: {كَلاَّ إِنَّ كتـاب الابـرار لَفِى عِلّيّينَ} يعـني: حقاً إن كتـاب المصـدقين لفي علـيين وهـو فـوق السـماء السابعة، فرفع كتابهم على قدر مرتبتهم ثم قال عز وجل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلّيُّونَ} ثم وصفه فقال: {كتـاب مَّرْقُـومٌ} يعـني: مكتوبـاً مختومـاً في علـيين {يَشْـهَدُهُ المقربـون} يعـني: يشـهد على ذلـك الكتـاب سـبعة أملاك من مقـربي أهـل كـل سـماء وقـال بعضـهم: الكتـاب أراد بـه الـروح والأعمال يعني: يرفع روحه وأعماله إلى عليين.

تفسير الآيات رقم [22- 36]

{إِنَّ الْأَبْـــرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُـــرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْـقَوْنَ مِنْ رَحِيـقٍ مَخْتُـــومٍ (25) خِتَامُـــهُ مِسْـــكٌ وَفِي ذَلِـــكَ فَلْيَتَنَـــافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُـهُ مِنْ تَسْـنِيمٍ (27) عَيْنًـا يَشْـرَبُ

بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)}

ثم قال عز وجل: {إِنَّ الابرار لَفِى نَعِيم عَلَى الارائك يَنظُرُونَ} يعني: المؤمنين الصالحين لفي نعيم في الجنة على الأرائك ينظرون يعني على سرر في الحجال ينظرون إلى أهل النار، ويقال: ينظرون إلى عدوهم حين يعذبون {تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النعيم} يعني: أثر النعمة وسرورهم في وجوههم ظاهر {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ} يعني: يسقون خمراً بيضاء، وقال الزجاج: الرحيق الشراب الذي لا غش فيه، قال القتبي: الرحيق الخمر العتيقة، ثم قال: {مَّخْتُومٍ ختامه مِسْكٌ} يعني: إذا شرب منه رجل وجد عند فراغه من الشراب ريح المسك قرأ الكسائي مسك، وروي عن الضحاك أنه قرأ مثله والباقون ختامه مسك ومعناهما واحد، والخاتم اسم والختام مصدر يعني: يجد شاربه ريح المسك حين ينزع الإناء من فيه ثم قال عز وجل: {وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ المتنافسون} يعني: بمثل هذا الثواب فليتبادر المتبادرون، ويقال: فليتحاسد المتحاسدون ويقال: فليواظب المواظبون وليجتهد المجتهدون وهذا كما قال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم قال: {وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ} يعني: مزاج الخمر من ماء اسمه تسنيم وهو من أشرف الشراب في الجنة وإنما سمي تسنيماً لأنه يتسنم عليهم فينصب عليهم انصباباً، وقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الرجل يقول إني لفي السنام من قومه فهو في السنام من الشراب، وقال القتبي أصله من سنام البعير يعني: المرتفع ثم وصفه فقال عز وجل: {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا

المقربون} يعني: التسنيم عيناً يشرب بها المقربون صرفاً ويمـزج لأصـحاب اليمين ثم قـال عـز وجـل: {إِنَّ الـذين أَجْرَمُــواْ} يعــني: أشــركوا {كَــانُواْ مِنَ الــذين ءامَنُــواْ يَضْــحَكُونَ} يعــني: من ضــعفاء المؤمــنين يضــحكون ويسـخرون ويسـتهزؤون بهم {وَإِذَا مَـرُّواْ بِهِمْ يَتَغَـامَزُونَ} يعـني: يطعنـون ويغتـابون وذلـك أن علي بن أبي طـالب رضـي اللـه عنـه مـر بنفـر من المنـافقين ومعـه نفـر من المسلمين فسخر منهم المنافقون، ويقال حكاية عن كفـار مكة أنهم كانوا يضحكون من ضعفاء المسـلمين وإذا مـروا بهم وهم جلوس يتغامزون يعني يتطاعنون بينهم ويقولـون هؤلاء الكسـالى: {وَإِذَا انقلبـوا إلى أَهْلِهِمْ انقلبـوا فَكِهِينَ} يعني: رجعوا معجبين بما هم فيه {وَإِذَا رَأَوْهُمْ} يعني: رأوا المؤمنين {قَالُواْ إِنَّ هَؤُلاَءَ لَضَالُّونَ} يعني: تركوا طــريقهم {وَمَـا أُرْسِـلُواْ عَلَيْهِمْ حـافظين} يعـني: مـا أرسـل هـؤلاء حــافظين على أصـحاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ليحفظــوا عليهم أعمــالهم، قــال مقاتــل: هــذا كلــه في المنافقين يعني: ما وكـل المنـافقون بـالمؤمنين يحفظـون عليهم أعمالهم، قرأ عاصم في رواية حفص انقلبـوا فكهين بغـير ألـف وفي روايـة حفص والبـاقون بـالألف ومعناهمـا واحد وقال بعضهم: فاكهين ناعمين فكهين فرحين.

ثم قــال عــز وجــل: {فــاليوم الــذين ءامَنُـواْ مِنَ الكفــار يَضْحَكُونَ} يعني: في الجنة يضحكون على أهل النــار وهم على سرر في الحجال وأعداؤهم في النـار {عَلَى الارائـك يَنظُـرُونَ} إلى أعــدائهم يعــذبون في النــار {هَــلْ ثُــوّبَ الكفار} يعني: جوزوا، ويقال: هل جـوزي الكفـار وعوقبـوا إلا {مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} يعـني: إلا بمـا عملـوا في الـدنيا من الاستهزاء، وقال مقاتل: يعني: قد جوزي الكفـار بأعمـالهم الخبيثة جزاءً شراً والله الموفق.

سورة الانشقاق

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (1) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (2) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (3) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (4) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (5)}

قوله تعالى: {إِذَا السماء انشقت} يعني: انفرجت لهيبة الرب عز وجل ويقال انشقت لنزول الملائكة، وما شاء من أمره. {وَأَذِنَتْ لِرَبّهَا وَحُقَّتْ} يعني: أطاعت السماء لربها بالسمع والطاعة. {وَحُقَّتْ} يعني: وحق لها، أن تطيع لربها الذي خلقها. {وَإِذَا الارض مُدَّتْ} أي: بسطت ومدت الأديم ليس فيها جبل، ولا شجر، حتى يتسع فيها جميع الخلائق. وروى علي بن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، مَدَّ الله تَعَالَى الأَرْضَ مَدَّ الأَدِيمِ، حَتَّى لا يَكُونَ لِبَشَرٍ مِنَ النَّاسِ، إلاَّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ لِكَثْرَةِ الْخَلائِقِ فِيهَا». {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} يعني: ألقت الأرض ما فيها، من الكنوز والأموات، وتخلت عنها {وَأَذِنَتْ لِرَبّهَا} يعني: أجابت الأرض لربها بالطاعة، وأدت إليه ما مستودعها من الكنوز والموتى {وَحُقَّتْ} يعني: وحق للأرض، أن تطيع ربها الذي خلقها.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 13]

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13)}

ثم قال عز وجل: {وَحُقَّتْ يأَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ} قال مقاتل: يعني: الأسود بن عبد الأسد. ويقال: أبي بن خلف، ويقال: في جميع الكفار. يعني: أيها الكفار {إِنَّكَ كَادِحٌ} يعني: ساع بعملك. {إلى رَبّكَ كَدْحاً} يعني: سعياً، ويقال: معناه. إنك عامل لربك عملاً {فملاقيه} في عملك ما كان من خير أو شر. فالأول قول مقاتل، والثاني قول الكلبي، وقال الزجاج: الكدح في اللغة، السعي في العمل، وجاء في التفسير، إنك عامل عملاً فملاقيه. أي: ملاق ربك. قيل: فملاقي عملك.
ثم قال عز وجل: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه بِيَمِينِهِ} يعني: المؤمن {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً} يعني: حساباً هيناً {وَيَنقَلِبُ} أي: يرجع {إلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً} الذي أعد الله له في الجنة سروراً به. وروى ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ نُوقِشَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ " فقلت: أليس يقول الله تعالى {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً} يعني: هيناً. قال: «ليس ذلك في الحساب، إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش للحساب يوم القيامة، عذب». ويقال: حساباً يسيراً، لأنه غفرت ذنوبه، ولا يحاسب بها، ويرجع من الجنة مستبشراً.
{وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كتابه وَرَاء ظَهْرِهِ} يعني: الكافر، يخرج يده اليسرى من وراء ظهره، يعطى كتابه بها {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً} يعني: بالويل والثبور على نفسه. {ويصلى سَعِيراً} يعني: يدخل في الآخرة ناراً وقوداً. قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة {ويصلى سَعِيراً} بنصب الياء، وجزم الصاد مع التخفيف. والباقون {ويصلى} بضم الياء ونصب الصاد مع التشديد. فمن قرأ {يَصْلَى} بالتخفيف، فمعناه: أنه يقاسي حر السعير وعذابه. يقال: صليت النار، إذا قاسيت عذابها وحرها. ومن قرأ بالتشديد، فمعناه أنه يكثر

عذابه في النار، حتى يقاصي حرها. {إِنَّهُ كَانَ فِى أَهْلِهِ مَسْرُوراً} يعني: في الدنيا مسروراً، بما أعطي في الدنيا، فلم يعمل للآخرة.

تفسير الآيات رقم [14- 19]

{إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (14) بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (15) فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19)}
قوله عز وجل: {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ} قال مقاتل: ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى في الآخرة، وهي لغة الحبشة، وقال قتادة: يعني: ظن أن لن يبعثه الله تعالى. وقال عكرمة: ألم تسمع إلى قول الحبشي، إذا قيل له حر يعني: أرجع إلى أهلك. ثم قال: {بلى} يعني: ليرجعنّ إلى ربه في الآخرة {إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً} يعني: كان عالماً به، من يوم خلقه إلى يوم بعثه. قوله تعالى: {فَلاَ أُقْسِمُ بالشفق} يعني: أقسم بالشفق، والشفق الحمرة، والبياض الذي بعد غروب الشمس. وهذا التفسير، يوافق قول أبي حنيفة رحمه الله. وروي عن مجاهد، أنه قال: الشفق هو ضوء النهار. وروي عنه أنه قال: الشفق النهار كله، وروي عن ابن عمر أنه قال: الشفق الحمرة، وهذا يوافق قول أبي يوسف، ومحمد، رحمهما الله.
ثم قال: {واليل وَمَا وَسَقَ} يعني: ساق وجمع وضم. وقال القتبي أي: حمل وجمع منه الوسق، وهو الحمل، وقال الزجاج أي: ضم وجمع وقال مقاتل: {واليل وَمَا وَسَقَ} يعني: ما يساق معه من الظلمة والكواكب، وقال الكلبي يعني: ما دخل فيه {والقمر إِذَا اتسق} يعني: إذا استوى، وتم إلى ثلاثة عشرة ليلة، ويقال: إذا اتسق يعني: تم وتكامل.

{لَتَـرْكَبُنَّ طَبَقـاً عَن طَبَـقٍ} قـرأ ابن كثـير، وحمـزة، والكسائي لتركبن بنصب التاء، والباقون بالضم، فمن قرأ بالنصب، فمعناه لتركبن يا محمد من سماء إلى سماء، ومن قرأ بالضم فالخطاب لأمته أجمعين، يعني: لتركبن حالاً بعد حال، حتى يصيروا إلى الله تعالى من إحياء، وإماتة، وبعث. ويقال: يعني: مرة نطفة ومرة علقة، ويقال: حالاً بعد حال، مرة تعرفون ومرة لا تعرفون، يعني: يوم القيامة. ويقال: يعني: السماء لتحولن حالاً بعد حال، مرة تتشقق بالغمام، ومرة تكون كالدهان. قرأ بعضهم ليركبن بالياء، يعني: ليركبن هذا المكذب طبقاً عن طبق، يعني: حالاً بعد حال، يعني: الموت ثم الحياة.

▲ تفسير الآيات رقم [20- 25]

{فَمَـا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ (20) وَإِذَا قُـرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُـرْآَنُ لَا يَسْجُدُونَ (21) بَلِ الَّذِينَ كَفَـرُوا يُكَـذِّبُونَ (22) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (23) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (24) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (25)}

ثم قال عز وجل: {فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} يعني: كفار مكة لا يصدقون بالقرآن {وَإِذَا قُرِئ عَلَيْهِمُ القرءان لاَ يَسْجُدُونَ} يعني: لا يخضعون لله تعالى ولا يوحدونه. ويقال: ولا يستسلمون لربهم، ولا يسلمون ولا يطيعون. ويقال: لا يصلون لله تعالى. قوله تعالى: {بَلِ الذين كَفَرُواْ يُكَذّبُونَ} يعني: يجحدون بالقرآن والبعث، أنه لا يكون. وقال مقاتل: نزلت في بني عمرو بن عمير، وكانوا أربعة، فأسلم اثنان منهم. ويقال: هذا في جميع الكفار.

ثم قال عز وجل: {والله أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} يعني: يكتمون في صدورهم من الكذب والجحود. ويقال: مما يجمعون في قلوبهم من الخيانة. ويقال: معناه والله أعلم بما يقولون ويخفون. {فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} يعني: شديداً

دائماً، وقال مقاتل: ثم استثنى الاثنين اللذين أسلما فقال: {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ} يقال: هـذا الاسـتثناء لجميـع المؤمـنين، يعـني: الـذين صـدقوا بتوحيـد اللـه تعـالى. {وَعَمِلُـواْ الصالحات} يعني: أدوا الفـرائض والسـنن {لَهُمْ أَجْـرٌ غَيْـرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير منقوص، ويقال: غير مقطـوع، ويقـال: لهم أجـر لا يمن عليهم، ومعـنى قولـه {فَبَشّـرْهُم بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ} يعـني: اجعـل مكـان البشـارة للمؤمـنين بالرحمـة، والجنة للكفار بالعذاب الأليم، على وجه التعبير، لأن ذلك لا يكـون بشـارة في الحقيقـة، واللـه الموفـق بمنـه وكرمـه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

▲ سورة البروج

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5)}

قوله تعالى: {والسماء ذَاتِ البروج} يعني: ذات النجوم والكواكب. ويقال: ذات القصور. وقال عطية العوفي: كان القصور في السماء على أبوابه. قال قتادة: البروج النجوم، وكذلك قال مجاهد: أقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج، وجواب القسم قوله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج: 12] ثم قال: {واليوم الموعود} يعني: يوم القيامة. قال مقاتل {اليوم الموعود} الذي وعدهم أن يصيرهم إليه، وقال الكلبي: وعد أهل السماء وأهل الأرض، أن يصيروا إلى ذلك اليوم.

{وشاهد وَمَشْهُودٍ} ذكر مقاتل، عن علي رضي الله عنه قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر يوم الحج الأكبر. وروي عن ابن عباس، أنه قال: الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هؤلاء شَهِيداً} [النساء: 41] والمشهود يوم القيامة، كقوله تعالى: {إِنَّ فِى ذلك لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الاخرة ذلك يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ الناس وذلك يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} [هود: 103]. وروى جويبر، عن الضحاك مثله. وروى أبو صالح، عن ابن عباس قال: «الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةِ». وروى سعيد بن المسيب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ يَوْمَ عَرَفَةِ». وروى جابر

بن عبد الله قال: «الشَّاهِدُ يَوْمَ الْجُمْعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمَ عَرَفَةِ». وروى مجاهد، عن ابن عباس قال: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة، وقال عكرمة مثله. وقال بعضهم: الشاهد آدم، والمشهود ذريته.
ثم قال عز وجل: {قُتِلَ أصحاب الاخدود} يعني: لعن أصحاب الأخدود {النار ذَاتِ الوقود} يعني: يصيرون إلى النار، ذات الوقود في الآخرة: وقال الكلبي: النار ارتفعت فوقهم أربعين ذراعاً، فوقعت عليهم وأحرقتهم وقتلتهم، وذلك قوله: {قُتِلَ أصحاب الاخدود النار ذَاتِ الوقود} قال: حدثنا أبو جعفر، حدثنا علي بن أحمد قال حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الأخدود، فقال: كان ملكاً من الملوك، كان له ساحر فكبر الساحر، فقال للملك: إني قد كبرت، فلو نظرت غلاماً في أهلك فطناً كيساً، فعلمته على هذا فنظر إلى غلام من أهله كيس فظن، فأمره أن يأتيه ويلزمه، وكان بين منزل الغلام ومنزل الساحر راهب، فقال الغلام: لو دخلت على هذا الراهب، وسمعت من كلامه فدخل عليه فأعجبه قوله، وكان أهله إذا بعثوه إلى الساحر، دخل الغلام على الراهب، واحتبس عنده.
فإذا أتى الساحر، ضربه وقال: ما حبسك؟ فإذا رجع من عند الساحر إلى أهله، دخل على الراهب فاحتبس عنده.
فإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا ما حبسك؟ فشكى ذلك إلى الراهب، فقال له الراهب: إذا قالوا لك ما حبسك فقل: حبسني الساحر، وإذا قال لك الساحر: ما حبسك فقل: حبسني أهلي، فبينما هو ذات يوم يريد الساحر، إذا هو بدابة هائلة، يعني: كبيرة قد قطعت الطريق على الناس. فقال: اليوم يتبين لي أمر الراهب، فأخذ حجراً ودنا من

الدابة، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب حقـاً، فاقتـل هـذه الدابـة، ورماهـا بـالحجر، فأصـاب مقتلهـا، فقتلهـا. فقـال الناس: إن هذا الغلام قتل هذه الدابة، واشتهر أمره.

فـأتى الـراهب، فـأخبره، فقـال: يـا بـني، أنت خـير مـني، فلعلـك أن تبتلى لا تـدلن عليَّ، فبلـغ أمـر الغلام أنـه كـان يبرئ الأكمه، والأبـرص، ويـداوي من الأرض، فعمي جليس الملك، فذكر لـه الغلام فأتـاه فقـال: يـا بـني، قـد بلـغ من سحرك أنك تـبرئ الأكمـه والأبـرص، فقـال الغلام: مـا أنـا بسـاحر، ولا أشـفي أحـداً، ولا يشـفي إلا ربي. فقـال لـه الرجل: «هذا الملك ربـك، قـال: لا ولكن ربي ورب الملـك الله تعالى، فإن آمنت بالله تعـالى بـه، دعـوت اللـه تعـالى فشفاك.

فأسـلم فـدعا اللـه تعـالى، فـبرئ فـأتى الملـك فقـال لـه الملك: أليس يا فلان قـد ذهب بصـرك، فقـال: بلى، ولكن رده علي ربي، فقال: أنا، قـال: لا، ولكن ربي وربـك اللـه، قال: أولئك رب غيري، قال: نعم. وربك وربي اللـه تعـالى، فلم يزل به، حتى أخـبره بـأمر الغلام، فأرسـل إلى الغلام، فجاءه فقال: يا بني قد بلـغ من سـحرك، أنـك تشـفي من كذا وكذا، فقال: ما أنا بساحر، ولا أشفي أحداً، وما يشفي إلا ربي فقال: أنا، قال: لا ولكن ربي وربك الله تعالى، فلم يزل به حتى دل على الـراهب، فـدعي الـراهب فـأتي بـه، فأراد أن يرجع من دينـه، فـأبى وأمـر بمنشـار، فوضـع في مفرق رأسه، فشق به حتى سقط شقاه.

ثم دعـا بجليسـه، وأراد أن يرجـع عن دينـه فـأبى، فـأمر بمنشار، فشق حـتى سـقط شـقاه، فـأمر الغلام أن يفعـل ذلك بمكانه، فقال: احملوه في سفينة. فانطلقوا به، حـتى إذا لججتم به فغرقوه، فـانطلقوا بـه حـتى لجـوا بـه، فلمـا أرادوا به ذلك فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فـانكبت بهم السفينة، فغرقوا فجاء الغلام، حـتى قـام بين يـدي الملـك.

فأخبره بالذي كان، فقال انطلقوا بـه إلى جبـل كـذا وكـذا، فإذا كنتم في ذروة الجبل، دهدهه عنه فانطلقوا بـه، حـتى إذا كـانوا بـذلك المكـان. فقـال اللهم اكفينهم بمـا شئت، فتدهدهوا عن الجبل يميناً وشمالاً، فجاء حتى قام بين يدي الملك، فأخبره بالذي كان. وقـال: إن تجمـع الملـك إنـك لا تقدر على قتلي، حتى تفعل بي ما آمرك به.

فقال: وما هو؟ قال: تجمع أهل مملكتك في صـعيد واحـد، ثم تصلبني، وتأخذ سهماً من كتـابي، فترميـني بـه وتقـول: بسم الله رب هذا الغلام، فأصاب صدغه، فوضـع يـده على صدغه فمات.

فقال النـاس: آمنـا بـرب هـذا الغلام. فقيـل للملـك وقعت فيما كنت تجاوز، وقد أسلم النـاس. فقـال: خـذوا يـا قـوم الطريق، وخذوا فيها أخدوداً، وألقوا فيها النار. (فمن رجع) عن دينه وإلا فألقوه فيها، ففعلوا. فجعـل النـاس يجـيئون، ويلقـون أنفسـهم في الأخـدود، حـتى كـان آخـرهم امـرأة، ومعها صبي لها رضيع تحمله، فلمـا دنت من النـار، وجـدت حرها، فولت فقال لها الصبي: يا أمـاه امضـي، فإنـك على الحق، فرجعت وألقت نفسـها في النـار. فـذلك قولـه عـز وجل {قُتِلَ أصـحاب الاخـدود * النـار ذَاتِ الوقـود} وروي في خبر آخر، أن الملك كان على دين اليهودية، يقال له ذو نواس، واسمه زرعة ملك حمـير، ومـا حولهـا فكـان هنـاك قـوم، دخلـوا في دين عيسـى عليـه السـلام فحفـر لهم أخدوداً، فأوقد فيها النـار، وألقـاهم في الأخـدود، فحـرقهم وحرق كتبهم.

ويقال: كان الـذين على دين عيسـى عليـه السـلام بـأرض نجران، فسار إليهم من أرض حمير، حتى أحرقهم وأحـرق كتبهم، فأقبـل منهم رجـل، فوجـد مصـحفاً فيهـا وإنجيلاً محترقاً بعضه، فخرج به، حتى أتى به ملـك الحبشـة فقـال له: إن أهل دينك قد أوقدت لهم النار، فحرقوا بهـا وحـرق

كتبهم، فأراه الذي جاء به، ففزع الملك لذلك، وبعث إلى صاحب الروم، وكتب إليه يستمده بنجارين يعملون له السفن. فبعث إليه صاحب الروم، من يعمل له السفن، فحمل فيها الناس، فخرج به. فخرجوا ما بين ساحل عدن إلى ساحل جازان، وخرج إليهم أهل اليمن، فلقوهم بتهامة، واقتتلوا فلم ير ملك حمير له بهم طاقة، وتخوف أن يأخذوه، فضرب فرسه حتى وقع في البحر، فمات فيه. فاستولى أهل الحبشة على ملك حمير وما حوله، وبقي الملك لهم، إلى وقت الإسلام.

وروي في الخبر، أن الغلام الذي قتله الملك دفن، فوجد ذلك الغلام في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واضعاً يده على صدغه، كما كان وضعها حين قتل، وكلما أخذ يده سال منه الدم، وإذا أرسل يده، انقطع الدم، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليهم، أن ذلك الغلام صاحب الأخدود، فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة على حاله. وذلك قوله تعالى: {قُتِلَ أصحاب الاخدود} يعني: لعن أصحاب الأخدود، وهم الذين خدوا أخدود النار ذات الوقود، يعني: الأخدود ذات النار الوقود. ويقال: {قُتِلَ أصحاب الاخدود} يعني: أهل الحبشة قتلوا أصحاب الأخدود، أصحاب النار ذات الوقود.

تفسير الآيات رقم [6- 11]

{إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (9) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)}

قوله عز وجل: {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا} يعني: القوم عند النار حضور. قال سفيان: إذ هم عليها على السرر {قُعُودٌ} عند النار {وَهُمْ على مَا يَفْعَلُونَ بالمؤمنين شُهُودٌ} يعني: أن خدامهم وأعوانهم، يفعلون بالمؤمنين ذلك، وهم هناك شهود. يعني: حضوراً. ويقال: يفعلون بالمؤمنين ذلك، وهم شهود. يعني: يشهدون بأن المؤمنين في ضلال، تركوا عبادة آلهتهم. ويقال: على ما يفعلون بالمؤمنين شهود، يشهدون على أنفسهم يوم القيامة. {وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ} يعني: وما طعنوا فيهم. {إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بالله} يعني: سوى أنهم صدقوا بتوحيد الله تعالى {العزيز} في ملكه {الحميد} في فعاله.

ويقال وما نقموا منهم يعني: وما أنكروا عليهم، إلا أن يؤمنوا بالله يعني: إلا إيمانهم بالله {الذى لَهُ مُلْكُ السموات والارض والله على كُلّ شَئ شَهِيدٌ} ثم بيّن ما أعد الله لأولئك الكفار. فقال عز وجل: {إِنَّ الذين فَتَنُواْ} يعني: عذبوا وأحرقوا {المؤمنين والمؤمنات} يعني: في الدنيا {ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ} يعني: لم يرجعوا عن دينهم، ولم يتوبوا إلى الله تعالى {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ} في الآخرة {وَلَهُمْ عَذَابُ الحريق} يعني: العذاب الشديد. وقال الزجاج: المعنى والله أعلم، لهم عذاب بكفرهم، ولهم عذاب بما حرقوا المؤمنين.

قوله تعالى: {إِنَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار ذَلِكَ الفوز الكبير} جزاءً لهم.

▲ تفسير الآيات رقم [12- 22]

{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (13) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (14) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (15) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (17) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (18) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (19) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ

مُحِيطٌ (20) بَلْ هُوَ قُرْآَنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (22)}
{إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} يعني: عذاب ربك لشديد، وهذا قول مقاتل، وقال الكلبي: إن أخذ ربك لشديد، ومعناهما واحد. ويقال: العقوبة الشديدة، وهذا موضع هذا القسم. ثم قال: {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} يعني: يبدأ الخلق في الدنيا، ويعيد في الآخرة من التراب. يعني: يبعثهم بعد الموت {وَهُوَ الغفور الودود} يعني: الغفور لذنوب المؤمنين، ويقال: الغفور للذنوب الودود، يعني: المحب للتائبين. ويقال: المحب لأوليائه، ويقال: الودود يعني: الكريم.
ثم قال: {ذُو العرش المجيد} يعني: رب السرير الشريف. قرأ حمزة والكسائي بكسر الدال، وقرأ الباقون بالضم، فمن قرأ بالخفض، جعله نعتاً للعرش، ومن قرأ بالضم، جعله صفة ذو يعني: {ذُو العرش} وهو {المجيد} الشريف والمجيد الكريم {فَعَّالٌ لّمَا يُرِيدُ} يعني: يحيي ويميت، ويعز ويذل. ثم قال عز وجل: {هَلُ أَتَاكَ حَدِيثُ الجنود} يعني: قد أتاك حديثهم. ثم فسر الجنود فقال: {فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ} يعني: قوم موسى، وقوم صالح أهلكهم الله تعالى في الدنيا. وهذا وعيد لكفار هذه الأمة، ليعتبروا بهم ويوحدوه.
ثم قال تعالى: {بَلِ الذين كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ} يعني: إن الذين لا يعتبرون، ويكذبون الرسل والقرآن {والله مِن وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ} يعني: اصبر يا محمد على تكذيبهم، فإن الله عالم بهم. وقال الزجاج، في قوله والله من ورائهم محيط، يعني: لا يعجزه منهم أحد، قدرته مشتملة عليهم {بَلْ هُوَ قُرْءانٌ مَّجِيدٌ} يعني: إنهم وإن كذبوا، لا يعرفون حقه لا يقرون به، وهو قرآن شريف، أشرف من كل كتاب. أو يقال: شريف لأنه كلام رب العزة {فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} يعني: مكتوباً في اللوح، الذي هو محفوظ عند

الله من الشياطين، وهو عن يمين العرش من درة بيضـاء. ويقال: من ياقوتة حمراء.

قرأ نافع {مَّحْفُوظٍ} بالضـم، والبـاقون بالكسـر، فمن قـرأ بالضم، جعله نعتاً للقرآن، ومعناه قرآن مجيد، محفوظ من الشياطين في اللوح. ومن قرأ بالكسـر، فهـو نعت اللـوح. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي اللـه عنهم أنـه قال: إن الله تعالى جعـل لوحـاً من درة بيضـاء دفتـاه، من ياقوتة حمراء، ينظر الله تعالى فيـه في كـل يـوم ثلاثمائـة وستين مرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل مـا يشـاء. وروي عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه قال: حـدثني فرقـد في قوله تعالى: {بَلْ هُوَ قُرْءانٌ مَّجِيدٌ فِى لَـوْحٍ مَّحْفُـوظٍ} قال: هو صدر المؤمنين، وقال قتادة: في اللوح المحفـوظ عند الله تعالى، واللـه الموفـق بمنـه وكرمـه، وصـلى اللـه على سيدنا محمد؛ وآله وصحبه وسلم تسليماً.

سورة الطارق

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (3) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (4)}

قوله تعالى: {والسماء والطارق} قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس رضي الله عنهم عن قوله: {والسماء والطارق} فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطارق النجم الثاقب} وسكت فقلت له: مالك؟ فقال: والله ما أعلم منها، إلا ما أعلم ربي. يعني: تفسير الآية ما ذكر في هذه الآية، وهو قوله: والنجم الثاقب. يعني: هو الطارق. وروي عن ابن عباس، رضي الله عنهما في رواية أخرى. {والسماء والطارق} قال الطارق الكواكب التي تطرق في الليل، وتخفى في النهار، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطارق} على وجه التعجب والتعظيم.

ثم بيّن فقال {النجم الثاقب} يعني: هو النجم المضيء. وقال مجاهد: {الثاقب} الذي يتوهج. وقال الحسن البصري {الثاقب} هو النجم، حين يرسل على الشياطين، فيثقبه، يعني: فيحرقه. وقال قتادة: {النجم الثاقب} يعني: يطرق بالليل، ويخنس بالنهار فأقسم الله تعالى بالسماء ونجومها. ويقال: بخالق السماء ونجومها {إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} وهذا جواب القسم، يعني: ما من نفس إلا عليها حافظ من الملائكة، يحفظ قولها وفعلها. قرأ عاصم وحمزة، وابن عامر، {إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا} بتشديد الميم، والباقون {لَّمَّا عَلَيْهَا} بالتخفيف، فمن قرأ بالتشديد، فمعناه ما من نفس إلا وعليها حافظ، فيكون

لما بمعنى إلا، ومن قرأ بالتخفيف جعل ما مؤكدة، ومعنـاه كل نفس عليها حافظ.

تفسير الآيات رقم [5- 10]

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (8) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (9) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (10)}
ثم قال: {فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ} يعني: فليعتبر الإنسان من ماذا خلق. قال بعضهم: نزلت في شأن أبي طالب، ويقال نزلت في جميع من أنكر البعث. ثم بين أول خلقهم ليعتبروا فقال: {خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ} يعني: من ماء مهراق في رحم الأم، ويقال: دافق بمعنى مدفوق. كقوله {فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} [القارعة: 7] أي: مرضية ثم قال: {يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصلب والترائب} يعني: خلق من مائين، من ماء الأب يخرج من بين الصلب، ومن ماء الأم يخرج من الترائب. والترائب: موضع القردة كما قال امرؤ القيس
مهفهفة بيضاء غير مفاضة *** ترائبها مصقولة كالسجنجل
ثم قال: {إِنَّهُ على رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} يعني: على بعثه وإعادته بعد الموت لقادر، ويقال على رجعه إلى صلب الآباء، وترائب الأمهات لقادر، والتفسير الأول أصح لأنه قال: {يَوْمَ تبلى السرائر} يعني: تظهر الضماير. ويقال: يختبر السرائر {فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ} يعني: ليس له قوة يدفع العذاب عن نفسه، ولا مانع يمنع العذاب عنه.

تفسير الآيات رقم [11- 17]

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (13) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (14) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (17)}
وقوله: {والسماء ذَاتِ الرجع} فهو قسم، أقسم الله تعالى بخالق السماء ذات الرجع، يعني: يرجع السحاب

بالمطر، بعد المطر والسحابة بعد السحابة {والارض ذَاتِ الصدع} يعني: يتصدع فيخرج ما بالنبات والثمار، فيجعلها قوتاً لبني آدم عليه السلام ويقال: ذات الصدع يعني: ذات الأودية، وهو قول مجاهد وقال قتادة: يعني: ذات النبات {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} يعني: القرآن قول حق وجد {وَمَا هوَ بالهزل} يعني: باللعب ويقال لم ينزل بالباطل قوله تعالى: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً} يعني: يمكرون مكراً وهم أهل مكة في دار الندوة ويقال يكيدون كيداً يعني يصنعون أمراً وهو الشرك والمعصية {وَأَكِيدُ كَيْداً} يعني: أصنع لهم أمراً، وهو القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة قوله تعالى: {فَمَهِّلِ الكافرين} يعني: أجل الكافرين ويقال: خل عنهم {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} يعني: أجلهم قليلاً أي إلى وقت الموت ويقال إنهم يكيدون كيداً بمعنى: الخراصون الذين يحبسون في كل طريق يعني: يصدون الناس عن دينه يعني يحبسون الناس في كل طريق يصدون الناس عن دينه. وروى عبد الرزاق عن أبي وائل عن همام مولى عثمان قال لما كتبوا المصحف شكوا في ثلاث آيات فكتبوها في كتف شاة وأرسلوها إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت فدخلت عليهما فناولتهما أبياً فقرأها فكان فيها لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فأمهل الكافرين فمحى الألف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها إليهم فناولتها زيد بن ثابت إليهم فأثبتوها في المصحف {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} يعني: أجلهم قليلاً فإن أجل الدنيا كلها قليل.

87

▲ سورة الأعلى

▲ تفسير الآيات رقم [1- 5]

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (4) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (5)}

قوله تعالى: {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} قال الكلبي: يعني صلِّ بأمر ربك، ويقال سبح هو من التنزيه والبراءة يعني نَزِّه ربك، والاسم صلة، ويقال: {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} يعني: قل سبحان ربي الأعلى كما روي في الخبر أنه قيل: يا رسول الله ما نقول في ركوعنا فنزل {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} بمعنى العالي كقوله أكبر بمعنى الكبير والعلو هو القهر والغلبة يعني أمره نافذ على خلقه فلما نزل {فَسَبّحْ باسم رَبّكَ العظيم} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجْعَلُوها فِي رِكُوعِكُم» فقالوا: فما نقول في سجودنا؟ فنزل {سَبِّحِ اسم رَبّكَ الاعلى} قال عليه السلام: «اجْعَلُوها فِي سِجُودِكُم» ويقال: «سبح اسم ربك» يعني: اذكر توحيد ربك الأعلى، ويقال كان بدء قوله: «سبحان ربي الأعلى» أي ميكائيل خطر على باله عظمة الرب جلا وعلا سلطانه فقال: يا رب أعطني قوة حتى أنظر إلى عظمتك، وسلطانك، فأعطاه قوة أهل السموات فطار خمسة آلاف سنة فنظر فإذا الحجاب علي حاله واحترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه القوة ضعف ذلك فجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجداً وقال: «سبحان ربي الأعلى» يعني: تعالى من أن يكون محسوساً معقولاً ثم

سأل ربه أن يعيده إلى مكانه إلى حاله الأولى ثم قال عز وجل: {الذى خَلَقَ فسوى} يعني: الذي خلق كل ذي روح، وجميع خلقه، ويقال: سبح الله تعالى الذي خلقك فسوى خلقك يعني: اليدين والرجلين والعينين ولم يخلقك زمناً ولا مكفوفاً، كما قال وصوَّركم فأحسن صوركم قوله تعالى: {والذى قَدَّرَ فهدى} يعني: قدر لكل شيء شكله، يعني لكل ذكر وأنثى من شكله وهداه للأكل والشرب والجماع، ويقال الذي قدر فهدى يعني فهداه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ويقال الذي قدر فهدى سبح لله الذي خلقك وقدر آجالك وأرزاقك وأعمالك وهداك إلى المعرفة والإسلام والأكل والشرب فصلّ بابن آدم وسبح لهذا المنعم المكرم السيد الذي هو الأحد الصمد، {هُوَ الاول والاخر والظاهر والباطن وَهُوَ بِكُلِّ شَئ عَلِيمٌ} [الحديد: 3] ثم قال عز وجل: {والذى أَخْرَجَ المرعى} يعني: أنبت الكلأ ويقال هو العشب والحشيش وألقت وما أشبه، قرأ الكسائي: {والذى قَدَّرَ} بالتخفيف، والباقون بالتشديد ومعناها واحد يقال: قدره الأمر وقدرته قوله تعالى: {فَجَعَلَهُ غُثَاء أحوى} يعني: جعل المرعى يابساً بعد خضرته، وقال القتبي: غثاء يعني يابساً، أحوى يعني أسود من قدمه واحتراقه.

تفسير الآيات رقم [6- 13]

{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (7) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (8) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (9) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (10) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (11) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (12) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (13)}

ثم قال عز وجل: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} يعني: سنعلمك القرآن وينزل عليك فلا تنسى إلا ما شاء الله، يعني: قد شاء الله أن لا تنسى القرآن فلم ينس القرآن بعد نزول

هذه الآية. وكـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يأخـذ في قراءته قبل أن يفرغ جبريل عليه السلام مخافة أن ينسـاه ويقال: {سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسى} يعني: سنحفظ عليك حتى لا تنسى شيئاً، ويقال إن جبريل عليه السلام كان ينزل عليـه في كل زمـان ويقـرأ عليـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ويبين له ما نسخ فـذلك قولـه: {إِلاَّ مَـا شَـاء اللـه} يعني: إلا ما شاء الله أن يرفعه وينسخه ويذهب من قلبـك ثم قال تعـالى: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الجهـر وَمَـا يخفى} يعـني: يعلم العلانيـة والسـر، ويقـال: مـا يجهـر بـه الإمـام في الفجـر والمغرب والعشاء والجمعـة ومـا يخفى يعـني: في الظهـر والعصر والسنن، ويقال: {يَعْلَمْ} ما يظهر من أفعال العباد وأقــوالهم {وَمَـا يخفى} من أقــوالهم وأفعــالهم، ويقــال: {يَعْلَمْ} ما عمل العباد {وَمَا يخفى} يعـني مـا لم يعملـوه وهم عاملوه ثم قال عز وجل: {وَنُيَسّرُكَ لليسرى} يعـني: سنهوّن عليك حفظ القرآن وتبليغ الرسـالة، ويقـال: يعـني نعينك على الطاعـة، قولـه تعـالى: {فَـذَكّرْ} يعـني: فعِـظْ بــالقرآن النــاس {إِن نَّفَعَتِ الــذكرى} يعــني: إن نفعتهم العظـة ومعنـاه مـا نفعت العظـة بـالقرآن إلا لمن يخشـى ويقال إن نفعت الذكرى يعني إن قولك ودعوتك تنفع لكـل قلب عاقل ويقال: {وَنُيَسّرُكَ لليسرى} يعني: نهون عليـك عمـل أهـل الجنـة ثم قـال: {سَـيَذَّكَّرُ مَن يخشـى} يعـني: يتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويسلم ويقـال: معنـاه سيتعظ ويؤمن ويعمل صالحاً من يخشـى قلبـه من عـذاب الله تعالى {وَيَتَجَنَّبُهَا} يعني: يتباعد عنها يعني: عن عظتك {الاشقى} يعني: الشقي الذي وجب في علم اللـه تعـالى أنه يدخل النار مثل الوليد وأبي جهل ومن كان مثل حالهما {الذى يَصْلَى النار الكبرى} يعني: يدخل يوم القيامة النـار الكـبرى يعــني: النــار العظمى لأن نــار الــدنيا هي النــار الصغرى ونار الآخـرة هي النـار الكـبرى، وروى يـونس عن

الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: «إِنَّ نَـارَكُم هذه جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَقَـدْ غُمِسْـتُ فِي النَّار مَرَتَين لِيُـدْنَى مِنْهَـا وَيُنْتَفَـعَ بِهَـا وَلُـولاَ ذَلِـكَ مَـا دَنَـوتُم مِنْها» ويقال: إنها تستجير أن تـرد إلى جهنم يعـني: تتعـوذ منها وقال بعض الحكماء: علامة الشقاوة تسع أشياء كـثرة الأكل، والشرب، والنـوم، والإصـرار على الـذنب، والغيبـة، وقساوة القلب، وكثرة الذنوب، ونسيان الموت، والوقـوف بين يدي الملك عز وجل، وهذا هو الشقي الذي يدخل النار الكبرى {ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يحـيى} يعـني: لا يمـوت في النار حتى يستريح من عـذابها ولا يحيـا حيـاة تنفعـه، وقـال القتبي معناه: هو العذاب بحال من يموت ولا يموت.

تفسير الآيات رقم [14- 19]

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَـلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا (16) وَالْآخِـرَةُ خَيْـرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْـرَاهِيمَ وَمُوسَـى (19)}

ثم قال عز وجل: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تزكى} يعني فاز ونجا من هذا العذاب وسعد بالجنة من تزكى يعني وحّد اللـه تعـالى وزكى نفسه بالتوحيد {وَذَكَرَ اسم رَبّهِ} يعـني: توحيـد ربـه {فصلى} مع الإمـام الصـلوات الخمس، ويقـال {قَـدْ أَفْلَحَ مَن تـزكى} يعـني: أدى زكـاة الفطـر {وَذَكَـرَ اسـم رَبّـهِ فصـلى} مـع الإمـام صـلاة العيـد. ويقـال: {قَـدْ أَفْلَحَ مَن تـزكى} يعـني: أدى زكـاة المـال، يعـني نجـا من خصـومة الفقراء يوم القيامة {وَذَكَرَ اسم رَبّـهِ فصـلى} يعـني: كبّـر وصـلى للـه تعـالى، ويقـال: {مَن تـزكى} يعـني: تـاب من الذنوب (وذكر اسم ربه) يعـني: إذا سـمع الآذان خـرج إلى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لأجل الاشتغال بالـدنيا فقـال: {بَلْ تُـؤْثِرُونَ الحيـاة الـدنيا} يعـني: تختـارون عمـل الـدنيا على عمل الآخرة، قرأ أبو عمرو: {بَلِ} باليـاء على معـنى

الخبر عنهم والباقون بالتاء على معـنى المخاطبـة ثم قـال عز وجل: {الدنيا والاخرة خَيْرٌ وأبقى} يعني: عمل الآخـرة خــير وأبقى من اشــتغال الــدنيا وزينتهــا، ويقــال معنــاه يختارون عيش الدنيا الفانية على عيش الآخرة الباقية وإن عيش الآخرة خير وأبقى لأن في عيش الدنيا عيوبـاً كثـيرة خوف المـرض والمـوت والفقـر والـذل والهـوان والـزوال والحبس والمنـع ومـا أشـبه ذلـك وليس في عيش الآخـرة شيء من هذه العيوب، لأجل هذا قيل خير من الدنيا قولـه تعالى: {إِنَّ هذا لَفِى الصحف الاولى} يعني: الذي ذكر في هـذه السـورة كـان في الصـحف الأولى يعـني: في الكتب الأولى ثم فسره فقال: {صُحُفِ إبراهيم وموسى} ويقال: الذي ذكـر في آخـر السـورة أربـع آيـات لفي كتب الأولين وكل كتاب مكتوب يسمى الصـحف يعـني في قولـه: {قَـدْ أَفْلَحَ مَن تزكى} الخ الآية.

سورة الغاشية

تفسير الآيات رقم [1- 15]

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15)}

قوله تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية} هل استفهام، واستفهم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يكن أتاه بعد، فكأنه قال: لا يأتيك خبره، ثم أخبره. ويقال: معناه: قد أتاك حديث الغاشية، والغاشية اسم من أسماء يوم القيامة، وإنما سميت غاشية، لأنها تغشى الخلق كلهم. كما يقال: يوماً كان شره مستطيراً، ويقال: الغاشية النار، وإنما سميت غاشية، لأنها تغشي وجوه الكفار. كما قال: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسى بِأاياتنآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظلمات إِلَى النور وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله إِنَّ فِى ذلك لآيات لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [إبراهيم: 5] أو كقوله: {يَوْمَ يغشاهم العذاب مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيِقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: 55] ويقال: الغاشية دخان النار، يخرج من النار يوم القيامة، عنق من النار، فيحيط بالكفار مثل السرادق، ويجيء دخانها، فيغشى الخلائق، حتى لا يرى بعضهم بعضاً، إلا من جعل الله تعالى له نوراً، بصالح عمله في الدنيا كقوله: {كَأَنَّهُ جمالة صُفْرٌ} [المرسلات: 33] وكقوله: {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ} [الواقعة:

43] ويقال: تغشى الغاشـية الصـراط المنـافقين. كقولـه: {يَوْمَ يَقُولُ المنافقون والمنافقـات لِلَّذِينَ ءَامَنُـواْ انظرونـا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيـلَ ارجعـوا وَرَآءَكُمْ فالتمسـوا نُـوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرحمة وظاهره مِن قِبَلِهِ العذاب} [الحديد: 13] الآية.

ثم وصف ذلك اليوم وقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشـعة} يعـني: من الوجوه، وجوه يومئـذ خائفـة، ذليلـة في العـذاب. وهي وجوه الكفار. ثم قال: {عَامِلَةٌ} يعـني: تُجَـرُّ على وجوههـا في النـار {نَّاصِـبَةٌ} يعـني: من تعب وعـذاب في النـار. ويقال: {عَامِلَةٌ نَّاصِـبَةٌ} يعـني: تكلـف الصـعود على عتبـة ملساء من النـار، فيرتقيهـا في عنـاء ومشـقة، فـإذا ارتقى إلى ذروتهـا، هبـط منهـا إلى أسـفلها. ويقـال: نـزلت في رهبـان النصـارى، عاملـة في الـدنيا، ناصـبة في العبـادة، أشـقياء في الـدنيا والآخـرة. ويقـال: عاملـة في الـدنيا بالمعاصي والـذنوب، ناصـبة في الآخـرة بالعـذاب {تصـلى نَاراً حَامِيَةً} يعني: تدخل ناراً حارة، قد أوقـدت ثلاثـة آلاف سنة، حتى اسودّت. فهي سوداء مظلمة.

قوله تعالى: {تسقى مِنْ عَيْنٍ ءانِيَـةٍ} أي: من عين حـارة، قد انتهى حرُّها {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَـامٌ} وهـذا في بضـع دركهـا {إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} قرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، بضم التاء {تصلى نَاراً} وقرأ الباقون، بالنصـب. فمن قـرأ بالضم لمعنى المفعول الذي لم يسم فاعلـه، ونصـب نـاراً على أنه مفعول ثان، ومن قرأ بالنصب، جعل الفعل الـذي يـدخل النـار، وهـو كنايـة عن الوجـوه. ولهـذا ذكـره بلفـظ التأنيث. ثم قال: {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} والضريع نبات بين طريق مكة واليمن فإذا أكل الكفار منـه بقي في حلقهم {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} يعني: غير الضريع {لاَّ يُسْمِنُ} يعني: لا يشـبع الضـريع {وَلاَ يُغْنِى مِن جُـوعٍ}

يعني: ولا ينفع من جوع، وهـذا الجـزاء، للـذي يتعب نفسـه للعمل في الدنيا والمعاصي، وما لا يحتاج إليه.
ثم وصـف مكـان الـذي يعمـل للـه تعـالى، ويـترك عمـل المعصية، ويؤدي ما أمر اللـه تعـالى، ويـترك مـا نهي عنـه فقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ} يعـني: من الوجـوه مـا تكـون ناعمـة، يعـني: في نعمـة وكرامـة، وهي وجـوه المؤمـنين والتائبين، والصالحين. ويقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ} يعـني: مشرقة مضيئة، مثل القمر ليلـة البـدر {لِّسَـعْيِهَا رَاضِـيَةٌ} يعني: لثواب عملهـا راضـية. ويقـال: لثـواب سـعيه، الـذي عمـل في الـدنيا من الخـير. يعـني: رأى ثوابـه في الجنـة، {رَّاضِيَةٍ} مرضية، رضي الله عنه بعمله في الدنيا، ورضـي العبـد من اللـه تعـالى في الآخـرة. من الثـواب {فِى جَنَّةٍ عَالِيَـةٍ} يعـني: ذلـك الثـواب في جنـة عاليـة، مرتفعـة في الدرجات العلى. وروي عن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، أنه قال: «إِنَّ المُتَحَابِّينَ لله تَعَـالَى فِي غُرْفَـةٍ، يَنْظُـرُ إِلَيْهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، كَمَا يَنْظُرُ أَهْلُ الأَرْضِ إِلَى كَوَاكِبِ السَّمَاءِ».
ثم قال عز وجل: {لاَّ تَسْمَعُ فِيهَاَ لاغية} يعني: لا يكون في الجنة لغو ولا باطل، وليس فيها غـل ولا غش. قـرأ نـافع لا تُسمع بضم تاء التأنيث، لأن اللاغية مؤنثة. وقـرأ ابن كثـير، وأبو عمرو، لا يسمع بضـم اليـاء على معـنى: فعـل، مـا لم يسم فاعله، وإنمـا ذكـر بلفـظ التـذكير، لأنـه انصـرف إلى المعنى. يعني: إلى اللغـو. وروي عن ابن كثـير، ونـافع في إحدى الروايتين، بنصب التاء، يعني: لا تسمع في الجنة أيها الداخل، كلمة لغو، لأن أهل الجنة، لا يتكلمون إلا بالحكمة، وحمد الله تعالى.
ثم قال: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ} يعـني: في الجنـة، عين جاريـة ماؤهـا أشـد بياضـاً من اللبن، وأحلى من العسـل، فمن شرب منـه شـربة لا يظمـأ بعـدها أبـداً، ويـذهب من قلبـه الغل، والغش والحسد، والعداوة والبغضاء. ثم قال: {فِيهَـا

سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ} يعني: مرتفعة {وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ} يعني: الكيزان التي لا عرى لها، مدورة الرأس {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} يعني: فيها وسائد، قد صف بعضها إلى بعض على الطنافس.

تفسير الآيات رقم [16- 26]

{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)}

{وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ} قال القتبي: الزرابي الطنافس. ويقال: البُسُط واحدها زربي. ثم قال عز وجل: {مَبْثُوثَةٌ} أي: كثيرة متفرقة أو مبسوطة، والنمارق الوسايد واحدها نمرقة، والمؤمن جالس فوق هذا كله، وعلى رأسه نور وضاء، كأنهن الياقوت والمرجان، جزاءً بما كانوا يعملون، فإن شك شاك فيها فتعجب، وقال: كيف هذا وهو غائب عنا، فقل انظر إلى صنعة الرب تبارك وتعالى في الدنيا. وهو قوله: {أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبل كَيْفَ خُلِقَتْ} يعني: خلق من قطرة ماء خلقاً عظيماً، يُحْمَل عليها، وإنما خص ذكر الإبل، لأن الإبل كانت أقرب الأشياء إلى العرب.

ثم قال عز وجل: {وَإِلَى السماء} يعني: أفلا ينظرون إلى السماء {كَيْفَ رُفِعَتْ} بلا عمد تحتها، وحبست في الهواء بقدرة الرب سبحانه وتعالى. ثم قال: {وَإِلَى الجبال} يعني: أفلا ينظرون إلى الجبال {كَيْفَ نُصِبَتْ} على ظهر الأرض أوتاداً لها، وليس جبل من الجبال، إلا وله عرق من قاف، وملك موكل بجبل. فإذا أراد الله تعالى بأهل أرض شيئاً، أوحى الله تعالى إلى الملك الموكل بذلك الجبل،

فيحــرك تلــك العــروق، فيــتزلزل. ثم قــال: {وَإِلَى الارض كَيْفَ سُطِحَتْ} يعني: بسطت على ظهر الماء.

ثم قال: {فَذَكِّرْ إِنَّمَـا أَنتَ مُـذَكِّرٌ} يعـني: فـذكر يـا محمـد صلى الله عليه وسلم وخوفهم بالعذاب في الآخـرة {إِنَّمَـا أَنتَ مُــذَكِّرٌ} يعــني: مخوفــاً بــالقرآن {لَّسْــتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ} يعني: بمسلط تجبرهم على الإسلام، وهذا قبـل أن يؤمر بالقتال. وقال مقاتل: في الآية تقديم يعني: فذكر {إِلاَّ مَن تولى} يعني: أعـرض عن الإيمـان {وَكَفَـرَ} باللـه تعالى {فَيْعَذِّبُـهُ اللـه العـذاب الاكـبر} فيدخلـه النـار، وهـو العـذاب الأكـبر الـدائم، وهـو عـذاب النـار، حرهـا شـديد، ومقرها بعيد، ومقامها حديد.

قوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} يعني: إن إلينا مرجعهم بعــد الموت {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} يعني: إن مرجعهم إلينا بعد المـوت {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَـا حِسَــابَهُمْ} يعـني: يحاسـبون بكـل صغيرة وكبيرة، وقليل وكثير كما قال: لا يغـادر صـغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها. ويقال: إن علينا حسابهم يعني: جزاءهم بأعمالهم، يعني: ثوابهم بما عملوا، والله أعلم بالصواب.

سورة الفجر

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)}

قوله تعالى: {والفجر} هو قسم، وجوابه: إن ربك لبالمرصاد أقسم الله تعالى بالفجر يعني: الصبح، والفجر فجران المستطيل، وهو من الليل والفجر، المعترض وهو من النهار. ويقال: أراد به أول يوم من المحرم. ثم قال عز وجل: {وَلَيالٍ عَشْرٍ} يعني: عشر ذي الحجة، ويقال: إنها الأيام العشر، التي صام فيها موسى عليه السلام، وهي قوله: {وواعدنا موسى ثلاثين لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ ميقات رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ موسى لأَخِيهِ هارون اخلفنى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ المفسدين} [الأعراف: 142]. ويقال: هي أيام عاشوراء.

ثم قال عز وجل: {والشفع والوتر} قال قتادة: الخلق كله شفع ووتر، فأقسم الله تعالى بالخلق. وروى الحارث، عن علي رضي الله عنه، أنه قال: الشفع آدم وحواء، والوتر الله سبحانه وتعالى. قال ابن عباس: الوتر آدم فتشفع بزوجته حواء، وقال عطاء: الشفع الناس، والوتر الله سبحانه وتعالى. وقال الحسن: الشفع هو الخلق، والذكر والأنثى، والوتر الله تعالى. ويقال: أقسم بالصلوات، والصلوات منها ما هو شفع، وهو الفجر، والظهر والعصر، والعشاء ومنها ما هو وتر وهو الوتر في المغرب. ويقال: إنما هو الأعداد كلها، شفع ووتر. وعن ابن عباس: الشفع أيام الذبح، والوتر يوم عرفة.

تفسير الآيات رقم [4- 14]

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (13) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (14)}

قال عز وجل: {واليل إِذَا يَسْرِ} قال الكلبي: يعني: ليلة المزدلفة، يسير الخلق إلى المزدلفة. وقال القتبي: {واليل إِذَا يَسْرِ} يعني: يسرى فيه، كقوله: ليل نائم، أي: يُنام فيه. وقال الزجاج: أصله تسري يسري، إلا أن الياء قد حذفت منه، وهي القراءة المشهورة بغير ياء، يقرأ بالياء. قرأ حمزة، والكسائي، والشفع والوتر بكسر الواو. والباقون بالنصب،، وهما لغتان. يقال: للفرد وَتْرٌ ووِتْر. وقرأ ابن كثير يسر بالياء، في حالة الوصل والقطع. وقرأ نافع بالياء، إذا وصل، وقرأ الباقون بغير ياء في الوصل والقطع، لأن الكسرة تدل عليه.

ثم قال عز وجل: {هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لّذِى حِجْرٍ} يعني: أن هذا الذي ذكرناه، قسماً لذي لب من الناس. ويقال: إن في ذلك قسم صدق، لذي عقل ولب ورشد، والحجر اللب. ثم قال عز وجل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} يعني: ألم تعلم، ويقال: ألم تخبر، واللفظ لفظ الاستفهام، والمراد به التقدير، يعني: فذلك خبر عاد {إِرَمَ ذَاتِ العماد} يعني: عاقبة قوم عاد، وقال بعضهم: هما عادان، أحدهما عاد وإرم، والآخر هم قوم هود. وقال بعضهم: كلاهما واحد، ويقال: إرم اسم للجنة التي بناها، فمات قبل أن يدخلها، وذكر فيها حكاية طويلة عن وهب بن منبه. ثم قال: {ذَاتِ العماد} يعني: الفساطيط، والعمود عمود الفسطاط.

{الــتى لَمْ يُخْلَــقْ مِثْلُهَــا فِى البلاد} يعــني: في القــوة والطول، ويقال: {ذَاتِ العماد} يعني: ذات القوة، ويقــال: {ذَاتِ العماد} يعـني: دائم الملـك، طويـل العمـر. ويقـال: {ذَاتِ العماد} أي: ذات البنـاء الرفيـع. وروى أسـباط، عن الســدي قــال: عــاد بن إرم، فنســبهم إلى أبيهم الأكــبر. كقولك: بكر بن وائـل. ويقـال: لا ينصـرف إرم، لأنـه اسـم قبيلة. وقال مقاتل: {ذَاتِ العماد} يعني: طولها اثنا عشــر ذراعاً {التي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى البلاد} في الطول والقوة، وإرم اسم أب قبيلة ينسب إليهم، وهــو إرم بن ســمك، بن نسـمك، بن سـام، بن نـوح عليـه السـلام. وقـال الكلـبي: {ذَاتِ العماد} يعني: كانوا أهل ذات عمـود وماشـية، فـإذا هـاج العمـود، يعـني: يبس العشـب، رجعـوا إلى منـازلهم. ويقال: عاد وإرم شيء واحد.

ثم قال عز وجل: {وَثَمُودَ الذين جَابُواْ الصخر بـالواد} وهم قوم صالح، نقبوا الجبل، وقعلوا أحجاراً لا يطيق مائتا رجل بالوادي. وقال الكلبي: هو واد القـرى. ثم قـال عـز وجـل: {وَفِرْعَوْنَ ذِى الاوتاد} يعني: قواد الكفرة الفجـرة، الـذين خلقهم الله تعالى أوتـاداً في مملكتـه، ليكفـوا عنـه عـدوه. ويقال: إن له بيتاً أوتد فيه أوتاداً، فـإذا عـذب أحـد، طرحـه فيها.

ويقال: سمي بذي الأوتاد، لأنـه كـان إذا غضـب على أحـد، وثقه بأربعة أوتاد. ويقال: الأوتـاد وهي الصـلب، إذا غضـب على أحد، صلبه كقوله لأصلبنكم ويقال ذو الأوتـاد يعـني ذا الملك الثابت {الذين طَغَوْاْ فِى البلاد} يعـني: عـاداً وثمـود وفرعون عصوا في البلاد {فَـأَكْثَرُواْ فِيهَـا الفسـاد} يعـني: أكـثروا في الأرض المعاصـي {فَصَـبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ} يعـني: أرسل عليهم ربك {سَـوْطَ عَـذَابٍ} يعـني: شـديد العـذاب حتى أهلكهم {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصاد} يعني: مرّ الخلق عليــه. ويقــال: {إِنَّ رَبَّكَ لبالمرصــاد} يعــني: ملائكــة ربــك على

الصراط، يعني: يرصدون العباد على جسر جهنم في سبع مواضع. وقال ابن عباس، رضي الله عنهما: يحاسب العبد في أولها بالإيمان، فإن سلم إيمانه من النفاق والرياء، نجا وإلا تردَّى في النار، وفي الثاني: يحاسب على الصلاة، فإن أتم ركوعها وسجودها في مواقيتها نجا، وإلا تردّى في النار، والثالث: يحاسب على الزكاة، في النار. وفي الخامس في الحج والعمرة، وفي السادس بالوضوء والغسل من الجنابة، وفي السابع بر الوالدين، وصلة الأرحام، ومظالم العباد فإن أداها نجا وإلا تردى في النار.

تفسير الآيات رقم [15- 22]

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22)}

ثم قال عز وجل: {فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابتلاه رَبُّهُ} قال الكلبي: نزلت في أمية بن خلف ويقال: في أبي بن خلف، إذا ما ابتلاه، يعني: اختبره ربه {فَأَكْرَمَهُ} يعني: ورزقه {وَنَعَّمَهُ} يعني: أعطاه النعمة {فَيَقُولُ رَبّى أَكْرَمَنِ} يعني: اجتباني وفضلني، وأنا أهل لذلك {وَأَمَّا إِذَا مَا ابتلاه} بالفقر {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} قرأ أبو عمرو، وابن عامر في إحدى الروايتين، فقدّر بالتشديد، والباقون بالتخفيف، ومعناهما واحد أي: فقتر عليه رزقه، وأصابه الجوع والأمراض {فَيَقُولُ رَبّى أَهَانَنِ} يعني: طردني وعاقبني، شكاية لربه.

قال الله تعالى: {كَلاَّ} أي: حقاً يعني: ليس إهانتي وإكرامي، في نزع الماء والولد، والفقر، والمرض، ولكن إهانتي في نزع المعرفة، وإكرامي بتوفيق المعرفة،

والطاعة. وقال قتادة: لم يكن الغنى من كرامــة، ولم يكن الفقــر من الــذل. ولكن الكرامــة مــني، بتوفيــق الإســلام، والهــوان مــني بالخــذلان عنــه. إنمــا المكــرم من أكــرم بطــاعتي، والمهــان من أهين بمعصــيتي. ثم قــال: {بَــل لاَّ تُكْرِمُونَ اليــتيم} يعــني: لا تعطــون حــق اليــتيم، وكــان في حجر أمية بن خلف، يتيم لا يؤدي حقه. فنزلت الآية بسببه، فصار فيها عظة لجميع الناس. قرأ أبــو عمــرو، وابن عــامر في إحدى الروايتين، فقدر بالتشديد، والبــاقون بــالتخفيف، ومعناهما واحد.

ثم قال عز وجل: {وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين} يعني: لا يحثــون أنفســهم، ولا غــيرهم على طعــام المســكين. ويقال: لا تحاضون على إطعام المسكين. ويقــال: لا يحض بعضــهم بعضــاً. قــرأ حمــزة، والكســائي، وعاصــم {وَلاَ تَحَاضُّونَ} بالألف، يعني: لا يحث بعضـهم بعضـاً. وقـرأ أبـو عمرو، ولا {يحضون} باليـاء يعـني: لا يحثـون، والبـاقون لا تحضــون بالتــاء على المخاطبــة. ثم قــال: {المســكين وَتَأْكُلُونَ التراث} يعني: الميراث {أَكْلاً لَّمّاً} يعني: شديداً. كقولــك: لممت الشــيء إذا جمعتــه ومعنــاه يــأكلون مــال اليتيم، أكلاً شديداً سريعاً.

{وَتُحِبُّونَ المال} يعــني: كــثرة المــال وجمــع المــال {حُبّــاً جَمّاً} يعني: شديداً. ويقال: كثيراً. قرأ أبو عمرو ويكرمون، ويــأكلون، ويحبــون كلهــا باليــاء على معــنى الخــبر عنهم. والبــاقون بالتــاء، على معــنى الخطــاب لهم. ثم قــال عــز وجل: {كَلاَّ} يعني: حقاً {إِذَا دُكَّتِ الارض دَكّاً دَكّــاً} يعــني: زلزلت الأرض زلزالها، والتكــرار للتأكيــد. ثم قــال: {وَجَــاء رَبُّكَ والملك} قال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر وقال أهل السنة وجاء ربك بلا كيــف وقــال بعضــهم معنــاه وجــاء أمــر ربــك بالحســاب والملــك {صَــفّاً صَــفّاً} يعــني: صفوفاً، كصفوف الملائكة، وأهل الدنيا في الصلاة.

▲ تفسير الآيات رقم [23- 30]

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّتِي (30)}

ثم قال عز وجل: {وَجِئ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} تحضر وتدنو من الكفار، وروي عن عبد الرحمن بن حاطب قال: كنا جلوساً عند كعب يذكّرنا، فجاء عمر رضي الله عنه، فجلس ناحيته وقال: ويحك يا كعب خوّفنا، فقال كعب: إن جهنم لتقرب يوم القيامة، لها زفير وشهيق، حتى إذا قربت ودنت، زفرت زفرة، لا يبقى نبي ولا صديق، إلا وهو يخر ساقطاً على ركْبتيه. فيقول: اللهم لا أسألك اليوم إلاّ نفسي، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبياً، لظننت أن لا تنجو. فقال عمر رضي الله عنه: والله إن الأمر لشديد.

ثم قال: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنسان} يعني: يتعظ الكافر {وأنى لَهُ الذكرى} يعني: من تنفعه العظة، ويقال: يومئذ يتذكر الإنسان، يعني: يظهر الإنسان التوبة، يعني: أين له التوبة، يعني: كيف تنفعه التوبة يومئذ. {يَقُولُ ياليتنى لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى} يعني: يا ليتني عملت في حياتي الفانية لحياتي الباقية. ثم قال عز وجل: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} قرأ الكسائي لا يعذب، بنصب الذال، ولا يوثق بنصب التاء. والباقون كلاهما بالكسر، فمن قرأ بالنصب فمعناه: ولا يعذب عذاب هذا الصنف من الكفار أحد، وكذلك لا يوثق وثاقه أحد. ومن قرأ بالكسر، معناه لا يتولى يوم القيامة عذاب الله أحد، الملك يومئذ لله وحده، والأمر بيده. ويقال: معناه لا يقدر أحد. من الخلق، أن يعذب كعذاب الله تعالى، ولا يوثق في الغل والصفد كوثاق الله.

ثم قـال عـز وجـل: {أَحَـدٌ يأَيَّتُهَـا النفس المطمئنـة} الـتي اطمأنت بلقاء الله عز وجـل، ويقـال: {المطمئنـة} يعـني: الراضية بثواب الله تعالى، القانعـة بعطـاء اللـه، الشـاكرة لنعمائه تعالى. يقال لهـا، عنـد الفـراق من الـدنيا {ارجعى إلى رَبّكِ} يعني: ارجعي إلى ثواب ربك، إلى مـا أعـد اللـه لـك في الجنـة. ويقـال لـه يـوم القيامـة {رَاضِـيَةً مَّرْضِـيَّةً فادخلى فِى عِبَادِى} يعني: مع عبادي الصالحين في الجنـة {وادخلى جَنَّتِي} يعـني: ادخلي الجنـة بلا حسـاب، ويقـال: هذا الخطاب لأهل الدنيا، يعني: {أَيَّتُهَا النفس} في الـدنيا، التي أمنت من عـذاب اللـه، {المطمئنـة ارجعى إلى رَبّـكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} يعني: {فادخلى فِى عِبَادِى} يعني: ادخلي في عبادي، وفي طاعتي، وادخلي في جنتي ويقال: معنـاه تقول الملائكة: يـا أيتهـا النفس المطمئنـة، ارجعي إلى مـا أعـد اللــه لــك راضــية، فــادخلي في عبــادي على محض التقـديم، يعـني: يـا أيتهـا النفس المطمئنـة، الراضـية بمـا أعطيت من الثواب، مرضية بما عملت، وادخلي جنتي مــع عبادي والله تعالى أعلم.

سورة البلد

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (2) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)}

قوله تعالى: {لاَ أُقْسِمُ بهذا البلد} يعني: أقسم بهذا البلد، ولا صلة في الكلام، ومعناه أقسم برب هذا البلد الذي ولد فيه يعني: مكة {وَأنتَ حِلٌّ بهذا البلد} يحلها يوم فتح مكة، معناه فسيحل لك هذا البلد، يعني: القتال فيه ساعة من النهار، ولم يحل لك أكثر من ذلك. وروى عبد الملك، عن عطاء في قوله: {وَأنتَ حِلٌّ بهذا البلد} وقال: إن الله تعالى حرم مكة، فجعلها حراماً يوم خلق السموات والأرض، وهي حرام إلى أن تقوم الساعة، ولم تحل إلا للنبي صلى الله عليه وسلم ساعة من النهار. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه دخل بالبيت يوم الفتح، ووضع يده على باب الكعبة، فقال: «لاَ إله إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلاَ إنَّ الله تَعَالَى حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السموات والأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ لِي، بِحَرَامِ الله تَعَالَى إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ».

ثم قال عز وجل: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} {وَوَالِدٍ} يعني: آدم {وَمَا وَلَدَ}، يعني: ذريته. ويقال: كل والد وكل مولود. وقال عكرمة {وَوَالِدٍ} الذي يلد {وَمَا وَلَدَ} التي لم تلد من النساء والرجال {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} يعني: معتدل الخلق والقامة، فأقسم بمكة وبآدم وذريته {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان} منتصباً قائماً على رجلين. وقال مقاتل:

نزلت الآية في حارث بن عامر بن نوفل. وروى مقسم، عن ابن عباس في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} قال: خلق كل شيء يمشي على أربع، إلا الإنسان فإنه خلق منتصباً، وهذا كقوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4] ويقال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} يعني: في مشقة وتعب.
وروي عن ابن رفاعة، عن سعيد بن الحسن، عن الحسن البصري في قوله: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ} قال سعيد: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة. وقال الحسن: لم يخلق الله تعالى خليقة، يكابد مكابدة ما يكابد ابن آدم. وروي عن عطاء، عن ابن عباس يقول: خلق في شدة، يعني: مولده ونبات أسنانه وغير ذلك. ويقال: معناه: ولقد خلقنا الإنسان في كبد وهي المضغة، مثل الكبد دماً غليظاً، ثم يصير مضغة.

تفسير الآيات رقم [5- 10]

{أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (5) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (8) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (9) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (10)}
وقال عز وجل: {أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} يعني: أيحسب الكافر، أن لن يقدر عليه الله تعالى، يعني: على أخذه وعقوبته. {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً} يعني: أبا جهل بن هشام يقول: أنفقت مالاً كثيراً في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم ينفعني ذلك، وهو أنه ضمن مالاً لمن يقتل محمداً صلى الله عليه وسلم، ويقال: أنفق مالاً يوم بدر. ثم قال عز وجل: {أَيَحْسَبُ} يعني: أيظن {أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ} يعني: إن لم ير الله تعالى صنيعه فلا يعاقبه بما فعل. ثم ذكر ما أنعم عليه ليعتبر به ويوحد فقال: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ} يعني: ألم نخلق له عينين. يبصر بهما {وَلِسَاناً} ينطق به {وَشَفَتَيْنِ} فيضمهما.

{وهديناه النجدين} قال الثعلبي ومقاتل يعني: عرّفناه طريق الخير والشر. وقال قتادة: يعني: طريق الهدى والضلالة، وهكذا قال ابن مسعود، رضي الله عنه، ويقال: {وهديناه النجدين} يعني: هديناه في الصغر لأحد الثديين، يعني: خلق له شفتين، ليأخذ بهما ثدي أمه. ويقال: بينا له طريقين، طريق الدنيا، وطريق الآخرة. وقال مجاهد: يعني: طريق السعادة، وطريق الشقاوة. ويقال: الطاعة والمعصية، ويقال: طريق الصواب، وطريق الخطأ. ومعناه ألم نجعل له ما يستدل به، على أن الله تعالى قادر على أن يبعثه، ويحصي عليه ما عمله.

تفسير الآيات رقم [11- 20]

{فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (19) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (20)}

ثم قال عز وجل: {فَلاَ اقتحم العقبة} يعني: فلا هو اقتحم العقبة، ويقال: فلم يقتحم العقبة، ويقال: معناه فهل تجاوز العقبة، الذي يزعم أنه أنفق مالاً كثيراً في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أراد بالعقبة، الصراط. كما روي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: إنه بين أيدينا عقبة كؤود، لا ينجو منها إلاَّ كل مخف. وكما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه بكى حين حضرته الوفاة، قيل له: وما يبكيك؟ قال: بُعْدَ المفازة، وقلة الزاد، وضعف النفس، وعقبة كؤد، والهبوط منها إلى الجنة أو إلى النار.

ثم قال عز وجل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا العقبة} يعني: ما أدراك بماذا يكون مجاوزة الصراط. ثم قال: {فَكُّ رَقَبَةٍ} يعني: اقتحام العقبة، هو فك الرقبة يعني: إنما يجاوز الصراط.

{أَوْ إِطْعَـامٌ فِى يَـوْمٍ ذِى مَسْـغَبَةٍ} يعـني: يجـاوز الصـراط بإحكـام في يـوم ذي مجاعـة. قـرأ أبـو عمـرو، وابن كثـير، والكسـائي {فَـكَّ رَقَبَـةٍ}، بنصـب الكـاف والهـاء، وأطعم بنصب الهمـزة بغـير الألـف، والبـاقون {فَـكُّ رَقَبَـةٍ} بضـم الكاف، وكسر الهـاء {أَوْ إِطْعَـامٌ} بكسـر الهمـزة، وإثبـات الألف. فمن قرأ بالنصب فهو محمول على المعنى، معنـاه فلا فَكَّ رَقَبَةً، ولا أطعمَ في يوم ذي مسغبة، فكيـف يجـاوز العقبة، ومن قرأ بالضم فمعناه اقتحـامُ العقبـة، فـكُّ رقبـة يعني: مجـاوزة العقبـة بعتـق رقبـة، وبإطعـام في يـوم ذي مسغبة، أي: مجاعة.

ثم بين لهم لمن يُطْعَم الطعـام فقـال: {يَتِيمـاً ذَا مَقْرَبَـةٍ} يعني: يتيماً بينك وبينه قرابة {أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ} يعـني: مسـكيناً لا شـيء لـه لاصـق في الـتراب من الجهـد، فهـذا الإحسان مجاوزة العقبة {ثُمَّ كَانَ مِنَ الذين ءامَنُواْ} يعني: من صنع هذا الإحسان، يكون مؤمناً، لأنه لا يتقبل عملاً من الأعمال بغير إيمان. ويقال: معناه ثم يثبت على إيمانـه. ثم قال: {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} يعـني: تحاشـوا أنفسـهم بالصـبر، وتحاشـوا بعضـهم بعضـاً بالصـبر على طاعـة اللـه تعـالى، وبالصبر على المكروهات، لأنـه روي في الخـبر، أن الجنـة حفت بالكاره.

ثم قـال تعـالى: {وَتَوَاصَـوْاْ بالمرحمـة} يعـني: تحاشـوا بـالتراحم بعضـهم على بعض، يعـني: بالمرحمـة على أنفسـهم، على غـيرهم. وروي عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم، أنه قال: «مَنْ يَرْحَمِ النَّاسَ، يَرْحَمُـهُ اللـه تَعَـالَى». ثم قال: {أولئـك أصـحاب الميمنـة} يعـني: أهـل الـتراحم والتواصـل، هم أصـحاب الميمنـة، الـذين يُعْطَـوْن كتـابهم بأيمانهم {والذين كَفَرُواْ بئاياتنا} يعني: بمحمـد صـلى اللـه عليه وسلم وبـالقرآن، ويقـال: كفـروا بـدلائل اللـه تعـالى. {هُمْ أصحاب المشئمة} يعـني: يعطـون كتـابهم بشـمالهم

{عَلَيْهِمْ نَـارٌ مُّؤْصَـدَةُ} يعـني: أُدْخِلُـوا في النـار، وأُطْبِقَتْ عليهم، لا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. قرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية حفص، وحمـزة {عَلَيْهِمْ نَـارٌ} بالهمزة، والباقون بغير همزة، وهما لغتـان. يقـال: أصـدت وأوصدت الباب، وأوصدته إذا أطبقته والله أعلم.

سورة الشمس

تفسير الآيات رقم [1- 10]

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (2) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (4) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)}

قوله تعالى: {والشمس وضحاها} أقسم الله تعالى بالشمس، وضوئها حرها. ويقال: بخالق الشمس وضحاها، يعني: ارتفاع النهار. ويقال: حر الشمس يسمى ضحى. قرأ ابن كثير، وابن عامر وعاصم {وضحاها} بالتفخيم، وكذلك تلاها إلى آخر السورة. وقرأ حمزة والكسائي كلها بالإمالة، وقرأ نافع، وأبو عمرو بين ذلك. ثم قال عز وجل: {والقمر إِذَا تلاها} يعني: يتبع الشمس والهاء، كناية عن الشمس. وقال قتادة: والشمس هو النهار، و{القمر * إِذَا تلاها} قال: يتلوها صبيحة الهلال، وإذا سقطت الشمس، رأيت الهلال عند سقوطها.

ثم قال عز وجل: {والنهار إِذَا جلاها} يعني: إذا أضاء واستنار، فقال القتبي: هذا من الاختصار {والنهار إِذَا جلاها} ويعني: والأرض أو الدنيا، يعني: النهار أذا أضاء الدنيا. وقال الكلبي: معناه إذا جلى النهار ظلمة الليل. ثم قال عز وجل: {واليل إِذَا يغشاها} يعني: غطى ضوء النهار، ويقال: {واليل إِذَا يغشاها} يعني: غطى الأرض وسترها. ثم قال: {والسماء وَمَا بناها} يعني: خلقها. ويقال: {السماء وَمَا بناها} يعني: الله تعالى بناها، فأقسم بنفسه، ويقال: ما للصلة، ومعناه والسماء وبنائها.

ثم قال عز وجل: {والارض وَمَا طحاها} يعني: والذي بسطها على الماء من تحت الكعبة. ثم قال: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} يعني: ونفس والذي سوى خلقها، ويقال: ونفس وما خلقها {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} يعني: ألهمها الطاعة والمعصية، ويقال: عرفها، وبين لها ما تأتى وما تذر. ثم قال عز وجل: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زكاها} يعني: أصلحها الله، وعرفها وهذا جواب القسم لقد أفلح، ولكن اللام حذفت لثقلها، لأن الكلام طال.

ثم قال {وَقَدْ خَابَ مَن دساها} يعني: خسر من أغفلها وأغواها، وخذلها وأضلها. وقال القتبي: معناه قد أفلح من زكى نفسه، أي: أنماها وأعلاها، بالطاعة والبر والصدقة، وقد خاب من دساها، يعني: نقصها وأخفاها بترك عمل البر، وبركوب عمل المعاصي. وأصله دسس، فجعل مكان إحدى السينين ياء، كما يقال: قصيت أظفاري، وأصله قصصت. قال وأصل هذا؟ أن أجواد العرب، كانوا ينزلون في أرفع المواضع، ويوقدون من النار للطارقين، لتكون أنفسهم أشهر، واللئام ينزلون الأطراف والأهضام، لتخفي أماكنهم على الطارقين، فأخفوا أنفسهم. والبار أيضاً أظهر نفسه بأعمال البر، والفاجر دساها. ويقال: إن الله تعالى، يطلب من عباده المؤمنين يوم القيامة ستة أشياء بمكان النعمة، الشكر: وبمكان الشدة وبمكان الصحة العمل بالطاعة، وبمكان الذنوب التوبة، وبمكان العمل الإخلاص، فمن يجئ بهذه الأشياء، فقد أفلح ونما، ومن لم يجئ بهذه الأشياء، فقد خسر وغبن.

تفسير الآيات رقم [11- 15]

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (11) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (12) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (13) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (15)}

ثم قال عز وجل: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} يعني: بطغيانهم، حملهم على ذلك التكـذيب {إِذِ انبعث أشـقاها} يعـني: إذا قـام أشـقى ثمـود، وكلهم أشـقياء في علم اللـه تعـالى، وأشقاهم عاقر الناقة، وهـو قـدار بن سـالف، ومصـدع بن دهر {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله} صلى الله عليه وسلم يعـني: صالحاً {نَاقَةُ الله} يعـني: احـذروا ناقـة اللـه {وسـقياها} يعني: لا تأخذوا سقياها، ومعناه ولا تعقروا ناقة الله، وذروا شربها. وقد ذكرناه في سورة الأعراف {فَكَـذَّبُوهُ} يعـني: صالحاً بالعذاب {فَعَقَرُوهَا} يعني: فعقـروا الناقـة، ويقـال: في الآيـة تقـديم فعقروهـا، فخـوفهم صـالح عليـه السـلام بالعذاب، فكذبوه. ثم قال عز وجل: {فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ} يعــني: أنــزل عليهم ربهم عقوبــة {بِـذَنبِهِمْ} والدَّمْدَمــة، المبالغة في العقوبة والنكال.

ثم قــال: {فَسَــوَّاهَا} يعــني: فســواها في الهلاك يعــني: الصغير والكبير {وَلاَ يَخَافُ عقباها} قـرأ نـافع، وابن عـامر فلا يخاف بالفاء، والباقون بـالواو. فمن قـرأ بالفـاء، وصـل الذي بعدها بالذي قبلها، وهو قولـه {فَدَمْـدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ} يعـني: أطبـق عليهم العـذاب بـذنبهم {فَسَـوَّاهَا} يعـني: فسوى الأرض عليهم، ولا يخاف عقبى هلكهم، ولا يقدر أن يرجعـوا إلى السـلامة. ومن قـرأ بـالواو، فمعنـاه التقـديم والتأخير، يعني: الذي عقرها، وهو لا يخاف عقـبى عقرهـا. ويقال: إن اللـه تعـالى أهلكهم، ولم يخـف ثأرهـا وعاقبتهـا على غــير وجــه التقــديم. وروى الضــحاك، عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنــه: «أتَــدْرِي مَنْ أشْــقَى الأوَّلِينَ» قُلْتُ: اللــهِ وَرَسُــولَهُ أَعْلَمُ. قال: «عَاقِرُ النَّاقَةِ» فقال: «أتَـدْرِي مَنْ أَشْـقَى الآخِـرِينَ» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «قَاتِلُكَ». والله أعلم.

سورة الليل

تفسير الآيات رقم [1- 11]

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)}

قوله تعالى: {والليل إِذَا يغشى} أقسم الله تعالى بالليل، إذا غشيت ظلمته ضوء النهار. ويقال: أقسم بخالق الليل إذا يغشى، يعني: يغشى الليل ضوء النهار {والنهار إِذَا تجلى} يعني: أقسم بالنهار إذا استنار، وتجلى عن الظلمة {وَمَا خَلَقَ الذكر والانثى} يعني: والذي خلق الذكر والأنثى، يعني: آدم وحواء. وقال القتبي: ما ومن أصلهما واحد، وجعل من للناس، وما لغير الناس. ويقال: من مَرّ بك من الناس، وما مَرّ بك من الإبل. وقال أبو عبيد: وما خلق، أي: وما خلق، وكذلك قوله: {والسمآء وَمَا بناها} [الشمس: 5] {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} [الشمس: 7] «وما» في هذه المواضع بمعنى «من» وقال أبو عبيد: وما بمعنى من وبمعنى الذي.

وروي عن ابن مسعود، أنه كان يقرأ والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى وروى الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قدمنا الشام، فأتانا أبو الدرداء، فقال: أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود؟ فأشاروا إلي، فقلت: نعم أنا. فقال: كيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية؟ قلت: سمعته يقرأ، والذكر والأنثى. قال: أنا هكذا

والله سمعت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، يقرأهـا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأها كلا أنا معهم.
ثم قال عز وجل: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى} فهذا موضع جــواب القسم، أقسم الله تعالى بخالق هذه الأشـياء، إن سـعيكم لشتى، يعـني: أديـانكم ومـذاهبكم مختلفـة، يعـني: عملكم مختلف. عامل للجنة، وعامل للنار. وقال أبـو الليث رحمـه الله: حدّثنا أبو جعفـر، حـدّثنا أبـو بكـر أحمـد بن محمـد بن سهل القاضي قال: أخبرنا حدّثنا أحمد بن جرير، قال حدّثنا أبــو عبــد الــرحمن راشــد بن إســماعيل، عن منصــور بن مزاحم، عن يونس بن إسـحاق، عن عبـد اللـه بن مسـعود رضي الله عنه، أن أبا بكر رضي الله عنه، اشترى بلالاً من أميــة بن خلــف، وأبي بن خلــف بــبروة وعشــرة أواق من فضة، فأعتقه للـه تعـالى، فـأنزل اللـه تعـالى: {واليـل إِذَا يغشــى * والنهــار إِذَا تجلى وَمَــا خَلَــقَ الــذكر والانــثى إِنَّ سَعْيَكُمْ لشتى} يعني: سعي أبي بكر، وأمية بن خلف.
{فَأَمَّا مَنْ أعطى واتقى وَصَدَّقَ بالحسـنى} يعـني: بلا إلـه إلا الله، يعني: أبا بكر {فَسَنُيَسّرُهُ لليسرى} يعـني: الجنـة {وَأَمَّا مَن بَخِلَ واستغنى وَكَذَّبَ بالحسـنى} يعـني: بلا إلـه إلا الله {فَسَنُيَسّرُهُ للعسرى} يعني: أمية، وأبي ابني خلف إذا ماتا. ويقال: لنزول هذه الآية سبب آخر، كان رجــل من الكفـار لـه نخلـة في دار، وشـعبها في دار رجـل آخـر من المسلمين، وكان إذا سقطت ثمرة في دار المسلم، نــادى الكافر: حرام حرام، وكان المسلم يأخذ الثمرة، فيرمي بها في دار الكافر، لئلا يأكل ذلك صبيانه فسقطت يوماً ثمرة، فأخذها ابن صغير للمسلم، فجعلها في فيه، فدخل الكافر، فأخرج الثمرة من فيه، وأبكى الصبي.
فشكى المسلم إلى النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، فـدعا المشرك فقال: أتبيع نخلتك ليعطيك اللـه أفضـل منهـا في الجنـة، فقـال: لا أبيــع العاجــل بالآجــل، فســمع رجــل من

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فاشـترى النخلـة من الكافر، وتصدق بها على المسلم. فنزلت {فَأَمَّا مَنْ أعطى واتقى} يعـني: أعطى من مالـه حـق اللـه تعـالى، واتقى الشرك، وسخط الله تعـالى، {وَصَـدَّقَ بالحسـنى}. يعـني: بثواب الله في الجنة {فَسَنُيَسّرُهُ} يعني: سـنعينه ونوفقـه {لليسـرى} يعـني: لعمـل أهـل الجنـة {وَأَمَّا مَن بَخِـلَ} بالصدقة {واستغنى} يعني: رأى نفسه مستغنياً عن ثـواب الله، وعن جنته {وَكَـذَّبَ بالحسـنى} يعـني: بـالثواب وهـو الجنـة {فَسَنُيَسّـرُهُ للعسـرى} يعـني: نخذلـه ولا نوفقـه للطاعة، فسنيسـر عليـه طريـق المعصـية {وَأَمَّا مَن بَخِـلَ واستغنى} {وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تردى} يعني: ما ينفعـه ماله، إذا مات وتركه في الدنيا، وهو يرد إلى النار.

تفسير الآيات رقم [12- 21]

{إِنَّ عَلَيْنَـا لَلْهُـدَى (12) وَإِنَّ لَنَـا لَلْآَخِـرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُـؤْتِي مَالَـهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)}

ثم قال عـز وجـل: {إِنَّ عَلَيْنَـا للهـدى} يعـني: علينـا بيـان الهدى، ويقـال: علينـا التوفيـق للهـدى من كـان أهلاً لـذلك {وَإِنَّ لَنَا لَلاْخِرَةَ والاولى} يعني: الدنيا والآخرة لله تعـالى، يعطي منها من يشاء ويقال: معنـاه إلى اللـه تعـالى ثـواب الدنيا والآخرة. ويقال: وإن لنا للآخـرة والأولى، يعـني: للـه تعـالى نفـاذ الأمـر في الـدنيا والآخـرة، يعطي في الـدنيا المغفرة، والتوفيق للطاعة، وفي الآخرة الحسنة والثـواب. ثم قال: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَـاراً تلظى} يعـني: خـوفتكم بـالقرآن نـاراً تلظى، يعـني: تثقـل على أهلهـا، وتغيـظ على أهلهـا، وتزفر عليهم.

قوله عز وجل: {لاَ يصلاها} يعني: لا يـدخل في النـارِ {إِلاَّ الاشـقى} يعـني: الـذي ختم لـه بالشـقاوة {الـذى كَـذَّبَ وتولى} يعـني: كـذب بالتوحيـد، وتـولى عن الإيمـان، وعن طاعـة اللـه تعـالى، وأخـذ في طاعـة الشـيطان. ثم قـال: {وَسَـيُجَنَّبُهَا الاتقى} يعــني: يباعــد عنهــا الأتقى، يعــني: المتقي الذي يتقي الشرك وهو {الذى يُؤْتِى مَالَهُ يـتزكى} يعني: يعطي من ماله حق الله تعالى {يتزكى} يعني: يريد به وجه الله تعـالى. ثم قـال: {وَمَـا لِاحَـدٍ عِنـدَهُ مِن نّعْمَـةٍ تجزى} يعني: لا يفعل ذلك مجـازاة لأحـد {إِلاَّ ابتغـاء وَجْـهِ رَبّهِ الاعلى} ولكن يفعل ذلك وجه ابتغاء ربه الأعلى، يفعل ذلـك طلب رضـاء اللـه تعـالى الأعلى، يعـني: اللـه العلي الكبير، الرفيع فوق خلقه، بالقهر والغلبة.

{وَلَسَوْفَ يرضى} يعـني: سـوف يعطي اللـه من الثـواب، حتى يرضى بـذلك. وقـال مقاتـل: مـر أبـو بكـر على بلال، وسيده أمية بن خلف يعذبه، فاشـتراه وأعتقـه، فكـره أبـو قحافة عتقه، فقال لأبي بكـر: أمـا علمت أن مـولى القـوم من أنفسـهم، فـإذا أعتقت فـأعتق من لـه منظـرة وقـوة، فنزل {وَمَا لِاحَـدٍ عِنـدَهُ مِن نّعْمَـةٍ تجـزى} يعـني: لا يعقـل لطلب المجازاة، ولكن إنما يعطي ما له {ابتغاء وَجْـهِ رَبّـهِ الاعلى وَلَسَـوْفَ يرضـى} بثـواب اللـه تعـالى، واللـه أعلم بالصواب.

▲ سورة الضحى

▲ تفسير الآيات رقم [1- 8]

{وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8)}

قوله تبارك وتعالى: {والضحى} يعني: النهار كله، ويقال: الضحى ساعة من ساعات النهار، ويقال: الضحى حر الشمس {والليل إِذَا سجى} يعني: اسودّ وأظلم، ويقال: إذا سكن بالناس، ويقال: {والضحى والليل إِذَا سجى} يعني: عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى وعباده الذين يعبدونه بالليل إذا أظلم، ويقال: {والضحى} نور الجنة إذا تنور {والليل إِذَا سجى} يعني: ظلمة النار إذا أظلم، ويقال: {والضحى} يعني: النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النهار، {والليل إِذَا سجى} يعني: السواد الذي في قلوب الكافرين، كهيئة الليل. وأقسم الله تعالى بهذه الأشياء {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قلى} يعني: ما تركك ربك يا محمد صلى الله عليه وسلم، منذ أوحى إليك {وَمَا قلى} يعني: ما أبغضك ربك، وذلك أن مشركي قريش، أرسلوا إلى يهود المدينة، وسألوهم عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم، فقالت لهم اليهود: فاسألوه عن أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، وعن الروح، فإن أخبركم بقصة أهل الكهف، وعن قصة ذي القرنين، ولم يخبركم عن أمر الروح، فاعلموا أنه صادق.

فجاؤوه وسألوه فقال لهم: ارجعوا غداً حتى أخبركم، ونسي أن يقول إن شاء الله، فانقطع عنه جبريل خمسة

عشرة يوماً في رواية الكلبي، وفي رواية الضحاك، أربعين يوماً. فقال المشركون: قد ودّعه ربه وأبغضه، فـنزل فيهم ذلك. وروى أسباط عن السدي قـال: فأبطـأ جبريـل عليـه السلام، على رسول اللـه صـلى الله عليـه وسـلم أربعين ليلة، حتى شـكى ذلـك إلى خديجـة، فقـالت خديجـة: لعـل ربك قد قلاك أو نسـيك، فأتـاه جبريـل عليـه السـلام بهـذه الآيـة {مَـا وَدَّعَـكَ رَبُّكَ وَمَـا قلى} {وَلَلْآخِـرَةُ خَيْـرٌ لَّكَ مِنَ الاولى} يعني: ما أعطاك اللـه في الآخـرة، خـير لـك ممـا أعطاك في الدنيا. ويقال: معناه عـز الآخـرة، خـير من عـز الدنيا، لأن عز الدنيا يفنى، وعز الآخرة يبقى.
قولـه تعـالى: {وَلَسَـوْفَ يُعْطِيـكَ رَبُّكَ فترضـى} يعـني: يعطيك ثواب طاعتك، حتى ترضى. وسوف من الله تعـالى واجب. ويقـال: {وَلَسَـوْفَ يُعْطِيـكَ} الحـوض، والشـفاعة حـتى ترضـى. ثم ذكـر لـه مـا أنعم عليـه في الـدنيا وفي الآخرة. فقال عز وجـل: {أَلَمْ يَجِـدْكَ يَتِيمـاً فـاوى} يعـني: كنت يتيماً فضـمك إلى عمـك أبي طـالب، فكفـاك المؤنـة حين كنت يتيمـاً {مَـا وَدَّعَـكَ رَبُّكَ} فكيـف ودعـك بعـد مـا أوحى إليك.
ثم قال عز وجـل: {وَوَجَـدَكَ ضَـالاًّ فهـدى} يعـني: وجـدك جاهلاً بالنبوة، وبالحكمـة وبالكتـاب وقراءتـه، والـدعوة إلى الإيمان، فهداك إلى هذه الأشياء. وكقوله: {ما كنت تـدري ما الكتاب، ولا الإيمان} ويقال: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ} يعني: من بين قوم ضلال {فهدى} يعـني: حفظـك من أمـرهم، وعن أخلاقهم. ويقال: ووجدك بين قوم ضـلال، فهـداهم بـك. ثم قال عز وجل: {وَوَجَدَكَ عَائِلاً فأغنى} يعني: وجدك فقـيراً بلا مال، فأغنـاك بمـال خديجـة. ويقـال: وجـدك فقـيراً عن القرآن والعلم، فأغنـاك يعـني: أغـنى قلبـك، وأرضـاك بمـا أعطاك.

▲ تفسير الآيات رقم [9- 11]

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَــرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)}

ثم قال تعـالى: {فَأَمَّا اليـتيم فَلاَ تَقْهَـرْ} يعـني: لا تظلمـه، وادفع إليه حقه. ويقال: معناه واذكر يُتْمـك، وارحم اليـتيم. وقال مجاهد: {فَلاَ تَقْهَرْ} يعني: فلا تقهـره. وروي عن ابن مسعود، أنه كـان يقـرأ {فَأَمَّا اليـتيم فَلاَ}. يعـني: لا تعبس في وجهه. وروي عن أنس بن مالك، رضي اللـه عنـه، عن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: «مَنْ ضَـمَّ يَتِيمـاً وَكَـانَ مُحْسِناً فِي نَفَقَتِـهِ، كَـانَ لَـهُ حِجَابـاً مِنَ النَّارِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ، وَمَنْ مَسَحَ بِرَأْسِـهِ، كَـانَ لَـهُ بِكُـلِّ شَـعْرَةٍ حَسَـنَةٌ». وقولـه تعـالى: {تَقْهَـرْ وَأَمَّا السـائل فَلاَ تَنْهَـرْ} يعـني: لا تـؤذه ولا تزجره، ويقال: معناه واذكر فقرك، ولا تزجـر السـائل، ولا تنهـره ورده ببـذل يسـير، وبكلمـة طيبـة. وفي الآيـة تنبيـه لجميـع الخلـق، لأن كـل واحـد من النـاس كـان فقـيراً في الأصل، فإذا أنعم الله عليه، وجب أن يعرف حق الفقراء.

ثم قال عز وجل: {وَأَمَّا بِنِعْمَـةِ رَبّـكَ فَحَـدّثْ} يعـني: بهـذا القـرآن، فيعلم النـاس. وفي الآيـة تنبيـه لجميـع من يعلم القرآن، أن يحتسب في تعليم غيره. ويقال: معنـاه فحـدث النـاس بمـا آتـاك اللـه من الكرامـة، ويقـال: معنـاه اجهـر بالقرآن في الصلاة. وروى أبو سعيد الخـدري، رضـي اللـه عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال: " إِنَّ اللـه تَعَالَى جَمِيلٌ، يُحِبُّ الجَمَالَ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةَ عَلَى عَبْدِهِ "، يعني: يشكر بما أنعم الله تعالى عليه، ويحدث به، فيظهر على نفسه أثر النعمة، والله أعلم بالصواب.

سورة الشرح

▲ تفسير الآيات رقم [1- 4]

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)}

قوله تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} هو معطوف على قوله {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى} [الضحى: 6] وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً، وَوَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهَا قَطُّ، فَقُلْتُ: اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيماً. فَقَالَ الله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوى} قُلْتُ: بَلَى قال: {وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فهدى} [الضحى: 7] قُلْتُ: بَلَى قال {وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فأغنى} [الضحى: 8] قُلْتُ: بَلَى. قال {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}» الآية.

وروي عن بعض المتقدمين أنه قال: سورة التوبة والأنفال، بمنزلة سورة واحدة، وسورة ألم نشرح لك والضحى بمنزلة سورة واحدة، وسورة لإيلاف قريش وألم تر كيف فعل ربك، بمنزلة سورة واحدة.

قال {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} يعني: ألم نوسع قلبك بالتوحيد والإيمان، وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي: أتاه جبريل فشرح صدره، حتى أبدى قلبه، ثم جاء بدلو من ماء زمزم، فغسله وأنقاه مما فيه، ثم جاء بطشت من ذهب، قد ملئ علماً وإيماناً، فوضعه فيه.

ويقال الانشراح للعلم، حتى علم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مؤمناً من وقت الميثاق، فشق صدره على جهة المثل، فيعبر به عنه. ويقال {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} يعني: ألم نلين قلبك بقبول الوحي، وحب الخيرات. ويقال: معناه، ألم نطهر لك قلبك، حتى لا يؤذيك

الوسـواس، كسـائر النـاس. ويقـال: معنـاه {أَلَمْ نَشْـرَحْ} يعني: نوسع لك قلبك بالعلم، كقولـه وعلمـك ممـا لم تكن تعلم.
ثم قال: {وَوَضَـعْنَا عَنـكَ وِزْرَكَ} يعـني: غفرنـا لـك ذنبـك، كقوله {لِّيَغْفِرَ الله مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ} [الفتح: 2] ويقال: غفرنا لك ذنبك، وذلتك بترك الاستثناء ويقال: معنى {وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ} يعني: عصمناك من الذنوب {الـذى أنقَضَ ظَهْرَكَ} لو لم يعصمك الله، لأثقل ظهـرك، ويقـال: معنـاه أخرجنـا من قلبـك الأخلاق السـيئة، وطبـائع السـوء {الذى أنقَضَ ظَهْرَكَ} يعني: التي لو لم ننزعها عن قلبـك، لأثقـل عليـك حمـل النبـوة والرسـالة. ثم قـال عـز وجـل: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} يعـني: في التـأذين والخطب، حـتى لا أذكـر إلا وذكـرتِ معي، يعـني: أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم، في كل يوم خمس مرات، في الأذان والإقامة.

تفسير الآيات رقم [5- 8]

{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَـعَ الْعُسْـرِ يُسْـرًا (6) فَـإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)}
قال تعـالى: {فَـإِنَّ مَـعَ العسـر يُسْـراً} يعـني: مـع الشـدة سعة، يعني: بعد الشدة سعة في الدنيا. ويقال: بعـد شـدة الـدنيا سـعة في الآخـرة، يعـني: إذا احتمـل المشـقة في الدنيا، ينال الجنة في الآخرة. ثم قـال عـز وجـل: {إِنَّ مَـعَ العسر يُسْراً} على وجه التأكيد. وروي عن ابن عباس، أنه قال: لا يغلب العُسْرُ يُسْرَينْ. وروى مبارك بن فضـالة، عن الحسـن أنـه قـال: كـانوا يقولـون: لا يغلب عسـرٌ واحـد يُسْرَين، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: لو كـان العسـر في حُجر، جاء اليسر حتى يدخل عليه، لأنه قال تعالى {إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً} ويقال: إن مع العسـر وهـو إخـراج أهـل

مكة النبي صلى الله عليه وسلم {يُسْراً}، وهو دخوله يوم فتح مكة، مع عشرة آلاف رجل في عز وشرف.
ثم قال عز وجل: {فَإِذَا فَرَغْتَ فانصب} يعني: إذا فــرغت من الجهاد، فاجتهد في العبادة {وإلى رَبّكَ فارغب} يعني: اطلب المسألة إليه. قال قتـادة: فـإذا فـرغت من الصـلاة، فانصـب في الـدعاء. هكـذا قـال الضـحاك، وقـال مجاهـد، {فَإِذَا فَرَغْتَ} من اشتغال نفسك {فانصب} يعني: فَصَـلِّ ويقال {فَإِذَا فَرَغْتَ} من الفرائض فانصـب في الفضـائل، فيقال {فَإِذَا فَرَغْتَ} من الصـلاة، فانصـب نفسـك للـدعاء والمسألة، {وإلى رَبّـكَ فـارغب} يعـني: إلى اللـه فـارغب في الــدعاء، برفــع حوائجــك إليــه، واللــه أعلم وأحكم بالصواب.

سورة التين

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5)}

قوله تعالى: {والتين والزيتون} وهما مسجدان بالشام، ويقال: هما جبلان بالشام {التين} جبل بيت المقدس {والتين والزيتون} جبل بدمشق وقال قتادة: {التين} الجبل الذي عليه دمشق {والتين والزيتون} الجبل الذي عليه بيت المقدس. ويقال: {التين} الذي يؤكل. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: تينكم وزيتونكم هذا. وقال مجاهد: هو الذي يؤكل، وهو قول سعيد بن جبير، والشعبي.

ثم قال: {والزيتون وَطُورِ سِينِينَ} يعني: الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى، صلوات الله على نبينا وعليه ويقال {الطور} اسم الجبل {سِينِينَ} يعني: ذا شجر. ويقال: التين معناه علي بن أبي طالب، رضي الله عنه {والزيتون} فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله تعالى عنها، {وَطُورِ سِينِينَ} هما الحسن والحسين سيدا الشهداء في دار الدنيا، وهذا لا يصح في اللغة {وهذا البلد الامين} يعني: مكة أمين من أن يهاج فيها، من دخل فيها. ويقال: {الامين} لجميع الحيوان الذي لا يجري عليه القلم.

ثم قال عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} يعني: في أحسن صورة، لأنه يمشي مستوياً، وليس منكوساً، وله لسان ذلق، ويد وأصابع يقبض بها. قال

بعضهم: نزلت في شأن الوليد بن المغيرة، وقال بعضهم نزلت في كلدة بن أسيد، وقال بعضهم هذا عام. {ثُمَّ رددناه أَسْفَلَ سافلين} يعني: رددناه بعد القوة والشباب، والحسن إلى الضعف والهرم، يعني: يصير كالصبي في الحال الأولى، يعني: رددناه إلى أرذل العمر. ويقال: رددناه. يعني: الفاجر والكافر بعد موته، إلى أسفل السافلين في النار.

تفسير الآيات رقم [6- 8]

{إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)}

ثم قال عز وجل: {إلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بوحدانية الله تعالى، وعملوا الصالحات {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير منقوص، وذلك أن المؤمن إذا عمل في حالة شبابه، وقوته وحياته، فإذا مرض أو هرم، أو مات، فإنه يكتب له حسناته، كما كان يعمل في حال شبابه وقوته، إلى يوم القيامة ويقال: {غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: غير مقطوع ويقال: {غَيْرُ مَمْنُونٍ} يعني: لا يُمَنُّ عليه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إِنَّ الْمُؤْمِنُ إِذَا مَاتَ، صَعِدَ مَلَكَاهُ إلى السَّمَاءِ، فَيَقُولاَنِ: إِنَّ عَبْدَكَ فُلاَناً قَدْ مَاتَ، فَأْذَنْ لَنَا حَتَّى نَعْبُدَكَ عَلَى السَّمَاءِ، فَيَقُولُ الله تَعَالَى: إِنَّ سَمَاوَاتِي مَمْلُوءةٌ بِمَلاَئِكَتِي، وَلَكِنْ اذْهَبَا إِلَى قَبْرِهِ، فَاكْتُبَا لَهُ حَسَنَاتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة " {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدين} يعني: أيها الإنسان ما الذي حملك، بعدما خلقك الله تعالى في أحسن تقويم، حتى كذبت بيوم الدين والقضاء {أَلَيْسَ الله بِأَحْكَمِ الحاكمين} يعني: بأعدل العادلين، يعمل بالعدل مع الكفار، ومع المؤمنين بالفضل. وقال مقاتل: {فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدين} يعني: فما

يكذبك أيها الإنسان، بعد بيان الصـورة الحسـنة، والشـباب والهرم بالحساب، لا تغتر في صورتك وشـبابك، فهـو قـادر على أن يبعثـك. ويقـال: معـنى قولـه {إِلاَّ الـذين ءَامَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات وَتَوَاصَـوْاْ بـالحق وَتَوَاصَـوْاْ بالصـبر} [العصر: 3] يعني: لا يحزن ولا يذهب عقله، من كان عالماً عاملاً به. وروي عن ابن عمر، عن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أنه قال: «طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُـنَ عَمَلُـهُ». والله أعلم.

سورة العلق

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}

قوله تبارك وتعالى: {اقرأ باسم رَبّكَ الذى خَلَقَ} يقول: اقرأ القرآن بأمر ربك، وهذه أول سورة نزلت من القرآن، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما بلغ أربعين سنة، كان يسمع صوتاً يناديه يا محمد، ولا يرى شخصه، وكان يخشى على نفسه الجنون، حتى رأى جبريل عليه السلام يوماً في صورته، فغشي عليه، فحمل إلى بيت خديجة. فقالوا لها تزوجت مجنوناً، فلما أفاق أخبر بذلك خديجة، فجاءت إلى ورقة بن نوفل، وكان يقرأ الإنجيل ويفسره. ثم جاءت إلى عداس، وكان راهباً، فقال لها: إن له نبأ وشأناً، يظهر أمره.

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إلى الوادي، فجاء جبريل عليه السلام بهذه السورة، وأمره بأن يتوضأ ويصلي ركعتين، فلما رجع أعلم بذلك خديجة، وعلمها الصلاة وذلك قوله: {<ياأيها الذين ءامَنُواْ قوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا الناس والحجارة عَلَيْهَا ملائكة غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ الله مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: 6] يعني: علموهم وأدبوهم. وروى معمر عن الزهري أنه قال: أخبرني عروة عن عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، الرؤيا الصالحة الصادقة، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبِّب الخلاءُ إليه. يعني:

العزلــة وكــان يــأتي حــراء، ويمكث هنــاك، ثم يرجــع إلى خديجة.
فجاءه الملـك، وهـو على حـراء فقـال لـه: اقـرأ فقـال لـه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنـا بقـارئ، فأخـذني فغطني ثانية، حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقـرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطـني الثالثـة، ثم أرسـلني فقال: {اقرأ باسم رَبّـكَ الـذى خَلَـقَ * خَلَـقَ الإنسـان مِنْ عَلَقٍ * اقرأ وَرَبُّكَ الاكرم الذىعلم بـالقلم علم الإنسـان مَـا لَمْ يَعْلَمْ} فرجع ترجف بوادره، وقـد أخذتـه الرّعـدة، حـتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملـوني، فزملـوه حـتى ذهب عنه الروع، فذلك قولـه: {اقـرأ باسـم رَبّـكَ} يعـني: اقرأ بعـون اللـه ووحيـه إليـك، ويقـال معنـاه {اقـرأ باسـم رَبّـكَ} كقولــه: {واذكــر رَّبَّكَ إِذَا نَسِــيتَ} [الكهــف: 24] يعني: اذكر ربك الذي خلق الخلائق.
ثم قال عز وجل: {خَلَقَ الإنسانِ مِنْ عَلَقٍ} يعني: ابن آدم من دم عبيــط، وقــال في آيــة أخــرى: {>أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ} [المرســلات: 20] وقـــال في آيـــة أخـــرى: {<ياأيها الناس إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ البعث فَإِنَّا خلقنــاكم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَــةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الارحام مَا نَشَآءُ إلى أَجَلٍ مُّسَــمًّى ثُمَّ نُخْـرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لتبلغـوا أَشُــدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يتوفى وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إلى أَرْذَلِ العمــرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِن بَعْــدِ عِلْمٍ شَــيْئاً وَتَـرَى الارض هَامِـدَةً فَـإِذَآ أَنزَلْنَـا عَلَيْهَـا المــآء اهتزت وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}
[الحج: 5] وهــذه الآيــات يصــدّق بعضــها بعضــاً، لأن أول الخلــق من تــراب، ثم من نطفــة، ثم من علقــة، ثم من مضغة. كما بين الجملة في موضع آخر. ثم قال عـز وجـل: {اقرأ وَرَبُّكَ الاكرم} يعني: اقرأ يا محمد صـلى اللـه عليـه وسلم وربك يعينك ويفهمك، وإن كنت غير قارئ {الاكرم}

يعني: ربك المتجاوز عن جهل العباد، ويقال: {اقـرأ} وقـد تم الكلام، ثم استأنف فقال {وَرَبُّكَ الاكرم} يعني: الكـريم ويقال الأكرم يعني: المكرم الذي يكرم من يشاء بالإسلام. ثم قال: {الذى عَلَّمَكُمُ بالقلم} علم الكتابة، والخط بالقلم {عَلَّمَ الإنسان مَـا لَمْ يَعْلَمْ} يعـني: علم آدم عليـه السـلام أسـماء كـل شـيء، يعـني: ألهمـه ويقـال {عَلَّمَ الإنسـان} يعني: محمداً صلى الله عليه وسـلم {مَـا لَمْ يَعْلَمْ} يعـني: القرآن كقوله {>وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْـكَ رُوحـاً مِّنْ أَمْرِنَـا مَـا كُنتَ تَدْرِى مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جعلنـاه نُـوراً نَّهْـدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لتهدى إلى صـراط مُّسْـتَقِيمٍ} [الشـورى: 52] ويقـال: علم الإنسـان مـا لم يعلم، يعـني: علم بني آدم ما لم يعلموا كقولـه: {>واللـه أَخْـرَجَكُم مِّن بُطُونِ أمهاتكم لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السمع والابصار والأفئدة لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون} [النحل: 78].

▲ تفسير الآيات رقم [6- 14]

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَيَطْغَى (6) أَنْ رَآَهُ اسْـتَغْنَى (7) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الـرُّجْعَى (8) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْـدًا إِذَا صَـلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)} ثم قال عز وجل: {كَلاَّ} يعني: حقاً {إِنَّ الإنسـان ليطغى} يعني: الكافر ليعصي الله. ويقال: يرفع منزلـة نفسـه {أَن رَّءاهُ اسـتغنى} يعـني: إن رأى نفسـه مسـتغنياً عن اللــه تعالى، مثل أبي جهل وأصحابه، ومثـل فرعـون حيث ادعى الربوبية. قال أبـو الليث رحمـه اللـه: حـدثنا أبـو جعفـر بن عوف، عن الأعمش، عن القاسم قـال: قـال عبـد اللـه بن مسعود رضي الله عنه: منهومان لا يشـبعان، طـالب العلم وطالب الدنيا، ولا يستويان أما طـالب العلم، فـيزداد رضـا الله وأما طالب الدنيا، فيزداد في الطغيـان ثم قـال: {كَلاَّ إِنَّ الإنسان ليطغى * أَن رَّءاهُ استغنى}.

ثم قال: {إِنَّ إلى رَبّكَ الـرجعى} يعـني: المرجـع إلى اللـه تعالى يوم القيامة، ويقال: معناه رجوع الخلائـق كلهم بعـد الموت إلى اللـه تعـالى، فيحاسـبون ويجـازون، فريـق في الجنة، وفريق في السعير. قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} وذلك أن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، كان إذا صلى في المسجد، رفع صـوته بـالقراءة، فلغطـوا ورمـوه بالحجـارة، فخفض صـوته في الصـلاتين الظهـر والعصر، إذا حضروا. وأما صلاة المغرب، اشتغلوا بالعشـاء وصلاة العشاء ناموا، وصـلاة الفجـر لم يقومـوا، فرفـع في هذا، فصار سنة إلى اليوم فنزل {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} ويقال: إن أبـا جهـل بن هشـام قـال: لئن رأيت محمداً صلى الله عليه وسلم يصـلي، لأطـانّ عنقـه فـنزل {أَرَأَيْتَ الذى ينهى * عَبْداً إِذَا صلى} يعني: ألم تر أن هـذا الكافر، ينهى عبد الله عن الصلاة، وهـو محمـد صـلى اللـه عليه وسلم.

ثم قال: {أَرَءيْتَ إِن كَانَ على الهدى} يعني: محمداً صـلى الله عليه وسلم، إن كان على الإسـلام {أَوْ أَمَـرَ بـالتقوى} يعني: التوحيد. ثم قال: {أَرَءيْتَ إِن كَـذَّبَ وتـولى} يعـني: {أن كَذَّبَ} بالتوحيد {وتولى} عن الإسلام {أَلَمْ يَعْلَم بِـأَنَّ الله يرى} أفعاله فيجازيه، وهذا جواب لجميع ما تقـدم من قوله {أَرَأَيْتَ} ويقال في الآية إضمار وهـو قولـه: {أَرَأَيْتَ الـذى ينهى * عَبْـداً إِذَا صـلى} يعـني: بهـذا الـذي يصـنع، ويـؤذي محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم، أليس هـو على ضلالة، أليس هو قد نهى عن الصلاة والخيرات {أَرَءيْتَ إِن كَـانَ على الهـدى} يعـني: أرأيت أيهـا النـاهي، إن كـان المصلي على الهـدى {أَوْ أَمَـرَ بـالتقوى} يعـني: بالتوحيـد، واجتناب المعاصي، فينهاه عن ذلك.

▲ تفسير الآيات رقم [15- 19]

{كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)}
ثم قال: {كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ} يعني: حقاً لئن لم يمتنع أبو جهل، عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يتب، ولم يسلم قبل الموت {لَنَسْفَعاً بالناصية} يعني: لنأخذ به بالناصية أخذاً شديداً، يعني: يؤخذ بنواصيه يوم القيامة، ويطوى مع قدميه، ويطرح في النار. فنزلت الآية في شأن أبي جهل، وهي عظة لجميع الناس، وتهديد لمن يمنع عن الخير، وعن الطاعة. ثم قال عز وجل: {نَاصِيَةٍ كاذبة خَاطِئَةٍ} جعل الكاذبة صفة الناصية، وإنما أراد صاحب الناصية، يعني: ناصية كاذبة على الله تعالى، خاطئة يعني: مشركة. وقال مجاهد: الذي يجحد، ويأكل رزق الله تعالى، ويعبد غيره.
ثم قال عز وجل: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ} يعني: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم، فليدع أهل مجلسه، وأصحابه الكفرة حتى {سَنَدْعُ الزبانية} يعني: الملائكة، هم ملائكة العذاب، غلاظ شداد، والزبانية أخذ من الزَّبْن، وهو الدفع وإنما سمّوا الزبانية، لأنهم يدفعون الكفار إلى النار. ويقال: إنما سموا زبانية، لأنهم يعملون بأرجلهم، كما يعملون بأيديهم. وروي في الخبر، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ بهذه السورة، وبلغ إلى قوله لنسفعاً بالناصية، قال أبو جهل: أنا أدعو قومي، حتى يمنعوا عني ربك.
قال الله تعالى: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزبانية} فلما سمع ذكر الزبانية، رجع فزعاً. فقيل له: خشيت منه، قال: ولكن رأيت عنده فارساً فهددني بالزبانية، فلا أدري ما الزبانية، ومال إلى الفارس، فخشيت أن يأكلني. وروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، هدد أبا جهل فقال: لِمَ تهددني؟ فوالله علمتَ أني أكثر أهل

الوادي نادياً، لئن دعوتُ، يعني: أهل مجلسي منعوني عن ربك، فنزل {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزبانية} قال ابن عباس رضي الله عنه: لو دعا ناديه، أخذته الزبانية.
ثم قال: {كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ} يعني: حقاً لا تطعه في ترك الصلاة يا محمد {واسجد} يعني: صل لله تبارك وتعالى {واقترب} يعني: صل واقترب إلى ربك، بالأعمال الصالحة. وروى ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ألا يرى إلى قوله {واسجد واقترب} يعني: اقترب إلى ربك بالسجود، واعلم أن السجود أربعة أحرف، السين سرعة المطيعين والجيم جهد العابدين والدال دوام المجتهدين والهاء هداية العارفين ويقال السين سرور العارفين، الجيم جمال العابدين، والدال دولة المطيعين، والهاء هبة الصديقين.
97

سورة القدر

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5)}
قوله تعالى {إِنَّا أنزلناه فِى لَيْلَةِ القدر} يعني: أنزلنا القرآن الكريم جملة واحدة إلى سماء الدنيا، من اللوح المحفوظ في ليلة القدر، يعني: في ليلة القضاء، وإنما سميت ليلة القدر، لأن الله تعالى، يقدر في تلك الليلة ما يكون من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل، والرزق. وغيره ويسلمه إلى مدبرات الأمور، وهم أربعة من الملائكة إسرافيل وجبريل، وميكائيل وملك الموت عليهم

السلام. وفي آية أخرى {فِى لَيْلَةٍ مباركة} [الدخان: 3] وإنما سميت ليلة مباركة، يعني: ليلة القدر، لأنه ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة.

ثم قال عز وجل: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ القدر} تعظيماً لها، فقال: {لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني: العمل في ليلة القدر، خير من العمل في ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان جالساً بين أصحابه، يحدث بأن رجلاً كان من بني إسرائيل، لبس السلاح ألف شهر، وصام ولم يضع السلاح، حتى مات. فعظم ذلك على أصحابه فنزلت {لَيْلَةُ القدر خَيْرٌ مّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} يعني: العمل فيها وثوابه، أفضل من لبس السلاح، وصيام ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وروي في خبر آخر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرَى أَعْمَالُ النَّاسِ»، فكأنه تقاصر أعمار أمته، أن لم يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى في الجنة ليلة القدر، خيراً من ألف شهر. فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي ليلة هي؟ قال: " الْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ ". ثم قال عز وجل: {تَنَزَّلُ الملائكة والروح فِيهَا} يعني: تتنزل الملائكة من كل سماء، ومن سدرة المنتهى، وهو مسكن جبريل على وسطها عليه السلام، فينزلون إلى الأرض، ويدعون الخلق، ويؤمنون بدعائهم، إلى وقت طلوع الفجر. وذلك قوله: {تَنَزَّلُ الملائكة والروح فِيهَا} يعني: جبريل معهم وذكر في الخبر، أن جبريل عليه السلام، وقف على سطح الكعبة، ونشر جناحيه. أحدهما يبلغ المشرق، والآخر يبلغ المغرب. وقال بعضهم: «الروح» خلق يشبه الملائكة، وجهه يشبه وجه بني آدم عليه السلام. وقال بعضهم: هو ما قال الله تعالى {>وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّن العلم إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء: 85]

وقال مجاهد ما نزل ملك إلا ومعه روح، ولهم أيـد وأرجـل، وهم موكلون على الملائكة، كما أن الملائكة موكلون على بني آدم.
ثم قال عز وجل: {بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} يعـني: يـنزلون بـأمر ربهم {مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ} يعـني: تلـك الليلـة من كـل أمـر سلام، يعني: من كـل آفـة سـلامة، يعـني: في هـذه الليلـة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقـال سـلام يعـني: لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها شراً.
وقال القتبي: إن (من) توضـع موضـع (البـاء)، يعـني: بكـل أمر سلام أي: خير {هِيَ حتى مَطْلَعِ الفجر} وقال مجاهد: يعني: كل أمر سـلام، وسـلام من أن يحـدث فيهـا آذًى، أو يستطيع الشـيطان أن يعمـل فيهـا. ويقـال: معنـاه {تَنَـزَّلُ الملائكـة والـروح فِيهَـا بِـإِذْنِ رَبّهِم مِّن كُـلّ أَمْـرٍ} وقـد تم الكلام. يعني: ينزلون فيها من كل أمر من الرخصـة، وكـل أمر قدره الله تعالى، في تلك الليلة إلى قابل.
ثم استأنف فقال: {سلام هِيَ} يعني: سلام وبركـة، وخـير كلها {حـتى مَطْلَـعِ الفجـر}. وروي عن ابن عبـاس رضـي الله، عنهما، أنه قـرأ من كـل أمـر سـلام، يعـني: الملائكـة يسـلمون على كـل امـرئ. وقـرأ الكسـائي {حـتى مَطْلَـعِ الفجــر} بكســر اللام، والبــاقون بنصــب اللام. فمن قــرأ بالكسـر، جعلـه اسـماً لـوقت الطلـوع، ومن قـرأ بالنصـب جعله مصدراً. يعني: يطلع طلوعاً، والله أعلم بالصواب.

سورة البينة

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (1) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (2) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (3) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (4) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)}

قوله تعالى: {لَمْ يَكُنِ الذين كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتاب} يعني: اليهود والنصارى {والمشركين} يعني: عبدة الأوثان {مُنفَكّينَ} يعني: غير منتهين عن كفرهم، وعن قولهم الخبيث {حتى تَأْتِيَهُمُ البينة} يعني: حتى أتاهم البيان، فإذا جاءهم البيان، فريق منهم انتهوا وأسلموا، وفريق ثبتوا على كفرهم. ويقال: لم يزل الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، حتى وجب في الحكمة علينا في هذا الحال، إرسال الرسول إليهم. ويقال: معناه لم يكونوا منتهين عن الكفر، حتى أتاهم الرسول والكتاب، فلما آتاهم الكتاب والرسول، تابوا ورجعوا عن كفرهم، وهم مؤمنو أهل الكتاب، والذين أسلموا من مشركي العرب. وقال قتادة: {البينة} أراد به محمداً صلى الله عليه وسلم، وقال القتبي: {مُنفَكّينَ} أي: زائلين يقال: لا أنفك من كذا أي: لا أزول.

قوله تعالى: {رَسُولٌ مّنَ الله يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً} يعني: قرآناً مطهراً من الزيادة والنقصان. ويقال: مطهراً من الكذب، والتناقض ويقال: {صُحُفاً مُّطَهَّرَةً} أي: أمور مختلفة. ويقال: سمي القرآن صحفاً، من كثرة السور

{فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} يعني: صادقة مستقيمة لا عوج فيها. ويقال: كتب قيمة، يعني: تدل على الصواب والصلاح، ولا تدل على الشرك والمعاصي. ثم قال عز وجل: {وَمَا تَفَرَّقَ الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني: وما اختلفوا في محمد صلى الله عليه وسلم، وهم اليهود والنصارى {إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينة} يعني: بعدما ظهر لهم الحق، فنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: {وَمَا أُمِرُواْ} يعني: وما أمرهم محمد صلى الله عليه وسلم {إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله} يعني: ليوحدوا الله. ويقال: {وَمَا أُمِرُواْ} في جميع الكتب، {إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله} يعني: يوحدوا الله {مُخْلِصِينَ لَهُ الدين حُنَفَاء} مسلمين. روي عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: {حُنَفَاء} يعني: متبعين. وقال الضحاك {حُنَفَاء} يعني: حجاجاً يحجون بيت الله تعالى.

ثم قال: {وَيُقِيمُواْ الصلاة} يعني: يقرون بالصلاة، ويؤدونها في مواقيتها {وَيُؤْتُواْ الزكواة} يعني: يقرون بها ويؤدونها {وَذَلِكَ دِينُ القيمة} يعني: المستقيم لا عوج فيه، يعني: الإقرار بالتوحيد، وبالصلاة والزكاة، وإنما بلفظ التأنيث {القيمة} لأنه انصرف إلى المعنى، والمراد به الملة، يعني: الملة المستقيمة لا عوج فيها. يعني: هذا الذي يأمرهم محمد صلى الله عليه وسلم، وبهذا أمروا في جميع الكتب.

▲ تفسير الآيات رقم [6- 8]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6) إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (8)}

ثم قـال عـز وجـل: {إِنَّ الـذين كَفَـرُواْ مِنْ أَهْـلِ الكتـاب والمشركين} يعـني: الـذين جحـدوا من اليهـود والنصـارى بمحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم، وبـالقرآن ومن مشـركي مكـة، وثبتـوا على كفـرهم {فِى نَـارِ جَهَنَّمَ خالـدين فِيهَـا} يعـني: دائمين فيهـا {أَوْلَئِكَ هُمْ شَـرُّ البريـة} يعـني: شـر الخليقة. قرأ نافع وابن عامر (البريئـة) بـالهمزة، والبـاقون بغير همـزة. فمن قـرأ بـالهمزة، فلأن الهمـزة فيهـا أصـل. ويقال برأ الله الخلق، ويبرؤهم وهـو الخـالق البـارئ. ومن قرأ بغير همزة، فلأنه اختار حذف الهمزة وتخفيفها.

ثم مـدح المؤمـنين، ووصـف أعمـالهم، وبين مكـانهم في الآخرة، حتى يرغبوا إلى جواره فقـال: {إِنَّ الـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} يعني: صدقوا بالله، وأخلصوا بقلــوبهم وأفعالهم، وهم أصحاب النبي صلى الله عليـه وسـلم ومن تابعهم إلى يوم القيامة {أَوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البرية} يعـني: هم خير الخليقة. وقال عبد اللـه بن عمـرو بن العـاص (واللـه للمؤمن أكـرم على اللـه تعـالى من بعض الملائكـة الـذين عبدوه) وروي عن الحسن، أنه سئل عن قولـه {أَوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البرية} أهم خير من الملائكة؟ قـال: ويلـك أين تعـدل الملائكة، من الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ثم بين ثوابهم فقال عز وجل: {جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبّهِمْ} يعني: ثوابهم في الآخرة {جنات عَدْنٍ تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهـار} يعني: أنهار من الخمر، والعسـل، واللبن، ومـاء غـير آسـن {خالدين فِيهَا أَبَداً} يعني: دائمين مقيمين فيها {رَّضِىَ الله عَنْهُمْ} بأعمالهم {وَرَضُواْ عَنْهُ} بثوابه الجنة {ذلك} يعني: هذا الثواب الذي ذكـر {لِمَنْ خَشِـىَ رَبَّهُ} يعـني: وَحَّدَ ربـه في الدنيا، واجتنب معاصيه والله أعلم.

سورة الزلزلة

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)}

قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الارض زِلْزَالَهَا} وذلك أن الناس، كانوا يرون في بدء الإسلام، أن الله تعالى لا يؤاخذ بالصغائر من الذنوب، ولا يعاقب إلا في الكبائر، حتى نزلت هذه السورة وقال: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} وذكر أهوالٍ ذلك اليوم، وبين أن القليل في ذلك اليوم، يكون كثيراً فقال {إِذَا زُلْزِلَتِ الارض زِلْزَالَهَا} يعني: تزلزلت الأرض عند قيام الساعة، وتحركت واضطربت، حتى يتكسر كل شيء عليها. ويقال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم، عن قيام الساعة، فنزل وبين متى يكون قيام الساعة فقال: {إِذَا زُلْزِلَتِ الارض زِلْزَالَهَا} يعني: تزلزلت الأرض، وتحركت تحركاً وهو كقوله: {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً} [نوح: 18] والمصدر للتأكيد.

قوله تعالى: {وَأَخْرَجَتِ الارض أَثْقَالَهَا} يعني: أظهرت ما فيها من الكنوز والأموات {وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا} يعني: يقول الإنسان الكافر: ما لها يعني: للأرض على وجه التعجب. {يَوْمَئِذٍ تُحَدّثُ أَخْبَارَهَا} يعني: تخبر الأرض، بكل ما عَمِلَ عليها بنو آدم، من خير أو شر تقول: للمؤمنين صلّى عليَّ، وحج واعتمر، وجاهد، فيفرح المؤمن، وتقول

للكافر أشرك وسرق، وزني وشرب الخمر، فيحزن الكافر فيقول: ما لها؟ يعني: ما للأرض تحـدث بمـا عمـل عليهـا؟ على وجه التقديم والتأخير، ومعناه: يومئـذٍ تحـدث أخبارهـا {وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا}.

يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليـه وسـلم {بِـأَنَّ رَبَّكَ أوحى لَهَا} يعني: أن الأرض تحدث، بأن ربـك أذن لهـا في الكلام، وألهمها {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس أَشْـتَاتاً} يعـني: يرجـع النـاس متفـرقين، فريـق في الجنـة، وفريـق في السـعير فريـق مـع الحـور العين يتمتعـون، وفريـق مـع الشـياطين يعــذبون، فريــق على الســندس والــديباج، على الأرائــك متكئون، وفريق في النار، على وجوههم يُجَرُّونَ. اللهم في الدنيا هكذا كانوا فريقاً حول المساجد والطاعـات، وفريـق في المعاصي والشهوات، فذلك قوله {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس أَشْتَاتاً} يعني: فِرقاً فِرَقاً.

{لِّيُرَوْاْ أعمالهم} يعني: ثواب أعمـالهم، وهكـذا. كمـا روي عن النبي صلى الله عليه وسـلم، أنـه قـال: «مَـا مِنْ أَحَـدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، إلاَّ وَيَلُومُ نَفْسَهُ، فَإِنْ كَـانَ مُحْسِـناً يَقُـولُ: لِمَ لَمْ أزدَدْ إحساناً، وَإِنْ كَـانَ غَيْـرَ ذَلِـكَ، يَقُـولُ: أَلاَ رَغِبْتُ عَنِ المَعَاصِي؟» وهذا عند معاينة الثـواب والعقـاب. وقـال أبيّ بن كعب: الزلزلة لا تخرج إلا من ثلاثة، إما نظر الله تعالى بالهيبة إلى الأرض، وإما لكثرة ذنوب بني آدم، وأما لتحرك الحوت، التي عليها الأرضون السبع، تأديباً للخلق وتنبيهاً.

100

سورة العاديات

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)}

قوله تعالى: {والعاديات ضَبْحاً} قال مقاتل: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية إلى بني كنانة واستعمل عليهم المنذر به عمرو، الساعدي، فأبطأ عليه، خبرهم فاغتم لذلك فنزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلمه عن حالهم فقال: (والعاديات ضبحاً) يعني: أفراس أصحابك يا محمد صلى الله عليه وسلم إنهم يسبحون في عدوهم {فالموريات قَدْحاً} يعني: النار التي تسطع من حوافر الفرس إذا عدت في مكان ذي صخور وأحجار {فالمغيرات صُبْحاً} يعني: أصحابك يغيرون على العدوّ عند الصبح {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً} يعني: يثيرون بحوافرهن التراب إذا عدت الفرس في مكان سهل يهيج التراب والغبار (نقعاً) يعني: أطراحاً على الأرض {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً} يعني: أصحابك أصبحوا في وسط العدو مع الظفر والغنيمة فلا تغتم وقال الكلبي (والعاديات ضبحاً) يعني: أنفاس الخيل حين تتنفس إذا اجتهدت وقال ابن مسعود رضي الله عنه (والعاديات ضبحاً) يعني: الإبل بعرفات إذا دخل الحجاج مكة وروى عطاء عن ابن عباس في قوله (والعاديات ضبحاً) قال الخيل وما أصبح دابة قط إلا كلب أو خنزير وهو يلهث كما يلهث الكلب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي الإبل تذهب إلى وقعة بدر.

وقال أبو صالح تقاولت مـع عكرمـة في قولـه (والعاديـات ضبحاً) قال عكرمة قال ابن عبـاس هي الخيـل في القتـال فقلت مـولاي يعـني: علي بن أبي طـالب رضـي اللـه عنـه أعلم من مولاك إنه كان يقول هي الإبل التي تكـون بمكـة حين تفيض من عرفات إلى جمع، وقال أهل اللغة: الضـبح صـوت حلوقهـا إذا عـدت، والضـبح والضـبع واحـد، يقـال: ضبحت النوق وضبعت إذا عدت في المسير.

وهذا قسم أقسم الله تعـالى بهـذه الأشـياء وجوابـه قولـه تعـالى {إِنَّ الإنسـان لِرَبِّهِ لَكَنُـودٌ} [العاديـات: 6] وقـال بعضهم (فالموريـات قـدحاً) معنـاه فالمنجيـات عملاً وهـذا مثـل ضـربه اللـه تعـالى فكمـا أن الأقـداح تنجي الرجـل المسـلم من بـرد الشـتاء والهلاك وإذا لم يكن معـه الزنـد فيهلك في الـبرد فكـذلك العمـل الصـالح ينجي العبـد يـوم القيامة ومن العذاب الهلاك وإذا لم يكن معه عمـل صـالح يهلك في العذاب ويقال (فالموريات قدحاً) يعني: ناراً لأبي حباحب كان رجل في بعض أحياء العرب من أبخـل النـاس ولم يوقـد نـاراً حـتى ينـام كـل ذي عين ثم يوقـدها فـإذا اسـتيقظ أحـد أطفأهـا لكي لا ينتفـع بنـاره أحـد بخلاً منـه فكذلك الخيل حين اشـتدت على الأرض الحصـاة فقـدحت النار بحوافرها لا ينتفع بها كما لا ينتفع بنار أبي حبـاحب ثم قـال (فـالمغيرات صُـبْحاً) يعـني: الخُصَـماء يغـيرون على حسنات العبد يوم القيامة بمنزلة ريح عاصف يجيء ويرفع التراب الناقع من حوافر الدواب فذلك قوله تعالى (فـأثرن به نقعاً) ويقال هي الإبل ترجع من عرفات إلى مزدلفـة ثم يرجعن إلى منى ويذبح هناك ويقسم الخمـر ويوجـد اللحم كأنهم أغاروها (فأثرن به نقعاً) يعني: هيّجن بـالوادي غبـاراً حين يرجعون من مزدلفة إلى منى وقوله تعالى (به) كناية عن الوادي فكأنه يقول (فأثرن به نقعـاً) أي غبـاراً ثم قـال

(فوسطن به جمعاً) يعني: فوقعن بالوادي ويقال بالمكان جمعاً أي اجتمع الحاج بمنى.

تفسير الآيات رقم [6- 11]

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)}

ثم قال {إِنَّ الإنسان لِرَبّهِ لَكَنُودٌ} فيه جواب القسم أقسم الله تعالى بهذه الأشياء وفيه بين ذكر فضل الغازي وفضل فرس الغازي على تفسير من فسر الآية على الفرس حين أقسم الله تعالى بالتراب الذي يخرج والنار التي تخرج من تحت حوافر فرس الغازي لأنه ليس عمل أفضل من الجهاد في سبيل الله تعالى. ومن فسر الآية على الإبل ففي الآية بيان فضل الحاج وفضل دواب الحاج حيث أقسم الله تعالى بالتراب الذي يخرج من تحت أخفاف إبل الحاج والنار التي تخرج منها حيث صارت في أرض الحجارة أن الإنسان لربه لكنود يعني: لبخيل قال مقاتل نزلت في قرط بن عبد الله وقال معنى «الكنود» بلسان كندة وبني حضرموت هو العاصي سيده وبلسان بني كنانة البخيل ويقال هو الوليد بن المغيرة ويقال هو أبو حباحب ويقال كان ثلاثة نفر في العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء وهو حاتم الطائي والثاني آية في البخل وهو أبو حباحب والثالث آية في الطمع وهو أشعب، كان طماعاً، وكان من طمعه إذا رأى عروساً تزف إلي موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره وكان إذا رأى إنساناً يحك عنقه فيظن أنه ينزع القميص ليدفعه إليه ويقال «الكنود» الذي يمنع وفده ويجمع أهله ويضرب عبده ويأكل وحده ولا يعبأ للنائرة في قومه أي المصيبة، وقال الحسن: الكنود الذي يذكر المصائب وينسى النعم، ويقال

الكنود الذي لا خير فيه، ويقال: الأرض التي غلب عليها السبخة ولا يخرج منها البذر أرض كنود.

قوله تعالى {وَإِنَّهُ على ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} يعني: الله تعالى حفيظ على صنعه عالم به {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ} يعني: الإنسان على جمع المال حريص وقال القتبي معناه إنه لحب المال لبخيل والشدة البخل ها هنا وقال الزجاج معناه أنه من أجل حب المال لبخيل وهذا موافق لما قال القتبي ثم قال عز وجل {أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى القبور} يعني: أفلا يعلم هذا البخيل إذا بعث الناس من قبورهم وعرضوا على الله تعالى بعثر يعني: أخرج {وَحُصّلَ مَا فِى الصدور} يعني: بين ما في القلوب من الخير والشر {إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ} يعني: عالم بهم وبأعمالهم وبنيَّاتهم ومن أطاعه في الدنيا ومن عصاه فيها وفي الآية دليل أن الثواب يستوجب على قدر النية ويجري به لأنه قال عز وجل (وحصل ما في الصدور) يعني: يحصل له من الثواب بقدر ما كان في قلبه من النية إن نوى بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة يحصل له الثواب على قدره والله أعلم.

سورة القارعة

تفسير الآيات رقم [1- 11]

{الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)}

قوله تعالى {القارعة * مَا القارعة} يعني: القيامة والساعة ما الساعة وهذا من أسماء يوم القيامة مثل الحاقة والطامة والصاخة، وإنما سميت القارعة لأنها تنزع القلوب بالأهوال ويقال سماها قارعة لثلاثة: لأنها تقرع في أذن العبد بما علم وسمعه والثاني تقرع أركان العبد بعضه في بعض والثالث تقرع القلوب كما تقرع القصار الثوب ثم قال عز وجل {وَمَا أَدْرَاكَ مَا القارعة} تعظيماً لشدتها ثم وصفها فقال {يَوْمَ يَكُونُ الناس كالفراش المبثوث} يعني: كالجراد كالفراش يجول بعضهم في بعض كما قال في آية أخرى {خُشَّعاً أبصارهم يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداث كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ} [القمر: 7] ويقال شبههم بالفراش لأنهم يلقون أنفسهم في النار كما يلقي الفراش نفسه في النار {وَتَكُونُ الجبال كالعهن المنفوش} يعني: كالصوف المندوف وهي تمر مَرَّ السحاب {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ موازينه} يعني: رجحت حسناته على سيئاته ويقال ثقلت موازينه بالعمل الصالح بالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات {فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ} يعني: في عيش مرضي يعني: في الجنة لا موت فيها ولا فقر ولا مرض ولا خوف ولا جنون يعني: آمن من كل خوف وفقر {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

موازينه} يعني: رجحت سيئاته على حسناته يعني: الكـافر ويقال من خفت موازينه يعـني: لا يكـون لـه عمـل صـالح {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} يعني: مصيره إلى النار قال قتادة هي أمهم ومأواهم وإنمـا سـميت الهاويـة لأن الكـافر إذا طـرح فيهـا يهـوي على هامتـه وإنمـا سـميت أمـه لأنـه مصـيره إليهـا ومسكنه فيها ثم وصفها فقال {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ} تعظيماً لشدتها ثم أخبر عنها فقال {نَارٌ حَامِيَـةٌ} يعـني: حـارة قـد انتهى حرها وأصـله مـا هي فـأدخلت الهـاء للوقـف كقولـه {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه بِيَمِينِـهِ فَيَقُـولُ هَـآؤُمُ اقـرؤا كتابيـه} [الحاقـة: 19] وأصـله كتـابي قـرأ حمـزة والكسـائي ومـا أدراك ما هي بغير هاء في الوصل وبالهاء عند الوقف وقرأ البـاقون بإثباتهـا في الوصـل والوقـف واللـه تعـالى أعلم بالصواب.

سورة التكاثر

تفسير الآيات رقم [1- 8]

{أَلْهَـاكُمُ التَّكَـاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَـابِرَ (2) كَلَّا سَـوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُـونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَـرَوُنَّ الْجَحِيمَ (6) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَـا عَيْنَ الْيَقِينِ (7) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)}

قوله تعالى {ألهاكم التكاثر} قال الكلـبي نـزلت في حَيَّيْن من العرب أحدهما بنو عبد مناف والآخر بنو سـهم تفـاخرا في الكثرة فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إنا البغي والقتال قد أهلكنا فقـد أحيانـا وأحيـاكم وأمواتنـا وأمـواتكم ففعلوا فكثرتهم بنـو سـهم فـنزل (أَلْهَـاكُمُ التكـاثر) يعـني: شغلكم وأذهلكم التفاخر {حتى زُرْتُمُ المقابر} يعني: أتيتم وذكرتم وعددتم أهل المقابر يعني: حـتى يـدرككم المـوت على تلك الحال وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قرأ {ألهاكم التكاثر * حـتى زُرْتُمُ المقـابر} ثم قـال يقـول بني آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فَأَفْنَيْتَ أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ويقال معناه أغفلكم التفـاخر والتكـاثر عن الهاويـة والنـار الحاميـة حـتى زرتم المقابر يعني: عددتم مَنْ في المقـابر ثم قـال {كَلاَّ} وهـو رد على صـنيعكم ويقـال (كلا) معنـاه أي لاَ تَـدَعون الفخـر بالأحسـاب حـتى زرتم المقـابر وقـال الزجـاج كلا ردع لهم وتنبيه يعني: ليس الأمر الذي أن يكون عليه التكاثر والـذي ينبغي أن يكونـوا عليـه طاعـة اللـه تعـالى والإيمـان بنبيـه محمد صلى الله عليـه وسـلم {سَـوْفَ تَعْلَمُـونَ} إذا نـزل بكم الموت ويقال (كلا سوف تعلمون) إن سئلتم في القبر ثم قال {ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ} بعد الموت حين نـزل بكم

العــذاب لأن الأحســاب لا تنفعكم قولــه تعــالى {كَلاَّ لَــوْ تَعْلَمُونَ} قال بعضهم معناه لا لا تؤمنـون بالوعيـد وقـد تم الكلام ثم استأنف فقال {عِلْمَ اليقين} يعـني: لـو تعلمـون ما القيامة باليقين لألهاكم عن ذلك ويقال هذا موصـول بـه كلا لو تعلمون يقول حقاً لـو علمتم علم اليقين بـأن المـال والحسب والفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال والعدد والحسب ثم قال عـز وجـل {لَتَـرَوُنَّ الجحيم} قـرأ ابن عامر والكسائي {لَتَرَوُنَّ} بضم التاء والباقون بالنصب فمن قرأ بالضم فهو على فعل ما لم يسـم فاعلـه ونصـب الجحيم على أنه مفعول به ثـان، ومن قـرأ بالنصـب فعلى فعل المخاطبة ونصب الجحيم لأنـه مفعـول يعـني: لـترون الجحيم يوم القيامة عياناً {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَـا عَيْنَ اليقين} يعـني: يدخلونها عياناً لا شك فيـه {ثُمَّ لَتُسْـئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النعيم} يعني: ولتسـألن يـوم القيامـة عن النعيم قـال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أكـل خـبزاً يابسـاً وشـرب المـاء من الفرات فقد أصاب النعيم وقال ابن مسعود رضي الله عنه هو الأمن والصحة وروى حماد بن سلمة عن أبيه عمار بن أبي عمار عن جابر أنه قال جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي اللـه عنهمـا فأطعمنـاهم رطباً وأسقيناهم الماء فقال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم
«هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ» وروى صالح بن محمد عن محمـد بن مـروان عن الكلـبي عن أبي صـالح عن ابن عباس قال إن أبا بكر سأل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم عن أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي الهيثم بن التيهــان من لحم وخــبز وشــعير وبسر مذنب وماء عذب فقال لرسول الله صلى الله عليـه وسلم: أتخاف علينا أن يكون هـذا من النعيم الـذي نسـأل عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَـا ذلـك لِلكُفَّارِ

ثُمَّ قَالَ ثَلاَثَةٌ لا يَسْأَلُ الله تَعالَى عَنْهَا العَبْدَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَــا يُوارِي عَوْرَتَهُ وَمَا يُقِيمُ بِهِ صُلْبُهُ وَمَـا يَكُفُّهُ عَنِ الحَـرِّ والقُـرِّ وَهُوَ مَسْؤُولٌ بَعْدَ ذلـك عَنْ كُـلِّ نِعْمَـةٍ» وروى الحسـن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قـال «مَـا أَنْعَمَ اللـه تَعَالَى عَلَى العَبْدِ مِنْ نِعْمَةٍ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِـيرَةٍ فَيَقُـولُ عَلَيْهَـا الحَمْدُ لله إلاَّ أَعْطَاهُ الله تَعَالى خَيْراً مِمَّا أَخَذَ» واللــه أعلم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ قَـرَأَ سُورَةِ التَّكَاثُرِ لَمْ يُحَاسِبْهُ الله تَعَالَى بِـالنَّعِيمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِـهِ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ كَأَنَّمَا قَرَأَ القُرْآنْ».

سورة العصر

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)}

قوله تعالى {والعصر} قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعني: الدهر وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يعني: صلاة الصعر وذلك أن أبا بكر لما أسلم قالوا: خَسِرْتَ يا أبا بكر حين تركت دين أبيك، فقال أبو بكر: ليس الخسارة في قبول الحق إنما الخسارة في عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية (والعصر). أقسم الله تعالى بصلاة العصر {إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ} يعني: أن الكافر لفي خسارة وروي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال «إن الإنسان لفي خسر» يعني: الناس كلهم ثم استثنى فقال عز وجل {إِلاَّ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} فإنهم غير منقوصين قال القتبي الخسر النقصان إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير منقوص كما قال الله تعالى (ثم رددناه أسفَلَ سَافِلِينَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) يعني: يكتب لهم ثواب عملهم وإن ضعفوا عن العمل قال الزجاج إن الإنسان أراد به الناس والخسران واحد ومعناه إن الإنسان الكافر والعاملين بغير طاعة الله تعالى لفي خسر وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قرأ والعصر ونوايب الدهر إن الإنسان لفي خسر وإنه لفي لعنة إلى آخر الدهر ويقال أقسم الله تعالى بخالق الدهر إن الإنسان لفي خسر يعني: أبا جهل والوليد بن المغيرة ومن كان في مثل

حالهما ثم استثنى المؤمنين فقال: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين {وَتَوَاصَوْاْ بالحق} يعني: تحاثوا على القرآن يعني: يُرَغِّبون في الإيمان بالقرآن والأعمال الصالحة {وَتَوَاصَوْاْ بالصبر} يعني: تحاثوا على الصبر على عبادة الله تعالى وعلى الشدائد فيرغبون الناس على ذلك ويقال بالصبر على المكاره فإن الجنة حفت بالمكاره والله تعالى أعلم بالصواب.

104

سورة الهمزة

تفسير الآيات رقم [1- 9]

{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (1) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (2) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (4) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (7) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (9)}

قوله تعالى: {وَيْلٌ لّكُلّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} يعني: الشدة من العذاب. ويقال: {وَيْلٌ} واد في جهنم، {لِكُلّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} قال أبو العالية: يعني: يهمزه في وجهه، ويلمزه من خلفه. وقال مجاهد: الهمزة اللعان، واللمزة الذي يأكل لحوم الناس. وقال ابن عباس: الهمزة واللمزة، الذي يفرق بين الناس بالنميمة. والآية نزلت في الأخنس بن شريق. ويقال: الذي يسخر من الناس، فيشير بعينه وبحاجبيه، وبشفتيه إليه. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويطعن في وجهه. ويقال: نزلت في جميع المغتابين.

ثم قال عز وجل: {الذى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ} يعـني: اسـتعبد بماله، الخدم والحيوان، وعـدّده أي: حسـبه وأحصـاه. قـرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي {الـذى جَمَـعَ مَـالاً وَعَـدَّدَهُ} بالتشـديد، والبـاقون بـالتخفيف. فمن قـرأ بالتشـديد، فهـو للمبالغة كثر الجمـع، ومن قـرأ بـالتخفيف، فمعنـاه {جُمِـع مَـالاً وَعَـدَّدَهُ} أي: قومـاً أعـدهم نصـاراً. قولـه عـز وجـل: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} يعني: يظن أن ماله الذي جمــع، أخلده في الدنيا، ويمنعه من الموت. ومن قـرأ بـالتخفيف، فلا يموت حتى يفنى ماله.

يقـول اللـه تعـالى: {كَلاَّ} لا يخلـده مالـه أبـداً، وولـده. ثم اسـتأنف فقـال عـز وجـل: {لَيُنبَـذَنَّ فِى الحطمـة} يعـني: ليطــرحن، وليقــذفن في الحطمــة، والحطمــة اســم من أسماء النار. ثم قـال: {وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا الحطمـة} تعظيمـاً لشـدتها. ثم وصـفها فقـال: {نَـارُ اللـه الموقـدة} يعـني: المسـتعرة، تحطم العظـام، وتأكـل اللحم، فلهـذا سـميت الحطمـة {الـتى تَطَّلِعُ عَلَى الافئـدة} يعـني: تأكـل اللحم، حتى تبلغ أفئدتهم. وقال القتبي: {تَطَّلِعُ عَلَى الافئدة} أي: تشـرف على الأفئـدة، وخص الأفئـدة، لأن الألم إذا وصـل إلى الفؤاد، مات صاحبه. فأخبر أنهم في حـال من يمـوت، وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: {ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا} [الأعلى: 13] ويقـال: {تَطَّلِعُ عَلَى الافئـدة} يعـني: تأكل الناس، حتى تبلغ الأفئـدة فـإذا بلغت ابتـدأ خلقـه، ولا تحرق القلب، لأن القلب إذا احـترق، لا يجـد الألم، فيكـون القلب على حاله.

ثم قــال: {إِنَّهَــا عَلَيْهِم مُّؤْصَــدَةٌ} يعــني: مطبقــة على الكافرين {فِى عَمَـدٍ مُّمَـدَّدَةِ} يعـني: طبقهـا مشـدود إلى العمـد. وقـال الزجـاج: معنـاه العـذاب مطبـق عليهم في عمـد، أي: عمـد من النـار. وقـال الضـحاك: مؤصـدة أي: حائــط لا بــاب فيــه. وروي عن الأعمش، أنــه كــان يقــرأ

{عَلَيْهِم مُّؤْصَـــدَةٌ} ممـــدودة يعـــني: أطبقت الأبـــواب، ثم شددت بالأوتاد من حديد، من نـار حـتى يرجـع إليهم غمهـا وحرها، فلا يفتح لهم باب، ولا يدخل عليهم روح، ولا يخــرج منها غم إلى الأبد. قرأ حمزة والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكــر، في عُمــد ممــدودة بضــم العين والميم. وقــرأ الباقون بالنصب، ومعناهما واحد، وهو جمـع العمـاد. واللـه أعلم بالصواب.

105

سورة الفيل

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَـلَ رَبُّكَ بِأَصْـحَابِ الْفِيـلِ (1) أَلَمْ يَجْعَـلْ كَيْـدَهُمْ فِي تَضْـلِيلٍ (2) وَأَرْسَـلَ عَلَيْهِمْ طَيْـرًا أَبَابِيـلَ (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْـفٍ مَـأْكُولٍ (5)}

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ} يعني: ألم تخبر بالقرآن. ويقال: ألم تر، يعني: ألم يبلغك الخبر. ويقال: اللفظ لفظ الاسـتفهام، والمراد به الإخبار، يعني: اعلم واعتبر بصـنيع ربـك {كَيْـفَ فَعَلَ رَبُّكَ} يعني: كيف عذب ربك {بأصحاب الفيل} وكان بدء أصحاب الفيل، ما ذكرناه في سورة البروج، أن زرعـة قتل المسلمين بالنار، فهرب رجل منهم إلى ملك الحبشة، وأخبره بذلك. فبعث ملك الحبشـة جيشـاً إلى أرض اليمن، فأمَّر عليهم أرياطاً، ومعه في جنده أبرهة الأشرم، فـركب البحر بمن معـه، حـتى أتـوا سـاحلاً، ممـا يلي أرض اليمن، فدخلوها ومع أرياط سبعون ألفاً من الحبشة، وهـزم جنـود زرعة، وألقى زرعة نفسه في المـاء، فهلـك وأقـام أريـاط باليمن سنين في سلطانه.

ذلك ثم نازعه في أمر الحبشة أبرهـة، وكـان من أصـحابه، ممن وجّهه معه النجاشي إلى اليمن وخالفه أبرهة وتفـرق الجند في أرض اليمن، وصار إلى كـل واحـد منهمـا طائفـة منهم. ثم خرجوا للقتال، فلما تقارب الناس، ودنـا بعضـهم من بعض، أرسل أبرهة إلى أرياط، أن لا تصـنع شـيئاً، بـأن تلقي الحبشـة بعضـها في بعض، حـتى تفنيهـا. فـأبرز لي وأبرز لك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إلى جنـده، فأرسـل إليه أرياط أن قد أنصفت فاخرج، فخرج إليه أبرهة، وكـان

رجلاً قصيراً، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً عظيماً، في يده حربة، وخلف أبرهة عبداً يقال له عنودة وروي عن بعضهم عيودة بالياء، فلما دنا أحدهما من صاحبه، رفع أرياط الحربة، فضرب بها على رأس أبرهة يريد يافوخة، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فخدشت حاجبيه وعينه وأنفه وشفتيه. فلذلك سمي أبرهة الأشرم، وحمل عيودة على أرياط من خلف أبرهة، فقتل أرياط، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن.

وكل ما صنع أبرهة من غير علم النجاشي ملك الحبشة، فلما بلغه ذلك، غضب غضباً شديداً. وقال: عدا على أميري، فقتله بغير أمري. ثم حلف أن لا يدع أبرهة، حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته. فلما بلغ ذلك أبرهة، حلق رأسه، وملأ جراباً من تراب أرض اليمن. ثم بعث إلى النجاشي، وكتب إليه، أيها الملك: إنما كان أرياط عبدُك، وأنا عبدك، واختلفنا في أمرك، وكل طاعة لك. إلا أني قد كنت أقوى على أمر الجيش منه، وأضبط له، وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب من تراب أرضي، ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه. فلما وصل كتاب أبرهة إلى النجاشي رضي عنه وكتب إليه، أن أثبت بأرض اليمن، حتى يأتيك أمري.

وقال أبرهة لعتودة حين قتل أرياط: حكمك يعني: أحكم عليّ بما شئت، فقال: حكمي أن لا تدخل عروس من نساء أهل اليمن على زوجها، حتى أصيبها قبله.

قال: ذلك لك. فأقام أبرهة باليمن، وغلامه عنودة يصنع باليمن ما كان أعطاه في حكمه. ثم عدل عليه رجل من حمير، أو من خَثْعم فقلته، فلما بلغ أبرهة قتله، وكان أبرهة رجلاً حليماً، ودعا في دينه من النصرانية. فقال: قد آن لكم يا أهل اليمن، أن يكون منكم رجل حازم، يأنف مما يأنف منه الرجال، إني والله لو علمت حين حكمته،

أنه يسـأل من الـذي سـأل مـا حكمتـه، وأيم اللـه لا يؤخـذ منكم فيه عقل، ولا قود.
ثم إن أبرهة بنى بصنعاء كنيسة، لم يُر مثلها في زمانه في أرض الـروم، ولا في أرض الشـام. ثم كتب إلى النجاشـي الأكبر، ملـك الحبشـة، أني قـد بـنيت لـك كنيسـة، لم يكن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليهـا حج العرب، فلمـا علمت العـرب بكتـاب أبرهـة إلى النجاشـي، خرج رجل من بـني كنانـة من الحمس، حـتى قـدم اليمن، فدخل الكنيسة، فنظر فيها، ثم خرى فيهـا فـدخلها أبرهـة، فوجد تلك العذرة فيها فقال: من اجترأ عليّ بهذا، فقال له أصحابه: أيها الملك، رجل من أهل ذلك البيت الـذي يحجـه العـرب. فقـال: أعليّ اجْتَـرأ بهـذا. ثم قـال بالنصـرانية: لأهْدِمَنَّ ذلك البيت ولأُخَرِّبنه، حتى لا يحجه حاج أبداً. فـدعا بالفيل وأذن قومه بالخروج.
وروي في روايـة أُخـرى أن فئـة من قـريش، خرجـوا إلى أرض النجاشي، فأوقدوا ناراً، فلما رجعوا، تركـوا النـار في يوم ريح عاصف، حتى وقعت النار في الكنيسة، فأحرقتها. فعـزم أبرهـة، وهـو خليفـة النجاشـي. أن يخـرج إلى مكـة فيهدم الكعبة، وينقل أحجارها إلى اليمن، فيبني هناك بيتـاً ليحج الناس إليه. وروي في رواية أُخرى، أن رجلاً من أهل مكة، خرج إلى اليمن، فأخذ جزعة من القصـب ذات ليلـة، وأضرم النار في الكنيسة فأحرقها ثم هرب. فبناهـا أبرهـة مرة أخرى، فحلـف بعيسـى ابن مـريم بـأن يهـدم الكعبـة، لكي يتحول الحج إلى كنيسته، فتجهز فخرج معـه حـتى إذا كـان في بعض طريقـه، بعث رجلاً من بـني سـليم، ليـدعو الناس في حج بيته الذي بناه، فتلقاه رجـل من اليمن بـني كنانة، فقتله.
فازداد أبرهـة بـذلك غضـباً، وحث على المسـير والانطلاق، حـتى إذا كـان بـأرض جعم فخـرج إليـه رجـل من أشـراف

اليمن وملوكهم، يقال له ذو يفن. فدعا القوم، وأحبابـه من سـائر العـرب، إلى حـرب أبرهـة، وصـده عن بيت اللـه، فقاتله فهـرب ذو يفن وأصـحابه، وأخـذوا ذا يفن، وأتى بـه أسيراً. فلمـا أراد قتلـه قـال: أيهـا الملـك، لا تقتلـني، فإنـه عسى أن أكـون معـك خـير لـك من قتلي، فتركـه وحبسـه عنده في وثاقه. ثم مضى على وجهه ذلـك، حـتى إذا كـان بأرض خشعم، عرض له فقيل ابن حبيب الخشعي، فقاتلـه فهزمه، وأخذ أسيراً.

فلما أتي به، وهم بقتله فقال: أيها الملك لا تقتلـني، فـإني دليلك بأرض العرب، فتركه وخلى سـبيله، وخـرج بـه معـه يدله على أرض العرب.

حتى إذا مر بالطائف فخرج إليـه مسـعود بن مغيث، التقى في رجال من ثقيف فقالوا: أيها الملـك إنمـا نحن عبيـدك، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هـذا الـذي تريـد، يعنـون اللات والعزى، وليست بالتي يحج إليه العـرب، وإنمـا ذلـك بيت قريش الذي بمكة، فنحن نبعث معك من يـدلك عليـه، فتجاوز عنهم فبعثوا معه أبارغال، فخرج يهـديهم الطريـق، حـتى أنـزلهم بـالمغمس وهي على سـتة أميـال من مكـة، فمات أبو رغال هناك، فـرجمت العـرب قـبره، فهـو القـبر الذي ترجمه الناس بالمغمس.

ثم إن قريشاً لما علموا، أن لا طاقة لهم بالقتال مع هـؤلاء القوم، لم يبق بمكة أحد، إلا خـرج إلى الشـعاب والجبـال، ولم يبق أحـد إلا عبـد المطلب على سـقايته وشـيبه، أقـام على حجابـة الـبيت، فجعـل عبـد المطلب يأخـذ بعضـادتي البيت ويقول: اللهم إن المرء يمنع رحله، فـامنع رحالـك لا يغلبوا بصليبهم، فأمر مـا بـدا لـك. ثم إن أبرهـة بعث رجلاً من الحبشة على جمـل لـه، حـتى انتهى إلى مكـة، وسـاق إلى أبرهة أموال قريش وغيرها. فأصاب مائتي بعـير لعبـد المطلب، وهو يومئذٍ كبير قريش وسـيدها. ثم بعثت أبرهـة

رجلاً من أهل حمير إلى مكة، وقـال أرسـل إلى سـيد هـذا البيت وشريفهم. ثم قال له: إن الملـك يقـول لـك، إني لم آت لأخــرجكم، وإنمــا جئت لأهــدم هــذا الــبيت، فــإن لم تتعرضوا إلى دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم.
فلما دخل الرسول مكة، جاء إلى عبد المطلب، وأدى إليـه الرسالة، فقال له عبـد المطلب: مـا نريـد حربـه، ومـا لنـا بنيه، حتى أتى العسكر فسـأل عن ذي يفن، وكـان صـديقاً له، فجاءه وهو في مجلسه فقال له: هـل عنـدك من عنـاء بما نزل بنا، فقال له ذو يفن: ما عناء رجل أسير بيـد ملـك ينتظر بأن يقتله، عدواً أو مشياً ألا إن صاحب الفيل صديق لي، فأرسل إليه فأوصيه لك، وأعظم عليه حقـك، وأسـأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه أنت بما بدا لك. فقـال حسبي ففعل ذلـك، فلمـا دخـل عبـد المطلب على الملـك وكلمه، فأعجبه كلامه.
ثم قال لترجمانه: قل لـه مـا حاجتـك، قـال عبـد المطلب: حاجتي إليك، أن ترد إلي مائتي بعير لي، فلمـا قـال ذلـك، قـال لـه أبرهـة: لقـد كنت أعجبتـني حين رأيتـك، ثم إني رجوت. يعني: كـرهت فيـك حيث كلمتـني في مـائتي بعـير أصـبتها لـك، وتـترك بيتـاً هـو دينـك ودين آبائـك، قـد جئت لهدمه. لا تكلمني فيـه. قـال عبـد المطلب: أنـا رب الإبـل، وإن للبيت رباً سيمنعه.
فقال: ما كان يمنع مني، قال: أنت وذلك فرد عليـه الإبـل، فانصرف عبد المطلب إلى قريش، وأخبرهم الخـبر، وأمـر بالخروج لمن بقي من أهل مكـة إلى الجبـال، وفي بطـون الشعاب.
ثم إن عبد المطلب، أخذ بحلقتي باب الكعبة، وقـال: اللهم إن المرء يمنـع رحلـه، وذكـر كلمـات في ذلـك. ثم أرسـل حلقتي الباب، وانطلق ومن معه إلى الجبال، ينتظـرون مـا يصنع أبرهة بمكة. فلما أصبح أبرهة، تهيأ لدخول مكة، وهيأ

فيلـه وجيشـه، وكـان اسـم الفيـل محمـوداً، وكنيتـه أبـو العباس. وكتبه أبو البكشوم، فلما وجهـوا الفيـل إلى مكـة، أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي، حتى جـاء إلى جنب الفيـل. ثم أخذ بأذنه فقال أبرك محموداً، وارجـع راشـداً من حيث جئت، فإنـك واللـه في بلـد اللـه الحـرام. ثم أرسـل أذنـه فاضـطجع، فضـربه ليقـوم فـأبى، فضـربوه ليقـوم فـأبى وضربوا بالطبرزين فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه إلى الشام، ففعل مثـل ذلـك، ووجهـوه إلى مكـة، فبرك وأرسـل اللـه تعـالى عليهم طـيراً من البحـر، أمثـال الخطـاطيف. مـع كـل طـير منهـا ثلاثـة أحجـار، حجـر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثـال الحمصـة والعدسـة، لا تصيب أحداً منهم إلا هلك.

فخرجـوا هـاربين يبتـدرون الطريـق الـذي جـاؤوا منـه، ويتسـاءلون عن نفـل بن حـبيب، ليـدلهم على الطريـق، فخـرج نفيـل يشـتد، حـتى صـعد الجبـل، فخرجـوا معـه يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل منهـل، فأصـيب أبرهة في جسده، وخرجوا معه فيسقط من جسـده أنملـة أنملة، كلما سقطت منه أنملة، خرجت منه مـدة قيح ودم، حتى قدموا به صنعاء، وهـو مثـل فـرخ الطـائر، فمـا مـات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم مات، فملك ابنه يكثـوم بن أبرهة ملك اليمن.

وروي في الخـبر، أنـه أول مـا وقعت الحصـبة، والجـدري بأرض العرب ذلك العام. وقال بعضهم: كـان أمـر أصـحاب الفيـل، قبـل مولـد النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم، بثلاث وعشرين سنة. وقال بعضـهم: كـان ذلـك في عـام مولـده عليه السلام. وروي عن قبس بن مخرمة أنه قـال: ولـدت أنا ورسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في عـام الفيـل. فنزل قوله {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصحاب الفيل} يعني:

كيـف عـاقب ربـك أصـحاب الفيـل، بالحجـارة، حين أرادوا هدم الكعبة.
قـال تعـالى: {أَلَمْ يَجْعَـلْ كَيْـدَهُمْ فِى تَضْـلِيلٍ} يعـني: في خسـارة. ويقـال: معنـاه ألم يجعـل صـنيعهم في أباطيـل {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ} يعني: متتابعاً بعضها على أثر بعض، أرسل عليهم الله طيوراً بيضاً صغاراً. وقال عبيد بن عمـــير: أرســـل عليهم طـــيراً بلقـــا من البحـــر، كأنهـــا الخطاطيف. وروى عطاء عن ابن عباس قال: طيراً سوداً، جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً. ثم قال {تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ} قال سعيد بن جبير، الحجارة أمثال الحمصة.
وروي عن ابن عبـاس قـال: رأيت عنـد أم هـانئ من تلـك الحجارة، مثل بعر الغنم، مخططة بحمرة.
وروى إسـرائيل، عن جـابر بن أسـباط قـال: طـيراً كأنهـا رجال الهنـد، جـاءت من قبـل البحـر، تحمـل الحجـارة في مناقيرهـا وأظافيرهـا، أكبرهـا كمبـارك الإبـل، وأصـغرها كرؤوس الإنسان {تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مّن سِجّيلٍ} يعـني: من طين خلط بالحجارة، ويقال: طين مطبوخ كما يطبخ الآجُرْ.
وذكر مقاتل، عن عكرمـة قـال: هي طـير جـاءت من قبـل البحر، لها رؤوس كرؤوس السـباع، لم تـر قبـل يومئـذ ولا بعـده، فجعلت تـرميهم بالحجـارة، فتجـدر جلـودهم. وكـان أول يوم رأى فيه الجدري. ويقـال: مكتـوب في كـل حجـر اسم الرجل، واسم أبيه، ولا يصيب الرجل شـيء، إلا نفـذه فيها وقع على رأس رجـل، إلا خـرج من دبـره، ومـا وقعت على جانبه، إلا خرجت من الجانب الآخر.
وقال وهب بن منبه {حِجَارَةً مّن سِـجّيلٍ} قـال بالفارسـية سنك وكـل يعـني: حجـارة وطين. وروى موسـى بن بشـار عن عكرمة {حِجَارَةً مّن سِجّيلٍ} قال: سنك وكل. ثم قال عـز وجـل: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْـفٍ مَّأْكُولٍ} يعـني: كـزرع بـالٍ، فأخبر الله تعالى أنـه سـلط على الجبـابرة أضـعف خلقـه،

كما سلط على النمرود بعوضة، فـأكلت من دماغـه أربعين يوماً، فمات من ذلك. والله أعلم بالصواب.

سورة قريش

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{لِإِيلَافِ قُـرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَـةَ الشِّـتَاءِ وَالصَّـيْفِ (2) فَلْيَعْبُـــدُوا رَبَّ هَـــذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُـــوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)}

قولـه تعـالى: {لإيلاف قُـرَيْشٍ * إيلافهم} قـرأ ابن عـامر لإلاف قريش، بغير يـاء بعـد الهمـزة، والبـاقون بيـاء قبلهـا همزة، ومعناهما واحد، وهذا موصول بمـا قبلـه. يعـني: أن الله تعالى، أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، يعني: لتقر قــريش بــالحرم، ويجــاورون الــبيت. فقــال عــز وجــل: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولِ} لإيلاف قريش يعني: فعل ذلك، ليؤلـف قريشـاً بهـاتين الرحلـتين، اللـتين بهمـا عيشـهم ومقامهم بمكة. وقـال أهـل اللغـة: ألفت موضـع كـذا، أي: لزمته وألفينه الله. كما يقال: لزمتـه موضـع كـذا، ألزمنيـه الله. وكرر لإيلاف على معنى التأكيد، كمـا يقـال: أعطيتـك المال لصيانة وجهك، وصيانتك عن جميع الناس.

وقال مجاهد: لئلاف قـريش، يعـني: لنعمـتي على قـريش، وقال سـعيد بن جبـير، أذكـر نعمـتي على قـريش، ويقـال: معناه لا يشق عليهم التوحيـد، كمـا لا يشـق عليهم {رِحْلَـةَ الشتاء والصيف} قال مقاتل وذلك أن قريشاً، كانوا تجاراً، وكـانوا يمتـارون في الشـتاء من الأردن وفلسـطين، لأن ساحل البحر كان أدناها، فـإذا كـان الصـيف تركـوا طريـق الشام، وأخـذوا طريـق اليمن، فشـق ذلـك عليهم، فقـذف الله تعـالى في قلـوب الحبشـة، حـتى حملـوا الطعـام في السفن إلى مكـة للـبيع، وجعـل أهـل مكـة يخرجـون إليهم

على مسيرة ليلـة، ويشـترون فكفـاهم اللـه تعـالى مؤونـة الشتاء والصيف.
{فَلْيَعْبُـدُواْ رَبَّ هـذا الـبيت} لأن رب هـذا الـبيت، كفـاهم مؤونة الخوف والجوع، فليـألفوا العبـادة، كمـا ألفـوا رحلـة الشتاء والصيف وقال الزجاج: كـانوا يـترحلون في الشـتاء إلى الشام، وفي الصيف إلى اليمن. وهذا موافق لما قــال مقاتل: وقال السدي في الشـتاء إلى اليمن، وفي الصـيف إلى الشام، وهكذا قال القتبي. وروي عن أبي العالية، أنــه قال: كانوا لا يقيمون بمكة صـيفاً ولا شـتاءً، فـأمرهم اللـه تعالى بالمقام عند البيت، في العبادة.
ويقال معناه: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم حـتى يجتمعـوا على الإيمـان والتوحيـد، وعبـادة رب هـذا الـبيت، كاجتماعهم على رحلة الشتاء والصيف {فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هــذا الـبيت} يعـني: سـيد وخـالق هـذا الـبيت، الـذي صـنع هـذا الإحسان إليكم، حتى يكرمكم في الآخرة، كما أكرمكم في الدنيا {الذى أَطْعَمَهُم مّن جُوعٍ} يعني: أشبعهم بعد الجـوع الذي أصابهم، حتى جهدوا {الَذى أَطْعَمَهُم مّن} يعني: من خوف الجهد، والعدو والغارة. وقـال السـدي {وَءامَنَهُم مّنْ خـوْفٍ} يعــني: من خــوف الجــذام، واللــه تعــالى أعلم بالصواب.

سورة الماعون

تفسير الآيات رقم [1- 7]

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)}

قوله تعالى: {أَرَءيْتَ الذى يُكَذّبُ بالدين} قرأ الكسائي، {أَرَأَيْتَ} بغير ألف. وقرأ نافع بالألف بغير همزة، والباقون بالألف والهمزة، {أَرَأَيْتَ}. وهذه كلها لغات العرب، واللغة المعروفة بالألف والهمزة، ومعناه ألا ترى يا محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكافر الذي يكذب بالدين يعني: بيوم القيامة. وقال: معناه ما تقول يا محمد في هذا الكافر، الذي يكذب بيوم القيامة، فكيف يكون حاله يوم القيامة. وقال قتادة: نزلت في وهب بن عايل، وقال جعدة بن هبيرة: نزلت في العاص بن وائل، ويقال: هذا تهديد لجميع الكفار.

ثم قال عز وجل: {فَذَلِكَ الذى يَدُعُّ اليتيم} يعني: يدفع اليتيم عن حقه، ويقال: يمنع اليتيم حقه ويظلمه {وَلاَ يَحُضُّ على طَعَامِ المسكين} يعني: لا يحث على طعام المسكين، ويقال: لا يطعم المسكين. ثم قال عز وجل: {فَوَيْلٌ لّلْمُصَلّينَ} يعني: للمنافقين {الذين هُمْ عَن صلاتهم سَاهُونَ} يعني: لاهين عنها حتى يذهب وقتها. {الذين هُمْ} الناس بالصلاة، ولا يريدون بها وجه الله تعالى، حتى إذا رأوا الناس صلوا، وإذا لم يروا الناس لم يصلوا.

قوله تعـالى: {يُـرَاءونَ وَيَمْنَعُـونَ المـاعون} قـال مقاتـل: يمنعون الزكاة، والمـاعون بلغـة الحبش المـال. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنـه قـال: يـراؤون بصـلاتهم، ويمنعون الزكاة. ويقـال: المـاعون يعـني: المعـروف كلـه، الـذي يتعاطـاه النـاس فيمـا بينهم. وعن أبي عبيـد قـال: سألت عبد الله بن مسعود، رضي الله عنـه عن المـاعون، قال: الماعون ما يتعاطاه الناس فيمـا بينهم، مثـل الفـأس والقدوم والقدر والدلو ونحو ذلك. وروى وكيـع، عن سـالم بن عبـد اللـه. قـال: سـمعت عكرمـة يقـول: المـاعون: الفأس، والقدوم، والقدر، والدلو. قلت: من منـع هـذا فلـه الويل. قـال من راءى بصـلاة وسـها عنهـا، ومنـع هـذا فلـه الويل. وقال القتبي: الماعون الزكاة، ويقال: المـاعون هـو الماء والكلأ. وروي عن الفراء أنه قـال: هـو المـال، واللـه تعالى أعلم بالصواب.

سورة الكوثر

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)}

قوله تعالى: {إِنَّا أعطيناك الكوثر} يعني الخير الكثير لفضيلة القرآن، ويقال العلم، وقال القتبي أحسبه «فَوْعَلَ» من الكثرة والخير الكثير، وقال مقاتل: {إِنَّا أعطيناك الكوثر} أراد به نهراً في الجنة طينه مسك أزفد ورضراضه اللؤلؤ أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وروى عطاء بن السائب عن محمد بن زياد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكوثر نهر في الجنة حافتاه الذهب ومجراه على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، تربته أطيب من المسك وروي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ فَإِذَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ مِنَ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ يَعْنِي الخِيَامَ قُلْتُ مَا هذا يَا جِبْرِيل؟ قَالَ: هذا الكَوثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ". ثُمَّ قال عز وجلّ {فَصَلّ لِرَبّكَ} يعني صلّ لله الصلوات الخمس {وانحر} قال بعضهم: انحر نفسك يعني اجتهد في الطاعة، وقال بعضهم: انحر يعني: استقبل بنحرك القبلة وقال بعضهم: وانحر يعني: البدنة يعني: اعرف هذه الكرامة من الله تعالى وأطعم، انحر يعني: استقبل بنحرك القبلة وقال بعضهم: وانحر يعني: البدنة يعني: اعرف هذه الكرامة من الله تعالى وأطعم، وقال بعضهم: صل صلاة العيد يوم العيد وانحر البدنة ثم قال عز وجل: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الابتر} يعني: مبغضك وهو «العاص بن وائل السهمي»

هو الأبتر يعني: الأبتر من الخير وذلـك أن العـاص بن وائـل السهمي كان يقول لأصحابه: هذا الأبـتر الـذي لا عقب لـه. وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فـاغتم لـذلك فنزل إن شانئك هو الأبتر وأنت يا محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم سـتذكر معي إذا ذكـرت فرفـع اللـه ذكـره في كـل مـواطن ويقـال: {فَصَـلّ لِرَبّـكَ وانحـر} بـأن يسـتوي بين السجدتين حتى يبدي نحره فخاطب بذلك النبي صلى اللـه عليه وسلم والمراد به جميع الأمـة كمـا قـال: {لَّمَّا كَـذَّبُواْ الرسـل} وأراد بـه هـو وأصـحابه، وروي عن علي بن أبي طالب، رضي اللـه عنـه في قولـه: {فَصَـلّ لِرَبّـكَ وانحـر} قـال يعـني: ضـع اليمين على الشـمال في الصـلاة {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الابتر} في ماله وولده وأهله والبـتر: في اللغـة الاستئصـال والقطـع وقـال قتـادة الأبـتر الحقـير الرقيـق الذليل.

▲ سورة الكافرون

▲ تفسير الآيات رقم [1- 6]

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)}

قوله تعالى: {قُلْ ياأيها الكافرون} وذلك أن قريشاً قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن يَسُرّك بأن نتبعك عاماً ونترك ديننا ونتبع دينك وترجع إلى ديننا عاماً. فنزلت هذه السورة وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم وجرى على لسانه ما جرى فقال أبو جهل أخزاه الله لا يفارقنا إلا على أحد أمرين ندخل معك في بعض ما تعبد وتدخل معنا في بعض ديننا أو نتبرأ من آلهتنا وتتبرأ من إلهك فنزلت هذه السورة، وقال الكلبي: إنهم أتوا العباس فقالوا له: لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول وآمنا به فنزل {قُلْ ياأيها الكافرون}، ويقال إنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا له: إن ابن أخيك يؤذينا ونحن لا نؤذيه بحرمتك فدعاه أبو طالب وذكر ذلك له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّما أَدْعُوهُمْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ» فقال ما هي؟ قال: «لاَ إله إلاَّ الله» فنفروا عن هذه الكلمة فنزلت {قُلْ ياأيها الكافرون} يعني: قل يا محمد لأهل مكة {لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} يعني: {لاَ أَعْبُدُ} بعد هذا {مَا تَعْبُدُونَ} أنتم من الأوثان ولا أرجع إلى دينكم {وَلاَ أَنتُمْ عابدون مَا أَعْبُدُ} يعني: لا تعبدون أنتم بعد هذا الرب الذي أعبده أنا حتى ترون ما يستقبلكم غداً وهذا كقوله عز وجل: {وَقُلِ الحق مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن

شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كالمهل يَشْوِى الوجوه بِئْسَ الشراب وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: 29] قوله تعالى: {وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} يعني: لست أنا في الحال عابداً لأصنامكم وما كنت عابداً لها قبل هذا لأني علمت مضرة عبادتها {وَلاَ أَنتُمْ عابدون مَا أَعْبُدُ} يعني: لستم عابدين في الحال لجهلكم وغفلتكم وقلة عقلكم. ثم قال عز وجل: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} يعني: قد أكملت عليكم الحجة فليس عليّ أن أجبركم على الإسلام فاثبتوا على دينكم حتى تروا ماذا يستقبلكم غداً وأنا أثبت على ديني الذي أكرمني الله تعالى به ولا أرجع إلى دينكم أبداً وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ثم نسخ بآية القتال، فيها دليل أن الرجل إذا رأى منكراً أو سمع قولاً منكراً فأنكره فلم يقبلوا منه لا يجب عليه أكثر من ذلك وإنما عليه أن يحفظ مذهبه وطريقه ويتركهم على مذهبهم وطريقهم. وقال الحسن سمعت شيخاً يحدث قال: بينما أسير مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلاً يقرأ {قُلْ ياأيها الكافرون} فقال: «أَمَّا هذا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشِّرْكِ» وسمع رجلاً يقرأ {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} [الصمد: 1] فقال: «أَمَّا هذا فَقَدْ غَفَرَ الله تَعَالَى لَهُ» والله أعلم.

سورة النصر

تفسير الآيات رقم [1- 3]

{إِذَا جَـاءَ نَصْـرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَـدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّكَ وَاسْـتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَـانَ تَوَّابًا (3)}

قولـه تعـالى: {إِذَا جَـاء نَصْـرُ اللـه} وروى عبـد الملـك بن سليمان قال: سمعت سعيد بن جبير يقول كـان أنـاس من المهاجرين قد وجـدوا عمـر وفي إدنائـه ابن عبـاس رضـي الله عنهما دونهم وكان يسأله فقال عمر: أما إني سأريكم منه اليوم ما تعرفون بـه فضـله فسـأله عن هـذه السـورة {إِذَا جَاء نَصْرُ الله والفتح} قال بعضـهم: أمـر اللـه تعـالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إذا رأى النـاس يـدخلون في دين اللــه أفواجــاً أن يحمــده ويســتغفره فقــال لابن عباس تكلم، فقال أعلمه الله متى يموت فقـال: {إِذَا جَـاء نَصْـرُ اللـه والفتح} فهي آيتـك من المـوت {فَسَـبّحْ بِحَمْـدِ رَبّكَ}، قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأ رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم على أصحابه أبي بكـر وعمـر رضـي الله عنهما فاستبشروا فسمع بذلك ابن عباس فبكى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيـك فقـال نعيت نفسـك فقال: «صَدَقْتَ» فعاش بعد هـذه السـورة سـنتين. وروى أبو عبيد بن عبد الله أن النبي صلى الله عليـه وسـلم كـان يكثر أن يقـول: «سُـبْحَانَكَ رَبِّي وَبِحَمِـدكَ اللَّهُمَّ اغْفِـرْ لِي» وقال علي رضي الله عنه لما نـزلت هـذه السـورة مـرض النبي صلى اللـه عليـه وسـلم فخـرج إلى النـاس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل وتـوفي بعـد أيـام. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهمـا في قولـه تعـالى: {إِذَا جَـاء نَصْـرُ اللــه والفتح} يعــني إذا أتــاك نصــر من اللــه تعــالى على

الأعـداء من قـريش وغـيرهم، {والفتح} يعـني: فتح مكـة والطـائف وغيرهـا {وَرَأَيْتَ النـاس يَـدْخُلُونَ فِى دِينِ اللـه أفواجا} يعني: جماعة جماعة وقبيلة قبيلة، وكان قبل ذلك يدخلون واحداً واحداً فـدخلوا فوجـاً فوجـاً فـإذا رأيت ذلـك فاعلم أنك ميت فاستعد للموت بكثرة التسبيح والاستغفار فذلك قوله: {فَسَـبّحْ بِحَمْـدِ رَبّـكَ} يعـني: سـبحه، ويقـال: يعني: سبح صل لربـك {واسـتغفره إِنَّهُ كَـانَ تَوبَـا} يعـني: مسبحاً وذلك لمن تاب.

111

سورة المسد

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَـبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُـهُ حَمَّالَـةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)}

قولـه تعـالى: {تَبَّتْ يَـدَا أَبِى لَهَبٍ} يعـني: خسـر أبـو لهب وذلـك أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم حين نـزل قولـه تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الاقربين} [الشـعراء: 214] صـعد على الصفا ونادى فاجتمعوا فقـال النبي صـلى اللـه عليـه وسلم: " أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الأَقْـرَبِينَ وَأَدْعُـوهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إله إلاَّ اللـه، فَقُولُـوا أَشْـهَدْ لَكُمْ بِهَـا عِنْـدَ رَبِّي " فأنكروا ذلك فقال أبو لهب: تباً لك سائر الأيام ألهذا دعوتنا، وروي في خـبر آخـر أنـه اتخـذ طعامـاً ودعـاهم ثم قال: " أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا وَأَطِيعُوا تَهْتَدُوا " فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر الأيام ألهـذا دعوتنـا فـنزلت {تَبَّتْ يَـدَا أَبِى لَهَبٍ} يعـني: خسـرت يـدا أبي لهب عن التوحيـد {وَتَبَّ} يعـني: وقد خسر ويقال: إنما ذكر اليد وأراد به هـو وقـال مقاتـل: تبت يدا أبي لهب وتب يعني: خسر نفسـه وكـان أبـو لهب

عم النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم واسـمه «عبـد العـزى» ولهذا ذكره بالكنية ولم يذكر اسمه لأن اسمه كان منسوباً إلى صنم وقال بعضهم: كنيته كان اسمه ثم قال عز وجل: {مَا أغنى عَنْهُ مَالُهُ} يعـني: مـا نفعـه مالـه في الآخـرة إذ كفر في الـدنيا {وَمَـا كَسَـبَ} يعـني: مـا ينفعـه ولـده في الآخرة إذا كفر في الدنيا والكسـب أراد بـه الولـد لأن ولـد الرجل من كسبه ثم قـال عـز وجـل: {سيصـلى نَـاراً ذَاتَ لَهَبٍ} يعني: يدخل في النار ذات لهب يعني ذات شعل ثم قال عز وجل: {وامرأته} يعـني: امرأتـه تـدخل النـار معـه {حَمَّالَةَ الحطب} قرأ عاصم حمالـة الحطب بنصـب الهـاء ويكـون على معـنى الـذم والشـين ومعنـاه أعـني حمالـة الحطب والبــاقون بالضــم على معــنى الابتــداء وحمالــة الحطب جعـل نعتـاً لهـا فقـال: {حَمَّالَـةَ الحطب} يعـني: حمالة الخطايا والذنوب. ويقال: {حَمَّالَـةَ الحطب} يعـني: تمشي بالنميمة فسمى النميمة حطباً لأنه يلقي بني القوم العداوة والبغضاء وكانت تمشي بالنميمة في عداوة النــبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه ويقـال: كـانت تحمـل الشوك فتطرحه في طريق النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصحابه بالليل من بغضها لهم حتى بلغ النبي عليه السلام شدة وعناء فحملت ذات ليلـة حزمـة شـوك لكي تطرحهـا في طريقهم فوضعتها على جـدار وشـدتها بحبـل من ليـف على صدرها فأتاها جبريل عليه السلام ومده خلف الجــدار وخنقهـا حـتى مـاتت فـذلك قولـه: {فِى جِيـدِهَا حَبْـلٌ مِّن مَّسَدٍ} أي من ليف وقال أكـثر أهـل التفسـير {فِى جِيـدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ} يعني: في الآخـرة في عنقهـا سلسـلة من حديد وتحتها نار وفوقها نـار، وروى سـعيد بن جبـير رضـي الله عنه عن أبي بكر الصـديق رضـي اللـه عنـه قـال: لمـا نزلت تبت يدا أبي لهب جـاءت امـرأة أبي لهب فقـال أبـو

بكر رضي الله عنه لو تنحَّيْتَ يـا رسـول اللـه فإنهـا امـرأة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
«سَيُحَال بَيْنِي وَبَيْنَهَا» فـدخلت فلم تـره فقـالت لأبي بكـر رضي الله عنه هجاناً صاحبك فقال والله ما ينطق بالشـعر ولا يقوله قالت إنك لمصدق فاندفعت راجعة فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما رأتك فقال:
«لَمْ يَزَلْ بَيْنِي وَبَيْنَها مَلَكٌ يَسْتُرُنِي عَنْهَا حَتَّى رَجِعَتْ».
وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي يزيد بن زيـد قـال لمـا نـزلت هـذه السـورة قيـل لامـرأة أبي لهب أن النـبي صلى الله عليه وسلم قد هجاك فـأتت رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم وهـو جـالس في الخلاء وقـالت يـا محمـد صلى الله عليه وسلم على ماذا تهجوني
فقال: «أَمَا وَلله مَا أَنَا هَجَوْتُكِ مَا هَجَاكِ إلاَّ الله عَزَّ وَجَلَّ»
قالت هل رأيتني أحمـل الحطب أو رأيت في جيـدي حبلهـا من مسد؟
وقـال مجاهـد: {فِى جِيـدِهَا حَبْـلٌ مِّن مَّسَـدٍ} مثـل حديـد البكرة،
وقال غيره يعني عروة سلسـلة من حديـد ذرعهـا سـبعون ذراعاً والله أعلم.

سورة الإخلاص

تفسير الآيات رقم [1- 4]

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)}

قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} وذلك أن قريشاً قالوا له صِفْ لنا ربَّك الذي تعبده وتدعونا إليه ما هو؟ فأنزل الله تعالى: {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} يعني: قل يا محمد للكفار إني ربي الذي أعبده {هُوَ الله أَحَدٌ} يعني فرد لا نظير له ولا شبيه له ولا شريك له ولا معين له ثم قال عز وجل: {الله الصمد} يعني: الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، وقال السدي وعكرمة ومجاهد {الصمد} الذي لا جوف له، وعن قتادة قال كان إبليس لعنه الله ينظر إلى آدم عليه السلام ودخل في فيه وخرج من دبره يعني حين كان صلصالاً فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ويتضرعون إليه عند مسألتهم وقال أبو وايل {الصمد} السيد الذي انتهى سؤدده وكذلك قال سعيد بن جبير وقال الحسن البصري رضي الله عنه {الصمد} الدائم، وقال قتادة {الصمد} الباقي ويقال الكافي وقال محمد بن كعب القرظي {الصمد} الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويقال: {الصمد} التام في سؤدده وروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: {الصمد} الذي لا يخاف من فوقه ولا يرجو من تحته ويُصْمَد إليه في الحوائج ثم قال عز وجل {لَمْ يَلِدْ} يعني: لم يكن له ولد يرث ملكه. {وَلَمْ يُولَدْ} يعني: لم يكن له والد يرث عنه

ملكه {وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} يعني: لم يكن لـه نظـير ولا شـريك فينازعـه في عظمتـه وملكـه وقـال مقاتـل: إن مشركي العرب قالوا إن الملائكة كذا وكـذا وقـالت اليهـود والنصارى في عزير والمسيح ما قالت فكذبهم الله تعـالى وأبرأ نفسه مما قالوا فقال: {لَمْ يَلِـدْ وَلَمْ يُولَـدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُـواً أَحَـدٌ}، قـرأ عاصـم في روايـة حفص كفـواً بغـير همزة وقرأ حمزة بسـكوت الفـاء مهمـوزاً والبـاقون بضـم الفاء مهموزاً بهمزة وكل ذلك يرجع إلى معنى واحد وروي عن علي بن أبي طـالب أنـه قـال من قـرأ {قُـلْ هُـوَ اللـه أَحَدٌ} بعد صلاة الفجر إحـدى عشـرة مـرة لم يلحقـه ذنب يومئذٍ ولو اجتهد الشيطان.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنـه عن النـبي صـلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَيَعْجَزُ أَحَـدُكُم أَنْ يَقْـرَأَ القُـرآنَ فِي لَيْلَةٍ؟» فقيل يا رسول الله من يطيق ذلك؟ قـال: «أَنْ يَقْرَأ قُلْ هُوَ الله أَحَـدٌ ثَلاَثَ مَـرَاتٍ» وروي عن ابن شـهاب عن الزهري رضي الله عنه قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال: «مَنْ قَـرَأ قُـلْ هُـوَ اللـه أَحَـدٌ مَـرَّةً فَكَأَنَّمَا قَرَأ ثُلُثَ القُرْآنِ» والله أعلم.

سورة الفلق

تفسير الآيات رقم [1- 5]

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)}

قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الفلق} يعني: قل يا محمد أعتصم وأستعيذ وأستعين بخالق الخلق، والفلق الخلق وأنما سمي الخلق فلقاً لأنهم فُلِقُوا من آبائهم وأمهاتهم ويقال: {أَعُوذُ بِرَبّ الفلق} يعني: بخالق الصبح، ويقال: فالق الحب والنوى قال الله تعالى: {إِنَّ الله فَالِقُ الحب والنوى يُخْرِجُ الحى مِنَ الميت وَمُخْرِجُ الميت مِنَ الحى ذلكم الله فأنى تُؤْفَكُونَ} [أنعام: 95] وقال {فَالِقُ الإصباح وَجَعَلَ اليل سَكَناً والشمس والقمر حُسْبَاناً ذلك تَقْدِيرُ العزيز العليم} [الأنعام: 96] ويقال الفلق واد في جهنم، ويقال: جب في النار.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الفَلَقُ شَجَرَةٌ فِي جَهَنَّمَ فَإِنْ أَرَادَ الله أَنْ يُعَذِّبَ الكَافِرَ بِأَشَدِّ العَذَابِ يَأْمُرُهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِهَا». وروي عن كعب الأحبار أنه دخل في بعض الكنائس التي للروم فقال: أخسر عمل وأضلّ قوم قد رضيت لكم بالفلق فقيل له ما الفلق يا كعب؟ قال: بئر في النار إذا فتح بابها صاح جميع أهل النار من شدة عذابها.

ثم قال عز وجل: {مِن شَرّ مَا خَلَقَ} قال الجن والإنس وقال الكلبي من شر ما خلق يعني: من شر ذي شر. ثم قال عز وجل: {وَمِن شَرّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} يعني: ظلمة

الليل إذا دخل سواد الليل في ضوء النهار ويقال: {إِذَا وَقَبَ} يعني: إذا جاء وأدبر وقال القتبي: {الغاسق} الليل والغسق الظلمة ويقال: الغاسق القمر إذا انكسف واسودّ {وَإِذَا وَقَبَ} يعني: إذا دخل في الكسوف.

ثم قال تعالى: {وَمِن شَرّ النفاثات فِى العقد} يعني: الساحرات المهيجات اللواتي ينفثن في العقد ثم قال عز وجل: {وَمِن شَرّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} يعني كل ذي حسد أراد به لبيد بن أعصم اليهودي ويقال لبيد بن عاصم. وروى الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال سحر النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود عقد له عقداً فاشتكى لذلك أياماً فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن رجلاً من اليهود سحرك فبعث عليّاً رضي الله عنه واستخرجها فحلّها فجعل كلما حل عقدة وجد النبي صلى الله عليه وسلم لذلك خفة حتى حلها كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لليهود.

وروي في خبر آخر أن لبيد بن أعصم اتخذ لعبة للنبي صلى الله عليه وسلم وأخذ من عائشة رضي الله عنها فأفحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل في اللعبة أحد عشرة عقدة ثم ألقاها في بئر، وألقى فوقها صخرة فاشتكى من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شكواً شديداً فصارت أعضاؤه مثل العقد فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النائم واليقظان إذ أتاه ملكان أحدهما جلس عند رأسه والآخر عند قدميه فالذي عند قدميه يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال السحر قال: من فعل به؟ قال لبيد بن أعصم اليهودي قال فأين صنع السحر قال في بئر كذا قال: ماذا رأوه يبعث إلى تلك البئر فنزح ماؤها فإنه انتهى إلى الصخرة فإذا رأها فليقلعها فإن تحتها كؤبة وهي كؤبة قد سقطت عنقها وفيه إحدى عشرة عقدة

فيحرق في النار فيبرأ إن شاء الله تعالى فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وقد فهم ما قالا فبعث عمار بن ياسر وعلياً رضي الله عنهما إلى تلك البئر في رهط من أصحابه فوجدوها كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم لهم فنزلت هاتان السورتان وهي إحدى عشرة آية فكلما قرأ آية حل منها عقدة حتى انحلت كلها ثم أحرقها بالنار فبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي في بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الفلق} و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الناس} ما سأل منها سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلها قط وهذه الآية دليل أن الرقية جائزة إن كانت بذكر الله تعالى وبكتابه والله أعلم بالصواب.

114

سورة الناس

تفسير الآيات رقم [1- 6]

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)}

قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبّ الناس} يقول أستعيذ بالله وخالق الناس ويقال: أستعيذ بالله الذي هو رازق الخلق، ثم قال عز وجل: {مَلِكِ الناس} يعني: خالق الناس ومالكهم وله نفاذ الأمر والملك فيهم، ثم قال عز وجل: {إله الناس} يعني: خالق الناس ومعطيهم ومانعهم {مِن شَرّ الوسواس} يعني من شر الوسواس يعني من شر الشيطان، لأني لا أستطيع أن أحفظ نفسي من شره لأنه يجري في نفس الإنسان مجرى الدم ولا يراه بشر والله تعالى قادر على حفظي من شره ومن وسوسته.

ثم وصف الشيطان فقال: {الخناس} قال مجاهد: هو منبسط على قلب الإنسان إذا ذكر الله خنس وانقبض فإذا عقل انبسط على قلبه ويقال له: خنوس كخنوس القنفذ {الذى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ الناس * مِنَ الجنة والناس} يعني: يدخل في صدور الجن كما يدخل في صدور الإنس ويوسوس لهم ويقال: {الناس} في هذا الموضع يصلح للجن والإنس فإذا أراد به الجن فمعناه: يوسوس في صدور المؤمنين الذين هم جن {يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ الناس} يعني: الذين هم من بني آدم ويقال: {الناس} معطوف على الوسواس ومعناه: {مِن شَرّ الوسواس} {وَمِن شَرّ الوسواس الخناس} كما قال في آية أخرى {شياطين الإنس والجن} وقال مقاتل روي عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال لـه جبريـل عليـه السـلام ألا أخبرك يا محمد صلى الله عليه وسلم بأفضل ما يتعوذ به؟ قلت: «وَمَا هُوَ؟» قال المعوذتان.

وروى علقمة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليـه وسلم أنه قـال: «مَـا تَعَـوَّذَ المُعَـوِّذُونَ بِمِثْـلِ المَعُـوذَتَيْنِ». وروي عن الحسن البصـري في قولـه تعـالى: {مِنَ الجِنـة والناس} قـال إن من النـاس شـياطين فتعـوذوا باللـه من الشــياطين يعــني: شــياطين الجن والإنس، وقــال همــا شيطانان فأما شيطان الجن فيوسوس في صدور النــاس، وأمـا شـيطان الإنس فإنـه علانيـة وروى أبـو معاويـة عن عثمان بن واقد قـال أرسـلني أبي إلى محمـد بن المنكـدر أسأله عن المعوذتين أهما من كتاب الله تعالى؟ قـال: من لم يـزعم أنهمـا من كتـاب اللـه تعـالى فعليـه لعنـة اللـه والملائكـة والنـاس أجمعين (واللـه أعلم وصـلّى اللـه على سـيدنا محمـد خـاتم النبـيين، وإمـام المتقين ورسـول رب العــالمين، وعلى جميــع الأنبيــاء والمرســلين والملائكــة والمقربين وأهل طاعتك أجمعين. ورضي الله عن أصحاب رسـول اللـه أجمعين وعن التـابعين وتـابعي التـابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، حسبنا الله ونعم الوكيل.

فهرست

سورة الزخرف

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الدخان

سورة الجاثية

تفسير الآيات رقم (1- 11)

سورة التكاثر

تفسير الآيات رقم (1- 8)

سورة العصر

تفسير الآيات رقم (1- 3)

سورة الهمزة

تفسير الآيات رقم (1- 9)

سورة الفيل

تفسير الآيات رقم (1- 5)

سورة قريش

تفسير الآيات رقم (1- 4)

سورة الماعون

تفسير الآيات رقم (1- 7)

سورة الكوثر

تفسير الآيات رقم (1- 3)

سورة الكافرون

تفسير الآيات رقم (1- 6)

سورة النصر

تفسير الآيات رقم (1- 3)

سورة المسد

تفسير الآيات رقم (1- 5)

سورة الإخلاص

تفسير الآيات رقم (1- 4)

سورة الفلق

تفسير الآيات رقم (1- 5)

سورة الناس

تفسير الآيات رقم (1- 6)

http://www.al-eman.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A8/%D8%AA%D9%81%D8%B3%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%85%D8%B1%D9%82%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%8C%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%85%D9%89%20%C2%AB%D8%A8%D8%AD%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%C2%BB%20***/i367&n63&p1